تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

(٢٢٤هـ - ٣١٠هـ)

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

بالتعاون مع

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية

بدار هجر

الجزء الأول

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان



٣/١

[١/١ظ] * / بسم الله الرحمن الرحيم (١)

(٢) قُرِئَ على أبى جعفرٍ محمدِ بنِ جريرٍ الطَّبَرِىِّ ، فى سنةِ ستٍّ وثلاثِمائةٍ ، قال (٢) :

الحمدُ للَّهِ الذى حَجَّت (٣) الألبابَ بَدائعُ حُكْمِه (٤) ، وخصَمَت العقولَ لَطائفُ حُجَجِه ، وقَطعَت عُذْرَ المُلْحِدِين عَجائبُ صُنْعِه ، وهتَف (٥) فى أسماعِ العالمين ألْسُنُ أدلَّتِه ، شاهدةً أنه اللَّهُ الذى لا إلهَ إلَّا هو ، الذى لا عِدْلَ له مُعادِلٌ (٦) ، ولا مِثْلَ له مُماثِلٌ ، ولا شريكَ له مُظاهِرٌ ، ولا ولدَ له ولا والدٌ ، ولم يَكُنْ له صاحبةٌ ، ولا كُفُوًا أحدٌ ، وأنه الجبارُ الذى خضَعَت لجَبروتِه الجَبابرةُ ، والعزيزُ الذى ذلَّت لعزَّتِه الملوكُ الأعِزَّةُ ، وخشَعَت لَمهابةِ سَطْوتِه (٧) ذَوُو المَهابةِ ، وأذْعَن له جميعُ الخلقِ بالطاعةِ ، طَوْعًا وكَرْهًا ، كما قال جلَّ ثناؤه وتقدَّسَتْ أسماؤه : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ [الرعد : ١٥] .

---

* الأرقام التى بين المعقوفين أرقام المخطوط المشار له بالرمز ت١ ، وهو أحد نسخ مكتبة الفاتح التى حصلنا عليها من مكتبة آياصوفيا .

(١) بعده فى ص : « رب تمم برحمتك » ، وفى م : « وبه ثقتى وعليه اعتمادى رب يسر » ، وفى ت١ : « وبه نستعين » .

(٢ - ٢) فى ص : « قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى رحمه اللَّه » ، ومثله فى ت١ دون قوله : « الإمام » .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ : « حجبت » .

(٤) فى ت٢ : « حكمته » .

(٥) فى ت١ ، ت٢ : « هتفت » .

(٦) سقط من : ر ، ت٢ .

(٧) فى ت٢ : « سطواته » .

فكلُّ موجودٍ إلى وَحْدانيته داعٍ ، وكلُّ مَحْسوسٍ إلى ربُوبيتِه هادٍ ، بما وَسَمهم به مِن آثارِ الصَّنْعةِ ؛ مِن نقصٍ وزيادةٍ ، وعجزٍ وحاجةٍ ، وتصَرُّفٍ فى عاهاتٍ عارضةٍ [(١)] ، ومُقارَنةِ أحداثٍ لازمةٍ ؛ لِتَكونَ له الحُجَّةُ البالغةُ ، ثم أرْدَف ما شهِدت به مِن ذلك أدلتُه ، وأكَّد ما اسْتَنارت فى القلوبِ منه بهجتُه ، برسلٍ ابْتَعَثهم إلى [(٢)] عبادِه ، دُعاةً إلى ما اتَّضَحت لديهم صحتُه ، وثبَتَت فى العقولِ حُجَّتُه ؛ ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [النساء: ١٦٥] . وليَذَّكَّرَ أولو النُّهَى والحِلْمِ ، فأمَدَّهم بعونِه ، وأبانَهم مِن سائرِ خلقِه ، بما دلَّ به على صدقِهم مِن الأدلةِ ، وأيَّدَهم به مِن الحُجَجِ البالغةِ ، والآيِ المُعْجِزةِ ؛ لئلا يقولَ القائلُ منهم [(٣)] : ﴿ مَا هَٰذَآ [(٤)] إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٣، ٣٤] .

فجعَلهم سُفَراءَه [(٥)] بينَه وبينَ خلقِه ، وأُمناءَه على وَحْيِه ، واخْتَصَّهم بفضلِه ، واصْطَفاهم برسالتِه ، ثم جعَلهم فيما خصَّهم به مِن مَواهبِه ، ومَنَّ به عليهم مِن كَراماتِه - مَراتبَ مُختلفةً ، ومَنازلَ مُفْتَرِقةً ، ورفَع بعضَهم فوقَ بعضٍ دَرَجاتٍ مُتَفاضِلاتٍ مُتَبايِناتٍ ؛ فكرَّم بعضَهم بالتَّكْليمِ والنَّجْوَى ، وأيَّد بعضَهم برُوحِ القُدُسِ ، وخصَّه بإحياءِ الموتى ، وإبْراءِ أُولِى العاهةِ والعَمَى ،/ وفضَّل نبيَّنا محمدًا ﷺ مِن الدرجاتِ بالعُلْيا ، ومِن المراتبِ بالعُظْمَى ، فحَباه مِن أقسامِ كَرامتِه بالقسمِ الأفْضلِ ، وخصَّه مِن درجاتِ النبوَّةِ بالحظِّ الأجْزَلِ ، ومِن الأتْباعِ والأصحابِ بالنصيبِ الأوْفرِ ، وابْتَعَثه بالدَّعوةِ التامَّةِ ، والرسالةِ العامةِ ، وحاطه

١/٤

---

(١) فى ر : « المعارضة » .
(٢) بعده فى م ، ت١ : « من يشاء من » .
(٣) فى م « فيهم » .
(٤) فى ص : « هؤلاء » ، وفى ر ، ت٢ : « هو » .
(٥) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ : « سفراء » .

وحيدًا ، وعصَمه[(١)] فَريدًا ، مِن كلِّ جبارٍ عانِدٍ ، وكلِّ شيطانٍ ماردٍ ، حتى أظْهَر به الديـنَ ، وأوْضَح به السبيلَ ، وأنْهَج[(٢)] به مَعالمَ الحقِّ ، ومحَق به مَنارَ الشركِ ، وزهَق به الباطلُ ، واضْمَحَلَّ به الضلالُ ، وخُدَعُ الشيطانِ ، وعبادةُ الأصنامِ والأوْثانِ ، مُؤَيَّدًا بدَلالةٍ على الأيامِ باقيةٍ ، وعلى الدُّهورِ والأزْمانِ ثابتةٍ ، وعلى مرِّ[(٣)] الشهورِ والسنينَ دائمةٍ ، يَزدادُ ضِياؤُها على كَرِّ الدُّهورِ إشْراقًا ، وعلى مرِّ الليالى والأيامِ ائتِلاقًا[(٤)] ، خِصِّيصَى[(٥)] مِن اللَّهِ له بها دونَ سائرِ رسلِه الذين قهَرَتهم الجَبابرةُ ، واسْتَذَلَّتهم الأمَمُ الفاجرةُ ، فتعفَّت بعدَهم منهم الآثارُ ، وأخْمَلَت ذكرَهم الليالى والأيامُ ، ودونَ مَن كان منهم مُرْسَلًا إلى أمةٍ دونَ أمةٍ ، وخاصةٍ دونَ عامَّةٍ ، وجماعةٍ دون كافَّةٍ .

فالحمدُ للَّهِ الذى كرَّمَنا بتصديقِه ، وشرَّفَنا باتِّباعِه ، وجعَلَنا مِن أهلِ الإقْرارِ والإيمانِ به ، وبما دعا إليه وجاء به ، صلى اللَّهُ عليه وعلى آلِه وسلَّم ، أزْكَى صَلواتِه ، وأفضلَ سلامِه ، [(٦)] وأتمَّ تحيّاتِه[(٦)] .

ثُمَّ أمَّا بعدُ ، فإن مِن جَسيمِ ما خصَّ اللَّهُ به أمَّةَ نبيِّنا محمدٍ ﷺ مِن الفَضيلةِ ، وشرَّفهم به على سائرِ الأممِ مِن المنازلِ الرفيعةِ ، وحَبَاهم به مِن الكرامةِ السَّنِيَّةِ ، حِفْظَه ما حفِظ عليهم جل ذكرُه وتقدَّست أسماؤُه ، مِن وحيِه وتَنْزيلِه ، الذى جعَله على

---

(١) سقط من : ر .

(٢) فى ر ، ت٢ : « أبهج » .

(٣) فى م : « ممر » .

(٤) فى ر ، ت٢ : « انفلاقا » .

(٥) فى م : « تخصيصا » . يقال : خصه بالشىء ، خصًّا وخصوصا وخصوصية وخصيصى ، ويمد : إذا فضله دون غيره .

(٦ - ٦) زيادة من : م .

حقيقةِ نُبُوَّةِ نبيِّهم ﷺ دَلالةً ، وعلى ما خصَّه به مِن الكرامةِ علامةً واضحةً ، وحُجَّةً بالغةً ، أبانه [١/٢و] به مِن كلِّ كاذبٍ ومُفْترٍ ، وفصَل به بينَهم وبينَ كلِّ جاحدٍ ومُلْحِدٍ ، وفرَق به بينَهم وبينَ كلِّ كافرٍ ومشركٍ ، الذى لو اجْتَمَع جميعُ مَن بينَ أقطارِها ؛ مِن جِنِّها وإنْسِها ، وصغيرِها وكبيرِها ، على أن يأتوا بسورةٍ مِن مثلِه ، لم يأتوا بمثلِه ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظَهيرًا[(١)] ، فجعَله لهم فى دُجَى الظُّلَمِ نورًا ساطعًا ، وفى سُدَفِ[(٢)] الشُّبَهِ[(٣)] شِهابًا لامعًا ، وفى مَضَلَّةِ المَسالكِ دليلًا هاديًا ، وإلى سُبُلِ النجاةِ والحقِّ حاديًا ، ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٦] . حرَسه بعينٍ منه لا تَنامُ ، وحاطه برُكْنٍ منه لا يُضامُ ، لا تَهِى على الأيامِ دَعائمُه ، ولا تَبِيدُ على طولِ الأزمانِ مَعالمُه ، ولا يَجورُ[(٤)] عن قصدِ المَحَجَّةِ تابعُه ، ولا يَضِلُّ عن سُبُلِ الهُدَى مُصاحِبُه ، مَن اتَّبَعه فاز وهَدَى ، ومَن حاد عنه ضلَّ وغَوَى ، فهو مَوْئِلُهم الذى إليه عندَ الاختلافِ يَئِلون ، ومَعْقِلُهم الذى إليه فى النَّوازلِ يَعْتَقِلون[(٥)] ، وحِصْنُهم الذى به مِن وَساوسِ الشيطانِ يَتَحَصَّنون ، وحِكْمةُ ربِّهم التى إليها يَحْتَكِمون ، وفَصْلُ قَضائِه بينَهم الذى إليه يَنْتَهون ، وعن الرِّضا به يَصْدُرون ، وحَبْلُه الذى بالتَّمَسُّكِ[(٦)] به مِن الهَلَكةِ يَعْتَصِمون .

اللهم فوَفِّقْنا لإصابةِ صَوابِ القولِ فى مُحْكَمِه ومُتَشابِهِه ، وحَلالِه وحَرامِه ،

---

(١) اقتباس من الآية ٨٨ من سورة الإسراء .

(٢) السدف ، واحدها سدفة : وهى ظلمة الليل يخالطها بعض الضوء ، وتكون فى أول الليل وآخره . ينظر تاج العروس (س د ف) .

(٣) فى ص ، ت١ : « الشبهة » .

(٤) فى ر : « يجوز » .

(٥) فى ر : « يعقلون » .

(٦) فى ر : « يتمسك » .

وعامِّه وخاصِّه، ومُجْمَلِه ومُفَسَّرِه، وناسخِه ومَنْسوخِه، وظاهرِه وباطنِه، وتأْويلِ آيِه، وتفسيرِ مُشْكِلِه، وأَلْهِمْنا التمسكَ به، / والاعْتِصامَ بمُحْكَمِه، والثَّباتَ[1] على التسليمِ لمُتَشابِهِه، وأَوْزِعْنا الشكرَ على ما أَنْعَمْتَ به علينا، مِن حفظِه، والعلمِ بحُدودِه، إنك سميعُ الدعاءِ، قريبُ الإجابةِ، وصلى اللَّهُ على محمدٍ النبيِّ وآلِه، وسلَّم تسليمًا. ٥/١

اعْلَموا عبادَ اللَّهِ، رحِمكم اللَّهُ، أن أحقَّ ما صُرِفت إلى علمِه العِنايةُ، وبُلِغت في معرفتِه الغايةُ، ما كان للَّهِ في العلمِ به رِضًا، وللعالمِ به إلى سبيلِ الرشادِ هُدًى، وأنّ أجْمَعَ ذلك لباغيه، كتابُ اللَّهِ الذي لا ريبَ فيه، وتَنْزيلُه الذي لا مِرْيةَ فيه، الفائزُ بجَزيلِ الذُّخْرِ وسَنِيِّ الأجرِ تاليه، الذي لا يَأْتيه الباطلُ مِن بينِ يديه ولا مِن خلفِه، تنزيلٌ مِن حكيمٍ حميدٍ[2].

ونحن في شرحِ تأويلِه وبيانِ ما فيه مِن معانيه، مُنْشِئون، إن شاء اللَّهُ ذلك، كتابًا مُسْتَوْعِبًا لكلِّ ما بالناسِ إليه الحاجةُ مِن علمِه، جامعًا، ومِن سائرِ الكتبِ غيرِه في ذلك كافيًا، ومُخْبِرون في كلِّ ذلك بما انْتَهى إلينا مِن اتفاقِ الحجةِ فيما اتَّفَقَت عليه منه، واختلافِها فيما اختَلَفَت فيه منه، ومُبَيِّنو[3] عِلَلِ كلِّ مذهبٍ مِن مذاهبِهم، ومُوَضِّحو الصحيحِ لدينا مِن ذلك، بأَوْجَزِ ما أمْكَن مِن الإيجازِ في ذلك، وأخْصَرِ ما أمْكَن مِن الاخْتِصارِ فيه، واللَّهَ أَسْأَلُ[4] عونَه وتوفيقَه لما يُقَرِّبُ مِن مَحابِّه، ويُبْعِدُ مِن مَساخِطِه، وصلَّى اللَّهُ على صَفْوتِه مِن خلقِه وعلى آلِه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) في ر: «البيان».

(٢) اقتباس من الآية ٤٢ من سورة فصلت.

(٣) في ص: «مبينون»، وفي ر، ت٢: «مثبتو».

(٤) في ر: «يسأل»، وفي م: «نسأل»، وفي ت٢: «يسأله».

و[(١)] أولُ ما نَبْدَأُ به مِن القِيلِ فى ذلك الإبانةُ عن الأسبابِ التى البِداية بها أَوْلَى ، وتقديمُها قبلَ ما عداها أحرَى ؛ وذلك البيانُ عما فى آيِ القرآنِ مِن المعانى التى مِن قِبَلِها يَدْخُلُ اللَّبْسُ على مَن لم يُعانِ رِياضةَ العلومِ العربيةِ ، ولم تَسْتَحْكِمْ معرفتُه بتَصاريفِ وُجوهِ مَنْطِقِ الألسنِ السَّليقيَّةِ الطبيعيةِ .

القولُ فى البيانِ عن اتِّفاقِ مَعانى آيِ القرآنِ ومعانى مَنْطِقِ مَن نزَل بلسانِه مِن وجهِ البيانِ ، والدَّلالةُ على أن ذلك مِن اللَّهِ جل وعز هو الحكمةُ البالغةُ ، مع الإبانةِ[(٢)] عن فضلِ المعنى الذى به بايَن القرآنُ سـائرَ الكلامِ

قال أبو جعفرٍ : إن مِن عظيمِ[(٣)] نعمِ اللَّهِ على عبادِه ، وجَسيمِ مِنَّتِه[(٤)] على خلقِه ، ما منَحهم مِن فضلِ البَيانِ ، الذى به عن ضمائرِ صُدورِهم يُبينون ، وبه على عَزائمِ نفوسِهم يَدُلُّون ، فذلَّل به منهم الألسنَ ، وسهَّل به عليهم المُسْتَصْعبَ ، فبه إياه يُوَحِّدون ، وإياه به يُسَبِّحون ويُقَدِّسون ، وإلى حاجاتِهم به يَتَوَصَّلون ، وبه بينَهم يَتَحاوَرون ، فيتَعارَفون ويَتَعامَلون .

ثم جعَلهم جل ذكرُه - فيما منَحهم مِن ذلك - طبقاتٍ ، ورفَع بعضَهم فوقَ بعضٍ درجاتٍ ، فبَيْنَ خَطيبٍ مُسْهِبٍ ، وذَلِقِ اللسانِ مُهْذِبٍ ، ومُفْحَمٍ عن نفسِه لا يُبِينُ ، وعَيِيٍّ عن ضميرِ قلبِه لا يُعَبِّرُ ، وجعَل أعْلاهم فيه رُتْبةً ، وأرْفَعَهم فيه درجةً ، أبْلَغَهم فيما أراد به بلاغًا ، وأبينَهم عن نفسِه به بيانًا ، / ثم عرَّفهم فى تنزيلِه ومُحْكَمِ ٦/١

(١) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ : « إن » .
(٢) فى ر : « الأمانة » .
(٣) فى ص ، ر : « أعظم » .
(٤) فى م ، ت١ ، ت٢ : « مننه » .

آيِ كتابِه ، فضْلَ ما حَباهم به من البيانِ ، على مَن فضَّلهم به عليه مِن ذى البَكَمِ والمُسْتَعْجِمِ اللسانِ ، فقال تعالى ذكرُه : ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف : ١٨] .

فقد وضَح إذن لذَوِى الأفْهامِ ، وتبيَّن لأُولى الألبابِ ، أنَّ فضْلَ أهلِ البيانِ على أهلِ البَكَمِ والمُسْتَعْجِمِ اللسانِ ، بفضلِ اقْتِدارِ هذا مِن نفسِه على إبانةِ ما أراد إبانتَه عن نفسِه ببيانِه ، واسْتِعْجامِ لسانِ هذا عما حاوَل إبانتَه بلسانِه .

فإن كان ذلك كذلك ، وكان المعنى الذى به بايَن الفاضلُ[(١)] المفضولَ فى ذلك ، فصار به فاضلًا ، والآخرُ مفضولًا ، هو ما وصَفْنا[(٢)] مِن فضلِ إبانةِ ذى البيانِ عما قصَّر عنه المُسْتَعْجِمُ اللسانِ ، وكان ذلك مُخْتَلِفَ الأقْدارِ ، مُتَفاوِتَ الغاياتِ والنِّهاياتِ ، فلا شكَّ أن أعْلَى منازلِ البيانِ دَرَجةً ، وأسْنَى مَراتبِه مرتبةً ، أبْلَغُه فى حاجةِ المُبِينِ عن نفسِه ، وأبينُه عن مرادِ قائلِه ، وأقربُه[(٣)] مِن فهمِ سامعِه ، فإن تجاوَز ذلك المِقْدارَ ، وارْتَفع عن وُسْعِ الأنامِ ، وعجَز عن أن يأتِيَ بمثلِه جميعُ العبادِ ، كان حُجَّةً وعَلَمًا لرسلِ الواحدِ القهارِ ، كما كان حجةً وعَلَمًا لها إحياءُ الموتى وإبراءُ الأبْرصِ وذَوِى العَمَى ، بارتفاعِ ذلك عن مقاديرِ أعلى منازلِ طبِّ المتطبِّبين ، وأرْفَعِ مراتبِ علاجِ المُعالِجين ، إلى ما يَعْجِزُ عنه جميعُ العالمِين ، وكالذى كان لها حُجَّةً وعَلَمًا قطعُ مسافةِ شهرَيْن فى الليلةِ الواحدةِ ، بارتفاعِ ذلك عن وُسْعِ الأنامِ ، وتعذُّرِ مثلِه على جميعِ العبادِ ، وإن كانوا على قطعِ القليلِ مِن المسافةِ قادرين ، ولليسيرِ منه فاعلين .

---

(١) بعده فى ر : « و » .

(٢) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ : « به » .

(٣) فى ر ، ت١ : « بهم » .

فإن كان ما وصَفْنا مِن ذلك كالذى وصَفْنا ، فبيِّنٌ ألا بيانَ أبْيَنُ ، ولا حِكْمةَ أبلغُ ، [١/٢ظ] ولا مَنْطِقَ أعلى ، ولا كلامَ أشرفُ ، مِن بيانٍ ومَنْطِقٍ تحَدَّى به امرُؤٌ قومًا ، فى زمانٍ هم فيه رُؤساءُ صناعةِ الخُطَبِ والبلاغةِ ، وقِيلِ الشعرِ والفَصاحةِ ، والسَّجْعِ والكِهانةِ[(١)] ، على[(٢)] كلِّ[(٣)] خطيبٍ منهم وبليغٍ ، وشاعرٍ منهم وفَصيحٍ ، وكلِّ ذى سَجْعٍ وكِهانةٍ - فسفَّه أحلامَهم ، وقصَّر بعقولِهم[(٤)] ، وتبَرَّأ مِن دينِهم ، ودعا جميعَهم إلى اتِّباعِه ، والقَبولِ منه ، والتَّصديقِ به ، والإقرارِ بأنه رسولٌ إليهم مِن ربِّهم ، وأخْبَرهم أنّ دَلالتَه على صدقِ مقالتِه ، وحجّتَه على حقيقةِ نبوتِه ، ما أتاهم به مِن البيانِ والحكمةِ والفُرْقانِ ، بلسانٍ مثلِ ألسنتِهم ، ومَنْطِقٍ موافقةٍ معانيه معانىَ مَنْطِقِهم ، ثم أنْبَأ جميعَهم أنهم عن أن يأتوا بمثلِ بعضِه عَجَزةٌ ، ومِن القُدْرةِ عليه نَقَصةٌ ، فأقرَّ جميعُهم بالعجزِ ، وأذْعَنوا له بالتَّصْديقِ ، وشهِدوا على أنفسِهم بالنقصِ ، إلا مَن تجاهَل منهم وتَعامَى ، واسْتَكْبَر وتعاشَى ، فحاوَل تكَلُّفَ ما قد علِم أنه عنه عاجزٌ ، ورام ما قد تيَقَّن أنه عليه غيرُ قادرٍ ، فأبْدَى مِن ضعفِ عقلِه ما كان مُسْتَتِرًا ، ومِن عِيٍّ لسانِه ما كان مَصُونًا ، فأتَى بما لا يَعْجِزُ عنه الضعيفُ الأخْرَقُ ، والجاهلُ الأحمقُ ، فقال[(٥)] : والطاحناتِ طحنًا ، والعاجناتِ عجنًا ، فالخابزاتِ خبزًا ، والثارداتِ ثَرْدًا ، واللاقماتِ لَقْمًا . ونحو ذلك مِن الحَماقاتِ[(٦)] المُشْبِهةِ دَعْواه الكاذبةَ .

---

(١) إنما ضرب المثل بالكهان فى السجع ؛ لأنهم كانوا يروجون أقاويلهم الباطلة بأسجاع تروق السامعين ، يستميلون بها القلوب ويستصغون إليها الأسماع . اللسان (ك هـ ن) .

(٢) زيادة من : ر .

(٣) سقط من : ص .

(٤) فى م : « معقولهم » .

(٥) يعنى مسيلمة الكذاب . ينظر تاريخ المصنف ٢٨٤/٣ ، والبداية والنهاية ٤٧٣/٩ .

(٦) فى ص ، ر : « الحمقات » .

فإذْ كان تَفاضُلُ مراتبِ البَيانِ ، وتَبايُنُ منازلِ دَرَجاتِ الكلامِ بما وصَفْنا قبلُ ، وكان اللَّهُ تعالى ذِكْرُه / وتقَدَّست أسماؤُه أحْكمَ الحُكماءِ ، وأحْلَمَ الحُلماءِ ، كان معلومًا أن أبينَ البيانِ بيانُه ، وأفضلَ الكلامِ كلامُه ، وأنَّ قدرَ فضلِ بيانِه جل ذكرُه على بيانِ[(1)] جميعِ خلقِه ، كفضلِه على جميعِ عبادِه . ٧/١

فإن كان ذلك كذلك ، وكان غيرَ مُبِينٍ منا عن نفسِه مَن خاطَب غيرَه بما لا يَفْهَمُه عنه المخاطَبُ ، كان معلومًا أنه غيرُ جائزٍ أن يُخاطِبَ جل ذكرُه أحدًا مِن خلقِه إلا بما يَفْهَمُه المخاطَبُ ، ولا يُرْسِلَ إلى أحدٍ منهم رسولًا برسالةٍ إلا بلسانٍ وبيانٍ يَفْهَمُه المُرْسَلُ إليه ؛ لأن[(2)] المُخاطَبَ و[(2)] المُرْسَلَ إليه إن لم يَفْهَمْ ما خُوطِبَ به وأُرْسِل به إليه ، فحالُه قبلَ الخطابِ وقبلَ مَجيءِ الرسالةِ إليه وبعدَه سَواءٌ ، إذ لم يُفِدْه الخطابُ والرسالةُ شيئًا كان به قبلَ ذلك جاهلًا ، واللَّهُ جل ذكرُه يَتَعالَى عن أن يُخاطِبَ خِطابًا أو يُرْسِلَ رسالةً لا تُوجِبُ فائدةً لمن خُوطِب أو أُرْسِلَت إليه ؛ لأن ذلك فينا مِن فعلِ أهلِ النقصِ والعَبَثِ ، واللَّهُ تعالى عن ذلك مُتَعالٍ ، ولذلك قال جل ثناؤُه في مُحْكَمِ تَنْزيلِه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤] . وقال لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل : ٦٤] . فغيرُ جائزٍ أن يكونَ به[(3)] مُهْتَدِيًا مَن كان بما[(4)] يُهْدَى إليه جاهلًا .

فقد تبيَّنَ إذن - بما عليه دلَّلْنا مِن الدَّلالةِ - أن كلَّ رسولٍ للَّهِ جل

(١) سقط من : ص ، ت١ .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) سقط من : ر .

(٤) في م : « بها » .

ثناؤه أرْسَله إلى قومٍ، فإنما أرْسَله بلسانِ مَن أرْسَله إليه، وكلَّ كتابٍ أنْزَله على نبيٍّ، ورسالةٍ أرْسَلَها إلى أُمَّةٍ، فإنما أنْزَلَه بلسانِ مَن أنْزَلَه أو أرْسَله إليه. فاتَّضَح بما قلْنا ووصَفْنا أنَّ كتابَ اللَّهِ الذى أنْزَله إلى نبيِّنا محمدٍ ﷺ [(١] بلسانِ محمدٍ ﷺ، وإذْ كان لسانُ محمدٍ ﷺ [١)] عربيًّا، فبَيِّنٌ أن القرآنَ عربيٌّ، وبذلك أيضًا نطَق مُحكَمُ تنزيلِ ربِّنا، فقال جل ذكره: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]. وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]. وإذْ كانت واضحةً صحةُ ما قلْنا - بما عليه اسْتَشْهَدْنا مِن الشَّواهدِ، ودلَّلْنا عليه مِن الدَّلائلِ - فالواجبُ أن تكونَ معانى كتابِ اللَّهِ المُنَزَّلِ على نبيِّنا محمدٍ ﷺ، لمعانى كلامِ العربِ موافقةً، وظاهرُه لظاهرِ كلامِها ملائمًا، وإن بايَنه كتابُ اللَّهِ بالفَضيلةِ [(٢)] التى فضَل بها سائرَ الكلامِ والبَيانِ، بما قد تقدَّم وَصْفُناه [(٣)].

فإذْ كان ذلك كذلك، فبَيِّنٌ - إذ كان موجودًا فى كلامِ العربِ الإيجازُ والاخْتِصارُ، والاجْتِزاءُ [(٤)] بالإخْفاءِ مِن الإظْهارِ، وبالقلةِ مِن الإكْثارِ فى بعضِ الأحوالِ، واسْتِعْمالُ الإطالةِ والإكْثارِ، والتَّرْدادِ والتَّكْرارِ، وإظهارُ المعانى بالأسماءِ دونَ الكِنايةِ عنها [(٥)]، والإسرارُ فى بعضِ الأوقاتِ، والخبرُ عن الخاصِّ فى المرادِ بالعامِّ الظاهرِ، وعن العامِّ فى المرادِ بالخاصِّ الظاهرِ، وعن الكِنايةِ والمرادُ منه المُصرَّحُ، وعن

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) فى ص: «بالفضلة».

(٣) فى م، ت٢: «وصفنا».

(٤) فى ص: «الإجزاء».

(٥) زيادة من: م.

الصفةِ والمرادُ الموصوفُ ، وعن الموصوفِ والمرادُ الصفةُ ، وتقديمُ[(١)] ما هو فى المعنى مُؤَخَّرٌ ، وتأخيرُ ما هو فى المعنى مُقَدَّمٌ ، والاكْتِفاءُ ببعضٍ مِن بعضٍ ، وبما يَظْهَرُ عما يُحْذَفُ[(٢)] ، وإظهارُ ما حظُّه الحذفُ - أن يكونَ ما فى كتابِ اللَّهِ المُنَزَّلِ على نبيِّه محمدٍ ﷺ مِن ذلك ، فى كلِّ ذلك له نَظيرًا ، وله مِثْلًا وشَبيهًا[(٣)] .

ونحن مُبَيِّنو جميعِ ذلك فى أماكنِه ، إن شاء اللَّهُ ذلك ، وأيَّد[(٤)] منه بعونٍ وقوةٍ .

/ القولُ فى البَيانِ عن الأحْرُفِ التى اتَّفَقَت فيها ألفاظُ العربِ وألفاظُ غيرِها مِن بعضِ أجناسِ الأُمَمِ

١/٨

قال أبو جعفرٍ : إن سأَلَنا سائلٌ ، فقال : إنك ذكَرْتَ أنه غيرُ جائزٍ أن يُخاطِبَ اللَّهُ أحدًا مِن خلقِه إلا بما يَفْهَمُه ، وأن يُرْسِلَ إليه رسالةً إلا باللسانِ الذى يَفْقَهُه ، فما أنت قائلٌ فيما **حدَّثكم** به محمدُ بنُ حُمَيْدٍ الرازىُّ ، قال : حدَّثنا حَكَّامُ بنُ سَلْمٍ ، قال : حدَّثنا عَنْبَسةُ ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحْوَصِ ، عن أبى موسى : ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ [الحديد : ٢٨] . قال : الكِفْلان ضِعْفان مِن الأجرِ ، بلسانِ الحبشةِ .

وفيما **حدَّثكم** به ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا حَكَّامٌ ، قال حدَّثنا عَنْبَسةُ ، عن أبى [٣/١و] إسحاقَ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ ﴾ [المزمل : ٦] .

---

(١) فى ص : « تقدير » .

(٢) فى ص : « يحد » .

(٣) فى ر : « تشبيها » .

(٤) فى م : « أمد » .

قال : بلسانِ الحبشةِ إذا قام الرجلُ مِن الليلِ قالوا : نشَأ .

وفيما **حدَّثكم** به ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا حَكَّامٌ ، قال : حدَّثنا عَنْبسةُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى مَيْسَرةَ : ﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ ﴾ [سبأ : ١٠] . قال : سبِّحى ، بلسانِ الحبشةِ .

قال أبو جعفرٍ : وكُلُّ ما قلْنا فى هذا الكتابِ : حدَّثكم . فقد حدَّثونا به .

وفيما **حدَّثكم** به محمدُ بنُ خالدِ بنِ خِداشٍ[(١)] الأزْدِىُّ ، قال : حدَّثنا سَلْمُ[(٢)] ابنُ قُتَيْبةَ ، قال : حدَّثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن يوسفَ بنِ مِهْرانَ ، عن ابنِ عباسٍ ، رضِى اللَّهُ عنهما ، أنه سُئِل عن قولِه : ﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدثر : ٥١] . قال : هو بالعربيةِ الأسدُ ، وبالفارسيةِ شار[(٣)] ، وبالنَّبَطيةِ أريا ، وبالحبشيةِ قَسْورةٌ .

وفيما **حدَّثكم** به ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا يعقوبُ القُمِّىُّ ، عن جعفرِ بنِ أبى المُغيرةِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، قال : قالت قريشٌ : لولا أُنْزِل هذا القرآنُ[(٤)] أعجميًّا وعربيًّا ؟ فأنْزَل اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت : ٤٤] . فأنْزَل اللَّهُ بعدَ هذه الآيةِ فى القرآنِ بكلِّ لسانٍ ، فمنه[(٥)] : ﴿ حِجَارَةً

---

(١) فى ص : « حداس » ، وفى ر : « حداش » ، وفى ت٢ : « خراش » . وينظر تهذيب الكمال ٢٥/ ١٣٥.

(٢) فى ر : « سالم » ، وفى ت٢ : « مسلم » . وينظر تهذيب الكمال ١١/ ٢٣٢ ، ٢٣٤ .

(٣) كذا فى النسخ ، وفارسيته : شِيَر . ينظر المعجم الذهبى ص ٣٨١ .

(٤) بعده فى م ، ت٢ : « على رجل » .

(٥) فى ص ، م ، ت١ : « فيه » .

مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [هود: ٨٢]. قال: فارسيةٌ أُعْرِبَت «سنگ وگِلْ»[(١)].

وفيما **حدَّثكم** به محمدُ بنُ بَشَّارٍ، قال: حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ، قال: حدَّثنا إسرائيلُ، عن أبى إسحاقَ، عن أبى مَيْسَرةَ، قال: فى القرآنِ مِن كلِّ لسانٍ[(٢)].

وفيما أشْبَهَ ذلك مِن الأخْبارِ التى يَطُولُ بذِكرِها الكتابُ، مما يَدُلُّ على أن فيه مِن غيرِ لسانِ العربِ؟

قيل له: إن الذى قالوه مِن ذلك غيرُ خارجٍ مِن معنى ما قلْنا - مِن أجلِ أنهم لم يقولوا: هذه الأحرفُ وما أشْبَهَها لم تَكُنْ للعربِ كلامًا، ولا كان ذاك لها مَنْطِقًا قبلَ نزولِ القرآنِ، ولا كانت بها العربُ عارفةً قبلَ مجىءِ الفُرْقانِ - فيكونَ ذلك قولًا لقولِنا خِلافًا، وإنما قال بعضُهم: حرفُ كذا بلسانِ الحبشةِ معناه كذا، / وحرْفُ كذا بلسانِ العجمِ معناه كذا. ولم نَسْتَنْكِرْ أن يكونَ مِن الكلامِ ما يَتَّفِقُ فيه ألفاظُ جميعِ أجناسِ الأممِ المختلفةِ الألْسُنِ بمعنًى واحدٍ، فكيف بجنسَيْن منها؟ كما قد وجَدْنا اتفاقَ كثيرٍ منه فيما قد علِمْناه مِن الألسنِ المختلفةِ، وذلك كالدرهمِ والدينارِ والدَّوَاةِ والقلمِ والقِرْطاسِ، وغيرِ ذلك - مما يُتْعِبُ إحصاؤُه، ويُمِلُّ تَعدادُه، كرِهْنا إطالةَ الكتابِ بذكرِه - مما اتَّفَقَت فيه الفارسيةُ والعربيةُ باللفظِ والمعنى. ولعل ذلك كذلك فى سائرِ الألسنِ التى يُجْهَلُ مَنْطِقُها، ولا يُعْرَفُ كلامُها.

٩/١

فلو أن قائلًا قال فيما ذكَرْنا مِن الأشياءِ التى عدَدْنا، وأخْبَرْنا اتفاقَه فى اللفظِ والمعنى بالفارسيةِ والعربيةِ، وما أشْبَه ذلك، مما سكَتْنا عن ذكرِه: ذلك كلُّه فارسىٌّ لا

---

(١) سيأتى الكلام فى سورة هود على هذه الكلمة.

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة ٤٦٩/١٠ من طريق إسرائيل به، بلفظ: نزل القرآن بكل لسان. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦٧/٥ إلى عبد بن حميد.

عربيٌّ ، أو ذلك كلُّه عربيٌّ لا فارسيٌّ ، أو قال : بعضُه عربيٌّ وبعضُه فارسيٌّ . أو قال : كان مَخْرَجُ أصلِه مِن عندِ العربِ ، فوقَع إلى العجمِ فنطَقوا به . أو قال : كان مَخْرَجُ أصلِه مِن عندِ الفرسِ ، فوقَع إلى العربِ فأعْرَبَته . كَانَ مُسْتَجْهَلًا ؛ لأنَّ العربَ ليست بأوْلَى أن تكونَ كان مَخْرَجُ أصلِ ذلك منها إلى العجمِ ، ولا العجمَ بأحقَّ أن تكونَ كان مخرجُ أصلِ ذلك منها إلى العربِ ، إذْ كان استعمالُ ذلك بلفظٍ واحدٍ ومعنًى واحدٍ موجودًا فى الجنسَيْن .

وإذْ كان ذلك موجودًا على ما وصَفْنا فى الجنسَيْن ، فليس أحدُ الجنسين بأَولى أن يكونَ أصلُ ذلك كان مِن عندِه مِن الجنسِ الآخرِ ، والمُدَّعِى أنَّ مخرجَ أصلِ ذلك إنما كان مِن أحدِ الجنسين إلى الآخرِ - مُدَّعٍ[١] أمرًا لا يُوصَلُ إلى حقيقةِ صحَّتِه إلا بخبرٍ[٢] يُوجِبُ العلمَ ، ويُزيلُ الشكَّ ، ويَقْطَعُ العُذْرَ مَجِيئُه[٣] .

بل الصوابُ فى ذلك عندَنا أن يُسَمَّى عربيًّا أعْجميًّا ، أو حبشيًّا عربيًّا ؛ إذْ كانت الأُمَّتانِ له مستعملتَيْن فى بيانِها ومنطقِها ، استعمالَ سائرِ مَنْطِقِها وبيانِها ، فليس غيرُ ذلك مِن كلامِ كلِّ أمةٍ منهما بأولى أن يَكونَ إليها منسوبًا منه .

فكذلك سبيلُ كلِّ كلمةٍ واسمٍ اتَّفَقت ألفاظُ[٤] أجناسِ أممٍ فيها وفى[٥] معناها ، ووُجِد ذلك مُسْتَعْمَلًا فى كلِّ جنسٍ منها ، استعمالَ سائرِ مَنْطِقِهم[٦] ، فسبيلُ

---

(١) فى ص : « يدعى » .

(٢) فى ر : « بخير » ، وفى ت١ : « بمعنى » .

(٣) فى ص ، م ، ت١ : « صحته » ، وفى ر : « جيئه » . وجيئه ومجيئه بمعنًى .

(٤) سقط من : ر .

(٥) زيادة من : ر .

(٦) فى ر : « منطقها » .

إضافتِه إلى كلٍّ جنسٍ منها سبيلُ ما وصَفْنا مِن الدرهمِ والدينارِ والدَّواةِ والقلمِ ، التى اتَّفَقَت ألسنُ الفرسِ والعربِ فيها بالألفاظِ الواحدةِ ، والمعنى الواحدِ ، فى أنه مُسْتَحِقٌّ إضافتَه إلى كلٍّ جنسٍ مِن تلك الأجناسِ باجتماعٍ وافتراقٍ[(١)] .

وذلك هو معنى قولِ[(٢)] مَن رَوَيْنا عنه القولَ فى الأحرفِ التى مضَت فى صدرِ هذا البابِ[(٣)] ، مِن نسبةِ بعضِهم بعضَ ذلك إلى لسانِ الحبشةِ ، ونسبةِ بعضِهم بعضَ ذلك إلى لسانِ الفرسِ ، ونسبةِ بعضِهم بعضَ ذلك إلى لسانِ الرومِ ؛ لأنَّ مَن نسَب شيئًا مِن ذلك إلى ما نسَبه إليه ، لم يَنْفِ - بنسبتِه[(٤)] إياه إلى ما نسَبه إليه - أن يكونَ عربيًّا ، ولا مَن قال منهم : هو عربيٌّ . نفَى ذلك أن يكون مُسْتَحِقًّا النسبةَ إلى مَن هو مِن كلامِه مِن سائرِ أجناسِ الأممِ غيرِها ، وإنما يكونُ الإثباتُ دليلًا على النفيِ فيما لا يَجوزُ اجْتماعُه مِن المعانى ، كقولِ القائلِ : فلانٌ قائمٌ . فيكونُ بذلك مِن قولِه دالًّا على أنه غيرُ قاعدٍ ، ونحوِ ذلك مما يَمْتَنِعُ اجتماعُه لتنافيهما .

فأما ما جاز اجتماعُه ، فهو خارجٌ مِن هذا المعنى ، وذلك كقولِ القائلِ : فلانٌ قائمٌ مُكَلِّمٌ فلانًا . فليس / فى تَثْبيتِ القيامِ له ما دلَّ على نفيِ كلامٍ آخرَ ؛ لجوازِ اجتماعِ ذلك فى حالٍ واحدةٍ مِن شخصٍ واحدٍ ، فقائلُ ذلك صادقٌ إذا كان صاحبُه على ما وصَفه به . ١٠/١

فكذلك ما قلْنا فى الأحرفِ التى ذكَرْنا ، وما أشْبَهَها ، غيرُ مستحيلٍ أن يكونَ عربيًّا بعضُها أعجميًّا ، وحبشيًّا بعضُها عربيًّا ؛ إذ كان موجودًا استعمالُ ذلك فى كلتا الأُمَّتَيْنِ ، فناسِبُ ما نسَب مِن ذلك إلى إحدى الأُمَّتَيْن أو كلتيهما مُحِقٌّ غيرُ مُبْطِلٍ .

---

(١) فى ر : « واقتران » .

(٢) زيادة من : ر .

(٣) فى ص : « الكتاب » .

(٤) فى ر : « بنسبه » .

فإن ظنَّ ذو غَباءٍ أن اجتماعَ ذلك فى الكلامِ مستحيلٌ - كما هو مستحيلٌ فى أنسابِ بنى آدمَ - فقد ظن جهلًا ، وذلك أن أنسابَ بنى آدمَ مَحصورةٌ على أحدِ الطرفَيْن دونَ الآخرِ ، لقولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٥] . وليس ذلك كذلك فى المنطِقِ والبيانِ ؛ لأن المنطِقَ إنما هو منسوبٌ إلى مَن كان به معروفًا استعمالُه .

فلو عُرِف استعمالُ بعضِ الكلامِ فى أجناسٍ من الأممِ - جنسَيْن[(١)] أو أكثرَ - بلفظٍ واحدٍ ومعنًى واحدٍ ، كان ذلك منسوبًا إلى كلِّ جنسٍ مِن تلك الأجناسِ ، لا يَسْتَحِقُّ جنسٌ منها أن يكونَ به أولى مِن سائرِ الأجْناسِ غيرِه ؛ كما لو أن أرضًا بينَ سَهْلٍ وجبلٍ ، لها هواءُ السهلِ وهواءُ الجبلِ ، [١/٣ظ] أو بينَ برٍّ وبحرٍ ، لها هواءُ البرِّ وهواءُ البحرِ ، لم يَمْتَنِعْ ذو عقلٍ صحيحٍ أن يَصِفَها بأنها سُهْلِيةٌ جبليةٌ ، أو بأنها بريةٌ بحريةٌ ؛ إذ لم تَكُنْ نسبتُها إلى إحدى صفتَيْها [(٢)] نافيةً حقَّها مِن النسبةِ إلى الأخرى ، ولو أفْرَد لها مُفْرِدٌ إحدى صفتَيْها [(٢)] ولم يَسْلُبْها صفتَها الأخرى ، كان صادقًا مُحِقًّا .

وكذلك القولُ فى الأحرفِ التى تقَدَّم ذكرُناها[(٣)] فى أولِ هذا البابِ .

وهذا المعنى الذى قلْناه فى ذلك ، هو معنى قولِ مَن قال : فى القرآنِ مِن كلِّ لسانٍ . عندَنا بمعنى - واللَّهُ أعلمُ - أن فيه مِن كلِّ لسانٍ اتَّفَق فيه لفظُ العربِ ولفظُ غيرِها مِن الأممِ التى تَنْطِقُ به ، نظيرَ ما وصَفْنا مِن القولِ فيما مضَى .

وذلك أنه غيرُ جائزٍ أن يُتَوَهَّمَ على ذى فِطْرةٍ صحيحةٍ مُقِرٍّ بكتابِ اللَّهِ ، ممَّن قد قرَأ القرآنَ ، وعرَف حدودَ اللَّهِ ، أن يَعْتَقِدَ أن بعضَ القرآنِ فارسىٌّ لا عربىٌّ ، وبعضَه

---

(١) فى ر ، ت٢ : « خمسين » .

(٢ - ٢) سقط من : ر .

(٣) فى ص : « ذكرها » ، وفى م ، ت٢ : « ذكرنا لها » .

نَبَطِىٌّ لا عربىٌّ ، وبعضَه [١] رومىٌّ لا عربىٌّ [١] ، وبعضَه حَبَشىٌّ لا عربىٌّ ، بعدَ ما أخْبَرَ اللَّهُ تعالى ذكرُه عنه أنه جعَله قرآنًا عربيًّا ؛ لأن ذلك إن كان كذلك ، فليس قولُ القائلِ : القرآنُ حبشىٌّ أو فارسىٌّ . ولا نسبةُ مَن نسَبه إلى بعضِ ألسنِ الأممِ التى بعضُه بلسانِها دونَ العربِ ، بأولى بالتَّطْويلِ [٢] مِن قولِ القائلِ : هو عربىٌّ . ولا قولُ القائلِ : هو عربىٌّ . بأولى بالصحةِ والصوابِ مِن قولِ ناسِبِه إلى بعضِ الأجناسِ التى ذكَرْنا ، إذ كان الذى بلسانِ غيرِ العربِ مِن سائرِ ألسنِ أجناسِ الأممِ فيه ، نَظيرَ الذى فيه مِن لسانِ العربِ .

وإذْ كان ذلك كذلك ، فبَيِّنٌ إذن خطأُ قولِ مَن زعَم أن القائلَ مِن السلفِ : فى القرآنِ مِن كلِّ لسانٍ . إنما عنَى بقِيلِه ذلك أن فيه مِن البيانِ ما ليس بعربىٍّ ، ولا جائزةٌ نسبتُه [٣] إلى لسانِ العربِ .

ويقالُ لمَن أبَى ما قلْنا - ممَّن زعَم أن الأحرفَ التى قدَّمْنا ذكرَها فى أولِ البابِ وما أشْبَهَها ، إنما هى كلامُ أجناسٍ من [٤] الأممِ سوى العربِ ، وقَعَت إلى العربِ فعرَّبَتْه [٥] - : ما برهانُك على صحةِ ما قلتَ فى ذلك مِن الوجهِ الذى يَجِبُ التسليمُ له ، فقد علِمْتَ مَن خالَفك فى ذلك ، فقال فيه خـــلافَ قولِك ؟ وما الفرقُ بينَك /وبينَ مَن عارَضك فى ذلك ، فقال : هذه الأحرفُ وما أشبهَها مِن الأحرفِ غيرِها ١١/١

(١ - ١) فى النسخ : « عربى لا فارسى » ، وهو خطأ لا يستقيم معه المعنى ، والمثبت من تحقيق الشيخ شاكر .

(٢) فى ر : « بالبطول » ، وفى م ، ت١ : « بالتطول » ، وفى ت٢ : « بالقول » . والمراد الإطالة والتزيد فى الكلام .

(٣) فى ر ، ت١ : « بسببه » .

(٤) سقط من : م ، ت٢ .

(٥) بعده فى م : « و » .

أصلُها عربيٌّ ، غيرَ أنها وقَعَت إلى سائرِ أجناسِ الأممِ غيرِها ، فنطَقَت كلُّ أُمَّةٍ منها ببعضِ ذلك بألسنتِها ، مِن الوجهِ الذى يَجِبُ التسليمُ له ؟ فلن يَقولَ فى شىءٍ مِن ذلك قولًا إلا أُلْزِم فى الآخرِ مثلَه .

فإن اعْتَلَّ فى ذلك بأقوالِ السلفِ التى قد ذكَرْنا بعضَها وما أشبهَها ، طُولِب مطالبتَنا مَن تأوَّل عليهم فى ذلك تأويلَه ، بالذى قد تقَدَّم فى بيانِنا ، وقيل له : ما أنْكَرْتَ أن يكونَ مَن نسَب شيئًا مِن ذلك منهم إلى مَن نسَبه مِن أجناسِ الأممِ سوى العربِ ، إنما نسَبه إلى إحدى نسبتَيْه التى هو لها مُسْتَحِقٌّ ، مِن غيرِ نفيٍ منه عنه النسبةَ الأخرى . ثم يقالُ له : أرأيتَ مَن قال لأرضٍ سُهْليةٍ جبليةٍ : هى سُهْليةٌ . ولم يُنْكِرْ أن تكون جبليةً . أو قال : هى جبليةٌ . ولم يَدْفَعْ أن تكونَ سُهْليةً ، أَنافٍ عنها أن تكونَ لها الصفةُ الأخرى بقيلِه ذلك ؟ فإن قال : نعم . كابَر عقلَه ، وإن قال : لا . قيل له : فما أنْكَرْتَ أن يكونَ قولُ مَن قال فى سجِّيل : هى فارسيةٌ . وفى القِسْطاسِ : هى روميةٌ . نظيرَ ذلك . وسُئِل الفَرْقَ بينَ ذلك ، فلن يقولَ فى أحدِهما قولًا إلَّا أُلْزِم فى الآخرِ مثلَه .

القولُ فى اللغةِ التى نزَل بها القرآنُ مِن لُغاتِ العربِ

قال أبو جعفرٍ : قد دلَّلْنا على صحةِ القولِ ، بما فيه الكفايةُ لمن وُفِّق لفهمِه ، على أن اللَّهَ جل ثناؤُه أنْزَل جميعَ القرآنِ بلسانِ العربِ دونَ غيرِها مِن ألسنِ سائرِ أجناسِ الأممِ ، وعلى فسادِ قولِ مَن زعَم أن منه ما ليس بلسانِ العربِ ولغتِها[(١)] .

فنقولُ الآن - إذْ كان ذلك صحيحًا - فى الدَّلالةِ عليه بأىِّ ألسنِ العربِ أُنْزِل : أبألسنِ جميعِها ، أم بألسنِ بعضِها ؟ إذ كانت العربُ ، وإن جمَع جميعَها اسمُ أنهم

(١) فى ص : « لغاتها » .

عربٌ ، فهم مُخْتَلِفو الألسنِ بالبيانِ ، مُتبايِنو المنطِقِ والكلامِ .

وإذْ كان ذلك كذلك ، وكان اللَّهُ جل ذكرُه قد أخْبَرَ عبادَه أنه قد جعَل القرآنَ عربيًّا ، وأنه أُنْزِل بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ ، ثم كان ظاهرُه[1] مُحْتَمِلًا خُصوصًا وعُمومًا ، لم يَكُنْ لنا السبيلُ إلى العلمِ بما عنَى اللَّهُ تعالى ذكرُه مِن خُصوصِه وعمومِه ، إلا ببيانِ مَن جُعِل إليه بيانُ القرآنِ ، وهو رسولُ اللَّهِ ﷺ .

فإن كان ذلك كذلك ، وكانت الأخبارُ قد تظاهَرت عنه ﷺ بما **حدَّثنا** به خَلَّادُ بنُ أسلمَ ، قال : حدَّثنا أنسُ بنُ عِياضٍ ، عن أبي[2] حازمٍ ، عن أبي سلمةَ ، قال : لا أعْلَمُه إلا عن أبي هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أُنْزِلَ القُرْآنُ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، فالمِـرَاءُ فِي القُرآنِ كُفْرٌ » ثلاثَ مراتٍ « فما عَرَفْتُم منه فاعْمَلُوا به ، وما جَهِلْتُم منه فرُدُّوه إِلى عَالِمِه »[3] .

وحدَّثني عُبَيْدُ بنُ أسْباطَ بنِ محمدٍ ، قال : حدَّثنا أبي ، عن محمدِ بنِ عمرٍو ، عن أبي سلمةَ ، عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ :/ « أُنْزِلَ القُرْآنُ على سَبْعَةِ أحْرُفٍ ؛ عَلِيمٌ حَكِيمٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ »[4] . ١٢/١

وحدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثني عَبْدةُ بنُ سليمانَ ، عن محمدِ بنِ عمرٍو ، عن أبي سَلَمةَ ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ مثلَه[5] .

---

(١) بعده في ر ، ص ، ت١ : « هذا القول ظاهرا » .

(٢) في ص : « ابن » ، وهو سلمة بن دينار ، ينظر تهذيب الكمال ٢٧٢/١١ .

(٣) أخرجه أحمد ٣٦٩/١٣ (٧٩٨٩) ، والنسائي في الكبرى (٨٠٩٣) ، وأبو يعلى (٦٠١٦) ، وابن حبان (٧٤) ، وغيرهم من طريق أنس بن عياض به .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٥١٦/١٠، وأحمد ١٤/ ١٢٠، ٤٢٤/١٥ (٨٣٩٠، ٩٦٧٨) ، وغيرهما من طريق محمد بن عمرو به .

(٥) أخرجه ابن حبان (٧٤٣) من طريق عبدة به . وقوله : « عليم حكيم غفور رحيم » . قال ابن حبان : قول محمد بن عمرو أدرجه في الخبر ، والخبر إلى « سبعة أحرف » فقط .

وحدَّثنا محمدُ بنُ حُمَيدٍ الرازيُّ ، قال : حدَّثنا جَريرُ بنُ عبدِ الحميدِ ، عن مُغيرةَ[(١)] ، عن واصلِ بنِ حَيَّانَ ، عمَّن ذكَره ، عن أبى الأحْوَصِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُنْزِلَ القُرْآنُ على سَبْعَةِ أحْرُفٍ ، لكُلِّ حَرْفٍ منها ظَهْرٌ وبَطْنٌ ، ولكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ ، ولكُلِّ حَدٍّ مُطَّلَعٌ »[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا مِهْرانُ ، قال : حدَّثنا [٤/١و] سفيانُ ، عن إبراهيمَ الهَجَرىِّ ، عن أبى الأحوصِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، عن النبىِّ ﷺ مثلَه[(٣)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ محمدُ بنُ العَلاءِ ، قال : حدَّثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ ، قال : حدَّثنا عاصمٌ ، عن زِرٍّ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : اخْتَلَف رجلان فى سورةٍ ، فقال هذا : أقْرَأَنى النبىُّ ﷺ . وقال هذا : أقْرَأَنى النبىُّ ﷺ . فأتَى النبىَّ ﷺ فأُخْبِرَ بذلك ، قال : فتغَيَّر وجهُه ، وعندَه رجلٌ ، فقال : اقرَءُوا كما عُلِّمْتُم - فلا أدْرِى أبشىءٍ أُمِر ، أم بشىءٍ ابْتَدَعه مِن قِبَلِ نفسِه - فإنما أَهلَكَ مَن كان قبلكم اخْتِلافُهم على

---

(١) فى ص : « معاوية » . وهو مغيرة بن مقسم ، ينظر تهذيب الكمال ٣٩٧/٢٨ .

(٢) أخرجه أبو يعلى (٥١٤٩) ، والطحاوى فى المشكل (٣٠٩٥) ، والطبرانى فى الكبير (١٠١٠٧) ، وفى الأوسط (٧٧٣) ، والبغوى فى تفسيره ٤٦/١ من طريق جرير به ، مطولا ومختصرا ، وسموا المبهم عبد اللَّه بن أبى الهذيل ، وعند البغوى : عن أبى الهذيل . وينظر ضعيف الجامع (١٣٣٨) .

وينظر تعريف الحد والمطلع من كلام المصنف فى ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٣) أخرجه الخطيب فى الموضح ٣٨١/١ من طريق ابن حميد به مختصرا .

وأخرجه أيضا ٣٨١/١ ، ٣٨٢ من طريق سفيان به . وأخرجه ابن أبى شيبة ٥١٦/١٠ ، والبزار (٢٠٨١) ، وأبو يعلى (٥٤٠٣) ، والطحاوى فى المشكل (٣٠٧٧) ، وابن حبان (٧٥) ، والطبرانى فى الكبير (١٠٠٩٠) من طريق أبى إسحاق إبراهيم ابن مسلم الهجرى به مختصرًا . والهجرى لين الحديث رفع موقوفات . وقد اختلف فى إسناد هذا الحديث . ينظر ما سيأتى فى ص ٤٠ .

أنبيائِهم . قال : فقام كلُّ رجلٍ منا ، وهو لا يَقْرَأُ على قراءةِ صاحبِه[(١)] . نحوَ هذا ومعناه .

حدَّثنا سعيدُ بنُ يحيى بنِ سعيدٍ الأُمويُّ ، قال : حدَّثنا أبى ، قال : حدَّثنا الأعمشُ ، [(٢)]**وحدَّثنى** أحمدُ بنُ منيعٍ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ الأمويُّ ، عن الأعمشِ[(٢)] ، عن عاصمٍ ، عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ : تمارَيْنا فى سورةٍ مِن القرآنِ ، فقلْنا : خمسٌ وثلاثون ، أو ستٌّ وثلاثون آيةً . قال : فانْطَلَقْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فوجَدْنا عليًّا يُناجِيه[(٣)] ، قال : فقلنا : إنا اخْتَلَفْنا فى القراءةِ ، قال : فاحْمَرَّ وجهُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وقال : « إنَّما هَلَكَ مَن كان قَبْلَكم باخْتِلَافِهم بَيْنَهم » . قال : ثم أسَرَّ إلى علىٍّ شيئًا ، فقال لنا علىٌّ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ يأْمُرُكم أنْ تَقْرَءُوا كَمَا عُلِّمْتم[(٤)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حَدَّثنا[(٥)] عُبَيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، عن عيسى بنِ قِرْطاسٍ ،

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٥٠٥٧) عن أبى كريب به . وأخرجه أحمد ٧/ ٨٨، ١٠٠ (٣٩٨١ ، ٣٩٩٣) من طريق أبى بكر بن عياش به ، مطولًا ومختصرًا .

وأصل الحديث عند البخارى من حديث النزال بن سبرة عن ابن مسعود مرفوعا . وينظر مسند الطيالسى (٣٨٧) ، وعلل الدارقطنى ٣/ ٧١، وما سيأتى فى ص ٤٣ .

(٢ - ٢) سقط من : ر .

(٣) فى ر ، ت١ : « بناحية » .

(٤) أخرجه عبد اللَّه بن أحمد فى زوائد المسند ١٩٩/٢ (٨٣٢) ، وابن حبان (٧٤٦) من طريق سعيد بن يحيى بن سعيد به ، دون المرفوع منه . وأخرجه عبد اللَّه بن أحمد - أيضا - والبزار (٤٤٩) ، وابن حبان (٧٤٧) ، والحاكم ٢٢٣/٢ ، ٢٢٤ من طريق يحيى بن سعيد به ، نحوه .

وأخرجه أحمد ٧/ ١٠٠، ٣٤٥ (٣٩٩٢، ٤٣٢٢) من طريق عاصم به نحوه .

(٥) بعده فى ر : « أبو » . وينظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٢٢.

(١) عن زيدٍ القَصَّارِ (١) ، عن زيدِ بنِ أرْقمَ ، قال : كنا معه فى المسجدِ ، فحدَّثنا ساعةً ، ثم قال : جاء رجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : أقْرَأَنى عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ سورةً أقْرَأَنيها زيدٌ ، وأقْرَأَنيها أبيُّ بنُ كعبٍ ، فاخْتَلَفتْ / قراءتُهم ، فقراءةُ[٢] أيِّهم آخُذُ ؟ قال : فسكَت رسولُ اللَّهِ ﷺ ، قال : وعليٌّ إلى جنبِه ، فقال عليٌّ : لِيَقْرأْ كلُّ إنسانٍ كما عُلِّم ، كلٌّ حسنٌ جميلٌ[٣] .

١٣/١

حدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخْبَرنى يونُسُ ، عن ابنِ شِهابٍ ، قال : أخْبَرنى عُرْوةُ بنُ الزبيرِ ، أنَّ المِسْوَرَ بنَ مَخْرَمةَ وعبدَ الرحمنِ ابنَ عبدِ القارِيِّ ، أخْبَراه أنهما سمِعا عمرَ بنَ الخطابِ يقولُ : سمِعْتُ هشامَ بنَ حكيمٍ يَقْرأُ سورةَ « الفرقانِ »[٤] فى حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فاسْتَمَعْتُ لقراءتِه ، فإذا هو يَقْرَؤُها على حروفٍ كثيرةٍ لم يُقْرِئْنِيها رسولُ اللَّهِ ﷺ كذلك[٥] ، فكِدْتُ أُساوِرُه[٦] فى الصلاةِ ، فتصَبَّرْتُ حتى سلَّم ، فلما سلَّم لبَّبْتُه[٧] بردائِه ، فقلتُ : مَن أقْرَأك هذه السورةَ التى سمِعْتُك تَقْرَؤُها ؟ قال : أقْرَأَنيها رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال[٥] : فقلْتُ : كذبْتَ ، فواللَّهِ إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ هو[٨] أقْرَأَنى هذه السورةَ التى سمِعْتُك تَقْرَؤُها . فانْطَلَقْتُ به أَقُودُه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى سمِعْتُ

(١ - ١) سقط من : ص ، ر .

(٢) فى ص ، ر ، ت٢ : « بقراءة » ، وفى م : « فبقراءة » .

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٥٠٧٨) من طريق أبى كريب به . وقال الهيثمى فى المجمع ١٥٣/٧ : فيه عيسى بن قرطاس ، وهو متروك . اهـ . وزيد القصار هذا لم نجد له ترجمة ، وينظر تعليق الشيخ أحمد شاكر عليه .

(٤) فى م : « الدخان » .

(٥) سقط من : م .

(٦) فى ر ، ت١ ، ت٢ : « أشاوره » . وأساوره : أى : أواثبه وأقاتله .

(٧) يقال : أخذ بتلبيب فلان : إذا جمع عليه ثوبه الذى هو لابسه عند صدره وقبض عليه يجره . التاج (ل ب ب) .

(٨) فى ر ، م : « لهو » .

هذا يَقْرَأُ سورةَ الفُرْقانِ على حروفٍ لم تُقْرِئْنِيها ، وأنت أقْرَأْتَنى سورةَ « الفُرْقانِ » ! قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَرْسِلْهُ يا عُمَرُ ، اقْرَأْ يا هِشَامُ » . فقرَأ عليه القراءةَ التى سمِعْتُه يَقْرَؤُها ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هكذا أُنْزِلَتْ » . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اقْرَأْ يا عُمَرُ » . فقرَأْتُ القراءةَ التى أقْرَأَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هكذا أُنْزِلَتْ » . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ هذا القُـرآنَ أُنْزِلَ على سَبْعَةِ أحْرُفٍ ، فاقْرَءُوا مَـا تَيَسَّرَ مِنْهَا[1] »[2] .

حدَّثنى أحمدُ بنُ منصورٍ ، قال : [3]حدَّثنا عبدُ الصمدِ بنُ عبدِ الوارثِ ، قال[3] : حدَّثنا [4]حربُ بنُ أبى ثابتٍ[4] مِن بنى سُلَيْم ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طَلْحةَ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : قرَأ رجلٌ عندَ عمرَ بنِ الخطابِ فغيَّر عليه ، فقال : لقد قرَأْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فلم يُغَيِّرْ علىَّ . قال : فاخْتَصَما عندَ النبىِّ ﷺ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ألم تُقْرِئْنى آيةَ كذا وكذا ؟ قال : « بَلَى » . قال : فوقَع فى صدرِ عمرَ شىءٌ ، فعرَف النبىُّ ﷺ ذلك فى وجهِه ، قال : فضرَب صدرَه ، وقال : « ابْعَدْ شَيْطَانًا » . قالها ثلاثا ، ثم قال : « يا عمرُ ، إِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّه صَوابٌ ، مَا لَم تَجْعَلْ رَحْمَةً عَذَابًا ، أَوْ عَذَابًا رَحْمَةً »[5] .

---

(١) فى مصادر التخريج : « منه » .

(٢) أخرجه المصنف فى مسند عمر من تهذيب الآثار ص ٧٧٦، والنسائى (٩٣٧) عن يونس به . وأخرجه مسلم (٨١٨) من طريق ابن وهب به . وأخرجه البخارى (٢٤١٩ ، ٤٩٩٢ ، ٥٠٤١) ، ومسلم (٨١٨) ، والترمذى (٢٩٤٣) ، وغيرهم من طريق الزهرى به . وينظر مسند الطيالسى (٣٩) .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤ - ٤) كذا فى النسخ ، والصواب : حرب بن ثابت . ينظر تعجيل المنفعة ٤٣٨/١ .

(٥) أخرجه أحمد ٢٨٥/٢٦ (١٦٣٦٦) عن عبد الصمد به ، دون قوله : فوقع فى صدر عمر ... وقال : « ابعد شيطانًا » . وقال ابن كثير فى فضائل القرآن ص : ٧٣ : إسناده حسن . وينظر تفسير ابن كثير تحقيق أبى إسحاق الحوينى ١/ ٢١٨.

حدَّثنا عُبيدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ الفِرْيابيُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَيْمونٍ ، قال : حدَّثنا عُبيدُ اللَّهِ - يعنى ابنَ عمرَ - عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : سمِع عمرُ بنُ الخطابِ رجلًا يَقْرَأُ القرآنَ ، فسمِع آيةً على غيرِ ما سمِع مِن النبيِّ ﷺ ، فأتَى به عمرُ إلى النبيِّ ﷺ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إن هذا قرَأ آيةَ كذا وكذا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ »[1] .

١٤/١ / حدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبَرنى هشامُ ابنُ سعدٍ ، عن عليِّ بنِ أبى عليٍّ ، عن زُبَيْدٍ ، عن عَلْقمةَ النَّخَعيِّ ، قال : لما خرَج عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ مِن الكوفةِ اجْتَمَع إليه أصحابُه فودَّعهم ، ثم قال : لا تَنازَعوا فى القرآنِ ؛ فإنه لا يَخْتَلِفُ ولا يَتَلاشَى[2] ، ولا يَتْفَهُ[3] لكثرةِ الردِّ ، وإن شريعةَ الإسلامِ وحدودَه وفرائضَه فيه واحدةٌ ، ولو كان شىءٌ مِن الحرفَيْن يَنْهَى عن شىءٍ يَأْمُرُ به الآخرُ ، كان ذلك الاختلافَ ، ولكنه جامعٌ ذلك كلِّه ، لا تَخْتَلِفُ فيه الحدودُ ولا الفرائضُ ، ولا شىءٌ مِن شرائعِ الإسلامِ ، ولقد رأيْتُنا نَتَنازَعُ فيه عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فيأْمُرُنا فنَقْرَأُ عليه ، فيُخْبِرُنا أنّا كلَّنا مُحْسِنٌ ، ولو أَعْلَمُ[4] أحدًا أعْلَمَ بما أنْزَلَ اللَّهُ على رسولِه منِّى لطلَبْتُه حتى أَزْدادَ عِلمَه إلى علمى ، ولقد قرأْتُ مِن لسانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ سبعين سورةً ، وقد كنتُ علِمْتُ أنه يُعْرَضُ عليه القرآنُ فى كلِّ رمضانَ ، حتى كان عامُ [١/٥و] قُبِض ، فعُرِض عليه مرّتَيْن ، فكان إذا فرَغ أَقْرَأُ عليه ، فيُخْبِرُنى [١/٤ظ] أنّى مُحْسِنٌ ، فمَن قرَأ على قراءتى فلا يَدَعَنَّها رغبةً عنها ، ومَن قرَأ على شىءٍ مِن هذه

---

(١) عزاه المتقى الهندى فى الكنز (٣٠٩٤) إلى المصنف . وعبد اللَّه بن ميمون القداح متروك .

(٢) فى المسند : « ولا يُسْتَشَنُّ » - أى لا يخلَق - وفى تاريخ المدينة : « ولا ينسأن » . وينظر تعليق الشيخ شاكر .

(٣) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ : « يتغير » .

(٤) بعده فى ر : « أن » .

الحروفِ فلا يَدَعَنَّه رغبةً عنه ، فإنه مَن جحَد بآيةٍ جحَد به كلِّه[(١)] .

حدَّثني يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أنبأَنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخْبَرني يونُسُ ، **وحدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا رِشْدينُ بنُ سعدٍ ، عن عُقَيْلِ بنِ خالدٍ ، جميعًا عن ابنِ شِهابٍ ، قال : حدَّثني عُبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ ، أن ابنَ عباسٍ حدَّثه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَقْرَأَني جِبْرِيلُ على حَرْفٍ ، فَرَاجَعْتُه ، فلم أَزَلْ أَسْتَزِيدُه فَيَزِيدُنِـي ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » . قال ابنُ شِهابٍ : بلَغَني أن تلك السبعةَ الأحرفِ إنما هي في الأمرِ الذي يَكونُ واحدًا ، لا يَخْتَلِفُ في حلالٍ ولا حرامٍ[(٢)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبي مَخْلَدٍ الواسطيُّ ويونسُ بنُ عبدِ الأعلى الصَّدَفيُّ ، قالا : حدَّثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ ، عن عُبيدِ اللَّهِ ، أخْبَره أبوه ، أن أمَّ أيوبَ أخْبَرَته ، أن النبيَّ ﷺ قال : « نزلَ[(٣)] القُرْآنُ على سَبْعَةِ أحْرُفٍ ، أَيَّها قَرَأْتَ

---

(١) إسناده ضعيف جدا ؛ على بن أبى على اللهبى منكر الحديث ، وزبيد لم يدرك علقمة .

وأخرجه عمر بن شبة فى تاريخ المدينة ٣/ ١٠٠٨ ، وابن عساكر فى تاريخه ٣٩/ ٩٢ (طبعة مجمع اللغة بدمشق) من طريق زبيد ، عن عبد الرحمن بن عابس ، عن رجل ، عن ابن مسعود ، نحوه .

وأخرجه أحمد ٦/ ٣٩٥ (٣٨٤٥) - ومن طريقه ابن عساكر ٣٩/ ٩٢ - عن غندر ، عن شعبة ، عن عبد الرحمن بن عابس به ، نحوه . وسيأتى جزء منه فى ص ٤٦ من طريق آخر عن شعبة .

وقوله : لا أعلم أحدًا أعلم بما أنزل اللَّه على رسوله ﷺ منى .... سيأتى نحوه فى ص ٧٥.

وقوله : لقد قرأت من لسان رسول اللَّه ﷺ سبعين سورة .... أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما ، وينظر مسند الطيالسى (٤٠٥) .

وقوله : وقد كنت علمت أنه يعرض عليه القرآن فى كل رمضان .... أخرجه البخارى (٤٩٩٨) من حديث أبى هريرة .

وقوله : من جحد بآية جحد به كله . سيأتى فى ص ٤٩ من وجه آخر عن ابن مسعود .

(٢) أخرجه الطحاوى فى المشكل (٣١١٦) عن يونس بن عبد الأعلى به .

وأخرجه مسلم (٨١٩) من طريق ابن وهب به . وأخرجه البخارى (٣٢١٩) من طريق يونس بن يزيد ، (٤٩٩١) من طريق عقيل ، كلاهما عن الزهرى به .

(٣) فى ص ، م : « أنزل » .

أَصَبْتَ»[(١)] .

حدَّثنا إسماعيلُ بنُ موسى السُّدِّىُّ[(٢)] ، قال : أَنْبَأَنا شريكٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن سليمانَ بنِ صُرَدَ يَرْفَعُه قال : «أَتَانِى مَلَكَانِ فقال أَحدُهما : اقْرَأْ . قَالَ : عَلَى كم ؟ قال : على حَرْفٍ . قال : زِدْهُ . حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ »[(٣)] .

حدَّثنا ابنُ البَرْقِىِّ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى مَرْيَمَ ، قال : حدَّثنا نافعُ بنُ يزيدَ ، قال : حدَّثنى عُقَيْلُ بنُ خالدٍ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « أَقْرَأَنِى جِبْرِيلُ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ ، فَاسْتَزَدْتُه فزَادَنِى ، ثم اسْتَزَدْتُه فَزَادَنِى ، حتَّى انْتَهَى إلى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ »[(٤)] .

حدَّثنى الربيعُ بنُ سليمانَ ، قال : حدَّثنا أسدُ بنُ موسى ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ / أبى يَزيدَ ، عن أبيه ، أنه سمِع أمَّ أيوبَ تُحَدِّثُ عن النبىِّ ﷺ ، فذكر نحوَه . (٥)يعنى نحوَ حديثِ ابنِ أبى مَخْلَدٍ(٥) . ١٥/١

---

(١) أخرجه الطحاوى فى المشكل (٣١٠٠) عن يونس بن عبد الأعلى به .

وأخرجه الحميدى (٣٤٠) ، وسعيد بن منصور فى سننه (٣٢- تفسير) ، وابن أبى شيبة ١٠/ ٥١٥، ٥١٦، وأحمد ٤٣٣/٦ (الميمنية) ، وابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (٣٣٢٠) من طريق ابن عيينة به . وقال ابن كثير فى فضائل القرآن ص ٦٤: هذا إسناد صحيح .

(٢) قال الحافظ فى التقريب : نسيب السدى ، أو ابن بنته ، أو ابن أخته . وينظر تهذيب التهذيب ١/ ٣٣٦.

(٣) أخرجه الطحاوى فى المشكل (٣١١٤) من طريق إسماعيل بن موسى به .

وأخرجه عبد اللَّه بن أحمد فى زوائد المسند ١٢٥/٥ (الميمنية) من طريق شريك ، عن أبى إسحاق ، عن سليمان بن صرد ، عن أبى بن كعب . وأخرجه الطحاوى (٣١١٥) ، والطبرانى فى الأوسط (١١٦٧) من طريق أبى إسحاق ، عن سليمان بن صرد . بدون ذكر أُبى . وسيأتى حديث أُبىّ والخلاف فيه .

(٤) تقدم فى الصفحة السابقة .

(٥ - ٥) زيادة من : م ، ت ٢، وفى ت ١: « مثل الحديث الذى تقدم عن الربيع » .

حدَّثنا الربيعُ بنُ سليمانَ ، قال : حدَّثنا أسدُ بنُ مُوسى ، قال : حدَّثنا أبو الربيعِ السَّمَّانُ ، قال : أخبرني (١)عُبَيدُ اللَّهِ(١) بنُ أبي يزيدَ ، عن أبيه ، عن أمِّ أيوبَ ، أنها سمِعَت النبيَّ ﷺ يقولُ : « نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، فَمَا قَرَأْتَ أَصَبْتَ » .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ آدمَ ، قال : حدَّثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاقَ ، عن فلانٍ العَبْديِّ - قال أبو جعفرٍ : ذهَب عنى اسمُه - عن سليمانَ بنِ صُرَدَ ، عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ ، قال : رُحْتُ إلى المسجدِ ، فسمِعْتُ رجلًا يَقْرَأُ ، فقلتُ : مَن أَقْرَأَك ؟ فقال : رسولُ اللَّهِ ﷺ . فانْطَلَقْتُ به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقلتُ : اسْتَقْرِئْ هذا . قال : فقرَأ ، فقال : « أَحْسَنْتَ » . قال : فقلتُ : إنك[٢] أَقْرَأْتَنى كذا وكذا . فقال : « وَأَنْتَ قَدْ أَحْسَنْتَ » . قال : فقلتُ : قد أحسَنْتَ ! قد أحسَنْتَ ! قال : فضرَب بيدِه على صدرى ، ثم قال : « اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْ أُبَيٍّ الشَّكَّ » . قال : ففِضْتُ عرقًا ، وامْتَلأَ جوفى فَرَقًا[٣] ، ثم قال : « إِنَّ المَلَكَيْنِ أَتَيَانِى ، فقال أحدُهما : اقْرَأِ الْقُرْآنَ على حَرْفٍ . وقال الآخرُ : زِدْهُ . قال : فَقُلْتُ[٤] : زِدْنِى . قَالَ : اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ . حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ ، (٥)فقال : اقْرَأْ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ(٥) »[٦] .

(١ - ١) فى ص : « عبد اللَّه » .

(٢) فى ص ، ت ١ : « فإنك » .

(٣) بعده فى ص ، ر : « قال » . والفرق : الخوف . اللسان (ف ر ق) .

(٤) فى ص ، ر ، ت ١ : « قلت » .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) أخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ٢٠٢ ، وعبد اللَّه بن أحمد فى زوائد المسند ١٢٤/٥ (الميمنية) ، وابن عبد البر فى التمهيد ٨/ ٢٨٥ ، وابن عساكر فى تاريخه ٣٢٩/٧ من طريق إسرائيل به . وعندهم : سقير العبدى . وهو مجهول ، وينظر تعجيل المنفعة ١/ ٥٩٤ . وأخرجه أبو عبيد ص ٢٠١ ، والنسائى فى الكبرى (١٠٥٠٦) من طريق يزيد بن هارون ، عن العوام بن حوشب ، عن أبى إسحاق ، عن سليمان بن صرد ، عن أُبى . =

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ، **وحدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ مَيْمونٍ الزَّعْفَرَانِىُّ ، جميعًا عن حُمَيْدٍ الطَّويلِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن أبىٍّ بنِ كعبٍ ، قال : ما حاكَ[1] فى صدرى شىءٌ منذ أسْلَمْتُ ، إلا أنى [2]قرَأْتُ آيةً[2] ، فقرَأها رجلٌ غيرَ قِراءتى ، فقلتُ : أقْرَأَنيها رسولُ اللَّهِ ﷺ . فقال الرجلُ : أقْرَأَنيها رسولُ اللَّهِ ﷺ . فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقلتُ : أقْرَأْتَنى آيةَ كذا وكذا ؟ قال : « بَلَى » . قال الرجلُ : ألم تُقْرِئْنى آيةَ كذا وكذا ؟ قال : « بَلَى ، إنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ أَتَيَانِى ، فَقَعَدَ جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِى وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِى ، فقال جِبْرِيلُ : اقْرَأِ الْقُرْآنَ على [3]حَرْفٍ وَاحِدٍ[3] ، وقال مِيكَائِيلُ : اسْتَزِدْهُ . قال جِبْرِيلُ : اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ . فقال مِيكَائِيلُ : اسْتَزِدْهُ . حَتَّى بلَغ ستةً أو سبعةً »[4] . الشكُّ من أبى كُرَيْبٍ . وقال ابنُ بَشَّارٍ فى حديثِه : « حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ – ولم يَشُكَّ[5] فيه – وَكُلٌّ شَافٍ كَافٍ » . ولفظُ الحديثِ لأبى كُرَيبٍ[6] .

= وأخرجه أحمد بن منيع فى مسنده – كما فى فضائل القرآن لابن كثير ص ٦١ – والنسائى فى الكبرى (١٠٥٠٧) ، والبيهقى فى الدلائل ١٨٨/٦ من طريق إسحاق الأزرق ويزيد بن هارون ، عن العوام ، عن أبى إسحاق ، عن سليمان بن صرد ، قال : أتى أُبى بن كعب رسول اللَّه ﷺ برجلين . فذكره .

وقال ابن كثير : فهذا الحديث محفوظ من حيث الجملة عن أبى بن كعب ، والظاهر أن سليمان بن صرد الخزاعى شاهد ذلك ، واللَّه أعلم .

(١) فى ص : « حال » .

(٢ – ٢) فى ت١ : « قرأنا به » .

(٣ – ٣) فى ص ، ر : « حرف » ، وفى ت ٢: « حرفين » .

(٤) بعده فى ت ١: « أحرف » .

(٥) فى ر ، ت ١، ت ٢: « يشكك » .

(٦) أخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ٢٠١، وابن أبى شيبة ٥١٧/١٠، وأحمد ٥/ ١١٤، ١٢٢ (الميمنية) ، وعبد بن حميد (١٦٤) ، وعبد اللَّه بن أحمد فى زوائد المسند ١٢٢/٥ (الميمنية) ، والنسائى (٩٤٠) ، والطحاوى فى المشكل (٣١١١) ، وابن حبان (٧٣٧) من طرق عن حميد به .

وحدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبَرنى يحيى ابنُ أيوبَ ، عن حُميدٍ الطويلِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن أُبَىِّ بنِ كعبٍ ، عن النبىِّ ﷺ بنحوِه . وقال فى حديثِه : « حَتَّى بَلَغَ سِتَّةَ[1] أَحْرُفٍ ، قَالَ : اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، كُلٌّ شَافٍ كَافٍ » .

حدَّثنا محمدُ بنُ مرزوقٍ ، قال : حدَّثنا أبو الوليدِ ، قال : حدَّثنا حمادُ بنُ سلمةَ ، عن حميدٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن عُبادةَ بنِ الصامتِ ، عن أُبَىِّ بنِ كعبٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ :/ « أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ »[2] . ١٦/١

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا حسينُ بنُ علىٍّ وأبو أسامةَ ، عن زائدةَ ، عن عاصمٍ ، عن زِرٍّ ، عن أُبَىٍّ ، قال : لَقِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ جبريلَ عندَ أحْجارِ المِـرَاءِ[3] ، فقال : « إِنِّى بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ ، مِنْهُمُ الغُلَامُ والْخَادِمُ والشَّيْخُ العاسى[4] والعَجُوزُ » . فقال جِبْرِيلُ : فَلْيَقْرَءوا القرآنَ على سبعةِ أحرفٍ . ولفظُ الحديثِ لأبى أسامةَ[5] .

---

(١) فى ت ١، ت ٢: « سبعة » .

(٢) أخرجه أحمد ١١٤/٥ (الميمنية) ، والطحاوى فى المشكل (٣٠٩٦، ٣٠٩٧) ، وابن حبان (٧٤٢) ، والطبرانى فى الأوسط (٥٢٥٠) ، وابن عدى ٢/ ٦٧٩، وتمام فى الفوائد (١٣٢٢- الروض البسام) من طرق عن حماد بن سلمة به . وقد تفرد حماد بذكر عبادة فى إسناده .

(٣) المراء - بكسر الميم - : قباء . النهاية ٤/ ٣٢٣.

(٤) فى ص : « العاشى » ، وفى م ، وجامع المسانيد ١/ ٦٧: « الفانى » ، وفى المسند : « العاصى » ، وفى الترمذى : « الكبير » . والعاسى بمعنى ما فى هذه المصادر .

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة ٥١٨/١٠ - ومن طريقه ابن حبان (٧٣٩) - وأحمد ١٣٢/٥ (الميمنية) عن حسين بن على به . وأخرجه أحمد من طريق زائدة به . وأخرجه الطيالسى (٥٤٥) ، والترمذى (٢٩٤٤) ، والبزار (٢٩٠٩) ، والطحاوى فى المشكل (٣٠٩٨) من طريق عاصم به . وقال الترمذى : حسن صحيح . =

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ نُمَيْرٍ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ ، **وحدَّثنا** عبدُ الحميدِ بنُ بَيانٍ القَنَّادُ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيدَ الواسطيُّ ، عن إسماعيلَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عيسى بنِ[1] عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى ، عن جدِّه ، عن أُبَيِّ ابنِ كعبٍ ، قال : كنتُ فى المسجدِ ، فدخَل رجلٌ يُصلِّى ، فقرَأ قراءةً أنْكَرْتُها عليه[2] ، ثم دخَل رجلٌ آخرُ ، فقرَأ قراءةً غيرَ قراءةِ صاحبِه ، فدخَلْنا جميعًا على رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنّ هذا قرَأ قراءةً أنْكَرْتُها عليه ، ثم دخَل هذا فقرَأ قراءةً غيرَ قراءةِ صاحبِه . فأمَرهما رسولُ اللَّهِ ﷺ فقَرَأا ، فحسَّن رسولُ اللَّهِ ﷺ شأنَهما ، فوقَع فى نفسى مِن التكذيبِ ولا إذ كنتُ فى الجاهليةِ ، فلما رأَى رسولُ [١/٥و] اللَّهِ ﷺ ما غشِينى ضرَب فى صدرى ، ففِضْتُ عرقًا ، كأنما أَنْظُرُ إلى اللَّهِ فَرَقًا ، فقال لى : « يا أُبَيُّ ، أُرْسِلَ إِلَيَّ : أَنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ عليه : أنْ هَوِّنْ على أُمَّتِى . فَرَدَّ عَلَيَّ فِى الثَّانِيَةِ : أَنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ . فَرَدَدْتُ عليه : أنْ هَوِّنْ على أُمَّتِى . فَرَدَّ عَلَيَّ فِى الثَّالِثَةِ : أَنِ اقْرَأْهُ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، ولك بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَها[3] مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا . فقلْتُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِى ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِى . وأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ فيه الخَلْقُ كُلُّهم حتى إِبْراهِيمُ » . إلا أن ابنَ بيانٍ قال فى حديثِه : فقال لهم[4] النبيُّ ﷺ : « قد أصَبْتُم وأحْسَنْتُم » . وقال أيضًا : فارفضَضْتُ[5] عرقًا[6] .

= وروى عن عاصم ، عن زر ، عن حذيفة . أخرجه أحمد ٥/ ٣٩١، ٤٠٥ (الميمنية) ، والبزار (٢٩٠٨) ، والطحاوى فى المشكل (٣٠٩٨) ، وابن قانع فى معجمه ١/ ١٩١، ١٩٢، والطبرانى فى الكبير (٣٠١٨) .

(١) فى ت ١: « عن » . وينظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤١٢.

(٢) بعده فى ص، ت ١: « قال » .

(٣) فى ص ، م : « رددتها » .

(٤) فى ص، ت ١: « لهما » .

(٥) ارفض عرقا : جرى عرقه وسال . انظر النهاية ٢/٢٤٣ .

(٦) أخرجه مسلم (٨٢٠) - ومن طريقه البغوى فى شرح السنة (١٢٢٧) - من طريق ابن نمير به . =

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، بإسنادِه عن النبىِّ ﷺ نحوَه[1] ، وقال : قال لى : « أُعِيذُكَ بِاللَّهِ مِن الشَّكِّ والتَّكْذِيبِ » . وقال أيضًا : « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِى أَنْ أَقْرَأَ القُرْآنَ على حَرْفٍ ، فقُلْتُ : اللَّهُمَّ رَبِّ خَفِّفْ عن أُمَّتى . فقال : اقْرَأْهُ على حَرْفَيْنِ . فأَمَرَنِى[2] أن أَقْرَأَهُ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، مِن سَبْعَةِ أَبْوَابٍ مِنَ الجَنَّةِ ، كُلُّها شَافٍ كَافٍ » .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا وَكيعٌ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عيسى بنِ أبى ليلى ، عن ابنِ أبى ليلى ، [3]وعن ابنِ أبى ليلى[3] ، عن الحكمِ ، عن ابنِ أبى ليلى ، عن أُبَىٍّ ، قال : دخَلْتُ المسجدَ فصلَّيْتُ ، فقرَأْتُ « النحلَ » ، ثم جاء رجلٌ آخرُ ، فقرَأها على غيرِ قراءتى ، ثم جاء رجلٌ آخرُ فقرَأ خلافَ قراءتِنا ، فدخَل[4] نفسى مِن الشكِّ والتكذيبِ أشدُّ مما كان فى الجاهليةِ ، فأخَذْتُ بأيديهما ، فأَتَيْتُ بهما النبىَّ ﷺ ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، اسْتَقْرِئْ هذين . فقرَأ أحدُهما ، فقال : « أَصَبْتَ » . قال : ثم اسْتَقْرَأ الآخرَ ،/ فقال : « أَصَبْتَ » . فدخَل قلبى أشدُّ مما كان فى الجاهليةِ مِن الشكِّ والتكذيبِ ، فضرَب رسولُ اللَّهِ ﷺ ١٧/١

= وأخرجه ابن أبى شيبة ١٠/ ٥١٦، وأحمد ١٢٧/٥ (الميمنية) ، ومسلم (٨٢٠) ، وعبد اللَّه بن أحمد فى زوائد المسند ١٢٨/٥ (الميمنية) ، وابن حبان (٧٤٠) ، والبيهقى ٣٨٣/٢ من طرق عن إسماعيل بن أبى خالد به .

(١) أعاده المصنف فى ص ٦٣، وفيه : عن عبد اللَّه بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبى . وهكذا ذكره ابن كثير فى فضائل القرآن ص ٥٦ عنه .

(٢) فى ت ١: « وأمرنى » .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، ر ، ت٢ . وابن أبى ليلى الذى يروى عنه عبد الله بن عيسى والحكم هو عبد الرحمن بن أبى ليلى ، والذى يروى عن الحكم هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى .

(٤) بعده فى م : « فى » .

صدرى ، وقال : « أَعَاذَكَ اللَّهُ مِن الشَّكِّ ، وَأَخْسَأَ عَنك الشَّيْطانَ » . قال إسماعيلُ : ففِضْتُ عرقًا . ولم يَقُلْه ابنُ أبي ليلى . قال : فقال : « أَتَانِى جِبْرِيلُ ، فَقَالَ : اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ . فَقُلْتُ : إِنَّ أُمَّتِـى لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ . حَتَّى قَالَ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، فقال لى : اقْرَأْ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، وَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رُدِدْتَها مسألةٌ » . قال : « فَاحْتَاجَ إِلَيَّ فِيهَا الخَلَائِقُ ، حَتَّى إِبْرَاهِيمُ » .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ[1] ، عن ابنِ أبى ليلى ، عن الحكمِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى ، عن أُبَيٍّ ، عن النبيِّ ﷺ بنحوِه .

حدَّثنى أحمدُ بنُ محمدٍ الطُّوسيُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الصمدِ ، قال : [2]حدَّثنى أبى ، قال[2] : حدَّثنا محمدُ بنُ جُحَادةَ ، عن الحكمِ بنِ عُتَيْبةَ[3] ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ أبى ليلى ، عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ ، قال : أتَى جبريلُ النبيَّ ﷺ وهو عندَ أَضَاةِ بنى غِفارٍ[4] ، فقال : إن اللَّهَ تبارك وتعالى يَأْمُرُك أن تُقْرِئَ أُمَّتَك القرآنَ على سبعةِ أحرفٍ ، فمَن قرَأ منها حرفًا فهو كما قرَأ[5] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ، عن

---

(١) فى ر ، ت ١، ت ٢: « عبيد اللَّه » . والظاهر أنه عبد اللَّه بن نمير ، فهو يروى عن ابن أبى ليلى كما فى المسند ٢٢/٥ (٢٨٠٨) ، ويروى عنه أبو كريب كما تقدم فى ص ٣٢.

(٢ - ٢) سقط من : ر.

(٣) فى ت ١، ت ٢: « عيينة » .

(٤) أضاة بنى غفار : موضع بالمدينة . معجم ما استعجم ١/ ١٦٤.

(٥) أخرجه عبد اللَّه بن أحمد فى زوائد المسند ١٢٨/٥ (الميمنية) - وعنه الطبرانى فى الكبير (٥٣٥) ، والقطيعى فى جزء الألف دينار (٢٨) - وابن حبان (٧٣٨) من طريق عبد الوارث بن سعيد به . وسيأتى فى ص ٤٠ ، ٤١ من طريق آخر عن عبد الوارث .

الحكمِ ، عن مُجاهدٍ ، عن ابنِ أبى ليلى ، عن أُبىٍّ بنِ كعبٍ ، أن النبىَّ ﷺ كان عندَ أضاةِ بنى غِفارٍ ، قال : فأتاه جبريلُ ، فقال : إنّ اللَّهَ يَأْمُرُك أن تُقْرِئَ أمَّتَك القرآنَ على حرفٍ . قال : « أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَه ومَغْفِرَتَه ، وَإِنَّ أُمَّتِى لا تُطِيقُ ذلك » . قال : ثم أتاه الثانيةَ ، فقال : إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُك أن تُقْرِئَ أمَّتَك القرآنَ على حرفين . قال : « أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَه ومَغْفِرَتَه ، وإِنَّ أُمَّتِى لَا تُطِيقُ ذلك » . ثم جاءه الثالثةَ ، فقال : إن اللَّهَ يَأْمُرُك ، أن تُقْرِئَ أمَّتَك القرآنَ على ثلاثةِ أحرفٍ . قال : « أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَه ومَغْفِرَتَه ، وإِن أُمَّتِى لَا تُطِيقُ ذلك » . ثم جاءه الرابعةَ ، فقال : إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُك أن تُقْرِئَ أمَّتَك القرآنَ على سبعةِ أحرفٍ ، فأيَّما حرفٍ قرءوا عليه فقد أصابوا[(١)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى عدِىٍّ ، عن شعبةَ ، عن الحكمِ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ أبى ليلى قال : أتَى جبريلُ النبىَّ ﷺ عندَ أَضاةِ بنى غِفارٍ . فذكَر نحوَه .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا موسى بنُ داودَ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ، **وحدَّثنا** الحسنُ بنُ عرفةَ ، قال : حدَّثنا شَبَابةُ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ، عن الحكمِ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ أبى ليلى ، عن أُبىٍّ بنِ كعبٍ ، عن النبىِّ ﷺ بنحوِه[(٢)] .

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢١) ، وأبو داود (١٤٧٨) عن محمد بن المثنى به .

وأخرجه أحمد ١٢٧/٥ (الميمنية) ، ومسلم (٨٢١) ، والنسائى (٩٣٨) ، وعبد اللَّه بن أحمد فى زوائد المسند ١٢٨/٥ (الميمنية) من طريق محمد بن جعفر به . وأخرجه الطيالسى (٥٥٩) ، والطحاوى فى المشكل (٣١١٧) ، والبيهقى ٣٨٤/٢ من طريق شعبة به . وأخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ٢٠٢ عن حجاج بن محمد ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن ابن أبى ليلى ، ليس فيه : عن مجاهد . وقال النسائى : هذا الحديث خولف فيه الحكم ، خالفه منصور بن المعتمر ، رواه عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، مرسلا .

(٢) أخرجه الطحاوى فى المشكل (٣١١٧) من طريق شبابة به .

حدَّثني يونسُ بنُ عبدِ الأعـلى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخْبَرَني هشامُ ابنُ سعدٍ ، عن [(١]عُبَيدِ اللَّهِ[١)] بنِ عمرَ ، عن عبدِ الرحمـنِ بنِ أبي ليلى ، عن أُبيِّ بنِ كعبٍ أنه قال : سمِعْتُ رجلًا يَقْـرَأُ في سورةِ « النحلِ » قراءةً تُخالِـفُ قراءتي ، ثم سمِعْتُ آخرَ يَقْرَؤُها [(٢]قراءةً تُخالِفُ ذلك[٢)] ، فانْطَلَقْتُ بهما إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ/ فقلتُ : إني سمِعْتُ هذين يَقْرَأان في سورةِ « النحلِ » ، فسأَلْتُهما مَن أقْرَأَهما ؟ فقالا : رسولُ اللَّهِ ﷺ . فقلت : لَأَذْهَبَنَّ بكما إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إذ خالفْتُما ما أقْرَأَني رسولُ اللَّهِ ﷺ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لأحدِهما : « اقْرَأْ » . فقرَأ ، فقال : « أَحْسَنْتَ » . ثم قال للآخرِ : « اقْرَأْ » . فقرأ ، فقال : « أَحْسَنْتَ » . قال أُبيٌّ : فوجَدْتُ في نفسي وَسْوسةَ الشيطانِ ، حتى احْمَرَّ وجهي ، فعرَف ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ في وجهي ، فضرَب بيدِه في صدري ، ثم قال : « اللَّهُمَّ أَخْسِئِ الشَّيْطَانَ عنه ، يا أُبَيُّ أَتاني آتٍ مِن رَبِّي ، فقال : إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُك أن تَقْرَأَ القُرْآنَ على حَرْفٍ واحِدٍ . فقُلْتُ : رَبِّ ، خَفِّفْ عَنِّي[(٣)] . ثم أَتَانِي الثَّانِيَةَ ، فقال : إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُك أن تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى [(٤]حَرْفٍ وَاحِدٍ[٤)] . فَقُلْتُ : رَبِّ ، خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي . ثُمَّ أَتَانِيَ الثَّالِثَةَ ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَقُلْتُ مثلَ ذلك ، ثُمَّ أَتَانِـيَ الرَّابِعَةَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، ولك بِكُلِّ رَدَّةٍ مَسْأَلَةٌ . فَقُلْتُ :

١٨/١

(١ - ١) في ص : « عبد الله » .

(٢ - ٢) في ص ، ر ، ت١ ، ت٢ : « فخالف » .

(٣) في فضائل القرآن : « عن أمتي » . وفي نسخة منه كالذي هنا . وينظر تفسير ابن كثير تحقيق أبي إسحاق الحويني ١/ ١٩٤.

(٤ - ٤) في الفضائل : « حرفين » . وفي نسخة منه كالذي هنا .

يَا رَبِّ اغْفِرْ لِأُمَّتى ، (١) يَا رَبِّ اغْفِرْ لِأُمَّتِى (١) ، (٢) وَاخْتَبَأْتُ الثَّالِثَةَ شفاعةً لِأُمَّتِـى (٢) يَوْمَ القِيَامَةِ » (٣) .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى الصَّنْعانىُّ ، قال : حدَّثنا المُعْتَمِرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ عُبَيدَ اللَّهِ بنَ عمرَ ، عن [١/٥ظ] سَيَّارٍ (٤) أبى الحكمِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى ، رفَعه إلى النبىِّ ﷺ : ذكر أن رجلين اخْتَصَما فى آيةٍ مِن القرآنِ ، وكلٌّ يَزْعُمُ أن النبىَّ ﷺ أقْرَأه ، فتَقَارأا إلى أُبىٍّ ، فخالَفَهما أُبىٌّ ، فتَقارَءوا إلى النبىِّ ﷺ فقال (٥) : يا نبىَّ اللَّهِ ، اخْتَلَفْنا فى آيةٍ مِن القرآنِ ، وكلُّنا يَزْعُمُ أنك أقْرَأْتَه . فقال لأحدِهما : « اقْرَأْ » . قال : فقرَأ ، فقال : « أَصَبْتَ » . وقال للآخرِ : « اقْرَأْ » . فقرَأ خلافَ ما قرَأ صاحبُه ، فقال : « أَصَبْتَ » . وقال لأُبىٍّ : « اقْرَأْ » . فقرَأ فخالَفهما ، فقال : « أَصَبْتَ » . قال أُبىٌّ : فدخَلَنى مِن الشكِّ فى أمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ما دخَل فىَّ مِن أمرِ الجاهليةِ . قال : فعرَف رسولُ اللَّهِ ﷺ الذى فى وجهى ، فرفَع يدَه ، فضرَب صدرى ، وقال : « اسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » . قال : ففِضْتُ عرقًا ، وكأنِّى أَنْظُرُ إلى اللَّهِ فَرَقًا ، وقال : « إِنَّهُ أَتَانِـى آتٍ مِن (٦) رَبِّى ، فقال : إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ على حَرْفٍ وَاحِدٍ . فقُلْتُ : رَبِّ خَفِّفْ عن أُمَّتِى » . قال : « ثم جاءَ الثَّانيةَ (٧) ،

(١ - ١) سقط من : ر ، ت ٢.

(٢ - ٢) سقط من : ت ٢.

(٣) إسناده منقطع . ذكره ابن كثير فى فضائل القرآن ص ٥٦، ٥٧ عن المصنف . وعلقه ابن عبد البر فى التمهيد ٢٨٨/٨ عن الليث ، عن هشام به .

وصحح إسناده ابن كثير ، وقال الحربى - كما فى تهذيب التهذيب ٤٠/٧ - : عبيد اللَّه لم يدرك عبد الرحمن بن أبى ليلى . وقد روى عنه بواسطة كما فى الطريق الآتى .

(٤) فى ت ١ : « سنان » .

(٥) فى ص : « فقالوا » .

(٦) فى ص : « عن » .

(٧) زيادة من : ت ١ .

فقال : إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُك أَنْ تَقرَأَ الْقُرْآنَ على حَرْفٍ وَاحِدٍ . فَقُلْتُ : رَبِّ خَفِّفْ عن أُمَّتِي » . قال : (١« ثُمَّ جاء الثَّالِثَةَ ، فقال : إِنَّ رَبَّك يَأْمُرُك أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ على حَرْفٍ وَاحِدٍ . فَقُلْتُ : رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي » . قال :١) « ثم جاءَنى الرَّابِعَةَ ، فقال : إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، ولك بِكُلِّ رَدَّةٍ مسألةٌ » . قال : « قُلْتُ : رَبِّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي ، رِبِّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي ، وَاخْتَبَأْتُ الثَّالِثَةَ شَفَاعَةً لِأُمَّتِي ، حَتَّى إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمنِ لَيَرْغَبُ فِيهَا »[٢] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا زيدُ بنُ الحُبابِ ، عن حمادِ بنِ سلمةَ ، عن عليِّ ابنِ زيدٍ[٣] ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بَكْرَةَ ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قال[٤] جِبْرِيلُ : اقْرَءُوا الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ . فَقَالَ مِيكَائِيلُ : اسْتَزِدْهُ . فَقَالَ : عَلَى حَرْفَيْنِ . حَتَّى بَلَغَ سِتَّةَ أَو سَبْعَةَ أَحْرُفٍ ، فقال : كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ ، ما لم تَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ (٥بآيةِ رحمةٍ٥) ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ (٦بآيةِ عذابٍ٦) ، كقولك : هَلُمَّ وتَعَالَ »[٧] .

١٩/١ /حدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبَرَنى سليمانُ

(١ - ١) سقط من : ت ٢.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣٢٩/٧ من طريق ابن وهب ، عن عمرو ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن عبيد الله بن عمر ، عن أبى الحكم ، عن أبى بن كعب ، نحوه .

(٣) فى ت ١: « يزيد » .

(٤) بعده فى ر : « لى » .

(٥ - ٥) فى م : « برحمة » .

(٦ - ٦) فى م : « بعذاب » .

(٧) أخرجه أحمد ٥/ ٤١، ٥١ (الميمنية) ، والطحاوى فى المشكل (٣١١٨) من طريق حماد به .
وعزاه الهيثمى فى المجمع ١٥١/٧ إلى الطبرانى .

ابنُ بلالٍ ، عن يَزيدَ بنِ خُصَيْفةَ ، عن بُسْرِ[1] بنِ سعيدٍ ، أن أبا جُهَيْمٍ[2] الأنصاريَّ أخبَرَه أن رجلَيْن اختَلَفا فى آيةٍ مِن القرآنِ ، فقال هذا : تلَقَّيْتُها مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . وقال الآخرُ : تلَقَّيتُها من رسولِ اللَّهِ ﷺ . فسألا رسولَ اللَّهِ ﷺ عنها ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، فلا تَمارَوْا فى القُرْآنِ ، فإنَّ المِراءَ فيه كُفْرٌ »[3] .

حدَّثنا يونسُ ، قال : أخْبَرَنا سفيانُ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، قال : قال النبىُّ ﷺ : « أُنْزِلَ الْقُرْآنُ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، كلُّها شَافٍ كَافٍ »[4] .

حدَّثنى يونسُ ، [5]قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ[5] ، قال[6] : أخْبَرَنى سليمانُ بنُ بلالٍ ، عن أبى عيسى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن[7] عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، كُلٌّ كَافٍ شَافٍ »[8] .

---

(١) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « بشر » . وينظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٧٢ .

(٢) فى ر ، م : « جهم » . وينظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٢٠٩ .

(٣) أخرجه الطحاوى فى المشكل (٣٠٩٩) عن يونس به . وأخرجه ابن عبد البر فى التمهيد ٨/٢٨٢ من طريق ابن وهب به . وأخرجه أحمد ٢٩/٨٥ (١٧٥٤٢) من طريق سليمان بن بلال به . وقال ابن كثير فى فضائل القرآن ص ٦٤: هذا إسناد صحيح . وينظر تفسير ابن كثير تحقيق أبى إسحاق الحوينى ١/ ٢٠٧ .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٣٣ - تفسير) ، وابن أبى شيبة ١٠/ ٥١٦ عن ابن عيينة به .

(٥ - ٥) سقط من : ت ١ .

(٦) سقط من : م .

(٧) زيادة من : ر . وهذا إسناد مشكل كما قال الشيخ أحمد شاكر ، ومن بعده الشيخ الألبانى فى الصحيحة ٢/ ٤٢٤ (٨٤٤) . ولم نهتد إلى معرفة مَن أبو عيسى هذا . ولعله أبو العميس عتبة بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود ، ثقة ، مات فى حدود سنة ١٥٠ ، مترجم فى تهذيب الكمال ١٩/ ٣٠٩ ، وذكر روايته عن أبيه .

(٨) عزاه السيوطى فى الجامع الكبير (٤٤٣٢) ، والمتقى الهندى فى الكنز (٣٠٩٢) إلى المصنف .

حدَّثنا أحمدُ بنُ حازمٍ الغِفاريُّ ، قال : حدَّثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : حدَّثنا أبو خَلْدَةَ ، قال : حدَّثنى أبو العاليةِ ، قال : قرَأ على رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن كلِّ خمسٍ رجلٌ ، فاخْتَلَفوا فى اللغةِ ، فرضِى قراءتَهم كلِّهم ، فكان بنو تَميمٍ أعْرَبَ[1] القومِ .

حدَّثنا عمرُو بنُ عثمانَ[2] العُثمانىُّ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى أُوَيْسٍ[3] ، قال : حدَّثنا أخى ، عن سليمانَ بنِ بلالٍ ، عن محمدِ بنِ عَجْلانَ ، عن المَقْبُرىِّ ، عن أبى هريرةَ رضِى اللَّهُ عنه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ . فَاقْرَءُوا وَلَا حَرَجَ ، وَلَكِنْ لَا تَخْتِمُوا[4] ذِكْرَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ ، وَلَا ذِكْرَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ »[5] .

حدَّثنا محمدُ بنُ مرزوقٍ[6] ، قال : حدَّثنا أبو مَعْمَرٍ[7] عبدُ اللَّهِ بنُ عمرِو بنِ أبى[8] الحجاجِ[9] ، قال : حدَّثنا[10] عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ[10] ، [11]قال : حدَّثنا محمدُ[11] بنُ

---

(١) فى ر : « أعرف » .

(٢) فى ص ، ت ١ : « محمد » .

(٣) فى ص : « إدريس » .

(٤) فى ت ١ : « تجمعوا » .

(٥) أخرجه ابن عبد البر فى التمهيد ٢٨٨/٨ من طريق إسماعيل بن أبى أويس به .

وأخرجه الطحاوى فى المشكل (٣١٠١) من طريق ابن عجلان به .

واختلف فيه على ابن أبى أويس ، فأخرجه البزار ، وأبو يعلى ، وابن حبان ، وغيرهم من طرق عن إسماعيل ابن أبى أويس ، عن أخيه ، عن سليمان بن بلال ، عن ابن عجلان ، عن أبى إسحاق إبراهيم الهجرى ، عن أبى الأحوص ، عن ابن مسعود . وقد تفرد به ابن عجلان عن الهجرى . وقد تقدم من وجه آخر عن الهجرى فى ص ٢٢.

(٦) فى ت ٢: « يوسف » .

(٧) بعده فى ت ٢: « عن » .

(٨) سقط من : ص .

(٩) فى ت ١: « العجاج » .

(١٠ - ١٠) سقط من: ص .

(١١ - ١١) فى ت ٢: « يعنى » .

جُحادةَ[(١)]، عن الحكمِ بنِ عُتَيْبةَ[(٢)]، عن مُجاهدٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى، عن أُبَىِّ بنِ كعبٍ، قال: أتى النبىَّ ﷺ جبريلُ وهو بأَضَاةِ بنى غِفارٍ، فقال: إن اللَّهَ يأْمُرُك أن تُقْرِئَ أمَّتَك القرآنَ على حرفٍ واحدٍ. قال: فقال: «أَسْأَلُ اللَّهَ مَغْفِرَتَهُ وَمُعَافَاتَهُ - [(٣)]أو قال: مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ[(٣)] - سَلِ اللَّهَ لَهُمُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّهم لَا يُطِيقُونَ ذلك». فَانْطَلَقَ ثُمَّ رَجَعَ، فقال: إن اللَّهَ يأْمُرُك أن تُقْرِئَ أمَّتَك القرآنَ على حرفين. فقال: «أَسأَلُ اللَّهَ مَغْفِرَتَهُ وَمُعَافَاتَهُ - [(٣)]أو قال: مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ[(٣)] - إِنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَ ذلك، فَسَلِ اللَّهَ لهم التَّخْفِيفَ». فانطَلَق ثم رجَع. فقال: إن اللَّهَ يَأْمُرُك أن تُقْرِئَ أمتَك القرآنَ على ثلاثةِ[(٤)] أحرفٍ. [(٣)]فقال: «أَسْأَلُ اللَّهَ مَغْفِرَتَهُ وَمُعَافَاتَهُ - أو قال[(٥)]: مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ - إِنَّهم لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، [(٦)]سَلِ اللَّهَ[(٦)] لهم التَّخْفِيفَ». /فانْطَلَق ثم رجَع، فقال: إن اللَّهَ يَأْمُرُك أن تُقْرِئَ أمَّتَك القرآنَ على سبعةِ أحرفٍ[(٣)]، فمَن قرَأ منها بحرفٍ فهو كما قرَأ[(٧)]. ٢٠/١

قال أبو جعفرٍ: صحَّ وثبَت أن الذى نزَل به القرآنُ مِن ألسنِ العربِ، البعضُ منها دونَ الجميعِ؛ إذ كان معلومًا أن ألسنتَها ولُغاتِها أكثرُ مِن سبعةٍ، بما يُعْجِزُ عن إحصائِه.

فإن قال: وما برهانُك على أن معنى قولِ النبىِّ ﷺ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ». وقولِه: «أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ». هو ما ادَّعَيْتَه - مِن أنه

---

(١) فى ت ٢: «حجارة».

(٢) فى ت ١، ت ٢: «عيينة».

(٣ - ٣) سقط من: ص، ت ٢.

(٤) فى ص، ت ٢: «سبعة».

(٥) زيادة من: م.

(٦ - ٦) سقط من: ت ١.

(٧) أخرجه ابن عبد البر فى التمهيد ٢٨٧/٨ من طريق أبى معمر به.

نزَل بسبعِ لغاتٍ ، وأُمِر بقراءتِه على سبعةِ ألسُنٍ - دونَ أن يكونَ معناه ما قاله مخالفوك ، مِن أنه نزَل بأمرٍ ، وزجْرٍ ، وتَرْغيبٍ ، وترهيبٍ ، وقَصَصٍ ، ومَثَلٍ ، ونحوَ ذلك مِن الأقوالِ ، فقد علمتَ قائلَ ذلك مِن سلفِ الأمةِ وخيارِ الأئمةِ ؟

قيل له : إن الذين قالوا ذلك لم يَدَّعُوا أن تأويلَ الأخبارِ التى تقَدَّم ذكرُناها هو ما زعمتَ أنهم قالوه فى الأحرفِ السبعةِ التى نزَل بها القرآنُ دون غيرِه ، فيكونَ ذلك لقولِنا مُخالِفًا ، وإنما أخْبَروا أن القرآنَ نزَل على سبعةِ أحرفٍ ، يَعْنون بذلك أنه نزَل على سبعةِ أوجهٍ . والذى قالوه مِن ذلك [٦/١و] كما قالوا .

وقد رَوَيْنا بمثلِ الذى قالوا مِن ذلك ، عن النبىِّ ﷺ وعن جماعةٍ مِن أصحابِه ، أخبارًا قد تقدم ذكرُنا بعضَها ، وسنَسْتَقْصِى (١) ذكرَ باقيها (١) ببيانِه ، إذا انتهَيْنا إليه إن شاء اللَّهُ .

فأما الذى تقَدَّم (٢) ذِكْرُناه مِن ذلك ، فخبرُ أُبىِّ بنِ كعبٍ ، مِن روايةِ أبى كُرَيْبٍ ، عن ابنِ فُضَيْلٍ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، الذى ذكَر فيه عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، مِن سَبْعَةِ أَبْوَابٍ مِن (٣) الجَنَّةِ » .

والسبعةُ الأحرفُ هو ما قلْنا مِن أنه الألسنُ السبعةُ . والأبوابُ السبعةُ مِن الجنةِ هى المعانى التى فيها ؛ مِن الأمرِ والنهيِ ، والترغيبِ والترهيبِ ، والقَصَصِ والمَثَلِ ، التى إذا عَمِل بها العاملُ ، وانتهى إلى حدودِها المُنْتَهِى ، اسْتَوْجَب به الجنةَ . وليس - والحمدُ للَّهِ - فى قولِ مَن قال ذلك مِن المُتَقَدِّمين خلافٌ لشىءٍ مما قلْناه .

(١ - ١) فى ص ، ت١ ، ت٢ : « ذكرنا فيها » .

(٢) تقدم فى ص ٣٣ .

(٣) سقط من : م .

والدَّلالةُ على صحةِ ما قلْناه ، مِن أن معنى قولِ النبيِّ ﷺ : « نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » . إنما هو أنه نزَل بسبعِ لغاتٍ ، كما تقَدَّم ذكرُنا مِن الرواياتِ الثابتةِ عن عمرَ بنِ الخطابِ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، وأُبيِّ بنِ كعبٍ ، وسائرِ مَن قد قدَّمْنا الروايةَ عنه عن النبيِّ ﷺ في أولِ هذا البابِ ، أنهم تَمارَوْا في القرآنِ ، فخالَف بعضُهم بعضًا في نفسِ التلاوةِ ، دون ما في ذلك مِن المعاني ، وأنهم احْتَكَموا فيه إلى النبيِّ ﷺ ، فاسْتَقْرأ كلَّ رجلٍ منهم ، ثم صوَّب جميعَهم في قراءتِهم على اختلافِها ، حتى ارْتاب بعضُهم لتصويبِه إياهم ، فقال ﷺ للذى ارتاب منهم عندَ تصويبِه جميعَهم : « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِـى أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » .

ومعلومٌ أن تَمارِيَهم فيما تَمارَوْا فيه مِن ذلك ، لو كان تَمارِيًا واختلافًا فيما دلَّت عليه تِلاواتُهم[(١)] ؛ مِن/ التحليلِ والتحريمِ ، والوعدِ والوَعيدِ ، وما أشبهَ ذلك ، لكان مستحيلًا أن يُصَوِّبَ[(٢)] جميعَهم ﷺ ، ويأْمُرَ[(٣)] كلَّ قارئٍ منهم أن يَلْزَمَ قراءتَه في ذلك على النحوِ الذى هو عليه ؛ لأن ذلك لو جاز أن يكون صحيحًا وجَب أن يَكونَ اللَّهُ جل ثناؤه قد أمَر بفعلِ شيءٍ بعينِه ، وفرَضه في تلاوةِ مَن دلَّت تلاوتُه على فرضِه ، ونهَى عن فعلِ ذلك الشيءِ بعينِه وزجَر عنه في تلاوةِ الذى دلَّت تلاوتُه على النهيِ والزجرِ عنه ، وأباح وأطْلَق فِعْلَ ذلك الشيءِ بعينِه ، وجعَل لمن شاء مِن عبادِه أن يَفْعَلَه فِعْلَه ، ولمن شاء منهم أن يَتْرُكَه تَرْكَه ، في تلاوةِ مَن دلَّت تلاوتُه على[(٤)] التخييرِ !

٢١/١

وذلك مِن قائلِه - إن قاله - إثباتُ ما قد نفَى اللَّهُ جَلّ ثناؤه عن تنزيلِه وحكمِ

(١) في ت ٢: « تلاوتهم » .

(٢) في ت ٢: « تصوب » .

(٣) في ت ٢: « تأمر » .

(٤) في م ، ت ٢: « عن » .

كتابِه ، فقال تعالى ذِكرُه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] . وفى نفْيِ اللَّهِ جل ثناؤه ذلك عن حكمِ كتابِه ، أوضحُ الدليلِ على أنه لم يُنَزِّلْ كتابَه على لسانِ محمدٍ ﷺ إلا بحكمٍ واحدٍ مُتَّفِقٍ فى جميعِ خلقِه ، لا بأحكامٍ فيهم مختلفةٍ .

وفى صحةِ كونِ ذلك كذلك ما يُبْطِلُ دعوى مَن ادَّعى خلافَ قولِنا فى تأويلِ قولِ النبيِّ ﷺ : « أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » . للذين تخاصَموا إليه عندَ اختلافِهم فى قراءتِهم ؛ لأنه ﷺ قد أمَر جميعَهم بالثبوتِ على قراءتِه ، ورضِى قراءةَ كلِّ قارئٍ منهم - على خلافِها قراءةَ خصومِه ومُنازِعيه فيها - وصوَّبها .

ولو كان ذلك منه تصويبًا فيما اخْتَلَفت فيه المعانى ، وكان قولُه[(١)] ﷺ : « أُنْزِلَ عَلَيَّ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » . إعلامًا منه لهم أنه نزَل بسبعةِ أوجهٍ مختلفةٍ ، وسبعةِ معانٍ مُفْتَرِقةٍ - كان ذلك إثباتًا لما قد نفَى اللَّهُ عن كتابِه مِن الاختلافِ ، ونفيًا لما قد أوْجَب له مِن الائتِلافِ .

مع أن فى قيامِ الحجةِ بأن النبيَّ ﷺ لم يَقْضِ فى شيءٍ واحدٍ فى وقتٍ واحدٍ بحكمين مختلفين ولا أذِن بذلك لأمتِه - ما يُغْنِى عن الإكثارِ فى الدَّلالةِ على أن ذلك مَنْفيٌّ عن كتابِ اللَّهِ .

وفى انتفاءِ ذلك عن كتابِ اللَّهِ وجوبُ صحّةِ القولِ الذى قلْناه فى معنى قولِ النبيِّ ﷺ : « أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » . عندَ اخْتِصامِ المُخْتَصِمين إليه فيما اخْتَلَفوا فيه مِن[(٢)] تلاوةِ ما تَلَوْه مِن القرآنِ ، وفسادِ تأويلِ قولِ مَن خالَف قولَنا فى ذلك .

---

(١) بعده فى ر : « لهم » .

(٢) فى ص ، ت١ : « فى » .

وأُخرى[(١)] ، أنَّ الذين تَمارَوْا فيما تمارَوْا فيه مِن قراءتِهم[(٢)] فاحْتَكموا إلى النبيِّ ﷺ ، لم يَكُنْ مُنْكَرًا عندَ أحدٍ منهم أن يَأْمُرَ اللَّهُ عبادَه جل ثناؤه فى كتابِه وتنزيلِه بما شاء ، ويَنْهَى عما شاء ، ويَعِدَ فيما أحبَّ مِن طاعاتِه ، ويُوعِدَ على مَعاصِيه ، ويَحْتِمَ[(٣)] لنبيِّه ويَعِظَه[(٤)] فيه ، ويَضْرِبَ فيه لعبادِه الأمثالَ ، فيُخاصِمَ غيرَه على إنكارِه سماعَ ذلك مِن قارئِه ؛ بل على الإقرارِ بذلك كلِّه كان إسلامُ مَن أسْلَم منهم . فما الوجهُ الذى أوْجَب له إنكارَ ما أنكر ، إن لم يَكُنْ كان ذلك اختلافًا منهم فى الألفاظِ واللغاتِ ؟

وبعدُ ، فقد أبان صحةَ ما قلنا الخبرُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ نصًّا ، وذلك الخبرُ الذى ذكَرْنا[(٥)] :/ أن أبا كُرَيْبٍ **حدَّثنا** ، قال : حدَّثنا زيدُ بنُ الحُبابِ ، عن حمادِ بنِ سلمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى بَكْرةَ ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ جِبْرِيلُ : اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ . قَالَ مِيكَائِيلُ : اسْتَزِدْه . فقال : على حَرْفَيْنِ . حَتَّى بَلَغَ سِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ ، فقال : كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ ، مَا لَمْ يَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ ، كقَوْلِكَ : هَلُمَّ وَتَعَالَ » . ٢٢/١

فقد أوْضَح نصُّ هذا الخبرِ أن اختلافَ الأحرفِ السبعةِ إنما هو اختلافُ ألفاظٍ ، كقولِك : هَلُمَّ وتعال . باتفاقِ المعانى ، لا باختلافِ معانٍ مُوجِبةٍ اختلافَ أحكامٍ ، وبمثلِ الذى قلْنا فى ذلك صحَّت[(٦)] الأخبارُ عن جماعةٍ مِن

---

(١) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ : « أحرى » .

(٢) فى ص : « قراءاتهم » .

(٣) فى ر ، م : « يحتج » .

(٤) فى ر ، ت ١: « يعظ » ، وفى ت ٢: « بعضا » .

(٥) تقدم فى ص ٣٨.

(٦) بعده فى ص ، ت ١: « به » .

السلفِ والخلفِ.

حدَّثني أبو السائبِ [١/٦ظ] سَلْمُ[(١)] بنُ جُنادةَ السُّوائىُّ، قال: حدَّثنا أبو معاويةَ، **وحدَّثنا** محمدُ بنُ المُثَنَّى، قال: حدَّثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ، عن شعبةَ، جميعًا عن الأعمشِ، عن شَقيقٍ، قال: قال عبدُ اللَّهِ: إنى قد سمِعْتُ القَرَأةَ[(٢)] فوجَدْتُهم مُتَقارِبين، فاقْرَءُوا كما عُلِّمْتُم، وإياكم والتَّنَطُّعَ، فإنما هو كقولِ أحدِكم: هَلُمَّ وتَعالَ[(٣)].

وحدَّثنا محمدُ بنُ المثنى، قال: حدَّثنا أبو داودَ، قال: حدَّثنا شعبةُ، عن أبى إسحاقَ، عمَّن سمِع ابنَ مسعودٍ يقولُ: مَن قرَأ منكم على حرفٍ فلا يَتَحَوَّلَنَّ، ولو أَعْلَمُ أحدًا أعْلَمَ منى بكتابِ اللَّهِ لأَتَيْتُه[(٤)].

وحدَّثنا ابنُ المثنى، قال: حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ، قال: حدَّثنا شعبةُ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عابسٍ، عن رجلٍ مِن أصحابِ عبدِ اللَّهِ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، قال: مَن قرَأ القرآنَ[(٥)] على حرفٍ فلا يَتَحَوَّلَنَّ منه إلى غيرِه[(٦)].

فمعلومٌ أن عبـدَ اللَّهِ لم يَعْنِ بقولِه هذا: مَن قرَأ ما فى القرآنِ مِن الأمرِ والنهيِ فلا يَتَحَوَّلَنَّ منه إلى قراءةِ ما فيه مِن الوعدِ والوَعيدِ، ومَن قرَأ ما فيه مِن الوعدِ والوَعيدِ

---

(١) فى ر، م، ت ١: «سالم». وينظر تهذيب الكمال ١١/ ٢١٨.

(٢) فى ص: «إلى القرأة»، وفى ر: «إلى القراءة»، وفى م: «القرّاء».

(٣) أخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ٢٠٧، ٢١٧، وابن أبى شيبة ١٠/٤٨٨ عن أبى معاوية به.
وأخرجه البيهقى ٢/٣٨٥ من طريق شعبة به. وسيأتى فى سورة يوسف، الآية ٢٣ من وجه آخر عن الأعمش.

(٤) رُوى من طرق عن ابن مسعود، وسيأتى تخريجه فى ص ٧٥.

(٥) زيادة من: م، ت ٢.

(٦) أخرجه أحمد وغيره من طريق شعبة به. وهو جزء من أثر مطول تقدم فى ص ٢٦.

فلا يَتَحَوَّلَنَّ منه إلى قراءةِ ما فيه مِن القَصَصِ والمَثَلِ . وإنما عنَى رحمةُ اللَّهِ عليه أن مَن قرَأ بحرفِه - وحرفُه قراءتُه ، وكذلك تقولُ العربُ لقراءةِ رجلٍ : حرفُ فلانٍ . وتقولُ للحرفِ مِن حروفِ الهجاءِ المُقَطَّعةِ : حرفٌ . كما تقولُ لقصيدةٍ مِن قصائدِ الشاعرِ : كلمةُ فلانٍ - فلا يَتَحَوَّلَنَّ عنه إلى غيرِه رغبةً عنه . ومَن قرَأ بحرفِ أُبيٍّ ، أو بحرفِ زيدٍ ، أو بحرفِ بعضِ مَن قرَأ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ببعضِ الأحرفِ السبعةِ - فلا يَتَحَوَّلَنَّ عنه إلى غيرِه رغبةً عنه ، فإن الكفرَ ببعضِه كفرٌ بجميعِه ، والكفرُ بحرفٍ مِن ذلك كفرٌ بجميعِه . يعنى بالحرفِ ما وصَفْنا مِن قراءةِ بعضِ مَن قرَأ ببعضِ الأحرفِ السبعةِ .

وقد **حدَّثنا** يحيى بنُ داودَ الواسطيُّ ، قال : حدَّثنا أبو أسامةَ ، عن الأعمشِ ، قال : قرَأ أنسٌ هذه الآيةَ : (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيلِ هِيَ أَشَدُّ وَطئًا وأَصْوَبُ قِيلًا) . فقال له بعضُ القومِ : يا أبا حمزةَ ، إنما هى ﴿ وَأَقْوَمُ ﴾ . فقال : « أقومُ » و « أصوبُ » و « أهْيَأُ »[1] واحدٌ .

وحدَّثنى محمدُ بنُ حُميدٍ الرازيُّ ، قال : حدَّثنا حَكَّامٌ ، عن عَنْبَسةَ ، عن ليثٍ ، عن مُجاهدٍ أنه كان يَقْرَأُ القرآنَ على خمسةِ أحرفٍ .

/**وحدَّثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا حَكَّامٌ ، عن عَنْبَسةَ ، عن سالمٍ ، أن سعيدَ بنَ جُبيرٍ كان يَقْرَأُ القرآنَ على حرفين . ٢٣/١

وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا جَريرٌ ، عن مُغيرةَ ، قال : كان يزيدُ بنُ الوليدِ يَقْرَأُ القرآنَ على ثلاثةِ أحْرُفٍ .

---

(١) فى م : « أهدى » ، وفى ت ٢: « أهنى » .

أفَتَرَى الزاعمَ أن تأويلَ قولِ النبيِّ ﷺ : « أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » . إنما هو أنه نزَل[١] على الأوجهِ السبعةِ التى ذكَرْنا ؛ مِن الأمرِ ، والنهيِ ، والوعدِ ، والوَعيدِ ، والجدَلِ ، والقَصَصِ ، والمَثَلِ - كان يَرَى أن مُجاهِدًا وسعيدَ بنَ جُبيرٍ لم يقرأا مِن القرآنِ إلا ما كان مِن وجهيه أو وجوهِه الخمسةِ دون سائرِ مَعانيه ؟ لئن كان ظنَّ ذلك بهما لقد ظنَّ بهما غيرَ الذى يُعْرفانِ به مِن منازِلِهما مِن القرآنِ ، ومعرفتِهما بآيِ الفُرْقانِ .

وحدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، قال : حدَّثنا أيوبُ ، عن محمدٍ ، قال : نُبِّئْتُ أن جبرائيلَ وميكائيلَ أتَيا النبيَّ ﷺ ، فقال له جبرائيلُ : اقْرَأ القرآنَ على حرفين . فقال له ميكائيلُ : اسْتَزِدْه . فقال : اقْرَأ القرآنَ على ثلاثةِ أحرفٍ . فقال له ميكائيلُ : اسْتَزِدْه . قال : حتى بلَغ سبعةَ أحرفٍ . قال محمدٌ : لا تَخْتَلِفُ فى حَلالٍ ولا حَرامٍ ، ولا أمرٍ ولا نَهْيٍ ، هو كقولك : تعالَ وهَلُمَّ وأَقْبِلْ . قال : وفى قراءتِنا ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ [يس : ٢٩] . وفى قراءةِ ابنِ مسعودٍ : (إن كانت إلا زَقْيَةً واحدةً)[٢] .

وحدَّثنى يعقوبُ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، قال : حدَّثنا شعيبٌ - يعنى ابنَ الحَبْحابِ - قال : كان أبو العاليةِ إذا قرَأ عندَه رجلٌ لم يَقُلْ : ليس كما تقْرَأُ . وإنما يقولُ : أما أنا فأَقْرَأُ كذا وكذا . قال : فذكَرْتُ ذلك لإبراهيمَ النَّخَعيِّ ، فقال : أُرَى

---

(١) فى ص ، ت ١ : « أنزل » .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٥٥ - تفسير) من طريق أيوب وهشام عن ابن سيرين إلى قوله : حتى بلغ سبعة أحرف . وأخرج باقيه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ عن ابن علية به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢٦٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

صاحبَك قد سمِع أنه مَن كفَر بحرفٍ منه فقد كفَر به كلِّه[(١)] .

حدَّثنا يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أنْبأنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثنا يونسُ ، عن ابنِ شِهابٍ ، قال : أخْبَرَنى سعيدُ بنُ المسيبِ أن الذى ذكَر اللَّهُ تعالى ذِكْرُه ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] . إنما افتتَن أنه كان يَكْتُبُ الوحىَ ، فكان يُملى[(٢)] عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ : سمِيعٌ عليمٌ ، أو عزيزٌ حكيمٌ ، أو غير ذلك مِن خواتمِ الآيِ ، ثم يَشْتَغِلُ عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو على الوحيِ ، فيَسْتَفْهِمُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فيقولُ : أعزيزٌ حكيمٌ ، أو سميعٌ عليمٌ ، أو عزيزٌ عليمٌ ؟ فيقولُ له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أىَّ ذلك كتَبْتَ فهو كذلك » . ففتَنه ذلك ، فقال : إنَّ محمدًا وكَل ذلك إلىَّ فأَكْتُبُ ما شئْتُ . وهو الذى ذكَر لى سعيدُ بنُ المسيبِ مِن الحروفِ السبعةِ .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا جريرٌ ، عن مُغيرةَ ، عن إبراهيمَ ، عن عبدِ اللَّهِ قال : مَن كفَر بحرفٍ مِن القرآنِ أو بآيةٍ منه فقد كفَر به كلِّه[(٣)] .

/**قال أبو جعفرٍ** : فإن قال لنا قائلٌ : فإذْ[(٤)] كان تأويلُ قولِ النبىِّ ﷺ : « أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » . عندَك ما وصَفْتَ ، بما عليه استَشْهَدْتَ ، فأَوْجِدْنا حرفًا فى كتابِ اللَّهِ مَقْرُوءًا بسبعِ لغاتٍ ، فنُحَقِّقَ بذلك قولَك ، وإلَّا ، فإن لم تَجِدْ ذلك كذلك ، كان معلومًا بِعَدَمِكَهُ صحّةُ قولِ مَن زعَم أن تأويلَ ذلك أنه نزَل بسبعةِ مَعانٍ ؛ وهو الأمرُ ، والنهىُ ، والوعدُ ، والوَعيدُ ، والجَدَلُ ، والقَصَصُ ، والمَثَلُ ، وفسادُ قولِك . أو تقولَ فى ذلك : إن الأحرفَ السبعةَ لغاتٌ فى القرآنِ سبعٌ ، مُتَفَرِّقةٌ ٢٤/١

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٧٤/١٨ من طريق ابن علية به .

وأخرجه ابن أبى شيبة ٥١٣/١٠ من طريق شعيب به . وينظر ما تقدم فى ص ٢٧ .

(٢) فى ص ، ت١ : « يُمِلّ » . وهما بمعنًى .

(٣) تقدم فى ص ٢٦ ، ٢٧ ضمن أثر طويل من طريق آخر عن ابن مسعود .

(٤) فى ص : « فإن » ، وفى م : « فإذا » .

فى جميعِه ، مِن لغاتِ أحياءِ مِن قبائلِ العربِ مُخْتلفةِ الألسنِ ، كما كان يقولُه بعضُ مَن لم يُنْعِمِ[(١)] النظرَ فى ذلك ، فيصيرُ بذلك إلى القولِ بما لا يَجْهَلُ فسادَه ذو عقلٍ ، ولا يَلْتَبِسُ خطَؤُه على ذى لُبٍّ ؛ وذلك أن الأخبارَ التى بها احْتَجَجْتَ لتصحيحِ مقالتِك فى تأويلِ قولِ النبىِّ ﷺ : « نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » . وهى الأخبارُ التى رَوَيْتَها[(٢)] عن عمرَ بنِ الخطابِ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، وأُبَىِّ بنِ كعبٍ ، رحمةُ اللَّهِ عليهم ، وعمَّن رَوَيْتَ ذلك عنه مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، بأنهم تَمارَوْا فى تلاوةِ بعضِ القرآنِ ، فاخْتَلَفوا فى قراءتِه دونَ تأويلِه ، وأنْكَر بعضٌ قراءةَ بعضٍ ، مع دعْوَى كلِّ قارئٍ منهم قراءةً منها أن رسولَ اللَّهِ [١/٧و] ﷺ أقْرَأه ما قرَأ بالصفةِ التى قرَأ ، ثم احْتَكموا[(٣)] إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكان مِن حكمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بينَهم أن صوَّب قراءةَ كلِّ قارئٍ منهم ، على خلافِها قراءةَ أصحابِه الذين نازعوه فيها ، وأمَر كلَّ امرئٍ منهم أن يَقْرَأَ كما عُلِّم ، حتى خالَط قلبَ بعضِهم الشكُّ فى الإسلامِ ؛ لما رأَى مِن تَصْويبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قراءةَ كلِّ قارئٍ منهم على اختلافِها ، ثم جَلاه اللَّهُ عنه ببيانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ له أن القرآنَ أُنْزِل على سبعةِ أحرفٍ .

فإن كانت الأحرفُ السبعةُ التى نزَل بها القرآنُ عندَك - كما قال هذا القائلُ - مُتَفَرِّقةً فى القرآنِ ، مُثْبَتةً اليومَ فى مَصاحفِ أهلِ الإسلامِ ، فقد بطَلَت معانى الأخبارِ التى رَوَيْتَها عمَّن رويتَ[(٤)] عنه مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أنهم اخْتَلَفوا فى قراءةِ سورةٍ مِن القرآنِ ، فاخْتَصَموا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأمَر كلًّا أن يَقْرَأَ كما عُلِّم ؛ لأن

---

(١) فى م : « يمعن » ، وفى ت ٢: « يعن » .

(٢) فى ت٢ : « روينها » .

(٣) فى ص ، ت ١: « اختلفوا » .

(٤) فى م ، ت ١: « رويتها » .

الأحرفَ السبعةَ إذا كانت لغاتٍ متفرقةً فى جميعِ القرآنِ ، فغيرُ مُوجِبٍ حرفٌ مِن ذلك اختلافًا بينَ تاليه ؛ لأن كلَّ تالٍ فإنما يَتْلُو ذلك الحرفَ تِلاوةً واحدةً ، على ما هو به فى المصحفِ ، وعلى ما أُنْزِل .

وإذ كان ذلك كذلك ، بطَل وجهُ اختلافِ الذين رُوِى عنهم[1] أنهم اخْتَلَفوا فى قراءةِ سورةٍ ، وفسَد معنى أمرِ النبىِّ ﷺ كلَّ قارئٍ منهم أن يَقْرَأَه على ما عُلِّم ؛ إذ كان لا معنى هنالك يُوجِبُ اخْتِلافًا فى لفظٍ ، ولا افتراقًا فى معنًى ، وكيف يَجوزُ أن يكونَ هنالك اختلافٌ بينَ القومِ ، والمُعَلِّمُ واحدٌ ، والعلمُ واحدٌ غيرُ ذى أوجهٍ ؟ وفى صحةِ الخبرِ عن الذين رُوِى عنهم الاختلافُ فى حروفِ القرآنِ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بأنهم اخْتَلفوا وتَحاكموا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فى ذلك ، على ما تقَدَّم وَصْفُناه - أبينُ الدَّلالةِ على فسادِ القولِ بأن الأحرفَ السبعةَ إنما هى/ أحرفٌ سبعةٌ متفرقةٌ فى سورِ القرآنِ ، لا أنها لغاتٌ مختلفةٌ فى كلمةٍ واحدةٍ باتفاقِ المعانى . ٢٥/١

مع أن المُتَدَبِّرَ إذا تدَبَّر قولَ هذا القائلِ ، فى تأويلِه قولَ النبىِّ ﷺ : « أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » . وادعائِه أن معنى ذلك أنها سبعُ لغاتٍ متفرقةٍ فى جميعِ القرآنِ ، ثم جمَع بينَ قِيله ذلك واعتلالِه لقِيله ذلك بالأخبارِ التى رُوِيَت عمَّن رُوِى ذلك عنه مِن الصحابةِ والتابعِين أنه قال : هو بمنزلةِ قولِك : تعالَ وهلمَّ وأقبلْ . وأن بعضَهم قال : هو بمنزلةِ قراءةِ عبدِ اللَّهِ : (إلا زَقيَةً) . وهى فى قراءتِنا : ﴿إِلَّا صَيْحَةً﴾ . وما أشبه ذلك من حُجَجِه - علِم أن حججَه مُفْسِدةٌ فى ذلك مقالتَه ، وأن مقالتَه فيه مُضادَّةٌ حُجَجَه ؛ لأن الذى نزَل به القرآنُ عندَه إحدى القراءتين : إمَّا ﴿صَيْحَةً﴾[2] ، وإمَّا (زقية) ، وإما « تعالَ » ، أو « أقبلْ » ، أو « هَلُمّ » ، لا جميعُ

(١) فى م : « منهم » .

(٢) فى م : « صحيحة » .

ذلك ؛ لأن كلَّ لغةٍ مِن اللغاتِ السبعِ عندَه فى كلمةٍ أو حرفٍ مِن القرآنِ ، غيرُ الكلمةِ أو الحرفِ الذى فيه اللغةُ الأخرى .

وإذ كان ذلك كذلك ، بَطل اعتلالُه لقولِه بقولِ مَن قال : ذلك بمنزلةِ « هلُمَّ » ، و « تعالَ » ، و « أقبلْ » ؛ لأن هذه الكلماتِ هى ألفاظٌ مختلفةٌ يَجْمَعُها فى التأويلِ معنًى واحدٌ . وقد أبْطَل قائلُ هذا القولِ الذى حكَيْنا قولَه اجتماعَ اللغاتِ السبعِ فى حرفٍ واحدٍ مِن القرآنِ ، فقد تبيَّنَ بذلك إفسادُه[(١)] حجتَه لقولِه بقولِه ، وإفسادُه[(١)] قولَه بحجتِه .

فقيل له : ليس القولُ فى ذلك بواحدٍ مِن الوجهين اللذين وصَفْتَ ، بل الأحرفُ السبعةُ التى أَنْزَل اللَّهُ بها القرآنَ هن لغاتٌ سبعٌ ، فى حرفٍ واحدٍ وكلمةٍ واحدةٍ ، باختلافِ الألفاظِ واتفاقِ المعانى ، كقولِ القائلِ : « هلم » ، و « تَعالَ » و « أقْبِل » ، و « إلىَّ » ، و « قَصْدى » ، و « نحْوِى » ، و « قُرْبى » ، ونحوِ ذلك مما تَخْتَلِفُ فيه الألفاظُ بضُروبٍ مِن المَنْطِقِ ، وتتَّفِقُ فيه المعانى ، وإن اختلفتْ بالبيانِ به الألسنُ ، كالذى رَوَينا آنفًا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وعمّن رَوَيْنا ذلك عنه مِن الصحابةِ ، أن ذلك بمنزلةِ قولِه[(٢)] : « هلم » ، و « تعال » ، و « أقبل » . وقولِه : ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً ﴾ ، و (إلا زَقْيَةً) .

فإن قال : ففى أىِّ كتابِ اللَّهِ نَجِدُ حرفًا واحدًا مَقْروءًا بلغاتٍ سبعٍ مختلفاتِ الألفاظِ مُتَّفِقاتِ المعنى ، فنُسَلِّمَ لك صحةَ ما ادَّعَيْتَ مِن التأويلِ فى ذلك ؟

قيل : إنا لم نَدَّعِ أن ذلك موجودٌ اليومَ ، وإنما أخْبرْنا أن معنى قولِ النبىِّ ﷺ : « أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » . على نحوِ ما جاءت به الأخبارُ التى تقدَّم

(١) فى ص ، ت ١ : « إفساد » .

(٢) فى م : « قولك » ، وفى ت ١ : « قولهم » .

ذِكْرُناها، وهو ما وصَفْنا، دون ما ادَّعاه مُخالِفونا فى ذلك، للعللِ التى قد بيَّنَّا.

فإن قال[(١)]: فما بالُ الأحرفِ الأُخَرِ الستةِ غيرُ موجودةٍ، إن كان الأمرُ فى ذلك على ما وصَفْتَ، وقد أقْرَأَهن رسولُ اللَّهِ ﷺ أصحابَه، وأمَر بالقراءةِ بهن، وأنْزَلَهن اللَّهُ مِن عندِه على نبيِّه ﷺ، أنُسِخَت فرُفِعَت، فما الدَّلالةُ على نَسْخِها ورَفْعِها؟ أمْ نسِيَتْهن الأمةُ؟ فذلك تَضْييعُ ما قد أُمِروا بحفظِه، أم ما القصةُ فى ذلك؟

قيل له: لم تُنْسَخْ فتُرْفَعَ، ولا ضيَّعَتْها الأمَّةُ وهى مأمورةٌ بحفظِها، ولكنَّ الأمَّةَ أُمِرَت بحفظِ القرآنِ، وخُيِّرَت فى قراءتِه وحفظِه بأىِّ تلك الأحرفِ السبعةِ شاءَت، كما أُمِرَت إذا هى حنَثَتْ فى يمينٍ وهى مُوسِرةٌ، أن تُكَفِّرَ بأىِّ الكفَّاراتِ الثلاثِ شاءت؛ إما بعتقٍ، أو إطعامٍ، أو كِسوةٍ، فلو أجْمَعَ جميعُها على /التكفيرِ فيها[(٢)] ٢٦/١ بواحدةٍ مِن الكفاراتِ الثلاثِ، دونَ حَظْرِها التكفيرَ فيها[(٣)] بأىِّ الثلاثِ شاء المُكَفِّرُ، كانت مُصيبةً حُكْمَ اللَّهِ، مُؤَدِّيةً فى ذلك الواجبَ عليها مِن حقِّ اللَّهِ. فكذلك الأمةُ أُمِرَت بحفظِ القرآنِ وقراءتِه، وخُيِّرَت فى قراءتِه بأىِّ الأحرفِ السبعةِ شاءت، فرأَتْ لعلةٍ مِن العللِ أوْجَبَت عليها الثباتَ على حرفٍ وا قراءتَه بحرفٍ واحدٍ، [٧/١ظ] ورفْضَ القراءةِ بالأحرفِ الستةِ الباقيةِ، ولم تَحْظُرْ قراءتَه بجميعِ حروفِه على قارئِه، بما أُذِن له فى قراءتِه به.

فإن قال: وما العلةُ التى أوْجَبَت عليها الثباتَ على حرفٍ واحدٍ دونَ سائرِ الأحرفِ الستةِ الباقيةِ؟

---

(١) بعده فى ر: «قائل».

(٢) زيادة من: ر.

(٣) سقط من: ص، وفى ت ١: «بها».

قيل : **حدَّثنا** أحمدُ بنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ الدَّرَاوَرْديُّ ، عن عُمارةَ بنِ غَزِيَّةَ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن خارجةَ بنِ زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن أبيه زيدٍ ، قال : لما قُتِل أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ باليَمامةِ ، دخَل عمرُ بنُ الخطَّابِ علَى أبي بكرٍ ، فقال : إن أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ باليمامةِ تَهافَتوا تَهافُتَ الفَراشِ فى النارِ ، وإنى أَخْشَى ألا يَشْهَدوا موطنًا إلا فعَلوا ذلك حتى يُقْتَلوا - وهم حملةُ القرآنِ - فيَضِيعَ القرآنُ ويُنْسَى ، فلو جَمَعْتَه وكَتَبْتَه . فنفَر منها أبو بكرٍ ، وقال : أَفْعَلُ ما لم يَفْعَلْ رسولُ اللَّهِ ﷺ ! فتَراجَعا فى ذلك ، ثم أرْسَل أبو بكرٍ إلى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال زيدٌ : فدخَلْتُ عليه ، وعمرُ مُحْزَئِلٌّ[1] ، فقال أبو بكرٍ : إن هذا قد دعانى إلى أمرٍ فأَبَيْتُ عليه ، وأنت كاتبُ الوحيِ ، فإن تَكُنْ معه اتَّبَعْتُكما ، وإن تُوافِقْنى لا أَفْعَلْ . قال : فاقْتَصَّ أبو بكرٍ قولَ عمرَ ، وعمرُ ساكتٌ ، فنفَرْتُ مِن ذلك ، وقلتُ : نَفْعَلُ ما لم يَفْعَلْ رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ إلى أن قال عمرُ كلمةً : وما عليكما لو فعَلْتُما ذلك ؟ قال : فذهَبْنا نَنْظُرُ ، فقلْنا : لا شىءَ ، واللَّهِ ما علينا فى ذلك شىءٌ . قال زيدٌ : فأمَرَنى أبو بكرٍ فكتَبْتُه فى قِطَعِ الأُدُمِ وكِسَرِ الأكْتافِ والعُسُبِ[2] ، فلما هلَك أبو بكرٍ ، وكان عمرُ ، كتَب ذلك فى صحيفةٍ واحدةٍ ، فكانت عندَه ، فلما هلَك كانت الصحيفةُ عندَ حفصةَ زوجِ النبىِّ ﷺ ، ثم إن حذيفةَ بنَ اليمانِ قدِم مِن غزوةٍ كان غزاها فى فرجِ[3] إرْمِينِيَةَ ، فلم يَدْخُلْ بيتَه حتى أتَى عثمانَ بنَ عفانَ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ،

---

(١) محزئل : أى منضم بعضه إلى بعض ، وقيل : مستوفز . النهاية ١/ ٣٧٩.

(٢) الأُدُم ، جمع أديم : وهو الجلد المدبوغ . والأكتاف ، جمع كتف : وهو عظم عريض خلف المنكب . والعُسُب ، جمع عسيب : وهو جريدة النخل المستقيمة يكشف خوصها .

(٣) فى ص : « مرج » ، والفرج : الثغر المخوف .

وإرمينية جمهورية صغيرة من جمهوريات ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى ، وتقع على حدود تركيا وإيران . ينظر : البلدان الإسلامية والأقليات الإسلامية فى العالم المعاصر ص ٥٧٧ .

أدْرِكِ الناسَ . فقال عثمانُ ، وما ذاك ؟ قال : غزَوْتُ فرجَ إرْمِينِيَةَ ، فحضَرها أهلُ العراقِ وأهلُ الشام ، فإذا أهلُ الشامِ يَقْرَءون بقراءةِ أُبيٍّ بنِ كعبٍ ، فيأْتُون بما لم يَسْمَعْ أهلُ العراقِ ، فيُكَفِّرُهم أهلُ العراقِ ، وإذا أهلُ العراقِ يَقْرَءون بقراءةِ ابنِ مسعودٍ ، فيأْتُون بما لم يَسْمَعْ أهلُ الشامِ ، فيُكَفِّرُهم أهلُ الشامِ . قال زيدٌ : فأمَرَنى عثمانُ بنُ عفانَ[1] أكْتُبُ له مصحفًا . وقال : إنى مُدْخِلٌ معك رجلًا لَبِيبًا فَصيحًا ، فما اجْتَمَعْتُما عليه فاكْتُباه ، وما اخْتَلَفْتُما فيه فارْفَعاه إلىَّ . فجعَل[2] أبانَ بنَ سعيدِ بنِ العاصِ . قال : فلما بلغا : ﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ ﴾ [البقرة : ٢٤٨] . قال زيدٌ : فقلتُ : (التابوه) . وقال أبانُ بنُ سعيدٍ : ﴿ ٱلتَّابُوتُ ﴾ . فرفَعْنا ذلك إلى عثمانَ فكتَب : ﴿ ٱلتَّابُوتُ ﴾ . قال : فلما فرَغْتُ عرَضْتُه[3] معه عَرْضةً ، فلم أَجِدْ فيه[4] هذه الآيةَ : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ / مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] . قال : فاسْتَعْرَضْتُ المهاجرين أَسْأَلُهم عنها ، فلم أَجِدْها عندَ أحدٍ منهم ، ثم اسْتَعْرَضْتُ الأنصارَ أَسْأَلُهم عنها ، فلم أَجِدْها عندَ أحدٍ منهم ، حتى وجَدْتُها عندَ خُزَيْمةَ بنِ ثابتٍ ، فكتَبْتُها ، ثم عَرَضْتُه عَرْضَةً أخرى ، فلم أَجِدْ فيه هاتين الآيتَيْن : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ إلى آخرِ السورةِ . [التوبة : ١٢٨، ١٢٩] فاسْتَعْرَضْتُ المهاجِرين ، فلم أَجِدْها عند أحدٍ منهم ، (٥ثم اسْتَعْرَضْتُ الأنْصارَ أَسْأَلُهم عنها ، فلم أَجِدْها عندَ أحدٍ منهم ٥) ، حتى وجَدْتُها مع رجلٍ آخرَ يُدْعَى خزيمةَ أيضًا ، فأثْبَتُّها فى آخرِ « براءة » ، ولو تَمَّتْ ثلاثَ آياتٍ لجعَلْتُها سورةً على حِدَةٍ ، ثم

٢٧/١

---

(١) بعده فى ت ١: « أن » .

(٢) زيادة من : م .

(٣) فى ص ، ت ١، ت ٢: « عرضت » .

(٤) بعده فى ر : « إلا » .

(٥ - ٥) سقط من : ر .

عرَضْتُه عَرْضةً أخرى فلم أَجِدْ فيه شيئًا ، ثم أرْسَل عثمانُ إلى حفصةَ يَسْأَلُها أن تُعْطِيَه الصَّحيفةَ ، وحلَف لها لَيَرُدَّنَّها إليها ، فأعْطَتْه إياها ، فعرَض المصحفَ عليها ، فلم يَخْتَلِفا فى شىءٍ ، فردَّها إليها ، وطابت نفسُه ، وأَمَر الناسَ أن يَكْتُبوا مَصاحفَ ، فلما ماتت حفصةُ أرْسَل إلى عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ فى الصَّحيفةِ بعَزْمةٍ ، فأعطاهم إياها ، فغُسِلَت غَسْلًا[(١)] .

وحدَّثنى [(٢)]به أيضًا[(٢)] يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : حدَّثنا نُعَيْمُ بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ ، عن عُمارةَ بنِ غَزِيَّةَ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن خارجةَ بنِ زيدٍ ، عن أبيه زيدِ بنِ ثابتٍ ، بنحوِه سواءً[(٣)] .

وحدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، قال : حدَّثنا أيوبُ ، عن أبى قِلابَةَ ، قال : لما كان فى خِلافةِ عثمانَ ، جعَل المُعَلِّمُ يُعَلِّمُ قراءةَ الرجلِ ، والمُعَلِّمُ يُعَلِّمُ قراءةَ الرجلِ ، فجعَل الغِلْمانُ يَلْتَقون فيَخْتَلِفون ، حتى ارْتَفَع ذلك إلى المُعَلِّمِين ، قال أيوبُ : فلا أَعْلَمُه إلا قال : حتى كفَر بعضُهم بقراءةِ بعضٍ . فبلَغ ذلك عثمانَ ،

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٤٨٤٤) ، والخطيب فى المدرج ١/ ٣٩٧ من طريق الدراوردى به .

وأخرجه البخارى (٤٩٨٦ - ٤٩٨٨) من طريق ابن شهاب ، عن عبيد بن السباق ، عن زيد بقصته مع أبى بكر وعمر ، وعن أنس بقصة حذيفة مع عثمان ، وعن خارجة بن زيد بقصة فقد الآية من سورة الأحزاب .

وقال الحافظ : هذا هو الصحيح عن الزهرى .... وأغرب عمارة بن غزية فرواه عن الزهرى فقال : عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه . وساق القصص الثلاث بطولها ؛ قصة زيد مع أبى بكر وعمر ، ثم قصة حذيفة مع عثمان أيضا ، ثم قصة فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب ، أخرجه الطبرى ، وبين الخطيب فى المدرج أن ذلك وهم منه وأنه أدرج بعض الأسانيد على بعض . ينظر المدرج ١/ ٣٩٩، ٤٠٠، والفتح ٩/ ١١، ١٢، ومسند الطيالسى (٦٠٩) .

(٢ - ٢) فى ص : « أيضا » ، وفى م : « به » .

(٣) أخرجه الطحاوى فى المشكل (٣١١٨) عن يونس به .

فقام خطيبًا ، فقال : أنتم عندى تَخْتَلِفون فيه وتَلْحَنون ، فمَن نأَى[(١)] عنى مِن أهلِ الأمصارِ أشدُّ فيه اخْتِلافًا ، وأشدُّ لَحْنًا ، اجْتَمِعوا [(٢)] يا أصحابَ [(٢)] محمدٍ ، فاكْتُبوا للناسِ إمامًا . قال أبو قِلابةَ : فحدَّثنى [(٣)] مالكُ أبو أنسٍ [(٣)] ، قال : كنتُ فى مَن يُمْلَى عليهم ، قال : فربما اخْتَلَفوا فى الآيةِ ، فيَذْكُرون الرجلَ قد تَلَقَّاها مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولعله أن يكونَ غائبًا ، أو فى بعضِ البَوادِى ، فيَكْتُبون ما قبلَها وما بعدَها ، ويَدَعُون موضعَها حتى يَجِئَ أو يُرْسَلَ إليه ، فلما فرَغ مِن المصحفِ ، كتَب عثمانُ إلى أهلِ الأمصارِ : إنى قد صنَعْتُ كذا وكذا ، ومحَوْتُ ما عندى ، فامْحُوا ما عندَكم[(٤)] .

حدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : حدَّثنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخْبَرنى يونُسُ ، قال : قال ابنُ شهابٍ : أخْبَرنى أنسُ بنُ مالكٍ الأنصاريُّ ، أنه اجْتَمَع لغزوةِ أَذْرَبِيجانَ وإرْمِينِيَةَ أهلُ الشامِ وأهلُ العراقِ ، فتَذاكَروا القرآنَ ، فاخْتَلَفوا فيه حتى كاد يَكونُ بينَهم فتنةٌ ، فركِب حذيفةُ بنُ اليَمانِ لمَّا رأَى اختلافَهم فى القرآنِ إلى عثمانَ ، فقال : إن الناسَ قد اخْتَلَفوا فى القرآنِ[(٥)] ، حتى إنى واللَّهِ لأَخْشَى أن يُصِيبَهم مثلُ ما أصاب اليهودَ والنصارى مِن الاختلافِ . قال : ففزِع لذلك فزعًا شديدًا ، فأرْسَل إلى حفصةَ ،

---

(١) فى ر : « غاب » .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « بأصحاب » .

(٣ - ٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « أنس بن مالك » . وفى المصاحف لابن أبى داود - وعنه الكنز (٤٧٧٦) - : « مالك بن أنس - قال أبو بكر بن أبى داود : هذا مالك بن أنس جد مالك بن أنس » . والصواب ما أثبتنا كما فى « ر » . وهو مالك بن أبى عامر الأصبحى - وهكذا ذكره الحافظ فى الفتح ١٩/٩ عن ابن أبى داود - كان ممن قرأ فى زمان عثمان ، وكان يكتِّبه المصاحف . ينظر المصاحف ص ٢٦ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ وتهذيب الكمال ١٤٨/٢٧ .

(٤) أخرجه ابن أبى داود فى المصاحف ص ٢١ من طريق ابن علية به . وعزاه المتقى الهندى فى الكنز (٤٧٧٦) إلى ابن الأنبارى . وينظر المتفق والمفترق للخطيب ١/ ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٥) فى ت ٢ : « القراءة » .

فاسْتَخْرَج الصحفَ[(١)] التى كان أبو بكرٍ أمَر زيدًا بجمعِها ، فنسَخ منها مَصاحفَ ، فبعَث بها إلى الآفاقِ[(٢)] .

٢٨/١ /حدَّثنى سعيدُ بنُ الربيعِ ، قال : حدَّثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ ، عن الزهريِّ ، قال : قُبِض النبيُّ ﷺ ولم يَكُنِ القرآنُ جُمِع ، وإنما كان فى الكَرانيفِ[(٣)] [(٤)] والعُسُبِ والسَّعَفِ[(٤)] .

حدَّثنا سعيدُ بنُ الربيعِ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن مُجالِدٍ ، عن الشعبيِّ ، عن صَعْصَعةَ ، أن أبا بكرٍ أولُ مَن ورَّث الكَلالةَ ، وجَمَع المصحفَ[(٥)] .

وما أشبهَ ذلك [١/٨و] مِن الأخبارِ التى يَطولُ باستيعابِ جميعِها الكتابُ ، والآثارِ الدالةِ على أن إمامَ المسلمين وأميرَ المؤمنين عثمانَ بنَ عفانَ رحمةُ اللَّهِ عليه ، جَمَع المسلمين ؛ نظرًا منه لهم ، وإشْفاقًا منه عليهم ، ورأفةً منه بهم ، حِذارَ الرِّدَّةِ[(٦)] مِن بعضِهم بعدَ الإسلامِ ، و[(٧)] الدخولِ فى الكفرِ بعدَ الإيمانِ ، إذ ظهَر مِن بعضِهم بمحضَرِه وفى عصرِه التكذيبُ ببعضِ الأحرفِ السبعةِ التى نزَل عليها القرآنُ ، مع سَماعِ أصحابِ رسولِ اللَّه ﷺ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ النهىَ عن التكذيبِ بشىءٍ منها ، وإخبارِه إياهم أن المِـراء فيها كفرٌ ، فحمَلهم رحمةُ اللَّهِ عليه ، إذ رأَى ذلك ظاهرًا بينَهم فى عصرِه ، وبحَداثةِ عهدِهم بنزولِ القرآنِ ، وفِراقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ

---

(١) فى ص ، وكتاب المصاحف ص ٢١: « الصحيفة » ، وفى ت ١: « المصحف » .

(٢) أخرجه ابن أبى داود فى المصاحف ص ١٨، ٢١ من طريق الزهرى به .

(٣) الكرانيف : جمع كُرنافة ، وهى أصل السعفة الغليظة . النهاية ٤/ ١٦٨.

(٤ - ٤) فى ص ، ت ١: « والسعف » ، وفى م : « والعسب » ، وفى ت ٢: « والشعف » .

والأثر أخرجه ابن أبى داود فى المصاحف ص٢٣ من طريق الزهرى به نحوه .

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة ١٠/٥٤٥ من طريق سفيان به .

(٦) بعده فى م بين معكوفين : « بمحضره » .

(٧) سقط من : م .

إياهم، بما أمِن عليهم معه عظيمَ البلاءِ في الدينِ؛ مِن تلاوةِ القرآنِ على حرفٍ واحدٍ، وجَمَعهم على مصحفٍ واحدٍ[(١)]، وخرَّق[(٢)] ما عدا المصحفَ الذى جَمَعهم عليه، وعزَم على كلِّ مَن كان عندَه مصحفٌ مُخالِفٌ المصحفَ الذى جَمَعَهم عليه أن يُخرِّقَه[(٣)]، فاسْتَوْثَقَت له الأمةُ على ذلك بالطاعةِ، ورأَت أن فيما فعَل مِن ذلك الرشدَ والهدايةَ، فترَكَت القراءةَ بالأحرفِ الستةِ التى عزَم عليها إمامُها العادلُ فى تركِها، طاعةً منها له، ونظرًا منها لأنفسِها ولمن بعدَها مِن سائرِ أهلِ ملَّتِها، حتى دَرَسَت مِن الأمةِ معرفتُها، وتعَفَّت آثارُها، فلا سبيلَ اليومَ لأحدٍ إلى القراءةِ بها، لدُثورِها وعُفُوِّ آثارِها، وتتابعِ المسلمين على رفضِ القراءةِ بها، مِن غيرِ جُحودٍ منها[(٤)] صحتَها وصحةَ شىءٍ منها، ولكن نظرًا منها لأنفسِها ولسائرِ أهلِ دينِها، فلا قراءةَ للمسلمين اليومَ إلا بالحرفِ الواحدِ الذى اخْتارَه لهم إمامُهم الشفيقُ الناصحُ، دونَ ما عداه مِن الأحرفِ الستةِ الباقيةِ.

فإن قال بعضُ مَن ضعُفَت معرفتُه: وكيف جاز لهم تركُ قراءةٍ أقْرَأَهموها رسولُ اللَّهِ ﷺ وأمَرهم بقراءتِها؟

قيل: إن أمرَه إياهم بذلك لم يَكُنْ أمرَ إيجابٍ وفرضٍ، وإنما كان أمرَ إباحةٍ ورُخْصةٍ؛ لأن القراءةَ بها لو كانت فرضًا عليهم، لَوجَب أن يكونَ العلمُ[(٥)] بكلِّ حرفٍ مِن تلك الأحرفِ السبعةِ عندَ مَن يَقومُ بنقلِه الحُجَّةُ، ويَقْطَعُ خبرُه العذرَ،

---

(١) بعده فى ص، م: «وحرف واحد».

(٢) فى ر، م، ت ١: «حرق».

(٣) فى ر، م، ت ١: «يحرقه». قال الحافظ فى الفتح ٩/ ٢٠: فى رواية الأكثر: «أن يخرق» بالخاء المعجمة، وللمروزى بالمهملة، ورواه الأصيلى بالوجهين، والمعجمة أثبت.

(٤) فى ص، ر، ت ١: «منهم». ومنها: أى من الأمة.

(٥) بعده فى ت ١: «بذلك».

ويُزِيلُ الشكَّ مِن قَرَأَةِ الأمةِ ، وفى تركِهم نقلَ ذلك كذلك أوضحُ الدليلِ على أنهم كانوا فى القراءةِ بها مُخَيَّرين ، بعدَ[1] أن يكونَ فى نَقَلةِ القرآنِ مِن الأمَّةِ مَن تَجِبُ بنقلِه الحجةُ ببعضِ تلك الأحرفِ السبعةِ ، فإذ[2] كان ذلك كذلك ، لم يَكُنِ القومُ بتركِهم نقلَ جميعِ القراءاتِ السبعِ تاركِين ما كان عليهم نقلُه ، بل كان الواجبُ عليهم مِن الفعلِ ما فعَلوا ، إذ كان الذى / فعَلوا مِن ذلك ، كان هو النَّظَرَ للإسلامِ وأهلِه ، فكان القيامُ بفعلِ الواجبِ عليهم بهم أولى مِن فعلِ ما لو فعَلوه كانوا إلى الجنايةِ على الإسلامِ وأهلِه أقربَ منهم إلى السلامةِ مِن ذلك . ١/٢٩

فأما ما كان مِن اختلافِ القرأةِ فى رفعِ حرفٍ وجرِّه ونصبِه ، وتَسْكِينِ حرفٍ وتحريكِه ، ونقلِ حرفٍ إلى آخرَ ، مع اتفاقِ الصورةِ ، فمِن معنى قولِ النبىِّ ﷺ : « أُمِرْتُ أن أَقْرَأَ الْقُرْآنَ على سَبْعَةِ أحْرُفٍ » - بمَعْزِلٍ ؛ لأنه معلومٌ أنه لا حرفَ مِن حروفِ القرآنِ مما اخْتَلَفَت القرأَةُ فى قراءتِه بهذا المعنى يُوجِبُ المِراءُ به كفرَ المُمارِى به فى قولِ أحدٍ مِن علماءِ الأمةِ[3] .

وقد أَوْجَب ﷺ بالمراءِ فيه الكفرَ مِن الوجهِ الذى تَنازَع فيه المُتَنــازِعون إليه ، وتَظاهَرَت عنه بذلك الروايةُ ، على ما قد قدَّمْنا ذكرَها فى أولِ هذا البابِ[4] .

---

(١) فى ت ١: « بين » .

(٢) فى م : « فإذا » .

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : والنزاع فى أن القراءات السبعة المنسوبة إلى نافع وعاصم وغيرهما هل هى حرف من الحروف السبعة أم لا ؟ فالذى عليه جمهور العلماء من السلف والأئمة أنها حرف من الحروف السبعة ، وهو متضمن للعرضة الآخرة التى عرضها النبى ﷺ على جبريل ، والأحاديث والآثار المشهورة المستفيضة تدل على هذا القول . مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٩٥.

(٤) فى ت ٢: « الكتاب » .

فإن قال لنا قائلٌ : فهل لك مِن علمٍ بالألسنِ السبعةِ التى نزَل بها القرآنُ ؟ وأىٌّ الألسنِ هى مِن ألسنِ العربِ ؟

قلْنا : أما الألسنُ الستةُ التى قد نزَلَت القراءةُ بها فلا حاجةَ بنا إلى معرفتِها ؛ لأنا لو عرَفْناها لم نَقْرَأ اليومَ بها ، مع الأسبابِ التى قدَّمْنا ذكرَها . وقد قيل : إن خمسةً منها لعَجُزِ هَوازنَ ، واثنين منها لقريشٍ وخُزاعةَ .

رُوِى جميعُ ذلك عن ابنِ عباسٍ ، وليست الروايةُ به[1] عنه مِن روايةِ مَن يَجوزُ الاحتجاجُ بنقلِه ، وذلك أن الذى روَى عنه أن خمسةً منها مِن لسانِ العَجُزِ مِن هَوازنَ ، الكلبىُّ[2] عن أبى صالحٍ[3] ، وأن الذى روَى عنه أن اللسانين الآخرَيْن لسانُ قريشٍ وخزاعةَ ، قتادةُ ، وقتادةُ لم يَلْقَهُ ولم يَسْمَعْ منه .

حدَّثنى بذلك بعضُ أصحابِنا ، قال : حدَّثنا صالحُ بنُ نصرٍ الخُزاعىُّ ، قال : حدَّثنا الهيثمُ بنُ عدىٍّ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَروبةَ ، عن قتادةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : نزَل القرآنُ بلسانِ قريشٍ ولسانِ خُزاعةَ ، وذلك أن الدارَ واحدةٌ[4] .

وحدَّثنى بعضُ أصحابِنا ، قال : حدَّثنا صالحُ بنُ نصرٍ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ، عن قتادةَ ، عن أبى الأسودِ الدُّئلىِّ ، قال : نزَل القرآنُ بلسانِ الكعبَيْن ؛ كعبِ بنِ عمرٍو ، وكعبِ بنِ لُؤَىٍّ . فقال خالدُ بنُ سلَمةَ لسعدِ بنِ إبراهيمَ : ألا تَعْجَبُ مِن هذا

---

(١) سقط من : م ، ت ٢.

(٢) فى ت ٢: « الكلام » .

(٣) ذكره أبو عبيد فى فضائل القرآن ص٢٠٤ عن الكلبى به .

(٤) ذكره أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ٢٠٤ ، قال : وكذلك يحدثون عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عمن سمع ابن عباس .

الأعْمَى[(١)] ، يَزْعُمُ أن القرآنَ نزَل بلسانِ الكعبَيْن ، وإنما نزَل بلسانِ قريشٍ[(٢)] .

قال أبو جعفرٍ : والعَجُزُ مِن هَوازِنَ ؛ سعدُ بنُ بكرٍ ، وجُشَمُ[(٣)] بنُ بكرٍ ، ونصرُ بنُ معاويةَ ، وثَقيفٌ .

وأما معنى قولِ النبيِّ ﷺ إذ ذكَر نزولَ القرآنِ على سبعةِ أحرفٍ : « إن كلَّها شافٍ كافٍ » . فإنه كما قال جل ثناؤُه في وصفِه القرآنَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٥٧] . جعَله اللَّهُ للمؤمنين شفاءً ، يَستَشْفُون بمواعظِه مِن الأدواءِ العارضةِ لصدورِهم ، مِن وَساوسِ الشيطانِ وخَطَراتِه[(٤)] ، فيَكْفِيهم ويُغْنِيهم عن كلِّ ما عداه مِن المواعظِ ببيانِ آياتِه .

٣٠/١ **/ القولُ في البيانِ عن معنى قولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « أُنزِلَ القُرآنُ مِن سبعةِ أبوابِ الجنَّةِ » . وذكرُ الأخبارِ المرويةِ[(٥)] بذلك .**

[١/٨ظ] **قال أبو جعفرٍ** : اختَلَفَت النَّقَلَةُ في ألفاظِ الخبرِ بذلك عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فرُوِى عن ابنِ مسعودٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « كان الكِتابُ الأوَّلُ نَزَل مِن بَابٍ واحِدٍ ، وعلى حَرْفٍ واحِدٍ ، ونَزَل القُرآنُ مِن سبعةِ أبوابٍ ، وعلى سبعةِ أحْرُفٍ ؛ [(٦)] زَاجِرٌ ، وآمِرٌ[(٦)] ، وحَلالٌ ، وحَرامٌ ، ومُحْكَمٌ ، ومُتَشابِهٌ ، وأمْثالٌ ، فأحِلُّوا حلالَه ، وحَرِّمُوا حرامَه ، وافْعَلُوا ما أُمِرْتُم به ، وانْتَهُوا عما نُهِيتُم عنه ، واعْتَبِرُوا بأمْثالِه

---

(١) في ت ١ : « الأعجمى » .

(٢) قتادة لم يدرك أبا الأسود . وينظر تاريخ بغداد ١٧٣/٥ .

(٣) في م : « خيثم » . وينظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٠٤ ، والتمهيد ٨/ ٢٨٠ .

(٤) في ص ، ت ١ : « خطواته » .

(٥) في ص ، ت ١ : « الواردة » .

(٦ - ٦) في م : « زجر وأمر » .

واعْمَلُوا بمُحْكَمِه ، وآمِنُوا بمُتَشابهِه ، وقُولُوا : آمَنَّا به كلٌّ من عندِ رَبِّنا » .

حدَّثنى بذلك يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخْبَرَنى حَيْوَةُ بنُ شُرَيْحٍ ، عن عُقَيْلِ بنِ خالدٍ ، عن سَلَمَةَ بنِ أبى سَلَمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ مسعودٍ ، عن النبىِّ ﷺ[1] .

ورُوِى عن أبى قِلابةَ ، عن النبىِّ ﷺ مرسلًا غيرُ ذلك .

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشّارٍ ، قال : حدَّثنا عَبّادُ بنُ زكريا ، عن عوفٍ ، عن أبى قِلابةَ ، قال : بلَغَنى أن النبىَّ ﷺ قال : « أُنزِلَ القُرْآنُ على سبعةِ أَحْرُفٍ ؛ أمْرٌ ، وزَجْرٌ ، وتَرْغِيبٌ ، وتَرْهِيبٌ ، وجَدَلٌ ، وقَصَصٌ ، ومَثَلٌ »[2] .

ورُوِى عن أُبىٍّ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى ذلك ما **حدَّثنى** به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن عبدِ[3] اللَّهِ بنِ عيسى بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن أُبىِّ بنِ كعبٍ ، قال : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ أَمَرَنى أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ على حَرْفٍ واحِدٍ ، فقُلْتُ : رَبِّ ، خَفِّفْ عن أُمَّتى . قال : اقْرَأْه على حَرْفَيْن . فقُلْتُ : رَبِّ ، خَفِّفْ عن أُمَّتى . فأمَرَنى أن أَقْرَأَه على سبعةِ أَحْرُفٍ ، من سَبْعَةِ أبْوابٍ من الجَنَّةِ ، كلُّها شافٍ كافٍ »[4] .

---

(١) إسناده منقطع ؛ أبو سلمة لم يلق ابن مسعود . وأخرجه ابن حبان (٧٤٥) ، والحاكم ١/ ٥٥٣، ٢/ ٢٨٩، وابن عبد البر فى التمهيد ٢٧٥/٨ من طريق ابن وهب به . وأخرجه الطحاوى فى المشكل (٣١٠٢) من طريق حيوة بن شريح به .

وهذا الحديث ضعفه الطحاوى وابن عبد البر وغيرهما . ورُوى موقوفا على ابن مسعود - كما سيأتى - وقال ابن كثير : هو أشبه . وينظر فضائل القرآن ص ٦٦ ، والفتح ٢٩/٩ ، والسلسلة الصحيحة (٥٨٧) .

(٢) عزاه المتقى الهندى فى الكنز (٣٠٩٦) إلى المصنف .

(٣) فى م : « عبيد » . وتقدم على الصواب فى ص ٣٢، وينظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤١٢.

(٤) تقدم فى ص ٣٣.

ورُوِى عن ابنِ مسعودٍ مِن قِيلِه[١] خلافُ ذلك كلِّه ، وهو ما **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا المُحارِبىُّ ، عن الأحوصِ[٢] بنِ حَكيمٍ ، عن ضَمْرةَ بنِ حَبيبٍ ، عن القاسمِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : إن اللَّهَ أنْزَل القرآنَ على خمسةِ أحرُفٍ ؛ حلالٌ ، وحرامٌ ، ومُحْكَمٌ ، ومُتَشابِهٌ ، وأمثالٌ ، فأحِلَّ الحلالَ ، وحَرِّمِ الحَرامَ ، واعْمَلْ بالـمُحْكَمِ ، وآمِنْ بالمتشابهِ ، واعْتَبِرْ بالأمثالِ[٣] .

وكلُّ هذه الأخبارِ التى ذكَرْناها عن رسولِ اللَّهِ ﷺ مُتَقارِبةُ المعانى ؛ لأن قولَ القائلِ : / فلانٌ مُقيمٌ على بابٍ مِن أبوابِ هذا الأمرِ ، وفلانٌ مقيمٌ على وَجْهٍ مِن وجوهِ هذا الأمرِ ، وفلانٌ مقيمٌ على حرفٍ مِن هذا الأمرِ . سواءٌ ، ألا تَرَى أن اللَّهَ تعالى ذكرُه وَصف قومًا[٤] عبَدوه على وجهٍ مِن وجوهِ العباداتِ ، فأخْبَر عنهم أنهم عبَدوه على حرفٍ فقال : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾ [الحج : ١١] . يعْنى أنهم عبَدوه على وجهِ الشكِّ ، لا على اليقينِ به[٥] والتسليمِ لأمرِه .

٣١/١

فكذلك روايةُ مَن روَى عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « نَزَل القُرآنُ مِن سَبعةِ أَبْوابٍ » و « نَزَل على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » . سَواءٌ معناهما مُؤْتَلِفٌ ، وتأويلُهما غيرُ مختلفٍ فى هذا الوجهِ .

ومعنى ذلك كلِّه الخبرُ منه ﷺ عما خصَّه اللَّهُ به وأمتَه مِن الفضيلةِ والكرامةِ

---

(١) فى م : « قبله » .

(٢) فى ر : « أبى الأحوص » . وينظر تهذيب الكمال ٢/ ٢٨٩.

(٣) أخرجه ابن الضريس فى فضائل القرآن (١٢٩) من طريق ابن إدريس عن الأحوص ، عن القاسم به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٦ إلى ابن المنذر . والقاسم لم يدرك ابن مسعود .

(٤) بعده فى ص ، ت ١: « أنهم » .

(٥) سقط من : ص ، م ، ت ١.

التى لم يُؤْتِها أحدًا فى تنزيلِه ؛ وذلك أن كلَّ كتابٍ تقَدَّم كتابَنا نزولُه على نبىٍّ مِن أنبياءِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهم ، فإنما نزَل بلسانٍ واحدٍ ، متى حُوِّل إلى غيرِ اللسانِ الذى نزَل به كان ذلك له ترجمةً[1] وتفسيرًا ، لا تلاوةً له على ما أنْزَله اللَّهُ ، وأنْزَل كتابَنا بألسنٍ سبعةٍ ، بأىِّ تلك الألسنِ السبعةِ تلاه التالى كان له تاليًا على ما أنْزَله اللَّهُ لا مُتَرْجِمًا ولا مُفَسِّرًا ، حتى يُحَوِّلَه عن تلك الألسنِ السبعةِ إلى غيرِها ، فيصيرَ فاعلُ ذلك حينَئذٍ - إذا أصاب معناه - له مترجِمًا ، كما كان التالى بعضَ[2] الكتبِ التى أنْزَلها اللَّهُ بلسانٍ واحدٍ ، إذا تلاه بغيرِ اللسانِ الذى نزَل به ، له مترجِمًا ، لا تاليًا على ما أنْزَله اللَّهُ به .

فذلك معنى قولِ النبىِّ ﷺ : « كان الكِتابُ الأوَّلُ نَزَل على حَرْفٍ واحِدٍ ، ونَزَل القُرآنُ على سبعةِ أحْرُفٍ » .

وأما معنى قولِه ﷺ : « إنَّ الكِتابَ الأوَّلَ نَزَل مِن بابٍ واحِدٍ ، ونَزَل القُرآنُ مِن سبعةِ أبْوابٍ » . فإنه ﷺ عنَى بقولِه : « نَزَل الكِتابُ الأوَّلُ مِن بابٍ واحِدٍ » - واللَّهُ أعلمُ - ما نزَل مِن كتبِ اللَّهِ على مَن أنْزَله مِن أنبيائِه ، خاليًا مِن الحدودِ والأحكامِ والحلالِ والحرامِ ، كزَبورِ داودَ ، الذى إنما هو تذكيرٌ ومَواعظُ ، وإنجيلُ عيسى ، الذى هو تَمْجيدٌ ومَحامدُ وحضٌّ على الصَّفْحِ والإعْراضِ ، دونَ غيرِها مِن الأحكامِ والشرائعِ ، وما أشْبَهَ ذلك مِن الكتبِ التى نزَلت ببعضِ المعانى السبعةِ التى يَحْوِى جميعَها كتابُنا الذى خصَّ اللَّهُ به نبيَّنا محمدًا ﷺ وأمَّتَه .

فلم يكنِ المتعبِّدون بإقامتِه يَجِدون لرِضَا اللَّهِ تعالى ذِكرُه مَطْلَبًا ينالُون به الجنةَ ،

---

(١) الترجمة هنا : البيان .

(٢) فى ص ، م : « لبعض » .

ويستوْجِبون به[(١)] منه القُرْبَةَ ، إلا مِن الوجهِ الواحدِ الذى أُنْزِل به كتابُهم ، وذلك هو البابُ الواحدُ مِن أبوابِ الجنةِ الذى نزَل منه ذلك الكتابُ . وخصَّ اللَّهُ جلَّ وعزَّ نبيَّنا محمدًا ﷺ وأمَّتَه بأن أَنْزَل عليهم كتابَه على أوجهٍ سبعةٍ مِن الوجوهِ التى يَنالُون بها رِضْوانَ اللَّهِ ، ويُدْرِكون بها الفوزَ بالجنةِ إذا أقاموها ، فكلٌّ[(٢)] وجهٍ مِن أوجُهِه السبعةِ بابٌ مِن أبوابِ الجنةِ الذى نزَل منه القرآنُ ؛ لأن العاملَ بكلِّ وجهٍ مِن أوجُهِه[(٣)] السبعةِ عاملٌ على[(٤)] بابٍ مِن أبوابِ الجنةِ ، وطالبٌ مِن قِبَلِه الفوزَ بها ، فالعملُ بما أمَر اللَّهُ جلَّ ذكرُه فى كتابِه بابٌ مِن أبوابِ الجنةِ ، وتركُ ما نهَى اللَّهُ عنه فيه بابٌ آخرُ ثانٍ مِن أبوابِها ، وتحليلُ ما حَلَّل اللَّهُ فيه بابٌ ثالثٌ مِن أبوابِها ، وتحريمُ ما حرَّم اللَّهُ فيه بابٌ رابعٌ مِن أبوابِها ، والإيمانُ بمُحْكَمِه المُبَيَّنِ بابٌ خامسٌ مِن أبوابِها ، والتسليمُ لمُتَشابِهِه الذى اسْتَأْثَر اللَّهُ بعلمِه وحجَب علمَه عن خلقِه ، والإقرارُ بأن كلَّ/ ذلك مِن عندِ ربِّه ، بابٌ سادسٌ مِن [١/٩و] أبوابِها ، والاعتبارُ بأمثالِه والاتعاظُ بعِظاتِه بابٌ سابعٌ مِن أبوابِها . ٣٢/١

فجميعُ ما فى القرآنِ مِن حروفِه السبعةِ وأبوابِه السبعةِ التى نزَل منها ، جعَله اللَّهُ لعبادِه إلى رِضوانِه هاديًا ، ولهم إلى الجنةِ قائدًا ، فذلك معنى قولِه ﷺ : « نزَل القُرآنُ مِن سبعةِ أبوَابٍ من[(٥)] الْجَنَّةِ » .

وأما قولُه ﷺ فى القرآنِ : « إنَّ لكُلِّ حَرْفٍ منه حَدًّا »[(٦)] . يعنى الكلِّ وجهٍ مِن

(١) سقط من : ص ، م .
(٢) فى م : « فلكل » .
(٣) فى ر ، ت ١ : « أوجهها » .
(٤) فى ص ، م ، ت ١ : « فى » .
(٥) سقط من : ص ، م .
(٦) تقدم فى ص ٢٢ .

أوجُهِه السبعةِ حدًّا حدَّه اللَّهُ جلَّ ثناؤُه ، لا يَجوزُ لأحدٍ أن يَتَجاوَزَه .

وقولُه ﷺ : « وإنَّ لكُلِّ حَرْفٍ منها ظَهْرًا وبَطْنًا » . فظهرُه الظاهرُ فى التلاوةِ ، وبطنُه ما بطَن مِن تأويلِه .

وقوله ﷺ : « وإنَّ لكُلِّ حَدٍّ من ذلك مُطَّلَعًا » . فإنه يعنى أن لكلِّ حدٍّ مِن حدودِ اللَّهِ التى حدَّها فيه ، مِن حلالٍ وحرامٍ وسائرِ شرائعِه ، مِقْدارًا مِن ثوابِ اللَّهِ وعقابِه يُعايِنُه فى الآخرةِ ، ويَطَّلِعُ عليه ، ويُلاقِيه فى القيامةِ ، كما قال عمرُ بنُ الخطابِ رضِى اللَّهُ عنه : لو أن لى ما فى الأرضِ مِن صفراءَ وبيضاءَ لافْتَدَيْتُ به مِن هولِ المُطَّلَعِ[1] . يعْنى بذلك ما يَطَّلِعُ عليه ويهجُمُ عليه مِن أمرِ اللَّهِ بعد وفاتِه .

القولُ فى الوجوهِ التى مِن قِبَلِها يُوصَلُ إلى معرفةِ تأويلِ القرآنِ

قال أبو جعفرٍ : قد قلنا فى الدَّلالةِ على أن القرآنَ كلَّه عربىٌّ ، وأنه نزَل بألسنِ بعضِ العربِ دون ألسنِ جميعِها ، وأن قراءةَ المسلمين اليومَ ، ومَصاحفَهم التى هى بينَ أظهرِهم ، ببعضِ الألسنِ التى نزَل بها القرآنُ دون جميعِها . وقلنا فى البيانِ عما يَحْويه القرآنُ مِن النورِ والبُرْهانِ ، والحِكْمةِ والتِّبيانِ[2] ، التى أوْدَعها اللَّهُ إياه ، مِن أمرِه ونهيِه ، وحلالِه وحرامِه ، ووعدِه ووَعيدِه ، ومُحْكمِه ومُتَشابهِه ، ولطائفِ حُكْمِه - ما فيه الكفايةُ لِمَن وُفِّق لفهمِه .

ونحن قائلون فى البيانِ عن وجوهِ مطالبِ تأويلِه :

قال اللَّهُ جل ثناؤُه وتقدَّسَت أسماؤُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] . وقال أيضا

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٢٧٣١) ، وعنه ابن حبان (٦٩٠٥) . وينظر طبقات ابن سعد ٣/٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٢) فى م : « البيان » .

له[١] جل ذكره: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]. وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ / مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]. ٣٣/١

فقد تبيَّن ببيانِ اللَّهِ جل ذكرُه أن مما أنْزَل اللَّهُ مِن القرآنِ على نبيِّه ﷺ ما لا يُوصَلُ إلى علمِ تأويلِه إلا ببيانِ الرسولِ ﷺ، وذلك تأويلُ جميعِ ما فيه مِن وجوهِ أمرِه، واجبِه ونَدْبِه وإرشادِه، وصنوفِ نهيه، ووظائفِ حقوقِه، وحدودِه، ومبالغِ فرائضِه، ومقاديرِ اللازمِ بعضَ خَلْقِه لبعضٍ، وما أشبه ذلك مِن أحكامِ آيِهِ التي لم يُدْرَكْ علمُها إلا ببيانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ لأُمَّتِه. وهذا وجهٌ له لا يجوزُ لأحدٍ القولُ فيه إلا ببيانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ [٢]له تأويلَه[٢]، بنصٍّ منه عليه، أو بدَلالةٍ قد نصبَها دالَّةٍ أُمَّتَه على تأويلِه.

وأن منه ما لا يَعْلَمُ تأويلَه إلا اللَّهُ الواحدُ القَهَّارُ، وذلك ما فيه مِن الخبرِ عن آجالٍ حادثةٍ، وأوقاتٍ آتيةٍ؛ كوقتِ قيامِ الساعةِ، والنَّفْخِ في الصُّورِ، ونُزولِ عيسى ابنِ مريمَ، وما أشْبَهَ ذلك، فإن تلك أوقاتٌ لا يَعْلَمُ أحدٌ حدودَها، ولا يَعْرِفُ أحدٌ مِن تأويلِها إلا [٣]بالخبرِ عن أشراطِها[٣]، لاسْتِئْثارِ اللَّهِ بعلمِ ذلك على خلقِه.

---

(١) سقط من: م، ت ٢.

(٢ - ٢) في م، ت ١: «بتأويله»، وفي ت ٢: «لتأويله».

(٣ - ٣) في ص: «الخبر عن أشراطها»، وفي م، ت ١: «الخبر بأشراطها»، وفي ت ٢: «الخبر عن اشتراطها».

وبذلك[(١)] أنزَل ربُّنا[(٢)] مُحْكَمَ كتابِه، فقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وكان نبيُّنا محمدٌ ﷺ إذا ذكَر شيئًا مِن ذلك لم يَدُلَّ عليه إلا بأشراطِه، دونَ تحديدِه بوقتِه[(٣)]، كالذى رُوِى عنه ﷺ أنه قال لأصحابِه إذ ذكَر الدجالَ: «إن يَخْرُجْ وأنا فِيكم، فأنا حَجِيجُه، وإن يَخْرُجْ بَعْدِى، فاللَّهُ خَلِيفَتِى عليكم»[(٤)]. وما أشْبَهَ ذلك مِن الأخبارِ التى يَطولُ باستيعابِها الكتابُ، الدالةِ على أنه ﷺ لم يكنْ عندَه علمُ أوقاتِ شىءٍ منه بمقاديرِ السنينَ والأيامِ، وأن اللَّهَ جل ثناؤُه إنما كان عرَّفه مجيئَه بأشراطِه، ووقْتَه بأدلتِه[(٥)].

وأن منه ما يَعْلَمُ تأويلَه كلُّ ذى علمٍ باللسانِ الذى نزَل به القرآنُ، وذلك إقامةُ إعرابِه، ومعرفةُ المُسَمَّياتِ بأسمائِها اللازمةِ غيرِ المُشْتَرَكِ فيها، والموصوفاتِ بصفاتِها الخاصةِ دون ما سواها، فإن ذلك لا يَجْهَلُه أحدٌ منهم، وذلك كسامعٍ منهم لو سمِع تاليًا يَتْلُو: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١، ١٢]. لم يَجْهَلْ أن معنى الإفسادِ هو ما يَنْبَغِى تركُه مما هو مضَرَّةٌ، وأن الإصلاحَ هو ما يَنْبَغِى فِعْلُه مما فعلُه منفعةٌ، وإن جَهِل المعانىَ التى جعَلها اللَّهُ إفسادًا، والمعانىَ التى جعَلها اللَّهُ إصْلاحًا، فالذى يَعْلَمُه ذو اللسانِ الذى بلسانِه نزَل القرآنُ، مِن/تأويلِ القرآنِ، هو ما ٣٤/١

(١) فى م، ت٢: «كذلك».

(٢) بعده فى م: «فى».

(٣) فى م: «بوقت».

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان نحوه.

(٥) بعده فى ت ١: «وأزمنة».

وصفتُ مِن معرفةِ أعيانِ المُسَمَّياتِ بأسمائِها اللازمةِ غيرِ المشترَكِ فيها ، والموصوفاتِ بصفاتِها الخاصةِ ، دونَ الواجبِ مِن أحكامِها وصفاتِها وهيئاتِها التى خصّ اللَّهُ بعلمِها نبيَّه ﷺ ، فلا يُدْرَكُ علمُه إلا ببيانِه ، دونَ ما استأْثر اللَّهُ بعلمِه دونَ خلقِه . وبمثلِ ما قلنا فى[1] ذلك رُوِى الخبرُ عن ابنِ عباسٍ .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشَّارٍ ، قال : حدَّثنا مُؤَمَّلٌ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن أبى الزنادِ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : التفسيرُ على أربعةِ أوجهٍ ؛ وجهٌ تَعْرِفُه [١/٩ظ] العربُ مِن كلامِها ، وتفسيرٌ لا يُعْذَرُ أحدٌ بجَهالتِه ، وتفسيرٌ يَعْلَمُه العلماءُ ، وتَفْسيرٌ لا يَعْلَمُه إلا اللَّهُ[2] .

قال أبو جعفرٍ : وهذا الوجهُ الرابعُ الذى ذكَره ابنُ عباسٍ مِن أن أحدًا لا يُعْذَرُ بجَهالتِه ، معنًى غيرُ الإبانةِ عن وجوهِ مَطالبِ تأويلِه ، وإنما هو خبرٌ عن أن مِن تأويلِه ما لا يَجوزُ لأحدٍ الجهلُ به . وقد رُوِى بنحوِ ما قلْنا فى ذلك أيضًا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ خبرٌ فى إسنادِه نظرٌ .

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى الصَّدَفِىُّ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : سمِعْتُ عمرَو بنَ الحارثِ يُحَدِّثُ عن الكلبىِّ ، عن أبى صالحٍ مولى أمِّ هانئٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أُنْزِل القُرآنُ على أربعَةِ أحْرُفٍ ؛ حَلَالٌ وحَرَامٌ لا يُعْذَرُ أحَدٌ بِالجَهالَةِ به ، وتَفْسِيرٌ تُفَسِّرُه العَرَبُ ، وتَفْسِيرٌ تُفَسِّرُه العُلَماءُ ، ومُتَشَابِهٌ لا يَعْلَمُه إلَّا اللَّهُ ، وَمَن ادَّعَى عِلْمَه سِوَى اللَّهِ فهو كاذِبٌ »[3] .

---

(١) فى ر ، م ، ت ٢ : « من » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٨ عن المصنف . وأبو الزناد لم يدرك ابن عباس .

(٣) إسناده ضعيف جدا . ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٨ عن المصنف . وأخرجه ابن المنذر - كما فى الدر المنثور ٢/ ٧ - من طريق الكلبى به ، موقوفا .

ذكرُ بعضِ الأَخبارِ التي رُوِيَت بالنهيِ عن القولِ في تأْويلِ القرآنِ بالرأْيِ

حدَّثنا يحيى بنُ طَلحةَ اليَرْبوعيُّ ، قال : حدَّثنا شَريكٌ ، عن عبدِ الأعلى ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن النبيَّ ﷺ قال : « مَن قال في القُرآنِ برَأْيِه ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِن النَّارِ »(١) .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، قال : حدَّثنا عبدُ الأعلى - هو ابنُ عامرٍ الثَّعْلبيُّ - عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « مَن قال في القُرآنِ بِرأْيِه - أو بما لا يَعْلَمُ - فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِن النّارِ »(٢) .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ بشرٍ وقَبيصةُ ، عن سفيانَ ، عن عبدِ الأعلى ، قال : حدَّثنا سعيدُ بنُ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن قال في القُرآنِ بغَيْرِ عِلْمٍ ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِن النّارِ »(٣) .

---

(١) إسناده ضعيف ؛ لضعف عبد الأعلى . وأخرجه أحمد ١٢٢/٥، ١٥٥ (٢٠٦٩، ٢٩٧٤، ٣٠٢٤)، وأبو داود - في رواية ابن العبد ، كما في التحفة ٤٢٣/٤- والترمذي (٢٩٥١)، وأبو يعلى (٢٥٨٥)، والطحاوي في المشكل (٣٩٢) والبغوي في شرح السنة (١١٧) من طرق عن عبد الأعلى به . وينظر تهذيب التهذيب ٦/ ٩٥، والسلسلة الضعيفة (١٧٨٣) .

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٠٨٥) عن محمد بن بشار به .

وأخرجه البيهقي في الشعب (٢٢٧٦) من طريق يحيى بن سعيد به .

وأخرجه أحمد ٤٩٦/٣ ، ٢٥٠/٤ (٢٠٦٩، ٢٤٢٩)، والترمذي (٢٩٥٠)، والنسائي في الكبرى (٨٠٨٤)، والطحاوي في المشكل (٣٩٣)، والطبراني في الكبير (١٢٣٩٢)، والبغوي في شرح السنة (١١٨) من طرق عن سفيان الثوري به . وينظر مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٥١٢.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٠٨٤) من طريق محمد بن بشر به .

وأخرجه البيهقي في الشعب (٢٢٧٥)، والبغوي في شرح السنة (١١٩) من طريق قبيصة به .

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا الحكَمُ بنُ بَشيرٍ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ قيسٍ المُلائىُّ ، عن عبدِ الأعلى ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : من قال فى القرآنِ برأيِه ، فلْيَتَبَوَّأْ مقعدَه مِن النارِ .

١/٣٥ / **حدَّثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا جَريرٌ ، عن ليثٍ ، عن بكرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : مَن تكلَّم فى القرآنِ برأيِه ، فلْيَتَبَوَّأْ مقعدَه مِن النارِ .

حدَّثنى أبو السائبِ سلْمُ[(١)] بنُ جُنادةَ السُّوَائىُّ ، قال : حدَّثنا حفصُ بنُ غِياثٍ ، عن الحسنِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ ، عن إبراهيمَ ، عن أبى مَعْمَرٍ[(٢)] ، قال : قال أبو بكرٍ الصديقُ : أىُّ أرضٍ تُقِلُّنى ، وأىُّ سماءٍ تُظِلُّنى ، إذا قلتُ فى القرآنِ ما لا أعْلَمُ[(٣)] ! .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنَّى ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ، عن شعبةَ ، عن سليمانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُرَّةَ ، عن أبى مَعْمَرٍ ، قال : قال أبو بكرٍ الصديقُ : أىُّ أرضٍ تُقِلُّنى ، وأىُّ سماءٍ تُظِلُّنى ، إذا قلتُ فى [(٤)]كتابِ اللَّهِ عزّ وجلّ[(٤)] برأيى . أو : بما لا أعْلَمُ[(٥)] !

قال أبو جعفرٍ : وهذه الأخبارُ شاهدةٌ لنا على صحةِ ما قلنا ؛ مِن أن ما كان مِن تأويلِ[(٦)] القرآنِ الذى لا يُدْرَكُ عِلْمُه إلا بنصِّ بيانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أو بنَصْبِه الدَّلالةَ عليه ، فغيرُ جائزٍ لأحدٍ القِيلُ فيه برأيِه ، بل القائلُ فى ذلك برأيِه ، وإن أصاب عينَ[(٧)]

---

(١) فى م : « سالم » .

(٢) فى ت ١ : « أيوب » .

(٣) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم (١٥٦١) من طريق حفص به . وينظر سنن سعيد بن منصور (٣٩ - تفسير) ، وتفسير ابن كثير تحقيق أبى إسحاق الحوينى ١٢٦/١ ، والفتح ٢٧١/١٣ .

(٤ - ٤) فى م : « القرآن » .

(٥) أخرجه مسدد فى مسنده - كما فى المطالب العالية (٣٨٨٣) - من طريق شعبة به .

(٦) بعده فى ص ، م ، ت ١ : « آى » .

(٧) زيادة من : ر ، ت ١ .

الحقِّ فيه ، فمُخْطِئٌ فى[١] فِعلِه بقِيلِه[٢] فيه برأيِه ، ولأن إصابتَه ليست إصابةَ مُوقِنٍ أنه مُحِقٌّ ، وإنما هو إصابةُ خارصٍ وظانٍّ ، والقائلُ فى دينِ اللَّهِ بالظنِّ قائلٌ على اللَّهِ ما لا يَعْلَمُ ، وقد حرَّم اللَّهُ جل ثناؤُه ذلك فى كتابِه على عبادِه فقال : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] . فالقائلُ[٣] فى تأويلِ كتابِ اللَّهِ الذى لا يُدْرَكُ علمُه إلا ببيانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، الذى جعَل اللَّهُ إليه بيانَه - قائلٌ ما[٤] لا يَعْلَمُ ، وإن وافَق قيلُه ذلك فى تأويلِه ما أراد اللَّهُ به مِن معناه ؛ لأن القائلَ فيه بغيرِ علمٍ قائلٌ على اللَّهِ ما لا عِلْمَ له به .

وهذا هو معنى الخبرِ الذى حدَّثنا به العباسُ بنُ عبدِ العظيمِ العَنْبَرِىُّ ، قال : حدَّثنا حَبَّانُ بنُ هلالٍ ، قال : حدَّثنا سُهَيْلٌ أخو[٥] حزمٍ ، قال : حدَّثنا أبو عِمرانَ الجَوْنِىُّ[٦] ، عن جُنْدُبٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَن قَالَ فى القُرآنِ بِرَأْيِه فأصابَ ، فقد أَخْطَأَ »[٧] .

---

(١) فى م : « فيما كان من » .

(٢) فى ص ، ت ٢: « فقيله » .

(٣) فى ت ١: « والقائل » .

(٤) فى ص ، ر ، م ، ت ٢: « بما » .

(٥) فى م : « بن أبى » . وهو سهيل أخو حزم ابن أبى حزم . ينظر تهذيب الكمال ١٢/ ٢١٧.

(٦) فى م : « الجوينى » . وينظر تهذيب الكمال ١٨/ ٢٩٧.

(٧) إسناده ضعيف ؛ لضعف سهيل . وأخرجه الترمذى (٢٩٥٢) ، والبغوى فى شرح السنة (١٢٠) من طريق حبان بن هلال به . وأخرجه أبو داود (٣٦٥٢) ، والنسائى فى الكبرى (٨٠٨٦) ، وأبو يعلى (١٥٢٠) ، والطبرانى فى الكبير (١٦٧٢) ، وفى الأوسط (٥١٠١) ، وابن عدى ٣/ ١٢٨٨، والبيهقى فى الشعب (٢٢٧٧) من طريق سهيل به .

قال أبو جعفرٍ : يعنى ﷺ أنه أخْطَأَ فى فعلِه ، بقيلِه فيه برأيِه ، وإن وافق قيلُه ذلك عينَ الصوابِ عندَ اللَّهِ ؛ لأن قيلَه فيه برأيِه ليس بقيلِ عالمٍ (١)أن الذى(١) قال فيه مِن قولٍ حقٌّ وصوابٌ ، فهو قائلٌ على اللَّهِ ما لا يَعْلَمُ ، آثمٌ بفعلِه ما قد نُهِى عنه وحُظِر عليه .

ذكرُ بعضِ الأخبارِ التى رُوِيَت فى الحضِّ على العلمِ بتفسيرِ القرآنِ ، ومَن كان يُفَسِّرُه مِن الصحابةِ

حدَّثنا محمدُ بنُ عليٍّ بنِ الحسنِ بنِ شَقيقٍ المَرْوزيُّ ، قال : سمِعْتُ أبى يقولُ : حدَّثنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، قال : حدَّثنا الأعمشُ ، عن شَقيقٍ ، عن ابنِ مسعودٍ ، قال : كان الرجلُ منا إذا تعَلَّم عشْرَ آياتٍ لم يُجاوِزْهن حتى يَعْرِفَ مَعانِيَهن والعملَ بهن[٢] .

٣٦/١ / حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا جريرٌ ، عن عطاءٍ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ ، قال : حدَّثنا الذين كانوا يُقْرِئُوننا أنهم كانوا يَسْتَقْرِئُون مِن النبىِّ ﷺ ، فكانوا إذا تعَلَّموا عشْرَ آياتٍ لم يُخَلِّفوها حتى يَعْمَلوا (٣)بما فيها(٣) مِن العملِ ، فتعَلَّمنا القرآنَ والعملَ جميعًا[٤] .

(١ - ١) فى ر : « بأن الذى » ، وفى ت ١ : « بالذى » .

(٢) سيأتى تصحيح المصنف له فى ص ٨٣ .

(٣ - ٣) فى ت ٢ : « ما فيه » .

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٦٠٢٧) ، وابن سعد ٦/ ١٧٢، وابن أبى شيبة ١٠/ ٤٦٠، وأحمد ٥/ ٤١٠ (الميمنية) من طريق عطاء بن السائب به .

وأخرجه الحاكم ١/ ٥٥٧، والبيهقى فى الشعب (١٩٥٣، ١٩٥٤) من طريق شريك ، عن عطاء ، عن أبى عبد الرحمن ، عن ابن مسعود . وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

وحدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا جابرُ بنُ نُوحٍ ، قال : حدَّثنا الأعمشُ ، عن مُسْلمٍ ، عن مَسْروقٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ : والذى لا إلهَ غيرُه ، ما نزَلَت آيةٌ فى كتابِ اللَّهِ إلا وأنا أعْلَمُ فيمَ[1] نزَلَت ، وأين نزَلَت[2] ، ولو أعْلَمُ مكانَ أحدٍ أعْلَمَ بكتابِ اللَّهِ منى تَنالُه المَطايا لأتَيْتُه[3] .

وحدَّثنا يحيى بنُ إبراهيمَ المَسْعوديُّ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن الأعمشِ ، [4]عن مسلمٍ[4] ، عن مسروقٍ ، قال : كان عبدُ اللَّهِ يَقْرَأُ علينا السورةَ ، ثم يُحَدِّثُنا فيها ويُفَسِّرُها عامَّةَ النهارِ .

حدَّثنى [١/١٠و] أبو السائبِ سَلْمُ[5] بنُ جُنادةَ ، قال : حدَّثنا أبو مُعاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن شَقيقٍ ، قال : اسْتَعْمَل علىٌّ ابنَ عباسٍ على الحجِّ . قال : فخطَب الناسَ خُطبةً لو سمِعها التركُ والرومُ لأسْلَموا ، ثم قرَأ عليهم سورةَ النورِ ، فجعَل يُفَسِّرُها[6] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهدىٍّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن أبى وائلٍ شَقيقِ بنِ سَلَمةَ ، قال : قرَأ ابنُ عباسٍ سورةَ البقرةِ ، فجعَل يُفَسِّرُها ، فقال رجلٌ : لو سمِعَت هذا الدَّيْلَمُ لأَسْلَمَت[7] .

---

(١) فى ت ١، والبخارى : « فى من » .

(٢) بعده فى م : « وأين أنزلت » .

(٣) أخرجه البخارى (٥٠٠٢) ، ومسلم (٢٤٦٣) من طريق الأعمش به بنحوه . وينظر ما تقدم فى ص ٤٦ .

(٤ - ٤) سقط من : ت ١.

(٥) فى م : « سالم » .

(٦) أخرجه أبو العباس السراج - كما فى الإصابة ١٤٩/٤ - ومن طريقه الحاكم ٥٣٧/٣ من طريق أبى معاوية به .

(٧) أخرجه الفسوى فى تاريخه ٤٩٥/١ من طريق سفيان به . و فيه أنه قرأ سورة النور .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ[1] يمانٍ ، عن أشعثَ بنِ إسحاقَ ، عن جعفرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، قال : مَن قرَأَ القرآنَ ثم لم يُفَسِّرْه ، كان كالأعْجَمِيِّ[2] أو : كالأعْرابيِّ .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال: ذكَر أبو بكرِ بنُ عياشٍ الأعمشَ ، قال : قال أبو وائلٍ : ولِى ابنُ عباسٍ الموسمَ ، فخطَبهم فقرَأ على المِنْبرِ سورةَ النورِ ، واللَّهِ لو سمِعها التركُ لأسْلَموا . فقيل له : حَدِّثْنا[3] به عن عاصمٍ . فسكَت[4] .

وحدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ إدريسَ ، قال : سمِعْتُ الأعمشَ ، عن شَقيقٍ ، قال : شهِدْتُ ابنَ عباسٍ وولِى الموسمَ ، فقرَأ سورةَ النورِ على المنبرِ ، وفسَّرها ، لو سمِعَت الرومُ لأسْلَمَت .

قال أبو جعفرٍ : وفى حثِّ[5] اللَّهِ عزّ وجلّ عبادَه على الاعتبارِ بما فى آيِ القرآنِ مِن المواعظِ والبيناتِ[6] - بقولِه جلّ ذكرُه لنبيِّه ﷺ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩] . وقولِه : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨] . وما أشْبَهَ ذلك مِن آيِ القرآنِ التى أمَر اللَّهُ عبادَه وحثَّهم فيها على الاعتبارِ بأمثالِ آيِ القرآنِ والاتِّعاظِ بمواعظِه - ما يَدُلُّ على أن عليهم معرفةَ

---

(١) فى م : « أبو » . وهو أبو زكريا يحيى بن يمان . ينظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٥٥.

(٢) فى ص ، ر ، م : « كالأعمى » .

(٣) فى ت ١: « حدثتنا » .

(٤) ينظر الإصابة ٤/ ١٤٩.

(٥) فى ت ٢: « حثيث » .

(٦) فى م ، ت ٢: « التبيان » .

تأويلِ ما لم يُحْجَبْ عنهم تأويلُه مِن آيِه[(١)] ؛ لأنه مُحالٌ أن يُقالَ لمن لا يَفْهَمُ ما يُقالُ له ، ولا يَعْقِلُ تأويلَه : اعْتَبِرْ بما لا فهمَ لك به ولا معرفةَ مِن القيلِ والبيانِ[(٢)] والكلامِ[(٢)] . إلا على معنى الأمرِ بأن يَفْهَمَه ويَفْقَهَه ، ثم يَتَدَبَّرَه ويَعْتَبِرَ به .

١/٣٧ /فأما قبلَ[(٣)] ذلك فمستحيلٌ أمرُه بتدبرِه ، وهو بمعناه جاهلٌ ، كما مُحالٌ أن يُقالَ لبعضِ أصنافِ الأممِ الذين لا يَعْقِلون كلامَ العربِ ولا يَفْهَمونه[(٤)] ، لو أُنْشِدَ[(٥)] قصيدةَ شعرٍ مِن أشعارِ بعضِ العربِ ذاتَ أمثالٍ ومَواعظَ وحِكَمٍ : اعْتَبِرْ بما فيها مِن الأمثالِ ، وادَّكِرْ بما فيها مِن المواعظِ - إلا بمعنى الأمرِ له[(٦)] بفهمِ كلامِ العربِ ومعرفتِه ، ثم الاعتبارِ بما نبَّهَه عليه ما فيها مِن الحِكَمِ ، فأما وهى جاهلةٌ بمعانى ما فيها مِن الكلامِ والمَنْطِقِ ، فمُحالٌ أمرُها بما دلَّت عليه معانى ما حوَته مِن الأمثالِ والعِبَرِ ، بل سواءٌ أمرُها بذلك وأمرُ بعضِ البهائمِ به ، إلا بعدَ العلمِ بمعانى المَنْطِقِ والبيانِ الذى فيها .

فكذلك ما فى آيِ كتابِ اللَّهِ مِن العبرِ والحِكَمِ والأمثالِ والمَواعِظِ ، لا يجوزُ أن يقالَ : اعْتَبِرْ بها . إلا لمَن كان بمعانى بيانِه عالمًا ، وبكلامِ العربِ عارفًا ، وإلا بمعنى الأمرِ لمن كان بذلك منه جاهلًا أن يَعْلَمَ معانىَ كلامِ العربِ ، ثم يَتَدَبَّرَه بعدُ ، ويَتَّعِظَ بحِكَمِه وصنوفِ عِبَرِه .

---

(١) فى م : « آيات » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ٢.

(٣) فى ر : « قيل » .

(٤) فى ت ١ : « يفقهونه » .

(٥) فى م : « أنشدت » .

(٦) فى م : « لها » .

فإذ[1] كان ذلك كذلك، وكان اللَّهُ جل ثناؤُه قد أمَر عبادَه بتدبُّرِه وحثَّهم على الاعتبارِ بأمثالِه - كان معلومًا أنه لم يَأْمُرْ بذلك مَن كان بما يَدُلُّ عليه آيُه جاهلًا. وإذ لم يَجُزْ أن يَأْمُرَهم بذلك إلا وهم بما يَدُلُّهم عليه عالِمون، صحَّ أنهم بتأويلِ ما لم يُحْجَبْ عنهم علمُه مِن آيِه الذى اسْتَأْثَر اللَّهُ بعلمِه منه دونَ خلقِه، الذى[2] قدَّمنا صفتَه آنفًا عارفون. وإذ صحّ ذلك، فسَد قولُ مَن أنْكَر تفسيرَ المُفَسِّرين مِن كتابِ اللَّهِ وتنزيلِه ما لم يَحْجُبْ عن خلقِه تأويلَه.

ذكرُ[3] الأخبارِ التى غلِط فى تأويلِها مُنكِرو القولِ فى تأويلِ القرآنِ

فإن قال لنا قائلٌ: فما أنت قائلٌ فيما حدَّثكم به العباسُ بنُ عبدِ العظيمِ، قال: حدَّثنا محمدُ بنُ خالدٍ ابنُ عَثْمةَ[4]، قال: حدَّثنى جعفرُ بنُ محمدٍ الزُّبَيرىُّ، قال: حدَّثنى هشامُ بنُ عروةَ، عن أبيه، عن عائشةَ، قالت: ما كان النبىُّ ﷺ يُفَسِّرُ شيئًا مِن القرآنِ إلا آيًا بعَددٍ[5]، علَّمهنَّ إياه جبريلُ[6].

حدَّثنا [7]أبو بكرٍ[7] محمدُ بنُ يزيدَ الطَّرَسُوسىُّ، قال: أخْبَرَنا مَعْنُ[7] بنُ عيسى[7]،

---

(١) فى م: «فإذا»، وفى ت ١: «فإن».

(٢) بعده فى م: «قد».

(٣) بعده فى م، ت ١: «بعض».

(٤) فى م: «عتمة». وينظر تهذيب الكمال ٢٥/ ١٤٣.

(٥) فى م: «تعد»، وفى ت ٢: «تعدد». والمثبت موافق لأكثر نسخ تفسير ابن كثير ١/ ١٣٣ - تحقيق أبى إسحاق الحوينى - وقد ذكره عن المصنف.

(٦) حديث منكر. أخرجه البزار (٢١٨٥ - كشف) عن محمد بن المثنى، عن محمد بن خالد ابن عثمة، عن حفص - أظنه ابن عبد الله - عن هشام به.

وأخرجه ابن شاهين فى الجزء الخامس من الأفراد (٣١) من طريق جعفر بن محمد به.

(٧ - ٧) زيادة من: ر.

عن جعفرِ[1] بنِ خالدٍ، عن هشامِ بنِ عروةَ، عن أبيه، عن عائشةَ، قالت: لم يكنِ النبيُّ ﷺ يُفَسِّرُ شيئًا مِن القرآنِ إلا آيًا بعَددٍ[2]، علَّمهن إياه جبريلُ عليه السلامُ[3].

وحدَّثنا أحمدُ بنُ عَبْدةَ الضَّبِّيُّ، قال: حدَّثنا حمادُ بنُ زيدٍ، قال: حدَّثنا عُبيدُ اللَّهِ بنُ عمرَ، قال: لقد أدْرَكْتُ فُقهاءَ المدينةِ وإنهم لَيُعْظِمون القولَ فى التفسيرِ؛ منهم سالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ، والقاسمُ بنُ محمدٍ، وسعيدُ بنُ المسيَّبِ، ونافعٌ[4].

وحدَّثنا محمدُ بنُ بَشّارٍ، قال: حدَّثنا بشرُ بنُ عمرَ، قال: حدَّثنا مالكُ بنُ أنسٍ، عن يحيى بنِ سعيدٍ، قال: سمِعْتُ رجلًا يَسْأَلُ سعيدَ بنَ المسيَّبِ عن آيةٍ مِن القرآنِ، فقال: لا أقولُ فى القرآنِ شيئًا[5].

حدَّثنا يونُسُ، قال: حدَّثنا ابنُ وهبٍ، قال: أخْبَرَنى مالكٌ، عن يحيى بنِ سعيدٍ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ أنه كان إذا سُئِل عن تفسيرِ آيةٍ مِن القرآنِ قال: [6]إنا لا نقولُ[6] فى القرآنِ شيئًا.

/**حدَّثنى** يونسُ، قال: أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ، قال: سمِعْتُ الليثَ يُحَدِّثُ عن ٣٨/١

---

(١) فى ت ٢: «حرمل».

(٢) فى م: «تعد»، وفى ت ٢: «تعدد».

(٣) أخرجه ابن شاهين فى الجزء الخامس من الأفراد (٣١) من طريق معن بن عيسى به.

وأخرجه أبو يعلى (٤٥٢٨) من طريق معن، عن فلان بن محمد بن خالد، عن هشام به.

قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٣٠٣: رواه أبو يعلى، والبزار بنحوه، وفيه راوٍ لم يحرر اسمه عند واحد منهما. وبقية رجاله رجال الصحيح. أما البزار فقال ... فذكره. وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٨ عن المصنف، وقال: حديث منكر غريب. وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشى الزبيرى، قال البخارى: لا يتابع فى حديثه. وقال الحافظ أبو الفتح الأزدى: منكر الحديث. اهـ. وقد قال المصنف عن جعفر هذا: لا يعرف فى أهل الآثار. كما سيأتى فى ص ٨٣.

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٧ عن المصنف.

(٥) أخرجه ابن سعد ٢/ ٣٨١، ٥/ ١٣٧ من طريق مالك به.

(٦ - ٦) فى ص، م، ت ٢: «أنا لا أقول».

يحيى بنِ سعيدٍ ، عن ابنِ المسيَّبِ أنه كان لا يَتَكَلَّمُ إلا فى المعلومِ مِن القرآنِ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا حَكّامٌ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن هشامٍ ، عن [١/١٠ظ] ابنِ سِيرينَ ، قال : سألْتُ عَبِيدةَ السَّلْمانىَّ عن آيةٍ ، قال : عليك بالسَّدادِ ، فقد ذهَب الذين علِموا فيمَ أُنْزِل القرآنُ .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن أيوبَ وابنِ عَوْنٍ ، عن محمدِ بنِ سيرينَ ، قال : سألْتُ عَبيدةَ عن آيةٍ مِن القرآنِ ، فقال : ذهَب الذين كانوا يَعْلَمون فيم أُنْزِل القرآنُ ، فاتَّقِ اللَّهَ وعليك بالسَّدادِ[(٢)] .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن أيوبَ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ ، أنَّ ابنَ عباسٍ سُئِل عن آيةٍ لو سُئِل عنها بعضُكم لَقال فيها ، فأَبَى أن يقولَ فيها[(٣)] .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن مَهْدىِّ بنِ ميمونٍ ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ ، قال : جاء طَلْقُ بنُ حَبيبٍ إلى جُنْدُبِ بنِ عبدِ اللَّهِ فسأله عن آيةٍ مِن القرآنِ ، فقال له : أُحَرِّجُ عليك إن كنتَ مسلمًا لَمَا قمتَ عنى . أو قال : أن تُجالِسَنى[(٤)] .

حدَّثنى العباسُ بنُ الوليدِ ، قال : أخْبَرَنى أبى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ شَوْذَبٍ ، قال : حدَّثنى يزيدُ بنُ أبى يزيدَ ، قال : كنا نَسْأَلُ سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ عن الحلالِ والحرامِ ، وكان أعلمَ الناسِ ، فإذا سألْناه عن تفسيرِ آيةٍ مِن القرآنِ سكَت كأن لم

---

(١) أخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ٢٢٨ من طريق الليث به .

(٢) أخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ٢٢٨، وسعيد بن منصور فى سننه (٤٤ - تفسير) ، وابن أبى شيبة ١٠/ ٥١١، والبيهقى فى الشعب (٢٢٨٢) من طريق ابن عون به .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٦ عن المصنف ، وقال : إسناد صحيح . وينظر فضائل القرآن لأبى عبيد ص ٢٢٧، ٢٢٨.

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٧ عن المصنف .

يَسْمَعْ[١] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : أَخْبَرَنا شعبةُ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، قال : سأل رجلٌ سعيدَ بنَ المسيَّبِ عن آيةٍ مِن القرآنِ ، فقال : لا تَسْأَلْنى عن[٢] القرآنِ ، وسَلْ مَن يَزْعُمُ أنه لا يَخْفَى عليه شىءٌ منه . يعنى عِكْرِمةَ[٣] .

وحدَّثنا ابنُ المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا سعيدُ بنُ عامرٍ ، عن شعبةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى السَّفَرِ ، قال : قال الشعبىُّ : واللَّهِ ما مِن آيةٍ إلا قد سأَلْتُ عنها ، ولكنَّها الروايةُ عن[٤] اللَّهِ تعالى[٥] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن صالحٍ - يعنى ابنَ مسلمٍ[٦] - قال : حدَّثنى رجلٌ ، عن الشعبىِّ ، قال : ثلاثٌ لا أقولُ فيهنَّ حتى أموتَ ؛ القرآنُ ، والروحُ[٧] ، والرأىُ[٨] .

وما أشبَه ذلك مِن الأخبارِ[٩] ؟

قيل له : أما الخبرُ الذى رُوِى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه لم يكنْ يُفَسِّرُ مِن القرآنِ شيئًا إلا آيًا بعددٍ[١٠] ، فإن ذلك مُصَحِّحٌ ما قلْنا مِن القولِ فى البابِ الماضى قبلُ ، وهو

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٧/١ عن ابن شوذب به .

(٢) بعده فى م : « آية من » ، وفى ت ٢: « شىء من القرآن » .

(٣) أخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ٢٢٨ ، وابن أبى شيبة ٥١١/١٠ عن محمد بن جعفر به .

(٤) فى ص ، ت ١، ت ٢: « على » . وعند ابن عساكر : « ولكنها الرواية عن الله - أو قال : على الله » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣٦٥/٢٥ من طريق سعيد بن عامر به . وينظر تفسير ابن كثير ١٧/١.

(٦) فى ت ١: « سلم » ، وفى ت ٢: « أسلم » . وينظر التاريخ الكبير ٤/ ٢٩٠.

(٧) فى ص ، ر ، ت١ ، ت٢ : « الزرع » .

(٨) فى ص ، ر ، ت ١: « الربا » ، وفى ت ٢: « الرى » .

(٩) هذا آخر السؤال الذى بدأه المصنف فى ص ٧٨.

(١٠) فى م : « تعد » ، وفى ت ٢: « تعدد » .

أن مِن تأويلِ القرآنِ ما لا يُدْرَكُ علمُه إلا ببيانِ الرسولِ ﷺ ، وذلك تفصيلُ[(١)] جُمَلِ ما فى آيِه ، مِن أمرِ اللَّهِ ونهيِه ، وحلالِه وحرامِه ، وحدودِه وفَرائضِه ، وسائرِ معانى شرائعِ دينِه ، الذى هو مُجْمَلٌ فى ظاهرِ التنزيلِ ، وبالعبادِ إلى تفسيرِه الحاجةُ ، لا يُدْرَكُ علمُ تأويلِه إلا ببيانٍ مِن عندِ اللَّهِ على لسانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وما أشبَه ذلك مما تَحْوِيه آىُ القرآنِ ، مِن سائرِ حُكْمِه الذى جعَل اللَّهُ بيانَه لخلقِه إلى رسولِه ﷺ ، فلا يَعْلَمُ أحدٌ مِن خلقِ اللَّهِ تأويلَ ذلك إلا ببيانِ الرسولِ ﷺ ، ولا يَعْلَمُه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلا بتعليمِ اللَّهِ ذلك إياه بوحيِه إليه ، إما مع جبريلَ ، أو مع مَن شاء / مِن رسلِه إليه . ٣٩/١ فذلك هو الآىُ التى كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُفَسِّرُها لأصحابِه بتعليمِ جبريلَ إياه ، وهن لا شكَّ آىٌ ذواتُ عَدَدٍ .

ومِن آيِ القرآنِ ما قد ذكَرْنا أن اللَّهَ جل ثناؤُه استَأْثَر بعلمِ تأويلِه ، فلم يُطْلِعْ على علمِه مَلَكًا مُقَرَّبًا ، ولا نبيًّا مرسلًا ، ولكنهم يُؤْمِنون بأنه مِن عندِه ، وأنه لا يَعْلَمُ تأويلَه إلا اللَّهُ .

فأما ما لابُدَّ للعبادِ مِن علمِ تأويلِه ، فقد بيَّن لهم نبيُّهم ﷺ ببيانِ اللَّهِ ذلك له بوحيِه مع جبريلَ ، وذلك هو المعنى الذى أمَره اللَّهُ ببيانِه[(٢)] لهم ، فقال له جلّ ذكرُه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] .

ولو كان تأويلُ الخبرِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ - أنه كان لا يُفَسِّرُ مِن القرآنِ شيئًا إلا آيًا بعددٍ - هو ما يَسْبِقُ إليه أوهامُ أهلِ الغَباءِ مِن أنه لم يكنْ يُفَسِّرُ مِن القرآنِ إلا القليلَ

---

(١) فى م : « يفصل » .

(٢) فى ص ، ر ، ت١ ، ت٢ : « بيانه » .

مِن آيِه واليسيرَ مِن حروفِه ، كان إنما أُنزِل إليه ﷺ الذكرُ ليترُكَ للناسِ[١] بيانَ ما نزِّل إليهم ، لا ليُبَيِّنَ لهم ما أُنزِل إليهم .

وفى أمرِ اللَّهِ جل ثناؤُه نبيَّه ﷺ ببلاغِ ما أَنزَل إليه ، وإعلامِه إياه أنه إنما نزَّل إليه ما أَنزَل ليُبَيِّنَ للناسِ ما نُزِّل إليهم ، وقيامِ الحجةِ على أن النبيَّ ﷺ قد بلَّغ[٢] وأدَّى[٢] ما أمَره اللَّهُ ببلاغِه وأدائِه على ما أمَره به ، وصحةِ الخبرِ عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ بقيلِه[٣] : كان الرجلُ منا إذا تعلَّم عشْرَ آياتٍ لم يُجاوِزْهن حتى يَعْلَمَ مَعانِيَهن والعملَ بهنَّ[٤] - ما يُنْبِئُ عن جهلِ مَن ظنَّ أو توَهَّم أن معنى الخبرِ الذى ذكَرْنا عن عائشةَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه لم يكنْ يُفَسِّرُ مِن القرآنِ شيئًا إلا آيًا بعددٍ ، هو أنه لم يكنْ يُبَيِّنُ[٥] لأمتِه مِن تأويلِه إلا اليسيرَ القليلَ منه .

هذا مع ما فى الخبرِ الذى رُوِى عن عائشةَ مِن العلةِ التى فى إسنادِه التى لا يَجوزُ معها الاحتجاجُ به لأحدٍ ممَّن علِم صحيحَ سندِ الآثارِ وفاسدَها فى الدينِ ؛ لأن راوِيَه ممَّن لا يُعْرَفُ فى أهلِ[٦] الآثارِ ، وهو جعفرُ بنُ محمدٍ الزُّبيريُّ[٧] .

وأما الأخبارُ التى ذكَرْناها عمَّن ذكَرْناها عنه مِن التابعين بإحجامِه عن التأويلِ ، فإن فعْلَ مَن فعَل ذلك منهم ، كفعْلِ مَن أحجَم منهم عن الفُتْيا فى النَّوازلِ والحوادثِ ، مع إقرارِه بأن اللَّهَ جلّ ثناؤُه لم يَقْبِضْ نبيَّه إليه إلا بعدَ إكمالِ[٨] الدينِ به

---

(١) فى ر : « الناس » .

(٢ - ٢) فى م : « فأدى » .

(٣) فى م : « لقيله » .

(٤) تقدم تخريجه فى ص ٧٤.

(٥) فى ر : « بين » .

(٦) سقط من : ر .

(٧) ينظر ما تقدم فى ص ٧٩ .

(٨) فى ر : « كمال » .

لعبادِه ، وعلمِه بأن للَّهِ فى كلِّ نازلةٍ وحادثةٍ حُكْمًا موجودًا بنصٍّ أو دَلَالةٍ ، فلم يكنْ إحجامُه عن القولِ فى ذلك إحجامَ جاحدٍ أن يكونَ للَّهِ فيه حكمٌ موجودٌ بينَ أظهرِ عبادِه ، [١/١١و] ولكن إحجامَ خائفٍ ألا يَبْلُغَ باجتهادِه[(١)] ما كلَّف اللَّهُ العلماءَ مِن عبادِه فيه .

فكذلك معنى إحجامِ مَن أحْجَم عن القِيلِ فى تأويلِ القرآنِ وتفسيرِه مِن العلماءِ السلفِ ، إنما كان إحجامُه عنه حِذارًا ألا يَبْلُغَ أداءَ ما كُلِّف مِن إصابةِ صوابِ القولِ فيه ، لا على أن تأويلَ ذلك مَحْجوبٌ عن علماءِ الأمةِ ، غيرُ موجودٍ بينَ أظْهُرِهم .

١/٤٠ / ذكرُ الأخبارِ عن بعضِ السلفِ فى مَن كان مِن قُدماءِ المُفَسِّرين محمودًا علمُه بالتفسيرِ ومَن كان منهم مذمومًا علمُه به[(٢)]

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا وَكيعٌ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن سليمانَ ، عن مسلمٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ : نِعْمَ تُرْجمانُ القرآنِ ابنُ عباسٍ[(٣)] .

حدَّثنى يحيى بنُ داودَ الواسطيُّ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ الأزْرَقُ ، عن سفيانَ ، عن الأعمشِ ، عن أبى الضُّحَى ، عن مَسْروقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : نعم [(٤)]التُّرْجمانُ للقرآنِ[(٤)] ابنُ عباسٍ[(٥)] .

---

(١) فى م : « فى اجتهاده » .

(٢) فى م : « بذلك » .

(٣) أخرجه أحمد فى الفضائل (١٥٥٨، ١٨٦٠) من طريق سفيان به .

(٤ - ٤) فى م : « ترجمان القرآن » .

(٥) أخرجه المصنف فى مسند ابن عباس من تهذيب الآثار ص ١٧٣ . وأخرجه أحمد فى الفضائل (١٥٦٢) ، والفسوى فى تاريخه ٤٩٦/١ ، والحاكم ٥٣٧/٣ من طريقين عن سفيان به . وصححه الحاكم على شرط الشيخين . وأخرجه ابن سعد ٣٦٦/٢ ، والفسوى ٤٩٥/١ من طريق الأعمش به .

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا جعفرُ بنُ عونٍ ، قال : حدَّثنا الأعمشُ ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنحوِه[(١)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا طَلْقُ بنُ غَنَّامٍ ، عن عثمانَ المكىِّ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، قال : رأيْتُ مجاهدًا يَسْأَلُ ابنَ عباسٍ عن تفسيرِ القرآنِ ومعه ألواحُه[(٢)] ، فيقولُ له ابنُ عباسٍ : اكْتُبْ . قال : حتى سأَلَه عن التفسيرِ كلِّه[(٣)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا المُحارِبىُّ ويونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، قالا : حدَّثنا محمدُ ابنُ إسحاقَ ، عن أبانِ بنِ صالحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : عرَضْتُ المصحفَ على ابنِ عباسٍ ثلاثَ عَرَضاتٍ ، مِن فاتحتِه إلى خاتمتِه ، أُوقِفُه عندَ كلِّ آيةٍ منه وأسأَلُه عنها[(٤)] .

حدَّثنى عُبيدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ الجُبَيْرىُّ[(٥)] ، عن أبى بكرٍ الحَنَفىِّ ، قال : سمِعْتُ سفيانَ الثورىَّ يقولُ : إذا جاءك التفسيرُ عن مجاهدٍ فحسْبُك به[(٦)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا سليمانُ أبو[(٧)] داودَ ، عن شعبةَ ، عن

---

(١) أخرجه المصنف فى مسند ابن عباس من تهذيب الآثار ص ١٧٢ . وأخرجه ابن أبى شيبة ١٢/١١١ ، وأحمد فى الفضائل (١٨٦٣) عن جعفر بن عون به . وقال ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٣: هذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة . وينظر الإصابة ٤/ ١٤٦.

(٢) فى م : « الواحد » .

(٣) ذكره شيخ الإسلام فى مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٦٩، وابن كثير فى تفسيره ١/١٥ عن المصنف .

(٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٣/ ٢٧٩، وابن عساكر فى تاريخه ٢٥٢/١٦ (مخطوط) من طريق المحاربى وغيره ، عن ابن إسحاق به . وحسن إسناده الذهبى فى تذكرة الحفاظ ٧٠٦/٢ .

وأخرجه ابن سعد ٤٦٦/٥ ، وابن أبى شيبة ٥٥٩/١٠ ، وأحمد فى الفضائل (١٨٦٦) من طريقين عن مجاهد . وعند ابن سعد : ثلاثين عرضة .

(٥) فى ر : « الحريرى » . وينظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٧٩.

(٦) ذكره شيخ الإسلام فى مجموع الفتاوى ٣٦٩/١٣ ، وابن كثير فى تفسيره ١٥/١ عن الثورى .

(٧) فى ر : « ابن » . وهو سليمان بن داود ، أبو داود الطيالسى .

عبدِ الملكِ بنِ مَيْسَرةَ ، قال : لم يَلْقَ الضَّحّاكُ ابنَ عباسٍ ، وإنما لَقِى سعيدَ بنَ جُبَيْرٍ بالرَّىِّ ، فأخَذ عنه التفسيرَ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : حدَّثنا أبو داودَ ، عن شعبةَ ، عن مُشَاشٍ ، قال : قلتُ للضحاكِ : سمِعْتَ مِن ابنِ عباسٍ شيئًا ؟ قال : لا[(٢)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ إدريسَ ، قال : حدَّثنا زكريا ، قال : كان الشعبىُّ يَمُرُّ بأبى صالحٍ باذانَ ، فيأْخُذُ بأُذُنِه فيَعْرُكُها[(٣)] ، ويقولُ : تُفَسِّرُ القرآنَ وأنت لا تَقْرَأُ القرآنَ[(٤)] !

حدَّثنا عبدُ[(٥)] اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ شَبُّويَه ، قال : حدَّثنا علىُّ بنُ الحسينِ بنِ واقدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنا الأعمشُ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ﴾[(٦)] : قادرٌ على أن يَجزِىَ بالحسنةِ الحسنةَ ، وبالسيئةِ

---

(١) أخرجه ابن معين فى تاريخه ٢٧٦/٤ (٤٣٥٢) ، والفسوى فى تاريخه ١٠٩/٢ ، والعقيلى ٢/ ٢١٨، وابن أبى حاتم فى المراسيل ص ٩٥ ، وابن حبان فى الثقات ٤٨٠/٦ ، وابن عدى ١٤١٤/٤ من طريق أبى داود به . وينظر طبقات ابن سعد ٣٠١/٦ ، وسؤالات البرذعى ٦٨٢/٢ ، ٦٨٣ ، والجرح ٤/ ٤٥٨، ٨/ ٣٣٣.

(٢) أخرجه ابن سعد ٣٠١/٦ ، وابن معين فى تاريخه ٢٧٦/٤ (٤٣٥١) ، وابن أبى حاتم فى المراسيل ص ٩٤، والجرح ٤٥٨/٤ ، ٤٥٩ من طريق أبى داود به . وينظر تاريخ الفسوى ٢/ ١٠٨، ١٤٣، ١٤٨، والجعديات (٢١) ، وضعفاء العقيلى ٢/ ٢١٨، والكامل لابن عدى ٤/ ١٤١٤.

(٣) عركه يعركه عركًا : دلكه . التاج (ع ر ك) .

(٤) أخرجه الفسوى فى تاريخه ٧٨٥/٢ من طريق عبد اللَّه بن إدريس به . وأخرجه أيضا ٦٨٥/٢ من طريق آخر عن الشعبى نحوه .

(٥) فى م : « عبيد » . وينظر الجرح ٥/ ٦.

(٦) بعده فى م : « قال » .

السيئةَ . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠] . قال الحسينُ : فقلتُ للأعمشِ : حدَّثنى به الكلبىُّ إلا أنه قال : إن اللَّهَ قادرٌ أن يَجْزِىَ بالسيئةِ السيئةَ ، وبالحسنةِ عشرًا . فقال الأعمشُ : لو أن الذى عندَ الكلبىِّ عندى ، ما خرَج منى [(١] إلا بخفيرٍ [١)] .

/**حدَّثنى** سليمانُ بنُ عبدِ الجبارِ ، قال : حدَّثنا علىُّ بنُ حَكيمٍ الأَوْدىُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ بُكَيْرٍ ، عن صالحِ بنِ مسلمٍ ، قال : مرَّ الشعبىُّ على السُّدِّىِّ وهو يُفَسِّرُ ، فقال : لأن يُضْرَبَ على استِك بالطَّبْلِ ، خيرٌ لك مِن مجلسِك هذا [(٢)] . ٤١/١

حدَّثنى سليمانُ بنُ عبدِ الجبارِ ، قال : حدَّثنى علىُّ بنُ حَكيمٍ ، قال : حدَّثنا شَريكٌ ، عن سَلْمِ [(٣)] بنِ عبدِ الرحمنِ النَّخَعىِّ ، قال : كنتُ مع إبراهيمَ ، فرأى السُّدِّىَّ ، فقال : أمَا إنه يُفَسِّرُ تَفسيرَ القومِ [(٤)] .

حدَّثنا ابنُ البَرْقىِّ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ أبى سَلَمةَ ، قال : سمِعْتُ سعيدَ بنَ بَشيرٍ يقولُ عن قتادةَ ، قال : ما [(٥] بقِى أحدٌ [٥)] يَجْرِى مع الكلبىِّ فى التفسيرِ فى عِنَانٍ .

قال أبو جعفرٍ : قد قلْنا فيما مضَى مِن كتابِنا هذا فى وجوهِ تأويلِ القرآنِ ، وأن تأويلَ جميعِ القرآنِ على أوجهٍ ثلاثةٍ :

أحدُها : لا سبيلَ إلى الوصول إليه ، وهو الذى اسْتَأْثَر اللَّهُ بعلمِه ، وحجَب علمَه

(١ - ١) فى م : « بحقير » . وخفير القوم : مجيرهم الذى يكونون فى ضمانه ما داموا فى بلاده . تاج العروس (خ ف ر) .

(٢) أخرجه ابن عدى ٢٧٤/١ من طريق عبد الله بن بكير به بنحوه .

(٣) فى النسخ : « مسلم » . والمثبت من مصادر التخريج ، وينظر تهذيب الكمال ١١/ ٢٢٧.

(٤) أخرجه أحمد فى العلل ٧٠/١ (١٩٣) ، وابن أبى حاتم فى الجرح ٢/ ١٨٤، وابن عدى ٢٧٤/١ من طريق شريك به .

(٥ - ٥) فى م : « أرى أحدا » .

عن جميعِ خلقِه ، وهو أوقاتُ ما كان مِن آجالِ الأمورِ الحادثةِ التي أخْبَرَ اللَّهُ في كتابِه أنها كائنةٌ ؛ مثلُ وقتِ قيامِ الساعةِ ، ووقتِ نزولِ عيسى ابنِ مريمَ ، ووقتِ طلوعِ الشمسِ مِن مَغْرِبِها ، والنفخِ في الصُّورِ ، وما أشبَهَ ذلك .

والوجهُ الثاني : ما خصَّ اللَّهُ [(١)] بعلمِ تأويلِه [(١)] نبيَّه ﷺ دونَ سائرِ أمّتِه ، وهو ما فيه مما بعبادِه إلى علمِ تأويلِه الحاجةُ ، فلا سبيلَ لهم إلى علمِ ذلك إلا ببيانِ الرسولِ ﷺ لهم تأويلَه .

والثالثُ منها : ما كان علمُه عندَ أهلِ اللسانِ الذي نزَل به القرآنُ ، وذلك علمُ تأويلِ غريبِه [(٢)] وإعرابِه ، لا يُوصَلُ إلى علمِ ذلك إلا مِن قِبَلِهم .

فإذ [(٣)] كان ذلك كذلك ، فأحقُّ [(٤)] المفَسِّرين [(٥)] بإصابةِ الحقِّ في تأويلِ القرآنِ الذي إلى علمِ تأويلِه للعبادِ السبيلُ ، أوضحُهم حُجَّةً فيما تأوَّل وفسَّر ، مما كان تأويلُه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ دونَ سائرِ أمّتِه ، مِن أخبارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ الثابتةِ عنه ، إما مِن جهةِ [(٦)] النقلِ المُسْتَفيضِ ، فيما وُجِد فيه مِن ذلك عنه النقلُ المُسْتَفِيضُ ، وإما مِن جهةِ [(٦)] نقلِ العدولِ الأثباتِ ، فيما لم يكنْ عنه فيه النقلُ المستفيضُ ، أو مِن جهةِ [(٦)] الدَّلَالةِ المنصوبةِ على صحتِه ، وأوضحُهم [(٧)] برهانًا فيما ترْجَم وبيَّن مِن ذلك مما كان مُدْرَكًا علمُه مِن جهةِ اللسانِ ، إما بالشواهدِ مِن أشعارِهم السائرةِ ، وإما مِن مَنْطِقِهم

(١ - ١) سقط من : ر .

(٢) في م : « عربيته » .

(٣) في م : « فإذا » ، وفي ت ١ : « فإن » .

(٤) في ر : « وأحق » .

(٥) في ت ١ : « التفسيرين » .

(٦) في م ، ت ٢ : « وجه » .

(٧) في ص ، ت ١ : « أصحهم » .

ولغاتِهم المستفيضةِ المعروفةِ ، كائنًا مَن كان ذلك المُتأوِّلُ والمُفسِّرُ ، بعد ألا يكونَ خارجًا تأويلُه وتفسيرُه ما تأوَّل وفسَّر مِن ذلك عن أقوالِ السلفِ مِن الصحابةِ والأئمةِ ، والخلفِ مِن التابعين وعلماءِ الأمةِ .

[١/١١ظ] القولُ فى تأويلِ أسماءِ القرآنِ وسُوَرِه وآيِه

قال أبو جعفرٍ : إن اللَّهَ عزّ وجلّ سمَّى تنزيلَه الذى أنْزَله على نبيِّه محمدٍ ﷺ أسماءً أربعةً ؛ منهن **القرآنُ** ، فقال فى تسميتِه إياه بذلك فى تنزيلِه : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ / هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣] . وقال : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النمل : ٧٦] . ١/٤٢

ومنهن **الفرقانُ** ، قال جلّ ثناؤُه فى وحيِه إلى نبيِّه ﷺ مُسَمِّيه[(١)] بذلك : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

ومنهن **الكتابُ** ، قال تبارك اسمُه فى تسميتِه إياه به[(٢)] : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا ﴾ [الكهف : ١، ٢] .

ومنهن **الذكرُ** ، فقال تعالى ذكرُه فى تسميتِه إياه به : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

ولكل اسمٍ مِن أسمائِه الأربعةِ فى كلامِ العربِ معنى ووجهٌ غيرُ معنى الآخرِ ووجهِه .

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢: « يسميه » .

(٢) فى ر : « بذلك » .

فأما القرآنُ ، فإن المفسرين اخْتَلَفوا فى تأويلِه ، والواجبُ أن يكونَ تأويلُه على قولِ ابنِ عباسٍ مِن التلاوةِ والقراءةِ ، وأن يكونَ مصدرًا مِن قولِ القائلِ : قرأْتُ القرآنَ . كقولِك : الخُسْرانُ . مِن : خسِرْتُ ، و : الغُفْرانُ . مِن : غفَر اللَّهُ لك ، و : الكُفْرانُ . مِن : كفَرْتُك ، و : الفرقانُ . مِن : فَرَق اللَّهُ بينَ الحقِّ والباطلِ .

وذلك أن يحيى بنَ عثمانَ[1] بنِ صالحٍ السَّهْمىَّ حدَّثنى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ ابنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طَلْحةَ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾ . يقولُ : بيَّنَّاه ، ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٨] . يقولُ : اعْمَلْ به .

ومعنى قولِ ابنِ عباسٍ هذا : فإذا بيَّنَّاه بالقراءةِ ، فاعْمَلْ بما بيَّنَّاه لك بالقراءةِ .

ومما يُوَضِّحُ صحةَ ما قلْنا فى تأويلِ حديثِ ابنِ عباسٍ هذا ما حدَّثنى به محمدُ ابنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٧] . قال : أن نُقْرِئَك فلا تَنْسَى ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾ عليك ، ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ . يقولُ : إذا تُلِى عليك فاتَّبِعْ ما فيه .

قال أبو جعفرٍ : فقد صرَّح هذا الخبرُ عن ابنِ عباسٍ أن معنى القرآنِ عندَه القراءةُ ، [2]وأنه[2] مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : قرأْتُ . على ما بيَّنَّاه[3] .

وأما على قولِ قتادةَ ، فإن الواجبَ أن يكونَ مصدرًا مِن قولِ القائلِ : قرأْتُ

---

(١) فى ت ٢ : « عمر » .

(٢ - ٢) فى م : « فإنه » .

(٣) فى م : « قد قلناه » .

الشيءَ . إذا جمعْتَه وضمَمْتَ بعضَه إلى بعضٍ ، كقولِك : ما قرأَتْ هذه الناقةُ سَلًى[1] قطُّ . تُرِيدُ بذلك أنها لم تَضُمَّ رَحِمًا على ولدٍ ، كما قال عمرُو بنُ كُلْثُومٍ التَّغْلِبيُّ[2] :

تُرِيكَ إذا دخَلْتَ على خَلاءٍ وقد أمِنَتْ عُيونَ الكاشِحِينا[3]

ذراعَيْ عَيْطَلٍ[4] أدْماءَ[5] بِكْرٍ هِجانِ[6] اللونِ لم تَقْرَأْ جَنِينا[7]

يعنى بقولِه : لم تَقْرَأْ جَنِينا . لم تَضْمُمْ رَحِمًا على ولدٍ .

وذلك أن بشرَ بنَ مُعاذٍ العَقَدىَّ **حدَّثنا** ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى عَروبةَ ، عن قتادةَ فى قولِه تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ . يقولُ : حفظَه[8] وتأليفَه ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ . يقولُ : اتَّبِعْ حلالَه ، واجْتَنِبْ

---

(١) السلى ، والجمع أسلاء : الجلدة الرقيقة التى يكون فيها الولد ، يكون ذلك للناس والخيل والإبل ، وقيل : هو فى الماشية السلى ، وفى الناس المشيمة . اللسان (س ل ى) .

(٢) زيادة من : م ، ت ١ . والبيتان من معلقته المشهورة ، وهما فى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنبارى ص ٣٧٧ - ٣٧٩، وشرح القصائد التسع المشهورات لابن النحاس ٢/ ٧٨٢، وشرح القصائد العشر للتبريزى ص ٢٢٤.

(٣) الكاشحون ؛ والواحد الكاشح : العدو المضمر العداوة ، والعدو المبغض . تاج العروس (ك ش ح) .

(٤) العيطل : الناقة الطويلة فى حسن منظر وسمن . اللسان (ع ط ل) .

(٥) الأدمة فى الإبل : البياض مع سواد المقلتين . انظر اللسان (أ د م) .

(٦) الهجان من الإبل : البيض الكرام . اللسان (هـ ج ن) .

(٧) ورد هذا الشطر فى شرح القصائد السبع وشرح القصائد العشر هكذا :

* تربعت الأجارع والمتونا *

وأورده الجوهرى - كما فى اللسان (ع ط ل) :

* تربعت الأماعز والمتونا *

(٨) فى ت ١: « لفظه » .

حرامَه .

٤٣/١ / حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى الصَّنْعانيُّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، قال : حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ بمثلِه .

فرأى قتادةُ أن تأويلَ القرآنِ التأليفُ .

قال أبو جعفرٍ : ولكلا[(١)] القولين - أعْنى قولَ ابنِ عباسٍ وقولَ قتادةَ - اللذين حكَيْناهما ، وجهٌ صحيحٌ فى كلامِ العربِ ، غيرَ أن أوْلَى قولَيْهما[(٢)] بتأويلِ قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ . قولُ ابنِ عباسٍ ؛ لأن اللَّهَ جل ثناؤُه أمَر نبيَّه ﷺ فى غيرِ آيةٍ مِن تنزيلِه باتباعِ ما أوحى إليه ، ولم يُرَخِّصْ له فى تركِ اتباعِ شىءٍ مِن أمرِه إلى وقتِ تأليفِه القرآنَ ، فكذلك قولُه : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ . نظيرُ سائرِ ما فى آيِ القرآنِ التى أمَره اللَّهُ فيها باتباعِ ما أوحى إليه فى تنزيلِه ، ولو وجَب أن يكونَ معنى قولِه : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ : فإذا ألَّفْناه فاتَّبِعْ ما ألَّفْنا لك فيه - لَوجَب ألا يكونَ كان[(٣)] لزمه فرضُ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] . ولا فرضُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ [المدثر : ١، ٢] . قبلَ أن يُؤَلَّفَ إلى ذلك غيرُه من القرآنِ ، وذلك - إن قاله قائلٌ - خروجٌ[(٤)] مِن قولِ أهلِ المِلَّةِ .

---

(١) فى ر : « لكل » .

(٢) فى ر : « قولهما » .

(٣) فى م : « كأن » .

(٤) فى ر ، ت ٢ : « خرج » .

وإذ صحّ أن حكمَ كلِّ آيةٍ مِن آيِ القرآنِ كان لازمًا النبيَّ[1] ﷺ اتباعُه والعملُ به ، مُؤَلَّفةً كانت إلى غيرِها أو غيرَ مُؤَلَّفةٍ - صحّ ما قال ابنُ عباسٍ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ . أنه مَعنيٌّ[2] به : فإذا بيَّناه لك بقراءتِنا ، فاتَّبِعْ ما بيَّناه لك بقراءتِنا . دونَ قولِ مَن قال : معناه : فإذا أَلَّفْناه فاتَّبِعْ ما أَلَّفْناه .

وقد قيل : إن قولَ الشاعرِ[3] :

ضَحَّوْا بأَشْمَطَ[4] عُنْوانُ[5] السُّجودِ به يُقَطِّعُ الليلَ تَسبيحًا وقُرْآنا

يعنى به قائلُه : تسبيحًا وقراءةً .

فإن قال قائلٌ : وكيف يجوزُ أن يُسَمَّى قرآنًا بمعنى القراءةِ ، وإنما هو مَقْروءٌ ؟

قيل : كما جاز أن يُسَمَّى المكتوبُ كتابًا ، بمعنى كتابِ الكاتبِ ، كما قال الشاعرُ فى صفةِ[6] طَلاقٍ كتَبه لامرأتِه[7] :

تُؤَمِّلُ رَجْعةً منى وفيها كتابٌ مثلَ ما لصِق الغِراءُ

يُرِيدُ[8] طلاقًا مكتوبًا ، فجعَل المكتوبَ كتابًا .

وأما تأويلُ اسمِه الذى هو فُرْقانٌ ، فإن تفسيرَ أهلِ التفسيرِ جاء فى ذلك بألفاظٍ

---

(١) فى ر : « للنبى » .

(٢) فى م : « يعنى » .

(٣) هو حسان بن ثابت ، والبيت فى ديوانه ص ٢١٦ ، وينظر حاشيته ، وعزاه إليه فى العقد الفريد ٣/ ٨١، ٤/ ١٥٩، ٢٨٤، ٢٩٨، واللسان (ع ن ن) ، ونسب أيضا لأوس بن مغراء . ينظر خزانة الأدب ٩/ ٤١٨.

(٤) الشمط : بياض شعر الرأس يخالط سواده . اللسان (ش م ط) .

(٥) العنوان : الأثر ، وكلما استدللت بشىء تظهره على غيره فهو له عنوان . اللسان (ع ن ن) .

(٦) بعده فى م : « كتاب » .

(٧) البيت فى التبيان ١/ ١٨.

(٨) بعده فى ر ، ت ١: « به » .

مختلفةٍ ، هى فى المعانى مُؤْتَلِفةٌ .

فقال عكرمةُ فيما حدَّثنا به ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا حَكَّامُ بنُ (١) سَلْمٍ (٢) ، عن (١) عَنْبَسَةَ ، عن جابرٍ ، عن عكرمةَ أنه كان يقولُ : هو النجاةُ .

وكذلك كان السُّدِّىُّ يَتأوَّلُه ، **حدَّثنا** بذلك محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ . وهو قولُ جماعةٍ غيرِهما .

وكان ابنُ عباسٍ يقولُ : الفرقانُ المَخْرَجُ . **حدَّثنى** بذلك يحيى بنُ [١٢/١و] عثمانَ بنِ صالحٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، عن علىِّ ابنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ .

١/٤٤ وكذلك كان مجاهدٌ / يقولُ فى تأويلِه ، **حدَّثنا** بذلك ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا حَكَّامٌ ، عن عَنْبَسةَ ، عن جابرٍ ، عن مجاهدٍ .

وكان مجاهدٌ يقولُ فى قولِ اللَّهِ جلّ ثناؤُه : ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال : ٤٢] : يومٌ فرَق اللَّهُ فيه بينَ الحقِّ والباطلِ .

حدَّثنى بذلك محمدُ بنُ عمرٍو الباهلىُّ ، قال : حدَّثنى أبو عاصمٍ ، عن عيسى ابنِ مَيْمونٍ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ .

وكلُّ هذه التأويلاتِ فى معنى الفرقانِ - على اختلافِ ألفاظِها - مُتَقارِباتُ المعانى ؛ وذلك أن مَن جُعِل له مَخْرَجٌ مِن أمرٍ كان فيه ، فقد جُعِل له ذلك المخرجُ منه

(١ - ١) سقط من : ر . وينظر تهذيب الكمال ٧/ ٨٣.

(٢) فى ت ٢: « سالم » .

نجاةً ، وكذلك إذا نُجِّى منه ، فقد نُصِر على مَن بَغَاه فيه سُوءًا ، وفُرِق بينَه به[١] وبينَ باغيه السُّوءَ .

فجميعُ ما روَيْنا عمَّن روَيْنا عنه فى معنى الفرقانِ قولٌ صحيحُ المعنى ؛ لاتفاقِ معانى ألفاظِهم فى ذلك .

وأصلُ الفرقانِ عندَنا الفرقُ بينَ الشيئَيْن والفصلُ بينَهما ، وقد يكونُ ذلك بقضاءٍ[٢] ، واسْتِنْقاذٍ ، وإظهارِ حُجَّةٍ ، ونصرٍ[٣] ، وغيرِ ذلك مِن المعانى المُفَرِّقةِ بينَ المُحِقِّ والمُبْطِلِ . فقد تبيَّنَ[٤] بذلك أن القرآنَ سُمِّى فرْقانًا ؛ لفصلِه بحججِه[٥] وأدلتِه [٦]وحدودِ فَرائضِه[٦] وسائرِ معانى حُكْمِه ، بينَ المُحِقِّ والمُبْطِلِ . وفرقانُه بينَهما بنصرِه المُحِقَّ وتَخْذيلِه المُبْطِلَ ، حكمًا وقضاءً .

وأما تأويلُ اسمِه[٧] الذى هو كتابٌ ، فهو مصدرٌ مِن قولِك : كتَبْتُ كتابًا . كما تقولُ : قمتُ قيامًا ، وحسَبْتُ الشىءَ حسابًا .

والكتابُ هو خطُّ الكاتبِ حروفَ الكتابِ[٨] المُعْجَمِ ، مجموعةً ومُفْتَرِقةً ، وسُمِّى كتابًا وإنما هو مكتوبٌ ، كما قال الشاعرُ فى البيتِ الذى اسْتَشْهَدْنا به :

.... وفيها كتابٌ مثلَ ما لصِق الغِراءُ

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى ر : « نقضا » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « تصرف » .

(٤) فى ر : « ترنوا » .

(٥) فى م : « بحجته » .

(٦ - ٦) فى م : « حدوده وفرائضه » .

(٧) سقط من : ر .

(٨) سقط من : م ، ت ٢.

يعنى به مكتوبًا .

وأما تأويلُ اسمِه الذى هو ذكرٌ ، فإنه مُحْتَمِلٌ مغنَيين ؛ أحدُهما ، أنه ذكرٌ مِن اللَّهِ جلّ ذكرُه ، ذكَّر به عبادَه ، فعرَّفهم فيه حدودَه وفَرائضَه وسائرَ ما أوْدَعه مِن حكمِه . والآخرُ ، أنه ذِكْرٌ وشَرَفٌ وفخرٌ لمن آمَن به وصدَّق بما فيه ، كما قال جلّ ثناؤُه : ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف : ٤٤] . يعنى به أنه شرفٌ له ولقومِه .

(١) ثم لسوَرِ القرآنِ أسماءٌ سماهن بها رسولُ اللَّهِ ﷺ (١) .

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشّارٍ ، قال : حدَّثنا أبو داودَ الطَّيالسىُّ ، قال : حدَّثنا أبو العَوّامِ ، **وحدَّثنى** محمدُ بنُ خلفٍ العَسْقَلانىُّ ، قال : حدَّثنا روّادُ [(٢)] بنُ الجَرّاحِ ، قال : حدَّثنا سعيدُ بنُ بَشيرٍ ، جميعًا عن قتادةَ ، عن أبى المَلِيحِ ، عن واثلةَ بنِ الأسْقَعِ ، أن النبىَّ ﷺ قال : « أُعْطِيتُ مَكانَ التَّوْراةِ السَّبْعَ الطُّوَلَ ، وأُعْطِيتُ مَكانَ الزَّبُورِ المِئِينَ ، وأُعْطِيتُ مَكانَ الإنجِيلِ المَثانِىَ ، وفُضِّلْتُ بالمُفَصَّلِ » [(٣)] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن خالدٍ الحَذّاءِ ، عن أبى

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « داود » . وينظر تهذيب الكمال ٩/ ٢٢٧.

(٣) أخرجه الطيالسى (١١٠٥) ، ومن طريقه أحمد ١٨٨/٢٨ (١٦٩٨٢) ، والطحاوى فى المشكل (١٣٧٩) ، والنحاس فى القطع والائتناف ص ٨١، والبيهقى فى الدلائل ٤٧٥/٥ .

وأخرجه الطبرانى ٧٥/٢٢ (١٨٦) ، والبيهقى فى الشعب (٢٤٨٤) من طريق أبى العوام عمران القطان به .

وأخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ١١٩ ، ١٢٠ ، والطبرانى ٧٦/٢٢ (١٨٧) ، والبيهقى (٢٤٨٥) من طريق سعيد بن بشير به .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٥٥ من رواية سعيد ، وقال : هذا حديث غريب ، وسعيد بن بشير فيه لين . وينظر تفسير ابن كثير تحقيق أبى إسحاق الحوينى ٢/ ٤١ ، والسلسلة الصحيحة (١٤٨٠) .

قِلابةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أُعْطِيتُ السَّبْعَ الطُّوَلَ مَكانَ التَّوْراةِ، وأُعْطِيتُ المَثانِـيَ مَكانَ الزَّبُورِ، وأُعْطِيتُ المِئِينَ مَكانَ الإنْجِيلِ، وفُضِّلْتُ بالمُـفَصَّلِ»[(١)].
قال خالدٌ: كانوا يُسَمُّون المُفصَّلَ العربيَّ. قال خالدٌ: قال بعضُهم: ليس في العربيِّ سجدةٌ.

/ حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ، قال: حدَّثنا حَكَّامُ بنُ سَلْمٍ[(٢)]، عن عمرِو بنِ أبى قيسٍ، عن عاصمٍ، عن المسيَّبِ، عن ابنِ مسعـــودٍ، قال: الطُّوَلُ كالتوراةِ، والمِئون كالإنجيلِ، والمَثانى كالزَّبورِ، وسائرُ القرآنِ بعدُ[(٣)] فضلٌ على الكتبِ[(٤)]. ١/٤٥

حدَّثنا أبو عُبَيدٍ الوَصَّابىُّ[(٥)] محمدُ بنُ حفصٍ، قال: أنبأنا[(٦)] ابنُ حِمْيرٍ[(٦)]، حدَّثنا الفَزارىُّ، عن ليثِ بنِ أبى سُلَيْمٍ[(٧)]، عن أبى بُرْدةَ، عن أبى المَلِيحِ، عن واثلةَ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه[(٨)] قال: «أعْطانى رَبِّى مَكانَ التَّوراةِ السَّبْعَ الطُّوَلَ، ومَكانَ الإنْجِيلِ المَثانىَ، ومَكانَ الزَّبُورِ المِـئِينَ، وفَضَّلَنى بالمُـفَصَّلِ»[(٩)].

---

(١) أخرجه ابن الضريس، فى فضائل القرآن (١٥٧) من طريق خالد به بلفظ: وأعطيت المثانى مكان الإنجيل.
(٢) فى ت ٢: «سالم».
(٣) فى ر: «يعد».
(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/١٠١ إلى المصنف. والمسيب - هو ابن رافع - لم يلق ابن مسعود، وإنما يروى عن مجاهد ونحوه.
(٥) فى ر: «الوجابى»، وفى م: «الوصانى قال حدثنا»، وفى ت ١: «الوصابى قال حدثنا». ومحمد بن حفص هو أبو عبيد الوصابى. ينظر الجرح ٧/ ٢٣٧.
(٦ - ٦) فى م: «أبو حميد». وهو محمد بن حمير، أبو عبد اللَّه، أو أبو عبد الحميد. ينظر تهذيب الكمال ٢٥/١١٦.
(٧) فى ر: «سلهم». وينظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٨٢.
(٨) سقط من: م.
(٩) إسناده ضعيف؛ أبو عبيد الوصابى، قال ابن أبى حاتم: أردت قصده والسماع منه، فقال لى بعض أهل =

قال أبو جعفرٍ: والسبعُ الطُّوَلُ؛ البقرةُ، وآلُ عِمْرانَ، والنِّساءُ، والمائدةُ، والأنْعامُ، والأعْرافُ، ويونسُ، فى قولِ سعيدِ بنِ جُبيرٍ.

حدَّثنى بذلك يعقوبُ بنُ إبراهيمَ، قال: حدَّثنا هُشَيْمٌ، عن أبى بشرٍ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ.

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ قولٌ يَدُلُّ على موافقتِه قولَ سعيدٍ هذا.

وذلك ما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ بَشّارٍ، قال: حدَّثنا ابنُ أبى عَدِيٍّ ويحيى بنُ سعيدٍ ومحمدُ بنُ جعفرٍ وسهلُ بنُ يوسُفَ، قالوا: حدَّثنا عوفٌ، قال: حدَّثنى يَزيدُ الفارسىُّ، قال: حدَّثنى ابنُ عباسٍ، قال: قلتُ لعثمانَ بنِ عفانَ: ما حمَلَكم على أن عمَدْتُم إلى «الأنفالِ» وهى مِن المثانى، وإلى «براءةَ» وهى مِن المِئِينَ، فقرَنْتُم[(١)] بينَهما ولم تَكْتُبوا بينهما[(٢)] سطرَ: بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ، ووضَعْتُموها فى السبعِ الطُّوَلِ، ما حمَلكم على ذلك؟ قال عثمانُ: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ مما يَأْتِى عليه الزمانُ وهو تُنَزَّلُ عليه السُّوَرُ ذواتُ العددِ، فكان إذا نزَل[(٣)] عليه الشىءُ[(٤)] دعا ببعضِ مَن كان يَكْتُبُ فيقولُ: «ضَعُوا هؤلاء[(٥)] الآياتِ فى السُّورَةِ التى يُذْكَرُ فيها كذا

= حمص: ليس بصدوق، ولم يدرك محمد بن حمير، فتركته. وأخرجه الطبرانى فى الكبير (٨٠٠٣، ٨٠٠٤) من طريق ليث به من حديث أبى أمامة. وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١٥٨: فيه ليث بن أبى سليم وقد ضعفه جماعة، ويعتبر بحديثه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(١) فى ت ٢: «فقربتم»، وفى ت ١: «ففرقتم».

(٢) سقط من: م.

(٣) فى ر: «أنزل».

(٤) سقط من: ر.

(٥) فى م، ت ٢: «هذه».

وَكذا » . وكانت « الأنفالُ » مِن أوائلِ ما أُنزل بالمدينةِ ، وكانت « براءةُ » مِن[(١)] آخرِ القرآنِ[(٢)] ، وكانت[(٣)] قصتُها شبيهةً بقصتِها ، فظنَنْتُ أنها منها ، فقُبِض رسولُ اللَّهِ ﷺ ولم يُبيِّنْ[(٤)] لنا أنها منها ، فمِن أجلِ ذلك قرَنْتُ بينَهما ولم أكْتُبْ بينهما سطرَ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، ووضَعْتُها[(٥)] فى السبعِ الطُّوَلِ[(٦)] .

فهذا الخبرُ[(٧)] يُنْبِئُ عن عثمانَ بنِ عفانَ ، رحمةُ اللَّهِ عليه ، أنه لم يكنْ تبيَّن له أن « الأنفالَ » و « براءةَ » مِن السبعِ الطُّوَلِ ، ويُصَرِّحُ عن ابنِ عباسٍ أنه لم يكنْ يَرَى ذلك منها .

وإنما سُمِّيَت هذه السُّوَرُ[(٨)] السبعَ الطُّوَلَ[(٩)] ؛ لطولِها على سائرِ سورِ القرآنِ .

وأما المِئونَ ، فهى ما كان مِن سُوَرِ القرآنِ عددُ آيِه مائةُ آيةٍ ، أو تَزِيدُ عليها شيئًا أو

---

(١) فى ص ، ر : « فى » .

(٢) بعده فى م : « نزولًا » .

(٣) فى ر : « كان » .

(٤) فى ر : « ينهوا » .

(٥) فى م : « فوضعتهما » .

(٦) حديث منكر ؛ تفرد به يزيد الفارسى ، وهو فى عداد المجهولين ، وهو غير يزيد بن هرمز . وأخرجه الترمذى (٣٠٨٦) ، وابن أبى داود فى المصاحف ص ٣٠ عن محمد بن بشار به .

وأخرجه أحمد ١/ ٤٥٩ ، ٤٦٠ (٣٩٩) ، وعمر بن شبة فى تاريخ المدينة ١٠١٥/٣ ، والنسائى فى الكبرى (٨٠٠٧) من طريق يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر به .

وأخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ١٥٢ ، وأحمد ٥٢٩/١ (٤٩٩) ، وأبو داود (٧٨٦ ، ٧٨٧) ، وابن أبى داود ص ٣٢ ، وابن حبان (٤٣) ، والحاكم ٢/ ٢٢١ ، ٣٣٠ ، والبيهقى ٤٢/٢ من طرق عن عوف به . وينظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند ٣٢٩/١ - ٣٣١ (٣٩٩) .

(٧) سقط من : ر .

(٨) فى ر : « السورة » .

(٩) فى ر : « طوالا » .

تَنْقُصُ منها شيئًا يسيرًا .

وأما المَثانى ، فإنها ما ثنَّى المئِين فتلاها ، فكان المئون لها أوائلَ ، وكان المثانى لها ثوانىَ . وقد قيل : إن المثانىَ سُمِّيَت مثانىَ ؛ لتثنيةِ اللَّهِ جل [١/١٢ظ] ذكرُه فيها الأمثالَ والخبرَ والعبرَ . وهو قولُ ابنِ عباسٍ .

حدَّثنا بذلك أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ يَمانٍ ، عن سفيانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ،/ عن ابنِ عباسٍ . ٤٦/١

ورُوِى عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ أنه كان يقولُ : إنما سُمِّيت مثانىَ ؛ لأنها ثُنِّيَت فيها الفَرائضُ والحدودُ .

حدَّثنا بذلك محمدُ بنُ بَشّارٍ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ، عن أبى بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ .

وقد قال جماعةٌ يَكْثُرُ تَعْدادُهم : القرآنُ كلُّه مَثانٍ .

وقال جماعةٌ أُخَرُ[1] : بل المثانى فاتحةُ الكتابِ ؛ لأنها تُثَنَّى قراءتُها فى كلِّ صلاةٍ .

وسنَذْكُرُ أسماءَ قائلى ذلك وعلَلَهم ، والصوابَ مِن القولِ فيما اخْتَلَفوا فيه مِن ذلك إذا انْتَهَيْنا إلى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾ [الحجر : ٨٧] . إنِ [2]اللَّهُ شاءَ[2] ذلك .

(١) فى م : « أخرى » .

(٢ - ٢) فى م : « شاء الله » .

وبمثلِ ما جاءت به الروايةُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى أسماءِ سُوَرِ القرآنِ التى ذُكِرَت ، جاء شعرُ الشعراءِ ، فقال بعضُهم[1] :

حلَفْتُ بالسبعِ اللَّواتى طُوِّلَت
وبمِئِينَ بعدَها قد أُمْئِيَتْ
وبمَثانٍ ثُنِّيَت فكُرِّرَت
وبالطَّواسِينِ[2] التى[3] قد ثُلِّثَت
وبالحَوامِيمِ اللَّواتى سُبِّعَت[4]
وبالمُفَصَّلِ اللَّواتى فُصِّلَت

قال أبو جعفرٍ : وهذه الأبياتُ تَدُلُّ على صحةِ التأويلِ الذى تأوَّلْناه فى هذه الأسماءِ .

وأما المُفَصَّلُ ، فإنما[5] سُمِّيَت مُفَصَّلًا ؛ لكثرةِ الفصولِ التى بينَ سورِها بـ « بسم اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ » .

ثم تُسَمَّى[6] كلُّ سورةٍ مِن سورِ[7] القرآنِ سُورةً ، وتُجْمَعُ سُوَرًا ، على تقديرِ خُطبةٍ وخُطَبٍ ، وغُرفةٍ وغُرَفٍ .

---

(١) الرجز غير منسوب فى مجاز القرآن ١/ ٧، واللسان (ط س م) .
(٢) فى مصدرى التخريج : « بالطواسيم » . والطواسين والطواسيم هى طسم الشعراء ، وطس النمل ، وطسم القصص .
(٣) سقط من : م .
(٤) الحواميم اللواتى سبعت : سبع سور ، من سورة غافر إلى سورة الأحقاف ، كلها تبدأ بـ « حم » .
(٥) فى م : « فإنها » .
(٦) فى ر : « يسم » .
(٧) سقط من : م .

والسورةُ بغيرِ همزٍ: المنزلةُ مِن مَنازلِ الارتفاعِ، ومِن ذلك سُورُ المدينةِ، سُمِّى[1] بذلك الحائطُ الذى يَحْوِيها؛ لارتفاعِه على ما يَحْوِيه، غيرَ أن السُّورةَ مِن سُورِ المدينةِ لم يُسْمَعْ فى جمعِها سُوَرٌ، كما سُمِع فى جمعِ سورةٍ مِن القرآنِ سورٌ، قال العَجَّاجُ[2] فى جمعِ السورةِ مِن[3] البناءِ:

فرُبَّ ذى سُرادِقٍ[4] مَحْجُورِ
سُرْتُ[5] إليه فى أعالى السُّورِ

فخرَج تقديرُ[6] جمعِها على تقديرِ جمعِ بُرَّةٍ وبُسْرةٍ؛ لأن [7] ذلك يُجْمَعُ بُرًّا وبُسْرًا[7]، وكذلك لم يُسْمَعْ فى جمعِ سورةٍ مِن القرآنِ سُورٌ، ولو جُمِعَت كذلك لم يكنْ خطأً فى القياسِ إذا أُرِيد به جميعُ القرآنِ، وإنما ترَكوا - فيما يُرَى - جمعَه كذلك؛ لأن كلَّ جمعٍ كان بلفظِ الواحدِ المُذَكَّرِ، مثلَ بُرٍّ وشعيرٍ وقَصَبٍ وما أشبَهَ ذلك، فإن جماعَه[8] [9] مَجرى الواحـدِ[9] مِن الأشياءِ غيرِه؛ لأن حكمَ الواحدِ منه منفردًا[10] قلَّما يُصابُ، فجرَى جِماعُه مَجْرَى الواحدِ مِن الأشياءِ[11] غيرِه، ثم

---

(١) فى ر: «تسمى».

(٢) فى ر: «الحجاج». والرجز فى ديوان العجاج ص ٢٢٤.

(٣) سقط من: ر.

(٤) السرادق: كل ما أحاط بشىء نحو الشقة فى المضرب أو الحائط المشتمل على الشىء. اللسان (س ر د ق).

(٥) سُرْتُ الحائط سَورا بالفتح وتسورته: علوته. التاج (س و ر).

(٦) فى م: «بتقدير».

(٧ - ٧) فى م: «جمع ذلك بر وبسر».

(٨) فى م: «جماعة».

(٩ - ٩) فى م، ت ٢: «كالواحد».

(١٠) فى م: «مفردا».

(١١) سقط من: ر، ت ١.

جُعِلَت الواحدةُ منه كالقطعةِ مِن جميعِه ، فقيل : بُرَّةٌ وشَعِيرَةٌ وقَصَبةٌ . يُرادُ به قطعةٌ منه ، ولم تكنْ سُوَرُ القرآنِ موجودةً مجتمعةً اجتماعَ البرِّ والشعيرِ وسُورِ المدينةِ ؛ بل كلُّ سورةٍ منها موجودةٌ منفردةٌ بنفسِها انفرادَ كلِّ غرفةٍ مِن الغرفِ وخطبةٍ مِن الخطبِ ، فجُعِل جمعُها جمعَ الغرفِ والخطبِ ، المَبْنىِّ جمعُها مِن واحدِها .

ومِن الدَّلالةِ على أن معنى السُّورةِ المنزلةُ مِن الارتفاعِ قولُ نابغةِ بنى ذُبْيانَ[(١)] :

ألم تَرَ أن اللَّهَ أعْطاك سُورةً ... تَرَى كلَّ مَلْكٍ دونَها يَتَذَبْذَبُ

يعنى بذلك أن اللَّهَ أعْطاه منزلةً مِن مَنازِلِ الشرفِ التى قصَرت عنها منازلُ الملوكِ .

وقد هَمز بعضُهم السورةَ مِن القرآنِ ، وتأويلُها فى لغةِ من[(٢)] همَزَها ، القطعةُ التى قد أُفْضِلَت مِن القرآنِ عمّا / سواها وأُبْقِيَت ، وذلك أن سُؤْرَ كلِّ شىءٍ البقيةُ منه تَبْقَى بعدَ الذى يُؤْخَذُ منه ، ولذلك سُمِّيَت الفَضْلةُ مِن شرابِ الرجلِ يَشْرَبُه ثم يُفْضِلُها فيُبْقِيها فى الإناءِ : سُؤْرًا . ومِن ذلك قولُ أعْشَى بنى ثعلبةَ يَصِفُ امرأةً فارقَتْه فأبْقَت فى قلبِه مِن وَجْدِها بقيةً[(٣)] : ٤٧/١

فبانَت وقد أسْأَرَت فى الفؤا ... دِ صَدْعًا على نأْيِها مُسْتَطِيرَا

وقال الأعْشَى فى مثلِ ذلك[(٤)] :

---

(١) ديوانه ص ٧٨..

(٢) سقط من : م .

(٣) ديوان الأعشى ص ٩٣.

(٤) ديوانه ص ١٠١.

بانَت وقد أسْأَرَت فى النفسِ حاجتَها   بعدَ ائْتِلافٍ وخيرُ الوُدِّ ما نفَعا

وأما **الآيةُ** مِن آيِ[١] القرآنِ فإنها تَحْتَمِلُ **وجهَيْن** فى كلامِ العربِ ؛

أحدُهما : أن تكون سُمِّيت آيةً ؛ لأنها علامةٌ يُعْرَفُ بها تمامُ ما قبلَها وابتداؤُها ، كالآيةِ التى تكونُ دَلالةً على الشىءِ يُسْتَدَلُّ بها عليه ، كقولِ الشاعرِ[٢] :

ألِكْنى إليها عَمْرَكَ اللَّهَ يا فَتًى   بآيةِ ما جاءَت إلينا تَهادَيا[٣]

يعنى : بعلامةِ ذلك . ومنه قولُه جلّ ثناؤُه : ﴿ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ﴾ [المائدة: ١١٤] . [٤]يعْنى بذلك[٤] : علامةً منك لإجابتِك دُعاءَنا وإعْطائِك إيانا سُؤْلَنا .

والآخرُ منهما : القِصَّةُ ، كما قال كعبُ بنُ زُهَيْرِ بنِ أبى سُلْمَى[٥] :

ألا أبْلِغا[٦] هذا المُعَرِّضَ آيةً[٧]   أيَقْظانَ قال القولَ إذ قال أم حَلَمْ

يعنى بقولِه : آيةً : رسالةً منى وخبرًا عنى . فيكونُ معنى الآياتِ القِصَصَ ، قصةً تَتْلُو قصةً ، بفُصولٍ ووُصولٍ .

---

(١) سقط من : م .

(٢) هو سحيم عبد بنى الحسحاس ، والبيت فى ديوانه ص ١٩.

(٣) التهادى : المشى فى تمايل وسكون . اللسان (هـ د ى) .

(٤ - ٤) فى م : « أى » .

(٥) ديوانه ص ٦٤.

(٦) فى م : « بلغا » .

(٧) فى الديوان : « أنه » . وورد على الصواب فى طبقات فحول الشعراء ١/ ١٠٦. وقال الشيخ محمود شاكر : والآية بمعنى الرسالة لم تذكره كتب اللغة ، ولكن شواهده لا تعد كثرة . ثم ساق الشواهد على ذلك من الشعر . وينظر تفسير الطبرى بتحقيقه .

القولُ فى تأويلِ أسماءِ فاتحةِ الكتابِ

قال أبو جعفرٍ : صحَّ الخبرُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ بما **حدَّثنى** به يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : حدَّثنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخْبَرَنى ابنُ أبى ذئبٍ ، عن سعيدٍ المَقبُرِىِّ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، [١/١٣و] قال : « هى أُمُّ القُرآنِ ، وهى فاتحَةُ الكِتابِ ، وهى السَّبْعُ المَثانى » .

فهذه أسماءُ فاتحةِ الكتابِ .

وسُمِّيَت فاتحةَ الكتابِ لأنه[1] يُفْتَتَحُ بكتابتِها المَصاحِفُ ، [2]وبقراءتِها[2] الصلـــواتُ[3] ، فهى فَواتحُ لما يَتْلُوها مِن سُورِ القرآنِ فى الكتابِ[4] والقراءةِ .

وسُمِّيَت أمَّ القرآنِ لتقدُّمِها[5] على سائرِ سُوَرِ القرآنِ غيرِها وتأخُّرِ ما سواها خلفَها فى القراءةِ والكتابةِ . وذلك مِن معناها شبيهٌ بمعنى فاتحةِ الكتابِ ، وإنما قيل لها - لكونها كذلك - : أمُّ القرآنِ ؛ لتسميةِ العربِ كلَّ جامعٍ أمرًا أو مُقَدِّمٍ لأمرٍ ، إذا كانت له توابعُ تَتْبَعُه ، هو لها إمامٌ جامعٌ ، أُمًّا ، فتقولُ للجلدةِ التى تجْمَعُ الدِّماغَ : أمُّ الرأسِ . وتُسَمِّى[6] لِواءَ الجيشِ ورايتَهم التى يَجْتَمِعون تحتَها للجيشِ أُمًّا ، ومِن ذلك قولُ ذى الرُّمَّةِ يَصِفُ رايةً مَعْقودةً على قناةٍ يَجْتَمِعُ تحتَها هو وصحبُه[7] :

---

(١) فى م ، ت ٢: « لأنها » .

(٢ - ٢) فى م : « ويقرأ بها فى » .

(٣) فى ت ٣: « الصلاة » .

(٤) فى م : « الكتابة » .

(٥) فى ص ، ر : « لتقدمتها » .

(٦) فى ر : « نسم » .

(٧) ديوان ذى الرمة ٣/ ١٤٤٥، ١٤٤٦.

وأسْمَرَ قَوَّامٍ إذا نام صُحْبَتى خفيفِ الثيابِ لا تُوارِى له أَزْرَا[(١)]

٤٨/١ /على رأسِه أمٌّ لنا نَقْتَدِى بها جِماعُ أمورٍ لا نُعاصِى لها أمرَا

إذا نزَلَت قيل انْزِلوا وإذا غدَت غدَت ذاتَ[(٢)] بِرْزيقٍ تَخالُ[(٢)] بها فَخْرَا

يعنى بقولِه : على رأسِه أمٌّ لنا . أى : على رأسِ الرمحِ رايةٌ يَجْتَمِعون لها فى النزولِ والرَّحيلِ وعندَ لقاءِ العدوِّ .

وقد قيل : إن مكةَ سُمِّيَت أمَّ القُرَى لتقدمِها أمامَ جميعِها ، وجمعِها ما سواها . وقيل : إنما سُمِّيَت بذلك ؛ لأن الأرضَ دُحِيَت منها ، فصارت لجميعِها أمًّا . ومِن ذلك قولُ حُميدِ بنِ ثَوْرٍ الهِلالىِّ[(٣)] :

إذا كانت[(٤)] الخمسون أُمَّك[(٤)] لم يكن لـدائِـك إلا أن تَمُـوتَ طَـبـيـبُ

لأن الخمسين جامعةٌ ما دونها مِن العددِ ، فسمَّاها أمًّا للذى قد بلَغها .

وأما تأويلُ اسمِها أنها السبعُ ، فإنها سبعُ آياتٍ ، لا خلافَ بينَ الجميعِ مِن القراءِ والعلماءِ فى ذلك ، وإنما اخْتَلَفوا فى الآىِ التى صارت بها سبعَ آياتٍ .

---

(١) الأَزر : الظهر . اللسان (أ ز ر) .

(٢ - ٢) فى م : « تزريق تنال » .

والبرزيق ؛ والجمع البرازيق ، فارسى معرب : جماعات الناس ، وقيل : جماعات الخيل ، وقيل : هم الفرسان . اللسان (ب ر ز ق) .

(٣) البيت ليس لحميد بن ثور وإنما هو لأبى محمد التيمى عبد الله بن أيوب ، ترجمته فى الأغانى ٢٠/ ٤٤. والبيت فى البيان والتبيين ٣/ ١٩٥، ومجموعة المعانى ص ١٢٤، وبهجة المجالس ٢/ ٢٣٤، ونسب فيها للتيمى ، ونسبه فى محاضرات الأدباء لأبى محمد التميمى ١٤٩/٢ ، ووقع فى عيون الأخبار ٣٢٢/٢ أنه للحجاج بن يوسف التيمى .

(٤ - ٤) فى البيان والتبيين ، ومجموعة المعانى ، وبهجة المجالس ، وعيون الأخبار : « السبعون سنك » ، وفى محاضرات الأدباء : « الستون سنك » .

فقال عُظْمُ(١) أهلِ الكوفةِ : صارت سبعَ آياتٍ ، بـ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . ورُوِى ذلك عن جماعةٍ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ والتابعين .

وقال آخَرون : بل(٢) هى سبعُ آياتٍ ، وليس منهن : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . ولكن السابعةُ : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ . وذلك قولُ عُظْمِ قرأةِ أهلِ المدينةِ ومُتَفقِّهيهم(٣) .

قال أبو جعفرٍ : وقد بيَّنا الصوابَ مِن القولِ عندَنا فى ذلك فى كتابِنا « اللطيفِ فى أحكامِ شرائعِ الإسلامِ » ، بوَجيزٍ مِن القولِ ، وسنَسْتَقْصِى بيانَ ذلك بحكايةِ أقوالِ المختلفين فيه مِن الصحابةِ والتابعين والمتقدِّمين والمتأخِّرين فى كتابِنا الأكبرِ « فى(٤) أحكامِ شرائعِ الإسلامِ » إنِ اللَّهُ شاء ذلك .

وأما وصفُ النبىِّ ﷺ آياتِها السبعَ بأنهن مَثانٍ ؛ فلأنها تُثَنَّى قراءتُها فى كلِّ صلاةِ تَطَوُّعٍ ومكتوبةٍ ، وكذلك كان الحسنُ البصرىُّ يَتأوَّلُ ذلك .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن أبى رَجاءٍ ، قال : سألْتُ الحسنَ عن قولِه : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر : ٨٧] . قال : هى فاتحةُ الكتابِ . ثم سُئِل عنها وأنا أَسْمَعُ ، فقرَأها : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . حتى أتَى على آخرِها ، فقال : تُثَنَّى فى كلِّ قراءةٍ . أو قال : فى كلِّ صلاةٍ . الشكُّ مِن أبى جعفرٍ .

---

(١) فى م : « أعظم » . وعظم الشيء ومعظمه : جله وأكثره . اللسان (ع ظ م) .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى ص : « متقنيهم » .

(٤) فى ر ، ت١ : « من » .

والمعنى الذى قلْنا فى ذلك قصَد أبو النَّجْمِ العِجْليُّ بقولِه[١] :

الحمدُ للَّهِ الذى عافانى
وكلَّ خيرٍ بعدَه أعْطانى
مِن القُرَانِ ومِن المَثانى[٢]

وكذلك قولُ الراجزِ الآخرِ[٣] الذى يقولُ[٣] :

نشَدْتُكم بمُنْزِلِ الفُرقانِ
أمِّ الكتابِ السبعِ مِن مَثانى
ثُنِّينَ[٤] مِن آيٍ مِن القرآنِ
والسبعِ سبعِ الطُّوَلِ الدَّوانى

وليس فى وجوبِ[٥] اسمِ السبعِ المثانى لفاتحةِ الكتابِ ما يَدْفَعُ صحةَ وجوبِ[٦] اسمِ المثانى للقرآنِ كلِّه ،/ ولِمَا ثنَّى المِئِين مِن السُّورِ ؛ لأنَّ لكلٍّ ذلك وجهًا ومعنًى مفهومًا ، لا يَفْسُدُ بتسميةِ بعضِ ذلك بالمثانى تسميةُ غيرِه بها .

١/٤٩

فأما وجهُ تسميةِ ما ثنَّى المئينَ مِن سورِ القرآنِ بالمثانى ، فقد بيَّنا صحتَه ، وسنَدُلُّ على صحةِ وجهِ تسميةِ جميعِ القرآنِ به عندَ انتهائِنا إليه ، فى سورةِ « الزُّمَرِ » إن شاء اللَّهُ تعالى .

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٧، واللسان (ث ن ى) ، من غير نسبة .

(٢) فى مجاز القرآن واللسان :

* رب المثانى الآى والقرآن *

وفى اللسان : « مثانى » . بدلا من : « المثانى » .

(٣ - ٣) سقط من : م . والرجز فى مجاز القرآن ١/ ٧.

(٤) فى م : « تبين » .

(٥) فى ص ، ت ٢: « وجوه » ، وفى م : « وجود » .

(٦) فى م : « وجود » .

القولُ فى تأويلِ الاستعاذةِ

تأويلُ قولِه : « أعُوذُ » .

والاستعاذةُ الاستجارةُ .

وتأويلُ قولِ القائلِ : « أعُوذُ باللَّهِ مِن الشيطانِ » : أسْتَجِيرُ باللَّهِ دونَ غيرِه مِن سائرِ خلقِه ، مِن الشيطانِ ، أن يَضُرَّنى فى دينى ، أو يَصُدَّنى عن حقٍّ يَلْزَمُنى لربِّى .

تأويلُ قولِه : « مِن الشيطانِ » . والشيطانُ فى كلامِ العربِ كلُّ مُتَمَرِّدٍ مِن الجنِّ والإنسِ والدَّوابِّ وكلِّ شىءٍ . ولذلك[1] قال ربُّنا جلّ ثناؤُه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ [الأنعام : ١١٢] . فجعَل مِن الإنسِ شياطينَ مثلَ الذى جعَل مِن الجنِّ .

وقال عمرُ بنُ الخطابِ رحمةُ اللَّهِ عليه ، وركِب بِرْذَوْنًا[2] فجعَل يَتَبَخْتَرُ به ، فجعَل يَضْرِبُه فلا يَزْدادُ إلا تَبَخْتُرًا ، فنزَل عنه ، وقال : ما حمَلْتُمونى إلا على شيطانٍ ، ما نزَلْتُ عنه حتى أنْكَرْتُ نفسى .

حدَّثنا بذلك يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرَنى هشامُ بنُ سعدٍ ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن أبيه ، عن عمرَ[3] .

قال أبو جعفرٍ : وإنما سُمِّى المُتَمَرِّدُ مِن كلِّ شىءٍ شيطانًا ؛ لمفارقةِ أخلاقِه وأفعالِه أخلاقَ سائرِ جنسِه وأفعالَه ، وبُعدِه مِن الخيرِ . وقد قيل : إنه أُخِذ مِن قولِ القائلِ :

---

(١) فى م : « كذلك » .

(٢) البرذون من الخيل : ما ليس بعربى ، وهو العظيم الخلقة الجافيها الغليظ الأعضاء . تاج العروس (برذن) .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٣١ عن ابن وهب به . وقال : إسناده صحيح . وينظر مصنف ابن أبى شيبة ١٣/ ٢٧٨، وتاريخ دمشق (ص ٢٦١- ترجمة عمر) ، طبعة الرسالة .

شطَنَت دارِى مِن دارِك . يُرِيدُ بذلك : بَعُدَت . ومِن ذلك [١٣/١ظ] قولُ نابغةِ بنى ذُبْيانَ[(١)] :

نأتْ بسعادَ عنكَ نَوًى شَطُونُ ... فبانَت والفؤادُ بها رَهينُ

والنَّوَى : الوجهُ الذى نوَتْه وقصَدَتْه . والشَّطونُ : البعيدُ . فكأن الشيطانَ على هذا التأويلِ فَيْعَالٌ مِن : شَطَن . ومما يَدُلُّ على أن ذلك كذلك قولُ أمية بنِ أبى الصَّلْتِ[(٢)] :

أَيُّمَا شاطِنٍ عَصَاه عَكَاه[(٣)] ... ثم يُلْقَى فى السِّجْنِ والأكْبالِ[(٤)]

ولو كان فَعْلانَ مِن : شاط يَشِيطُ لَقال : أَيُّمَا شائطٍ . ولكنه قال : أَيُّمَا شاطِنٍ ؛ لأنه مِن : شَطَن يَشْطُنُ ، فهو شاطنٌ .

تأويلُ قولِه : « الرَّجيمِ » .

وأما الرجيمُ فهو فَعيلٌ بمعنى مفعولٍ[(٥)] ، كقولِ القائلِ : كفٌّ خَضيبٌ ، ولحيةٌ دَهينٌ ، ورجلٌ لَعينٌ . يريدُ بذلك : مخضوبةٌ ، ومدهونةٌ ، وملعونٌ . وتأويلُ الرجيمِ : الملعونُ المشْتومُ . وكلُّ مَشْتومٍ بقولٍ رَدىءٍ أو سبٍّ فهو مَرْجُومٌ . وأصلُ الرجمِ الرَّمْىُ ، بقولٍ كان أو بفعلٍ . ومِن / الرجم بالقولِ : قولُ أبى إبراهيمَ لإبراهيمَ صلواتُ اللَّهِ عليه : ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم : ٤٦] .

١/٥٠

وقد يجوزُ أن يكونَ قيل للشيطانِ : رجيمٌ ؛ لأن اللَّهَ جلّ ثناؤُه طرَدَه مِن سماواتِه ، ورجَمه بالشُّهُبِ الثَّواقبِ .

---

(١) ديوانه ص ٢٥٦ .

(٢) ديوانه ص ٦٤.

(٣) عكوته فى الحديد والوثاق عكوا : شددته . اللسان (ع ك و) .

(٤) فى الديوان : « الأغلال » ، وفى نسخة منه « الأكبال » ، وهما بمعنى .

(٥) فى ص ، ت١ ، ت٢ : « به » .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ أن أولَ ما نزَل جبريلُ (١على النبيِّ ﷺ علَّمه الاستعاذةَ١) .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، قال : أولُ ما نزَل جبريلُ على محمدٍ قال : يا محمدُ استعِذْ[٢] ، قُلْ : أسْتَعِيذُ بالسميعِ العليمِ مِن الشيطانِ الرجيمِ . ثم قال : قُلْ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ . ثم قال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] . قال عبدُ اللَّهِ : وهى أولُ سورةٍ أنزلها اللَّهُ على محمدٍ بلسانِ جبريلَ ، فأمَره أن يَتَعَوَّذَ باللَّهِ دونَ خَلْقِه[٣] .

القولُ فى تأويلِ : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه[٢] : ﴿ بِسْمِ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه وتقدَّست أسماؤُه أدَّب نبيَّه محمدًا ﷺ بتعليمِه تقديمَ ذكرِ أسمائِه الحُسْنَى أمامَ جميعِ أفعالِه ، وتقَدَّم إليه فى وَصفِه بها قبلَ جميعِ مُهِمَّاتِه ، وجعَل ما أدَّبه به مِن ذلك وعلَّمه إياه ، منه لجميعِ خلقِه سُنَّةً يَسْتَنُّون بها ، وسبيلًا يَتَّبِعونه عليها ، فى[٤] افتتاحِ أوائلِ مَنْطِقِهم ، وصدورِ رسائلِهم وكتبِهم وحاجاتِهم ، حتى أغْنَت دلالةُ ما ظهَر مِن قولِ القائلِ : ﴿ بِسْمِ

(١ - ١) فى ص : « ﷺ بالاستعاذة » .

(٢) سقط من : م ، ت٢ .

(٣) ذكره السيوطى فى تدريب الراوى ٦٢/١ عن بشر بن عمارة ، وعزاه إلى المصنف .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥/١ ، ٢٦ (١ ، ٤ ، ٦) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ١٠ من طريق أبى كريب به .

وقال ابن كثير فى تفسيره ٢٩/١ : وهذا الأثر غريب ، وإنما ذكرناه ليعرف ، فإن فى إسناده ضعفا وانقطاعا .

(٤) فى ص ، ت ٢ : « فيه » .

﴿ٱللَّهِ﴾ . على ما بطَن مِن مرادِه الذى هو محذوفٌ .

وذلك أن الباءَ مِن : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ . مُقْتَضِيةٌ فعلًا يكونُ لها جالبًا ، ولا فعلَ معها ظاهرٌ ، فأغْنَت سامعَ القائلِ : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ . معرفتُه بمرادِ قائلِه من إظهارِ قائلِ ذلك مُرادَه قولًا ؛ إذ كان كلُّ ناطقٍ به عندَ افتتاحِه أمرًا قد أحْضَر مَنْطِقَه به - إمَّا معه ، وإمَّا قبلَه بلا فصلٍ - ما قد أغْنَى سامِعَه مِن دَلالةٍ شاهدةٍ على الذى مِن أجلِه افْتَتَح قِيلَه به ، فصار استغناءُ سامعِ ذلك منه عن إظهارِ ما حذَف منه ، نظيرَ استغنائِه إذا سمِع قائلًا قيل له : ما أكَلْتَ اليومَ ؟ فقال : طعامًا . عن أن يُكرِّرَ المسئولُ مع قولِه : طعامًا : أكَلْتُ . لما قد ظهَر لديه مِن الدلالةِ على أن ذلك معناه بتقدُّمِ مسألةِ السائلِ إياه عما أكَل . فمعقولٌ إذن أن[1] القائلَ إذا قال : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ . ثم افْتَتَح تاليًا سورةً ، أن إتْباعَه : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ . تلاوةَ السورةِ ، مُنْبِئٌ[2] عن معنى قولِه : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ . ومفهومٌ به أنه مُرِيدٌ بذلك : أقْرَأُ بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ . وكذلك قولُه : باسمِ اللَّهِ . عندَ نُهوضِه للقيامِ أو عندَ قعودِه وسائرِ أفعالِه ، يُنْبِئُ[3] عن معنى مرادِه بقولِه : باسمِ اللَّهِ . وأنه أراد بقِيلِه : باسمِ اللَّهِ : أقُومُ باسمِ اللَّهِ ، وأقْعُدُ باسمِ اللَّهِ . وكذلك سائرُ الأفعالِ .

وهذا الذى قلْنا فى تأويلِ ذلك هو معنى قولِ ابنِ عباسٍ الذى **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو

---

(١) بعده فى م : « قول » .

(٢) فى ص ، ر ، ت ١ : « مبنى » وفى م : « ينبئ » .

(٣) فى ص : « يكنى » . وفى ر : « تنبئ » .

رَوْقٍ ، عن الضَّحّاكِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ / عباسٍ قال : إن أولَ ما نزَل به جبريلُ على ١/٥١ محمدٍ ﷺ ، قال : يا محمدُ ، قُلْ : أَسْتَعِيذُ بالسميعِ العليمِ مِن الشيطانِ الرجيمِ . ثم قال : قُلْ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ . قال : قال له جبريلُ[(١)] : بسمِ اللَّهِ يا محمدُ . يقولُ : اقْرَأْ بذكرِ اللَّهِ ربِّك ، وقمْ واقْعُدْ بذكرِ اللَّهِ .

قال أبو جعفرٍ : فإن قال لنا قائلٌ : فإن كان تأويلُ قولِ اللَّهِ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . ما وصَفْتَ ، والجالبُ الباءَ فى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . ما ذكرتَ ، فكيف قيل : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . بمعنى : أقْرَأُ باسمِ اللَّهِ . أو : أقُومُ [(٢)] باسمِ اللَّهِ [(٢)] . أو : أقْعُدُ باسمِ اللَّهِ ؟ وقد علمتَ أن كلَّ قارئٍ كتابَ اللَّهِ ، فبعونِ اللَّهِ وتوفيقِه قراءتُه ، وأن كلَّ قائمٍ أو قاعدٍ أو فاعلٍ فعلًا ، فباللَّهِ قيامُه وقعودُه وفعلُه ؟ وهلَّا - إذ كان ذلك كذلك - قيل : باللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ . ولم يُقَلْ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . فإن قولَ القائلِ : أقُومُ وأقْعُدُ باللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ . أو : أقْرَأُ باللَّهِ . أوضحُ معنًى لسامعِه مِن قولِه : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . إذ كان قولُه : أقُومُ ، أو[(٣)] : أقْعُدُ باسمِ اللَّهِ . يُوهِمُ سامعَه أن قيامَه وقعودَه بمعنًى غيرِ اللَّهِ .

قيل له وباللَّهِ التوفيقُ : إن المقصودَ إليه مِن معنى ذلك غيرُ ما توهَّمْتَه فى نفسِك ، وإنما معنى قولِه : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ : أبْدَأُ بتسميةِ اللَّهِ وذِكْرِه قبلَ كلِّ شيءٍ . أو : أقْرَأُ بتسميتِه[(٤)] . أو : أقُومُ وأقْعُدُ بتَسْميتِى اللَّهَ وذكرِه . [(٥)] لا أنه[(٥)] يعنى

---

(١) بعده فى م : « قل » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « و » .

(٤) فى ر ، م : « بتسمية اللَّه » .

(٥ - ٥) فى ص : « إلا أنه » ، وفى ر : « لأنه » .

بقيله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ : أَقُومُ باللَّهِ . أو : أَقْرَأُ باللَّهِ . فيَكُونَ قولُ القائلِ : أَقْرَأُ باللَّهِ . أو : أقومُ . أو : أقعدُ باللَّهِ . أولى بوجهِ الصوابِ فى ذلك مِن قولِه : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ .

فإن قال : فإن كان الأمرُ فى ذلك على ما وصَفْتَ ، فكيف قيل : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . وقد علمتَ أن الاسمَ اسمٌ ، وأن التسميةَ مصدرٌ [١/١٤و] مِن قولِك : سمَّيت ؟ .

قيل : إن العربَ قد تُخْرِجُ المصادرَ مُبْهَمةً على أسماءٍ مختلفةٍ ، كقولِهم : أكرَمْتُ فلانًا كرامةً . وإنما بناءُ مصدرِ « أفعلتُ » - إذا أُخْرِج على فعلِه - الإفعالُ . وكقولِهم : أهَنْتُ فلانًا هَوانًا ، وكلَّمْتُه كلامًا . وبناءُ مصدرِ « فعَّلْتُ » التَّفْعيلُ . ومِن ذلك قولُ الشاعرِ[(١)] :

أَكُفْرًا بعدَ ردِّ الموتِ عنى   وبعدَ عطائِك المائةَ الرِّتاعا

يريدُ : إعْطاءَك .

ومنه قولُ القائلِ[(٢)] الآخرِ :

فإن كان هذا البُخْلُ منك سَجِيَّةً   لقد كنتُ فى طُولى رجاءَك أشْعَبا

يريد : فى[(٣)] إطالتى رجاءَك .

ومنه قولُ الآخرِ[(٤)] :

---

(١) هو القطامى ، والبيت فى ديوانه ص ٣٧.

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢. والبيت فى التبيان للطوسى ١/ ٢٦. وأشعب هو الذى يضرب به المثل فى الطمع .

(٣) سقط من : ص .

(٤) هو الحارث بن خالد المخزومى . ينظر الأغانى ٩/ ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٣٥. والبيت غير منسوب فى أمالى الشجرى ١/ ١٠٧.

أَظُلَيْمَ[1] إن مُصابَكم رجلًا أَهْدَى السلامَ تحيةً ظُلْمُ

يُريدُ : إصابتَكم .

والشواهدُ فى هذا المعنى تَكْثُرُ ، وفيما ذكَرْنا كفايةٌ لمن وُفِّق لفهمِه .

فإذ[2] كان [3]الأمرُ على ما[3] وصَفْنا مِن إخراجِ العربِ مصادرَ الأفعالِ على غيرِ بناءِ أفعالِها[4] كثيرًا ، وكان تصديرُها إياها على مَخارجِ الأسماءِ موجودًا فاشيًا - فبيِّنٌ[5] بذلك صوابُ ما قلْنا مِن التأويلِ فى قولِ القائلِ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . أن[6] معناه فى ذلك عندَ ابتدائِه فى فعلٍ أو قولٍ : أبْدَأُ بتسميةِ اللَّهِ قبلَ فعلى أو قبلَ قولى . وكذلك معنى قولِ القائلِ عندَ ابتدائِه بتلاوةِ القرآنِ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ . إنما معناه : أقْرَأُ / مُبْتَدِئًا بتسميةِ اللَّهِ . ٥٢/١ أو : أبْتَدِئُ قراءتى بتسميةِ اللَّهِ . فجُعِل الاسمُ مكانَ التسميةِ ، كما جُعِل الكلامُ مكانَ التكليمِ ، والعطاءُ مكانَ الإعْطاءِ .

وبمثلِ الذى قلْنا مِن التأويلِ فى ذلك رُوِى الخبرُ عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضَّحّاكِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، قال : أولُ ما نزلَ به[7] جبريلُ على محمدٍ ﷺ ، قال : يا محمدُ ، قُلْ : أسْتَعِيذُ بالسميعِ العليمِ مِن الشيطانِ الرجيمِ . ثم

---

(١) فى م : « أظلوم » .

(٢) فى ص : « فإن » ، وفى م : « فإذا » .

(٣ - ٣) فى ص : « كما » .

(٤) فى ص : « أفعل لها » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « تبين » .

(٦) سقط من : ت٢ .

(٧) سقط من : ر ، م ، ت ٢ .

قال : قُلْ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ . قال ابنُ عباسٍ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ . يقولُ له جبريلُ : يا محمدُ ، اقْرَأْ بذكرِ اللَّهِ ربِّك ، وقُمْ واقْعُدْ بذكرِ اللَّهِ .

وهذا التأويلُ مِن ابنِ عباسٍ يُنْبِئُ عن صحةِ ما قلنا ، مِن أنه مُرادٌ[(١)] بقولِ القائلِ مُفْتَتِحًا قراءتَه بـ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ . أقْرَأُ بتسميةِ اللَّهِ وذكرِه ، وأفْتَتِحُ القراءةَ بتسميةِ اللَّهِ بأسمائِه الحسنَى وصفاتِه العُلَى - ويُوضِّحُ[(٢)] فسادَ قولِ مَن زعَم أن معنى ذلك مِن قائلِه : باللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ أولُ[(٣)] كلِّ شيءٍ . مع أن العبادَ إنما أُمِروا أن يَبْتَدِئوا عندَ فَواتحِ أمورِهم بتسميةِ اللَّهِ ، لا بالخبرِ عن عظمتِه وصفاتِه ، كالذى أُمِروا به مِن التسميةِ على الذَّبائحِ والصيدِ ، وعندَ المَطْعَمِ والمَشْرَبِ ، وسائرِ أفعالِهم . فكذلك الذى أُمِروا به مِن تسميتِه عندَ افْتِتاحِ تلاوةِ تَنْزيلِ اللَّهِ ، وصدورِ رسائلِهم وكتبِهم .

ولا خلافَ بينَ الجميعِ مِن علماءِ الأمةِ أن قائلًا لو قال عندَ تذكيتِه بعضَ بَهائمِ الأنعامِ : باللَّهِ . ولم يقلْ : باسمِ اللَّهِ . أنه مُخالفٌ بتركِه قيلَ : باسمِ اللَّهِ . ما سُنّ له عندَ التذكيةِ من القولِ ، فقد عُلم بذلك أنه لم يُرِدْ بقولِه : باسمِ اللَّهِ : باللَّهِ . كما قال الزاعمُ أن اسمَ اللَّه فى قولِ اللَّهِ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ . هو اللَّهُ ؛ لأن ذلك لو كان كما زعَم ، لَوجَب أن يكونَ القائلُ عندَ تذكيتِه ذبيحتَه : باللَّهِ . قائلًا ما سُنَّ له مِن القولِ على

---

(١) فى م : « يراد » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « فى » .

الذَّبيحةِ . وفى إجماعِ الجميعِ على أن قائلَ ذلك تاركٌ ما سُنَّ له مِن القولِ على ذبيحتِه إذا لم يَقُلْ : باسمِ اللَّهِ – دليلٌ واضحٌ على فسادِ ما ادَّعَى مِن التأويلِ فى قولِ القائلِ : باسمِ اللَّهِ . أنه مرادٌ به باللَّهِ ، وأن اسمَ اللَّهِ هو اللَّهُ .

وليس هـذا الموضعُ مِن مَواضـعِ الإكـثارِ فى الإبانةِ عن الاسمِ ؛ أهو المُسَمَّى أم غيرُه ؟ أم هو صفةٌ له ؟ فنُطِيلَ الكتابَ بذكْرِه ، وإنما هذا موضعٌ مِن مَواضعِ الإبانةِ عن الاسمِ المضافِ إلى اللَّهِ جلّ وعزّ ؛ أهو اسمٌ أم مصدرٌ بمعنى التسميةِ ؟

فإن قال لنا قائلٌ : فما أنت قائلٌ فى بيتِ لَبيدِ بنِ رَبيعةَ[(١)] :

إلى الحَوْلِ ثم اسمُ السلامِ عليكما ومَن يَبْكِ حولًا كاملًا فقد اعْتَذَر

فقد تأوَّله مُقَدَّمٌ فى العلمِ بلغةِ العربِ أنه مَعْنِيٌّ به : ثم السلامُ عليكما . وأن اسمَ السلامِ هو السلامُ[(٢)] .

قيل له : لو جاز ذلك وصحَّ تأويلُه فيه على ما تأوَّل ، لجَاز أن يقالَ : رأيْتُ اسمَ زيدٍ ، وأكلتُ اسمَ الطعامِ ، وشرِبْتُ اسمَ الشرابِ . وفى إجماعِ جميعِ العربِ على إحالةِ ذلك ، ما يُنْبِئُ عن فسادِ تأويلِ من تأوَّل قولَ لبيدٍ :

* ثم اسمُ السلامِ عليكما *

أنه أراد : ثم السلامُ عليكما . و[(٣)] ادِّعائِه أن إدخالَ الاسمِ فى ذلك وإضافتَه إلى

---

(١) شرح ديوان لبيد ص ٢١٤.

(٢) الذى تأوله كذلك هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١/ ١٦.

(٣) فى ص ، ر: «أو» .

السلامِ ، إنما جاز إذ كان اسمُ المُسَمَّى هو المُسَمَّى بعينِه .

٥٣/١ /ويُسألُ القائلون قولَ مَن حكَيْنا قولَه هذا ، فيقالُ لهم : أتَسْتَجِيزون فى العربيةِ أن يقالَ : أكَلْتُ اسمَ العسلِ . يعنى بذلك : أكَلْتُ العسلَ . كما جازَ عندَكم : اسمُ السلامِ عليك[1] . وأنتم تُريدون : السلامُ عليك[1] ؟

فإن قالوا : نعم . خرَجوا مِن لسانِ العربِ ، وأجازوا فى لغتِها[2] ما تُخَطِّئُه جميعُ العربِ فى لغتِها . وإن قالوا : لا . سُئِلوا الفرقَ بينَهما ، فلن يَقُولوا فى أحدِهما قولًا إلا أُلْزِموا فى الآخرِ مثلَه .

فإن قال لنا قائلٌ : فما معنى قولِ لبيدٍ هذا عندَك ؟

قيل له : يَحْتَمِلُ ذلك وجهين ، كلاهما غيرُ الذى قاله مَن حكَيْنا قولَه ؛ **أحدُهما** : أن السلامَ اسمٌ مِن أسماءِ اللَّهِ ، فجائزٌ أن يكونَ لبيدٌ عنَى بقولِه :

* ثم اسمُ السلامِ [١/١٤ظ] عليكما *

: ثم الْزَما اسمَ اللَّهِ وذِكْرَه بعدَ ذلك ، ودَعَا ذِكْرى والبكاءَ علىَّ . على وجهِ الإغْراءِ . فرفَع الاسمَ إذ[3] أخَّر الحرفَ الذى يَأْتى بمعنى الإغراءِ . وقد تَفْعَلُ العربُ ذلك إذا أخَّرَت الإغراءَ وقدَّمَت المُغْرَى به ، وإن كانت قد تَنْصِبُ به وهو مُؤَخَّرٌ ، ومِن ذلك قولُ الشاعرِ[4] :

---

(١) فى ص : « عليكم » .

(٢) فى ر : « لغاتها » .

(٣) فى م : « إذا و » .

(٤) الرجز فى أمالى القالى ٢/ ٢٤٤، وخزانة الأدب ٦/ ٢٠٠.

يا أيُّها المائحُ[1] دَلْوِى دونَكا

إنى رأيْتُ الناسَ يَحْمَدُونكا

فأغْرَى بـ« دونك » وهى مُؤخَّرةٌ ، وإنما معناه : دونَكَ دلوِى . فكذلك قولُ لبيدٍ :

* إلى الحولِ ثم اسمُ السلامِ عليكما *

يعنى : ثم[2] عليكما اسمَ السلامِ . أى : الْزَما ذكرَ اللَّهِ ، ودَعَا ذِكْرِى والوَجْدَ بى ؛ لأن مَن بكَى حولًا على امرئٍ ميتٍ فقد اعْتَذَر . فهذا أحدُ وجهيه .

والوجهُ الآخرُ منهما : ثم تَسْمِيتى اللَّهَ عليكما . كما يقولُ القائلُ للشىءِ يَراه فيُعْجِبُه : اسمُ اللَّهِ عليك . يُعَوِّذُه بذلك مِن السُّوءِ ، فكأنه قال : ثم اسمُ اللَّهِ عليكما مِن السُّوءِ . وكأنَّ الوجهَ الأولَ أشبهُ المعْنَيَيْن بقولِ لبيدٍ .

ويُقالُ لمن وجَّه بيتَ لبيدٍ هذا إلى أن معناه : ثم السلامُ عليكما . أتَرَى ما قلْنا مِن هذين الوجهَيْن جائزًا ، أو أحدَهما ، أو غيرَ ما قلتَ فيه ؟ فإن قال : لا . أبان مِقْدارَه مِن العلمِ بتَصاريفِ وجوهِ كلامِ العربِ ، وأغْنَى خَصمَه عن مناظرتِه . وإن قال : بلى . قيل له : فما بُرهانُك على صحةِ ما ادَّعَيْتَ مِن التأويلِ أنه الصوابُ دونَ الذى ذكَرْتُ أنه مُحْتَمِلُه مِن الوجهِ الذى يَلْزَمُنا تسليمُه لك ؟ ولا سبيلَ إلى ذلك .

وأما الخبرُ الذى **حدَّثنا** إسماعيلُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ العَلاءِ بنِ الضَّحّاكِ[3] وهو يُلَقَّبُ بِزِبْرِيقٍ[3] ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن إسماعيلَ بنِ

---

(١) المائح : الرجل ينزل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها ، فيملأ الدلو بيده ويميح أصحابه . اللسان (م ى ح) والرجز فيه .

(٢) زيادة من : ر .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ٢ ، وفى ر ، ت ١ : « وهو يلقب بابن برفق » ، والمثبت من : ص . وينظر تهذيب الكمال ٢/ ١٦١ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٣ ، ونزهة الألباب للحافظ ١/ ٣٣٨ .

يحيى ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ ، عمَّن حدَّثه ، عن ابنِ مسعودٍ ، ومِسْعَرِ بنِ كِدَامٍ ، عن عطيةَ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ عِيسى ابنَ مَرْيَمَ أَسْلَمَتْهُ أُمُّهُ إلى الكُتَّابِ لِيُعَلِّمَه ، فقال لَه المُعَلِّمُ : اكتُبْ باسمِ . فقال له عِيسَى : وما باسمِ ؟ فقال له المُعلِّمُ : مَا أَدْرِى ، فَقَالَ له[1] عيسى : الباءُ بَهاءُ اللَّهِ ، والسينُ سَناؤُهُ ، والميمُ مَمْلَكَتُه »[2] .

فأَخْشَى أن يكونَ غلطًا مِن المحَدِّثِ ، وأن يكونَ أراد [ب س م] على سبيلِ ما يُعَلَّمُ المُبْتَدِئُ مِن الصِّبْيانِ فى الكُتابِ حروفَ [3]أبى جاد[3] ، فغلِط بذلك فوصَله ، فقال : باسمِ . لأنه لا معنَى لهذا التأويلِ إذا تُلِى : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . على ما يَتْلُوه القارئُ فى كتابِ اللَّهِ تعالى ؛ لاستحالةِ معناه عن المفهومِ به عندَ جميعِ العربِ وأهلِ لسانِها ، إذا حُمِل تأويلُه على ذلك .

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت١ .

(٢) حديث موضوع . أخرجه ابن عدى ١/٢٩٩- ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ٣٩/١٤ (مخطوط) ، وابن الجوزى فى الموضوعات ٢٠٣/١ - من طريق إبراهيم بن العلاء به .

وأخرجه ابن مردويه - كما فى تفسير ابن كثير ١/ ٣٣، وتدريب الراوى ٦١/١ - وابن عساكر ٣٩/١٤ من طريق إسماعيل بن عياش به . وعند ابن مردويه بالإسناد الثانى فقط .

وأخرجه ابن حبان فى المجروحين ١/ ١٢٦، ١٢٧، وأبو نعيم فى الحلية ٢٥١/٧ - ومن طريقه ابن الجوزى ١/ ٢٠٣، ٢٠٤ - من طريق إبراهيم بن العلاء به بالإسناد الثانى .

وإسماعيل بن يحيى كذاب . وقال ابن عدى : حديث باطل . وقال ابن الجوزى : حديث موضوع محال . وقال ابن كثير : غريب جدا ، وقد يكون صحيحا إلى من دون رسول اللَّه ﷺ ، ويكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات . واللَّه أعلم . وسيأتى هذا الحديث فى ص ١٢٣ ، ١٢٦ .

ورُوى نحوه من قول سعيد بن جبير . أخرجه ابن المنذر بإسناد صحيح ، كما فى الدر المنثور ٢/ ٢٥.

وعن الضحاك نحوه . أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥/١(٢) .

(٣ - ٣) هذه الكلمة يعنى بها الأحرف الأبجدية « أبجد هوز حطى ...» إلخ .

/ القولُ فى تأويلِ قولِ اللَّهِ جل ثناؤه وتقدَّست أسماؤه : ﴿ ٱللَّهِ ﴾ . ٥٤/١

قال أبو جعفرٍ : أما تأويلُ قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ ٱللَّهِ ﴾ . فإنه على معنى ما رُوِى لنا عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ : هو الذى يَأْلَهُه[١] كلُّ شىءٍ ، ويَعْبُدُه كلُّ خلقٍ . وذلك أن أبا كُرَيْبٍ **حدَّثنا** ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضَّحّاكِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، قال : اللَّهُ ذو الأُلوهيةِ والعبوديةِ على خلقِه أجمعين[٢] .

فإن قال لنا قائلٌ : فهل لذلك فى « فعَل ويَفْعَل » أصلٌ كان منه[٣] بناءُ هذا الاسمِ ؟ قيل : أمَّا سماعًا مِن العربِ فلا ، ولكن استدلالًا .

فإن قال : وما دلَّ على أن الأُلوهيةَ هى العبادةُ ، وأن الإلهَ هو المعبودُ ، وأن له أصلًا فى « فعَل ويَفْعَل » ؟

قيل : لا تَمانُعَ بينَ العربِ فى الحكمِ لقولِ القائلِ ، يَصِفُ رجلًا بعبادةٍ ، ويَطْلُبُ ما[٤] عندَ اللَّهِ جل ذكرُه : تألَّه فلانٌ . بالصحةِ ، ولا خلافَ . ومِن ذلك قولُ رُؤْبَةَ بنِ العَجَّاجِ[٥] :

للَّهِ دَرُّ الغانياتِ المُدَّهِ[٦]

---

(١) فى ص : « يألفه » .

(٢) ذكره السيوطى فى تدريب الراوى ٦٢/١ عن بشر بن عمارة به ، وعزاه إلى المصنف . وعزاه فى الدر المنثور ٨/١ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

(٣) فى ر : « فيه » .

(٤) فى م : « مما » .

(٥) ديوان رؤبة (مجموعة أشعار العرب) ص ١٦٥ .

(٦) المُدَّه ، جمع الماده : وهو المادحُ ، والتمده : التمدح . الصحاح (م د هـ) والرجز فيه .

سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِن تأَلُّهي

يعنى : مِن تعَبُّدى وطلَبى اللَّهَ بعملى .

ولا شك أن التألُّهَ التفَعُّلَ مِن : أَلَه يَأْلَهُ . وأن معنى أَلَه - إذا نُطِق به - : عبَد اللَّهَ . وقد جاء منه مصدرٌ يَدُلُّ على أن العربَ قد نطَقَت منه بـ « فعِل يَفْعَل » بغيرِ زيادةٍ .

وذلك ما حدَّثنا به سفيانُ بنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن نافعِ بنِ[(١)] عمرَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنه قرَأ : (وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ)[(٢)] . قال : عبادتَك . ويقولُ : إنه كان يُعْبَدُ ولا يَعْبُدُ[(٣)] .

وحدَّثنا سفيانُ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُيَيْنةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن محمدِ ابنِ عمرِو بنِ الحسنِ ، عن ابنِ عباسٍ : (وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ) . قال : إنما كان فرعونُ يُعْبَدُ ولا يَعْبُدُ . [(٤)]وكذلك كان [(٥)]ابنُ عباسٍ[(٥)] يقرؤها ومجاهدٌ[(٤)] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا [(٦)]الحسينُ بنُ داودَ[(٦)] ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ قولَه : (وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ) . قال :

---

(١) فى ص : « عن » . وينظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٢٨٧.

(٢) هذه قراءة للآية ١٢٧ من سورة الأعراف ، فانظرها هناك .

(٣) سيأتى هذا الأثر والأثر الذى بعده فى سورة الأعراف فانظرها هناك .

(٤ - ٤) سقط من : ت٢ .

(٥ - ٥) فى ص : « أبو عبد الله » ، وفى م : « عبد الله » .

(٦ - ٦) فى ص : « الحسن بن واره » . وهو الحسين بن داود المصيصى ، أبو على المحتسب ، لقبه سنيد ، وهو بلقبه أشهر . ينظر ترجمته فى تهذيب الكمال ١٢/ ١٦١.

وعبادتَك .

ولا شكَّ أن الإلاهةَ[(١)] - على ما فسَّره ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ - مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : أَلَه اللَّهَ فلانٌ إلاهةً . كما يقالُ : عبَد اللَّهَ فلانٌ عبادةً ، وعبَر الرؤيا عبارةً . فقد بيَّن قولُ ابنِ عباسٍ ومجاهدٍ هذا أن « أَلَه » عبَد ، وأن الإلاهة مصدرُه .

فإن قال : فإن كان جائزًا أن يقالَ لمن عَبد اللَّهَ : أَلَهه - على تأويلِ قولِ ابنِ عباسٍ ومجاهدٍ - فكيف الواجبُ فى ذلك أن يقالَ إذا أراد المخْبِرُ[(٢)] الخبرَ عن[(٢)] استيجابِ اللَّهِ ذلك على عبدِه ؟

قيل : أما الروايةُ فلا روايةَ به[(٣)] عندَنا ، ولكن الواجبَ على قياسِ ما جاء به الخبرُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ الذى حدَّثنا به إسماعيلُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ ابنُ العَلاءِ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن إسماعيلَ بنِ يحيى ، عن ابنِ أبى مُلَيْكةَ ، عمَّن حدَّثه ، عن ابنِ مسعودٍ ، ومِسْعَرِ بنِ كِدَامٍ ، عن عطيةَ العَوْفِىِّ ، عن أبى سعيدٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ عيسى أسْلَمَتْه أُمُّه إلى الكُتَّابِ ليُعَلِّمَه ، فقال له المُعَلِّمُ : اكْتُب : [١/١٥و] اللَّه . فقال له عِيسى : أَتَدْرِى ما اللَّهُ ؟ اللَّهُ إلهُ الآلِهَةِ » - أن يُقالَ : اللَّهُ جلّ ثناؤُه إلهُ العبدِ ، والعبدُ أَلَهه . وأن يكونَ قولُ القائلِ : اللَّهُ . مِن الكلامِ[(٤)] أصلُه الإلهُ .

---

(١) فى ر : « إلاهة » .

(٢ - ٢) فى ص : « الخبر » ، وفى ر : « عن الخبر » .

(٣) سقط من : م ، وفى ص : « فيه » .

(٤) فى م : « كلام العرب » .

١/٥٥ /فإن قال : وكيف يجوزُ أن يكونَ ذلك كذلك مع اختلافِ لفظَيْهما[(١)] ؟

قيل : كما جاز أن يكونَ قولُه : ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾ [الكهف : ٣٨] . أصلُه : لكنْ أنا ، هو اللَّهُ ربِّى . كما قال الشاعرُ[(٢)] :

وتَرْمِينَنى[(٣)] بالطَّرْفِ أىْ أنتَ مُذْنِبٌ وتَقْلِينَنى لكنَّا إياك لا أَقْلِى

يريدُ : لكنْ أنا إياك لا أقلى . فحذَف الهمزةَ مِن « أنا » فالْتَقَت نونُ « أنا » ونونُ « لكن » وهى ساكنةٌ ، فأُدْغِمَت فى نونِ « أنا » فصارتا نونًا مشددةً . فكذلك اللَّهُ ، أصلُه الإلهُ ، أُسْقِطَت الهمزةُ التى هى فاءُ الاسمِ ، فالْتَقَت اللامُ التى هى عينُ الاسمِ واللامُ الزائدةُ التى دخَلَت مع الألفِ الزائدةِ ، وهى ساكنةٌ ، فأُدْغِمَت فى الأُخرى التى هى عينُ الاسمِ ، فصارَتا فى اللفظِ لامًا واحدةً مشددةً ، كما وصَفْنا مِن قولِ اللَّهِ : ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وأما : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ ، فهو فَعْلانُ ، مِن رحِم[(٤)] ، و ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، فَعيلٌ منه ، والعربُ كثيرًا ما تَبْنِى الأسماءَ مِن « فعِل يَفْعَلُ » على « فَعْلانَ » ، كقولِهم مِن غضِب : غَضْبانُ . ومِن سكِر : سَكْرانُ . ومِن

---

(١) فى ص : « لفظهما » .

(٢) معانى القرآن ٢/ ١٤٤ ، وخزانة الأدب ١١/ ٢٢٥ ، وقال : لم أقف على تتمته وقائله ، مع أنه مشهور قلما خلا منه كتاب نحوى ، واللَّه أعلم .

(٣) فى ص : « تومينني » .

(٤) فى ص : « رحيم » .

عطِش : عَطْشانُ . فكذلك قولُهم : رحمنُ . مِن رحِم ؛ لأن « فعِل »[١] منه : رحِم يَرْحَمُ .

وقيل : رَحيمٌ . وإن كانت عينُ « فعِل » منه[٢] مكسورةً ؛ لأنه مدحٌ ، ومِن شأنِ العربِ أن يَحْمِلوا أبنيةَ الأسماءِ إذا كان فيها مدحٌ أو ذمٌّ على « فعيلٍ » ، وإن كانت عينُ « فعل » منها مكسورةً أو مفتوحةً ، كما قالوا مِن « علِم » : عالمٌ وعليمٌ . ومِن « قدَر » : قادرٌ وقديرٌ . وليس ذلك منها بناءً على أفعالِها ؛ لأن البناءَ مِن « فعِل يَفْعَل » و « فعَل يَفْعِل » فاعلٌ ، فلو كان الرحمنُ والرحيمُ خارجَيْن على[٣] بناءِ أفعالِهما لكانت صورتُهما الراحمَ .

فإن قال قائلٌ : فإذ كان الرحمنُ والرحيمُ اسمَيْن مشتقَّيْن مِن الرحمةِ ، فما وجهُ تَكريرِ ذلك وأحدُهما مُؤَدٍّ عن معنَى الآخرِ ؟

قيل له : ليس الأمرُ فى ذلك كما[٤] ظنَنْتَ ، بل لكلِّ كلمةٍ منهما معنًى لا تُؤَدِّى الأُخْرى منهما عنها .

فإن قال : وما المعنى الذى انْفَرَدَت به كلُّ واحدةٍ منهما ، فصارت إحداهما غيرَ مُؤَدِّيةِ المعنى عن الأخرى ؟

قيل : أما مِن جهةِ العربيةِ ، فلا تَمانُعَ بينَ أهلِ المعرفةِ بلغاتِ العربِ أن قولَ القائلِ : الرحمنُ . عن أبنيةِ الأسماءِ مِن « فعِل ويَفْعَل » أشدُّ عدولًا مِن قولِه : الرحيمُ . ولا خلافَ مع ذلك بينَهم أن كلَّ اسمٍ كان له أصلٌ فى « فعِل

(١) فى ص : « فعيل » .

(٢) فى م : « منها » .

(٣) فى م : « عن » .

(٤) فى م : « على ما » .

ويَفْعَلُ » ثم كان عن أصلِه من « فعِل ويَفْعَلُ » أشدَّ عدولًا ، أن الموصوفَ به مُفَضَّلٌ على الموصوفِ بالاسمِ المبنيِّ على أصلِه مِن « فعُل ويَفْعُل » إذا كانت التسميةُ به مدحًا أو ذمًّا ، فهذا ما فى قولِ القائلِ : الرحمنُ . مِن زيادةِ المعنى على قولِه : الرحيمُ . فى اللغةِ .

وأما مِن جهةِ الأثرِ والخبرِ ، ففيه بينَ[1] أهلِ التأويلِ اختلافٌ[2] ؛ **فحدَّثنى** السَّرِيُّ بنُ يحيى التَّمِيميُّ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ زُفَرَ ، قال : سمِعْتُ العَرْزَمىَّ[3] يقولُ : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . قال : الرحمنُ بجميعِ الخلقِ ، الرحيمُ ، قال : بالمؤمنين[4] .

٥٦/١ / **حدَّثنا** إسماعيلُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ العَلاءِ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن إسماعيلَ بنِ يحيى ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، عمَّن حدَّثه ، عن ابنِ مسعودٍ ، ومِسْعَرِ بنِ كِدَامٍ ، عن عطيةَ العَوْفىِّ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ عيسى ابنَ مَرْيَمَ قال : الرَّحْمَنُ رحمنُ الآخِرَةِ والدُّنيا ، والرَّحِيمُ رَحِيمُ الآخِرَةِ » .

فهذان الخبران قد أنبأا عن فرقِ ما بينَ تسميةِ اللَّهِ جل ثناؤُه باسمِه الذى هو رحمنٌ ، وتسميتِه باسمِه الذى هو رحيمٌ ، واختلافِ مَعْنَيَىِ[5] الكلمتين ، وإن اخْتَلَفا

---

(١) فى ص : « عن » .

(٢) فى ص : « إخلاف » .

(٣) فى م : « العزرمى » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٦/١ عن المصنف . وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٨/١ (٢٠) عن محمد ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد اللَّه بن أبى سليمان العرزمى ، عن أبيه ، عن جويبر ، عن الضحاك مثله . ومحمد وأبوه وجويبر ضعفاء .

(٥) فى م : « معنى » .

فى معنى ذلك الفرقِ ، فدلّ أحدُهما على أن ذلك فى الدنيا ، ودلَّ الآخرُ على أنه فى الآخرةِ .

فإن قال : فأىُّ هذين التأويلَيْن أولى عندَك بالصحةِ ؟

قيل : لجميعِهما عندَنا فى الصحةِ مَخْرَجٌ ، فلا وجهَ لقولِ قائلٍ : أيُّهما أولى بالصحةِ ؟ وذلك أن المعنى الذى فى تسميةِ اللَّهِ بالرحمنِ ، دونَ الذى فى تسميتِه بالرحيمِ ، هو أنه بالتسميةِ بالرحمنِ موصوفٌ بعمومِ الرحمةِ جميعَ خلقِه ، وأنه بالتسميةِ (١) بالرحيمِ موصوفٌ (١) بخصوصِ الرحمةِ بعضَ خلقِه ، إمَّا فى كلِّ الأحوالِ ، وإمَّا فى بعضِ الأحوالِ ، فلا شكَّ - إذ كان ذلك كذلك - أن ذلك الخصوصَ الذى فى وصفِه بالرحيمِ لا يَسْتَحِيلُ عن معناه ، فى الدنيا كان ذلك أو فى الآخرةِ ، أو فيهما جميعًا .

فإذ كان صحيحًا ما قلنا مِن ذلك ، وكان اللَّهُ جل ثناؤُه قد خصَّ عبادَه المؤمنين فى عاجلِ الدنيا بما لطَف لهم (٢) مِن توفيقِه إياهم لطاعتِه ، والإيمانِ به وبرسلِه ، واتباعِ أمرِه واجتنابِ مَعاصيه ، مما خُذِل عنه مَن أشْرَك به وكفَر ، وخالفَ ما أُمِر به ، وركِب معاصيَه ، وكان مع ذلك قد جعَل جل ثناؤُه ما أعَدَّ فى آجلِ الآخرةِ فى جنانِه مِن النعيمِ المقيمِ ، والفوزِ المبينِ ، لمَن آمَن به ، مِن رحمتِه فى الدنيا والآخرةِ ، مع ما قد عمَّهم به والكفارَ فى الدنيا ، مِن الإفضالِ والإحسانِ إلى جميعِهم ؛ فى البَسْطِ فى الرزقِ ، وتَسْخيرِ السحابِ بالغَيْثِ ، وإخراجِ النباتِ مِن الأرضِ ، وصحةِ الأجْسامِ والعقولِ ، وسائرِ النِّعَمِ التى لا تُحْصَى ، التى يَشْتَرِكُ فيها المؤمنون والكافرون ، فربُّنا جل ثناؤُه رحمنُ [١/١٥ظ]

(١ - ١) فى ر : « بالرحمن مخصوص » .

(٢) فى م : « بهم » .

جميعِ خلقِه فى الدنيا والآخرةِ ، ورحيمُ المؤمنين خاصةً فى الدنيا والآخرةِ .

فأما الذى عمَّ جميعَهم به فى الدنيا مِن رحمتِه فكان رحمانًا[(١)] لهم به ، فما ذكَرْنا مع نظائرِه التى لا سبيلَ إلى إحصائِها لأحدٍ مِن خلقِه ، كما قال جل ثناؤُه : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم : ٣٤، والنحل : ١٨] . وأما فى الآخرةِ ، فالذى عمَّ جميعَهم به فيها مِن رحمتِه فكان لهم رحمانًا ، فى[(٢)] تسويتِه بينَ جميعِهم جل ذكرُه فى عدلِه وقضائِه ، فلا يَظْلِمُ أحدًا منهم مثقالَ ذرةٍ ، وإن تكُ حسنةً يضاعفْها[(٣)] ، ويُوَفِّى[(٤)] كلَّ نفسٍ ما كسَبَت ، فذلك معنى عمومِه فى الآخرةِ جميعَهم برحمتِه الذى كان به رحمانًا فى الآخرةِ .

وأما ما خصَّ به المؤمنين فى عاجلِ الدنيا مِن رحمتِه الذى كان به رحيمًا لهم فيها ، كما قال جل ذكرُه : ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] . فما وصَفْنا مِن اللُّطْفِ لهم فى دينِهم ، فخصَّهم به دونَ مَن خذَله مِن أهلِ الكفرِ به . / وأما ما خصَّهم به فى الآخرةِ فكان به رحيمًا لهم دونَ الكافرين ، فما وصَفْنا آنفًا[(٥)] مما أعَدَّ لهم دونَ غيرِهم مِن النعيمِ والكرامةِ التى تَقْصُرُ عنها الأمانىُّ .

١/٥٧

وأما القولُ الآخرُ فى تأويلِه فهو ما **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ ابنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، قال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ الفعلانُ مِن الرحمةِ - وهو مِن كلامِ العربِ .

---

(١) فى الأصل ، ص ، ر ، ت٢ : « رحمن » . وهذه الكلمة تجىء تارة فى بعض المخطوطات مصروفه وتارة غير مصروفة والوجهان جائزان ، كما نبه على ذلك أبو حيان فى أول البحر المحيط ، وقد اخترنا صرفها فيما يأتى من مواضع .

(٢) سقط من : م .

(٣) بعده فى م : « ويؤت من لدنه أجرا عظيما » .

(٤) فى ص : « توفى » ، وغير منقوطة فى ر .

(٥) فى ر : « أيضا » .

قال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ : الرقيقُ الرفيقُ بمَن أحَبَّ أن يَرْحَمَه ، والبعيدُ الشديدُ على مَن أحَبَّ أن يَعْنُفَ عليه ، وكذلك أسماؤُه كلُّها[١] .

وهذا التأويلُ مِن ابنِ عباسٍ يَدُلُّ على أن الذى به ربُّنا رحمنٌ ، هو الذى به رحيمٌ ، وإن كان لقولِه : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ . مِن المعنى ما ليس لقولِه : ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . لأنه جعَل معنى الرحمنِ بمعنى الرَّقيقِ[٢] على مَن رقَّ عليه ، ومعنى الرحيمِ بمعنى الرَّفيقِ بمَن رفَق به .

والقولُ الذى روَيْناه فى تأويلِ ذلك عن النبىِّ ﷺ ، وذكَرْناه عن العرْزَمىِّ[٣] ، أشبهُ بتأويلِه مِن هذا القولِ الذى روَيْناه عن ابنِ عباسٍ . وإن كان هذا القولُ مُوافقًا معناه معنى ذلك ، فى أن للرحمنِ مِن المعنى ما ليس للرحيمِ ، وأن للرحيمِ تأويلًا غيرَ تأويلِ الرحمنِ .

والقولُ الثالثُ فى تأويلِ ذلك ما **حدَّثنى** به عِمرانُ بنُ بَكَّارٍ الكَلَاعىُّ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنا أبو الأزهرِ نصرُ بنُ عمرٍو اللَّخْمىُّ مِن أهلِ فِلَسْطينَ ، قال : سمِعْتُ عطاءً الخُراسانىَّ يقولُ : كان الرحمنَ ، فلما اختُزِل الرحمنُ مِن اسمِه ، كان الرحمنَ الرحيمَ[٤] .

والذى أراد ، إن شاء اللَّهُ ، عطاءٌ بقولِه هذا ، أن الرحمنَ كان مِن أسماءِ اللَّهِ التى لا يَتَسَمَّى بها أحدٌ مِن خلقِه ، فلما تسَمَّى به الكذابُ مُسَيْلِمةُ - وهو اخْتِزالُه إياه ، يعنى اقْتِطاعَه مِن أسمائِه لنفسِه - أخْبَرَ اللَّهُ جل ثناؤُه أن اسمَه الرحمنُ الرحيمُ ؛

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٧/١ عن هذا الموضع .

(٢) فى ص : « الرفيق » .

(٣) فى م : « العزرمى » . وقد تقدم قوله فى ص ١٢٦ .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩/١ إلى المصنف . وينظر الفتح ١٥٥/٨ .

ليَفْصِلَ بذلك لعبادِه اسمَه مِن اسمِ مَن قد تسَمَّى بأسمائِه ، إذ كان لا يُسَمَّى أحدٌ الرحمنَ الرحيمَ - فيُجْمَعَ له هذان الاسمان - غيرُه جل ذكرُه . وإنما يتسَمَّى[1] بعضُ خلقِه إما رحيمًا أو يتَسَمَّى رحمانًا ، فأما رحمنٌ رحيمٌ ، فلم يَجْتَمِعا قطُّ لأحدٍ سواه ، ولا يُجْمَعان لأحدٍ غيرِه ، فكأن معنى قولِ عطاءٍ هذا ، أن اللَّهَ جل ثناؤُه إنما فصَل بتكريرِ الرحيمِ على الرحمنِ ، بينَ اسمِه واسمِ غيرِه مِن خلقِه ، اخْتَلَف معناهما أو اتَّفَقا .

والذى قال عطاءٌ مِن ذلك غيرُ فاسدِ المعنى ؛ بل جائزٌ أن يكونَ جل ثناؤُه خصَّ نفسَه بالتسميةِ بهما معا مُجْتمعَيْن ، إبانةً لها مِن خلقِه ؛ ليُعَرِّفَ عبادَه بذكرِهما مجموعَيْن أنه المقصودُ بذكرِهما دونَ مَن سواه مِن خلقِه ، مع ما فى تأويلِ كلٍّ واحدٍ منهما مِن المعنى الذى ليس فى الآخرِ منهما .

وقد زعَم بعضُ أهلِ الغَباءِ أن العربَ كانت لا تَعْرِفُ الرحمنَ ، ولم يكنْ ذلك فى[2] لغتِها ، ولذلك قال المشركون للنبيِّ ﷺ : ﴿ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ [الفرقان : ٦٠] . إنكارًا منهم لهذا الاسمِ . فكأنه كان[3] مُحالًا عندَه أن يُنْكِرَ أهلُ الشركِ ما كانوا بصحتِه عالِمين ، أو[4] كأنه لم يَتْلُ مِن كتابِ اللَّهِ قولَ اللَّهِ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾ . يعنى : محمدًا ﷺ ، ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٦] . وهم مع ذلك به / مُكَذِّبون ، ولنبوتِه جاحِدون ، فيُعْلَم بذلك أنهم قد كانوا يُدافِعون حقيقةَ ما قد ثبَت عندَهم صحتُه ، واسْتَحْكَمَت لديهم معرفتُه ، وقد أُنْشِد لبعضِ الجاهليةِ الجَهْلاءِ[5] :

٥٨/١

---

(١) فى م ، ت ٢: « تسمى » .

(٢) فى ص : « من » .

(٣) فى ص : « قال » .

(٤) فى ص : « أولًا » .

(٥) البيت فى المخصص ١٥٢/١٧ (المجلد الخامس) غير منسوب .

ألا ضرَبَت تلك (١) الفتاةُ هَجينَها (١) ألا قضَب الرحمنُ ربِّى يمينَها

وقال سَلَامةُ بنُ جَنْدَلٍ السعدىُّ (٢) :

عجِلْتُم علينا عَجْلَتَيْنا (٣) عليكمُ وما يَشَأْ الرحمنُ يَعْقِدْ ويُطْلِقِ

وقد زعَم أيضًا بعضُ مَن ضعُفَت معرفتُه بتأويلِ أهلِ التأويلِ، وقلَّت روايتُه لأقوالِ السلفِ مِن أهلِ التفسيرِ (٤) ، أن الرحمنَ مَجازُه ذو الرحمةِ ، والرحيمَ مَجازُه الراحمُ . ثم قال : قد يُقَدِّرون اللفظَيْن مِن لفظٍ والمعنى واحدٌ ، وذلك لاتِّساعِ الكلامِ عندَهم . قال : وقد فعَلوا مثلَ ذلك ، فقالوا : نَدْمانٌ ونَديمٌ . ثم استَشْهَد (٥) ببيتِ بُرْجِ (٥) بنِ مُسْهِرٍ الطائىِّ :

ونَدْمانٍ يَزيدُ الكأسَ طِيبًا سقَيْتُ وقد تغوَّرَتِ (٦) النُّجومُ

واسْتَشْهد بأبياتٍ نظائرِه له فى النَّديمِ والنَّدْمانِ . ففرَّق بينَ معنى الرحمنِ والرحيمِ فى التأويلِ ، لقولِه : الرحمنُ ذو الرحمةِ ، والرحيمُ الراحمُ . وإن كان قد ترَك بيانَ تأويلِ مَعْنَيَيْهِمَا (٧) على صحتِه ، ثم مثَّل (٨) ذلك باللفظَيْن (٩) يأْتِيان بمعنًى (٩)

(١ - ١) فى ت ١ : « القناة هجيتها » .

(٢) فى النسخ : « الطهوى » . والمثبت كما فى طبقات فحول الشعراء ١/ ١٥٥، والشعر والشعراء ١/ ٢٧٢، والبيت فى ديوانه ص ١٩.

(٣) فى ت ٢ : « معجلينا » .

(٤) لعله أراد بذلك أبا عبيدة فى كتابه مجاز القرآن ١/ ٢١، فأكثر الكلام الآتى منقول منه بنصه .

(٥ - ٥) فى ص : « ببيت بزح » ، وفى م : « قول برج » وفى ت ٢ : « ببيت برح » ، وفى ت ١ : « ببيت نوح » . والبيت فى المؤتلف والمختلف ص ٨٠، وشرح ديوان الحماسة ٣/ ١٢٧٢، واللسان (ع ر ق) ، (ن د م) .

(٦) فى المؤتلف والمختلف ، وشرح ديوان الحماسة : « تعرضت » . وتغورت النجوم : غربت . اللسان (غ و ر) .

(٧) فى ص ، م : « معنيهما » .

(٨) فى ص : « بين » .

(٩ - ٩) فى ص : « بإثبات معنى » .

واحدٍ ، فعاد إلى ما قد جعَله بمعنيين ، فجَعله مثالَ ما [١٦/١و] هو بمعنًى واحدٍ ، مع اختلافِ الألفاظِ .

ولا شكَّ أن ذا الرحمةِ هو الذى قد[1] ثبَت أن له الرحمةَ ، وصحَّ أنها له صفةٌ ، وأن الراحمَ هو الموصوفُ بأنه سيَرْحَمُ ، أو قد رحِم فانْقَضَى ذلك منه ، أو هو فيه ، ولا دَلالةَ[2] فيه حينَئذٍ أن الرحمةَ له صفةٌ ، كالدَّلالةِ على أنها له صفةٌ ، إذا وُصِف بأنه ذو الرحمةِ . فأين معنى الرحمنِ الرحيمِ - على تأويلِه - مِن معنى الكلمتين تأْتِيان مُقَدَّرَتَيْن مِن لفظٍ واحدٍ باختلافِ الألفاظِ واتفاقِ المعانى ؟ ولكن القولَ إذا كان على غيرِ أصلٍ مُعْتَمَدٍ عليه كان واضحًا عَوارُه .

وإن قال لنا قائلٌ : ولِمَ قدَّم اسمَ اللَّهِ الذى هو اللَّهُ على اسمِه الذى هو الرحمنُ ، واسمَه الذى هو الرحمنُ على اسمِه الذى هو الرحيمُ ؟

قيل : لأن مِن شأنِ العربِ إذا أرادوا الخبرَ عن مُخْبَرٍ عنه أن يُقَدِّموا اسمَه ، ثم يُتْبِعوه صفاتِه ونعوتَه ، وهذا هو الواجبُ فى الحكمِ ، أن يكونَ الاسمُ مُقَدَّمًا قبلَ نعتِه وصفتِه ؛ ليَعْلَمَ السامعُ الخبرَ عمَّن الخبرُ .

فإذ كان ذلك ، كذلك وكان للَّهِ جل ذكرُه أسماءٌ قد حرَّم على خلقِه أن يَتَسَمَّوْا بها ، خصَّ بها نفسَه دونَهم ، وذلك مثلُ اللَّهِ والرحمنِ والخالقِ ، وأسماءٌ أباح لهم أن يُسَمِّىَ بعضُهم بعضًا بها ، وذلك كالرحيمِ والسميعِ والبصيرِ والكريمِ وما أشْبَهَ ذلك مِن الأسماءِ - كان الواجبُ أن تُقَدَّمَ أسماؤُه التى هى له خاصةٌ دونَ جميعِ خلقِه ؛ ليَعْرِفَ السامعُ ذلك مَن توَجَّه إليه الحمدُ والتمجيدُ ، ثم يُتْبَعَ ذلك بأسمائِه التى قد تَسَمَّى بها غيرُه ، بعدَ علمِ المُخاطَبِ أو السامعِ مَن توَجَّه إليه ما يَتْلُو ذلك مِن المعانى .

---

(١) سقط من : م .

(٢) بعده فى م : « له » .

فبَدأ اللَّهُ جل ذكرُه باسمِه الذى هو اللَّهُ ؛ لأن الأُلوهةَ ليست لغيرِه جل ثناؤُه من وجهٍ مِن الوجوهِ ، / لا مِن جهةِ التَّسمِّى به ، ولا مِن جهةِ المعنى ، وذلك أنّا قد بيَّنا أن معنى « اللَّهِ » جلّ ثناؤُه معنَى[1] المعبودِ ، ولا معبودَ غيرُه جل ثناؤُه ، وأن التَّسمِّىَ به قد حرَّمه اللَّهُ جل ثناؤُه ، وإن قصَد المتَسمِّى به ما قَصَد[2] المتَسمِّى بسعيدٍ وهو شقىٌّ ، وبحسنٍ وهو قبيحٌ . ٥٩/١

أو لا ترَى أن اللَّهَ جل ثناؤه قال فى غيرِ آيةٍ من كتابِه : ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل : ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤] . فاسْتكْبَر ذلك مِن المُقِرِّ به . وقال تعالى فى خُصوصِه[3] نفسَه باللَّهِ وبالرحمنِ : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء : ١١٠] . ثم ثنَّى ذلك[4] باسمِه الذى هو الرحمنُ ، إذ كان قد منَع أيضًا خلقَه التَّسمِّىَ به ، وإن كان مِن خلقِه مَن قد يَسْتَحِقُّ تسميتَه ببعضِ مَعانيه ، وذلك أنه قد يَجوزُ وصفُ كثيرٍ ممَّن هو دونَ اللَّهِ مِن خلقِه ببعضِ صفاتِ الرحمةِ ، وغيرُ جائزٍ أن يَسْتَحِقَّ بعضَ الألوهةِ أحدٌ دونَه ، فلذلك جاء الرحمنُ ثانيًا[5] لاسمِه الذى هو اللَّهُ .

وأما اسمُه الذى هو الرحيمُ ، فقد ذكَرْنا أنه مما هو جائزٌ وصفُ غيرِه به ، والرحمةُ مِن صفاتِه جل ذكرُه ، فكان - إذ كان الأمرُ على ما وصَفْنا - واقعًا مَواقعَ نعوتِ الأسماءِ اللواتى هن[6] توابعُها ، بعدَ تقدمِ الأسماءِ عليها .

---

(١) فى م : « هو » .

(٢) فى ص ، م : « يقصد » .

(٣) فى م : « خصوصية » .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى ص : « ثابتا » .

(٦) فى ر ، ت ١ : « هو » .

فهذا وجهُ تقديمِ اسمِ اللَّهِ الذى هو اللَّهُ ، على اسمِه الذى هو الرحمنُ ، واسمِه الذى هو الرحمنُ ، على اسمِه الذى هو الرحيمُ .

وقد كان الحسنُ البصريُّ يقولُ فى الرحمنِ مثلَ ما قلنا ، أنه مِن أسماءِ اللَّهِ التى مُنِع التَّسَمِّىَ بها العبادُ .

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشّارٍ ، قال : حدَّثنا حمادُ بنُ مَسْعَدَةَ ، عن عوفٍ[1] ، عن الحسنِ ، قال : الرحمنُ اسمٌ ممنوعٌ[2] .

مع أن فى إجماعِ الأمةِ مِن منعِ التَّسَمِّى به جميعَ الناسِ ، ما يُغْنِى عن الاسْتِشْهادِ على صحةِ ما قلْنا فى ذلك بقولِ الحسنِ وغيرِه .

---

(١) فى ر : « عون » . وينظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٣٧.

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٣٧ عن المصنف .

القولُ فى تأويلِ فاتحةِ الكتابِ

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : ومعنى ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ . الشكرُ للَّهِ خالصًا دونَ سائرِ ما يُعْبَدُ مِن دونِه ، ودونَ كلِّ ما برَأَ[(١)] مِن خلقِه ، بما[(٢)] أنْعَم على عبادِه مِن النِّعَمِ التى لا يُحْصِيها العددُ ، ولا يُحِيطُ بعددِها غيرُه أحدٌ ، فى تصحيحِ الآلاتِ لطاعتِه ، وتَمْكِينِ جَوارحِ أجسامِ المكلَّفِين لأداءِ فَرائضِه ، مع ما بسَط لهم فى دُنْياهم مِن الرزقِ ، وغذَاهم به مِن نعيمِ العيشِ ، مِن غيرِ اسْتِحْقاقٍ منهم ذلك[(٣)] عليه ، ومع ما نبَّهَهم عليه ودعاهم إليه ، مِن الأسبابِ المُؤَدِّيةِ إلى دَوامِ الخُلودِ فى دارِ المُقامِ فى النعيمِ المُقيمِ ، فلربِّنا الحمدُ على ذلك كلِّه أولًا وآخرًا .

وبما ذكَرْنا مِن تأويلِ قولِ ربِّنا جلَّ ثناؤُه وتقَدَّسَت أسماؤُه : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ . جاء[(٤)] الخبرُ عن ابنِ عباسٍ وغيرِه .

١/٦٠ / **حدَّثنا** محمدُ بنُ العَلاءِ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ[(٥)] ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال جبريلُ لمحمدٍ : قلْ يا محمدُ : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ . قال ابنُ عباسٍ :

---

(١) فى م : « يُرى » .

(٢) فى ص : « مما » .

(٣) فى م : « لذلك » .

(٤) بعده فى م : « عن » .

(٥) فى ص : « سعد » . وتقدم على الصواب . وينظر تهذيب الكمال ١٩/ ٣٧٩ .

الحمدُ[(١)] هو الشكرُ للَّهِ[(٢)] ، والاسْتِخْذاءُ[(٣)] للَّهِ ، والإقْرارُ بنعمتِه وهدايتِه وابتدائِه ، وغيرِ ذلك[(٤)] .

حدَّثني سعيدُ بنُ عمرٍو السَّكونيُّ ، قال : حدَّثنا بَقِيةُ بنُ الوليدِ ، قال : حدَّثني عيسى بنُ إبراهيمَ ، عن موسى بنِ أبي حَبيبٍ ، عن الحكمِ بنِ عُمَيْرٍ ، وكانت له صحبةٌ ، قال : قال النبيُّ ﷺ : « إذا قُلْتَ : الحَمدُ للَّهِ رَبِّ العالمِينَ . فقد شَكَرْتَ اللَّهَ فَزادَكَ »[(٥)] .

قال : وقد قيل : إن قولَ القائلِ : الحَمدُ للَّهِ . ثناءٌ عليه بأسمائِه وصفاتِه الحسنَى . وقولَه : الشكرُ للَّهِ . ثناءٌ عليه بنِعَمِه[(٦)] وأيادِيه .

وقد رُوِى عن كعبِ الأحبارِ أنه قال : الحَمدُ للَّهِ ثناءُ[(٧)] اللَّهِ . ولم يُبَيِّنْ في الروايةِ عنه مِن أيِّ معنيَي[(٨)] الثناءِ اللذين[(٩)] ذكَرْنا ذلك .

---

(١) بعده في م ، ت ٢ : « للَّه » .

(٢) سقط من : م .

(٣) في ت ٢ : « الاسحى » ، وفي ت ١ : « الاستحداء » . وفي تفسير ابن أبي حاتم : « الاستجداء » . والاستخذاء : الخضوع . اللسان (خ ذ ا) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٦ (٩) من طريق محمد بن العلاء به .

(٥) إسناده ضعيف جدا . ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ٣٨ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ١١ إلى الحاكم في تاريخ نيسابور والديلمي . وقال أبو حاتم : الحكم بن عمير روى عن النبي ﷺ - لا يذكر السماع ولا لقاء - أحاديث منكرة من رواية ابن أخيه موسى بن أبي حبيب ، وهو شيخ ضعيف الحديث ، ويروى عن موسى بن أبي حبيب عيسى بن إبراهيم ، وهو ذاهب الحديث ، روى هذه الأحاديث عن عيسى بن إبراهيم بقية بن الوليد . ينظر الجرح ٣/ ١٢٥ ، والميزان ٤/ ٢٠٢ .

(٦) في ص ، ت ١ : « بنعمته » .

(٧) بعده في م : « على » .

(٨) في م : « معنى » .

(٩) في ر ، م : « الذى » .

حدَّثنا يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى الصَّدَفِيُّ ، قال : أَنْبَأنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثنى عمرُ[(١)] بنُ محمدٍ ، عن سُهَيْلِ بنِ أبى صالحٍ ، عن أبيه ، قال : أخْبَرَنى السَّلولىُّ ، عن كعبٍ ، قال : مَن قال [١٦/١ظ] : الحَمْدُ للَّهِ . فذلك ثناءٌ على اللَّهِ[(٢)] .

حدَّثنى علىُّ بنُ الحسنِ الخَرَّازُ[(٣)] ، قال : حدَّثنا مسلمُ بنُ عبدِ الرحمنِ الجَرْمىُّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ مُصْعَبٍ القَرْقَسانىُّ ، عن مُبارَكِ بنِ فَضالةَ ، عن الحسنِ ، عن الأسودِ بنِ سَرِيعٍ ، أن النبىَّ ﷺ قال : « ليس شىءٌ أحبَّ إليه الحَمْدُ مِن اللَّهِ تعالى ، ولذلك أثْنَى على نَفْسِه فقال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ »[(٤)] .

قال أبو جعفرٍ : ولا تَمانُعَ بينَ أهلِ المعرفةِ بلغاتِ العربِ مِن الحُكْمِ لقولِ القائلِ : الحمدُ للَّهِ شكرًا . بالصحةِ ، فقد تبيَّن[(٥)] - إذ[(٦)] كان ذلك عندَ جميعِهم صحيحًا - أن الحمدَ[(٧)] قد يُنْطَقُ به فى موضعِ الشكرِ ، وأن الشكرَ قد يُوضَعُ موضعَ الحمدِ ؛ لأن ذلك لو لم يكنْ كذلك ، لَما جاز أن يُقالَ : الحمدُ للَّهِ شكرًا . فيُخْرَجَ مِن قولِ القائلِ :

---

(١) فى ص : « عمرو » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦/١ (١٠) من طريق سهيل به .

(٣) فى تاريخ بغداد ١١/ ٣٧٤، وتاريخ الإسلام ٤٠١/٢٠ (حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠) : « الخزاز » . بزايين . وينظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٤٢، ٢٦/ ٤٦١، والسير ١٣/ ١٨٤.

(٤) إسناده منقطع ؛ الحسن لم يسمع من الأسود . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢/١ إلى المصنف .
وأخرجه الطبرانى فى الكبير (٨٣٦) من طريق مبارك به دون آخره .
وأخرجه ابن سعد ٤٢/٧ من طريق آخر عن الحسن به نحوه .
والحديث - مقتصرا على أوله - عند أحمد ٣٥٢/٢٤ (١٥٥٨٦) ، والبخارى فى الأدب المفرد (٨٥٩) ، والنسائى فى الكبرى (٧٧٤٥) ، وغيرهم من طريق الحسن به .

(٥) بعده فى ر : « سهو » .

(٦) فى ص : « أن » .

(٧) بعده فى م : « للَّه » .

الحَمْدُ للَّهِ . مُصدرَ « أشْكُرُ » ؛ لأن الشكرَ لو لم يكنْ بمعنى الحمدِ ، كان خطأً أن يُصدرَ مِن الحمدِ غيرُ[(١)] معناه وغيرُ لفظِه[(٢)] .

فإن قال لنا قائلٌ : وما وجهُ إدخالِ الألفِ واللامِ فى الحمدِ ؟ وهلَّا قيل : حمدًا للَّهِ ربِّ العالمين ؟

قيل : إن لدخولِ الألفِ واللامِ فى الحمدِ معنًى لا يُؤَدِّيه قولُ القائلِ : حمدًا للَّهِ[(٣)] . بإسقاطِ الألفِ واللامِ ، وذلك أن دخولَـهما فى الحمدِ [(٤)]مُنْبِئٌ عـن[(٤)] أن معناه : جميعُ المحامدِ والشكرُ الكاملُ للَّهِ . ولو أُسْقِطَتا منه ما دلَّ إلا على أن حَمْدَ قائلِ ذلك للَّهِ دونَ المحامدِ كلِّها ، إذ كان معنى قولِ القائلِ : حمدًا للَّهِ . أو : [(٥)]حمدٌ للَّهِ[(٥)] : أَحْمَدُ اللَّهَ حمدًا . وليس التأويلُ فى قولِ القائلِ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . تاليًا سورةَ أمِّ القرآنِ : أَحْمَدُ اللَّهَ . بل / التأويلُ فى ذلك ما وصَفْنا قبلُ ، مِن أن جميعَ المَحامدِ للَّهِ بألوهتِه وإنعامِه على خلقِه بما أنْعَمَ عليهم به مِن النِّعَمِ ، التى لا كِفاءَ[(٦)] لها فى الدينِ والدنيا ، والعاجلِ والآجِلِ . ٦١/١

ولذلك مِن المعنى تَتابَعَت قراءةُ القرأةِ وعُلماءِ الأمةِ على رفعِ الحمدِ مِن : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . دونَ نصبِها الذى يُؤَدِّى إلى الدَّلالةِ على أن معنى تاليه كذلك : أَحْمَدُ اللَّهَ حمدًا . ولو قرأ قارئٌ ذلك بالنصبِ[(٧)] ، لكان عندى مُحِيلًا

---

(١) فى ص : « عن » .

(٢) تقدم كلام المصنف على التصدير فى ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) فى م : « مبنى على » .

(٥ - ٥) فى ص : « حمدا للَّه » ، وفى م : « حمد اللَّه » .

(٦) فى م : « كفء » .

(٧) هى قراءة هارون العتكى ورؤبة وسفيان بن عيينة . ينظر البحر المحيط ١٨/١ .

معناه ، ومُسْتَحِقًّا العقوبةَ على قراءتِه إياه كذلك ، إذا تعَمَّد قراءتَه كذلك ، وهو عالمٌ بخطئِه وفسادِ تأويلِه .

فإن قال لنا قائلٌ : وما معنى قولِه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ؟ أحَمِد اللَّهُ نفسَه جل ثناؤُه ، فأثْنَى عليها ، ثم عَلَّمَناه لنقولَ ذلك كما قال ووصَف به نفسَه ؟ فإن كان ذلك كذلك ، فما وجهُ قولِه تعالى ذكرُه إذن : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . وهو عزَّ ذكرُه معبودٌ لا عابدٌ ؟ أم[1] ذلك مِن قِيلِ[2] جبريلَ ، أو محمدٍ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فقد بطَل أن يكونَ ذلك للَّهِ كلامًا .

قيل : بل ذلك كلُّه كلامُ اللَّهِ جل ثناؤُه ، ولكنه جل ذكرُه حمِد نفسَه وأثْنَى عليها بما هو [3]له أهلٌ[3] ، ثم علَّم ذلك عبادَه ، وفرَض عليهم تلاوتَه ، اخْتِبارًا منه لهم وابْتِلاءً ، فقال لهم : قولوا : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . وقولوا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . فقولُه[4] : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ . مما علَّمهم جل ذكرُه أن يقولوه ويَدِينوا له بمعناه ، وذلك موصولٌ بقولِه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . وكأنه قال : قولوا هذا وهذا .

فإن قال : وأين قولُه : قولوا . فيكونَ تأويلُ ذلك ما ادَّعَيْتَ ؟

قيل : قد دلَّلْنا فيما مضَى على[5] أن العربَ مِن شأنِها إذا عرَفَت مكانَ الكلمةِ ، ولم تَشَكَّكْ[6] أن سامعَها يَعْرِفُ بما أظْهَرَت مِن مَنْطِقِها ما حذَفَت - حَذْفُ ما كفَى

(١) في ص : « أمن » .

(٢) في ص ، ر : « قبل » .

(٣ - ٣) في ص ، ت ١ : « أهله » .

(٤) في ص : « فقولوا » .

(٥) سقط من : م .

(٦) في م : « تشك » .

منه الظاهرُ مِن مَنْطِقِها ، ولا سِيَّما إن كانت تلك الكلمةُ التى حُذِفَت قولًا أو بتأويلِ[١] قولٍ ، كما قال الشاعرُ[٢] :

وأعْلَمُ أننى سأكونُ[٣] رَمْسًا[٤] إذا سار النَّواعِجُ[٥] لا يَسِيرُ

فقال السائلون[٦] [٧]لِمَن حفَرْتُم[٧] فقال المُخْبِرون[٨] لهم وَزيرُ

قال أبو جعفرٍ : يُرِيدُ بذلك : فقال المُخْبِرون[٨] لهم : الميتُ وزيرٌ . فأسْقَط الميتَ ، إذ كان قد أتَى مِن الكلامِ بما يَدُلُّ على ذلك . وكذلك قولُ الآخرِ[٩] :

[١٠]ورأيْتِ زوْجَكِ فى الوَغَى[١٠] مُتَقَلِّدًا سيفًا ورُمْحَا

(١) فى م : « تأويل » .

(٢) سيأتى البيتان فى تفسير الآية ٨٧ من سورة «المؤمنون» ، ونسبهما لبعض بنى عامر ، وكذلك فى معانى القرآن للفراء ١/ ١٧٠، وهما فى البيان والتبيين ١٨٤/٣ منسوبان للوزيرى .

(٣) فى م : « لا أكون » .

(٤) الرمس : القبر إذا كان مستويا مع وجه الأرض . تاج العروس (ر م س) . وفى البيان والتبيين :

* وأعلم أننى سأصير ميتا *

(٥) فى ص : « النوائح » ، وفى معانى القرآن ، والبيان والتبيين : « النواجع » . والنواعج من الإبل : السراع ، وقد نعجت الإبل فى سيرها ، بالفتح : أسرعت . اللسان (ن ع ج) .

(٦) فى ص ، ومعانى القرآن : « السائرون » .

(٧ - ٧) فى البيان والتبيين : « من المسجى » .

(٨) فى ر : « المجمرون » .

(٩) البيت فى تأويل مشكل القرآن ص ١٦٥، ومعانى القرآن للفراء ٣/ ١٢٣، والكامل ١/ ٣٣٤، ٣٧١، ٢٧٥/٢ ونسبه فى نسخة منه لعبد الله بن الزبعرى .

(١٠ - ١٠) فى معانى القرآن :

* ولقيت زوجك فى الوغى *

وفى الكامل :

* يا ليت زوجك قد غدا *

وقد عَلِم أن الرمحَ لا يُتقَلَّدُ ، [١]وأنه إنما[١] أراد : وحاملًا رمحًا . ولكن لما كان معلومًا معناه اكتفَى بما قد ظهَر مِن كلامِه عن إظهارِ ما حذَف منه . وقد يقولون للمسافرِ إذا ودَّعوه : مُصاحَبًا مُعافًى . [٢]يُعْنى بذلك : سِرْ مُصاحبًا مُعافًى . فيَحذفون[٢] : سِرْ ، واخْرُجْ . إذ كان معلومًا معناه ، وإن أُسْقِط ذكرُه .

فكذلك ما حُذِف مِن قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . لمَّا عُلِم بقولِه جل ذكرُه : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ . ما أراد بقولِه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . مِن معنى أمرِه عبادَه ، أغْنَت دَلالةُ ما ظَهر عليه مِن القولِ عن إبداءِ ما حُذِف .

وقد روَيْنا الخبرَ[٣] الذى قدَّمنا ذكرَه مبتَدأً فى تأويلِ[٤] قولِ اللَّهِ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . عن ابنِ / عباسٍ وأنه كان يقولُ : إن جبريلَ قال لمحمدٍ : قلْ يا محمدُ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . وبيَّنا أن جبريلَ إنما علَّم محمدًا ﷺ ما أُمِر بتَعليمِه إياه ، وهذا الخبرُ يُنْبِئُ عن صحةِ ما قلنا فى تأويلِ ذلك[٥] . ٦٢/١

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿رَبِّ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : قد مضَى البيانُ عن تأويلِ اسمِ اللَّهِ الذى هو اللَّهُ فى : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ . فلا حاجةَ بنا إلى تَكرارِه فى هذا الموضعِ[٦] .

(١ - ١) فى ر : « وأنه » ، وفى م : « وإنما » .

(٢ - ٢) فى م ، ت ٢ : « يحذفون » .

(٣) بعده فى ص : « عن » .

(٤) فى م : « تنزيل » .

(٥) ينظر ما تقدم فى ص ١٣٥ .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ١٢١ وما بعدها .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ رَبِّ ﴾ . فإن الربَّ فى كلامِ العربِ مُنصرِفٌ[(١)] على معانٍ ؛ فالسيدُ المُطاعُ فيهم[(٢)] يُدْعَى ربًّا ، ومِن ذلك قولُ لَبيدِ بنِ ربيعةَ[(٣)] :

وأهْلَكْنَ يومًا ربَّ كِنْدَةَ وابنَه وربَّ مَعَدٍّ بينَ خَبْتٍ[(٤)] وعَرْعَرِ[(٥)]

يعنى بربِّ كِنْدَةَ : سيدَ كِنْدةَ . ومنه قولُ نابغةِ بنى ذُبْيانَ[(٦)] :

[١٧/١و] تَخُبُّ إلى النُّعمانِ حتى تَنالَه [(٧)] فِدًى لك[(٧)] مِن ربٍّ طَرِيفِى[(٨)] وتالِدِى[(٩)]

والرجلُ المُصْلِحُ الشىءَ[(١٠)] يُدْعَى ربًّا ، ومنه قولُ الفَرَزْدَقِ بنِ غالبٍ[(١١)] :

كانوا كسالِئَةٍ حَمْقاءَ إذ حقَنَت سِلاءَها[(١٢)] فى أَدِيمٍ غيرِ مَربوبِ

يعنى بذلك : فى أديمٍ غيرِ مُصْلَحٍ . ومن ذلك قيل : إن فلانًا يَرُبُّ صَنيعتَه عندَ فلانٍ . إذا كان يُحاوِلُ إصلاحَها وإدامتَها . ومِن ذلك قولُ عَلْقمةَ بنِ عَبَدَةَ[(١٣)] :

---

(١) فى م ، ت١ : « متصرف » .

(٢) فى م : « فيها » .

(٣) شرح ديوان لبيد ص ٥٥ .

(٤) خبت : موضع بالشام ، وقرية بزبيد ، وماء لكلب . تاج العروس (خ ب ت) .

(٥) عرعر : عدة مواضع نجدية وغيرها ، وواد بنعمان قرب عرفة . تاج العروس (ع ر ر) .

(٦) ديوانه ص ١٧٠ .

(٧ - ٧) ص ، ر ، ت ١ : « فذلك » .

(٨) الطريف والطارف من المال : المستحدث . اللسان (ط ر ف) .

(٩) التالد : المال القديم الأصلى الذى ولد عندك . اللسان (ت ل د) .

(١٠) فى م : « للشىء » .

(١١) ديوانه ص ٢٥ .

(١٢) السلاء : السمن . اللسان (س ل أ) .

(١٣) ديوان علقمة بشرح الأعلم ص ٤٣ ، وجمهرة اللغة ٢٨/١ ، والمخصص ١٥٤/١٧ (المجلد =

(١فكنتَ(٢) امرأً أفْضَتْ إليك رِبابَتى١) وقبلَك ربَّتْنى - فضِعْتُ - رُبوبُ(٣)

يعنى بقولِه : أفْضَت إليك . أى وصلَت(٤) إليك رِبابَتى ، فصِرْتَ أنت الذى تَرُبُّ أمرى فتُصْلِحُه ، لمَّا خرجْتُ مِن رِبابةِ غيرِك مِن الملوكِ(٥) كانوا قبلَك علىَّ ، فضيَّعوا أمرى وترَكوا تَفَقُّدَه . وهم الرُّبوبُ ، واحدُهم ربٌّ ، والمالكُ للشىءِ يُدْعَى ربَّه .

وقد يَتَصَرَّفُ أيضًا معنى الربِّ فى وجوهٍ غيرِ ذلك ، غيرَ أنها تَعودُ إلى بعضِ هذه الوجوهِ الثلاثةِ .

فربُّنا جل ثناؤُه السيدُ الذى لا شِبْهَ(٦) له ، ولا مِثْلَ فى مثلِ(٧) سُؤْدُدِه ، والمُصْلِحُ أمرَ خلقِه بما أسْبَغ عليهم مِن نعمِه ، والمالكُ الذى له الخلقُ والأمرُ .

و(٨بنحوِ الذى٨) قلْنا فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . جاءت الروايةُ عن ابنِ عباسٍ .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضَّحّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال جبريلُ لمحمدٍ : يا محمدُ قل : ﴿ ٱلْحَـمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . قال ابنُ عباسٍ : يقولُ : قل : الحمدُ

= الخامس) ، واللسان (ر ب ب) .

(١ - ١) فى الديوان :

* وأنت امرؤ أفضت إليك أمانتى *

(٢) فى ر : « فكنتُ » . بضم التاء ، وكذا فى اللسان ، والضبط موافق لضبط الجمهرة والمخصص .

(٣) فى الجمهرة ، واللسان : ويروى : رَبوب . قال فى اللسان : وعندى أنه اسم للجمع .

(٤) فى م : « أوصلت » .

(٥) بعده فى م : « الذين » .

(٦) فى ص : « شبيه » .

(٧) سقط من : ر ، م ، ت ٢ .

(٨ - ٨) فى ر ، ت ٢ : « بالذى » .

للَّهِ الذى له الخلقُ كلُّه ؛ السماواتُ كلُّهن ومَن فيهن ، والأَرَضُون[١] كلُّهن ومَن فيهن ، وما بينَهن مما [٢]يُعْلَمُ ومما لا يُعْلَمُ[٢] . يقولُ : اعْلَمْ يا محمدُ أن ربَّك هذا لا يُشْبِهُه شىءٌ[٣] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والعالَمُونَ جمعُ عالَمٍ ، والعالَمُ جمعٌ لا واحدَ له مِن لفظِه ، كالأنامِ والرَّهْطِ [٤]والجيشِ[٤] ، ونحوِ ذلك مِن الأسماءِ التى هى موضوعاتٌ على جِماعٍ لا واحدَ له مِن لفظِه .

والعالَمُ اسمٌ لأصنافِ الأممِ ، وكلُّ صنفٍ منها عالَمٌ ، وأهلُ كلِّ قرنٍ مِن كلِّ صنفٍ منها عالَمُ ذلك القرنِ وذلك الزمانِ ، فالإنسُ عالَمٌ ، / وكلُّ أهلِ زمانٍ منهم عالَمُ ذلك الزمانِ ، والجنُّ عالَمٌ ، وكذلك سائرُ أجناسِ الخلقِ ، كلُّ جنسٍ منها عالَمُ زمانِه[٥] ، ولذلك جُمِع فقيل : عالَمون . وواحدُه جمعٌ ، لكونِ عالَمِ كلِّ زمانٍ مِن ذلك عالَمَ ذلك الزمانِ . ومِن ذلك قولُ العَجَّاجِ[٦] : ٦٣/١

فخِنْدِفٌ[٧] هامَةُ هذا العالَمِ

فجعَلهم عالَمَ زمانِه .

---

(١) فى النسخ : « الأرض » . وسيأتى فى الصفحة التالية .

(٢ - ٢) فى ر : « تعلم وما لا تعلم » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧/١(١٤) من طريق أبى كريب به دون آخره .

(٤ - ٤) سقط من : ر .

(٥) فى ص : « ذلك الزمان » .

(٦) ديوانه ص ٢٩٩.

(٧) خندف : امرأة إلياس بن مضر ، واسمها ليلى ، نسب ولد إلياس إليها ، وهى أمهم . اللسان (خ ن د ف) .

وهذا القولُ الذى قلْناه قولُ ابنِ عباسٍ وسعيدِ بنِ جُبيرٍ ، وهو معنى قولِ عامَّةِ المفسِّرين .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ : الحمدُ للَّهِ الذى له الخلقُ كلُّه ، السماواتُ والأَرَضُون[1] ، ومَن فيهن ، وما بينَهن[2] ، مما يُعْلَمُ[3] ومما[4] لا يُعْلَمُ[3] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ القَزَّازُ ، قال : حدَّثنا أبو[5] عاصمٍ ، عن شَبيبٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ : الجنُّ والإنسُ .

حدَّثنى علىُّ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا مسلمُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، قال : حدَّثنا[6] محمدُ بنُ[6] مصعبٍ ، عن قيسِ بنِ الربيعِ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . قال : ربُّ الجنِّ والإنسِ[7] .

---

(١) فى م : « الأرض » .

(٢) فى ص : « يليهن » .

(٣) فى ر : « تعلم » .

(٤) سقط من : م ، وفى ر : « ما » .

(٥) سقط من : ر . وينظر تهذيب الكمال ١٣/ ٢٨١.

(٦ - ٦) سقط من : م . وتقدم فى ص ١٣٧.

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٨/١ (١٨) من طريق قيس به . وأخرجه الحاكم ٢٥٨/٢ من طريق سفيان ، عن عطاء به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣/١ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ بنِ عيسى الأهْوازيُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيرىُّ ، قال : حدَّثنا قيسٌ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ قولَه : ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . قال : الجنُّ والإنسُ(١) .

حدَّثنى أحمدُ بنُ عبدِ الرحيمِ البَرْقىُّ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى مريمَ ، عن ابنِ لَهِيعةَ ، عن عطاءِ بنِ دينارٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ قولَه : ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . قال : ابنُ آدمَ والجنُّ والإنسُ ، كلُّ أُمَّةٍ منهم عالَمٌ على حِدَتِه(١) .

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا مِهْرانُ ، عن سفيانَ ، عن مجاهدٍ : ﴿ ٱلْحَـمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . قال : الجنُّ والإنسُ(٢) .

(٣)حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوازيُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرىُّ ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ بمثلِه .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ العَقَدىُّ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . قال(٤) : كلُّ صنفٍ عالَمٌ(٣)(١) .

حدَّثنى أحمدُ بنُ حازمٍ الغِفاريُّ ، قال : حدَّثنا عُبَيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، عن أبى جعفرٍ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . قال : الإنسُ عالَمٌ ، والجنُّ عالَمٌ ، وما سوى ذلك ثمانيةَ عشَرَ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣/١ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٨/١ عقب الأثر (٢٨) معلقا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣ - ٣) سقط من : ر .

(٤) بعده فى ص : « رب » .

ألفَ عالَمٍ[1] ، أو أربعةَ عشَرَ ألفَ عالمٍ - هو يَشُكُّ - مِن الملائكةِ على الأرضِ ، وللأرضِ أربعُ زَوايا ، فى كلِّ زاويةٍ ثلاثةُ آلافِ عالَمٍ وخمسُمائةِ عالَمٍ ، خلَقهم لعبادتِه[2] .

/ حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ[3] ، قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ ، قال : ٦٤/١ حدَّثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ فى قولِه : ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ . قال : الجنُّ والإنسُ[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزّ وجل : ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ .

قال أبو جعفرٍ : قد مضَى البيانُ عن تأويلِ قولِه : ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فى تأويلِ : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فأغْنَى ذلك عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[5] .

ولم نَحْتَجْ إلى الإبانةِ عن وجهِ تكريرِ[6] ذلك فى هذا الموضعِ ، إذ كنا لا نَرَى أن : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ مِن فاتحةِ الكتابِ آيةٌ ، [١٧/١ظ] فيكونَ علينا لسائلٍ مسألةٌ بأن يقولَ : ما وجهُ تكريرِ ذلك فى هذا الموضعِ وقد مضَى

---

(١) سقط من : ص ، ر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧/١ (١٥) عن أبيه ، عن عبيد اللَّه به . وأخرجه أبو نعيم فى الحلية ٢١٩/٢ من طريق أبى جعفر به .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٤٦٧/١ - تحقيق أبى إسحاق الحوينى - عن هذا الموضع ، وقال : وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح . اهـ . وأخرج أبو نعيم فى الحلية ٧٠/٤ عن وهب بن منبه نحو أوله .

(٣) فى ر : « الحسين » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٩/١ عن ابن جريج .

(٥) ينظر ما تقدم فى ص ١٢٤ .

(٦) بعده فى م : « اللَّه » .

وصفُ اللَّهِ جلّ ثناؤُه به نفسَه فى قولِه : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . مع قربِ مكانِ إحدى الآيتيْن مِن الأخرى ، ومُجاورتِها صاحبتَها ؟ بل ذلك لنا حجةٌ على خطأ دعْوَى مَن ادَّعَى أن : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ مِن فاتحةِ الكتابِ آيةٌ ، إذ لو كان ذلك كذلك ، لكان ذلك إعادةَ آيةٍ بمعنًى واحدٍ ولفظٍ واحدٍ مرتين مِن غيرِ فاصلٍ يَفْصِلُ[(١)] بينَهما . وغيرُ موجودٍ فى شىءٍ مِن كتابِ اللَّهِ آيتان مُتَجاوِرتان مُكَرَّرتان بلفظٍ واحدٍ ومعنًى واحدٍ ، لا فصلَ بينَهما مِن كلامٍ يُخالِفُ معناه معناهما ، وإنما يأتى بتكريرِ آيةٍ بكمالِها فى السورةِ الواحدةِ ، مع فصولٍ تَفْصِلُ بينَ ذلك ، وكلامٍ يُعْتَرَضُ به بغيرِ معنى الآياتِ المُكَرَّراتِ أو غيرِ ألفاظِها ، ولا فاصِلَ بينَ[(٢)] قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ مِن : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . وقولِه : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ مِن : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

فإن قال[(٣)] : فإن : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فاصلٌ بين[(٢)] ذلك .

قيل : قد أنْكَر ذلك جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ ، وقالوا : إن ذلك مِن المُؤَخَّرِ الذى معناه التَّقديمُ ، وإنما هو : الحمدُ للَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ربِّ العالمين مَلِكِ يومِ الدينِ . واسْتَشْهَدوا على صحةِ ما ادَّعَوْا مِن ذلك بقولِه : (مَلِكِ يومِ الدِّينِ) . فقالوا : إن قولَه : (مَلِكِ يومِ الدِّينِ) تعليمٌ مِن اللَّهِ عبدَه أن يَصِفَه بالمَلِكِ فى قراءةِ مَن قرأ : (مَلِكِ) . وبالمِلْكِ فى قراءةِ مَن قرأ : ﴿ مَٰلِكِ ﴾ . قالوا : فالذى هو أولى أن يكونَ مُجاوِرَ وَصْفِه بالمُلْكِ أو المِلْكِ ما كان نظيرَ ذلك مِن الوصفِ ، وذلك هو قولُه :

---

(١) سقط من : ص .

(٢) فى ص : « من » .

(٣) بعده فى م : « قائل » .

﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . الذى هو خبرٌ عن مِلْكِه جميعَ أجناسِ الخلقِ ، وأن يكونَ مُجاورَ وصفِه بالعظمةِ والأُلوهةِ ما كان له نظيرًا فى المعنى مِن الثناءِ عليه ، وذلك قولُه : ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . فزعَموا أن ذلك لهم دليلٌ على أن قولَه : ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ بمعنى التقديمِ قبلَ : ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . وإن كان فى الظاهرِ مؤخَّرًا . وقالوا[1] : نظائرُ ذلك مِن التقديمِ الذى هو بمعنى التأخيرِ ، والمؤخَّرِ الذى هو بمعنى التقديمِ - فى كلامِ العربِ أفْشَى ، وفى مَنْطِقِها أكثرُ مَن أن يُحْصَى ؛ مِن ذلك قولُ جريرِ بنِ عَطِيةَ[2] :

طاف الخيالُ وأين منك لِمامَا[3] فارْجِعْ لزَوْرِك بالسلامِ سلامَا

بمعنى : طاف الخيالُ لِمامًا ، وأين هو منك ؟ وكما قال جل ثناؤُه فى كتابِه العزيزِ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف : ١] . بمعنى : الحمدُ للَّهِ الذى أنزَل على عبدِه الكتابَ قَيِّمًا ولم / يَجْعَلْ له عِوَجًا . وما أشبهَ ذلك . ففى ذلك دليلٌ شاهدٌ على صحةِ قولِ مَن أنكَر أن تكونَ : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ مِن فاتحةِ الكتابِ آيةً . ٦٥/١

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾

قال أبو جعفرٍ : القُرَّاءُ مُخْتَلِفون فى تلاوةِ : ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ . فبعضُهم يَتْلوه : (مَلِكِ يَـومِ الـدِّينِ) . وبعضُهم يَتْلُوه : ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ . وبعضُهم يَتْلُوه : (مالكَ يَـومِ الـدِّينِ) . بنصبِ الكافِ[4] . وقد اسْتَقْصَيْنا حكايةَ

(١) بعده فى م ، ت ٢: « فى » .

(٢) شرح ديوانه ص ٥٤١.

(٣) اللمام : الزيارة غِبًّا ، ويقال : فلان يزورنا لماما . أى فى الأحايين . اللسان (ل م م) .

(٤) أما قراءة (مَلِكِ) فهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وابن عامر وحمزة ، وأما قراءة (مالِكِ) : فهى =

الروايةِ عمَّن رُوِى عنه فى ذلك قراءةٌ فى كتابِ « القِراءاتِ » ، وأخْبَرْنا بالذى نَخْتارُ مِن القراءةِ فيه ، والعلةِ المُوجِبةِ صحةَ ما اخْتَرْناه مِن القراءةِ فيه ، فكرِهنا إعادةَ ذلك فى هذا الموضعِ ، إذ كان الذى قصَدْنا له فى كتابِنا هذا البيانَ عن وجوهِ تأويلِ آيِ القرآنِ دونَ وجوهِ قراءتِها .

ولا خلافَ بينَ جميعِ أهلِ المعرفةِ بلغاتِ العربِ أن المَلِكَ مِن المُلْكِ مشتقٌّ ، وأن المالكَ مِن المِلْكِ مأخوذٌ ، فتأويلُ قراءةِ مَن قرأ ذلك : (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) . أن للَّهِ المُلْكَ خالصًا يومَ الدينِ دونَ جميعِ خلقِه الذين كانوا قبلَ ذلك فى الدنيا مُلوكًا جَبابرةً يُنازِعونه المُلْكَ ، ويُدافِعونه الانفرادَ بالكِبْرياءِ والعظمةِ والسلطانِ والجَبْرِيةِ ، فأيْقَنوا[(١)] بلقاءِ اللَّهِ يومَ الدينِ أنهم الصَّغرةُ الأذِلَّةُ ، وأن له مِن[(٢)] دونِهم ودونِ غيرِهم المُلْكَ والكبرياءَ والعزةَ والبَهاءَ ، كما قال جل ذكرُه وتقدَّسَت أسماؤُه فى تنزيلِه : ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر : ١٦] . فأخْبَر تعالى أنه المنفردُ يومَئذٍ بالمُلْكِ دون ملوكِ الدنيا الذين صاروا يومَ الدين مِن مُلْكِهم إلى ذلةٍ وصَغارٍ ، ومِن دنياهم فى المَعادِ إلى خَسارٍ .

وأما تأويلُ قراءةِ مَن قرأ : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ فما حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ . يقولُ : لا يَمْلِكُ أحدٌ فى ذلك اليومِ معه حكمًا كمِلْكِهم فى الدنيا . ثم قال : ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ : ٣٨] . وقال : ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [طه : ١٠٨] .

= قراءة عاصم والكسائى ، وأما قراءة (مالِكَ) بفتح الكاف فهى رواية المطوعى عن الأعمش ، وهى من الشواذ . ينظر إتحاف فضلاء البشر ص ٧٦.

(١) سقط من : ر .

(٢) سقط من : م ، ت ٢.

وقال: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[1] [الأنبياء: ٢٨].

قال أبو جعفرٍ: وأولى التأويلَيْن بالآيةِ وأصحُّ القِراءتَيْن فى التلاوةِ عندى التأويلُ الأولُ، و[2]قراءةُ مَن قرأ (مَلِكِ). بمعنى المُلْكِ؛ لأن فى الإقْرارِ له بالانفرادِ بالمُلْكِ إيجابًا لانفرادِه بالمِلْكِ، وفضيلةَ زيادةِ المَلِكِ على المالكِ[3]، إذ كان معلومًا ألا مَلِكَ إلا وهو مالكٌ، وقد يكونُ المالكُ لا مَلِكًا.

وبعدُ، فإن اللَّهَ جل ذكرُه قد أخبَر عبادَه فى الآيةِ التى قبلَ قولِه: ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ أنه مالكُ جميعِ العالَمين، وسيدُهم، ومُصْلِحُهم، [4]والناظرُ لهم[4]، والرحيمُ بهم فى الدنيا والآخرةِ بقولِه: ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾. فإذ[5] كان جل ذكرُه قد أنْبَأهم عن مِلْكِه إياهم كذلك بقولِه: ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ فأولى الصفاتِ / مِن صفاتِه جل ذكرُه أن يَتبَعَ ذلك، ما لم يَحْوِه قولُه: ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ مع قربِ ما بينَ الآيتَيْن [١/١٨و] مِن المُواصَلةِ والمُجاوَرةِ، إذ كانت حكمتُه الحكمةَ التى لا تُشْبِهُها حِكْمةٌ. وكان فى إعادةِ وصفِه جل ذكرُه بأنه: ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ إعادةُ ما قد مضَى مِن وصفِه به فى قولِه: ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾. مع تقاربِ الآيتين وتجاوُرِ الصفتَيْن، وكان فى إعادةِ ذلك تكرارُ ألفاظٍ مختلفةٍ بمعانٍ متفقةٍ، لا تُفِيدُ سامعَ ما كُرِّر منه فائدةً به إليها حاجةٌ. والذى لم يَحْوِه مِن صفاتِه جل

١/٦٦

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٩ (٢٤) من طريق أبى كريب به مختصرا.

(٢) بعده فى ص، م، ت ١، ت ٢: «هى».

(٣) فى ص، ت ١، ت ٢: «الملك».

(٤ - ٤) سقط من: ر.

(٥) فى ص: «فإن»، وفى م: «فإذا»، وفى ت١: «وإذ».

ذكرُه ما قبلَ قولِه : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ المعنى الذى فى قولِه : (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) وهو وصفُه بأنه المَلِكُ .

فبيِّنٌ إذن أن أوْلَى القراءتَين بالصوابِ ، وأحقَّ التأويلين بالكتابِ ، قراءةُ مَن قرَأه : (مَلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ) بمعنى إخلاصِ المُلْكِ له يومَ الدينِ ، دون قراءةِ مَن قرأ : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ بمعنى[(١)] أنه يَمْلِكُ الحكمَ بينَهم وفَصْلَ القَضاءِ ، مُتفرِّدًا به دونَ سائرِ خلقِه .

فإن ظنَّ ظانٌّ أن قولَه : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ نبأٌ عن مِلْكِه إياهم فى الدنيا دونَ الآخرةِ ، فوجَب[(٢)] [(٣)] وصلُ ذلك[(٣)] بالنبأ عن نفسِه أنه مَن[(٤)] ملَكهم فى الآخرةِ على نحوِ مِلْكِه إياهم فى الدنيا بقولِه : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ فقد أغْفَل[(٥)] وظنَّ خطأً ؛ وذلك أنه لو جاز لظانٌّ أن يَظُنَّ أن قولَه : ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ محصورٌ معناه على الخبرِ عن رُبوبيتِه[(٦)] عالَمَ الدنيا دونَ عالَمِ الآخرةِ - مع عدمِ الدلالةِ على أن معنى ذلك كذلك فى ظاهرِ التنزيلِ ، أو فى خبرٍ عن الرسولِ ﷺ به منقولٍ ، أو بحُجةٍ موجودةٍ فى المعقولِ - جاز[(٧)] لآخرَ أن يَظُنَّ أن ذلك محصورٌ على عالَمِ الزمانِ الذى فيه نزَل قولُه : ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ دون سائرِ ما يَحْدُثُ بعدَه فى الأزمنةِ الحادثةِ مِن العالَمين ، إذ كان صحيحًا بما[(٨)] قدَّمْنا مِن البيانِ أن عالَمَ كلِّ زمانٍ

---

(١) فى ص : « الذى بمعنى » .

(٢) فى ص ، م : « يوجب » .

(٣ - ٣) فى م : « وصله » .

(٤) فى م ، ت٢ : « قد » .

(٥) قال الشيخ شاكر : قوله : أغفل . فعل لازم غير متعد ، ومعناه : دخل فى الغفلة والنسيان ووقع فيهما ، وهى عربية معرقة وإن لم توجد فى المعاجم .

(٦) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « ربوبية » .

(٧) فى م : « لجاز » .

(٨) بعده فى م ، ت ٢ : « قد » .

غيرُ عالَمِ الزمانِ الذى بعدَه .

فإن غَبِى عن علمِ صحةِ ذلك بما قد قدَّمْنا ذو غَباءٍ ، فإن فى قولِ اللَّهِ جل ثناؤُه : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الجاثية : ١٦] . دلالةً واضحةً على أن عالَمَ كلِّ زمانٍ غيرُ عالَمِ الزمانِ الذى كان قبلَه وعالَمِ الزمانِ الذى بعدَه ، إذ كان اللَّهُ جل ثناؤُه قد فضَّل أمةَ نبيِّنا محمدٍ ﷺ على سائرِ الأممِ الخاليةِ ، وأخْبَرَهم بذلك فى قولِه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ الآية [آل عمران : ١١٠] . فمعلومٌ بذلك أن بنى إسرائيلَ فى عصرِ نبيِّنا ﷺ لم يكونوا مع تكذيبِهم به ﷺ أفضلَ العالَمين ، بل كان أفضلَ العالمين فى ذلك العصرِ وبعدَه إلى قيامِ الساعةِ المؤمنون به المُتَّبِعون مِنْهاجَه ، دونَ مَن سواهم مِن الأممِ المُكَذِّبةِ الضالَّةِ عن مِنْهاجِه .

وإذ كان بيِّنًا فسادُ تأويلِ مُتَأَوِّلٍ لو تأوَّل قولَه : ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أنه معنيٌّ به أن اللَّهَ ربُّ عالَمِى زمنِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ ، دون عالَمِى سائرِ الأزمنةِ غيرِه - كان واضحًا فسادُ قولِ مَن زعَم أن تأويلَه : ربُّ عالَمِ الدنيا دون عالَمِ الآخرةِ . وأن : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ اسْتَحَقَّ الوصلَ به ليُعْلَمَ أنه فى الآخرةِ مِن مِلْكِهم ورُبوبيتِهم بمثلِ الذى كان عليه فى الدنيا .

ويُسْأَلُ زاعمُ ذلك الفرقَ بينَه وبينَ مُتَحَكِّمٍ مثلَه فى تأويلِ قولِه : ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ تحكَّم فقال[1] : إنما عنَى بذلك أنه ربُّ عالَمِى زمانِ محمدٍ ﷺ دون عالَمِى غيرِه مِن الأزمنةِ الماضيةِ قبلَه والحادثةِ بعدَه ، كالذى زعَم قائلُ[2] هذا القولِ

(١) بعده فى م ، ت ٢: «إنه» .

(٢) سقط من : م ، ت ٢.

أنه [(١] عنَى به عالَمِى [١)] الدنيا دون عالَمِى [(٢)] الآخرةِ - مِن أصلٍ أو دلالةٍ . فلن يقولَ فى أحدِهما شيئًا إلا أُلْزِم فى الآخرِ مثلَه .

٦٧/١ /وأما الزاعمُ أنَّ تأويلَ قولِه : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ أنه الذى يَمْلِكُ إقامةَ يومِ الدينِ ، فإن الذى أَلْزَمْنا قائلَ هذا القولِ الذى قبلَه له لازمٌ ، إذ كانت إقامةُ القيامةِ إنما هى إعادةُ الخلقِ الذين قد بادوا لهيئاتِهم التى كانوا عليها قبلَ الهلاكِ فى الدارِ [(٣)] التى أعَدَّ [(٤)] لهم فيها ما أعَدَّ ، وهم العالَمون الذين قد أخْبَرَ جل ذكرُه عنهم أنه ربُّهم فى قولِه : ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

وأما تأويلُ ذلك فى قراءةِ مَن قرأ : (مالِكَ يَوْمِ الدِّينِ) فإنه أراد : يا [(٥)] مالكَ يومِ الدينِ . فنصَبه بنيَّةِ النداءِ والدعاءِ ، كما قال جل ثناؤُه : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾ [يوسف : ٢٩] . بتأويلِ : يا يوسُفُ أعْرِضْ عن هذا . وكما قال الشاعرُ من بنى أسدٍ ، وهو شعرٌ - فيما يقالُ - جاهلىٌّ [(٦)] :

إن كنتَ أَزْنَنْتَنِى [(٧)] بها كَذِبًا جَزْءُ فلاقَيْتَ مثلَها عَجِلًا

يريدُ : يا جَزْءُ . وكما قال الآخرُ [(٨)] :

(١ - ١) فى ر ، ت ١، ت ٢: « عُنى به عالموا » ، وفى م : « عنى به عالم » .

(٢) فى ص ، م ، ت ٢: « عالم » .

(٣) فى ص : « دار الدنيا » ، وفى ت١ : « الدنيا » .

(٤) بعده فى م ، ت ٢: « اللَّه » .

(٥) فى ر : « به » .

(٦) هو حضرمى بن عامر . ينظر أمالى القالى ١/ ٦٧، والكامل ٦٧/١ - ولم ينسبه - واللسان (ج ز أ) ، (ن ب ل) ، (ز ن ن) .

(٧) أزننته بشىء : اتهمته به . اللسان (ز ن ن) .

(٨) نسبه فى مجاز القرآن ١/ ١٠٠، واللسان (ق ر ن) لرجل من بنى أسد . وهو فى الكتاب ٢/ ٨٥، ٣/ ٢٠٧، ٣٢٦.

كذَبْتُم وبيتِ اللَّهِ لا تَنْكِحونها بَنى شابَ قَرْناها[(١)] تَصُرُّ[(٢)] وتَحْلُبُ

يريدُ : يا[(٣)] بنى شابَ قَرْناها .

وإنما أوْرَطه فى قراءةِ ذلك بنصبِ الكافِ مِن : (مَالِكَ) - على المعنى الذى وصَفْتُ - حيرتُه فى توجيهِ قولِه : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وِجْهتَه ، مع جرِّه[(٤)] ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ وخفضِه . فظنَّ أنه لا يَصِحُّ معنى ذلك بعدَ جرِّه : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ فنصَب : (مالِكَ يَوْمِ الدِّينِ) ليكونَ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ له خطابًا ، كأنه أراد : يا مالكَ يومِ الدينِ إياك نَعْبُدُ وإياك نَسْتَعِينُ . ولو كان علِمَ تأويلَ أولِ السورةِ وأن : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أمرٌ مِن اللَّهِ عبدَه[(٥)] بقِيلِ ذلك - كما ذكَرْنا قبلُ مِن الخبرِ عن ابنِ عباسٍ أن جبريلَ قال للنبيِّ ﷺ عن اللَّهِ : قلْ يا محمدُ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ وقلْ أيضًا يا محمدُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[(٦)] وكان عَقَل عن العربِ أن مِن شأنِها إذا حكَت أو أمَرت بحكايةِ خبرٍ يَتْلُو القولَ - أن تُخاطِبَ ثم تُخْبِرَ [(٧)]عن غائبٍ[(٧)] ، وتُخْبِرَ عن غائبٍ ثم تَعودَ إلى الخطابِ ؛ لما فى الحكايةِ بالقولِ مِن معنى الغائبِ والمُخاطَبِ ، [١/١٨ظ] كقولِهم للرجلِ : قد قلتُ لأخيك : لو قمتَ لقمتُ . و : قد قلتُ لأخيك : لو قام لَقمتُ .

---

(١) القرنان : الضفيرتان . اللسان (ق ر ن) .

(٢) صر الناقة : شد ضرعها . اللسان (ص ر ر) .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « جر » .

(٥) فى ص : « عنده » .

(٦) تقدم فى ص ١٣٥ ، ١٤٣، وينظر ما سيأتى فى ص ١٥٩.

(٧ - ٧) فى ص : « غائبا » .

لَسَهُل[١] عليه مخرجُ ما استَصْعَب عليه وِجْهتُه مِن جرٍّ : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ .

ومِن نظيرِ : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ مجـرورًا ، ثم عَوْدِه إلى الخطابِ بـ : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ كما[٢] ذكَرْنا قبلُ - البيتُ السائرُ مِن شعرِ أبى كبيرِ الهُذَلىِّ[٣] :

يا لَهْفَ نَفْسِى كان جِدَّة[٤] خالدٍ ... وبَياضُ وجهِك للترابِ[٥] الأعْفَرِ

فرجَع إلى الخطابِ بقولِه : وبياضُ وجهِك . بعدَ ما قد مضَى الخبرُ عن خالدٍ على معنى الخبرِ عن الغائبِ .

ومنه قولُ لَبيدِ بنِ ربيعةَ[٦] :

باتَتْ تَشَكَّى إلىَّ النفسُ[٧] مُجْهِشَةً[٨] ... وقد حمَلْتُكِ سبعًا بعدَ سَبْعِينَا

فرجَع إلى مخاطبةِ نفسِه ، وقد تقَدَّم الخبرُ عنها على وجهِ الخبرِ عن الغائبِ .

ومنه قولُ اللَّهِ ، وهو أصدقُ قيلٍ وأثْبَتُ حجةٍ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ ﴾ [يونس : ٢٢] . فخاطَب ثم رجَع / إلى الخبرِ عن الغائبِ ، ولم يقلْ : وجَرَيْن بكم . والشواهدُ مِن الشعرِ وكلامِ العربِ فى ذلك أكثرُ مِن أن تُحصَى ، وفيما ذكَرْنا كفايةٌ لمَن وُفِّق لفهمِه .

١/٦٨

---

(١) قوله : لسهل . جواب قوله : ولو كان علم . فى الصفحة الماضية .

(٢) فى ص ، م : « لما » .

(٣) ديوان الهذليين ٢/ ١٠١ .

(٤) فى م : « جلدة » . والجدة : نقيض البلى . اللسان (ج د د) .

(٥) فى ص : « للثواب » ، وفى ت٢ : « التراب » .

(٦) شرح ديوانه ص ٣٥٢ ، واللسان (ج هـ ش) ، وقال ابن سلام فى طبقات فحول الشعراء ١/ ٦١ وقد ذكر البيت : ولا اختلاف فى أن هذا مصنوع تكثر به الأحاديث ......

(٧) فى شرح الديوان : « الموت » .

(٨) فى ت ٢ ، ت ٣ : « مهجته » . وأجهشت النفس : همت بالبكاء . اللسان (ج هـ ش) .

فقراءةُ[(١)] : (مَالِكَ يومِ الدينِ) . محظورةٌ غيرُ جائزةٍ ؛ لإجماعِ[(٢)] الحُجَّةِ مِن القرأةِ وعلماءِ الأمةِ على رفضِ القراءةِ بها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ذكره : ﴿ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والدينُ فى هذا الموضعِ بتأويلِ الحسابِ والمُجازاةِ بالأعمالِ ، كما قال كعبُ بنُ جُعَيْلٍ[(٣)] :

إذا ما رَمَوْنا رمَيْناهُم ودِنَّاهُمُ مثلَ ما يُقْرِضونا

وكما قال الآخرُ[(٤)] :

(٥واعْلَمْ وأَيْقِن أن مُلْكَك زائلٌ٥) واعْلَمْ بأنَّك ما تَدِينُ تُدانُ

يعنى : ما تَجْزِى تُجازَى .

ومِن ذلك قولُ اللَّهِ جل ثناؤُه : ﴿ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴾ يعنى بالجزاءِ ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴾ [الانفطار : ٩، ١٠] . يُحْصون ما تَعْمَلون مِن الأعمالِ . وقولُه تعالى : ﴿ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴾ [الواقعة : ٨٦] . يعنى غيرَ مَجْزِيِّين بأعمالِكم ولا مُحاسَبين .

---

(١) فى ر : « قال وقراءة » .

(٢) بعده فى ص ، م : « جميع » .

(٣) وقعة صفين ص ٥٧، والكامل ١/ ٣٢٧، والمخصص ١٥٥/١٧ (المجلد الخامس) .

(٤) نسبه فى مجاز القرآن ٢٣/١ لابن نفيل ، وفى اللسان (ز ن أ) ، (د ى ن) لخويلد بن نوفل الكلابى ، ودون نسبة فى الكامل ١/ ٣٢٨، والمخصص ١٥٥/١٧ (المجلد الخامس) .

(٥ - ٥) ورد هذا الشطر فى اللسان (ز ن أ) هكذا :

* يا حار إنك ميت ومحاسب *

وفيه أيضا (د ى ن) :

* يا حار أيقن أن ملكك زائل *

وللدينِ معانٍ فى كلامِ العربِ غيرُ معنى الحسابِ والجزاءِ سنَذْكُرُها فى أماكنِها إن شاء اللَّهُ .

وبما قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ جاءت الآثارُ عن السلفِ مِن المفسِّرين ، مع تصحيحِ الشواهدِ تأويلَهم الذى تأوَّلوه فى ذلك[١] .

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ محمدُ بنُ العَلاءِ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ : ﴿ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ . قال : يومُ حسابِ الخَلائقِ ، هو يومُ القيامةِ ، يَدِينُهم بأعمالِهم ، إن خيرًا فخيرًا ، وإن شرًّا فشرًّا ، إلا مَن عفا عنه ، فالأمرُ أمرُه . ثم قال : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف : ٥٤][٢] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ الهَمْدانىُّ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ القَنَّادُ ، قال : حدَّثنا أَسْباطُ بنُ نصرٍ الهَمْدانىُّ ، عن إسماعيلَ بنِ عبدِ الرحمنِ السُّدِّىِّ ، **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ : هو يومُ الحسابِ[٣] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ . قال : يومَ يَدِينُ اللَّهُ

---

(١) بعده فى ص ، ت ١ : « ما » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٩/١ (٢٥) من طريق أبى كريب به ، دون آية الأعراف .

(٣) أخرجه الحاكم ٢٥٨/٢ من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، عن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة . وصححه على شرط مسلم . وأخرجه ابن أبى الدنيا فى الأهوال (٣٤) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

العبادَ بأعمالِهم[1] .

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ . قال : يومَ يُدانُ الناسُ بالحسابِ .

٦٩/١

/ القولُ فى تأويلِ قولِه عز وجل : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ قولِه : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ : لك اللهم نَخْشَعُ ونَذِلُّ ونَسْتَكِينُ ، إقرارًا لك يا ربَّنا بالربوبيةِ لا لغيرِك .

كما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، قال : قال جبريلُ لمحمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ : إياك نُوَحِّدُ ونَخافُ ونَرْجُو يا ربَّنا لا غيرَك[2] .

وذلك مِن قولِ ابنِ عباسٍ بمعنى ما قلْنا ، وإنما اخْتَرْنا البيانَ عن تأويلِه بأنه بمعنى : نَخْشَعُ ونَذِلُّ ونَسْتَكِينُ . دونَ البيانِ عنه بأنه بمعنى : نرجو ونَخافُ . وإن كان الرجاءُ والخوفُ لا يكونان إلا مع ذلةٍ ؛ لأن العبوديةَ عندَ جميعِ العربِ أصلُها الذلَّةُ ، وأنها تُسَمِّى الطريقَ المُذَلَّلَ الذى قد وطِئَته الأقْدامُ وذلَّلته السابلةُ مُعَبَّدًا ، ومِن ذلك قولُ طَرَفَةَ بنِ العَبْدِ[3] :

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤/١ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد . وسقط من مطبوع تفسير عبد الرزاق . وأخرجه ابن أبى الدنيا فى الأهوال (٣٣) من طريق مطر ، عن قتادة .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٩/١ (٢٧) من طريق أبى كريب به .

(٣) ديوانه ص ٣٥.

تُبارِى عِتاقًا[١] ناجياتٍ[٢] وأتْبعت وَظِيفًا وظيفًا[٣] فوقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ

يعنى بالمَوْرِ الطريقَ ، وبالمعبدِ المذللَ الموطوءَ[٤] . ومِن ذلك قيل للبعيرِ المذلَّلِ بالركوبِ فى الحَوائجِ : معبَّدٌ . ومنه سُمِّى العبدُ عبدًا لذلتِه لمولاه . والشواهدُ على ذلك مِن أشعارِ العربِ وكلامِها أكثرُ مِن أن تُحْصَى ، وفيما ذكَرْناه كفايةٌ لمن وُفِّق لفهمِه إن شاء اللَّهُ تعالى .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : ومعنى قولِه : ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ : وإيَّاك يا[٥] ربَّنا نَسْتَعِينُ على عبادتِنا إياك وطاعتِنا فى[٦] أمورِنا كلِّها ، لا أحدًا سواك ، إذ كان مَن يَكْفُرُ بك يَسْتَعِينُ فى أمورِه معبودَه الذى يَعْبُدُه مِن الأوثانِ [١٩/١و] دونك ، فنحن بك نَسْتَعِينُ فى جميعِ أمورِنا ، مُخْلِصِين لك العبادةَ .

كالذى **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ ابنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ : ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال : إياك نَسْتَعِينُ على طاعتِك وعلى أمورِنا كلِّها[٧] .

---

(١) العتاق : الإبل النجيبة الكريمة . اللسان (ع ت ق) .

(٢) الناجية : الناقة السريعة تنجو بمن ركبها . الصحاح (ن ج و) .

(٣) الوظيف : من رسغى البعير إلى ركبتيه فى يديه ، وأما فى رجليه فمن رسغيه إلى عرقوبيه . اللسان (و ظ ف) .

(٤) فى ص : « الموطن » .

(٥) سقط من : م ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « لك وفى » .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٩/١ (٣٠) من طريق أبى كريب به .

فإن قال قائلٌ : وما معنى أمرِ اللَّهِ عبادَه بأن يَسْأَلوه المعونةَ على طاعتِه ؟ أوَ جائزٌ ، وقد أمَرهم بطاعتِه ، ألا يُعِينَهم عليها ؟ أم هل يقولُ قائلٌ لربِّه : إياك نَسْتَعِينُ على طاعتِك . إلا وهو على قولِه ذلك مُعانٌ ؟ وذلك هو الطاعةُ ، فما وجهُ مسألةِ العبدِ ربَّه ما قد أعْطاه[1] إياه ؟

قيل : إن تأويلَ ذلك على غيرِ الوجهِ الذى ذهبتَ إليه ، وإنما الداعى ربَّه مِن المؤمنين أن يُعِينَه على طاعتِه إياه ، داعٍ أن يُعِينَه فيما بقِى مِن عمرِه على ما كلَّفه مِن طاعتِه ، دون ما قد تَقَضَّى ومضَى مِن أعمالِه الصالحةِ فيما خلا مِن عمرِه . وجازت مسألةُ / العبدِ ربَّه ذلك ؛ لأن إعْطاءَ اللَّهِ عبدَه ذلك مع تمكينِه جَوارحَه لأداءِ ما كلَّفه مِن طاعتِه وافْتَرَض عليه مِن فرائضِه - فضلٌ منه جل ثناؤُه تفضَّل به عليه ، ولُطْفٌ منه لطَف له فيه ، وليس فى تركِه التفضُّلَ على بعضِ عَبيدِه بالتوفيقِ ، مع اشتغالِ عبدِه بمعصيتِه ، وانصرافِه عن محبتِه ، ولا فى بَسْطِه فضلَه على بعضِهم مع إجهادِ العبدِ نفسَه فى محبتِه ، ومسارعتِه إلى طاعتِه - فسادٌ[2] فى تدبيرٍ ، ولا جَوْرٌ فى حكمٍ ، فيجوزَ أن يَجْهَلَ جاهلٌ موضعَ حُكمِ اللَّهِ أمرَه[3] عبدَه بمسألتِه عونَه على طاعتِه . ٧٠/١

وفى أمرِ اللَّهِ جل ثناؤُه عبادَه أن يقولوا : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ . بمعنى مسألتِهم إياه المعونةَ على العبادةِ - أدلُّ الدليلِ على فسادِ قولِ القائلين بالتفويضِ مِن أهلِ القَدَرِ الذين أحالوا أن يَأْمُرَ اللَّهُ أحدًا مِن

---

(١) بعده فى ص ، ت ١ : « اللَّه » .

(٢) أى : ليس فى تركه التفضل فسادٌ ....

(٣) فى م : « وأمره » .

عبادِه[(١)] بأمرٍ أو يُكَلِّفَه فرضَ عملٍ ، إلا بعدَ إعطائِه المعونةَ [(٢)]والقدرةَ[(٢)] على فعلِه وعلى تركِه .

ولو كان الذى قالوا مِن ذلك كما قالوا ، لبَطلَت الرغبةُ إلى اللَّهِ فى المعونةِ على طاعتِه ، إذ كان على قولِهم ، مع وجودِ الأمرِ والنهيِ والتكليفِ - حقًّا واجبًا على اللَّهِ للعبدِ إعطاؤُه المعونةَ عليه ، سأله ذلك عبدُه أو ترَك مسألتَه[(٣)] ذلك ، بل تَرْكُ إعطائِه ذلك عندَهم منه جَوْرٌ . ولو كان الأمرُ فى ذلك على ما قالوا ، لكان القائلُ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إنما يَسْأَلُ ربَّه ألا يجورَ .

وفى إجماعِ أهلِ الإسلامِ جميعًا على تَصْويبِ قولِ القائلِ : اللهم إنا نَسْتَعِينُك . وتخطئتِهم قولَ القائلِ : اللهم لا تَجُرْ علينا - دليلٌ واضحٌ على خطأِ ما قال الذين وصفتُ قولَهم ، إذ كان تأويلُ قولِ القائلِ عندَهم : اللهم إنا نَسْتَعِينُك : اللهم لا تَتْرُكْ مَعونتَنا التى ترْكُكها[(٤)] جَوْرٌ منك .

فإن قال قائلٌ : وكيف قيل : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . فقُدِّم الخبرُ عن العبادةِ ، وأُخِّرَت مسألةُ المعونةِ عليها بعدَها[(٥)] ، وإنما تكونُ العبادةُ بالمعونةِ ، فمسألةُ المعونةِ كانت أحقَّ بالتقديمِ[(٦)] قبلَ المُعانِ عليه مِن العملِ[(٧)] ، والعبادةُ بها ؟ .

قيل : لمَّا كان معلومًا أن العبادةَ لا سبيلَ للعبدِ إليها إلا بمعونةٍ مِن اللَّهِ جل ثناؤُه ،

---

(١) فى م ، ت٢ ، ت ٣: « عبيده » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ٢، ت ٣.

(٣) فى م : « مسألة » .

(٤) فى م : « تركها » .

(٥) سقط من : ص .

(٦) بعده فى ص : « بم » .

(٧) فى ر : « العقل » .

وكان مُحالًا أن يكونَ العبدُ عابدًا إلا وهو على العبادةِ مُعانٌ ، وأن يكونَ مُعانًا عليها إلا وهو لها فاعلٌ - كان سواءً تقديمُ ما قُدِّم منهما على صاحبِه ، كما سواءٌ قولُك لرجلٍ[1] قضَى حاجتَك فأحْسَن إليك فى قضائِها : قضيتَ حاجتى فأحسنتَ إلىَّ . فقدَّمْتَ ذكرَ قضائِه حاجتَك ، أو قلتَ : أحسنتَ إلىَّ فقضيتَ حاجتى . فقدَّمْتَ ذكرَ الإحسانِ على ذكرِ قضاءِ الحاجةِ ؛ لأنه لا يكونُ قاضيًا حاجتَك إلا وهو إليك محسنٌ ، ولا محسنًا إليك إلا وهو لحاجتِك قاضٍ . فكذلك سواءٌ قولُ القائلِ : اللهم إنّا إياك نَعْبُدُ فأعِنَّا على عبادتِك . وقولُه : اللهم أعِنَّا على عبادتِك فإنّا إياك نعبُدُ .

قال أبو جعفرٍ : وقد ظنَّ بعضُ أهلِ الغَفْلةِ أن ذلك مِن المُقَدَّمِ الذى معناه التأخيرُ ، كما قال امرُؤُ القيسِ[2] :

فلو أنَّ ما أسْعَى لأدْنَى مَعيشةٍ كفانى - ولم أطْلُبْ - قليلٌ مِن المالِ

يُريدُ بذلك : كفانى قليلٌ مِن المالِ ، ولم أطْلُبْ كثيرًا . وذلك مِن معانى التقديمِ والتأخيرِ ، ومِن مُشابهةِ بيتِ امرئِ القيسِ بمَعْزِلٍ ، مِن أجلِ أنه قد يَكْفِيه القليلُ مِن المالِ ويَطْلُبُ الكثيرَ ، فليس وجودُ ما يَكْفِيه منه بمُوجِبٍ له تركَ طلبِ الكثيرِ ، فيكونَ نظيرَ العبادةِ التى بوجودِها وجودُ المعونةِ عليها ، وبوجودِ المعونةِ / عليها وجودُها ، فيكونَ ذكرُ أحدِهما دالًّا على الآخرِ ، فيعتدلَ فى صحةِ الكلامِ تقديمُ ما قُدِّم منهما قبلَ صاحبِه أن يكونَ موضوعًا فى درجتِه ومرتَّبًا فى مرتبتِه . ٧١/١

فإن قال : فما وجهُ تَكرارِه : ﴿ إِيَّاكَ ﴾ . مع قولِه : ﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ وقد تقدَّم ذلك قبلَ : ﴿ نَعْبُدُ ﴾ ؟ وهلَّا قيل : إياك نعبُدُ ونستعينُ . إذ كان المُخْبَرُ عنه أنه المعبودُ هو المُخبرُ عنه أنه المُسْتعانُ ؟

---

(١) فى م : « للرجل إذا » .

(٢) ديوانه ص ٣٩.

قيل له[(١)] : إن الكافَ التى مع « إيَّا » ، هى الكافُ التى كانت تَتَّصِلُ بالفعلِ - أعْنِى بقوله : ﴿ نَعۡبُدُ ﴾ - لو كانت مؤخرةً بعدَ الفعلِ[(٢)] ، وهى كنايةُ اسمِ المخاطَبِ المنصوبِ بالفعلِ ، فكُثِّرت بـ « إيَّا » مُتَقَدِّمةً[(٣)] ، إذ كانت الأسماءُ إذا انفَرَدَتْ بأنفسِها لا تكونُ فى كلامِ العربِ على حرفٍ واحدٍ ، فلمَّا كانت الكافُ مِن : ﴿ إِيَّاكَ ﴾ هى كنايةَ اسمِ المخاطَبِ التى كانت تكونُ كافًا وحدَها مُتَّصِلةً بالفعلِ ، إذا كانت بعدَ الفعلِ ، ثم كان حظُّها أن تُعادَ مع كلِّ فعلٍ اتَّصَلَتْ به ، فيقالَ : اللهم إنا نَعْبُدُك ، ونَسْتَعِينُك ، ونَحْمَدُك ، ونَشْكُرُك . وكان ذلك أفصحَ فى كلامِ العربِ مِن أن يُقالَ : اللهم إنا نَعْبُدُك ونَسْتَعِينُ ونَحْمَدُ . كان كذلك إذا قُدِّمَت كنايةُ اسمِ المُخاطَبِ قبلَ الفعلِ موصولةً بـ « إيا » ، كان الأفصحُ إعادتَها مع [١٩/١ظ] كلِّ فعلٍ ، كما كان الفصيحُ مِن الكلامِ إعادتَها مع كلِّ فعلٍ ، إذا[(٤)] كانت بعدَ الفعلِ مُتَّصِلةً به ، وإن كان تركُ إعادتِها جائزًا .

وقد ظنَّ بعضُ مَن لم يُنْعِمِ[(٥)] النظرَ أن إعادةَ : ﴿ إِيَّاكَ ﴾ مع ﴿ نَسۡتَعِينُ ﴾ بعدَ تقدُّمِها فى قولِه : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ بمعنى قولِ عدىِّ بنِ زيدٍ العِبَادىِّ[(٦)] :

وجاعِلُ[(٧)] الشمسِ مِصْرًا[(٨)] لا خَفاءَ به   بينَ النهارِ وبينَ الليلِ قد فصَلا

(١) زيادة من : م ، ت ٢ ، ت ٣.

(٢) فى ص : « الفصل » .

(٣) فى ص : « متعدية » .

(٤) فى م ، ت ١ : « إذ » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يمعن » .

(٦) أساس البلاغة ص ٩٠٣ . وفى المخصص ١٦٤/١٣ (المجلد الرابع) ، واللسان والتاج (م ص ر) منسوبا إلى أمية بن أبى الصلت . واستدركه ابن برى ونسبه إلى عدى بن زيد .

(٧) فى المخصص ، واللسان ، والتاج : « جعل » .

(٨) المصر : الحاجز بين الشيئين .

وكقولِ أعْشَى هَمْدانَ[(١)] :

بيـنَ الأَشَجِّ وبين قيسٍ باذخٌ[(٢)] بَخْ بَخْ[(٣)] لوالدِه[(٤)] وللمولودِ

وذلك مِن قائلِه جهلٌ ، مِن أجلِ أن حظَّ « إياك » أن تكونَ مُكرَّرةً مع كلِّ فعلٍ ؛ لما وصَفْنا آنفًا مِن العلةِ ، وليس ذلك حُكمَ « بين » ؛ لأنها لا تكونُ إذا اقتضَت اثنين إلا تكريرًا إذا أُعِيدَت ، إذ كانت لا تَنْفَرِدُ بالواحدِ ، وأنها لو أُفْرِدَت بأحدِ الاسمين فى حالِ اقتضائِها اثنين كان الكلامُ كالمستحيلِ ، وذلك أن قائلًا لو قال[(٥)] : الشمسُ قد فصَلَت بينَ النهارِ . لكان مِن الكلامِ خَلْفًا[(٦)] ، لنُقصانِ الكلامِ عما به الحاجةُ إليه مِن تمامِه الذى يَقْتَضِيه « بين » . ولو قال القائلُ : اللهمّ إيّاك نَعْبُدُ . لكان ذلك كلامًا تامًّا . فكان معلومًا بذلك أن حاجةَ كلِّ كلمةٍ - كانت نظيرةَ : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ - إلى « إياك » كحاجةِ : ﴿ نَعۡبُدُ ﴾ إليها ، وأن الصوابَ أن تكونَ[(٧)] معها « إياك » ، إذ كانت كلُّ كلمةٍ منها جملةَ خبرٍ مبتدأً ، وبيَّنّا حُكمُ مُخالفةِ ذلك حُكمَ « بين » فيما وفَّق بينَهما الذى وصَفْنا قولَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱهۡدِنَا ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : ومعنى قولِه : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ فى هذا الموضعِ عندَنا : وَفِّقْنا للثباتِ عليه . كما رُوِى[(٨)] ذلك عن ابنِ عباسٍ .

---

(١) ديوانه ص ١١٣.

(٢) فى ص : « نازح » . وشرف باذخ : عال . اللسان (ب ذ خ) .

(٣) سقط من : ص .

(٤) فى ص : « لوالدة » .

(٥) بعده فى ر : « إن » .

(٦) الخلف : الردىء من القول . التاج (خ ل ف) .

(٧) فى م : « تكرر » .

(٨) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٣ : « فى » .

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا / أبو رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، قال : قال جبريلُ لمحمدٍ : قلْ يا محمدُ : ﴿ اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ . يقولُ[1] : ألْهِمْنا الطريقَ الهادىَ[2] .

١/٧٢

وإلهامُه إياه ذلك هو توفيقُه له ، كالذى قلْنا فى تأويلِه . ومعناه نظيرُ معنى قولِه : ﴿ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . فى أنه مسألةُ العبدِ ربَّه التوفيقَ للثباتِ على العملِ بطاعتِه ، وإصابةِ الحقِّ والصوابِ فيما أمَره به ونهاه عنه ، فيما يَسْتَقْبِلُ مِن عُمُرِه ، دون ما قد مضَى مِن أعمالِه ، وتقَضَّى فيما سلَف مِن عمُرِه ، كما قولُه : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . مسألةٌ منه ربَّه المَعُونةَ على أداءِ ما قد كلَّفه مِن طاعتِه فيما بقِى مِن عمُرِه . فكان معنى الكلامِ : اللهمَّ إياك نَعْبُدُ وحدَك لا شريكَ لك ، مُخْلِصِين لك العبادةَ دونَ ما سواك مِن الآلهةِ والأوثانِ ، فأعِنَّا على عبادتِك ، ووفِّقْنا لما وفَّقْت له مَن أنْعَمْتَ عليه مِن أنبيائِك وأهلِ طاعتِك ، مِن السبُلِ[3] والمِنْهاجِ .

فإن قال قائلٌ : وأنَّى وجَدْتَ الهدايةَ فى كلامِ العربِ بمعنى التوفيقِ ؟

[4]قيل له[4] : ذلك فى كلامِها أكثرُ وأظهرُ مِن أن يُحْصَى عددُ ما جاء عنهم فى ذلك مِن الشواهدِ ، فمِن ذلك قولُ الشاعرِ[5] :

لا تَحْرِمَنِّى هداك اللَّهُ مَسْألتى ... ولا أكُونَنْ كمَن أوْدَى به السَّفَرُ

---

(١) سقط من : ر .

(٢) سيأتى بتمامه فى ص ١٧٤ .

(٣) فى م : « السبيل » ، وفى ت ٢ ، ت ٣ : « السبر » .

(٤ - ٤) فى ص ، ر : « قيل » .

(٥) لودفة الأسدى أبيات على نفس الوزن يقولها لمعن بن زائدة . ينظر أمالى المرتضى ١/ ٢٢٢ .

بمعنى[(١)] : وفَّقك اللَّهُ لقضاءِ حاجتى .

ومنه قولُ الآخرِ[(٢)] :

[(٣)]ولا تُعْجِلَنِّى[٣)] هداك المَليكُ فإن لكلِّ مَقامٍ مَقالَا

فمعلومٌ أنه إنما أراد : وفَّقك اللَّهُ لإصابةِ الحقِّ فى أمْرِى .

ومنه قولُ اللهِ عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨، آل عمران : ٨٦، التوبة : ١٩، ١٠٩، الصف : ٧، الجمعة : ٥] . فى غيرِ آيةٍ مِن تنزيلِه . وقد عُلِم بذلك أنه لم يَعْنِ أنه لايُبيِّنُ للظالمين الواجبَ عليهم من فرائضِه . وكيف يجوزُ أن يكونَ ذلك معناه ، وقد عمَّ بالبيانِ جميعَ المكلَّفين مِن خلقِه ، ولكنه عنَى جل ذكرُه أنه لا يُوَفِّقُهم ، ولا يَشْرَحُ للحقِّ والإيمانِ صدورَهم .

وقد زعَم بعضُهم أن تأويلَ قولِه : ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ : زِدْنا هدايةً .

وليس يَخْلُو هذا القولُ مِن أحدِ أمْرَيْن ؛ إما أن يكونَ قد ظنَّ قائلُه أن النبىَّ ﷺ أُمِر [(٤)] بمسألةِ ربِّه[٤)] الزيادةَ فى البيانِ ، أو[(٥)] الزيادةَ فى المعونةِ والتوفيقِ . فإن كان ظنَّ أنه أُمِر بمسألتِه[(٦)] الزيادةَ فى البيانِ ، فذلك ما لا وجهَ له ؛ لأن اللَّهَ جل ثناؤُه لا يُكَلِّفُ عبدًا فرضًا مِن فرائضِه إلا بعدَ تبيينهِ له وإقامةِ الحجةِ عليه به ، ولو كان معنى ذلك معنى مسألتِه البيانَ ، لكان قد أُمِر أن يَدْعُوَ ربَّه أن يُبَيِّنَ له ما فرَض عليه ، وذلك مِن الدعاءِ خَلْفٌ ؛ لأنه لا يَفْرِضُ فرضًا إلا مبيَّنًا لمن فرَضه عليه ، أو يكونَ أُمِر أن يَدْعُوَ ربَّه

---

(١) فى م : « يعنى به » .

(٢) ديوان الحطيئة ص ٢٢٢، والأغانى ٢/ ١٨٧، واللسان (ق و ل) ، (ح ن ن) ، وفى الفاخر ص ٣١٤ أن أول من قال ذلك طرفة بن العبد فى شعر يعتذر فيه لعمرو بن هند . ولم نجد البيت فى ديوانه .

(٣ - ٣) فى الديوان ، والأغانى ، واللسان : « تحنن على » ، وفى الفاخر : « تصدق على » .

(٤ - ٤) فى ص : « بمسألته » .

(٥) فى ص ، ر ، ت١ : « و » .

(٦) فى م : « بمسألة » .

أن يَفْرِضَ عليه الفرائضَ التى لم يَفْرِضْها . وفى فسادِ وجهِ مسألةِ العبدِ ربَّه ذلك ما[(١)] يُوَضِّحُ عن أن معنى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ . غيرُ معنى : بيِّنْ لنا فرائضَك وحدودَك .

أو يكونَ ظنَّ أنه أُمِر بمسألةِ ربِّه الزيادةَ فى المعونةِ والتوفيقِ ، فإن كان ذلك كذلك ، فلن تَخْلُوَ مسألتُه تلك الزيادةَ مِن أن تكونَ مسألةً للزيادةِ فى المَعونةِ على ما قد مضى مِن عملِه ، أو على ما يَحْدُثُ ، وفى ارتفاعِ حاجةِ العبدِ إلى المعونةِ على ما قد تقَضَّى مِن عملِه ، ما يُعْلِمُ أن معنى مسألةِ تلك الزيادةِ إنما هو مسألتُه الزيادةَ لما يَحْدُثُ مِن عملِه . وإذ كان ذلك كذلك ، صار الأمرُ إلى ما وصَفْنا وقلْنا فى ذلك مِن أنه مسألةُ العبدِ / ربَّه التوفيقَ لأداءِ ما كُلِّف مِن (٢)فرائضِ ربِّه(٢) فيما يَسْتَقْبِلُ مِن عمُرِه . ٧٣/١

وفى صحةِ ذلك فسادُ قولِ[(٣)] أهلِ القدَرِ الزاعمين أن كلَّ مأمورٍ بأمرٍ أو مكلَّفٍ فرضًا ، فقد أُعْطِى مِن المعونةِ عليه ما قد ارتَفَعَت معه فى ذلك الفرضِ حاجتُه إلى ربِّه ؛ لأنه لو كان [١/ ٢٠و] الأمرُ على ما قالـوا فى ذلك لَبَطل معنى قولِ اللَّهِ جل ثناؤُه : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ . وفى صحةِ معنى ذلك على ما بيَّنا ، فسادُ قولِهم .

وقد زعم بعضُهم أن معنى قولِه : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ : أسْلِكْنا طريقَ الجنةِ فى المَعادِ . أىْ : قدِّمْنا له وامْضِ بنا إليه . كما قال جل ثناؤُه : ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٢٣] . أى : أدْخِلوهم النارَ . كما تُهْدَى المرأةُ إلى زوجِها ،

---

(١) فى ص : « مما » .

(٢ - ٢) فى م ، ت ٢ ، ت ٣: « فرائضه » .

(٣) سقط من : م ، ت ٢، ت ٣.

يُعْنَى بذلك أنها تُدْخَلُ إليه ، وكما تُهْدَى الهديَّةُ إلى الرجلِ ، وكما تَهْدِى الساقَ القدمُ ، نظيرَ قولِ طَرَفةَ بنِ العَبْدِ[١] :

لعِبَتْ بَعْدِى السُّيولُ به وجرَى فى رَوْنَقٍ رِهَمُهْ[٢]

للفتى عَقْلٌ يَعِيشُ به حيث تَهْدِى ساقَه قَدَمُهْ

أى : تَرِدُ به المواردَ .

وفى قولِ اللَّهِ جل ثناؤه : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . ما يُنْبِئُ عن خطأ هذا التأويلِ ، مع شهادةِ الحُجَّةِ مِن المفسِّرين على تخطئتِه ، وذلك أن جميعَ المفسِّرين مِن الصحابةِ والتابعين مُجْمِعون على أن معنى الصراطِ فى هذا الموضعِ غيرُ المعنى الذى تأَوَّله قائلُ هذا القولِ ، وأن قولَه : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . مسألةُ العبدِ ربَّه المعونةَ على عبادتِه ، فكذلك قولُه : ﴿ اْهْدِنَا﴾ . إنما هو مسألتُه[٣] الثباتَ على الهدى فيما بقِى مِن عمُرِه .

والعربُ تقولُ : هدَيْتُ فلانًا الطريقَ ، وهدَيْتُه للطريقِ ، وهدَيْتُه إلى الطريقِ : إذا أرْشَدْتَه إليه[٤] ، وسدَّدْتَه له . وبكلٍّ ذلك قد[٥] جاء القرآنُ ، قال اللَّهُ جل ثناؤُه : ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ [الأعراف : ٤٣] . وقال فى موضعٍ آخرَ : ﴿ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل : ١٢١] . وقال :﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ . وكلُّ ذلك فاشٍ فى منطقِها ، موجودٌ فى كلامِها ، من ذلك قولُ

---

(١) ديوانه ص ٧٥، ٨٠.

(٢) فى ص ، ت١ : « دهمه » ، وفى ر : « دَهَمُه » . والرهم جمع الرهمة : المطر الضعيف الدائم الصغير القطر . اللسان (ر هـ م) .

(٣) فى ص ، م : « مسألة » .

(٤) فى ر : « إلى الطريق » .

(٥) زيادة من : ر ، ت ٢، ت ٣.

الشاعرِ[١] :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذنبًا لستُ مُحْصِيَه ربَّ العبادِ إليه الوجهُ والعملُ

يُرِيدُ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لذنْبٍ . كما قال جل ثناؤُه : ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ [غافر : ٥٥] .

ومنه قولُ نابغةِ بنى ذُبْيانَ[٢] :

فيَصِيدُنا العَيْرَ[٣] المُدِلَّ بحُضْرِه[٤] قبلَ الوَنَى والأَشْعَبَ[٥] النَّبَّاحا

يُرِيدُ : فيَصِيدُ لنا . وذلك كثيرٌ فى أشعارِهم وكلامِهم ، وفيما ذكَرْنا منه كفايةٌ . واللَّهُ الموفقُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز وجل : ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : أجْمَعَت الحُجَّةُ[٦] مِن أهلِ التأويلِ جميعًا على أن الصراطَ المستقيمَ هو الطريقُ الواضحُ الذى لا اعْوِجاجَ فيه ، وكذلك ذلك[٧] فى لغةِ جميعِ العربِ ، فمِن ذلك قولُ جريرِ بنِ عَطِيَةَ الخَطَفى[٨] :

أميرُ المؤمنين على صراطٍ إذا اعوَجَّ المواردُ مستقيمِ

---

(١) الكتاب ١/ ٣٧، والخزانة ٣/ ١١١. وقال : وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعرف قائلها .

(٢) للنابغة قصيدة على نفس الوزن ليس منها هذا البيت . ينظر ديوان النابغة - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - ص ٢١٣ - ٢١٧ .

(٣) العير : حمار الوحش . اللسان (ع ى ر) .

(٤) الحضر : ارتفاع الدابة فى العدو . اللسان (ح ض ر) .

(٥) الأشعب : الظبى إذا تفرق قرناه فتباينا بينونة شديدة . اللسان (ش ع ب) .

(٦) فى ص ، م ، ت ١ : « الأمة » .

(٧) سقط من : ر .

(٨) ديوانه ١/ ٢١٨.

يريدُ : على طريقِ الحقِّ .

ومنه قولُ الهُذَليِّ أبي ذُؤَيبٍ[(١)] :

صبَحْنا أرضَهم بالخيلِ حتى تركْناها أدَقَّ مِن الصراطِ

٧٤/١

/ ومنه قولُ الراجزِ[(٢)] :

فصدَّ عن نَهْجِ الصِّراطِ القاصدِ[(٣)]

والشواهدُ على ذلك أكثرُ مِن أن تُحْصَى ، وفيما ذكَرْنا غِنًى عما ترَكْنا .

ثم تَسْتَعِيرُ العربُ الصراطَ فتَسْتَعْمِلُه فى كلِّ قولٍ وعملٍ وُصِف باستقامةٍ أو اعْوِجاجٍ ، فتَصِفُ المستقيمَ باستقامتِه ، والمُعْوَجَّ باعْوِجاجِه . والذى هو أولى بتأويلِ هذه الآيةِ عندى ، أعْنى[(٤)] : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ أن يَكونَ مَعْنِيًّا به : وَفِّقْنا للثباتِ على ما ارْتَضَيْتَه ووَفَّقْتَ له مَن أنعمْتَ عليه مِن عبادِك ، مِن قولٍ وعملٍ ، وذلك هو الصراطُ المستقيمُ ؛ لأن مَن وُفِّق لما وُفِّق له مَن أنْعَم اللَّهُ عليه مِن النبيِّين والصديقين والشهداءِ [(٥)]والصالحين[(٥)] ، فقد وُفِّق للإسلامِ ، وتصديقِ الرسلِ ، والتمسكِ بالكتابِ ، والعملِ بما أمَره[(٦)] اللَّهُ به ، والانْزجارِ عما زجَره عنه ، واتباعِ منهاجِ[(٧)] النبيِّ ﷺ ، ومِنهاجِ أبى بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ ، رضِى اللَّهُ عنهم أجمعين ، وكلِّ عبدٍ للَّهِ صالحٍ ، وكلُّ ذلك مِن الصراطِ المستقيمِ .

---

(١) ليس فى ديوانه ، ونسبه القرطبى فى تفسيره ١٤٧/١ إلى عامر بن الطفيل .

(٢) فى ص : « الآخر » . والرجز فى مجاز القرآن ١/ ٢٤، وتفسير القرطبى ١/ ١٤٧.

(٣) فى تفسير القرطبى : « الواضح » .

(٤) سقط من : ر .

(٥ - ٥) زيادة من : ر .

(٦) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٣: « أمر » .

(٧) فى م ، ت ٢، ت ٣: « منهج » .

وقد اختلف تَراجِمةُ القرآنِ في المعنيِّ بالصراطِ المستقيمِ ، يَشْمَلُ معانيَ جميعِهم في ذلك ما أَخْبَرْنا[(١)] مِن التأويلِ فيه .

ومما قالته في ذلك ما رُوِي عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، رضِي اللَّهُ عنه ، عن النبيِّ ﷺ ، أنه قال ، وذكَر القرآنَ ، فقال : « هو الصراطُ المُسْتَقِيمُ » .

حدَّثنا بذلك موسى بنُ عبدِ الرحمنِ المسروقيُّ ، قال : حدَّثنا حسينٌ الجُعْفيُّ ، عن حمزةَ الزيَّاتِ ، عن أبي المُخْتارِ الطائيِّ ، عن ابنِ أخي الحارثِ ، عن الحارثِ ، عن عليٍّ ، عن النبيِّ ﷺ[(٢)] .

وحُدِّثْتُ عن إسماعيلَ بنِ أبي كَريمةَ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ سَلَمةَ ، عن أبي سِنانٍ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن أبي البَخْتريِّ ، عن الحارثِ ، عن عليٍّ ، عن النبيِّ ﷺ مثلَه[(٣)] .

---

(١) في م ، ت١ : « اخترنا » ، وفي ت ٢ : « أجزنا » . وفي حاشية المطبوعة إشارة إلى أنها كانت : « أخبرنا » .

(٢) إسناده ضعيف جدا ؛ أبو المختار الطائي وابن أخي الحارث مجهولان ، والحارث ضعيف .

وأخرجه ابن أبي شيبة ١٠/ ٤٨٢، والدارمي ٢/ ٤٣٥، والترمذي (٢٩٠٦) ، والبيهقي في الشعب (١٩٣٥، ١٩٣٦) ، والبغوي في تفسيره ١/ ٣٩، وفي شرح السنة (١١٨١) من طريق حسين به مطولا .

وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في النكت الظراف ٣٥٧/٧ - وابن نصر في قيام الليل ص ٧١، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٠/١ (٣٢) - مختصرا - والبزار (٨٣٦) - مطولا - والدارقطني في العلل ٣/ ١٤١، ١٤٢ من طرق عن حمزة الزيات به .

واختلف على حمزة الزيات فيه ، والصحيح الوجه الذي أورده المصنف . ينظر علل الدارقطني ١٣٨/٣ - ١٤٠. وقال الذهبي في ترجمة أبي المختار من الميزان ٤/ ٥٧١: حديثه في فضائل القرآن العزيز منكر .

وقال ابن كثير في فضائل القرآن ص ١٥: والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور ، وقد تكلموا فيه ، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده ، أما أنه تعمد الكذب في الحديث ، فلا ، واللَّه أعلم . وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين على رضى اللَّه عنه ، وقد وهم بعضهم في رفعه ، وهو كلام حسن صحيح . وقال في تفسيره ١/ ٤٢: وقد رُوى هذا موقوفا عن على ، وهو أشبه .

ورُوى من وجه آخر مختصرا عند أحمد ١١١/٢ (٧٠٤) ، وليس فيه تفسير الصراط المستقيم .

(٣) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١٩٠) من طريق إسماعيل به . وأخرجه البزار (٨٣٥)- مختصرا - =

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوازيُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيريُّ ، قال : حدَّثنا حمزةُ الزياتُ ، عن أبي المختارِ الطائيِّ ، عن ابنِ أخي الحارثِ الأعورِ ، عن الحارثِ ، عن عليٍّ ، قال : الصِّراطُ المستقيمُ كتابُ اللَّهِ تعالى .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوازيُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبيريُّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، **وحدَّثنا** محمدُ بنُ حُميدٍ الرازيُّ ، قال : حدَّثنا مِهْرانُ ، عن سفيانَ ، عن منصورٍ ، عن أبي وائلٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ : الصراطُ المستقيمُ كتابُ اللَّهِ [1] .

حدَّثنا محمودُ بنُ خِدَاشٍ الطالَقانيُّ ، قال : حدَّثنا حُميدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الرُّؤاسيُّ ، قال : حدَّثنا عليٌّ والحسنُ ابنا صالحٍ ، جميعًا عن عبدِ اللَّهِ بن محمدِ بنِ عَقِيلٍ ، عن جابرٍ : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ . قال : الإسلامُ . قال : هو أوسعُ مما بينَ السماءِ و[2] الأرضِ [3] .

حدَّثنا [١/ ٢٠ظ] أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا

= والدارمي ٢/ ٤٣٥، ٤٣٦ من طريق محمد بن سلمة به .

وأخرجه الخطيب (١٩١) من طريق محمد بن حميد ، عن الحكم بن بشير بن سلمان ، عن عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة به .

وأبو سنان صدوق له أوهام ، وقد خولف فيه ، فرواه غير واحد عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن ابن أبي الحارث ، عن الحارث ، عن علي . ينظر علل الدارقطني ٣/ ١٣٧، ١٣٨.

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ٢٥٨، والبيهقي في الشعب (١٩٣٨) من طريق سفيان به . وصححه الحاكم .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٥ إلى وكيع وعبد بن حميد وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف .

وذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ٤٢ عن الثوري به ، وقال : وقيل : هو الإسلام . وهذا أخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان ٢/ ١٠٣ من طريق مسعر ، عن منصور به .

(٢) في ص ، ر ، ت ١، ت ٢: « إلى » .

(٣) أخرجه الحاكم ٢/ ٢٥٨، ٢٥٩ من طريق الحسن بن صالح به . وقال : صحيح الإسناد .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٥ إلى وكيع وعبد بن حميد وابن المنذر والمحاملي .

بشرُ بنُ عُمارةَ[(١)]، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ، عن الضحاكِ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ، قال : قال جبريلُ لمحمدٍ : قلْ يا محمدُ : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ . يقولُ : أَلْهِمْنا الطريقَ الهادىَ، وهو دينُ اللَّهِ الذى لا [(٢)]عِوَجَ له[(٢)].

١/٧٥ / **حدَّثنا** [(٣)]سهلُ بنُ موسى[(٣)] الرازىُّ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ عوفٍ، عن الفُراتِ بنِ السائبِ، عن ميمونِ بنِ مِهْرانَ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ . قال : ذلك الإسلامُ[(٤)].

حدَّثنا محمودُ بنُ خِداشٍ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ ربيعةَ الكِلابىُّ، عن إسماعيلَ الأزرقِ، عن أبى عُمرَ البزَّارِ، عن ابنِ الحَنَفيةِ فى قولِه : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ . قال : هو دينُ اللَّهِ الذى لا يَقْبَلُ مِن العبادِ غيرَه[(٥)].

حدَّثنا موسى بنُ هارونَ الهَمْدانىُّ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ طلحةَ القَنَّادُ، قال : حدَّثنا أَسْباطُ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ، **وعن** أبى صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانىِّ، عن ابنِ مسعودٍ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[(٦)] : هو الإسلامُ[(٧)].

---

(١) فى م، ت ٣: « عمار ».

(٢ - ٢) فى ر : « اعوجاج فيه ».

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٠/١ (٣١، ٣٦) من طريق أبى كريب به.

(٣ - ٣) فى م : « موسى بن سهل ». وينظر تاريخ المصنف ١/ ٣٢، ٣٢٩، ٣٣٧.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥/١ إلى المصنف. والفرات بن السائب منكر الحديث.

وسيأتى فى تفسير الآية ١٢٦ من سورة الأنعام، بإسناد محمد بن سعد عن آبائه.

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٤٣/١ عن ابن الحنفية. وإسماعيل الأزرق ضعيف.

(٦) بعده فى ص، م، ت ١: « قال ».

(٧) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥/١ إلى المصنف.

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ فى قولِه : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ . قال : الطريق[(١)] .

حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ أبو صديفٍ الآمُلِىُّ ، قال : حدَّثنا هاشمُ بنُ القاسمِ ، قال : حدثنا [(٢)] حمزةُ بنُ أبى المغيرةِ [(٢)] ، عن عاصمٍ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ . قال : هو رسولُ اللَّهِ ﷺ وصاحباه مِن بعدِه ؛ أبو بكرٍ وعمرُ . قال : فذكَرْتُ ذلك للحسنِ ، فقال : صدَق أبو العاليةِ ونصَح[(٣)] .

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : حدَّثنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال عبدُ الرحمنِ ابنُ زيدِ بنِ أسْلَمَ : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ . قال : الإسلامُ[(٤)] .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، أن عبدَ الرحمنِ بنَ جُبَيْرٍ حدَّثه ، عن أبيه ، عن نَوَّاسِ بنِ سِمْعانَ الأنصارىِّ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « ضرَب اللَّهُ مَثَلًا صِراطًا مُسْتَقِيمًا ، والصِّرَاطُ الإسلَامُ »[(٥)] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤/١ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢ - ٢) كذا فى النسخ ، والصواب : حمزة بن المغيرة . ينظر تهذيب الكمال ٧/ ٣٤٠.

(٣) أخرجه المروزى فى السنة (٢٧) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٠/١ (٣٤) ، وابن حبان فى الثقات ٢٢٩/٦ - تعليقًا - وابن عدى ٣/ ١٠٢٣، وابن عساكر فى تاريخه ١٧٠/١٨ من طريق هاشم بن القاسم به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥/١ إلى عبد بن حميد .

وأخرجه الحاكم ٢٥٩/٢ - وصححه - من طريق هاشم ، عن حمزة ، عن عاصم ، عن أبى العالية ، عن ابن عباس . وذكر قول الحسن كذلك .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٤٣/١ عن عبد الرحمن .

(٥) أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (١٩) ، والطحاوى فى المشكل (٢٠٤٣، ٢١٤١) ، وابن أبى حاتم =

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ العَسْقلانيُّ ، قال : حدَّثنا الليثُ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ ، عن أبيه ، عن النَّوَّاسِ بنِ سِمْعانَ الأنصاريِّ ، عن النبيِّ ﷺ مثلَه[1] .

قال أبو جعفرٍ : وإنما وصَفه اللَّهُ جل ثناؤُه بالاستقامةِ ؛ لأنه صوابٌ لا خطأَ فيه . وقد زعَم بعضُ أهلِ الغَباءِ أنه سمَّاه اللَّهُ مستقيمًا ، لاستقامتِه بأهلِه إلى الجنةِ ، وذلك تأويلٌ لتأويلِ جميعِ أهلِ التفسيرِ خلافٌ ، وكفى بإجماعِ جميعِهم على خلافِه جميعَهم[2] دليلًا على خطئِه .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ .

وقولُه : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ . إبانةٌ عن الصراطِ المستقيمِ ، أيُّ الصراطِ هو ؟ إذ كان كلُّ طريقٍ مِن طرُقِ الحقِّ [3]صراطًا مستقيمًا[3] ، فقيل لمحمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ : اهْدِنا ياربَّنا / الصراطَ المستقيمَ ، صراطَ الذين أنْعَمْتَ ١/٧٦

= في تفسيره ١/٣٠ (٣٣) ، والآجرى في الشريعة (١٤) ، والرامهرمزى في الأمثال ص ١٠ من طرق عن أبي صالح به . وأخرجه الحاكم ١/٧٣ من طريق معاوية بن صالح به . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، ولا أعرف له علة .

وأخرجه ابن أبي عاصم (١٨) ، وأحمد ١٨٤/٢٩ (١٧٦٣٦) ، والترمذى (٢٨٥٩) ، والنسائى في الكبرى (١١٢٣٣) ، والطحاوى (٢١٤٣) ، والطبرانى في مسند الشاميين (١١٤٧) من طريق خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير به ، مطولا ومختصرا . وعزاه السيوطى في الدر المنثور ١٥/١ إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه . وقال الترمذى : حسن غريب . وقال ابن كثير في تفسيره ١/ ٤٣ : إسناد حسن صحيح .

(١) في م : « بمثله » .

والحديث أخرجه الطحاوى في المشكل (٢١٤٢) ، والآجرى في الشريعة (١٥) ، والبيهقى في الشعب (٧٢١٦) من طريق آدم به . وأخرجه أحمد ١٨١/٢٩ (١٧٦٣٤) ، والبيهقى (٧٢١٦) من طريق الليث به .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) في ر ، ت٢ ، ت٣ : « فصراط مستقيم » .

عليهم بطاعتِك وعبادتِك، مِن ملائكتِك وأنبيائِك والصِّدِّيقِين والشهداءِ والصالحين. وذلك نظيرُ ما قال ربُّنا جل ثناؤُه في تنزيله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٦- ٦٩].

قال أبو جعفرٍ: فالذى أُمِر محمدٌ ﷺ وأمتُه أن يَسْألوا[(١)] ربَّهم مِن الهدايةِ للطريقِ المستقيمِ، هى الهدايةُ للطريقِ الذى وصَف اللَّهُ جل ثناؤُه صفتَه، وذلك الطريقُ هو طريقُ الذين[(٢)] وصَفهم اللَّهُ بما وصَفَهم به فى تنْزيلِه، ووعَد مَن سَلكه فاسْتَقام فيه طائعًا للَّهِ ولرسولِه ﷺ، أن يُورِدَه[(٣)] مَواردَهم، واللَّهُ لا يُخْلِفُ الميعادَ.

وبنحوِ ما قلْنا فى ذلك رُوِى الخبرُ عن ابنِ عباسٍ وغيرِه.

حدَّثنا محمدُ بنُ العَلاءِ، قال: حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ، قال: حدَّثنا[(٤)] بشرُ بنُ عُمارةَ[(٤)]، قال: حدَّثنا أبو رَوْقٍ، عن الضحاكِ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. يقولُ: طريقَ مَن أنْعَمْتَ عليهم[(٥)] مِن الملائكةِ والنبيين والصِّدِّيقِين والشهداءِ والصالحين، الذين أطاعوك وعبَدوك[(٦)].

---

(١) فى م، ت٢، ت٣: «يسألوه».

(٢) فى م، ت ١: «الذى».

(٣) فى ص، ت ١: «يوردهم».

(٤ - ٤) فى ص: «قيس بن عمارة»، وفى م: «بشر بن عمار».

(٥) بعده فى م: «بطاعتك وعبادتك».

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٣١ (٣٧، ٣٨) من طريق محمد بن العلاء به.

حدَّثني أحمدُ بنُ حازمِ الغِفاريُّ ، قال : أخبَرَنا عُبيدُ[(١)] اللَّهِ بنُ موسى ، عن أبى جعفرٍ ، عن ربيعٍ : ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ . قال : النبيون[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ . قال : المؤمنين[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : قال وَكيعٌ : ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ : المسلمين[(٤)] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ . قال : النبيُّ ﷺ ومَن معه[(٥)] .

قال أبو جعفرٍ : وفى هذه الآيةِ دليلٌ واضحٌ على أن طاعةَ اللَّهِ جل ثناؤُه لا يَنالُها المُطيعون إلا بإنعامِ اللَّهِ بها عليهم وتوفيقِه إياهم لها ، أوَ لا يَسْمَعونه يقولُ : ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ . فأضاف[(٦)] ما كان منهم مِن اهْتِداءٍ وطاعةٍ وعبادةٍ إلى أنه إنعامٌ منه عليهم .

فإن قال قائلٌ : وأين تَمامُ هذا الخبرِ ؟ فقد علِمْتَ أن قولَ القائلِ لآخرَ : أنْعَمْتُ عليك . مقتضٍ الخبرَ عما أنْعَم به عليه ، فأين ذلك الخبرُ في قولِه : ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ؟ وما تلك النعمةُ التى أنْعَمَها عليهم ؟

قيل له : قد قدَّمْنا البيانَ فيما مضَى مِن كتابِنا هذا عن اجْتِزاءِ العربِ فى

---

(١) فى ص ، ت١ : « عبد » . وقد تقدم على الصواب فى ص ١٤٦. وينظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٦٤.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦/١ إلى عبد بن حميد .

(٣) ذكره ابن كثير ٤٤/١ عن ابن جريج عن ابن عباس .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٤٤/١ عن وكيع .

(٥) ذكره ابن كثير ٤٤/١ .

(٦) بعده فى م : « كل » .

مَنْطِقِها ببعضٍ مِن بعضٍ ، إذا كان البعضُ الظاهرُ دالًّا على البعضِ الباطنِ وكافيًا منه ، فقولُه[١] : [٢١/١و] ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمۡ﴾ . من ذلك ؛ لأن أمْرَ اللَّهِ جل ثناؤه عبادَه مسألتَه المعونةَ ، وطلبَهم منه الهدايةَ للصراطِ المستقيمِ ، لمَّا كان متقدمًا قولَه : ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمۡ﴾ . الذى هو إبانةٌ عن الصراطِ المستقيمِ ، وإبدالٌ منه - كان معلومًا أن النعمةَ التى أنْعَم اللَّهُ بها على مَن أمَرنا[٢] بمسألتِه الهدايةَ لطريقِهم ، هو المنهاجُ القويمُ[٣] ، والصراطُ المستقيمُ ، / الذى قد قدَّمْنا البيانَ عن تأويلِه آنفًا ، فكان ظاهرُ ما ظهَر مِن ذلك - مع قربِ تجاوُرِ الكلمتَيْن - مُغْنِيًا عن تَكْرارِه ، كما قال نابغةُ بنى ذُبْيانَ[٤] : ٧٧/١

كأنك مِن جِمالِ بنى أُقَيْشٍ يُقَعْقَعُ[٥] خلفَ رِجْلَيْه بشَنٍّ[٦]

يريدُ : كأنك مِن جِمالِ بنى أُقَيْشٍ ، جملٌ يُقَعْقَعُ خلفَ رجليه بشَنٍّ . فاكْتَفَى بما ظهَر مِن ذكرِ الجِمالِ الدالِّ على المحذوفِ مِن إظهارِ ما حذَف .

وكما قال الفَرَزْدَقُ بنُ غالبٍ[٧] :

تَرَى أرْباقَهم[٨] مُتَقَلِّدِيها إذا صَدِئَ الحديدُ على الكُماةِ[٩]

---

(١) فى ص ، ر : « بقوله » .

(٢) فى ر : « أمر » .

(٣) فى ر : « القديم » .

(٤) ديوانه ص ١٩٨ .

(٥) فى المثل : فلان لا يقعقع له بالشنان . أى لا يخدع ولا يروع . وأصله من تحريك الجلد اليابس للبعير ليفزع . اللسان (ق ع ع) .

(٦) الشن : القربة الخلَق . اللسان (ش ن ن) .

(٧) ديوانه ص ١٣١ .

(٨) الأرباق جمع الرِّبق : الحبل والحلقة تشد بها الغنم الصغار لئلا ترضع . اللسان (ر ب ق) .

(٩) الكماة جمع الكمى : البطل الشجاع الجرىء . التاج (ك م ى) .

يُرِيدُ : مُتَقَلِّدِيها هم . فحذَف « هم » إذا كان الظاهرُ مِن قولِه : أرباقَهم . دالًّا عليها .

والشواهدُ على ذلك مِن شعرِ العربِ وكلامِها أكثرُ مِن أن تُحْصَى ، فكذلك ذلك فى قولِه : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ .

القولُ فى تأويل قولِه : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والقَرَأَةُ مُجْمِعةٌ على قراءةِ : ﴿ غَيْرِ﴾ . بجرِّ الراءِ منها . والخفضُ يأتيها مِن وجهين :

أحدُهما ، أن يكونَ ﴿ غَيْرِ﴾ صفةً لـ ﴿ ٱلَّذِينَ﴾ ونعتًا لهم فتَخْفِضَها ، إذا كان ﴿ ٱلَّذِينَ﴾ خفضًا ، وهى لهم نعتٌ وصفةٌ . وإنما جاز أن يكونَ ﴿ غَيْرِ﴾ نعتًا لـ ﴿ ٱلَّذِينَ﴾ ، و ﴿ ٱلَّذِينَ﴾ معرفةٌ ، و ﴿ غَيْرِ﴾ نكرةٌ ؛ لأن ﴿ ٱلَّذِينَ﴾ بصلتِها ليست بالمعرفةِ المؤقتةِ ، كالأسماءِ التى هى أماراتٌ بينَ الناسِ ، مثلَ زيدٍ وعمرٍو ، وما أشْبَهَ ذلك ، وإنما هى كالنكراتِ المجهولاتِ[1] ، مثلَ الرجلِ والبعيرِ ، وما أشْبَهَ ذلك . فلما كان ﴿ ٱلَّذِينَ﴾ كذلك صفتُها ، وكانت ﴿ غَيْرِ﴾ مضافةً إلى مجهولٍ مِن الأسماءِ نظيرَ ﴿ ٱلَّذِينَ﴾ فى أنه معرفةٌ غيرُ مؤقتةٍ ، كما ﴿ ٱلَّذِينَ﴾ معرفةٌ غيرُ مؤقتةٍ ، جاز مِن أجلِ ذلك أن يكونَ ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ نعتًا لـ ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [2]كما يقالُ : لا أَجْلِسُ إلا إلى العالمِ غيرِ الجاهلِ . يُرادُ : لا أجْلِسُ إلا إلى مَن يَعْلَمُ ، لا إلى مَن يَجْهَلُ . ولو كان ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ معرفةً مؤقتةً ، كان غيرَ[2]

(١) فى ر : « المجمولات » .

(٢ - ٢) سقط من : ر .

(١ جائزٍ أن يكونَ : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ لها نعتًا ، وذلك أنه خطأٌ فى كلامِ العربِ إذا وُصِفَت معرفةٌ مؤقتةٌ بنكرةٍ - أن تُلْزِمَ نعتَها النكرةَ إعرابَ المعرفةِ المنعوتِ بها ، إلا على نيةِ تكريرِ ما أعربَ المنعوتَ بها . خطأٌ فى كلامِهم أن يقالَ : مررْتُ بعبدِ اللَّهِ (٢ غيرِ العالمِ . فتَخْفِضَ « غير » إلا على نيةِ تكريرِ الباءِ التى أعرَبَتْ عبدَ اللَّهِ . فكأنَّ معنى ذلك لو قيل كذلك : مرَرْتُ بعبدِ اللَّهِ ٢) ، مررتُ بغيرِ العالمِ . فهذا أحدُ وجْهَيِ الخفضِ فى ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ ١) .

والوجهُ الآخرُ مِن وجهَيِ الخفضِ فيها ، أن يكونَ ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ بمعنى المعرفةِ المؤقتةِ ، وإذا وُجِّه إلى ذلك ، كانت ﴿ غَيْرِ ﴾ مخفوضةً بنيةِ تكريرِ الصراطِ الذى خُفِض ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ ، عليها ، فكأنك قلتَ : صراطَ الذين أنعَمْت عليهم ، صراطَ غيرِ المغضوبِ عليهم .

وهذان التأويلان فى ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ وإن اخْتَلَفا باختلافِ مُعْرِبِيهما ، فإنهما يَتقارَبُ معناهما ، مِن أجلِ أن مَن أنْعَم اللَّهُ عليه فهداه لدينِه الحقِّ فقد سلِم مِن غضبِ ربِّه ، ونجا مِن الضَّلالِ فى دينِه .

فسواءٌ - إذ / كان سامعُ قولِه : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ غيرَ جائزٍ أن يَرتابَ مع سماعِه ذلك مِن تاليه فى أن الذين أنْعَم اللَّهُ عليهم بالهدايةِ للصراطِ غيرُ غاضبٍ ربُّهم عليهم ، مع النعمةِ التى قد عظُمَت مِنَّته بها عليهم فى دينِهم ، ولا أن يكونوا ضُلَّالًا وقد هداهم الحقَّ[٣] ربُّهم ، إذ كان مستحيلًا فى فِطَرِهم اجتماعُ الرِّضا مِن اللَّهِ جل ثناؤُه عن شخصٍ والغضبِ ٧٨/١

(١ - ١) سقط من : ر .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « للحق » .

عليه فى حالٍ واحدةٍ ، واجتماعُ الهُدَى والضَّلالِ له فى وقتٍ واحدٍ - وُصِفَ القومُ - مع وَصْفِ اللَّهِ إياهم بما وصَفَهم به مِن توفيقِه إياهم وهدايتِه لهم ، وإنعامِه عليهم بما أنْعَم اللَّهُ به عليهم فى دينِهم بأنهم غيرُ مغضوبٍ عليهم ولا هم ضالُّون - أم لم يُوصَفوا بذلك ؛ لأن الصفةَ الظاهرةَ التى وُصِفوا بها قد أنْبأَت عنهم أنهم كذلك ، وإن لم يُصَرِّحْ وصفَهم به . هذا إذا وجَّهْنا ﴿ غَيْرِ ﴾ إلى أنها مخفوضةٌ على نيةِ تكريرِ الصراطِ الخافضِ ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ ، ولم نَجْعَلْ : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ مِن صفةِ ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ بل إذا جعَلْناهم غيرَهم ، وإن كان الفريقان لاشكَّ مُنْعَمًا عليهما فى أدْيانِهما . فأما إذا وجَّهْنا ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ إلى أنها مِن نعتِ ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ فلا حاجةَ بسامعِه إلى[(1)] الاستدلالِ ، إذ كان الصريحُ مِن معناه قد أغْنَى عن الدليلِ .

وقد يَجوزُ نصبُ : ﴿ غَيْرِ ﴾[(2)] فى : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ وإن كنتُ للقراءةِ بها كارهًا لشُذوذِها عن قراءةِ القُرَّاءِ ، وأن ماشذَّ مِن القراءات عما جاءت به الأمةُ نقلًا ظاهرًا مُسْتَفيضًا ، فرأىٌ للحقِّ مخالفٌ ، وعن سبيلِ اللَّهِ وسبيلِ رسولِه ﷺ وسبيلِ المسلمين مُتجانِفٌ ، وإن كان له - [(3)]لو كان جائزَ القراءةِ[(3)] به - فى الصوابِ مَخْرَجٌ .

وتأويلُ وجهِ صوابِه إذا نصَبْتَ أن يُوَجَّهَ إلى أن يَكونَ صفةً للهاءِ والميمِ اللتين فى

---

(1) فى م : « إلا » .

(2) والنصب رواية عن ابن كثير - وهو من السبعة - وقرأ بها من الصحابة ؛ عمر ، وعلى ، وابن مسعود ، وابن الزبير . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ١١١، والبحر المحيط ١/ ٢٩.

(٣ - ٣) فى م : « كانت القراءة جائزة » .

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ العائدةِ على ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ لأنها وإن كانت مخفوضةً بـ « على » ، فهى فى محلِّ نصبٍ بقولِه : ﴿ أَنْعَمْتَ ﴾ . فكان[1] تأويلُ الكلامِ - إذا نصَبْتَ (غَيْرَ) التى مع ﴿ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ - صراطَ الذين هدَيْتَهم إنعامًا منك عليهم ، غيرَ مغضوبٍ عليهم - أى : لا مَغضوبًا عليهم - ولا ضالين . فيكونُ النصبُ فى ذلك حينئذٍ كالنصبِ فى « غيرِ » ، فى قولِك : مرَرْتُ بعبدِ اللَّهِ غيرَ الكريمِ ولا الرشيدِ . فتَقْطَعُ غيرَ [١/٢١ظ] الكريمِ مِن عبدِ اللَّهِ ، إذ كان عبدُ اللَّهِ معرفةً مؤقتةً ، وغيرُ الكريمِ نكرةً مجهولةً .

وقد كان بعضُ نحويِّى البصريين يَزْعُمُ أن قراءةَ مَن نصَب (غَيْرَ) فى ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ على وجه استثناءٍ : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ مِن معانى صفةِ ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ كأنه كان يرَى أن معنى الذين قرءوا ذلك نصبًا : اهدنا الصراطَ المستقيمَ ، صراطَ الذين أنعمتَ عليهم ، إلا المغضوبَ عليهم ، الذين لم تُنْعِمْ عليهم فى أديانِهم ولم تَهْدِهم للحقِّ ، فلا تجْعَلْنا منهم .

كما قال نابغةُ بنى ذبيانَ[2] :

وقَفْتُ فيها أُصَيْلَالًا[3] أُسائِلُها عَيَّت[4] جوابًا وما بالرَّبْعِ[5] مِن أحدِ

---

(١) فى م : « فكأن » .

(٢) ديوانه ص ٢، ٣.

(٣) الأصيل : العشى ، والجمع أُصُل وأُصلان ، وتصغيره أصيلان وأصيلال . اللسان (أ ص ل) .

(٤) فى م : « أعيت » .

(٥) الربع : المنزل والدار . اللسان (ر ب ع) .

إِلَّا أَوارِيَّ[١] لَأْيًا[٢] ما أُبَيِّنُها والنُّؤْىُ[٣] كالحوضِ بالمظلومةِ[٤] الجَلَدِ[٥]

والأَوارِيُّ معلومٌ أنها ليست من عِدَادِ أحدٍ فى شىءٍ . فكذلك عندَه اسْتَثْنَى : ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ مِن ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وإن لم يكونوا مِن معانيهم فى الدينِ فى شىءٍ .

وأما نحويُّو الكوفيين فأنْكَروا هذا التأويلَ واستَخْطَئوه[٦] ، وزعَموا أن ذلك لو كان كما قاله الزاعمُ [٧]مازعَم[٧] مِن أهلِ / البصرةِ ، لكان خطأً أن يقالَ : ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ لأن « لا » نفىٌ وجَحْدٌ ، ولا يُعْطَفُ بجحدٍ إلا على جحدٍ . وقالوا : لم نَجِدْ فى شىءٍ مِن كلامِ العربِ استثناءً يُعْطَفُ عليه بجحدٍ ، وإنما وجَدْناهم يَعْطِفون على الاستثناءِ بالاستثناءِ ، وبالجحدِ على الجحدِ ، فيقولون فى الاستثناءِ : قام القومُ إلا أخاك وإلا أباك . وفى الجحدِ : ما قام أخوك ولا أبوك . وأما : قام القومُ إلا أباك ولا أخاك . فلم نَجِدْه فى كلامِ العربِ . قالوا : فلما كان ذلك معدومًا فى كلامِ العربِ ، وكان القرآنُ بأفصحِ لسانِ العربِ نزولُه ، علِمْنا - إذ كان قولُه : ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ معطوفًا على قولِه : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ - أن : ﴿ غَيْرِ ﴾ بمعنى الجحدِ لا بمعنى الاستثناءِ ، وأن تأويلَ مَن وجَّهَها إلى الاستثناءِ خطأٌ .

٧٩/١

---

(١) الأوارى جمع آرِىّ : محبس الدابة . اللسان (أ ر ى) .

(٢) اللأى : المشقة والجهد . اللسان (ل أ ى) .

(٣) النؤى : الحفير حول الخباء أو الخيمة يدفع عنها السيل يمينا وشمالا ويبعده . اللسان (ن أ ى) .

(٤) المظلومة : يعنى أرضا مروا بها فى برية فتحوضوا حوضا سقوا فيه إبلهم ، وليست بموضع تحويض . اللسان (ظ ل م) .

(٥) الجلد : الغليظ من الأرض ، والأرض الصلبة . اللسان (ج ل د) .

(٦) ص : « استخفوه » .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ت ٣.

فهذه أوجهُ تأويلِ : ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ باختلافِ أوجهِ إعرابِ ذلك .

وإنما اعْتَرَضْنا بما اعتَرَضْنا فى ذلك مِن بيانِ وُجوهِ إعرابِه - وإن كان[(١)] قصدُنا فى هذا الكتابِ الكشفَ عن تأويلِ آيِ القرآنِ - لما فى اختلافِ وجوهِ إعرابِ ذلك مِن اختلافِ وجوهِ تأويلِه ، فاضْطَرَّتْنا الحاجةُ إلى كشفِ وجوهِ إعرابِه ، لتَنْكَشِفَ لطالبِ تأويلِه وجوهُ تأويلِه على قدرِ اختلافِ المُخْتَلِفةِ فى تأويلِه وقراءتِه .

والصوابُ مِن القولِ فى تأويلِه وقراءتِه عندَنا القولُ الأولُ ، وهو قراءةُ : ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بخفضِ الراءِ مِن ﴿غَيْرِ﴾ بتأويلِ أنها صفةُ ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ونعتٌ لهم - لما قد قدَّمْنا مِن البيانِ - إن شئتَ ، وإن شئتَ فبتأويلِ تكريرِ ﴿صِرَٰطَ﴾ ، كلُّ ذلك صوابٌ حسنٌ .

فإن قال لنا قائلٌ : فمَن هؤلاء المغضوبُ عليهم الذين أمَرَنا اللَّهُ جل ثناؤه بمسألتِه ألا يَجْعَلَنا منهم ؟

قيل : هم الذين وصَفَهم اللَّهُ جل ثناؤُه فى تنزيلِه ، فقال : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة : ٦٠] . فأعْلَمَنا جل ذكرُه بمَنِّه[(٢)] ما أحَلَّ بهم مِن عقوبتِه بمعصيتِهم إياه ، ثم علَّمَنا ، مِنَّةً[(٣)] منه علينا ، وجهَ السبيلِ إلى النجاةِ مِن أن يَحِلَّ بنا مثلُ الذى حلَّ بهم مِن المَثُلاتِ[(٤)] ، ورأفةً منه بنا .

فإن قال : وما الدليلُ على أنهم أولاءِ الذين وصَفَهم اللَّهُ ، وذكَر نبأَهم فى تنزيلِه

---

(١) بعده فى ص : « ذلك » .

(٢) فى ص : « ثمة » .

(٣) فى ر : « منا » .

(٤) المثلات جمع مَثُلة : العقوبات . اللسان (م ث ل) .

على ما وصَفْتَ ؟

قيل : **حدَّثني** أحمدُ بنُ الوليدِ الرَّمْليُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ الرَّقِّيُّ[(١)] ، قال : حدَّثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ ، عن الشعبيِّ ، عن عديِّ بنِ حاتمٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « المغْضُوبُ عليهم اليَهُودُ »[(٢)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ، عن سِماكٍ ، قال : سمِعْتُ عَبَّادَ بنَ حُبَيْشٍ يُحَدِّثُ عن عَدِيِّ بنِ حاتمٍ ، قال : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ المغْضُوبَ عليهم اليَهُودُ »[(٣)] .

حدَّثني عليُّ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا مسلمُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ مصعبٍ ، عن حمادِ بنِ سلمةَ ، عن سماكِ بنِ حربٍ ، عن مُرِّيِّ بنِ قَطَرِيٍّ ، عن عديِّ بنِ حاتمٍ ، قال : سألْتُ النبيَّ ﷺ عن قولِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ قال : « هم اليَهُودُ »[(٤)] .

---

(١) فى ر : « البرقى » . وينظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٧٦.

(٢) أخرجه تمام فى الفوائد (١٣٢٥ - الروض البسام) من طريق أحمد بن الوليد به . وهكذا ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٤٦ عن ابن عيينة به . وأخرجه ابن عيينة فى تفسيره - كما فى الدر المنثور ١/ ١٦ - وعنه سعيد بن منصور فى سننه (١٧٩ - تفسير) عن إسماعيل بن أبى خالد ، أن النبى ﷺ قال لعدى بن حاتم ، مرسل . وسيأتى باقى هذا الحديث فى ص ١٩٤.

(٣) أخرجه الترمذى (٢٩٥٤) عن محمد بن المثنى به . وأخرجه أحمد ٤/ ٣٧٨ (الميمنية) ، والترمذى (٢٩٥٤) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٣١ (٤٠) ، وابن حبان (٦٢٤٦، ٧٢٠٦) ، والطبرانى فى الكبير ١٧/ ٩٩ (٢٣٧) ، والبيهقى فى الدلائل ٥/ ٣٣٩، ٣٤٠ من طريق محمد بن جعفر به .

وأخرجه الترمذى (٢٩٥٣م) ، وابن أبى حاتم ١/ ٣١ (٤١) ، والطبرانى ١٧/ ٩٨ (٢٣٦) من طريق سماك به . وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب .

(٤) قد خولف حماد بن سلمة فى إسناد هذا الحديث ؛ خالفه شعبة ، وتقدم فى الحديث قبله . ورواه =

/ حدَّثنا حُميدُ بنُ مَسْعَدَةَ الساميُّ[(١)]، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ١/ ٨٠ حدَّثنا الجُرَيْرِيُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقيقٍ[(٢)]، أن رجلًا أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو مُحاصِرٌ[(٣)] وادىَ القُرَى ، فقال : مَن هؤلاءِ الذين تُحاصِرُ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « هؤلاء المَغْضُوبُ عليهم اليَهُودُ »[(٤)].

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن سعيدٍ الجُرَيْرِيِّ ، عن عروةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقيقٍ ، أن رجلًا أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ . فذكَر نحوَه[(٥)].

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أنْبأَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن بُدَيْلٍ العُقَيْلِيِّ ، قال : أخْبَرَنى عبدُ اللَّهِ بنُ شَقيقٍ ، أنه أخْبَرَه مَن سَمِع النبيَّ ﷺ وهو بوادى القُرَى ، وهو على فرسِه وسأَله رجلٌ مِن بنى القَيْنِ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، مَن هؤلاءِ ؟ قال : « المَغْضُوبُ عليهم » . وأشار إلى اليهودِ[(٦)].

= عمرو بن ثابت عن سماك ، عمن سمع عدى بن حاتم . أخرجه الطيالسى (١١٣٥) عن عمرو بن ثابت .

وقال ابن كثير فى تفسيره ١/ ٤٦ : وقد رُوى حديث عدى هذا من طرق ، وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها .

(١) سقط من : ص ، ر ، ت ١ ، وفى م ، ت ٢ ، ت ٣: « الشامى » . وينظر تهذيب الكمال ٧/ ٣٩٥.

(٢) فى ص : « سفيان » . وينظر تهذيب الكمال ١٥/ ٨٩.

(٣) فى ص ، ت ١: « يحاصر » .

(٤) أخرجه أبو عبيد فى الأموال (٧٦٥) من طريق الجريرى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦/١ إلى وكيع وعبد بن حميد . وسيأتى باقى هذا الحديث فى ص ١٩٥ .

(٥) أشار ابن كثير فى تفسيره ٤٦/١ إلى رواية عروة ، وقال : ووقع فى رواية عروة تسمية عبد اللَّه بن عمر ، فاللَّه أعلم .

(٦) تفسير عبد الرزاق - كما فى الدر المنثور ١٦/١ - وعنه أحمد ٥/ ٣٢، ٣٣، ٧٧ (الميمنية) .

وعزاه السيوطى إلى عبد بن حميد والبغوى فى معجم الصحابة وابن المنذر وأبى الشيخ .

وأخرجه البلاذرى فى أنساب الأشراف ١/ ٤٤٥، وأبو يعلى (٧١٧٩) ، والطحاوى ٣/ ٣٠١، والبيهقى ٦/ ٣٢٤، ٣٣٦، ٦٢/٩ من طريقين عن بديل - زاد البيهقى : وخالد الحذاء والزبير بن الخريت - عن عبد اللَّه =

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا خالدُ الواسطىُّ ، عن خالدِ الحَذَّاءِ ، عن [١/٢٢و] عبدِ اللَّهِ بن شَقِيقٍ ، أن رجلًا سأَل النبىَّ ﷺ . فذكَر نحوَه[١] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾. يعنى اليهودَ الذين غضِب اللَّهُ عليهم[٢] .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ : هم اليهودُ[٣] .

= ابن شقيق ، عن رجل من بلقَيْن ، مطولا ومختصرا . وقال ابن كثير فى تفسيره ٤/ ٤ : إسناد صحيح .
وأخرجه ابن زنجويه فى الأموال (١١٣٧) من طريق آخر عن عبد اللَّه بن شقيق مثله .
ورواه إبراهيم بن طهمان عن بديل ، فقال : عن عبد اللَّه بن شقيق ، عن أبى ذر . أخرجه ابن مردويه - كما فى تفسير ابن كثير ١/٤٦ - وقال الحافظ فى الفتح ٨/ ١٥٩ : إسناد حسن .

(١) أخرجه أحمد بن منيع فى مسنده - كما فى المطالب العالية (٢٢٣٦) - عن هشيم ، عن خالد الحذاء ، عن عبد اللَّه بن شقيق : حدثنى رجل من بلقَيْن ، أن رجلا أتى النبى ﷺ . وأخرجه البيهقى فى الشعب (٤٣٢٩) من طريق يحيى بن يحيى ، عن خالد الواسطى ، عن خالد الحذاء ، عن عبد اللَّه بن شقيق ، عن رجل ، عن ابن عم له . وأخرجه الطحاوى ٣/ ٣٠١ من طريق ابن المبارك ، عن خالد الحذاء ، عن عبد اللَّه بن شقيق ، عن رجل من بلقَيْن .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٣١ (٤٢) من طريق أبى كريب به . وسيأتى باقى هذا الأثر فى ص ١٩٦.

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٤٦ عن السدى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٦ إلى المصنف عن ابن مسعود . وسيأتى باقى هذا الأثر فى ص ١٩٦.

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ الرازيُّ ، قال : حدَّثنا مِهْرانُ ، عن سفيانَ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ . قال : هم اليهودُ[1] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ حازمِ الغِفاريُّ ، قال : حدَّثنا عُبيدُ[2] اللَّهِ ، عن أبى جعفرٍ ، عن ربيعٍ : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ . قال : اليهودُ[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ . قال : اليهودُ[4] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ : اليهودُ .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثنى ابنُ زيدٍ ، عن أبيه ، قال : المغضوبُ عليهم اليهودُ[5] .

قال أبو جعفرٍ : واختُلِف فى صفةِ الغضبِ مِن اللَّهِ جل ذكرُه ؛ **فقال بعضُهم** : غضبُ اللَّهِ على مَن غضِب عليه مِن خلقِه إحلالُ عقوبتِه بمَن غضِب عليه ، إما فى دنياه وإما فى آخرتِه ، كما وصَف به نفسَه جل ذكرُه / فى كتابِه فقال : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف : ٥٥] . وكما قال : ﴿ قُلْ

١/ ٨١

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦/١ إلى المصنف وعبد بن حميد . وسيأتى باقى هذا الأثر فى ص ١٩٥ .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ : « عبد » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٦/١ إلى المصنف .

(٤) سيأتى باقى هذا الأثر فى ص ١٩٦.

(٥) فى حاشية ر : « عند الفرعانى : اليهود . ولم تكن عند ابن داود » .

والصواب الفرغانى بالغين المعجمة . وينظر الأنساب ٣٦٧/٤، والسير ١٣٢/١٦.

وينظر الأثر فى تفسير ابن كثير ١/ ٤٦، والدر المنثور ١/ ١٦، وفتح القدير ١/ ٢٥. وما سيأتى فى ص ١٩٦، ١٩٧.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقال بعضُهم: غضَبُ اللَّهِ على مَن غضِب عليه مِن عبادِه ذمٌّ منه لهم ولأفعالِهم، وشَتْمٌ منه لهم بالقولِ.

وقال بعضُهم: الغضبُ منه معنى مفهومٌ، كالذى يُعْرَفُ مِن معانى الغضبِ، غيرَ أنه - وإن كان كذلك مِن جهةِ الإثباتِ - فمخالفٌ معناه منه معنى ما يكونُ مِن غضبِ الآدميِّين الذى[(١)] يُزْعِجُهم ويُحَرِّكُهم ويَشُقُّ عليهم ويُؤْذِيهم؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه لا تَحِلُّ ذاتَه الآفاتُ، ولكنه له صفةٌ، كما العلمُ له صفةٌ، والقدرةُ له صفةٌ، على ما يُعْقَلُ مِن جهةِ الإثباتِ، وإن خالفت معانى ذلك معانىَ علومِ العبادِ التى هى معارفُ القلوبِ، وقُواهم التى تُوجَدُ مع وجودِ الأفعالِ وتُعْدَمُ مع عَدَمِها[(٢)].

القولُ فى تأويلِ قولِه عز وجل: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

قال أبو جعفرٍ: كان بعضُ أهلِ البصرةِ[(٣)] يَزْعُمُ أن ﴿لا﴾ مع ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ أُدْخِلَت تَتْميمًا للكلامِ، والمعنى إلغاؤُها[(٤)]، ويَسْتَشْهِدُ على قِيله [(٥)]فى ذلك ببيتِ[(٥)] العَجَّاجِ[(٦)]:

فى بِئْرِ لَا حُورٍ سَرَى وما شَعَرْ

---

(١) فى ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «الذين».

(٢) وهذا القول هو الصحيح، وهو مذهب أهل السنة والجماعة. وينظر مجموع الفتاوى ٣/ ٣٣، ٦/ ٦٨، ١١٩، ١٢٠.

(٣) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١/ ٢٥ وما بعدها.

(٤) فى مجاز القرآن: «إلقاؤها».

(٥ - ٥) فى ص، ت ٢، ت ٣: «ذلك ببيت»، وفى م: «ذلك بيت».

(٦) ديوانه ص ١٤.

ويَتأوَّلُه بمعنى : فى بئرِ حورٍ سَرى . أى : فى بئرِ هَلَكةٍ . وأن « لا » بمعنى الإلغاءِ والصلةِ[(١)] ، ويَعْتَلُّ أيضًا لذلك بقولِ أبى النَّجْمِ[(٢)] :

فما أَلومُ البِيضَ ألا تَسْخَرا

لمَّا رأَيْن الشَّمَطَ القَفَنْدَرا[(٣)]

وهو يُريدُ : فما ألومُ البيضَ أن تَسْخَرَ . وبقولِ الأحْوصِ[(٤)] :

ويَلْحَيْنَنى[(٥)] فى اللهوِ ألا أُحِبَّه ... وللهوِ داعٍ دائبٌ غيرُ غافِلِ

يريدُ : ويَلْحَيْنَنى فى اللهوِ أن أُحِبَّه . وبقولِه تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ [الأعراف : ١٢] . يُريدُ : أن تَسْجُدَ .

وحُكِى عن قائلِ هذه المقالةِ أنه كان يَتَأَوَّلُ : ﴿ غَيْرِ ﴾ التى مع ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ أنها بمعنى «سِوى» . فكأن معنى الكلامِ كان عندَه : اهدنا الصراطَ المستقيمَ ، صراطَ الذين أنعمتَ عليهم ، الذين هم سوى المغضوبِ عليهم و[(٦)] الضالين .

وكان بعضُ نحويِّى الكوفيِّين[(٧)] يَسْتَنْكِرُ ذلك مِن قولِه ، ويَزْعُمُ أن ﴿ غَيْرِ ﴾ التى مع ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ لو كانت بمعنى « سِوَى » ، لكان خطأً أن يُعْطَفَ عليها بـ « لا » ، إذ كانت « لا » لا يُعْطَفُ بها إلا على جَحْدٍ قد تقَدَّمَها ، كما كان خطأً قولُ القائلِ : عندى « سِوى » أخيك ولا أبيك . لأن « سوى » ليست مِن

---

(١) يقصد بالصلة هنا الحرف الزائد . ينظر مصطلحات النحو الكوفى ص ٣٨ .

(٢) ديوانه (مجموع) ص ١٢١ .

(٣) القفندر : القبيح المنظر . اللسان (قفندر) ، والبيت فيه .

(٤) شعر الأحوص ص ١٧٩ .

(٥) فى ر : « تلحيننى » . ولحاه يلحاه لحيا : لامه وعذله . اللسان (ل ح ا) .

(٦) بعده فى ص ، ت ١ : « لا » .

(٧) فى م : « الكوفة » . ويعنى بذلك الفراء . ينظر معانى القرآن له ١/ ٨.

حروفِ النفيِ والجحودِ . ويقولُ : لمَّا كان ذلك خطأً فى كلامِ العربِ ، وكان القرآنُ بأفصحِ[١] اللغاتِ مِن لغاتِ العربِ ، كان معلومًا أن الذى زعَمه القائلُ أن ﴿ غَيْرِ ﴾ مع ﴿ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ بمعنى : سوى المغضوبِ عليهم - خطأٌ ، إذ كان قد كرَّ عليه الكلامَ بـ « لا » ، وكان يَزْعُمُ أن ﴿ غَيْرِ ﴾ هنالك إنما هى بمعنى الجحدِ ، و[٢]كان صحيحًا فى كلامِ العربِ وفاشيًا ظاهرًا فى مَنْطِقِها توجيهُ « غيرِ » إلى معنى النفيِ ، ومُسْتَعْمَلًا فيهم : أخوك غيرُ مُحْسِنٍ ولا مُجْمِلٍ . يُرادُ بذلك : /أخوك لا مُحْسِنٌ ولا مُجْمِلٌ . ويَسْتَنْكِرُ أن تَأْتِىَ « لا » بمعنى الحذفِ فى الكلامِ مبتدأً ولمَّا يَتَقَدَّمْها جحدٌ . ويقولُ : لو جاز مجيئُها بمعنى الحذفِ مبتدأً قبلَ دلالةٍ تَدُلُّ على ذلك مِن جحدٍ سابقٍ ، لصحَّ قولُ قائلٍ قال : أرَدْتُ ألا أُكْرِمَ أخاك . بمعنى : أردْتُ أن أكرمَ أخاك . وكان يقولُ : ففى شهادةِ أهلِ المعرفةِ بلسانِ العربِ على تخطئةِ قائلِ ذلك دَلالةٌ واضحةٌ على أنَّ « لا » لا تأْتى مُبتدأةً بمعنى الحذفِ ولمَّا يَتَقَدَّمْها جحْدٌ . وكان يَتَأَوَّلُ فى « لا » التى فى بيتِ العجَّاجِ الذى[٣] ذكَرْنا أن البصْرىَّ اسْتَشْهَد به لقولِه[٤] - أنها جحْدٌ صحيحٌ ، وأن معنى البيتِ : سَرَى فى بئرٍ لا تُحِيرُ عليه خيرًا ، ولا يَتَبَيَّنُ له فيها أثرُ عملٍ ، وهو لا يَشْعُرُ بذلك ولا يَدْرِى[٥] به . مِن قولِهم : طحَنَتِ الطاحنةُ فما أحارَت شيئًا . أى : لم يتبيَّنْ لها أثرُ عملٍ . ويقولُ فى سائرِ الأبياتِ الأُخَرِ ، أعْنى مثلَ بيتِ أبى النَّجْمِ :

فما أُلومُ البِيضَ ألا تَسْخَرَا

٨٢/١

---

(١) فى ص : « أفصح » .

(٢) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « إذ » .

(٣) فى ص ، ت ١ : « التى » .

(٤) فى م : « بقوله » .

(٥) فى ص : « يرى » .

إنما جاز [١/٢٢ظ] أن تَكونَ « لا » بمعنى الحذفِ ؛ لأن الجحدَ قد تقدَّمَها فى أولِ الكلامِ ، فكان الكلامُ الآخرُ مُواصِلًا للأولِ ، كما قال الشاعرُ[(١)] :

ما كان يَرْضَى رسولُ اللّهِ فعلَهمُ والطَّيِّبان أبو بكرٍ ولا عمرُ

فجاز ذلك ؛ إذ كان قد تقدَّم الجحدُ فى أولِ الكلامِ .

قال أبو جعفرٍ : وهذا القولُ الآخرُ أولى بالصوابِ مِن الأولِ ، إذ كان غيرَ موجودٍ فى كلامِ العربِ ابتداءُ الكلامِ مِن غيرِ جحدٍ تقدَّمه بـ« لا » التى معناها الحذفُ ، ولا جائزٍ العطفُ بها على « سوى » ، ولا على حرفِ الاستثناءِ . وإنما لـ« غير » فى كلامِ العربِ معانٍ ثلاثةٌ ؛ أحدُها الاستثناءُ ، والآخرُ الجحدُ ، والثالثُ سوى ، فإذا [(٢)] ثبَت خطأُ أن « لا » تكونُ [(٢)] بمعْنى الإلغاءِ مبتدأً ، وفسَد أن يكونَ عطفًا على ﴿ غَيْرِ ﴾ التى مع ﴿ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ ، لو كانت بمعنى « إلا » التى هى استثناءٌ ، ولم يَجُزْ أن يكونَ أيضًا عطفًا عليها لو كانت بمعنى « سوى » ، وكانت « لا » موجودةً عطفًا بالواوِ التى هى عاطفةٌ لها على ما قبلَها - صحّ وثبَت ألا وجهَ لـ﴿ غَيْرِ ﴾ التى مع ﴿ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ يَجوزُ توجيهُها إليه على صحةٍ ، إلا بمعنى الجحدِ والنفيِ ، وألا وجهَ لقولِه : ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ إلا العطفُ على ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ .

فتأويلُ الكلامِ إذن - إذ كان صحيحًا ما قلْنا بالذى عليه استَشْهَدْنا : اهدنا الصراطَ المستقيمَ ، صراطَ الذين أنعمْت عليهم ، لا[(٣)] المغضوبِ عليهم ولا

---

(١) ديوان جرير ١/ ١٥٩.

(٢ - ٢) فى م : « بطل حظ لا أن يكون » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « بطل حظ لا أن تكون » . والمثبت من : ص . وفيها أيضا : « حظ » . وينظر تعليق الشيخ شاكر .

(٣) فى ص ، ت ٣: « غير » .

الضالين .

فإن قال لنا قائلٌ : ومَن هؤلاء الضالُّون الذين أمَرَنا اللَّهُ بالاستعاذةِ باللَّهِ أن يَسْلُكَ بنا سبيلَهم و[1] نَضِلَّ ضلالتَهم ؟

قيل : هم الذين وصَفَهم اللَّهُ فى تنزيلِه ، فقال : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٧٧] .

فإن قال : وما برهانُك على أنهم أُولاءِ ؟

قيل : حدَّثنا أحمدُ بنُ الوليدِ الرَّمْليُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنةَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن الشعبىِّ ، عن عَدِىِّ بنِ حاتمٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قال : « النَّصارَى »[2] .

١/٨٣ / حدَّثنا محمدُ[3] بنُ المثنَّى ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ، عن سِماكٍ ، قال : سمِعْتُ عَبَّادَ بنَ حُبَيْشٍ يُحَدِّثُ عن عَدِىِّ بنِ حاتمٍ ، قال : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ الضَّالِّينَ النَّصارَى »[2] .

حدَّثنا علىُّ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا مسلمُ بنُ[4] عبدِ الرحمنِ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ مصعبٍ ، عن حمادِ بنِ سَلَمةَ ، عن سِماكِ بنِ حربٍ ، عن مُرِّىِّ بنِ قَطَرِىٍّ ، عن عدىِّ بنِ حاتمٍ ، قال : سأَلْتُ النبىَّ ﷺ عن قولِ اللَّهِ : ﴿ وَلَا

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أو » .

(٢) تقدم أوله فى ص ١٨٦ .

(٣) فى ر : « أحمد » .

(٤) فى م : « و » .

﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال : « النَّصارَى هم الضَّالُّونَ »[(١)] .

حدَّثنا حُميدُ بنُ مَسْعَدةَ السامىُّ[(٢)] ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : حدَّثنا الجُرَيْرِىُّ[(٣)] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقيقٍ[(٤)] ، أن رجلًا أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو مُحاصِرٌ وادىَ القُرَى ، قال : قلتُ : مَن هؤلاء ؟ قال : « هؤلاء الضَّالُّونَ النَّصارَى »[(٥)] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن سعيدٍ الجُرَيْرِىِّ[(٣)] ، عن عروةَ - يعنى ابنَ عبدِ اللَّهِ[(٦)] - عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقيقٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ بنحوِه[(٥)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن بُدَيْلٍ العُقَيْلىِّ ، قال : أخْبَرَنى عبدُ اللَّهِ بنُ شَقيقٍ ، أنه أخْبَرَه مَن سمِع النبىَّ ﷺ وهو بوادى القُرَى ، وهو على فرسِه ، وسأله رجلٌ مِن بنى القَيْنِ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، مَن هؤلاء ؟ قال : « هؤلاء الضَّالُّونَ » . يَعْنى النَّصارَى[(٥)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا خالدٌ الواسطىُّ ، عن خالدٍ الحذَّاءِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقيقٍ ، أن رجلًا سأل النبىَّ ﷺ وهو مُحاصِرٌ وادىَ القُرَى ، وهو على فرسٍ : مَن هؤلاء ؟ قال : « الضَّالُّونَ » . يَعْنى النَّصارَى[(٧)] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : حدَّثنا مِهْرانُ ، عن سفيانَ ، عن مُجاهدٍ : ﴿وَلَا

---

(١) تقدم أوله فى ص ١٨٦ .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الشامى » .

(٣) فى ص : « الحريرى » .

(٤) فى ص ، ت ١ : « سفيان » .

(٥) تقدم أوله فى ص ١٨٧ .

(٦) بعده فى م ، ت٢ ، ت ٣ : « بن قيس » .

(٧) تقدم أوله فى ص ١٨٨ .

﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال : النصارى[(١)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : حدَّثنا أبو رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال : وغيرِ طريقِ النصارى الذين أضلَّهم اللَّهُ بفِرْيتِهم عليه . قال : يقولُ : فألْهِمْنا دينَك الحقَّ ، وهو لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له ، حتى لا تَغْضَبَ علينا كما غضِبْتَ على اليهودِ ، ولا تُضِلَّنا كما أضْلَلْتَ النصارى ، فتُعَذِّبَنا بما تُعَذِّبُهم به . يقولُ : امنَعْنا مِن ذلك برِفْقِك[(٢)] ورحمتِك وقدرتِك[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ[(٤)] ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ : النصارى[(١)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ الهَمْدانيُّ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أَسْباطُ بنُ نصرٍ ، عن إسماعيلَ السُّدِّيِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ : هم النصارى[(٣)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ حازمٍ الغِفاريُّ ، قال : أخْبَرَنا عُبيدُ[(٥)] اللَّهِ بنُ موسى ، عن أبى جعفرٍ ، عن ربيعٍ : ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ : النصارى[(١)] .

١/٨٤ / **حدَّثنى** يونُسُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال

---

(١) تقدم أوله فى ص ١٨٩ .

(٢) فى ر : « برفدك » .

(٣) تقدم أوله فى ص ١٨٨ .

(٤) فى ص : « حماد » .

(٥) فى ص ، ت ١ : « عبد » .

عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ : ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ : النصارى[(١)] .

حدَّثني يونُسُ قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ ، عن أبيه ، قال : ﴿ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ : النصارى[(١)] .

قال أبو جعفرٍ : (٢)فكلُّ جائرٍ(٢) عن قَصْدِ السبيلِ وسالكٍ غيرَ المنهجِ القويمِ ، فضالٌّ عندَ العربِ ؛ لإضْلالِه وجهَ الطريقِ ، فلذلك [١/٢٣و] سمَّى اللَّهُ جلَّ ذكرُه النصارى ضُلَّالًا ، لخطئِهم فى الحقِّ مَنْهجَ السبيلِ ، وأخْذِهم مِن الدِّينِ فى غيرِ الطريقِ المستقيمِ .

فإن قال قائلٌ : أوَ ليس ذلك أيضًا مِن صفةِ اليهودِ ؟

قيل : بلى .

فإن قال : فكيف خَصَّ النصارى بهذه الصفةِ ، وخصَّ اليهودَ بما وصَفَهم به مِن أنهم مغضوبٌ عليهم ؟

قيل : إن[(٣)] كِلَا الفريقين ضُلَّالٌ مغضوبٌ عليهم ، غيرَ أن اللَّهَ جل ثناؤُه وَسَم كلَّ فريقٍ منهم مِن صِفَتِه لعبادِه بما يَعْرِفونه به إذا ذكَره لهم أو أخْبَرَهم عنه ، ولم يُسَمِّ واحدًا مِن الفريقَيْن إلا بما هو له صفةٌ على حقيقتِه ، وإن كان له من صفاتِ الذمِّ زياداتٌ عليه .

(٤)وقد ظنَّ(٤) بعضُ أهلِ الغَباءِ مِن القدريَّةِ أن فى وصفِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه النصارَى بالضَّلالِ بقولِه : ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ وإضافتِه الضَّلالَ إليهم دون إضافةِ إضلالِهم

---

(١) تقدم أوله فى ص ١٨٩.

(٢ - ٢) فى م ، ت٢ ، ت٣: « وكل حائد » .

(٣) سقط من : ص .

(٤ - ٤) فى ص : « فيظن » .

إلى نفسِه ، وتركِه وصفَهم بأنهم المُضَلَّلون[(١)] ، كالذى وصَف به اليهودَ أنهم[(٢)] المغضوبُ عليهم - دلالةً على صحةِ ما قاله إخوانُه مِن جَهَلةِ القَدَريةِ ، جهلًا منه بسَعَةِ كلامِ العربِ وتصاريفِ وجُوهِه ، ولو كان الأمرُ على ما ظَنَّه الغبيُّ الذى وصَفْنا شأنَه لَوجَب أن يكونَ شأنُ[(٣)] كلِّ موصوفٍ بصفةٍ أو مضافٍ إليه فعلٌ ، لا يجوزُ أن يكونَ فيه سببٌ لغيرِه ، وأن يكونَ كلُّ ما كان [(٤)]فيه مِن ذلك لغيرِه[(٤)] سببٌ ، فالحقُّ فيه أن يكونَ مُضافًا إلى مُسَبِّبِه ، ولو وَجَب ذلك لوجَب أن يكونَ خطأً قولُ القائلِ : تحرَّكَتِ الشجرةُ . إذا حرَّكَتها الرياحُ . واضْطَرَبَتِ الأرضُ . إذا حرَّكَتْها الزَّلْزَلَةُ ، وما أشبهَ ذلك مِن الكلامِ الذى يَطولُ بإحصائِه الكتابُ .

وفى قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾ [يونس : ٢٢]. [(٥)]وإضافتِه[(٥)] الجَرْىَ إلى الفُلْكِ ، وإن كان جَرْيُها بإجراءِ غيرِها إياها - ما يَدُلُّ على خطأِ التأويلِ الذى تأوَّله مَن وصَفْنا قولَه فى قولِه : ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ وادعائِه أن فى نسبةِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه الضَّلالةَ إلى مَن نسَبها إليه مِن النصارى ، تَصْحيحًا لما ادَّعى المُنْكِرون أن[(٦)] للَّهِ فى أفعالِ خلقِه سببًا مِن أجلِه[(٧)] وُجِدَت أفعالُهم ، مع إبانةِ اللَّهِ جل ثناؤُه نصًّا فى آيٍ كثيرةٍ مِن تنزيلِه أنه المُضِلُّ الهادى ؛ فمِن ذلك قولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ

---

(١) فى ص : « الضالون » ، وفى ت١ : « المضلون » .

(٢) فى ص ، ت ١: « وأنهم » .

(٣) سقط من : ر ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤ - ٤) فى ص : « منه من ذلك بغيره » ، وفى ت ١: « منه من ذلك لغيره » .

(٥ - ٥) فى م ، ت ٢، ت ٣: « بإضافته » .

(٦) بعده فى ص ، م ، ت ٢، ت ٣: « يكون » .

(٧) فى ر ، ت ١، ت ٣: « أجلها » .

بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٣] . فأنبأ جل ثناؤه أنه المُضِلُّ الهادى دونَ غيرِه .

ولكنَّ القرآنَ نزَل بلسانِ العربِ على ما قد قدَّمْنا البيانَ عنه فى أولِ الكتابِ ، ومِن شأنِ العربِ إضافةُ الفعلِ إلى مَن وُجِد منه وإن كان مسبِّبُه غيرَ الذى وُجِد منه ، أحيانًا ، وأحيانًا إلى مُسَبِّبِه وإن كان الذى وُجِد منه الفعلُ غيرَه ، فكيف بالفعلِ الذى يَكْتَسِبُه العبدُ كَسْبًا ، ويُوجِدُه اللَّهُ جل ثناؤُه عَيْنًا (١) ونشأةً (١) /بل ذلك أحْرَى أن يُضافَ إلى مُكْتَسِبِه كَسْبًا له بالقوةِ منه عليه والاختيارِ منه له ، وإلى اللَّهِ جل ثناؤُه بإيجادِ عينِه (٢) وإنشائِها تدبيرًا . ٨٥/١

مسألةٌ يَسْأَلُ عنها أهلُ الإلحادِ الطاعِنون فى القرآنِ

إن سأَلَنا منهم سائلٌ ، فقال : إنك قد قدَّمْتَ (٣) فى أولِ كتابِك هذا فى وصْفِ البيانِ ، بأن أعلاه درجةً ، وأشرفَه مَرْتَبةً ، أبلغُه فى الإبانةِ عن حاجةِ المُبَيِّنِ به عن نفسِه ، وأبينُه عن مُرادِ قائلِه ، وأقربُه مِن فَهمِ سامعِه ، وقلتَ مع ذلك : إن أولى البيانِ بأن يكونَ كذلك كلامُ اللَّهِ جل ثناؤُه لفَضْلِه (٤) على سائرِ الكلامِ (٥) ، بارتفاعِ درجتِه على أعلى درجاتِ البيانِ ، فما الوجهُ - إذ كان الأمرُ على ما وصَفْتَ - فى إطالةِ الكلامِ بمثلِ سُورةِ أمِّ القرآنِ بسبعِ آياتٍ ، وقد حوَت معانىَ جميعِها منها آيتان ،

(١ - ١) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « منشأة » .

(٢) فى ص ، ر : « عينها » .

(٣) تقدم فى ص ٨، ٩.

(٤) فى م ، ت ٢، ت ٣: « بفضله » .

(٥) بعده فى م ، ت ٣: « و » .

وذلك قولُه : ﴿ مٰلكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . إذ كان لا شكَّ أن مَن عرَف مَلِكَ يومِ الدينِ ، فقد عرَفه بأسمائِه الحُسْنَى ، وصفاتِه المُثْلَى ، وأن مَن كان للَّهِ مُطيعًا ، فلا شكَّ أنه لسبيلِ مَن أنْعَم اللَّهُ عليه فى دينِه مُتَّبعٌ ، وعن سبيلِ مَن غضِب عليه وضلَّ مُنْعَدِلٌ ، فما فى زيادةِ الآياتِ الخمسِ الباقيةِ مِن الحكمةِ التى لم تَحْوِها الآيتان اللتان ذكَرْنا ؟

قيل له : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه جمَع لنبيِّنا محمدٍ ﷺ ولأمتِه بما أنْزَل إليه مِن كتابِه معانىَ لم يَجْمَعْهن بكتابٍ[(١)] أنْزَلَه إلى نبىٍّ قبلَه ، ولا لأُمةٍ مِن الأممِ قبلَهم ، وذلك أن كلَّ كتابٍ أنْزَله جلَّ ذكرُه ، على نبىٍّ مِن أنبيائِه قبلَه ، فإنما أنْزَله ببعضِ المعانى التى يَحْوِى جميعَها كتابُه الذى أنْزَله إلى نبيِّنا محمدٍ ﷺ ، كالتوراةِ التى هى مَواعِظُ وتَفصيلٌ ، والزَّبُورِ الذى هو تَحْميدٌ وتَمْجيدٌ ، والإنجيلِ الذى هو مَواعِظُ وتَذْكيرٌ ، لا مُعجزةَ فى واحدٍ منها تَشْهَدُ لمَن أُنْزِل إليه بالتصديقِ ، والكتابُ الذى أُنْزِل على نبيِّنا محمدٍ ﷺ يَحْوِى معانىَ ذلك كلِّه ، ويَزِيدُ عليه كثيرًا مِن المعانى التى سائرُ الكتبِ غيرِه منها خالٍ ، وقد قدَّمْنا ذكرَها فيما مضَى مِن هذا الكتابِ[(٢)] .

ومِن أشرفِ تلك المعانى التى فضَل بها كتابُنا سائرَ الكتبِ قبلَه نظْمُه العجيبُ ، ورصفُه[(٣)] الغريبُ ، وتأليفُه البديعُ ، الذى عجَزَتْ عن نظمِ مثلِ أصغرِ سورةٍ منه الخُطَباءُ ، وكلَّتْ عن رَصْفِ[(٤)] شكلِ بعضِه البُلَغاءُ ، وتحيَّرَت فى تأليفِه

---

(١) فى ص : « كتاب » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٦٥، ٦٦.

(٣) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٣: « وصفه » . والرصْف : ضم الشىء بعضه إلى بعض . اللسان (ر ص ف) .

(٤) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « وصف » .

الشعراءُ ، وتبلَّدَت - قصورًا عن أن تأْتِىَ بمثلِه - لديه أفهامُ الفُهماءِ ، فلم يَجِدوا له [٢٣/١ظ] إلا التسليمَ والإقرارَ بأنه مِن عندِ الواحدِ القَهَّارِ ، مع ما يَحْوِى مع ذلك مِن المعانى التى هى ترغيبٌ وترهيبٌ ، وأمرٌ وزجرٌ ، وقَصَصٌ وجَدَلٌ ومَثَلٌ ، وما أشبهَ ذلك مِن المعانى التى لم تَجْتَمِعْ[1] فى كتابٍ أُنْزِل إلى الأرضِ مِن السماءِ . فمهما يَكُنْ فيه مِن إطالةٍ على نحوِ ما فى أمِّ القرآنِ ، فلِما وصَفْتُ قبلُ مِن أن اللَّهَ جلَّ ذكرُه أراد أن يَجْمَعَ برصفِه العجيبِ ، ونظْمِه الغريبِ ، المُنْعَدِلِ عن أوزانِ الأشعارِ ، وسَجْعِ الكُهَّانِ ، وخُطَبِ الخطباءِ ، ورسائلِ البُلغاءِ ، العاجزِ عن رصْفِ مثلِه جميعُ الأنامِ ، وعن نظمِ نظيرِه كلُّ العبادِ - الدلالةَ على نبوةِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ .

وبما فيه مِن تَحْميدٍ وتَمْجيدٍ وثناءٍ عليه ، تنبيهَ العبادِ على عظمتِه وسلطانِه وقدرتِه وعِظَمِ مَملكتِه ، ليَذْكُروه بآلائِه ، ويَحْمَدوه على نَعْمائِه ، فيَسْتَحِقُّوا به منه المزيدَ ، ويَسْتَوْجِبوا / عليه الثوابَ الجزيلَ . ٨٦/١

وبما فيه مِن نَعْتِ مَن أنْعَم عليه بمعرفتِه وتفضَّل عليه بتوفيقِه لطاعتِه ، تعريفَ عبادِه أن كلَّ ما بهم مِن نعمةٍ فى دينِهم ودُنْياهم فمنه ، ليَصْرِفوا رغبتَهم إليه ، ويَبْتَغوا حاجاتِهم مِن عندِه دونَ ما سواه مِن الآلهةِ والأندادِ .

وبما فيه مِن ذكرِه ما أحَلَّ بمَن عَصَاه مِن مَثُلاتِه ، وأنْزَل بمَن خالَف أمرَه مِن عقوباتِه ، ترهيبَ عبادِه عن رُكوبِ مَعاصِيه ، والتعرُّضِ لما لا قِبَلَ لهم به مِن سَخَطِه ، فيَسْلُكَ بهم فى النَّكالِ والنَّقِماتِ سبيلَ مَن ركِب ذلك مِن الهُلَّاكِ .

فذلك وجهُ إطالةِ البيانِ فى سورةِ أمِّ القرآنِ ، وفيما كان نظيرًا لها مِن سائرِ سُورِ الفرقانِ ، وذلك هو الحكمةُ البالغةُ والحجةُ الكاملةُ .

---

(١) فى ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تجمع » .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا المحُارِبيُّ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى العَلاءُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ يعقوبَ ، عن أبى السائبِ مولى زُهْرةَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا قال العَبْدُ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . قال اللَّهُ : حَمِدَنى عَبْدِى . وإذا قال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . قال : أَثْنَى عَلَىَّ عَبْدِى . وإذا قال : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ . قال : مَجَّدَنى عبدِى ، فهذا لى . وإذا قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . إلى أن يَخْتِمَ السُّورَةَ . قال : فذاك له »[(١)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عَبْدةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن العَلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى السائبِ ، عن أبى هريرةَ ، قال : إذا قال العبدُ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . ثم ذكَر نحوَه ، ولم يَرْفَعْه .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا أبو أسامةَ ، قال : حدَّثنا الوليدُ بنُ كثيرٍ ، قال : حدَّثنى العَلاءُ بنُ عبدِ الرحمنِ مولى الحُرَقةِ ، عن أبى السائبِ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ مثلَه[(٢)] .

حدَّثنى صالحُ بنُ مِسْمارٍ المَرْوَزِىُّ ، قال : حدَّثنا زيدُ بنُ الحُبَابِ ، قال : حدَّثنا عَنْبَسةُ بنُ سعيدٍ ، عن مُطَرِّفِ بنِ طَرِيفٍ ، عن سعدِ بنِ إسحاقَ بنِ كعبِ بنِ عُجْرةَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ : قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنى وَبَيْنَ عَبْدِى نِصْفَيْنِ[(٣)] ، وله ما سَأَلَ ، فإذا قال العَبْدُ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

---

(١) أخرجه أحمد ١٣/ ٢٣٣ (٧٨٣٨) ، والبخارى فى القراءة خلف الإمام (٧٣) ، والبيهقى فى القراءة خلف الإمام (٥٧ ، ٥٨) من طرق عن ابن إسحاق به . وأخرجه مسلم (٣٩٥/ ٣٩ ، ٤٠) ، والنحاس فى القطع والائتناف ص ١٠١ ، ١٠٢ ، وغيرهما من طريق العلاء به . وينظر مسند الطيالسى (٢٦٨٤) .

(٢) أخرجه البيهقى ٢/ ١٦٦ ، وفى القراءة خلف الإمام (٥٤) من طريق أبى أسامة به .

(٣) سقط من : ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ . قال[١] : حَمِدَنى عَبْدِى . وإذا قال : ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيـمِ﴾ . قال : أَثْنَى عَلَىَّ عَبْدِى . وإذا قال : ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ . قال : مَجَّدَنى عَبْدِى . قال : هَذَا لِى وله ما بَقِى »[٢] .

آخرُ تفسيرِ سورةِ فاتحةِ الكتابِ

(١) بعده فى م ، ت ٢، ت ٣: « اللَّه » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٨ (١٩) ، والسهمى فى تاريخ جرجان ص ١٤٤ من طريق زيد بن الحباب به ، بنحوه دون آخره . وقال ابن كثير فى تفسيره ١/ ٢٥: وهذا غريب من هذا الوجه .

القولُ فى تفسيرِ السورةِ التى يُذكَرُ فيها البقرةُ

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اخْتَلَفَت تَراجِمةُ القرآنِ فى تأويلِ قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ الٓمٓ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : هى اسمٌ مِن أسماءِ القرآنِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

٨٧/١ / حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ الٓمٓ ﴾ . قال : اسمٌ مِن أسماءِ القرآنِ[١] .

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ الآمُلِيُّ ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيْفةَ موسى بنُ مسعودٍ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : ﴿ الٓمٓ ﴾ اسمٌ مِن أسماءِ القرآنِ[٢] .

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : ﴿ الٓمٓ ﴾ اسمٌ مِن أسماءِ القرآنِ .

وقال بعضُهم : هى فَواتحُ يَفْتَحُ اللَّهُ بها القرآنَ .

---

(١) تفسير عبد الرزاق - كما فى الدر المنثور ١/ ٢٢- ومن طريقه النحاس فى القطع والائتناف ص ١١١، ومعانى القرآن ٧٥/١. وعزاه السيوطى إلى عبد بن حميد وابن أبى حاتم . وهو عند ابن أبى حاتم ٣٣/١ معلقا عقب الأثر (٥٠) .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٣/١ (٥٠) ، والنحاس فى معانى القرآن ٧٥/١ من طريق أبى حذيفة به.

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى هارونُ بنُ إدريسَ الأَصَمُّ الكوفيُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ محمدٍ المُحاربيُّ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : ﴿ الٓمٓ ﴾ فَواتِحُ يَفْتَحُ اللَّهُ بها القرآنَ[1] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ حازمٍ الغِفاريُّ ، قال : حدَّثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : ﴿ الٓمٓ ﴾ فَواتِحُ[2] .

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، عن يحيى بنِ آدمَ ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : ﴿ الٓمٓ ﴾ و ﴿ حمٓ ﴾ و ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ و ﴿ صٓ ﴾ فواتحُ افْتَتَح اللَّهُ بها[3] .

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ[4] ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَ حديثِ هارونَ بنِ إدريسَ[5] .

وقال بعضُهم : هى اسمٌ للسورةِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٣٧/٥ (٨٢٠٤) من طريق ابن جريج به مقتصرًا على قوله : ﴿ المص ﴾ . قال ابن جريج : قلت : ألم تكن تقول : هى أسماء ؟ قال : لا .

(٢) أخرجه النحاس فى معانى القرآن ٧٥/١ من طريق سفيان عن خصيف أو غيره ، عن مجاهد .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٥٦/١ عن الثورى به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٣/١ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ . وينظر تفسير ابن كثير تحقيق أبى إسحاق الحوينى ٢/ ٥٢.

(٤) فى ص ، ت ١ : « الحسين » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٣/١ (٥١) من طريق حجاج به .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يونُسُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : أنْبَأنا عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ ، قال : سألْتُ عبدَ الرحمنِ بنَ زيدِ بنِ أسْلَمَ عن قولِ اللَّهِ : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ ، و ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ﴾ ، و ﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ﴾ . فقال : قال أبى : إنما هى أسماءُ السُّوَرِ[1] .

وقال بعضُهم : هو اسمُ اللَّهِ الأعظمُ .

ذكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِىٍّ ، قال : [١/٢٤و] حدَّثنا شعبةُ ، قال : سألْتُ السُّدِّىَّ عن ﴿ حمٓ ﴾ و ﴿ طسٓمٓ ﴾ و ﴿ الٓمٓ ﴾ . فقال : قال ابنُ عباسٍ : هى اسمُ اللَّهِ الأعظمُ[2] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : حدَّثنى أبو النُّعْمانِ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ، عن إسماعيلَ السُّدِّىِّ ، عن مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ . فذكَر نحوَه[3] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، عن عُبَيدِ[4] اللَّهِ بنِ موسى ، عن إسماعيلَ ، عن الشعبىِّ ، قال : فَواتحُ السُّوَرِ مِن أسماءِ اللَّهِ[5] .

وقال بعضُهم : هو قَسَمٌ أقْسَمَ اللَّهُ به ، وهو مِن أسمائِه .

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٣٣ عقب الأثر (٥٠) معلقًا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٣٢ (٤٤) من طريق يحيى بن عباد ، عن شعبة ، عن السدى ، قال: بلغنى عن ابن عباس .

(٣) أخرجه الحاكم ٢/٢٦٠ من طريق السدى به . وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٤) فى ص ، ت ٢: « عبد » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٣٢ (٤٧) من طريق إسماعيل بن سالم ، عن الشعبى بلفظ : هى =

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يحيى بنُ عثمانَ بنِ صالحٍ السَّهْميُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثني مُعاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : هو قَسَمٌ (١)أقْسَمه اللَّهُ(١) ، وهو مِن أسماءِ اللَّهِ(٢) .

١/٨٨ / **وحدثني** يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، قال : حدَّثنا خالدٌ الحَذَّاءُ ، عن عكرمةَ ، قال : ﴿ الٓمٓ ﴾ قسَمٌ(٣) .

وقال بعضُهم : هو حروفٌ مُقَطَّعةٌ مِن أسماءٍ وأفعالٍ ، كلُّ حرفٍ مِن ذلك لمعنًى غيرِ معنى الحرفِ الآخرِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا وَكيعٌ ، **وحدَّثنا** سفيانُ بنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا (٤)أبى ، عن شَريكٍ(٤) ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن أبى الضُّحَى ، عن ابنِ عباسٍ :

= اسم من أسماء اللَّه مقطعة بالهجاء ، فإذا وصلتها كانت اسما من أسماء اللَّه .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٢/١ إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر ، مطولا .

ورُوى عن الشعبى أنه قال : سر هذا القرآن فواتح السور . كما سيأتى .

وأخرج البيهقى فى الأسماء والصفات (١٦٩) من طريق محمد بن سليمان ، عن عبيد الله بن موسى ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن السدى : فواتح السور من أسماء الله . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٢/١ إلى أبى الشيخ والبيهقى عن السدى .

(١ - ١) فى م : « أقسم اللَّه به » .

(٢) أخرجه النحاس فى معانى القرآن ٧٤/١، وابن مردويه - كما فى تخريج أحاديث الكشاف ١/ ٣٤، والبيهقى فى الأسماء والصفات (١٦٣) من طريق عبد اللَّه بن صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٢، ٦٧/٣ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٣/١ (٥٢) من طريق ابن علية به .

(٤ - ٤) فى م : « ابن أبى شريك » .

﴿ الٓمٓ ﴾. قال : أنا اللَّهُ أعلمُ[(١)] .

وحُدِّثْتُ عن أبي عُبيدٍ ، قال : حدَّثنا أبو اليَقْظانِ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، قال : قوله : ﴿ الٓمٓ ﴾ . قال : أنا اللَّهُ أعلمُ[(٢)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ الهَمْدانيُّ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ القَنَّادُ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ بنُ نصرٍ ، عن إسماعيلَ السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره **عن** أبي مالكٍ ، **وعن** أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ الٓمٓ ﴾ قال : أما ﴿ الٓمٓ ﴾ فهو حروفٌ[(٣)] اشْتُقَّ مِن حُروفِ هِجاءِ أسماءِ اللَّهِ[(٤)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ مَعْمَرٍ ، قال : حدَّثنا عَيّاشُ[(٥)] بنُ زيادٍ الباهليُّ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ، عن أبي بشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ الٓمٓ ﴾ ، و﴿ حمٓ ﴾ ، و﴿ نٓ ﴾ قال : اسمٌ مُقَطَّعٌ[(٦)] .

---

(١) أخرجه وكيع - كما في الدر المنثور ٢٢/١ - ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢/١ (٤٣) .

وأخرجه النحاس في القطع والائتناف ص ١١١، وفي معاني القرآن ٧٣/١، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٦٧) من طريق شريك به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٢٢، ٦٧/٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٢) ذكره النحاس في معاني القرآن ٧٣/١ عن أبي اليقظان به . وينظر تفسير البغوي ٥٨/١. وأبو اليقظان - هو عمار بن محمد - صدوق يخطئ .

(٣) في م ، والأسماء والصفات : « حرف » .

(٤) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١٦٨) من طريق عمرو بن حماد به . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢/١ (٤٥) من طريق عمرو به ، عن السدى من قوله . وسقط منه ذكر أسباط .

(٥) في ص ، م : « عباس » . والمثبت موافق لما في تفسير ابن أبي حاتم .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢/١ (٤٨) من طريق محمد بن معمر به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٢/١ إلى ابن مردويه . وذكره البغوي في تفسيره ٥٩/١ عن سعيد قوله .

وقال بعضُهم : هى حروفُ هِجاءٍ موضوعٍ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حُدِّثْتُ عن منصورِ بنِ أبى نُوَيْرةَ ، قال : حدَّثنا أبو سعيدٍ المُؤَدِّبُ ، عن خُصَيفٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : فَواتحُ السورِ كلُّها : ﴿ قٓ ﴾ و ﴿ صٓ ﴾ و ﴿ حمٓ ﴾ و ﴿ طسٓمٓ ﴾ و ﴿ الٓرٓ ﴾ وغيرُ ذلك هِجاءٌ موضوعٌ[(١)] .

وقال بعضُهم : هى حروفٌ يَشْتَمِلُ كلُّ حرفٍ منها على معانٍ شتَّى مختلفةٍ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى جعفرٍ الرازىِّ ، قال : حدَّثنى أبى ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ الٓمٓ ﴾. قال : هذه الأحرفُ مِن التسعةِ والعشرين حرفًا ، دارَت فيها الألسُنُ كلُّها ، ليس منها حرفٌ إلا وهو مِفتاحُ اسمٍ مِن أسمائِه ، وليس منها حرفٌ إلا وهو فى آلائِه وبلائِه ، وليس منها حرفٌ إلا وهو فى[(٢)] مدةِ قومٍ وآجالِهم . وقال عيسى ابنُ مريمَ ، وعجِب[(٣)] : يَنْطِقون فى أسمائِه ، ويَعِيشون فى رزقِه ، فكيف يَكْفُرون به[(٤)] ؟ قال : الألفُ مِفتاحُ اسمِه اللَّهِ ، واللامُ مِفتاحُ اسمِه لطيفٍ ، والميمُ مِفْتاحُ اسمِه مَجيدٍ ؛ الألفُ آلاءُ اللَّهِ ، واللامُ لُطْفُه ، والميمُ مَجْدُه ؛ الألِفُ سَنةٌ ، واللامُ ثلاثون سنةً ، والميمُ أربعون سنةً[(٥)] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٣/١ إلى ابن المنذر .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى ص ، م : « عجيب » .

(٤) زيادة من : ر .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٣/١، ٥٨٤/٢ عقب الأثر (٣١١٨/٣٣) من طريق ابن أبى جعفر به .=

حدثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا حَكَّامٌ ، عن أبي جعفرٍ ، عن الربيعِ بنحوِه .

وقال بعضُهم : هي حروفٌ مِن حسابِ الجُمَّلِ[1] . كرِهْنا ذكرَ الذى حُكِى ذلك عنه ، إذ كان الذى رواه ممَّن لا يُعْتَمَدُ على روايتِه ونقلِه ، وقد مَضَتِ الروايةُ بنظيرِ ذلك مِن القولِ عن الربيعِ بنِ أنسٍ .

وقال بعضُهم : لكلِّ كتابٍ سرٌّ ، وسرُّ القرآنِ فَواتحُه[2] .

وأما أهلُ العربيةِ فإنهم اختَلَفوا فى معنى ذلك ؛ فقال بعضُهم : هى حُروفٌ مِن حروفِ المُعْجَمِ ، اسْتُغْنِى/ بذكْرِ ما ذُكِر منها فى أوائلِ السورِ عن ذكرِ بَواقِيها[3] التى هى تَتِمَّةُ الثمانيةِ والعشرين حرفًا ، كما اسْتَغْنَى المُخبِرُ عمَّن أخْبَرَ عنه أنه فى حروفِ المعجمِ الثمانيةِ والعشرين بذكرِ « أ ب ت ث » عن ذكرِ بَواقى حروفِها التى هى تَتِمَّةُ الثمانيةِ والعشرين ، قال : ولذلك رُفِع ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ لأن معنى الكلامِ : ٨٩/١

= وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٢/١ إلى عبد بن حميد عن الربيع مقتصرا على قوله : ألف مفتاح ... مجيد . وعزاه السيوطى ٢٣/١ إلى المصنف ، وابن أبى حاتم عن أبى العالية . وهو عند ابن أبى حاتم ٣٣/١، ٥٨٤/٢ (٣٣، ٣١١٨) من طريق أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية . ولم يذكر فى الدر المنثور قول عيسى عليه السلام . وينظر تفسير ابن كثير ٥٧/١ .

(١) حساب الجمَّل : ضرب من الحساب يجعل فيه لكل حرف من الحروف الأبجدية عدد من الواحد إلى الألف على ترتيب خاص . الوسيط (ج م ل) .

(٢) أخرج ابن المنذر وأبو الشيخ - كما فى الدر المنثور ٢٣/١ - عن داود بن أبى هند قال : كنت أسأل الشعبى عن فواتح السور ، قال : يا داود ، إن لكل كتاب سرا ، وإن سر هذا القرآن فواتح السور ، فدعها وسل عما بدا لك .

(٣) بعده فى ص : « منها » .

الألفُ واللامُ والميمُ مِن الحروفِ المُقَطَّعةِ ، ذلك الكتابُ الذى أنْزَلْتُه إليك مجموعًا لا ريبَ فيه .

فإن قال قائلٌ : فإن « أ ب ت ث » قد صارتْ كالاسمِ فى حروفِ الهِجاءِ ، كما صارتِ « الحمدُ » اسمًا لفاتحةِ الكتابِ ؟

قيل له : لمّا كان جائزًا أن يقولَ القائلُ : ابنى فى « ط ظ » . وكان معلومًا بقِيلِه ذلك لو قاله أنه يُرِيدُ الخبرَ عن ابنه أنه فى الحروفِ المُقَطَّعةِ ، عُلِم بذلك أن « أ ب ت ث » ليس لها باسمٍ ، وإن كان ذلك آثَرَ[1] فى الذكرِ مِن سائرِها .

قال : وإنما خُولِف بينَ ذكْرِ حروفِ المُعْجَمِ فى فَواتِحِ السورِ ، فذُكِرَت فى أوائلِها مختلفةً ، وذِكْرِها إذا ذُكِرَت بأوائلِها التى هى « أ ب ت ث » مُؤْتَلِفةً ، ليَفْصِلَ بينَ الخبرِ عنها إذا أُرِيد ، بذكرِ ما ذُكِر منها مُخْتلِفًا ، الدلالةُ على الكلامِ المتصلِ ، وإذا أُرِيد بذكرِ ما ذُكِر منها مُؤْتَلِفًا الدلالةُ على الحروفِ المُقَطَّعةِ بأعيانِها .

واسْتَشْهَد لإجازةِ قولِ القائلِ : ابنى فى « ط ظ » . وما أشبهَ ذلك مِن الخبرِ عنه أنه فى حروفِ المعجمِ ، وأن ذلك مِن قيلِه فى البيانِ يقومُ مَقامَ قولِه : ابنى فى « أ ب ت ث » برَجَزِ بعضِ الرُّجّازِ مِن بنى أسدٍ[2] :

لمَّا رأيْتُ [3]أمرَها فى حُطِّى[3]

---

(١) فى م : « يؤثر » .

(٢) الأبيات الثلاثة الأول فى تهذيب اللغة ١٠/ ٢٨١، واللسان (ف ن ك) .

(٣ - ٣) فى اللسان ، ونسخة من تهذيب اللغة : « أنها فى خطى » .

وفَنَكَتْ[١] فى كَذِبى[٢] ولَطِّى[٣]
[٢٤/١ظ] أخذْتُ منها بقُرونٍ[٤] شُمْطِ[٥]
فلم يَزَلْ ضَرْبى[٦] بها ومَعْطِى[٧]
حتـــى علَا الرأسَ دمٌ يُغَطِّى

فزعَم أنه أراد بذلك الخبرَ عن المرأةِ أنها فى « أبى جاد » ، فأقام قولَه :

لما رأيتُ أمرَها فى حُطِّى

مُقامَ خبرِه عنها أنها فى « أبى جاد » ، إذ كان ذلك مِن قولِه يَدُلُّ سامعَه على ما يَدُلُّه عليه قولُه : لما رأيْتُ أمرَها فى « أبى جاد » .

وقال آخرون : بل ابْتُدِئَت بذلك أوائلُ السورِ ليَفْتَحَ لاستماعِه أسماعَ المشركين ، إذ تواصَوْا بالإعراضِ عن القرآنِ ، حتى إذا اسْتَمَعوا له تُلِى عليهم المؤلَّفُ منه .

وقال بعضُهم : الحروفُ التى هى فَواتحُ السورِ حروفٌ يَسْتَفْتِحُ اللَّهُ بها كلامَه .

[٨]وقال[٨] : فإن قيل : هل يكونُ مِن القرآنِ ما ليس له معنًى ؟ فإن[٩] معنى هذا

---

(١) فنك فى الكذب : مضى ولجَّ فيه . اللسان (ف ن ك) .

(٢) فى ص : « كدى » ، وفى ت ٢ : « كيدى » ، وفى نسخة من تهذيب اللغة : « كدنى » .

(٣) لط حقه : جحده . اللسان (ل ط ط) .

(٤) القرن : الخصلة من الشعر . اللسان (ق ر ن) .

(٥) الشمط فى الشعر : اختلافه بلونين من سواد وبياض . اللسان (ش م ط) .

(٦) فى ص : « صونى » .

(٧) المعط : الجذب . اللسان (م ع ط) .

(٨ - ٨) سقط من : م ، وفى ت ٢ : « وقال آخرون » .

(٩) كذا فى النسخ ، ولعل صوابها : « قيل » .

أنه ابتدَأ[1] بها ليُعْلَمَ أن السورةَ التى قبلَها قد انْقَضَت ، وأنه قد أخَذ فى أخرى ، فجعَل هذا علامةَ انقطاعِ ما بينَهما ، وذلك فى[2] كلامِ العربِ ، يُنْشِدُ الرجلُ منهم الشعرَ ، فيقولُ[3] :

بل * وبَلدةٍ ما الإنسُ مِن آهالِها

ويقولُ[4] :

لا بَل * ما هاج أحزانًا وشَجْوًا قد شَجَا

و « بل » ليست مِن البيتِ ولا تُعَدُّ فى وزنِه ، ولكن يَقْطَعُ بها كلامًا ويَسْتَأْنِفُ الآخرَ .

قال أبو جعفرٍ : ولكلٍّ قولٍ مِن الأقوالِ التى قالها الذين وصَفْنا قولَهم فى ذلك وجهٌ معروفٌ .

فأما الذين قالوا : ﴿ الٓمٓ ﴾ / اسمٌ مِن أسماءِ القرآنِ ، فلقولِهم ذلك وجهان : ٩٠/١

أحدُهما : أن يَكونوا أرادوا أن ﴿ الٓمٓ ﴾ اسمٌ للقرآنِ ، كما الفُرقانُ اسمٌ له . وإذا كان معنى قائلِ ذلك كذلك ، كان تأويلُ قولِه : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ على معنى القَسَمِ ، كأنه قال : والقرآنِ ، هذا الكتابُ لا ريبَ فيه .

والآخرُ منهما : أن يَكُونوا أرادوا أنه اسمٌ مِن أسماءِ السورةِ[5] تُعْرَفُ به ، كما

---

(١) فى م : « افتتح » .

(٢) سقط من : ر .

(٣) اللسان (أ هـ ل) غير منسوب .

(٤) الرجز للعجاج فى ديوانه ص ٣٤٨.

(٥) بعده فى م : « التى » .

تُعْرَفُ سائرُ الأشياءِ بأسمائِها التى هى لها أماراتٌ (١تُعْرَفُ بها١) ، فيَفْهَمُ السامعُ مِن القائلِ يقولُ : قرأتُ اليومَ ﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿نٓ﴾ . أى السورةَ التى قرأها مِن سُورِ القرآنِ ، كما يَفْهَمُ عنه إذا قال : لقيتُ اليومَ عَمْرًا وزيدًا . وهما بزيدٍ وعمرٍو عارفان - مَن الذى لقِى مِن الناسِ .

وإن أشْكَل معنى ذلك على امرئٍ، فقال : وكيف[٢] يَجوزُ أن يكونَ ذلك كذلك ، ونَظائرُ ﴿الٓمٓ﴾ ﴿الٓر﴾ فى القرآنِ جماعةٌ مِن السورِ ، وإنما تكونُ الأسماءُ أماراتٍ إذا كانت مُميِّزةً بينَ الأشخاصِ ، فأما إذا كانت غيرَ مُميِّزةٍ فليست أماراتٍ ؟

قيل : إن الأسماءَ وإن كانت قد صارت لاشتراكِ كثيرٍ مِن الناسِ فى الواحدِ منها ، غيرَ مميِّزَةٍ إلا بمَعانٍ أُخَرَ معها ؛ مِن ضَمِّ نسبةِ المُسَمَّى بها إليها ، أو نعتِه أو وصفِه بما يُفَرِّقُ بينَه وبينَ غيرِه مِن أشكالِها ، فإنها وُضِعَت[٣] ابْتِداءً للتمييزِ لا شكَّ ، ثم احْتِيج عندَ الاشتراكِ إلى المَعانى المُفَرِّقةِ بينَ المُسَمَّى بها ، فكذلك ذلك فى أسماءِ السورِ ، جُعِل كلُّ اسمٍ - فى قولِ قائلِ هذه المَقالةِ - أمارةً للمُسَمَّى به مِن السورِ ، فلما شارَكَ المُسَمَّى به فيه غيرَه مِن سُورِ القرآنِ ، احتاج المُخْبِرُ عن سورةٍ منها أن يَضُمَّ إلى اسمِها المُسَمَّى به مِن ذلك إلى[٤] ما يُفَرِّقُ به السامعُ[٥] بينَ الخبرِ عنها وعن غيرِها مِن نعتٍ وصفةٍ أو غيرِ ذلك ، فيَقُولُ المُخْبِرُ عن نفسِه أنه تلا سورةَ البقرةِ ، إذا سماها باسمِها الذى هو ﴿الٓمٓ﴾ : قرأتُ ﴿الٓمٓ﴾ البقرة . وفى آلِ عِمْرانَ : قرأتُ

(١ - ١) فى ص : « تعرفونها » ، وفى ر : « يعرفن » ، وفى ت ٢: « يعرفونها » .

(٢) بعده فى م : « و » .

(٣) فى ص : « وصفت » .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى م ، ت ٢: « للسامع » .

﴿ الٓمٓ ﴾ آل عمران . أو[(1)] ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ . و﴿ الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ . كما لو أراد الخبرَ عن رجلين ، اسمُ كلِّ واحدٍ منهما عمرٌو ، غيرَ أن أحدَهما تَميميٌّ والآخرَ أزْديٌّ ، لَلَزِمه أن يقولَ لمن أراد إخبارَه عنهما : لقِيتُ عمرًا التميميَّ وعمرًا الأزديَّ . إذا[(2)] كان لا يفرِّق[(3)] بينَهما وبينَ غيرِهما ممَّن يُشارِكُهما في أسمائِهما إلا نسبتُهما[(4)] كذلك ، فكذلك ذلك في قولِ مَن تأوَّل في الحروفِ المُقَطَّعةِ أنها أسماءٌ للسورِ .

أما الذين قالوا : ذلك فَواتحُ يَفْتَتِحُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ بها كلامَه . فإنهم وجَّهوا ذلك إلى نحوِ المعنى الذي حكَيْنا عمَّن حكَيْنا ذلك عنه مِن أهلِ العربيةِ أنه قال : ذلك أدِلَّةٌ على انْقِضاءِ سورةٍ وابتداءٍ في أخرى ، وعلامةٌ لانقطاعِ ما بينَهما . كما جُعِلَت « بل » في ابتداءِ قصيدةٍ دلالةً على ابتداءٍ فيها وانقضاءِ أخرى قبلَها ، كما ذكَرْنا عن العربِ إذا أرادوا الابتداءَ في إنشادِ قصيدةٍ قالوا :

بل * ما هاج أحْزانًا وشجْوًا قد شَجَا

و « بل » ليست مِن البيتِ ولا داخلةً في وزنِه ، ولكن ليَدُلَّ به على قطعِ كلامٍ وابتداءِ آخرَ .

وأما الذين قالوا : ذلك حروفٌ مُقَطَّعةٌ ، بعضُها مِن أسماءِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، وبعضُها مِن صفاتِه ، ولكلِّ حرفٍ مِن ذلك معنًى غيرُ معنى الحرفِ الآخرِ . فإنهم

---

(1) في ر ، م : « و » .

(2) في م ، ت ٢ : « إذ » .

(3) في م ، ت ٢ : « فرق » .

(4) في ر ، م : « بنسبتهما » ، وفي ت ٢ : « بتسميتهما » .

نحَوْا بتأويلِهم ذلك نحوَ قولِ الشاعرِ[(١)] :

قلْنا لها قِفِى لنا[(٢)] قالت قافْ

لا تَحْسَبى أنَّا نَسِينا الإيجافْ[(٣)]

يعنى بقولِه : قالت قاف . قالت[(٤)] : وقَفْتُ . فدَّلت بإظهارِ « القافِ » مِن « وقَفْتُ » على مُرادِها مِن تَمامِ الكلمةِ / التى هى : « وقَفْتُ » . فصرَفوا قولَه : ﴿ الٓمٓ ﴾ . وما أشبهَ ذلك إلى نحوِ هذا المعنى ، فقال بعضُهم : الألفُ ألفُ أنا ، واللامُ لامُ اللَّهِ ، والميمُ ميمُ أعْلَمُ ، وكلُّ حرفٍ منهن دالٌّ على كلمةٍ تامةٍ . قالوا : فجملةُ هذه الحروفِ المُقَطَّعةِ إذا ظهَر مع كلِّ حرفٍ منهن تَمامُ حروفِ الكلمةِ : أنا اللَّهُ أعلمُ . قالوا : وكذلك سائرُ جميعِ ما فى أوائلِ سُورِ القرآنِ مِن ذلك ، فعلى هذا المعنى وبهذا التأويلِ . قالوا : ومستفيضٌ ظاهرٌ فى كلامِ العربِ أن يَنْقُصَ المتكلمُ منهم مِن الكلمةِ الأحرفَ إذا كان فيما بقِى دلالةٌ على ما حذَف منها ، ويَزيدَ فيها ما ليس منها إذا لم تكُنِ الزيادةُ مُلبِسةً معناها على سامعِها ، كحذفِهم فى النقصِ فى الترخيمِ مِن حارثٍ الثاءَ ، فيقولون : ياحارِ . ومِن مالكٍ الكافَ ، فيقولون : يا مالِ . وما أشْبَهَ [١/٢٥و] ذلك . وكقولِ راجزِهم[(٥)] :

٩١/١

ما لِلظَّليمِ[(٦)] عالَ[(٧)] كيف لا يا

---

(١) الرجز للوليد بن عقبة فى شرح شواهد الشافية ملحق بالشافية ٤/ ٢٧١. والأول منه فى الصاحبى ص ١٦١.

(٢) سقط من : م .

(٣) الإيجاف : حثّ الدابة على سرعة السير . اللسان (و جـ ف) .

(٤) بعده فى م : « قد » .

(٥) الرجز فى تهذيب اللغة ١٥/ ٦٧٠، واللسان (يا) ، وشرح شواهد الشافية ٤/ ٢٦٧.

(٦) الظليم : ذكر النعام . اللسان (ظ ل م) .

(٧) فى تهذيب اللغة واللسان : « عاك » . وفسر الشيخ شاكر « عال » بأنها دعاء عليه من عال عوله : أى =

يَنْقَدُّ عنه جِلْدُه إذا يا

كأنه أراد أن يقولَ : إذا يَفعلُ كذا وكذا . فاكْتَفَى بالياءِ مِن « يَفْعَلُ » . وكما قال آخرُ منهم[(١)] :

بالخيرِ خيراتٍ وإن شرًّا فَا

يريدُ : فشرًّا .

ولا أُرِيدُ الشرَّ إلا أن تا

يُرِيدُ : إلا أن تَشاءَ . فاكْتَفَى بالتاءِ والفاءِ فى الكلمتَيْن جميعًا مِن سائرِ حروفِهما ، وما أشبهَ ذلك مِن الشواهدِ التى يَطولُ الكتابُ باستيعابِه .

وكما **حدَّثني** يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن أيوبَ وابنِ عونٍ ، عن محمدٍ ، قال : لما مات يزيدُ بنُ معاويةَ قال لى عَبِيدَةُ[(٢)] : إنى لا أُراها إلا كائنةً فتنةً فافْزَعْ مِن ضَيْعَتِك ، والْحَقْ بأهلِك . قلتُ : فما تأْمُرُنى ؟ قال : أَحَبُّ إلىَّ[(٣)] لك أنْ تا - قال أيوبُ وابنُ عونٍ بيدِه تحتَ خدِّه الأيمنِ يَصِفُ الاضطجاعَ - حتى تَرَى أمرًا تَعْرِفُه .

قال أبو جعفرٍ : يعنى بـ « تا » تَضْطَجِع ، فاجْتَزَأ بالتاءِ مِن « تَضْطَجِع » . وكما قال الآخرُ فى الزيادةِ فى الكلامِ على النحوِ الذى وصَفْتُ[(٤)] :

= ثكلته أمه . وفسرها محققو شرح شواهد الشافية بأنها من قولهم : عال عولا . بمعنى زاد فى جريه . أما عاك فبمعنى كرّ . اللسان (ع و ك) .

(١) الكتاب ٣/٣٢١ ونسبه فى شرح شواهد الشافية ٤/٢٦٤ للقيم بن أوس .

(٢) فى ص ، م : « عبدة » . وينظر تهذيب الكمال ١٩/ ٢٦٦.

(٣) فى ر : « التى » .

(٤) تأويل مشكل القرآن ص ٢٣٤، والصاحبى ص ٣٨٠.

أقولُ إذْ خَرَّتْ على الكَلْكالِ[(١)] ياناقتى ما جُلْتِ من مَجالِ

يريدُ : الكَلْكلَ . وكما قال الآخرُ[(٢)] :

إنَّ شَكْلِى وإن شَكْلَك شَتَّى فالْزَمى الخُصَّ واخْفِضِى[(٣)] تَبْيَضِضِّى[(٤)]

فزاد ضادًا وليست فى الكلمة .

قالوا : فكذلك ما نقَص مِن تمامِ حروفِ كلِّ كلمةٍ مِن هذه الكلماتِ التى ذكَرْنا أنها تَتِمَّةُ حروفِ ﴿ الٓمٓ ﴾ ونظائرِها ، نظيرُ ما نقَص مِن الكلامِ الذى حكَيْناه عن العربِ فى أشعارِها وكلامِها .

وأما الذين قالوا : كلُّ حرفٍ مِن ﴿ الٓمٓ ﴾ ونظائرِها دالٌّ على مَعانٍ شَتَّى - نحوَ الذى ذكَرْنا عن الربيعِ بنِ أنسٍ - فإنهم وجَّهوا ذلك إلى مثلِ الذى وجَّهه إليه مَن قال : هو بتأويلِ : أنا اللَّهُ أعلمُ . فى أن كلَّ حرفٍ منه بعضُ حروفِ كلمةٍ تامةٍ اسْتُغْنِى بدَلالتِه على تَمامِه عن ذكرِ تمامِه - وإن كانوا له مخالفين فى كلِّ حرفٍ مِن ذلك ، أهو مِن الكلمةِ التى ادَّعَى أنه منها قائلو القولِ الأولِ أم مِن غيرِها ؟ فقالوا : بل الألفُ مِن / ﴿ الٓمٓ ﴾ مِن كلماتٍ شَتَّى ، هى دالةٌ على معانى جميعِ ذلك وعلى تمامِه . قالوا : وإنما أفْرِد كلُّ حرفٍ مِن ذلك ، وقصَّر به عن تمامِ حروفِ الكلمةِ ، أن جميعَ حروفِ الكلمةِ لو أُظْهِرَت لم تَدُلَّ الكلمةُ التى تُظْهَرُ - التى[(٥)] بعضُ هذه الحروفِ المُقَطَّعةِ بعضٌ لها - إلا على معنًى واحدٍ لا على معنيَيْن وأكثرَ منهما .

٩٢/١

(١) الكلكال : الصدر أو ما بين الترقوتين . القاموس المحيط (ك ل ل) .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٣٥، واللسان (ب ى ض) ، (خ ف ض) .

(٣) الخفض : لين العيش وسعته . اللسان (خ ف ض) .

(٤) أى : تبيضّى ، من البياض ، فزاد ضادا أخرى ضرورة لإقامة الوزن . اللسان (ب ى ض) .

(٥) سقط من : م .

قالوا : وإذ كان لا دلالةَ فى ذلك ، لو أظْهَر جميعَها[(١)] ، إلا على معناها الذى هو معنًى واحدٌ ، وكان اللَّهُ جلَّ ثناؤُه قد أراد الدلالةَ بكلِّ حرفٍ منها على مَعانٍ كثيرةٍ لشىءٍ واحدٍ - لم يَجُزْ إلا أن يُفْرَدَ الحرفُ الدالُّ على تلك المعانى ، ليَعْلَمَ المخاطَبون به أنه جلَّ ثناؤه لم يَقْصِدْ قصدَ معنًى واحدٍ ودلالةٍ على شىءٍ واحدٍ بما خاطَبَهم به ، وأنه إنما قصَد الدلالةَ به[(٢)] على أشياءَ كثيرةٍ .

قالوا : فالألفُ مِن ﴿ الٓمٓ ﴾ مُقْتَضِيةٌ معانىَ كثيرةً ؛ منها تمامُ اسمِ الربِّ الذى هو اللَّهُ ، وتمامُ اسمِ نعماءِ اللَّهِ التى هى آلاءُ اللَّهِ ، والدلالةُ على أجَلِ قومٍ أنه سَنَةٌ ، إذ كانت الألفُ فى حسابِ الجُمَّلِ واحدًا . واللامُ مُقْتَضِيةٌ تمامَ اسمِ اللَّهِ الذى هو لَطيفٌ ، وتمامَ اسمِ فَضْلِه الذى هو لُطْفٌ ، والدلالةَ على أجَلِ قومٍ أنه ثلاثون سنةً . والميمُ مُقْتَضِيةٌ تمامَ اسمِ اللَّهِ الذى هو مَجيدٌ ، وتمامَ اسمِ عظمتِه التى هى مَجْدٌ ، والدلالةَ على أجَلِ قومٍ أنه أربعون سنةً .

فكان معنى الكلامِ فى تأويلِ قائلِ القولِ الأولِ ، أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه افْتَتَح كلامَه بوَصْفِ نفسِه بأنه العالِمُ الذى لا يَخْفَى عليه شىءٌ ، وجعَل ذلك لعبادِه مَنْهَجًا يَسْلُكونه فى مُفْتَتَحِ خُطَبِهم ورسائِلِهم ومُهِمِّ أمورِهم ، وابتلاءً منه لهم به[(٢)] ليَسْتَوْجِبوا به عظيمَ الثوابِ فى دارِ الجزاءِ ، كما افْتَتَح بـ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ و ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الأنعام : ١] . وما أشْبَهَ ذلك مِن السورِ التى جعَل مَفاتحَها الحمدَ لنفسِه ، وكما جعَل مَفاتحَ بعضِها تعظيمَ نفسِه وإجلالَها بالتسبيحِ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [الإسراء : ١] . وما أشبهَ ذلك مِن سائرِ سُورِ القرآنِ التى جعَل مَفاتحَ بعضِها

(١) فى ص : « جميعا » .
(٢) سقط من : م ، ت٢ .

تحميدَ نفسِه ، ومفاتحَ بعضِها تمجيدَها ، ومفاتحَ بعضِها تعظيمَها وتنْزيهَها ، فكذلك جعَل مفاتحَ السورِ الأُخَرِ التى أوائلُها بعضُ حروفِ المُعْجَمِ مدائحَ نفسِه أحيانًا بالعلمِ ، وأحيانًا بالعدلِ والإنصافِ ، وأحيانًا بالإفضالِ والإحسانِ ، بإيجازٍ واختصارٍ ، ثم اقتصاصَ الأمورِ بعدَ ذلك .

وعلى هذا التأويلِ يَجِبُ أن تكونَ الألفُ واللامُ والميمُ فى أماكنِ الرفعِ مرفوعًا بعضُها ببعضٍ ، دون قولِه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ ، ويكونَ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ خبرًا[1] مبتدأً مُنْقطِعًا عن مَعنى ﴿ الٓمٓ ﴾ وكذلك ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ فى تأويلِ قولِ قائلِ هذا القولِ الثانى مرفوعٌ بعضُه ببعضٍ ، وإن كان مخالفًا معناه معنى قولِ قائلِ القولِ الأولِ .

وأما الذين قالوا : هنَّ حروفٌ مِن حروفِ حسابِ الجُمَّلِ دون ما خالَف ذلك مِن المعانى . فإنهم قالوا : لا نعرِفُ للحروفِ المُقَطَّعةِ معنًى يُفْهَمُ سوى حسابِ الجُمَّلِ ، وسوى تَهَجِّى قولِ القائلِ : ﴿ الٓمٓ ﴾ . قالوا : وغيرُ جائزٍ أن يُخاطِبَ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه عبادَه إلا بما يَفْهَمون ويَعقِلون عنه ، فلما كان ذلك كذلك - وكان قولُه : ﴿ الٓمٓ ﴾ . لا يُعْقَلُ لها وجهٌ تُوَجَّهُ إليه إلا [١/٢٥ظ] أحدُ الوجهين اللذيْن ذكَرْنا ، فبَطَل أحدُ وجهيْه ، وهو أن يكونَ مُرادًا به تهجِّى : ﴿ الٓمٓ ﴾ - صحَّ وثبَت أنه مرادٌ به الوجهُ الثانى ، وهو حسابُ الجُمَّلِ ؛ لأن قولَ القائلِ : ﴿ الٓمٓ ﴾ . لا يَجوزُ أن يَلِيَه مِن الكلامِ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ لاستحالةِ معنى الكلامِ وخروجِه عن المعقولِ إذا أُولِى ﴿ الٓمٓ ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ .

واحْتَجُّوا لقولِهم ذلك أيضًا بما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ حُميدٍ الرازىُّ ، قال : حدَّثنا

---

(١) فى م : « خبر » .

سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، / قال : حدَّثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنى الكَلْبىُّ ، عن ٩٣/١ أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ رِئابٍ ، قال : مرَّ أبو ياسرِ بنُ أخْطَبَ برسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يَتْلُو فاتحةَ[1] سورةِ البقرة ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ فأتَى أخاه حُيَىَّ بنَ أخْطَبَ فى رجالٍ مِن يهودَ ، فقال : تَعْلَمُون[2] واللَّهِ ، لقد سمِعْتُ محمدًا يَتْلُو فيما أنْزَل اللَّهُ عليه ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ فقالوا : أنت سمِعْتَه ؟ قال : نعم . فمشَى حُيَىُّ بنُ أخْطَبَ فى أولئك النفرِ مِن يهودَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا : يا محمدُ ، ألم يُذْكَرْ لنا أنك تَتْلُو فيما أُنْزِل عليك ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بَلَى » . قالوا : أجاءك بها[3] جبريلُ مِن عندِ اللَّهِ ؟ فقال : « نَعَمْ » . قالوا : لقد بعَث اللَّهُ قبلَك أنبياءَ ما نَعْلَمُه بيَّن لنبىٍّ منهم ما مُدَّةُ مُلْكِه ، وما أُكْلُ[4] أمَّتِه غيرَك . فقال حُيَىُّ بنُ أخْطَبَ وأقبلَ على مَن كان معه ، فقال لهم : الألفُ واحدةٌ ، واللامُ ثلاثونَ ، والميمُ أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنةً ، أفتَدْخُلُونَ[5] فى دينِ نبىٍّ إنما مدةُ مُلْكِه وأُكلُ[6] أُمَّتِه إحدى وسبعونَ سنةً ؟ قال : ثم أقبلَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : يا محمدُ ، هل مع هذا غيرُه ؟ قال : « نَعَمْ » . قال : ماذا ؟ قال : « ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ » . قال : هذه أثقلُ وأطولُ ؛ الألفُ واحدةٌ ، واللامُ ثلاثون ، والميم أربعون ، والصادُ تسعون[7] ، فهذه إحدى

---

(١) بعده فى ص : « الكتاب » .

(٢) فى سيرة ابن هشام : « تعلّموا » . أى : اعلموا .

(٣) فى ص ، م : « بهذا » .

(٤) فى م ، ت ٢ : « أجل » . والأُكل : الرزق . ومنه قيل للميت : انقطع أكله . اللسان (أ ك ل) . والمراد مدة الأمة التى يأكلون فيها رزقهم .

(٥) فى م : « قال : فقال لهم : أتدخلون » .

(٦) فى م : « أجل » .

(٧) فى ر ، ونسخة من سيرة ابن هشام : « ستون » .

وستون[(١)] ومائةُ سنةٍ . هل مع هذا يا محمدُ غيرُه ؟ قال : « نَعَمْ » . قال : ماذا ؟ قال : « ﴿الٓر﴾ » . قال : هذه أثقلُ وأطولُ ؛ الألفُ واحدةٌ ، واللامُ ثلاثون ، والراءُ مائتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنةٍ . فهل[(٢)] مع هذا غيرُه يا محمدُ ؟ قال : « نَعَمْ ، ﴿الٓمٓر﴾ » . قال : فهذه أثقلُ وأطولُ ؛ الألفُ واحدةٌ ، واللامُ ثلاثون ، والميمُ أربعون ، والراءُ مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنةٍ . ثم قال : لقد لُبِّس علينا أمْرُك يا محمدُ حتى ما نَدْرِى أقليلًا أُعْطِيتَ أم كثيرًا . ثم قاموا عنه ، فقال أبو ياسرٍ لأخيه حُيَىِّ بنِ أخْطَبَ ولمن معه مِن الأحبارِ : ما يُدْرِيكم لعلَّه قد جُمِع هذا كلُّه لمحمدٍ ؛ إحدى وسبعون ، وإحدى وستون[(٣)] ومائةٌ ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبعُمائةٍ وأربعٌ [(٤)]وثلاثون[(٤)] . فقالوا : لقد تَشابَه علينا أمرُه . فيَزْعُمون أن هؤلاء الآياتِ نزَلَت فيهم ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[(٥)] [آل عمران : ٧] .

قالوا : قد صرَّح[(٦)] هذا الخبرُ بصحةِ ماقلنا فى ذلك مِن التأويلِ وفسادِ ما قاله مُخالِفونا فيه .

---

(١) فى ت ٢، ونسخة من سيرة ابن هشام : « ثلاثون » . وهو مبنى على التقدير السابق للصاد .

(٢) فى ر ، م ، ت ٢: « فقال : هل » .

(٣) فى ر : « ثلاثين » ، وفى ت ٢: « ثلاثون » .

(٤ - ٤) فى ص ، ر ، ت ٢، ونسخة من سيرة ابن هشام : « سنين » .

(٥) أخرجه البخارى فى التاريخ ٢/ ٢٠٨ معلقا عن سلمة بن الفضل به . وقال ابن كثير فى تفسيره ١/ ٥٩، ٦٠: حديث ضعيف ... مداره على محمد بن السائب الكلبى ، وهو مما لا يحتج بما انفرد به .
واختلف فيه على ابن إسحاق . ينظر تاريخ البخارى ، وسيرة بن هشام ١/ ٥٤٥ .

(٦) فى ص : « صح » .

والصوابُ عندى مِن القولِ فى تأويلِ مَفاتحِ السورِ التى هى حروفُ المُعْجَمِ ، أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه جعَلها حروفًا مُقَطَّعةً ، ولم يَصِلْ بعضَها ببعضٍ فيَجْعَلَها كسائرِ الكلامِ المتَّصِلِ الحروفِ ؛ لأنه عزَّ ذكرُه أراد بلطفِه[1] الدلالةَ بكلِّ حرفٍ منه على مَعانٍ كثيرةٍ لا على معنًى واحدٍ ، كما قال الربيعُ بنُ أنسٍ ، وإن كان الربيعُ قد اقتصَر به على معانٍ ثلاثةٍ دون ما زاد عليها .

والصوابُ فى تأويلِ ذلك عندى أن كلَّ حرفٍ منه يَحْوِى ما قاله الربيعُ وما قاله سائرُ المُفَسِّرين غيرُه فيه ، سوى ما ذكَرْتُ مِن القولِ عمَّن ذكَرْتُ عنه مِن أهلِ العربيةِ أنه كان يُوَجِّهُ تأويلَ ذلك إلى أنه حروفُ هِجاءٍ استُغْنِى بذكرِ ما ذُكِر منه فى مَفاتحِ السورِ عن ذكرِ تَتِمَّةِ الثمانيةِ والعشرين الحرفِ[2] مِن حروفِ المُعْجَمِ ، بتأويلِ : أن هذه الحروفَ ذلك الكتابُ ، مجموعةً ، / لا ريبَ فيه . فإنه قولٌ خطأٌ فاسدٌ ، ١/٩٤ لخروجِه عن أقوالِ جميعِ الصحابةِ والتابعين فمن بعدَهم مِن الخالِفين[3] مِن أهلِ التفسيرِ والتأويلِ ، فكفَى دلالةً على خطئِه شهادةُ الحُجَّةِ عليه بالخطأِ ، مع إبطالِ قائلِ ذلك قولَه الذى حكَيْناه عنه - إذ صار إلى البيانِ عن رفعِ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ - بقولِه مرةً : إنه مرفوعٌ كلُّ واحدٍ منهما بصاحبِه . ومرةً أخرى : إنه مرفوعٌ بالراجعِ مِن ذكرِه فى قولِه : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . ومرةً بقولِه : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . وذلك تركٌ منه لقولِه : إن ﴿ الٓمٓ ﴾ مرافعةُ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ . وخروجٌ من القولِ الذى ادَّعاه فى تأويلِ ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ . وأن تأويلَ ذلك : هذه الحروفُ ذلك الكتابُ .

---

(١) فى م : « بلفظه » .

(٢) فى ر : « الحروف » ، وفى م : « حرفا » .

(٣) فى ص : « المخالفين » .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف يَجوزُ أن يكونَ حرفٌ واحدٌ شاملًا الدلالةَ على معانٍ كثيرةٍ مختلفةٍ ؟

قيل : كما جاز أن تكونَ كلمةٌ واحدةٌ تَشْتَمِلُ على مَعانٍ كثيرةٍ مختلفةٍ ، نحوَ قولِهم للجماعةِ مِن الناسِ : أُمَّةٌ . وللحينِ مِن الزمانِ : أُمَّةٌ . وللرجلِ المُتَعَبِّدِ المُطيعِ للَّهِ : أُمَّةٌ . وللدِّينِ والمِلَّةِ : أُمَّةٌ . وكقولِهم للجَزاءِ والقِصاصِ : دِينٌ . وللسلطانِ والطاعةِ : دِينٌ . وللتَّذَلُّلِ : دينٌ . وللحسابِ : دِينٌ . فى أشباهٍ لذلك كثيرةٍ يَطولُ الكتابُ بإحصائِها ، مما يَكونُ مِن الكلامِ بلفظٍ واحدٍ ، وهو مُشْتَمِلٌ على مَعانٍ كثيرةٍ ، فكذلك قولُ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿الٓمٓ﴾ و ﴿الٓرۚ﴾ و ﴿الٓمٓصٓ﴾ وما أشْبَه ذلك مِن حروفِ المُعْجَمِ التى هى فَواتحُ أوائلِ السورِ ، كلُّ حرفٍ منها دالٌّ على معانٍ شَتَّى ، شاملٌ جميعُها مِن أسماءِ [١/٢٠٦و] اللَّهِ عزَّ وجلَّ وصفاتِه ما قاله المفسِّرُون مِن الأقوالِ التى ذكَرْناها عنهم ، وهنَّ مع ذلك فَواتحُ السورِ ، كما قاله مَن قال ذلك ، وليس كونُ ذلك مِن حروفِ أسماءِ اللَّهِ جل ثناؤُه وصفاتِه ، بمانعِها أن تكونَ للسورِ فَواتحَ ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قد افْتَتَح كثيرًا مِن سورِ القرآنِ بالحمدِ لنفسِه والثناءِ عليها ، وكثيرًا منها بتَمْجيدِها وتعظيمِها ، فغيرُ مستحيلٍ أن يَبْتَدِئَ بعضَ ذلك بالقَسَمِ بها .

فالتى ابتُدِئَ أوائلُها بحروفِ المعجمِ ، أحدُ معانى أوائلِها أنهنَّ فَواتحُ ما افتَتَح بهن مِن سُوَرِ القرآنِ ، وهن مما أَقْسَمَ بهن ؛ لأن أحدَ معانيهنَّ أنهنَّ مِن حروفِ أسماءِ اللَّهِ تعالى ذكْرُه وصفاتِه ، على ما قدَّمْنا البيانَ عنها ، ولاشكَّ فى صحةِ معنى القسَمِ باللَّهِ وأسمائِه وصفاتِه . وهن مِن حروفِ حسابِ الجُمَّلِ ، وهن للسورِ التى افْتُتِحَت بهن شِعارٌ وأسماءٌ ، فذلك يَحْوِى مَعانىَ جميعِ ما (١) وصَفْنا مما (١) بيَّنَّا مِن وُجوهِه ؛ لأن

(١ - ١) فى ر : « ذكرنا ما » .

اللَّهَ جلَّ ثناؤُه لو أراد بذلك أو بشيءٍ منه الدلالةَ على معنًى واحدٍ مما يَحْتَمِلُه[١] ذلك، دون سائرِ المعانى غيرِه، لأبان ذلك لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ إبانةً غيرَ مُشْكِلةٍ، إذ كان جلَّ ثناؤُه إنما أَنْزَل كتابَه على رسولِه ﷺ ليُبَيِّنَ لهم ما اخْتَلَفوا فيه، وفى تركِه ﷺ إبانةَ ذلك أنه مرادٌ به مِن وُجوهِ تأويلِه البعضُ دون البعضِ - أوضحُ الدليلِ على أنه مرادٌ به جميعُ وجوهِه التى هو لها مُحْتَمِلٌ، إذ[٢] لم يكنْ مُسْتَحِيلًا فى العقلِ وجهٌ منها أن يَكونَ مِن تأويلِه ومعناه، كما كان غيرَ مستحيلٍ اجتماعُ المعانى الكثيرةِ للكلمةِ الواحدةِ باللفظِ الواحدِ فى كلامٍ واحدٍ.

ومَن أَبَى ما قلْناه فى ذلك، سُئِل الفرْقَ بينَ ذلك وبينَ سائرِ الحروفِ التى تأْتى بلفظٍ واحدٍ، مع اشتمالِها على المعانى الكثيرةِ المختلفةِ، كالأُمَّةِ والدِّينِ وما أشْبَه ذلك مِن الأسماءِ والأفعالِ، فلن يقولَ فى أحدِ[٣] ذلك قولًا إلا أُلْزِم فى الآخرِ مثلَه.

وكذلك يُسْأَلُ كلُّ مَن تأوَّل شيئًا مِن ذلك على وجهٍ دون الأوجهِ الأُخَرِ التى وصَفْنا، / عن البرهانِ على دَعْواه، من الوجهِ الذى يَجِبُ التسليمُ له، ثم يُعارَضُ ١/٩٥ بقولِ مُخالِفِه فى ذلك، ويُسْأَلُ الفرقَ بينَه وبينَه، مِن أصلٍ، أو مما يَدُلُّ عليه أصلٌ. فلن يقولَ فى أحدِهما قولًا إلا أُلْزِم فى الآخرِ مثلَه.

وأما الذى زعَم مِن النحويِّين أن ذلك نظيرُ «بل» فى قولِ المُنْشِدِ شِعرًا[٤]:

بل* ما هاج أحْزانًا وشجوًا قد شَجا

وأنه لا معنًى له، وإنما هو زيادةٌ فى الكلامِ معناه الطَّرْحُ. فإنه أخْطَأ مِن

(١) فى ص، م: «لا يحتمله».
(٢) فى ص: «إذا».
(٣) فى ص: «واحد من».
(٤) تقدم فى ص ٢١٥.

وُجوهٍ شَتَّى :

أحدُها : أنه وصَف اللَّهَ تعالى ذكرُه بأنه خاطَب العربَ بغيرِ ما هو مِن لغتِها ، وغيرِ ما هو فى لغةِ أحدٍ مِن الآدميِّين ، إذ كانت العربُ وإن كانت قد كانت تَفْتَتِحُ أوائلَ إنشادِها ما أنْشَدَت مِن الشعرِ بـ « بل » ، فإنه معلومٌ منها أنها لم تكنْ تَبْتَدِئُ شيئًا مِن كلامِها بـ ﴿ الٓمٓ ﴾ و ﴿ الٓرۚ ﴾ و ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ (١) بمثلِ معنَى (١) ابتدائِها ذلك بـ « بل » . وإذ كان ذلك ليس مِن ابتدائِها ، وكان اللَّهُ جلَّ ثناؤُه إنما خاطَبهم بما خاطَبهم به (٢) مِن القرآنِ بما يَعْرِفون مِن لغاتِهم ، ويَسْتَعْمِلون بينَهم مِن مَنْطِقِهم فى جميعِ آيِه - فلا شكَّ أن سبيلَ ما وصَفْنا مِن حروفِ المُعْجَمِ التى افتُتِحت بها أوائلُ السورِ التى هن لها فَواتحُ ، سبيلُ سائرِ القرآنِ فى أنه لم يَعْدِلْ بها عن لغاتِهم التى كانوا بها عارِفين ، ولها بينَهم فى مَنْطِقِهم مُسْتَعْمِلين ؛ لأن ذلك لو كان مَعْدولًا به عن سبيلِ لغاتِهم ومَنْطِقِهم ، كان خارجًا عن معنى الإبانةِ التى وصَف اللَّهُ جلَّ ثناؤه بها القرآنَ ، فقال : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣- ١٩٥] . وأنَّى يكونُ مُبِينًا ما لا يَعْقِلُه ولا يفهمُه (٣) أحدٌ مِن العالَمِين ، فى قولِ قائلِ هذه المقالةِ ، ولا يُعْرَفُ فى مَنْطِقِ أحدٍ مِن المخلوقين فى قولِه ؟ وفى إخبارِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عنه أنه عربيٌّ مُبِينٌ ، ما يُكْذِبُ قائلَ (٤) هذه المقالةِ ، ويُنْبِئُ عنه أن العربَ كانوا به عالِمين ، وهو لها مُسْتَبِينٌ ، فذلك أحدُ أوجهِ خطئِه .

والوجهُ الثانى مِن خطئِه فى ذلك : إضافتُه إلى اللَّهِ جلَّ ثناؤُه أنه خاطَب عبادَه بما

(١ - ١) فى ص ، م ، ت ٢ : « بمعنى » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « يفقهه » .

(٤) سقط من : ص ، م .

لا فائدةَ لهم فيه ، ولا معنًى له مِن الكلامِ ، الذى سواءٌ الخطابُ[1] به وتركُ الخطابِ به ؛ وذلك إضافةُ العَبَثِ الذى هو مَنْفيٌّ فى قولِ جميعِ المُوَحِّدين عن اللَّهِ ، إلى اللَّهِ تعالى ذكرُه .

والوجهُ الثالثُ مِن خطئِه : أن « بل » فى كلامِ العربِ مفهومٌ تأويلُها ومعناها ، وأنها تُدْخِلُها فى كلامِها رجوعًا عن كلامٍ لها قد تقَضَّى ، كقولِهم : ما جاءنى أخوك ، بل أبوك ، وما رأيتُ عمرًا ، بل عبدَ اللَّهِ . وما أشْبَه ذلك مِن الكلامِ ، كما قال أعْشَى بنى ثَعْلبةَ[2] :

ولَأَشْرَبَنَّ ثَمانِيًا وثَمانِيًا   وثلاثَ عشْرةَ واثنتَيْن وأربعَا

ومضَى فى كلمتِه حتى بلَغ قولَه :

بالجُلَّسانِ[3] وطَيِّبٍ أرْدانُه[4]   بِالوَنِّ[5] يَضْرِبُ لى يَكُرُّ[6] الإصْبَعَا

ثم قال :

بل عَدِّ هذا فى قَريضٍ غيرِه   واذكُرْ فتًى سَمْحَ الخَليقةِ أرْوَعا

فكأنه قال : دَعْ هذا ، وخُذْ فى قَريضٍ غيرِه . فـ « بل »[7] إنما يأتى فى كلامِ العربِ على هذا النحوِ مِن الكلامِ . / فأما افتتاحًا لكلامِها مُبْتَدَأً بمعنى ٩٦/١

(١) بعده فى ص : « فيه » .

(٢) البيتان الأولان فى الشعر والشعراء ١/ ٢٥٨.

(٣) الجلسان ، فارسى معرب ، يقال : إنه الورد . ويقال : قبة يصنعونها ويجعلون عليها الورد . المعرب ص ١٥٣، ١٥٤. والبيت فيه .

(٤) الأردان ، جمع رُدْن : وهو كم القميص . اللسان (ر د ن) .

(٥) الونُّ : الصنج الذى يضرب بالأصابع . اللسان (و ن ن) .

(٦) فى ر ، م : « يكد » .

(٧) فى ص ، ر ، ت٢ : « قيل » .

التطويلِ[(١)] والحذفِ ، مِن غير أن يَدُلَّ على معنًى ، فذلك ما[(٢)] لا نَعْلَمُ أحدًا ادَّعاه مِن أهلِ المعرفةِ بلسانِ العربِ ومَنْطِقِها ، سوى الذى ذكَرْتُ قولَه ، فيكونَ ذلك أصلًا يُشَبَّهُ به حُروفُ المُعْجَمِ التى هى فَواتحُ سورِ القرآنِ التى افْتُتِحَت بها ، لو كانت له مُشْبِهةً ، فكيف وهى مِن الشبهِ به بعيدةٌ ؟

[٢٦/١ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ .**

قال عامَّةُ المفسرين : تأويلُ قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ : هذا الكتابُ .

ذكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى هارونُ بنُ إدريسَ الأصَمُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ محمدٍ المُحارِبىُّ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ . قال : هو هذا الكتابُ[(٣)] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، قال : أخْبَرَنا خالدٌ الحَذَّاءُ ، عن عكرمةَ ، قال : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ : هذا الكتابُ[(٤)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوازىُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرىُّ ، قال : حدَّثنا الحكَمُ بنُ ظُهَيرٍ ، عن السُّدِّىِّ فى قولِه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ . قال : هذا الكتابُ[(٥)] .

---

(١) فى ص ، ر : « البطول » ، وفى ت ٢ : « التطول » .

(٢) فى م : « مما » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦٠/١ عن مجاهد .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٣/١ (٥٣) من طريق ابن علية به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٣/١ عقب الأثر (٥٣) من طريق أسباط ، عن السدى . وأخرجه =

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ، قال: حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ، قال: حدَّثنى حجَّاجٌ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قولَه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾. قال: هذا الكتابُ. قال: وقال ابنُ عباسٍ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: هذا الكتابُ[(1)].

فإن قال قائلٌ: وكيف يَجوزُ أن يكونَ ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنى « هذا » ؟ و « هذا » لاشكَّ إشارةٌ إلى حاضرٍ مُعايَنٍ، و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى غائبٍ غيرِ حاضرٍ ولا مُعايَنٍ ؟

قيل: جاز ذلك؛ لأن كلَّ ما تقَضَّى [(2)]وقَرُب[(2)] تَقَضِّيه من الإخبارِ، فهو وإن صار بمعنى غيرِ الحاضرِ، فكالحاضرِ عندَ المخاطَبِ، وذلك كالرجلِ يُحَدِّثُ الرجلَ الحديثَ، فيقولُ السامعُ: إن ذلك واللَّهِ لكما قلتَ. و: هذا واللَّهِ كما قلتَ. و: هو واللَّهِ كما ذكَرْتَ. فيُخْبِرُ عنه مرةً بمعنى الغائبِ، إذ كان قد تقَضَّى ومضَى، ومرةً بمعنى الحاضرِ، لقُرْبِ جوابِه مِن كلامِ مُخْبِرِه، كأنه غيرُ مُنْقَضٍ، فكذلك ﴿ذَٰلِكَ﴾ فى قولِه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾. لأنه جلَّ ذكرُه لما قدَّم قبلَ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ ﴿الٓمٓ﴾ التى ذكَرْنا تصَرُّفَها فى وجوهِها مِن المعانى على ما وصَفْنا، قال لنبيِّه ﷺ: يا محمدُ، هذا الذى ذكَرْتُه وبيَّنْتُه لك، الكتابُ. ولذلك حسُن وضعُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ فى مكانِ « هذا »؛ لأنه أُشِير به إلى الخبرِ عما تضَمَّنه قولُه ﴿الٓمٓ﴾ مِن المعانى، بعدَ تقَضِّى الخبرِ عنه بـ ﴿الٓمٓ﴾ فصار لقربِ الخبرِ عنه مِن تقَضِّيه، كالحاضرِ المشارِ إليه، فأخْبَر عنه بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ لانْقِضائِه، ومصيرِ الخبرِ عنه

= الحاكم ٢/ ٢٦٠ من طريق أسباط، عن السدى، عن مرة، عن ابن مسعود. وقال: صحيح على شرط مسلم.

(١) ينظر تفسير ابن كثير ١/ ٦٠، وفتح القدير ١/ ٣٣.

(٢ - ٢) فى ص: « بقرب »، وفى ر: « فقرب ».

كالخبرِ عن الغائبِ . وتزجَمه المفسِّرون أنه بمعنى « هذا » ؛ لقربِ الخبرِ عنه مِن انقضائِه ، فكان كالمُشاهَدِ[(١)] المشارِ إليه بـ« هذا » ، نحوَ الذى وصَفْنا مِن الكلامِ الجارى بينَ الناسِ فى مُحاوراتِهم ، وكما قال جلَّ ذكرُه : ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌۚ ﴾ [ص : ٤٨- ٤٩] . فهذا ما فى ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إذا عنى بها[(٢)] « هذا » .

وقد يَحْتَمِلُ قولُه جلَّ ذكرُه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ . أن يكونَ مَعْنِيًّا به السورُ التى نزَلَت قبلَ سورةِ البقرةِ بمكةَ والمدينةِ ، فكأنه قال جلَّ ثناؤُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : / يا محمدُ ، اعْلَمْ أن ما تضَمَّنَتْه سورُ الكتابِ التى قد أَنْزَلْتُها إليك هو الكتابُ الذى لا ريبَ فيه ، ثم ترْجَمه المُفَسِّرون بأن معنى ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ : هذا الكتابُ ، إذ كانت تلك السورُ التى نزَلَت قبلَ سورةِ البقرةِ مِن جملةِ جميعِ كتابِنا هذا الذى أنْزَلَه اللَّهُ عزَّ وجلَّ على نبيِّنا محمدٍ ﷺ .

٩٧/١

وكان التأويلُ الأولُ أولى بما قال المُفَسِّرون ؛ لأن ذلك أظهرُ معانى قولِهم الذى قالوه فى : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ .

وقد وجَّه معنى ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ بعضُهم إلى نظيرِ معنى بيتِ خُفَافِ بنِ نُدْبَةَ السُّلَمىِّ[(٣)] :

فإن تَكُ خَيْلى قد أُصِيب صَمِيمُها فعَمْدًا على عَيْنٍ تيَمَّمْتُ مالِكَا[(٤)]

---

(١) فى ص ، ر ، ت ٢: « كالشاهد » .

(٢) فى ر : « بهذا » ، وفى ت ٢: « به » .

(٣) الأغانى ٢/ ٣٢٩، الخزانة ٤٣٨/٥ – ٤٤٠. وسيأتى البيت الثانى فى تفسير الآية ٨٥ من سورة البقرة .

(٤) هو مالك بن حمار الفزارى . ينظر الأغانى ٢/ ٣٢٩.

أقولُ له والرُّمْحُ يَأْطِرُ[١] مَتْنَه   تأمَّلْ خُفافًا إننى أنا ذلِكا

كأنه أراد : تأمَّلْنى أنا ذلك . فزَعَمَ[٢] أن ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ بمعنى « هذا » [٣]نظيرَ ما[٣] أظْهَر خُفافٌ مِن اسمِه على وجهِ الخبرِ عن الغائبِ ، وهو مُخْبِرٌ عن نفسِه ، فكذلك[٤] أظْهَر ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ بمعنى الخبرِ عن الغائبِ ، والمعنى فيه الإشارةُ إلى الحاضرِ المُشاهَدِ .

والقولُ الأولُ أولى بتأويلِ الكتابِ ؛ لما ذكَرْنا مِن العِلَلِ .

وقد قال بعضُهم : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ يعنى به التوراةَ والإنجيلَ[٥] . وإذا وُجِّه تأويلُ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إلى هذا الوجهِ ، فلا مئونةَ فيه على مُتأوِّلِه كذلك ؛ لأن ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يكونُ حينئذٍ إخبارًا عن غائبٍ على صحةٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ .

وتأويلُ قولِه : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ : لا شكَّ فيه .

كما **حدَّثنى** هارونُ بنُ إدريسَ الأصمُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ المُحارِبىُّ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ قال : لاشكَّ فيه[٦] .

حدَّثنى سَلَّامُ بنُ سالمٍ الخُزاعىُّ ، قال : حدَّثنا خَلَفُ بنُ ياسِينَ الكوفىُّ ،

---

(١) أطر الشىء : عطفه وثناه . تاج العروس (أ ط ر) .

(٢) فى م : « فرأى » .

(٣ - ٣) فى ص : « نظيره » .

(٤) فى م : « لذلك » .

(٥) قال ابن كثير فى تفسيره ١/ ٦٧ : ومن قال إن المراد بـ ﴿ ذلك الكتاب ﴾ الإشارة إلى التوراة والإنجيل ... فقد أبعد النجعة وأغرق فى النزع وتكلف ما لا علم له به .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٤ إلى المصنف .

عن عبدِ العزيزِ بنِ أبى رَوَّادٍ[(١)] ، عن عطاءٍ : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ قال : لا شكَّ فيه[(٢)] .

حدَّثني أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوازىُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرىُّ ، قال : حدَّثنا الحكَمُ بنُ ظُهَيْرٍ ، عن السدىِّ ، قال : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ : لا شكَّ فيه[(٣)] .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ الهَمْدانىُّ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمَّادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ : لاشكَّ فيه[(٤)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ : لا شكَّ فيه[(٥)] .

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . يقولُ : لا شكَّ فيه .

---

(١) فى ص : « داود » . ينظر تهذيب الكمال ١٨/ ١٣٦.

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٣٤ عقب الأثر (٥٥) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٣٤ عقب الأثر (٥٥) من طريق أسباط عن السدى .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٦١ عن السدى به . وأخرجه الحاكم ٢/ ٢٦٠ من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى ، عن مرة ، عن ابن مسعود . وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٠ . وذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٣٤ عقب الأثر (٥٥) معلقا . وأخرجه أيضا ١/ ٦٣ (٢٣٤) – عند قوله : ﴿ وإن كنتم فى ريب ﴾ – من طريق سلمة بن الفضل به .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، قال : [٢٧/١و] أخبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ . يقولُ : لا شكَّ فيه[1] .

/ وحُدِّثت عن عَمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ قولَه : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يقولُ : لاشكَّ فيه[2] . ٩٨/١

وهو مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : رابَنى الشىءُ يَرِيبُنى رَيْبًا . ومِن ذلك قولُ ساعدةَ ابنِ جُؤَيَّةَ الهُذَلىِّ[3] :

فقالوا ترَكْنا الحَىَّ قد حصِروا به   فلا ريبَ أن قد كان ثَمَّ لَحِيمُ

ويُرْوَى : حصَروا ، وحصِروا . والفتحُ أكثرُ ، والكسرُ جائزٌ . يعنى بقولِه : حصروا به : أطافوا به . ويعنى بقولِه : لا رَيْبَ : لا شكَّ . وبقولِه : أن قد كان ثَمَّ لَحِيم . يعنى قَتيلًا . يقالُ : قد لُحِم . إذا قُتل .

والهاءُ التى فى ﴿فِيهِ﴾ عائدةٌ على الكتابِ ، كأنه قال : لا شكَّ فى ذلك الكتابِ أنه مِن عندِ اللَّهِ هُدًى للمُتَّقِين .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿هُدًى﴾ .

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٤/١ عقب الأثر (٥٥) معلقا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٤/١ إلى عبد بن حميد . وعزاه أيضا ٣٥/١ فى قوله : ﴿وإن كنتم فى ريب﴾ . إلى المصنف وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبى حاتم . وهو عند ابن أبى حاتم ٦٣/١ عقب الأثر (٢٣٥) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٤/١ عقب الأثر (٥٥) من طريق ابن أبى جعفر به . وقال ابن أبى حاتم : لا أعلم فى هذا الحرف اختلافًا بين المفسرين .

(٣) ديوان الهذليين ١/ ٢٣٢.

حدَّثني أحمدُ بنُ حازمٍ الغفاريُّ ، قال : حدَّثنا أبو نُعيمٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن بَيَانٍ ، عن الشعبيِّ : ﴿ هُدَى ﴾ قال : هُدًى مِن الضلالةِ[1] .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ابنُ نصرٍ ، عن إسماعيلَ السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَرَه عن أبي مالكٍ ، وعن أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ يقولُ : نورٌ للمتقين[2] .

والهُدى في هذا الموضعِ مصدرٌ مِن قولِك : هدَيْتُ فلانًا الطريقَ - إذا أرْشَدْتَه إليه ، ودلَلْتَه عليه ، وبيَّنْتَه له - أَهْدِيه هُدًى وهِدايةً .

فإن قال لنا قائلٌ : أوَ ما كتابُ اللَّهِ نورًا إلا للمُتَّقِين ، ولا رَشادًا إلا للمؤمنين ؟

قيل : ذلك كما وصَفه ربُّنا عزَّ وجلَّ ، ولو كان نورًا لغيرِ المتقين ، ورَشادًا لغيرِ المؤمنين ، لم يَخْصُصِ اللَّهُ عزَّ وجلَّ المتقين بأنه لهم هدًى ، بل كان يَعُمُّ به جميعَ المُنْذَرِين ، ولكنه هُدًى للمتقين ، وشفاءٌ لما في صدورِ المؤمنين ، ووَقْرٌ في آذانِ المكذِّبين ، وعمًى لأبصارِ الجاحدين ، وحجةٌ للَّه بالغةٌ على الكافرين ، فالمؤمنُ به مُهْتدٍ ، والكافرُ به محجوجٌ .

وقولُه : ﴿ هُدَى ﴾ يَحْتمِلُ أوجهًا مِن المعاني :

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٤/١ ه (٥٧) من طريق أبي نعيم به . وأخرجه أيضًا ٣٤/١ (٥٦، ٥٧) من طريقين عن سفيان به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤/١ إلى وكيع .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦١/١ عن السدي به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٤/١ (٥٨) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدي من قوله .

أحدُها : أن يكونَ نصبًا ، لمعنى القطعِ[١] مِن ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ ؛ لأنه نكرةٌ و﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ معرفةٌ ، فيكونُ التأويلُ حينئذٍ : الٓمٓ ذلك الكتابُ هاديًا للمتقِين . و﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مرفوعٌ بـ﴿ الٓمٓ ﴾ ، و﴿ الٓمٓ ﴾ به ، و﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ نعتٌ لـ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ .

وقد يَحْتَمِلُ أن يكونَ نصبًا على القطعِ مِن راجعِ ذكرِ ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ الذى فى ﴿ فِيهِ ﴾ فيكونُ معنى ذلك حينئذٍ : الٓمٓ الذى لاريبَ فيه هاديًا .

وقد يَحْتَمِلُ أن يكونَ أيضًا نصبًا على هذيْن الوجهَيْن ، أعْنى على وجهِ القطعِ مِن الهاءِ التى فى ﴿ فِيهِ ﴾ ، ومِن ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ على أن ﴿ الٓمٓ ﴾ كلامٌ تامٌّ ، كما قال ابنُ عباسٍ : إن معناه : أنا اللَّهُ أعلمُ . ثم يكونُ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ خبرًا مُسْتَأْنَفًا ، فيُرْفَعُ حينئذٍ ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ بـ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ، و﴿ ذَٰلِكَ ﴾ بـ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ ، ويكونُ ﴿ هُدًى ﴾ قطعًا مِن ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ ، وعلى أن يُرْفَعَ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ بالهاءِ العائدةِ عليه التى فى ﴿ فِيهِ ﴾ ، و﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ / نعتٌ له ، ٩٩/١ والهدى قطعٌ مِن الهاءِ التى فى ﴿ فِيهِ ﴾ . وإن جُعِل الهدى فى موضعِ رفعٍ ، لم يَجُزْ أن يكونَ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ إلا خبرًا مُسْتَأْنَفًا ، و﴿ الٓمٓ ﴾ كلامًا تامًّا مكتفيًا بنفسِه ، إلا مِن وجهٍ واحدٍ ، وهو أن يُرْفَعَ حينئذٍ ﴿ هُدًى ﴾ بمعنى المدحِ ، كما قال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : (الم * تِلْكَ آياتُ الكتابِ الحكِيمِ * هُدًى ورَحْمَةٌ للمُحْسِنِينَ) [لقمان : ١ - ٣] . فى قراءةِ مَن قرَأ (رَحْمَةٌ) بالرفعِ على المدحِ للآياتِ[٢] .

والرفعُ فى ﴿ هُدًى ﴾ حينئذٍ يَجوزُ مِن ثلاثةِ أوجهٍ ؛ **أحدُها** : ما ذكَرْنا من أنه

---

(١) يريد بالقطع هنا الحال . ينظر معانى القرآن ١/ ١١ ، والمصطلح النحوى ص ١٧٠ .

(٢) وهى قراءة حمزة وحده ، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائى ، بالنصب . السبعة لابن مجاهد ص ٥١٢ .

مدحٌ مُستأنَفٌ . والآخرُ : على أن يُجعَلَ مُرافعَ[1] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ، و﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ نعتٌ لـ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ . والثالثُ : أن يُجعَلَ تابعًا لموضعِ ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، ويكونَ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ مرفوعًا بالعائدِ فى ﴿ فِيهِ ﴾ ، فيكونَ كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام: ٩٢، ١٥٥].

وقد زعَم بعضُ المتقدِّمين فى العلمِ بالعربيةِ مِن الكوفيِّين[2] أن ﴿ الٓمٓ ﴾ مرافعُ[3] ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ بمعنى : هذه الحروفُ مِن حروفِ المُعْجَمِ ، ذلك الكتابُ الذى وعَدْتُك أن أُوحِيَه إليك . ثم نقَض ذلك مِن قولِه فأسْرع نَقْضَه ، وهدَم ما بنَى فأسْرَع هَدْمَه ، فزعَم أن الرفعَ فى ﴿ هُدًى ﴾ مِن وجهَيْن ، والنصبَ من وجهَيْن ، وأن أحدَ وجهَيِ الرفعِ أن يكونَ ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ نعتًا لـ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ، والهُدى فى موضعِ رفعٍ خبرٌ[4] لـ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ، كأنك قلتَ : ذلك هدًى[5] لا شكَّ فيه . قال : وإن جعَلْتَ ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ خبرَه ، رفَعْتَ أيضًا ﴿ هُدًى ﴾ بجعلِه تابعًا لموضعِ ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، كما قال اللَّهُ جلَّ ثناؤه : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ كأنه قال : وهذا كتابٌ هُدًى ، مِن صفتِه كذا وكذا . قال : وأما أحدُ وجهَيِ النصبِ ، فأن تجعَلَ الكتابَ خبرًا لـ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ وتنْصِبَ ﴿ هُدًى ﴾ على القطعِ ؛ لأن ﴿ هُدًى ﴾ نكرةٌ اتَّصلَت بمعرفةٍ ، وقد تمَّ خبرُها فنصَبْتَها[6] ؛ لأن النكرةَ لا تكونُ دليلًا على معرفةٍ ، وإن شئتَ نصَبْتَ ﴿ هُدًى ﴾ على القطعِ مِن

---

(١) فى م ، ت ٢: « الرافع » .

(٢) يعنى الفراء فى معانى القرآن ١/ ١٠.

(٣) فى م ، ت ٢: « رافع » .

(٤) فى ر : « خبرا » .

(٥) سقط من النسخ ، وأثبتناه من معانى القرآن .

(٦) فى م : « فتنصبها » .

الهاءِ التى فى ﴿ فِيهِ ﴾ ، كأنك قلتَ : لا شكَّ فيه هاديًا .

قال أبو جعفرٍ : فترَك الأصلَ الذى أصَّله فى ﴿ الٓمٓ ﴾ وأنها مرفوعةٌ بـ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ ونبَذه وراءَ ظهرِه ، واللازمُ كان له على الأصلِ الذى أصَّله ألا يُجيزَ الرفعَ فى ﴿ هُدًى ﴾ بحالٍ إلا مِن وجهٍ واحدٍ ، وذلك مِن قِبَلِ الاستئنافِ إذ كان مدْحًا . فأما على وجهِ الخبرِ لـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ، أو على وجهِ الاتباعِ لموضعِ ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، فكان اللازمُ له على قولِه أن يكونَ خطأً ، وذلك أن ﴿ الٓمٓ ﴾ إذا رفَعَتْ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ فلا شكَّ أن ﴿ هُدًى ﴾ غيرُ جائزٍ حينَئذٍ أن يكونَ خبرًا لـ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ بمعنى المرافعِ له ، أو[1] تابعًا لموضعِ ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ؛ لأن موضعَه حينَئذٍ نصبٌ ، لتمامِ الخبرِ قبلَه وانقطاعِه - بمُخالفتِه إياه - عنه[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ .

حدَّثنا سفيانُ بنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن الحسنِ قولَه : ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . قال : اتَّقَوْا ما حُرِّم عليهم ، وأدَّوْا ما افتُرِض عليهم[3] .

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن [١/٢٧ظ] عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . أى : الذين يَحْذَرُون مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ عقوبتَه فى ترْكِ ما يَعْرِفون مِن الهُدَى ، ويَرْجُون رحمتَه بالتصديقِ بما جاء منه[4] .

---

(١) فى ص ، ت ٢ : « و » .

(٢) إعراب القرآن لا يسلك فيه إلا الحمل على أحسن الوجوه ، وأبعدها عن التكلف ، وأسوغها فى لسان العرب ، فكما أن كلام الله أفصح كلام ، فكذلك إعرابه يجب أن يحمل على أفصح الوجوه .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦١/١ عن سفيان الثورى به .

(٤) فى ر ، م : « به » .

والأثر فى سيرة ابن هشام ٥٣٠/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٥/١ (٦٢) من طريق سلمة به .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ / ذكَره عن أبي مالكٍ ، وعن أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ : هم المؤمنون[1] .

١٠٠/١

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ ، قال : سألني الأعمشُ عن « المتقين » ، قال : فأجَبْتُه ، فقال لي : سَلْ عنها الكَلْبيَّ . فسألْتُه فقال : الذين يَجْتَنِبون كبائرَ الإثمِ . قال : فرجَعْتُ إلى الأعمشِ ، فقال : نُرَى[2] أنه كذلك . ولم يُنْكِرْه[3] .

حدَّثني المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ الطبريُّ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : حدَّثنا عمرُ أبو حفصٍ ، عن سعيدِ بنِ أبي عَرُوبةَ ، عن قَتادةَ : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ : مَن هم ؟ نعَتَهم ووصَفَهم فأثْبَت صفتَهم ، فقال : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[4] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ[5] بنُ عُمارةَ[5] ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . قال :

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦١/١ عن السدي به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٤/١، ٢٥ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٥/١ (٦٣) من طريق عمرو، عن أسباط ، عن السدي من قوله .

(٢) في ر : « ترى أي » ، وفي ت ٢: « يرى » .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦٢/١ عن أبي بكر بن عياش به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٥/١ (٦٤) من طريق ابن أبي عروبة به .

(٥ - ٥) في م : « بن عمار » .

للمؤمنين الذين يتَّقُون الشركَ[١] ويَعْمَلون بطاعتى[٢] .

وأوْلَى التأويلاتِ بقولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . تأويلُ مَن وصَف القومَ بأنهم الذين اتَّقَوُا اللَّهَ تبارك وتعالى فى ركوبِ ما نهاهم عن ركوبِه ، فتجَنَّبوا معاصِيَه ، واتَّقوْه فيما أمَرَهم به مِن فرائضِه ، فأطاعوه بأدائِها ، وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أبْهَم[٣] وصفَهم بالتقْوَى ، فلم يَحْصُرْ تَقْواهم إياه على[٤] بعضِ ما هو جلَّ ثناؤه أهلٌ[٤] له[٥] منهم دونَ بعضٍ ، فليس لأحدٍ مِن الناسِ أن يَحْصُرَ معنى ذلك على وصْفِهم بشىءٍ مِن تقوى اللَّهِ عزَّ وجلَّ دون شىءٍ ، إلا بحجةٍ يجبُ التسليمُ لها ؛ لأن ذلك مِن صفةِ القومِ لو كان مَحْصورًا على خاصٍّ مِن معانى التقوى دونَ العامِّ[٦] ، لم يَدَعِ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بيانَ ذلك لعبادِه ، إما فى كتابِه ، وإما على لسانِ رسولِه ﷺ ، إذ لم يَكُنْ فى العقلِ دليلٌ على استحالةِ وصفِهم بعمومِ التقوى .

فقد تبَيَّنَ إذن بذلك فسادُ قولِ مَن زعَم أن تأويلَ ذلك إنما هو الذين اتَّقَوُا الشركَ وبرِئوا مِن النِّفاقِ ؛ لأنه قد يكونُ كذلك وهو فاسقٌ غيرُ مُسْتَحِقٍّ أن يكونَ مِن المتَّقِين ، إلا أن يكونَ عندَ قائلِ هذا القولِ معنى النفاقِ ركوبَ الفَواحِشِ التى حرَّمها اللَّهُ جلَّ ثناؤُه ، وتَضْييعَ فرائضِه التى فَرَضها عليه ، فإن جماعةً مِن أهلِ العلمِ قد كانت تُسَمِّى مَن كان كذلك[٧] مُنافِقًا ، فيكونَ ،

---

(١) بعده فى ص : « بى » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦١/١ عن أبى روق به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٤/١ إلى المصنف .

(٣) سقط من : ص ، وفى م : « إنما » .

(٤ - ٤) فى ص ، م : « بعضها من أهل » .

(٥) زيادة يقتضيها السياق .

(٦) بعده فى م : « منها » .

(٧) فى م : « يفعل ذلك » .

وإن كان مُخالِفًا فى تسميتِه مَن كان كذلك بهذا الاسمِ - مُصِيبًا تأويلَ قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ الرازىُّ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾ . قال : يُصَدِّقون[(١)] .

حدَّثنى يحيى بنُ عثمانَ بنِ صالحٍ السَّهْمىُّ ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾: يُصَدِّقون[(٢)] .

١٠١/١ / **حدَّثنى** المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجَّاجِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ : يَخْشَوْن[(٣)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى الصَّنْعانىُّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن مَعْمَرٍ ، قال : قال الزُّهرىُّ : الإيمانُ العملُ[(٤)] .

وحُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن العَلاءِ ابنِ المُسَيَّبِ بنِ رافعٍ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى الأحوصِ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال :

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٥/١ إلى المصنف وابن إسحاق .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦٢/١ عن على بن أبى طلحة به .

(٣) فى ر : « يخشعون » .
والأثر ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦٢/١ من طريق أبى جعفر به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦٢/١ عن معمر به .

الإيمانُ التصديقُ[(١)] .

ومعنى الإيمانِ عندَ العربِ التصديقُ ، فيُدْعَى المُصَدِّقُ بالشيءِ قولًا مؤمنًا به ، ويُدْعَى المُصَدِّقُ قولَه بفعلِه مؤمنًا ، ومِن ذلك قولُ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [يوسف : ١٧] . يعنى : وما أنت بمُصَدِّقٍ لنا فى قولِنا . وقد تَدْخُلُ الخشيةُ للَّهِ فى معنى الإيمانِ الذى هو تَصديقُ القولِ بالعملِ .

والإيمانُ كلمةٌ جامعةٌ للإقرارِ باللَّهِ وكتبِه ورسلِه ، وتصديقِ الإقرارِ بالفعلِ . فإذ كان ذلك كذلك ، **فالذى هو أولى بتأويلِ الآيةِ وأشبهُ بصفةِ القومِ** أن يَكُونوا موصُوفِين بالتصديقِ بالغيبِ قولًا واعتقادًا وعملًا ؛ إذ كان جلَّ ثناؤُه لم يَحْصُرْهم مِن معنى الإيمانِ على معنًى دونَ معنًى ، بل أجْمَل وصفَهم به ، مِن غيرِ خُصوصِ شيءٍ مِن مَعانِيه أخْرَجَه من صفتِهم بخبرٍ ولا عقلٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ .

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ الرازىُّ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ . قال : بما جاء منه . يعنى مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ : أما « الغيبُ » ، فما غاب عن العبادِ مِن أمرِ الجنَّةِ وأمرِ النارِ ، وما

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٢٥ إلى المصنف مطولا .

ذكرَ اللَّهُ تبارك وتعالى فى القرآنِ ، لم يكنْ تصديقُهم بذلك - يعنى المؤمنين من العربِ - مِن قِبَلِ (١) أصلِ كتابٍ (١) أو عِلْمٍ كان عندَهم (٢) .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوازىُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيرىُّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عاصمٍ ، عن زِرٍّ ، قال : الغيبُ القرآنُ (٣) .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ العَقَدىُّ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَرُوبةَ ، عن قتادةَ [١/ ٢٨و] فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ . قال : آمَنوا بالجنةِ والنارِ والبَعْثِ بعدَ الموتِ وبيومِ القيامةِ ، وكلُّ هذا غيبٌ (٤) .

حُدِّثْتُ عن عمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ : آمَنوا باللَّهِ وملائكتِه ورسلِه واليومِ الآخرِ وجنتِه ونارِه ولقائِه ، / وآمَنوا بالحياةِ بعدَ الموتِ ، فهذا غيبٌ كلُّه (٥) . ١٠٢/١

وأصلُ الغيبِ كلُّ ما غاب عنك مِن شىءٍ ، وهو مِن قولِك : غاب فلانٌ يَغِيبُ غَيْبًا .

وقد اخْتلَف أهلُ التأويلِ فى أعيانِ القومِ الذين أنْزَل اللَّهُ جلَّ ثناؤُه هاتين الآيتَيْن

(١ - ١) فى ص : « أهل الكتاب » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٦٣ عن السدى به مختصرا . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٣٥، ٣٦ (٦٥، ٦٨) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله مختصرا .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٥ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وإلى الطستى فى مسائله عن ابن عباس ، أن نافع بن الأزرق قال له ... فذكره مختصرا .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٣٦ (٦٩) من طريق أبى أحمد الزبيرى به .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٥ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٥ إلى المصنف وابن أبى حاتم عن أبى العالية . وهو عند ابن أبى حاتم ١/ ٣٦ (٦٧) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٦٣ كذلك .

مِن أولِ هذه السورةِ فيهم ، وفى نعتِهم وصفتِهم التى وصَفهم بها مِن إيمانِهم بالغيبِ وسائرِ المعانى التى حوَتْها الآيتان مِن صفاتِهم غيرَه ؛ **فقال بعضُهم** : هم مؤمنو العربِ خاصةً ، دونَ غيرِهم مِن مؤمنى أهلِ الكتابين[1] .

واستَدَلُّوا على صحةِ[2] قولِهم ذلك وحقيقةِ تأويلِهم بالآيةِ التى تَتْلُو هاتين الآيتين ، وهو قولُ اللَّهِ عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ . قالوا : فلم يَكُنْ للعربِ كتابٌ قبلَ الكتابِ الذى أنْزَله اللَّهُ عز وجل على محمدٍ ﷺ ، تَدِينُ بتصديقِه والإقرارِ والعملِ به ، وإنما كان الكتابُ لأهلِ الكتابَيْن غيرِها . قالوا : فلما قصَّ اللَّهُ جلَّ ثناؤه نبأَ الذين يُؤْمِنون بما أُنْزِل إلى محمدٍ وما أُنْزِل مِن قبلِه ، بعدَ اقْتِصاصِه نبأَ المؤمنين بالغيبِ - علِمْنا أن كلَّ صِنْفٍ منهم غيرُ الصنفِ الآخَرِ ، وأن المؤْمنين بالغيبِ نوعٌ غيرُ النوعِ المُصَدِّقِ بالكتابَيْن اللذَّيْن أحدُهما مُنَزَّلٌ على محمدٍ ﷺ ، والآخرُ منهما على مَن قَبلَه [3]مِن رسلِ[3] اللَّهِ عزّ وجلّ .

قالوا : وإذ كان ذلك كذلك ، صحّ ما قلْنا مِن أن تأويلَ قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ . إنما هو[4] : الذين يُؤْمِنون بما غاب عنهم من الجنةِ والنارِ ، والثوابِ والعقابِ ، والبعثِ ، والتصديقِ باللَّهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه ، وجميعِ ما كانت العربُ لا تَدِينُ به فى جاهليَّتِها ، مما[5] أوْجَب اللَّهُ جلَّ ثناؤُه على

---

(١) فى ص ، م : « الكتاب » .

(٢) فى ر : « حقيقة » .

(٣ - ٣) فى ص : « رسول » ، وفى ت ٢ : « من رسول » .

(٤) فى ص ، ت ٢ : « هم » .

(٥) فى م : « بما » .

عبادِه الدَّيْنُونةَ به ، دونَ غيرِهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره **عن** أبي مالكٍ ، **وعن** أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : أما ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ فهم المؤمنون مِن العربِ ، ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ : أما « الغيبُ » ، فما غاب عن العبادِ مِن أمرِ الجنةِ والنارِ ، وما ذكَر اللَّهُ في القرآنِ ، لم يكُنْ تصديقُهم بذلك مِن قِبَلِ أصلِ كتابٍ أو علمٍ كان عندَهم ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ هؤلاء المؤمنون مِن أهلِ الكتابِ(١) .

وقال بعضُهم : بل نزَلَتْ هذه الآياتُ الأربعُ في مؤمني أهلِ الكتابِ خاصةً ؛ لإيمانِهم بالقرآنِ عندَ إخبارِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه إياهم فيه عن الغُيوبِ التي كانوا يُخْفُونها بينَهم ويُسِرُّونها ، فعلِموا عندَ إظهارِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه نبيَّه ﷺ على ذلك منهم في تنزيلِه أنه مِن عندِ اللَّهِ جلَّ وعز ، فآمَنوا بالنبيِّ ﷺ ، وصدَّقوا بالقرآنِ وما فيه مِن الإخبارِ عن الغيوبِ التي لا عِلْمَ لهم بها ؛ لِما استقرَّ عندَهم بالحُجَّةِ التي احْتَجَّ اللَّهُ تبارك وتعالى بها عليهم في كتابِه ، مِن الإخبارِ فيه عمَّا كانوا يَكْتُمونه مِن ضَمائرِهم - أن جميعَ ذلك مِن عندِ اللَّهِ .

١٠٣/١ / **وقال بعضُهم** : بل الآياتُ الأربعُ مِن أولِ هذه السورةِ أُنْزِلَت على محمدٍ ﷺ بوصفِ جميعِ المؤمنين الذين ذلك صفتُهم ، مِن العربِ ، والعجمِ ، وأهلِ الكتابَيْن

---

(١) ينظر ص ٢٤٢ .

سِواهم ، وإنما هذه صفةُ صِنْفٍ مِن الناسِ ، والمؤمنُ بما أنْزَل اللَّهُ على محمدٍ ﷺ وما أُنْزِل مِن قبلِه هو المؤمنُ بالغيبِ .

قالوا : وإنما وصَفهم اللَّهُ بالإيمانِ بما أُنْزِل إلى محمدٍ وبما أُنْزِل إلى مَن قبلَه ، بعدَ تقَضِّى وصفِه إياهم بالإيمانِ بالغيبِ ؛ لأن وصفَه إياهم بما وصَفهم به مِن الإيمانِ بالغيبِ كان مَعْنِيًّا به أنهم يُؤْمنون بالجنةِ والنارِ والبعثِ وسائرِ الأمورِ التى كلَّفهم اللَّهُ جلَّ ثناؤُه الإيمانَ بها[1] ، مما لم يَرَوْه ولم يَأْتِ بعدُ مما هو آتٍ ، دونَ الإخبارِ عنهم أنهم يُؤْمنون بما جاء به محمدٌ ﷺ ومَن قبلَه مِن الرسلِ ومن[2] الكتبِ .

قالوا : فلما كان معنى قولِه : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ . غيرَ موجودٍ فى قولِه : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ . كانت الحاجةُ مِن العبادِ إلى معرفتِهم صفتَهم بذلك ليَعْرفوهم ، نظيرَ حاجتِهم إلى معرفتِهم بالصفةِ التى وُصِفوا بها مِن إيمانِهم بالغيبِ ؛ ليَعْلَموا ما يَرْضَى اللَّهُ مِن أفعالِ عبادِه ، ويُحِبُّه مِن صفاتِهم ، فيَكُونوا به[3] ، إن وفَّقهم له ربُّهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرِو بنِ العباسِ[4] الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ الضَّحَّاكُ ابنُ مَخْلَدٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ مَيْمونٍ المَكِّىُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : أربعُ آياتٍ مِن سورةِ البقرةِ فى نعتِ المؤمنين ، وآيتان[5] فى

---

(١) فى ر ، ت٢ : « به » .

(٢) سقط من : م .

(٣) أى بهذا الوصف .

(٤) فى ص : « العاص » .

(٥) فى ت ٢: « اثنان » ، وغير منقوطة فى ص .

نعتِ الكافرين ، وثلاثَ عشْرةَ فى المنافقين[(١)] .

حدَّثنا سفيانُ بنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مُجاهدٍ بمثلِه[(٢)] .

وحدَّثنى [(٣)] المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ[(٣)] ، قال : حدَّثنا موسى بنُ مسعودٍ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(٤)] .

وحُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، قال : أربعُ آياتٍ مِن فاتحةِ هذه السورةِ - يعنى سورةَ البقرةِ - فى الذين آمنوا ، وآيتان[(٥)] فى قادةِ الأحْزابِ[(٦)] .

وأولى القولين عندى بالصوابِ ، وأشبهُهما بتأويلِ الكتابِ ، القولُ الأولُ ، وهو أن الذين وصَفَهم اللَّهُ تعالى ذِكرُه بالإيمانِ بالغيبِ ، وما وصَفَهم به جلَّ ثناؤُه فى الآيتين الأُوَّلَتَيْن[(٧)] ، غيرُ الذين وصَفهم بالإيمانِ بالذى أُنْزِل على محمدٍ والذى أُنْزِل على[(٨)] مَن قبلَه مِن الرسلِ ؛ لما ذكَرْتُ مِن العللِ [١/٢٨ظ] قبلُ لمن قال ذلك .

ومما يَدُلُّ أيضًا مع ذلك على صحةِ هذا القولِ ، أنه جَنَّس - بعدَ وصفِ المؤمنين

---

(١) تفسير مجاهد ص ١٩٥ ، من طريق ورقاء ، عن ابن أبى نجيح . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٣/١ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن الضريس وابن المنذر . وينظر ما سيأتى فى ص ٢٧٦ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٣/١ إلى وكيع . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٦٧/١ عن الثورى به . وهو فى تفسير الثورى ص ٤١ من قوله .

(٣ - ٣) فى ص : « ابن المثنى » .

(٤) أخرجه النحاس فى القطع والائتناف ص ١١٥ من طريق شبل به .

(٥) فى ص ، ت ٢ : « اثنان » .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٤/١ إلى المصنف .

(٧) فى ت ١ ، ت ٢ : « الأولين » .

(٨) فى ر ، م ، ت ٢ : « إلى » .

بالصفتَيْن اللتين وصَف ، وبعدَ تَصْنيفِه كلَّ صنفٍ منهما على ما صنَّف الكفارَ - جنسين ، فجعَل أحدَهما مطبوعًا على قلبِه ، مختومًا عليه ، مأْيوسًا مِن إيمانِه ، والآخرَ منافقًا يُرائى بإظهارِ الإيمانِ فى الظاهرِ ، ويَسْتَسِرُّ النفاقَ فى الباطنِ ، فصيَّر الكفارَ جنسين ، كما صيَّر المؤمنين فى أولِ السورةِ جنسين ، ثم عرَّف عبادَه نعتَ كلِّ صنفٍ منهم وصفتَهم ، وما أعدَّ لكلِّ فريقٍ منهم مِن ثوابٍ أو عقابٍ ، وذمَّ أهلَ الذمِّ منهم ، وشكَر سعْىَ أهلِ الطاعةِ منهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ .

/ وإقامتُها أداؤُها بحدودِها وفروضِها والواجبِ فيها ، على مَن فُرِضَت عليه ، ١٠٤/١ كما يقالُ : أقام القومُ سُوقَهم . إذا لم يُعَطِّلوها مِن البيعِ والشراءِ فيها . وكما قال الشاعرُ[١] :

أقَمْنا لأهلِ العراقَيْن[٢] سُوقَ الضِّـ ـرابِ فخاموا[٣] وولَّوْا جميعًا

وكما حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ . قال : الذين يقيمون الصلاةَ بفَرضِها[٤] .

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ١٤٦.

(٢) العراقين : البصرة والكوفة .

(٣) فى ص : « فجأمرا » ، وفى م : « خاسوا » .
وخاموا فى الحرب : جبنوا . اللسان (خ ى م) .

(٤) فى ص ، م : « بفروضها » .
والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤/١ (٧٤) من طريق سلمة بن الفضل به .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ قال : إقامةُ الصلاةِ تمامُ الركوعِ والسجودِ ، والتِّلاوةُ ، والخشوعُ ، والإقبالُ عليها فيها[1] .

حدَّثنى يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا جُوَيْبِرٌ ، عن الضحاكِ فى قولِه : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ : يعنى الصلاةَ المفروضةَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ .

وأما الصلاةُ فى كلامِ العربِ فإنها الدعاءُ ، كما قال الأعْشَى[2] :

لها حارسٌ لا يَبْرَحُ الدهرَ بيتَها وإن ذُبِحَت[3] صلَّى عليها وزَمْزَما[4]

يعنى بذلك : دعا لها . وكقولِه[5] الآخرِ أيضًا :

وقابَلَها الرِّيحَ فى دَنِّها[6] وصلَّى على دَنِّها وارْتَسَمْ[7]

وأُرَى أن الصلاةَ المفروضةَ سُمِّيَت صلاةً ؛ لأن المُصَلِّىَ مُتَعَرِّضٌ لاستنجاحِ[8] طَلِبتِه مِن ثوابِ اللَّهِ بعملِه ، مع ما يَسْأَلُ ربَّه فيها مِن حاجاتِه ، تَعَرُّضَ الداعى بدعائِه

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٧/١ إلى المصنف .

(٢) ديوانه ص ٢٩٣.

(٣) يذكر الخمر فى دنها ، يقال : ذبحت الدن : أى بزلته . اللسان (ذ ب ح) .

(٤) الزمزمة : تراطن العلوج عند الأكل وهم صموت ، لا يستعملون اللسان ولا الشفة فى كلامهم ، لكنه صوت تديره فى خياشيمها وحلوقها . اللسان (ز م م) .

(٥) فى ص ، م ، ت ٢: « قول » . والبيت فى ديوان الأعشى ص ٣٥.

(٦) الدن : وعاء ضخم للخمر ونحوها .

(٧) ارتسم الرجل : كبَّر ودعا . اللسان (ر س م) .

(٨) فى ص : « لاستخراج » ، وفى ر ، ت ٢: « استنجاح » .

ربَّه استنجاحَ حاجاتِه وسُؤْلِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ .

اخْتَلَف المُـفسِّرون فى تأويلِ ذلك ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنا** به ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ . قال : يُؤْتُون الزكاةَ احتسابًا لها[(١)] .

حدَّثنى المُثَنَّى[(٢)] ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ . قال : زكاةَ أموالِهم[(٣)] .

حـدَّثنى يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : حـدَّثنا يزيدُ ، قال : أخْبَرَنا جُوَيْبِرٌ ، عن الضحاكِ : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ . قال : كانت النفقاتُ قُرْبانًا[(٤)] يَتَقَرَّبون بها إلى اللَّهِ على قدرِ مَيْسورِهم وجُهْدِهم ، حتى نزَلَت فرائضُ الصدقاتِ ؛ سبعُ آياتٍ فى سورةِ « براءة » ، مما يُذْكَرُ فيهن الصدقاتُ ، هن المُثْبَتاتُ الناسخاتُ[(٥)] .

وقال بعضُهم بما **حدَّثنى** موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال :

---

(١) فى ر ، م ، ت ٢ : « بها » .

والأثر فى سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٠ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٣٧ (٧٧) من طريق سلمة به .

(٢) فى ص : « ابن المثنى » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٦٥ عن على بن أبى طلحة به .

(٤) فى م : « قربات » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٧ إلى المصنف .

حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره عن أبي مالكٍ ، وعن أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ / مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : ١٠٥/١ ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ : هي نفقةُ الرجلِ على أهلِه ، وهذا قبلَ أن تنزِلَ الزكاةُ[1] .

وأولى التأويلاتِ بالآيةِ وأحقُّها بصفةِ القومِ ، أن يكونوا كانوا لجميعِ اللازمِ لهم في أموالِهم مُؤَدِّين ؛ زكاةً كان ذلك أو نفقةَ مَن لزِمته نفقتُه مِن أهلٍ وعِيالٍ وغيرِهم ، ممَّن تَجِبُ عليهم نفقتُه بالقَرابةِ والمِلْكِ وغيرِ ذلك ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه عمَّ وصْفَهم ، إذ وصَفهم بالإنفاقِ مما رزَقهم ، فمدَحهم بذلك مِن صفتِهم ، فكان معلومًا أنهم[2] إذ لم يَخْصُصْ مدْحَهم ووصْفَهم بنوعٍ مِن النفقاتِ المحمودِ عليها صاحبُها دونَ نوعٍ ، بخبرٍ ولا غيرِه - أنهم مَوْصوفون بجميعِ معاني النفقاتِ المحمودِ عليها صاحبُها ، مِن طيبِ ما رزَقهم ربُّهم مِن أموالِهم وأمْلاكِهم ، وذلك الحلالُ منه الذي لم يَشُبْهُ حرامٌ .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ .

قد مضَى البيانُ عن المَنْعوتِين بهذا النعتِ ، وأيُّ أجناسِ الناسِ هم ، غيرَ أنَّا نَذْكُرُ ما رُوِي في ذلك عمن رُوِي عنه في تأويلِه قولٌ ، فحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٦٥/١ عن السدى به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٧/١ إلى المصنف عن ابن مسعود دون آخره . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٨/١ (٧٨) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٢) في ص ، م : « أنه » .

بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ . أى : يُصَدِّقونك بما جئتَ به مِن[1] اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، وبما جاء به مَن قبلَك مِن المُرْسَلِين ، لا يُفَرِّقون بينَهم ، ولا يَجْحَدون ما جاءوهم به مِن[2] ربِّهم[3] .

حدَّثنا موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [١/٢٩و] : هؤلاء المؤمنون مِن أهلِ الكتابِ[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : أما الآخرةُ ، فإنها صفةٌ للدارِ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] . وإنما وُصِفَت بذلك لمصيرِها آخِرةً لأُولَى كان قبلَها ، كما تقولُ للرجلِ : أنْعَمْتُ عليك مرةً بعدَ أخرى ، فلم تَشْكُرْ لى الأُولَى ولا الآخرةَ . وإنما صارت الآخرةُ آخرةً للأولى ؛ لتقدُّمِ الأولى أمامَها ، فكذلك الدارُ الآخرةُ ، سُمِّيَت آخِرةً لتقدُّمِ الدارِ الأولى أمامَها ، فصارت التاليةُ[5] لها آخِرةً . وقد يَجوزُ أن تكونَ [6]وُصِفت بأنها[6] آخرةً ؛ لتأخُّرِها

---

(١) بعده فى ت ٢: « عند » .

(٢) بعده فى ص ، م ، ت ٢: « عند » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٥٣٠، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٣٨ (٨٠) من طريق سلمة به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٦٧ عن السدى به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٣٨ (٨٣) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٥) فى ص : « الثانية » .

(٦ - ٦) فى ص ، م : « سميت » .

عن الخلقِ ، كما سُمِّيَت الدنيا دنيا[(١)] ؛ لدُنُوِّها مِن الخلقِ .

وأما الذى وصَف اللَّهُ جلَّ ثناؤُه به المؤمنين بما أَنْزَل إلى[(٢)] نبيِّه محمدٍ ﷺ ، وما أَنْزَل إلى مَن قبلَه مِن المُرْسَلِين - مِن إيقانِهم به مِن أمرِ الآخِرةِ - فهو إيقانُهم بما كان المُشْرِكون به جاحِدِين ، مِن البَعْثِ والنشرِ ، والثوابِ والعقابِ ، والحسابِ والميزانِ ، وغيرِ ذلك مما أعَدَّ اللَّهُ لخلقِه يومَ القيامةِ .

١٠٦/١ / كما حدَّثنا به محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ ابنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ . أى : بالبَعْثِ والقِيامةِ ، والجنةِ والنارِ ، والحسابِ والميزانِ ، أى لا هؤلاء الذين يَزْعُمون أنهم آمنوا بما كان قبلَك ، ويَكْفُرون بما جاءك مِن ربِّك[(٣)] .

وهذا التأويلُ مِن ابنِ عباسٍ قد صرَّح عن أن السورةَ مِن أولِها - وإن كانت الآياتُ التى فى أولِها مِن نعتِ المؤمنين - تَعْريضٌ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ بذمِّ الكفارِ أهلِ الكتابِ ، الذين زعَموا أنهم بما جاءَت به رسلُ اللَّهِ عز وجل الذين كانوا قبلَ محمدٍ ﷺ - مُصَدِّقون ، وهم بمحمدٍ ﷺ مُكَذِّبون ، ولِمَا جاء به مِن التنزيلِ جاحدون ، ويدَّعون ، مع جُحودِهم ذلك ، أنهم مُهْتَدون ، وأنه لن يَدْخُلَ الجنةَ إلا مَن كان هُودًا أو نَصارَى ، فأكْذَبَ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه ذلك مِن قِيلِهم بقولِه : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ

(١) فى ص : « قريبا » .

(٢) فى ر : « على » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٣٠/١، ٥٣١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٨/١(٨٢) من طريق [سل]مة به .

ﵟالصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَﵞ . وأخبَر جلَّ ثناؤُه عبادَه أن هذا الكتابَ هُدًى لأهلِ الإيمانِ بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به ، المُصدِّقين بما أُنزِل إليه وإلى مَن قبلَه مِن رسلِه مِن البيناتِ والهدى ، خاصَّةً دون مَن كذَّب بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به ، وادَّعى أنه مُصَدِّقٌ بمَن قبلَ محمدٍ ﷺ مِن الرسلِ ، وبما جاء به مِن الكتبِ ، ثم أكَّد جلَّ ثناؤُه أمرَ المؤمنين مِن العربِ ومِن أهلِ الكتابِ المُصدِّقِين بمحمدٍ ﷺ وبما أُنْزِل إليه وإلى مَن قبلَه مِن الرسلِ بقولِه : ﵟأُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَﵞ . فأخْبَر أنهم هم أهلُ الهدى والفلاحِ خاصَّةً دون غيرِهم ، وأن غيرَهم هم أهلُ الضلالِ والخَسارِ .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﵟأُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖﵞ .

اختلَف أهلُ التأويلِ في مَن عَنَى اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﵟأُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖﵞ ؛ **فقال بعضُهم** : عَنَى بذلك أهلَ الصِّفتَيْن المتقدمتَيْن ، أعْني المؤمنين بالغيبِ مِن العربِ ، والمؤمنين بما أُنْزِل إلى محمدٍ ﷺ وإلى مَن قبلَه مِن الرسلِ ، وإياهم جميعًا وصَف بأنهم على هُدًى منه ، وأنهم هم المُفْلِحون .

ذكْرُ مَن قال ذلك مِن أهلِ التأويلِ

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره **عن** أبي مالكٍ ، **وعن** أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : أما ﵟٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِﵞ فهم المؤمنون مِن العربِ ، ﵟوَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَﵞ المؤمنون مِن أهلِ الكتابِ ، ثم جمَع الفريقَيْن ، فقال : ﵟأُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

١٠٧/١ / وقال بعضُهم : بل عنَى بذلك المتقين الذين يُؤْمِنون بالغيبِ ، وهم الذين يؤمنون بما أُنْزِل إلى محمدٍ ﷺ وبما أُنْزِل إلى مَن قبلَه مِن الرسلِ .

وقال آخرون : بل عنَى بذلك الذين يؤمنون بما أُنْزِل إلى محمدٍ ﷺ وبما أُنْزِل إلى مَن قبلَه ، وهم مُؤمنو أهلِ الكتابِ الذين صدَّقوا بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به ، وكانوا مؤمنين مِن قبلُ بسائرِ الأنبياء والكتبِ .

وعلى هذا التأويلِ[2] الآخرِ يَحتَمِلُ أن يكونَ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ فى مَحَلِّ خفضٍ ، ومَحَلِّ رفعٍ ؛ فأما الرفعُ فيه فإنه يَأْتِيها مِن وجهَيْن ؛ أحدُهما ، مِن قِبَلِ العطفِ على ما فى ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ مِن ذِكْرِ ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ والثانى ، أن يكونَ خبرًا[3] مبتدأً ، ويكونَ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ . مرافعَها .

وأما الخفضُ ، فعلى العطفِ على « المتَّقِينَ » وإذا كانت معطوفةً على ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ اتَّجَه لها وجهان مِن المعنى ؛ أحدُهما ، أن تكونَ هى و﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ الأولى مِن صفةِ المتقين . وذلك على تأويلِ مَن رأى أن الآياتِ الأربعَ بعدَ ﴿ الٓمٓ ﴾ نزَلت فى صِنفٍ واحدٍ مِن أصنافِ المؤمنين . والوجهُ الثانى ، أن تكونَ ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ الثانيةُ معطوفةً فى الإعرابِ على « المتَّقين » بمعنى الخفضِ ، وهم فى المعنى صنفٌ غيرُ

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦٩/١ عن السدى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٥/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٣٥، ٣٨، ٤٠ (٦٥، ٨٣، ٨٩) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٢) فى ص : « الوجه » .

(٣) فى ص ، م : « خبر » . والمقصود : أن يكون خبرا مقدما .

الصنفِ الأولِ . وذلك على مذهبِ مَن رأَى أن الذين نزَلَت فيهم الآيتان الأوَّلتان مِن المؤمنين بعدَ قولِه : ﴿ الٓمٓ ﴾ . غيرُ الذين نزَلَت فيهم [١/ ٢٩ظ] الآيتان الآخِرتان اللتان تَلِيانِ الأوَّلتَيْن[1] .

وقد يَحْتَمِلُ أن تكونَ ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ الثانيةُ مرفوعةً فى هذا الوجهِ بمعنى الائتنافِ[2] ، إذ كانت مُبْتَدَأً بها بعدَ تَمامِ آيةٍ وانْقِضاءِ قِصَّةٍ . وقد يَجوزُ الرفعُ فيها أيضًا بنيةِ الائتنافِ[2] ، إذ كانت فى مبتدأ آيةٍ ، وإن كانت مِن صفةِ المتقين .

فالرفعُ إذن يَصِحُّ فيها مِن أربعةِ أوجهٍ ، والخفضُ مِن وجهين .

وأولَى التأويلاتِ عندى بقولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ . ما ذكَرْتُ مِن قولِ ابنِ مسعودٍ وابنِ عباسٍ ، وأن تكونَ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارةً إلى الفريقَيْن ، أعْنى المتّقين ، و ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ ، وتكونَ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ مرفوعةً بالعائدِ مِن ذكرِهم فى قولِه : ﴿ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ . وأن تكونَ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الثانيةُ معطوفةً على ما قبلُ مِن الكلامِ ، على ما قد بيَّنَّاه .

وإنما رأَيْنا أن ذلك أولى التأويلاتِ بالآيةِ ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه نعَت الفريقَيْن بنعتِهم المحمودِ ، ثم أثْنَى عليهم ، فلم يكنْ عز وجل لِيَخُصَّ أحدَ الفريقَيْن بالثناءِ مع تَساوِيهما فيما اسْتَحَقَّا به الثناءَ مِن الصفاتِ ، كما غيرُ جائزٍ فى عدلِه أن يَتَساوَيا فيما يَسْتَحِقَّان به الجزاءَ مِن الأعمالِ ، فيَخُصَّ أحدَهما بالجزاءِ دونَ الآخرِ ، ويَحْرِمَ الآخرَ جزاءَ عملِه ، فكذلك سبيلُ الثناءِ

---

(١) فى ص ، ر ، ت ٢: « الأولين » .

(٢) فى م : « الاستئناف » وهما بمعنى .

بالأعمالِ ؛ لأن الثناءَ أحدُ أقسامِ الجزاءِ .

وأما معنى قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ . فإن معنى ذلك أنهم على نورٍ مِن ربِّهم ، وبرهانٍ واستقامةٍ وسَدادٍ ، بتسديدِ اللَّهِ إياهم ، وتوفيقِه لهم .

كما **حدَّثنى** ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ . أى : على نورٍ مِن ربِّهم ، واستقامةٍ على ما جاءهم[(1)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾ .

١٠٨/١ / وتأويلُ قولِه : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ . أىْ : أولئك هم المُنْجِحون المُدْرِكون ماطلَبوا عندَ اللَّهِ تعالى ذكرُه ، بأعمالِهم وإيمانِهم باللَّهِ وكتبِه ورسلِه ، مِن الفَوْزِ بالثوابِ ، والخلودِ فى الجِنَانِ ، والنَّجاةِ مما أعدَّ اللَّهُ تبارك وتعالى لأعدائِه مِن العِقابِ .

كما **حدَّثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنا ابنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أى : الذين أدْرَكوا ما طلَبوا ، ونجَوْا مِن شرِّ ما منه هرَبوا[(2)] .

ومِن الدلالةِ على أن أحدَ معانى الفلاحِ إدراكُ الطَّلِبةِ والظَّفَرِ بالحاجةِ ، قولُ لَبيدِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٣١/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٩/١(٨٤) من طريق سلمة به .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٣١/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٩/١(٨٨) من طريق سلمة به .

ابنِ رَبيعةَ[١] :

اعْقِلِى إن كُنْتِ لمَّا تَعْقِلى ولقد أفْلَح مَن كان عَقَلْ

يعنى : ظفِر بحاجتِه وأصاب خيرًا . ومنه قولُ الراجزِ[٢] :

عَـدِمْـتُ أُمَّـا ولَـدَتْ ريـاحَـا[٣]

جاءَتْ به مُفَرْكَحًا فِرْكاحَا[٤]

تَحْسبُ أن قد ولَدَت نَجاحَا

أَشْهَدُ لايَزِيدُها فَلاحَا

يعنى : خيرًا وقربًا مِن حاجتِها .

والفَلَاحُ مصدرٌ مِن قولِك : أفْلَح فلانٌ يُفْلِحُ إفلاحًا ، وفَلاحًا ، وفَلَحًا . والفلاحُ أيضًا البقاءُ . ومنه قولُ لبيدٍ[٥] :

نَحُلُّ بلادًا كلُّها حُلَّ قبلَنا ونَرْجُو الفلاحَ بعدَ عادٍ وحِمْيَرِ

يريدُ : البقاءَ . ومنه أيضًا قولُ عَبيدٍ[٦] :

أَفْلِحْ بما شئتَ فقد يُدْرَكُ[٧] بالضَّعْـ ـفِ وقد يُخْدَعُ الأرِيبُ

يريدُ : عِشْ وابْقَ بما شئتَ . وكذلك قولُ نابغةِ بنى ذُبْيانَ[٨] :

---

(١) شرح ديوان لبيد ص ١٧٧.

(٢) البيت الثانى منه فى اللسان (فركح) غير منسوب .

(٣) فى م : « رباحا » .

(٤) الفركحة : تباعد ما بين الأليتين . اللسان (فركح) .

(٥) شرح ديوان لبيد ص ٥٧.

(٦) ديوانه ص ١٤.

(٧) فى م : « يبلغ » .

(٨) ديوانه ص ٢١٤.

وكلُّ فتًى ستَشْعَبُه شَعُوبٌ[١] وإن أَثْرَى وإن لاقَى فَلاحَا

أى : نجاحًا بحاجتِه وبقاءً .

القولُ فى تأويلِ قولِه جَلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ .

اختَلَف أهلُ التأويلِ فى مَن عُنِى بهذه الآيةِ ، وفى مَن نزَلت ؛ فكان ابنُ عباسٍ يقولُ كما حدَّثنا به محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفَضْلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مَوْلَى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ ابنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . أَىْ : بما أُنْزِل إليك مِن ربِّك ، وإنْ قالوا : إنَّا قد آمنَّا بما[٢] جاءَنا مِن قَبْلِك[٣] .

فكان ابنُ عباسٍ يَرى أنَّ هذه الآيةَ نزَلت فى اليهودِ الذين كانوا بنواحِى المدينةِ على عَهْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ توبيخًا لهم فى جُحودِهم نبوَّةَ محمدٍ ﷺ ، وتكذيبِهم به ، مع علمِهم به ومعرفتِهم بأنه رسولُ اللَّهِ إليهم وإلى الناسِ كافَّةً .

١٠٩/١ /وقد حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مَوْلَى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ صدرَ سورةِ البقرةِ إلى المائةِ منها نزَل فى رجالٍ سمَّاهم بأعيانِهم وأنسابِهم مِن أحبارِ يهودَ ، ومِن المنافقين مِن الأوسِ والخَزْرَجِ[٤] . كرِهنا تطويلَ الكتابِ بذكرِ أسمائِهم .

---

(١) الشعوب : المنية . القاموس المحيط (ش ع ب) .

(٢) بعده فى م : « قد » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٠/١(٩٢) من طريق سلمة به .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٣٠/١، ٥٣١ . وسيأتى تمامه فى ص ٢٧٢، ٢٧٥ .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ فى تأويلِ ذلك قولٌ آخرُ ، وهو ما **حدَّثنى** به المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، (١) قال :حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ (١) ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَحرِصُ على أنْ يؤمنَ جميعُ الناسِ ويتابعوه على الهُدَى ، فأخْبَره اللَّهُ جَلَّ ثناؤُه أنَّه لا يؤمنُ إلَّا مَن سبَق له مِن اللَّهِ السعادةُ فى الذِّكْرِ الأولِ ، ولا يَضِلُّ إلَّا مَن سَبق له مِن اللَّهِ الشقاءُ [١/ ٣٠و] فى الذِّكْرِ الأولِ(٢) .

وقال آخرون بما **حُدِّثت** به عن عمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ ، قال : آيتان فى قادةِ الأحزابِ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ قال : وهم الذين ذكَرهم اللَّهُ فى هذه الآيةِ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ [إبراهيم : ٢٨، ٢٩] . قال : فهم الذين قُتِلوا يومَ بدرٍ(٣) .

وأَوْلَى هذه التأويلاتِ بالآيةِ تأويلُ ابنِ عباسٍ الذى ذكَره محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عنه ، وإن كان لكلِّ قولٍ مما قاله الذين

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/ ١٢٨٤، ١٣٧١، ١٣٨٥ (٧٢٥٠، ٧٧٨٥، ٧٨٧٥)، والطبرانى فى الكبير (١٣٠٢٥) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (١٣٩) من طريق عبد اللَّه بن صالح به . وعند البيهقى مطولا بذكر آيات أخر .

(٣) سيأتى تمامه فى ص ٢٧٧ من طريق آخر عن ابن أبى جعفر به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٤٠ (٩٣) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية . وكذلك ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٧٠ عن أبى جعفر به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٩ إلى ابن المنذر عن أبى العالية مطولا .

ذكَرنا قولَهم في ذلك مَذْهبٌ .

فأمَّا مَذْهبُ مَن تأوَّل في ذلك ماقاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ ، فهو أنَّ اللَّهَ تعالى ذِكْرُه لما أخْبَر عن قومٍ من أهلِ الكفرِ بأنهم لايؤمنون ، وأنَّ الإنذارَ غيرُ نافعِهم ، ثم كان مِن الكفارِ مَن قد نفَعه اللَّهُ بإنذارِ النبيِّ ﷺ إيَّاه ؛ لإيمانِه باللَّهِ وبالنبيِّ ﷺ وما جاء به مِن عندِ اللَّهِ بعدَ نزولِ هذه السورةِ ، لم يَجُزْ أن تكونَ الآيةُ نزَلَت إلَّا في خاصٍّ مِن الكفارِ ، وإذ كان ذلك كذلك ، وكانت قادةُ الأحزابِ لا شكَّ أنهم ممن لم يَنْفَعْه اللَّهُ عزَّ وجلَّ بإنذارِ النبيِّ ﷺ إيَّاه ، حتى قتَلهم اللَّهُ تبارَك وتعالَى بأيدى المؤمنين يومَ بدرٍ ، عُلِم أنهم ممن عَنى اللَّهُ جَلَّ ثناؤُه بهذه الآيةِ .

وأمَّا عِلَّتُنا في اختيارِنا ما اخْترنا مِن التأويلِ في ذلك ، فهى أن قولَ اللَّهِ جَلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . عَقِيبَ خبرِ اللَّهِ جَلَّ ثناؤُه عن مؤمنى أهلِ الكتابِ ، وعَقِيبَ نعتِهم وصفتِهم ، وثنائِه عليهم بإيمانِهم به ، وبكتبِه ورسلِه ، فأَوْلَى الأمورِ بحكمةِ اللَّهِ أن يُتْلِيَ ذلك الخبرَ عن كُفَّارِهم ونعوتِهم ، وذمَّ أسبابِهم وأحوالِهم ، وإظهارَ شتمِهم ، والبراءةَ منهم ؛ لأنَّ مؤمنيهم ومشركيهم وإن اخْتَلَفت أحوالُهم باختلافِ أديانِهم ، فإنَّ الجنسَ يَجْمَعُ جميعَهم بأنهم بنو إسرائيلَ .

وإنما احتجَّ اللَّهُ جَلَّ ثناؤُه بأولِ هذه السورةِ لنبيِّه ﷺ على مشركى اليهودِ مِن أحبارِ بنى إسرائيلَ الذين كانوا مع علمِهم بنبوَّتِه مُنْكِرين نبوَّتَه ، بإظهارِ نبيِّه ﷺ على ما كانت/ تُسِرُّه الأحبارُ[1] منهم وتَكْتُمُه ، فيَجْهَلُه عُظْمُ اليهودِ وتَعْلَمُه الأحبارُ منهم ؛ ليَعْلَموا أن الذى أطْلَعه على علمِ ذلك هو الذى أَنْزَل الكتابَ على موسى عليه ١١٠/١

(١) فى ر ، ت ٢: «الأخبار» .

السلامُ ؛ إذ كان ذلك مِن الأمورِ التى لم يكنْ محمدٌ ﷺ ولا قومُه ولا عشيرتُه يَعْلَمونه ، ولا يَعْرِفونه مِن قبلِ نزولِ الفرقانِ على محمدٍ ﷺ ، فيُمْكِنَهم ادعاءُ اللَّبْسِ فى أمرِه ﷺ أنَّه نبىٌّ ، وأن ما جاء به فمِن عندِ اللَّهِ . وأنَّى يُمْكِنُهم ادعاءُ اللَّبْسِ فى صدقِ أُمِّىٍّ نشَأ بيْن أُمِّيِّين ، لا يَكْتُبُ ، ولا يَقْرأُ ، ولا يَحْسُبُ ، فيقال : قرَأ الكتبَ فعلِم . أو : حسَب فنَجَّم ؟ [(١] انْبَعث على أحبارٍ قَرَأَةٍ كَتَبَةٍ [١)] ، قد درَسوا الكتبَ ، ورأَسوا الأمَمَ ، يُخْبِرُهم عن مستورِ عيوبِهم ، ومَصونِ علومِهم ، ومكتومِ أخبارِهم ، وخَفِيّاتِ أمورِهم التى جهِلها مَن هو دونَهم مِن أحبارِهم . إن أمْرَ مَن كان كذلك لغيرُ مُشْكِلٍ ، وإنَّ صِدقَه ، والحمدُ للَّهِ ، لَبيِّنٌ .

ومما يُنْبِئُ عن صحَّةِ ما قلنا - من أنَّ الذين عَنى اللَّهُ تعالى ذِكْرُه بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ . هم أحبارُ اليهودِ الذين قُتِلوا على الكفرِ وماتوا عليه - اقتصاصُ اللَّهِ تعالى ذِكْرُه نبأَهم ، وتذكيرُه[(٢)] إيَّاهم ما أخَذ عليهم مِن العهودِ والمواثيقِ فى أمرِ محمدٍ ﷺ بعدَ اقتصاصِه تعالى ذِكْرُه ما اقْتَصَّ مِن أمرِ المنافقين ، واعتراضِه بينَ[(٣)] ذلك بما[(٤)] اعْتَرض به مِن الخبرِ عن إبليسَ وآدمَ فى قولِه : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة : ٤٠] الآيات . واحتجاجُه لنبيِّه عليهم [(٥] بما احْتَجَّ به عليهم [٥)] فيها عندَ[(٦)] جُحودِهم نبوَّتَه . فإذ كان الخبرُ أولًا عن مؤمنى أهلِ الكتابِ ،

(١ - ١) فى م : « وانبعث على أخبار قراء كتب » .
(٢) فى ر : « بذكره » .
(٣) فى ص : « من » .
(٤) فى ص : « لما » .
(٥ - ٥) سقط من : ر .
(٦) فى ص ، م : « بعد » .

وآخرًا عن مشركيهم ، فأَوْلَى أن يكونَ وَسَطًا عنهم ، [١] إذ كان الكلامُ بعضُه لبعضٍ تَبَعٌ ، إلا أنْ تأْتِيَ [٢][١] دَلالةٌ واضحةٌ بعدولِ بعضِ ذلك عما ابْتَدَأ به مِن معانيه ، فيكونَ معروفًا حينَئذٍ انصرافُه عنه .

وأما معنى الكفرِ فى قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ . فإنه الجُحودُ ، وذلك أن الأحبارَ مِن يهودِ المدينةِ جحَدوا نبوَّةَ محمدٍ ﷺ ، وستَروه عن الناسِ ، وكتَموا أمرَه ، وهم يَعْرِفونه كما يَعْرِفون أبناءَهم .

وأصلُ الكفرِ عندَ العربِ تغطيةُ الشىءِ ، ولذلك سَمَّوُا الليلَ كافرًا ؛ لتغطيةِ ظُلْمتِه ما لبِسَته ، كما قال الشاعرُ [٣] :

فتذَكَّرَا ثَقَلًا [٤] رَثيدًا [٥] بَعْدَما ... أَلْقَتْ ذُكاءُ [٦] يَمينَها فى كافِرِ

وكما قال لَبيدُ بنُ ربيعةَ [٧] :

* فى لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجومَ غَمامُها *

يعنى : غَطَّاها .

فكذلك الأحبارُ مِن اليهودِ ، غطَّوا أمرَ محمدٍ ﷺ وكتَموه الناسَ ، مع علمِهم بنبوَّتِه ووجودِهم صفتَه فى كتبِهم ، فقال اللَّهُ جَلَّ ثناؤُه فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى م : « تأتيهم » .

(٣) هو ابن صعير المازنى ، كما فى المفضليات ص ١٣٠.

(٤) الثقل : بيض النعام المصون . اللسان (ث ق ل) .

(٥) الطعام الرثيد : المنَضَّد بعضه فوق بعض ، أو بعضه إلى جنب بعض . ينظر اللسان (ر ث د) .

(٦) الذُّكاء : اسم للشمس . اللسان (ذ ك و) .

(٧) شرح ديوان لبيد ص ٣٠٩.

﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] . وهم الذين أنزل الله عزَّ وجلَّ فيهم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جَلَّ ثناؤه : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ⑥﴾ .

/ وتأويلُ ﴿سَوَاءٌ﴾ : معتدلٌ . مأخوذٌ مِن التَّساوى ، كقولِك : مُتساوٍ هذان الأمران عندِى ، وهما عندى سواءٌ . أى : هما متعادلان عندى . ومنه قولُ اللهِ جَلَّ ثناؤه : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨] . يعنى بذلك[(1)] : أعْلِمْهم وآذِنْهم بالحربِ ، حتى يَستوىَ [(2)] علمُك وعلمُهم [(2)] بما عليه كلُّ فريقٍ منهم للفريقِ الآخرِ . فكذلك قولُه : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ : معتدلٌ عندهم أىُّ الأمرين كان منك إليهم ، الإنذارُ أم تركُ الإنذارِ ؛ لأنهم [١/٣٠ظ] لا يؤْمِنون ، وقد خَتَمْتُ على قلوبِهم وسمعِهم . ومِن ذلك قولُ عبدِ اللهِ[(3)] بنِ قيسِ الرُّقَيَّاتِ[(4)] : ١١١/١

تقدَّت[(5)] بِىَ الشَّهْباءُ[(6)] نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا ونَهَارُهَا

يعنى بذلك : معتدلٌ عندَها فى السيرِ الليلُ والنهارُ ؛ لأنه لا فُتورَ فيه . ومنه قولُ الآخرِ[(7)] :

---

(١) زيادة من : ر .

(٢ - ٢) فى ص : « عليك وعليهم » .

(٣) كذا فى النسخ . وهو مختلف فيه ، والراجح أنه عبيد الله ، وينظر البداية والنهاية ١٢/١٧٥ حاشية (٧) .

(٤) ديوانه ص ٨٢.

(٥) فى م : « تغذُّ » ، وهما بمعنى ، قدى الفرس : أسرع . اللسان (ق د ى) .

(٦) الشهبة فى الخيل : لون بياض ، يصدعه سواد فى خلاله . اللسان (ش هـ ب) .

(٧) البيت للأعشى فى ديوانه ص ٣٧٣. ونسبه ابن الشجرى فى الحماسة ٢/ ٧١٠، ٧٢٨، والنويرى فى نهاية الأرب ١/ ١٤٢، إلى مضرس بن ربعى ، ونسبه المرزوقى فى الأزمنة والأمكنة ٢/٢٣٣ إلى مضرس بن لقيط ، ونسبه الحصرى فى زهر الآداب ٢/٧٥١ إلى ابن محكان السعدى .

وَلَيْلٍ يقولُ المَرْءُ مِن ظُلُماتِه سَواءٌ صَحِيحاتُ[(١)] العُيُونِ وعُورُها

لأن الصحيحَ لا يُبْصِرُ فيه إلا بَصَرًا ضعيفًا مِن ظُلْمتِه .

وأمَّا قولُه : ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . فإنه ظهَر به الكلامُ ظهورَ الاستفهامِ وهو خبرٌ ؛ لأنه وقَع مَوْقِعَ « أيّ » ، كما تقولُ : ما نُبالى أقُمْتَ أم قَعَدْتَ . وأنت مخبرٌ لا مستفهمٌ ؛ لوقوعِ ذلك موقعَ « أَىّ » ، وذلك أن معناه إذا قلتَ ذلك : ما نبالى أىُّ هذين كان منك . فكذلك ذلك فى قولِه : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ . لما كان معنى الكلامِ : سواءٌ عليهم أىُّ هذين كان منك إليهم . حسُن فى موضعِه مع ﴿ سَوَآءٌ ﴾ : أفعَلْتَ أَم لم تَفْعَلْ .

وقد كان بعضُ نحوِيِّى أهلِ البصرةِ يَزْعُمُ أن حرفَ الاستفهامِ إنما دخَل مع ﴿ سَوَآءٌ ﴾ وليس باستفهامٍ ؛ لأن المُسْتَفهِمَ إذا اسْتَفْهَم غيرَه فقال : أزيدٌ عندَك أَمْ[(٢)] عمرٌو ؟ مستثبِتٌ صاحبَه أيُّهما عندَه ، فليس أحدُهما أحقَّ بالاستفهامِ مِن الآخرِ . فلما كان قولُه : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ . بمعنى التسويةِ ، أشْبهَ ذلك الاستفهامَ ، إذ أشْبَهه فى التسويةِ . وقد بيَّنَّا الصوابَ فى ذلك .

فتأويلُ الكلامِ إذن : معتدلٌ يا محمدُ على هؤلاء الذين جحَدوا نبوَّتَك مِن أحبارِ يهودِ المدينةِ بعدَ علمِهم بها ، وكتَموا بيانَ أمرِك للناسِ بأنك رسولى إلى خلقى ، وقد أخذتُ عليهم العهدَ والميثاقَ ألا يَكْتُموا ذلك ، وأن يبيِّنوه للناسِ ، ويُخْبِروهم أنهم يجِدون صفتَك فى كتبِهم - أأَنْذَرتَهم أم لم تُنْذِرْهم فإنهم لا يؤمنون ، ولا يَرْجِعون إلى الحقِّ ، ولا يُصَدِّقون بك وبما جئتَهم به .

---

(١) فى ديوان الأعشى : « بصيرات » .

(٢) فى ص : « أو » .

كما حدَّثنا محمدُ بنُ حميدٍ ، قال : حدثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مَوْلَى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ ابنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ : أى أنهم قد كفَروا بما عندَهم[1] مِن ذِكْرٍ ، وجحَدوا ما أُخِذ عليهم مِن الميثاقِ لك ، فقد كفَروا بما جاءك ، وبما عندَهم مما جاءهم به غيرُك ، فكيف يَسْمَعون منك إنذارًا وتحذيرًا وقد كفَروا بما عندَهم مِن علمِك[2] ؟

/ القولُ فى تأويلِ قولِه عزّ وجَلَّ : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ . ١١٢/١

قال أبو جعفرٍ : وأصلُ الخَتْمِ الطَّبْعُ . والخاتَمُ هو الطَّابَعُ . يقالُ منه : خَتَمْتُ الكتابَ . إذا طَبَعْتَه .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف يَخْتِمُ على القلوبِ ، وإنما الختمُ طبعٌ على الأوعيةِ والظروفِ والغُلُفِ[3] ؟

قيل : فإن قلوبَ العبادِ أوعيةٌ لما أُودِعت مِن العلومِ ، وظروفٌ لما جُعِل فيها مِن المعارفِ بالأمورِ[4] . فمعنى الختمِ عليها وعلى الأسماعِ التى بها تُدْرَكُ المسموعاتُ ، ومِن قِبَلِها يُوصَلُ إلى معرفةِ حقائقِ الأنباءِ عن المغيَّباتِ - نظيرُ معنى الختمِ على سائرِ الأوعيةِ والظروفِ .

فإن قال : فهل لذلك مِن صفةٍ تصِفُها لنا فنفْهَمَها أهى مثلُ الختمِ الذى يُعْرَفُ[5]

---

(١) بعده فى م : « من العلم » .

(٢) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٢٥٨ .

(٣) الغلف جمع الغلاف : وهو الصوان وما اشتمل على الشىء . اللسان (غ ل ف) .

(٤) فى ص : « بالعلوم » .

(٥) فى ر : « نعرف » .

لما ظهَر للأبصارِ ، أم هى بخلافِ ذلك ؟

قيل : **قد اخْتَلَف أهلُ التأويلِ** فى صفةِ ذلك ، وسنُخْبِرُ بصفتِه بعدَ ذكرِنا قولَهم ؛ **فحدَّثنى** عيسى بنُ عثمانَ بنِ عيسى الرَّمْلىُّ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ عيسى ، عن الأعمشِ ، قال : أرانا مجاهدٌ بيدِه ، فقال : كانوا يُرَوْن أن القلبَ فى مثلِ هذا - يعنى الكفَّ - فإذا أذْنَب العبدُ ذنبًا ضُمَّ منه - وقال بإصْبَعِه الخِنْصَرِ هكذا - فإذا أذْنَب ضُمَّ - وقال بإصْبَعٍ أخرى - فإذا أذنَب ضُمَّ - وقال بإصبَعٍ أخرى هكذا - حتى ضَمَّ أصابعَه كلَّها . قال : ثم يُطْبَعُ عليه بطابَعٍ . قال مجاهدٌ : وكانوا يُرَوْن أن ذلك الرَّيْنُ .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ ، عن الأعمشِ ، عن مجاهدٍ ، قال : القلبُ مثلُ الكفِّ ، فإذا أذْنَب ذنبًا قبَض إصْبَعًا حتى يَقْبِضَ أصابعَه كلَّها ، وكان أصحابُنا يُرَوْن أنه الرانُ .

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : حدَّثنا ابنُ جُريجٍ ، قال : قال مجاهدٌ : نُبِّئت أن الذنوبَ على القلبِ تَحُفُّ به مِن نواحيه حتى تلتقىَ عليه ، فالتقاؤُها عليه الطبعُ ، والطبعُ الختمُ . قال ابنُ جُريجٍ : الختمُ ، الختمُ على القلبِ والسمعِ [(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ كَثيرٍ أنه سمِع مجاهدًا يقولُ : الرانُ أيسرُ مِن الطبعِ ، والطبعُ أيسرُ مِن الأقفالِ ، والأقفالُ أشدُّ ذلك كلِّه [(٢)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤١/١ (٩٩) من طريق حجاج به .

(٢) أخرجه البيهقى فى الشعب (٧٢١٠) من طريق حجاج به .

وقال بعضُهم : إنما معنى قولِه : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ . إخبـارٌ مِن اللَّهِ جَلَّ ثناؤُه عن تكبرِهم وإعراضِهم عن الاستماعِ لِما دُعوا إليه مِن الحقِّ ، كما يقالُ : إن فلانًا لأصمٌّ عن هذا الكلامِ . إذا امْتَنَع مِن سماعِه ، ورفَع نفسَه عن تفهُّمِه تكبرًا .

والحقُّ في ذلك عندى ماصحَّ بنظيرِه الخبرُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وهو ما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ بَشارٍ ، قال : حدثَّنا صفوانُ بنُ عيسى ، قال : حدَّثنا ابنُ عَجْلانَ ، عن القَعْقاعِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ المؤْمنَ إذا أذْنَب ذَنْبًا كانت نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فى قلبِه ، فإنْ تاب ونزَع واسْتَغفر صُقِل[(١)] قلبُه ، فإنْ زاد زادت حتى تُغْلِقَ[(٢)] قلبَه ، فذلك الرَّانُ الـذى قال اللَّهُ جَلَّ ثَناؤُه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ / يَكْسِبُونَ ﴾ » [المطففين : ١٤] . ١١٣/١

فأخبَر ﷺ أن الذنوبَ إذا تَتابعت على القلوبِ أغْلَقَتْها[(٣)] ، و إذا أغْلَقَتْها[(٣)] أتاها حينئذٍ الختمُ مِن قِبَلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ والطبعُ ، فلا يكونُ للإيمانِ إليها مسلكٌ ، ولا للكفرِ منها مَخْلَصٌ ، فذلك هو الطبعُ . والختمُ الذى ذكَره اللَّهُ تبارك وتعالى فى قولِه : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ . نظيرُ الطبعِ والختمِ على ما تُدْرِكه الأبصارُ مِن الأوعيةِ والظروفِ التى لا يُوصلُ إلى ما فيها إلا بفضِّ ذلك عنها ثم حَلِّها ، فكذلك لا يصلُ الإيمانُ [١/ ٣١و] إلى قلوبِ مَن وصَف اللَّهُ أنه ختَم على قلوبِهم إلا بعدَ فضِّه خاتَمَه ، وحَلِّه رِباطَه عنها .

ويقالُ لقائلى القولِ الثانى ، الزاعمِين أن معنى قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ

(١) سقط من : ت ٢ ، وفى ص ، ر : « صقلت » .
(٢) فى ص : « يغلق » ، وفى م : « يغلف » .
(٣) فى م : « أغلفتها » .

قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ . هو وصفُهم بالاستكبارِ والإعراضِ عن الذى دُعوا إليه مِن الإقرارِ بالحقِّ تكبُّرًا : أخْبِرونا عن استكبارِ الذين وصَفهم اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بهذه الصفةِ ، وإعراضِهم عن الإقرارِ بما دُعوا إليه مِن الإيمانِ وسائرِ المعانى اللواحقِ به ، أفعلٌ منهم أم فعلٌ مِن اللَّهِ جلّ ثناؤُه بهم[(١)] ؟

فإن زعَموا أن ذلك فعلٌ منهم - وذلك قولُهم - قيل لهم : فإن اللَّهَ جلّ وعزّ قد أخْبَر أنه هو الذى ختَم على قلوبِهم وسمعِهم ، وكيف يجوزُ أن يكونَ إعراضُ الكافرِ عن الإيمانِ ، وتكبُّرُه عن الإقرارِ به ، وهو فعلُه عندَكم ، ختمًا مِن اللَّهِ على قلبِه وسمعِه ، وختمُه على قلبِه وسمعِه فعلُ اللَّهِ[(٢)] جَل ذكرُه دونَ فعلِ الكافرِ . فإن زعَموا أن ذلك جاز[(٣)] أن يكونَ كذلك لأن تكبُّرَه وإعراضَه كانا عن ختمِ اللَّهِ على قلبِه وسمعِه ، فلما كان الختمُ سببًا لذلك جاز أن يُسَمَّى مسبِّبُه به - ترَكوا قولَهم ، وأوْجَبوا أن الختمَ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه على قلوبِ الكفارِ وأسماعِهم معنًى غيرُ كفرِ الكافرِ ، وغيرُ تكبُّرِه وإعراضِه عن قَبولِ الإيمانِ والإقرارِ به ، وذلك الدخولُ[(٤)] فيما أنْكَروه .

وهذه الآيةُ مِن أوضحِ الدليلِ[(٥)] على فسادِ قولِ المنكرين تكليفَ ما لا يُطاقُ إلا بمعونةِ اللَّهِ جلَّ ذكرُه ؛ لأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وعز أخْبَر أنه ختَم على قلوبِ صِنْفٍ مِن كفارِ عبادِه وأسماعِهم ، ثم لم يُسْقِطِ التكليفَ عنهم ، ولم يَضَعْ عن أحدٍ منهم فرائضَه ، ولم يُعْذِرْه فى شىءٍ مما كان منه مِن خلافِ طاعتِه بسببِ ما فعَل به مِن الختمِ

---

(١) سقط من : ص .
(٢) فى ص : « لله » .
(٣) فى ص ، م : « جائز » .
(٤) فى م : « دخول » .
(٥) فى ر ، م : « الدلالة » .

والطبعِ على قلبِه وسمعِه ، بل أخْبَرَ أن لجميعِهم منه عذابًا عظيمًا على تركِهم طاعتَه فيما أمَرهم به ونهاهم عنه من حدودِه وفرائضِه ، مع حَتْمِه القضاءَ عليهم مع ذلك أنهم[1] لا يؤمنون .

القولُ فى تأويلِ قولِه جَلَّ ثناؤُه : ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وقولُه : ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ ﴾ . خبرٌ مبتدأٌ بعدَ تمامِ الخبرِ عمَّا ختَم اللَّهُ عليه مِن جوارحِ الكفارِ الذين مَضَت قصصُهم ، وذلك أَنَّ ﴿ غِشَٰوَةٞۖ ﴾ مرفوعةٌ بقولِه : ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾ . فذلك دليلٌ على أنه خبرٌ مبتدأٌ ، وأن قولَه : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ . قد تناهَى عندَ قولِه : ﴿ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ ﴾ . وذلك هو القراءةُ الصحيحةُ عندَنا لمَعْنَيين :

أحدُهما : اتفاقُ الحُجَّةِ مِن القرأَةِ والعلماءِ على الشهادةِ بتصحيحِها ، وانفرادُ المخالفِ لهم فى ذلك ، وشذوذُه عمَّا هم على تَخطئتِه مجمِعون ، وكفَى بإجماعِ الحُجَّةِ على تَخطئةِ قراءةٍ[2] شاهدًا على خطئِها .

والثانى : أن الختمَ غيرُ موصوفةٍ به العيونُ فى شىءٍ مِن كتابِ اللَّهِ[3] ، ولا فى خبرٍ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولا موجودٍ فى لغةِ أحدٍ مِن العربِ ، وقد قال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه فى سورةٍ أُخْرى : ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ / سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ ﴾ . ثم قال : ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ ﴾ [الجاثية : ٢٣] . فلم يُدْخِلِ البَصَرَ فى معنى الختمِ ، وذلك هو المعروفُ فى[4] كلامِ العربِ ، فلم يَجُزْ لنا ولا لأحدٍ مِن الناسِ القراءةُ بنصبِ الغِشاوةِ[5] ؛ لِما وصفتُ

١١٤/١

(١) فى م : « بأنهم » .

(٢) فى م : « قراءته » .

(٣) زيادة من : م .

(٤) فى ص : « من » .

(٥) وبنصب الغشاوة قرأ المفضل عن عاصم . السبعة لابن مجاهد ص ١٣٨، ١٣٩ .

مِن العِلَّتين اللتين ذكَرْتُ ، وإن كان لنصبِها مَخْرَجٌ معروفٌ فى العربيةِ .

وبما قلنا فى ذلك من القولِ والتأويلِ رُوِى الخَبَرُ عن ابنِ عباسٍ .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى الحسينُ بنُ الحسنِ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ : والغِشاوةُ على أبصارِهم[(1)] .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ مَخْرَجِ النَّصْبِ فيها ؟

قيل له : [(٢)]أن تَنْصِبَها[(٢)] بإضمارِ « جعَل » ، كأنه قال : وجعَل على أبصارِهم غشاوةً . ثم أسْقَط « جعَل » ، إذ كان فى أولِ الكلامِ ما يدلُّ عليه . وقد يَحْتَمِلُ نصبُها على إتباعِها موضعَ السمعِ ، إذ كان مَوْضِعُه نصبًا ، وإن لم يكنْ حسَنًا إعادةُ العاملِ فيه على ﴿غِشاوةٌ﴾ ولكنْ على إتباعِ الكلامِ بعضِه بعضًا ، كما قال : ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ . ثم قال : (وفاكهةٍ ممّا يتخيرون ۞ ولحمِ طيرٍ ممّا يشتهون ۞ [(٣)]وَحُورٍ عِينٍ[(٣)]) [الواقعة : ١٧- ٢٢] . فخفَض اللحمَ والحورَ العينَ[(٤)] على العطفِ به على الفاكهةِ ؛ إتباعًا لآخرِ الكلامِ أوَّلَه . ومعلومٌ أن اللحمَ لا يُطافُ به ولا بالحورِ العينِ[(٤)] ، ولكن ذلك[(٥)] كما قال الشاعرُ يصفُ فرسَه[(٦)] :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤١/١(١٠٠) عن محمد بن سعد به .

(٢ - ٢) فى ر ، ت ٢: « أن ينصبها » ، وفى م : « أن نصبها » .

(٣ - ٣) ضبطهما فى النسخة : « ر » بالرفع وبالخفض ، والخفض شاهد المصنف ، وهو قراءة حمزة والكسائى ، ورواية المفضل عن عاصم ، وقرأ الباقون بالرفع . السبعة لابن مجاهد ص ٦٢٢.

(٤) سقط من : ص ، م .

(٥) سقط من : ص .

(٦) معانى القرآن للفراء ١٤/١ وقال : أنشدنى بعض بنى أسد يصف فرسه . وفى الخزانة ٣/ ١٣٩، ١٤٠: ولا يعرف قائله ، ورأيت فى حاشية نسخة صحيحة من الصحاح أنه لذى الرمة ، ففتشت ديوانه فلم أجده فيه .

عَلَفْتُها تِبْنًا وَماءً بارِدًا حتَّى شَتَتْ[١] هَمَّالَةً[٢] عَيْناها

ومعلومٌ أن الماءَ يُشْرَبُ ولا يُعْلَفُ[٣]، ولكنه نصَب ذلك على ما وصفتُ قبلُ . وكما قال الآخرُ[٤] :

ورأيْتُ زَوْجَك فى الوَغى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحا

وكان ابنُ جُريجٍ يقولُ فى انتهاءِ الخبرِ عن الختمِ إلى قولِه : ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ وابتداءِ الخبرِ بعدَه - بمثلِ الذى قلنا فيه ، ويتأوَّلُ فيه مِن كتابِ اللَّهِ : ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [الشورى : ٢٤] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : حدَّثنا ابنُ جُريجٍ ، قال : الختمُ على القلبِ والسمعِ ، والغشاوةُ على البصرِ ، قال اللَّهُ تعالى ذِكْرُه : ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ . وقال : ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾[٥] .

والغشاوةُ فى كلامِ العربِ الغطاءُ ، ومنه قولُ الحارثِ بنِ خالدِ بنِ العاصِ[٦] :

تَبِعْتُكَ[٧] إذْ عَيْنِى عليها غِشاوَةٌ فلمَّا انْجلتْ قَطَّعْتُ نَفْسِى أُلُومُها

---

(١) شتا بالمكان : إذا أقام به شتاء . اللسان (ش ت و) .

(٢) هملت العين : فاضت وسالت . اللسان (هـ م ل) .

(٣) بعده فى م : « به » .

(٤) تقدم فى ص ١٤٠ .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧١/١ عن المصنف .

(٦) شعر الحارث بن خالد ص ١٠١.

(٧) فى شعر الحارث : « صحبتك » .

ومنه يقالُ : تغشَّانى[(١)] الهمُّ . إذا تجلَّله وركِبه . ومنه قولُ نابغةِ بنى ذُبْيانَ[(٢)] :

هَلَّا سألْتِ بَنِى ذُبْيانَ ما حَسَبى إذَا الدُّخَانُ تَغشَّى الأَشْمَطَ البَرَما[(٣)]

يعنى بذلك[(٤)] : تجلَّله وخالَطه .

وإنما أخبَرَ اللَّهُ تعالى ذِكْرُه نبيَّه ﷺ عن الذين [١/٣١ظ] كفَروا به مِن أحبارِ اليهودِ ، أنه قد ختَم على قلوبِهم وطبَع عليها ، فلا يَعْقِلون للَّهِ موعظةً وعظَهم بها ، فيما آتاهم مِن علمٍ / ما عندَهم مِن كتبِه ، وفيما حدَّد فى كتابِه الذى أوْحاه وأنْزَله إلى نبيِّه محمدٍ ﷺ ، وعلى سمعِهم ، فلا يَسْمَعون مِن محمدٍ نبىِّ اللَّهِ ﷺ تحذيرًا ولا تذكيرًا ، ولا حُجةً أقامها عليهم بنبوَّتِه ، فيتذكَّروا ويحذَروا عقابَ اللَّهِ فى تكذيبِهم إيَّاه ، مع علمِهم بصدقِه وصحَّةِ أمرِه . وأعْلَمه مع ذلك أن على أبصارِهم غِشاوةً عن[(٥)] أن يُبْصِروا سبيلَ الهُدَى ، فيَعْلَموا قَبيحَ[(٦)] ما هم عليه من الضلالةِ والرَّدَى .

١/١١٥

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك رُوِى الخبرُ عن جماعةٍ مِن أهلِ التأويلِ .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بن جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ . أى : عن الهُدَى أن يُصيبوه أبدًا[(٧)] بغيرِ ما[(٧)] كذَّبوك به مِن الحقِّ الذى جاءك مِن ربِّك ، حتى يؤمنوا

(١) فى م : « تغشاه » .
(٢) ديوانه ص ١٠٦.
(٣) البرم : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر . اللسان (ب ر م) .
(٤) بعده فى م : « إذا » .
(٥) فى ص : « من » .
(٦) فى ص ، م : « قبح » .
(٧ - ٧) فى سيرة ابن هشام : « يعنى بما » .

به ، وإن آمنوا بكلٍّ ما كان قبلَك[(١)] .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره **عن** أبي مالكٍ ، **وعن** أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ . يقولُ : فلا يَعْقِلون ولا يَسْمَعون . ويقولُ : وجعَل على أبصارِهم غِشاوةً . يقولُ : على أعينِهم فلا يُبْصِرون[(٢)] .

وأما آخرون ، فإنهم كانوا يتأوَّلون أنَّ الذين أخْبَر اللَّهُ عنهم مِن الكفارِ أنه فعَل ذلك بهم هم قادةُ الأحزابِ الذين قُتِلوا يومَ بدرٍ .

حدَّثني المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجَّاجِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ : هاتان الآيتان إلى قولِه[(٣)] : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ هم ﴿ ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾ [إبراهيم : ٢٨] . وهم الذين قُتِلوا يومَ بدرٍ ، فلم يَدْخُلْ مِن القادةِ أحدٌ في الإسلامِ إلا رجلان ؛ أبو سفيانَ ، والحكَمُ بنُ أبي العاصِ[(٤)] .

حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٣١/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤١/١(٩٤) من طريق سلمة به ، وتقدم طرف منه في ص ٢٥٨، وسيأتي تمامه في ص ٢٧٤.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٧١/١ عن السدى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٩/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٤١، ٤٢ (٩٥، ١٠١) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى من قوله . وينظر تفسير الثورى ص ٤١.

(٣) زيادة من : ر .

(٤) تقدم فى ص ٢٥٩ من طريق آخر عن ابن أبي جعفر به .

ابنِ أنسٍ ، عن الحسنِ ، قال : أما القادةُ فليس فيهم نجيبٌ[(١)] ، ولا ناجٍ ، ولا مهتدٍ .

وقد دلَّلنا فيما مضَى على أَوْلى هذين التأويلين بالصوابِ فكرِهنا إعادتَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

وتأويلُ ذلك عندى كما قاله ابنُ عباسٍ وتأوَّله .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ،عن ابنِ عباسٍ : ولهم بما هم عليه مِن خلافِك عذابٌ عظيمٌ . قال : فهذا فى الأحبارِ مِن يهودَ فيما كذَّبوك به مِن الحقِّ الذى جاءك مِن ربِّك بعدَ معرفتِهم[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ .

١١٦/١ / **قال أبو جعفرٍ** : أما قولُه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فإنَّ فى[(٣)] ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ وجهين ؛ **أحدُهما** : أن يكونَ جمعًا لا واحدَ له مِن لفظِه ، وإنما واحدُهم[(٤)] إنسانٌ وواحدتُهم[(٥)] إنسانةٌ . **والوجهُ الآخرُ** : أن يكونَ أصلُه « أُناسٌ » ، أُسْقِطت[(٦)] الهمزةُ منها لكثرةِ الكلامِ بها ، ثم[(٧)] دَخَلَتها الألفُ واللامُ المعرِّفتان ، فأُدْغِمت[(٨)] اللامُ التى دخلت مع

---

(١) فى م : « مجيب » .

(٢) تقدم طرف منه فى ص ٢٧٢.

(٣) فى ر : « من » .

(٤) فى م : « واحده » .

(٥) فى م : « واحدته » .

(٦) فى ص : « وأسقطت » .

(٧) فى ص ، ر ، ت ٢: « إذ » .

(٨) فى ر ، ت ٢: « فاندغمت » .

الألـفِ فيها للتعريفِ فى النونِ ، كما قيل فى[(١)] : ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾ [الكهف : ٣٨] . على ما قد بيَّنّا فى اسمِ اللَّهِ الذى هو اللَّهُ[(٢)] .

وقد زعَم بعضُهم أنَّ « الناسَ » لغةٌ غيرُ « أُناسٍ » ، وأنه سمِع العربَ تُصَغِّرُه « نُوَيْسٌ » مِن الناسِ ، وأن الأصلَ لو كان « أُناسٌ » لقيل فى التصغيرِ : « أُنَيْسٌ » . فرُدَّ إلى أصلِه .

قال أبو جعفرٍ : وأجْمَع جميعُ أهلِ التأويلِ على أن هذه الآيةَ نزَلَت فى قومٍ مِن أهلِ النفاقِ ، وأن هذه الصفةَ صفتُهم .

ذكرُ بعضِ[(٣)] مَن قال ذلك مِن أهلِ التأويلِ بأسمائِهم

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ : يعنى المنافقين مِن الأوْسِ والخَزْرَجِ ومَن كان على أمرِهم[(٤)] .

وقد سُمِّى فى حديثِ ابنِ عباسٍ هذا أسماؤُهم[(٥)] ، غيرَ أنى ترَكْتُ تسميتَهم كراهةَ إطالةِ الكتابِ بذكرِهم .

حدَّثنا الحسنُ[(٦)] بنُ يحيى ، قال : أنبأنا عبدُ الرزّاقِ ، قال : أنبأنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ

---

(١) زيادة من : م .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ١٢٤.

(٣) سقط من : ص .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٣١/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٢/١ (١٠٤) من طريق سلمة به .

(٥) بعده فى م : « عن أبى بن كعب » .

(٦) فى م ، ت ٢: « الحسين » .

فى قوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ . حتى بلَغ : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ . قال : هذه فى المنافقين[(١)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميمونٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : هذه الآيةُ إلى ثلاثَ عَشْرةَ فى نعتِ المنافقين[(٢)] .

حدَّثنى المُثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(٣)] .

حدَّثنا سفيانُ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن[(٤)] ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ : هم المنافقون[(٥)] .

حدَّثنى المُثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، عن ابنِ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ ابنِ أنسٍ فى قولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ إلى :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٥٠ (١٥٦) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٢٤٥.

(٣) أخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ١٣ من طريق أبى حذيفة ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح به .

(٤) فى م : « وعن » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٩ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٤٢ عقب الأثر (١٠٥) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ . قال : هؤلاء أهلُ النفاقِ[(١)] .

حدَّثنا [١/ ٣٢و] القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ فى قولِه : ﴿ وَمِنَ / النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ١١٧/١ قال : هذا المنافقُ ، يخالفُ قولُه فعلَه ، وسرُّه علانيتَه ، ومَدْخَلُه مَخْرَجَه ، ومَشْهَدُه مَغِيبَه[(٢)] .

وتأويلُ ذلك أن اللَّهَ تبارَكَ وتعالى لما جمَع لرسولِه محمدٍ ﷺ أمرَه فى دارِ هجرتِه ، واسْتَقَرَّ بها قرارُه ، وأظْهَر اللَّهُ بها كلِمتَه ، وفشا فى دُورِ أهلِها الإسلامُ ، وقهَر بها المسلمون مَن فيها مِن أهلِ الشركِ مِن عَبَدةِ الأوْثانِ ، وذلَّ بها مَن فيها مِن أهلِ الكتابِ - أظْهَر أحبارُ يهودِها لرسولِ اللَّهِ ﷺ الضَّغائنَ ، وأبْدَوا له العداوةَ والشنآنَ[(٣)] ، حسدًا وبَغيًا ، إلا نفرًا منهم هداهم اللَّهُ للإسلامِ فأسْلَموا ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [البقرة : ١٠٩] . وطابَقهم سرًّا على معاداةِ النبيِّ ﷺ وأصحابِه وبغيِهم الغوائلَ[(٤)] - قومٌ مِن أراهطِ[(٥)] الأنصارِ الذين آوَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ ونصَروه ، كانوا[(٦)] قد عَسَوا[(٧)] فى شركِهم وجاهليَّتِهم

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٢/١ (١٠٥) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧٢/١ عن ابن جريج به .

(٣) فى ص : « الشنار » . والشنآن : البغض . اللسان (ش ن أ) .

(٤) الغوائل : الدواهى . اللسان (غ و ل) .

(٥) الأراهط جمع الرهط : ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة . اللسان (ر هـ ط) .

(٦) فى م : « وكانوا » .

(٧) فى م : « عتوا » .

قد سُمُّوا لنا بأسمائِهم ، كرِهنا تطويلَ الكتابِ بذكرِ أسمائِهم وأنسابِهم ، وظاهَروهم على ذلك فى خَفاءٍ غيرِ جِهارٍ ؛ حِذارَ القتلِ على أنفسِهم والسِّباءِ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه ، وركونًا إلى اليهودِ ، لما هم عليه من الشركِ وسوءِ البصيرةِ بالإسلامِ . فكانوا إذا لَقُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ وأهلَ الإيمانِ به مِن أصحابِه ، قالوا لهم حِذارًا على أنفسِهم : إنَّا مؤمنون باللَّهِ وبرسولِه وبالبعثِ . وأعَطَوهم بألسنتِهم كلمةَ الحقِّ ليَدْرءوا عن أنفسِهم حكمَ اللَّهِ فى من اعْتَقد ما هم عليه مقيمون من الشركِ ، لو أَظْهروا بألسنتِهم ما هم معتقدوه مِن شركِهم ، وإذا لَقُوا إخوانَهم مِن اليهودِ وأهلِ الشركِ والتكذيبِ بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به ، فخَلَوا بهم : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ . فإيَّاهم عَنى جلَّ ذكرُه بقولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ . يعنى بقولِه تعالى خبرًا عنهم : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ : صدَّقنا[(١)] باللَّهِ .

وقد دلَّلنا على أن معنى الإيمانِ التصديقُ ، فيما مضَى مِن كتابِنا هذا قبلُ[(٢)] .

وقولُه : ﴿ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ . يعنى بالبعثِ يومَ القيامةِ ، وإنما سُمِّى يومُ القيامةِ اليومَ الآخرَ ؛ لأنه آخرُ يومٍ ، لا يومَ بعدَه سواه .

فإن قال قائلٌ : وكيف لا يكونُ بعدَه يومٌ ، ولا انقطاعَ للآخرةِ ولا فناءَ ولازوالَ ؟

قيل : إن اليومَ عندَ العربِ إنما يُسَمَّى يومًا بليلتِه التى قبلَه ، فإذا لم يتقدَّمِ النهارَ ليلٌ لم يُسَمَّ يومًا . فيومُ القيامةِ يومٌ لا ليلَ[(٣)] بعدَه ، سوى الليلةِ التى قامت فى

---

(١) فى م : « وصدقنا » .

(٢) زيادة من : ر . وينظر ما تقدم فى ص ٢٤٠، ٢٤١.

(٣) بعده فى ص ، م : « له » .

صبيحتِها القيامةُ ، فذلك اليومُ هو آخرُ الأيامِ ، ولذلك سمَّاه اللَّهُ جلَّ ثناؤُه اليومَ الآخِرَ ، ونعَته بالعُقْمِ [١] ، ووصَفه بأنه يومٌ عقيمٌ [٢] ؛ لأنه لا ليلَ بعدَه .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ . ونفيُه عنهم جلّ ذكرُه اسمَ الإيمانِ ، وقد أخْبَرَ عنهم أنهم قد قالوا بألسنتِهم : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ . فإن ذلك مِن اللَّه جلَّ ذكرُه تكذيبٌ لهم فيما أخْبروا عن اعتقادِهم مِن الإيمانِ بقُلوبِهم [٣] ، والإقرارِ بالبعثِ ، وإعلامٌ منه نبيَّه ﷺ أن الذى يُبْدُونه له بأفواهِهم خلافُ ما فى ضمائرِ قلوبِهم ، وضِدٌّ ما فى عزائمِ نفوسِهم .

وفى هذه الآيةِ دلالةٌ واضحةٌ على بُطولِ مازعَمَته الجَهْمِيَّةُ [٤] أن الإيمانَ هو التصديقُ بالقولِ دونَ سائرِ المعانى غيرِه ، وقد أخْبَرَ اللَّهُ جلَّ ذكرُه عن الذين ذكَرهم / فى كتابه من أهلِ النفاقِ أنهم قالوا بألسنتِهم : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾. ثم نفَى عنهم أن يكونوا مؤمنين، إذ كان اعتقادُهم غيرَ مُصدِّقٍ قِيلَهم ذلك. ١١٨/١

وقولُه : ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ . يعنى : بمصدِّقين بما [٥] يَزْعُمون أنهم به مُصدِّقون .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وخداعُ المنافقِ ربَّه والمؤمنين إظهارُه بلسانِه مِن القولِ والتصديقِ خلافَ الذى فى قلبِه مِن الشكِّ والتكذيبِ ؛ ليَدْرأَ عن نفسِه بما أظْهَر بلسانِه حكمَ

---

(١) فى ص ، م : « بالعقيم » .

(٢) يشير إلى قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [الحج : ٥٥] .

(٣) زيادة من : ر .

(٤) بعده فى ص ، م : « من » .

(٥) فى ر ، م : « فيما » .

اللَّهِ اللازمَ من كان بمثلِ حالِه مِن التكذيبِ ، لو لم يُظْهِرْ بلسانِه ما أظْهَر مِن التصديقِ والإقرارِ - مِن القتلِ والسِّباءِ ، فذلك خِداعُه ربَّه وأهلَ الإيمانِ باللَّهِ .

فإن قال قائلٌ : وكيف يكونُ المنافقُ للَّهِ وللمؤمنين مخادِعًا ، وهو لا يُظْهِرُ بلسانِه خلافَ ما هو له معتقدٌ إلا تَقِيَّةً ؟

قيل : لا تَمْتَنِعُ العربُ[1] أن تُسَمِّىَ مَن أعْطَى بلسانِه غيرَ[2] الذى هو فى ضميرِه تَقِيَّةً - لينجوَ مما هو له خائفٌ ، فنجا بذلك مما خافه - مخادِعًا لمن تَخَلَّص منه بالذى أظْهَر له مِن التقِيَّةِ ، فكذلك المنافقُ ، سُمِّى مخادعًا للَّهِ جلّ وعزّ وللمؤمنين ، بإظهارِه ما أظْهَر بلسانِه تَقِيَّةً ، مما تَخَلَّص به مِن القتلِ والسِّباءِ فى[3] العاجلِ ، وهو لغيرِ ما أظْهَر مستبطِنٌ ، وذلك من فعلِه وإن كان خِداعًا للمؤمنين فى عاجلِ الدنيا ، فهو لنفسِه بذلك مِن فعلِه خادعٌ ؛ لأنه يُظْهِرُ لها بفعلِه ذلك بها أنه يُعْطِيها أمنيَّتَها ، ويُسْقِيها كأسَ سرورِها ، وهو[4] مُوردُها به حياضَ عَطَبِها ، ومُجَرِّعُها به كأسَ عذابِها ، ومُذيقُها[5] مِن غضبِ اللَّهِ وأليمِ عقابِه ما لا قِبَلَ لها به ، فذلك خديعتُه نفسَه ، ظنًّا منه - مع إساءتِه إليها فى أمرِ مَعادِها - أنه إليها مُحْسِنٌ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ[6] إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ . إعلامًا منه عبادَه المؤمنين أن المنافقين

---

(١) بعده فى ص : « من » .

(٢) فى ر : « خلاف » .

(٣) فى ص ، م : « والعذاب » .

(٤) سقط من : م .

(٥) فى ر : « مزيدها » ، وفى ت ١ : « مريرها » ، وفى ت ٢ : « مزبرها » ، وغير منقوطة فى ص ، وفى تفسير ابن كثير ٧٤/١ نقلا عن المصنف : « مزيرها » ، وكذا استصوبها الشيخ شاكر فى تعليقه على تفسير الطبرى .

(٦) فى ص : « يخادعون » . وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو . وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى كالمثبت . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ١٣٩ . وسيأتى كلام المصنف على هاتين القراءتين فى ص ٢٨٣ وما بعدها . وينظر أيضا حجة القراءات ص ٨٧.

بإساءتِهم إلى أنفسِهم ، و[(١)] إسخاطِهم عليهم[(٢)] ربَّهم ، بكفرِهم وشكِّهم وتكذيبِهم ، غيرُ شاعرين ولا دارِين ،ولكنهم على عَمْياءَ مِن أمرِهم مُقيمون .

وبنحوِ ما قلنا في [٣٢/١ظ] تأويلِ ذلك كان ابنُ زيدٍ يقولُ .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : سألتُ عبدَ الرحمنِ بنَ زيدٍ عن قولِ اللَّهِ عزّ وجلّ : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ إلى آخرِ الآيةِ . قال : هؤلاء المنافقون يُخادِعون اللَّهَ ورسولَه والذين آمنوا ، أنهم مؤمنون بما أظْهَروا[(٣)] .

وهذه الآيةُ مِن أوضحِ الدليلِ على تكذيبِ اللَّهِ قولَ[(٤)] الزاعِمِين أن اللَّهَ لا يُعذِّبُ مِن عبادِه إلا مَن كفَر به عنادًا ، بعدَ علمِه بوحدانيتِه ، وبعدَ تقرُّرِ صحةِ ما عانَد ربَّه عليه مِن توحيدِه ، والإقرارِ بكتبِه ورسلِه عندَه[(٥)] ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قد أخْبَر عن الذين وصَفهم بما وصَفهم به مِن النفاقِ ، وخداعِهم إيَّاه والمؤمنين ، أنهم لا يَشْعُرون أنهم مُبْطِلون فيما هم عليه مِن الباطلِ مُقِيمون ، وأنهم بخداعِهم الذى يَحْسَبون أنهم به يُخادِعون ربَّهم وأهلَ الإيمانِ به - مخدوعون . ثم أخْبَر جلّ ذكرُه أن لهم عذابًا أليمًا بتكذيبِهم[(٦)] بما كانوا يكذِّبون مِن نبوةِ نبيِّه ﷺ ، واعتقادِ الكفرِ به ، وبما كانوا يَكْذِبون فى زعمِهم أنهم مؤمنون ، وهم على الكفرِ مُصرُّون .

/ فإن قال لنا قائلٌ : قد علِمْتَ أن المفاعلةَ لا تكونُ إلا مِن فاعلَيْن ، ١١٩/١

---

(١) فى ص ، م : « فى » .

(٢) سقط من : م .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٠/١ إلى المصنف ، وسيأتى تمامه ص ٢٨٦.

(٤) سقط من : ص .

(٥) فى ص : « عنه » .

(٦) سقط من : ر .

كقولِك : ضاربتُ أخاك ، وجالَسْتُ أباك . إذا كان كلٌّ واحدٍ منهما[(١)] مجالسَ صاحبِه ومضاربَه ، فأما إذا كان الفعلُ مِن أحدِهما فإنما يقالُ : ضرَبتُ أخاك . أو[(٢)] : جلَستُ إلى أبيك . فمَن خادع المنافقَ فجاز أن يقالَ فيه : يُخادِعُ[(٣)] اللَّهَ والمؤمنين ؟

قيل : قد قال بعضُ المنسوبين إلى العلمِ بلغاتِ العربِ[(٤)] : إن ذلك حَرْفٌ جاء بهذه الصورةِ ، أعنى « يُخادِعُ » بصورةِ « يُفاعِلُ » ، وهو بمعنى « يَفْعَلُ » ، فى حروفٍ أمثالِها شاذَّةٍ مِن منطقِ العربِ ، نظيرَ قولِهم : قاتَلك اللَّهُ . بمعنى : قتَلك اللَّهُ .

وليس القولُ فى ذلك عندى كالذى قال ، بل ذلك مِن التفاعُلِ[(٥)] الذى لا يكونُ إلا مِن اثنين ، كسائرِ ما يُعرفُ مِن معنى « يُفاعِلُ ومُفاعِل » فى كلِّ كلامِ العربِ . وذلك أن المنافقَ يُخادِعُ اللَّهَ جلَّ ثناؤه بكَذِبِه بلسانِه - على ما قد تقدَّم وصفُه - واللَّهُ خادِعُه بخِذْلانِه عن حسنِ البصيرةِ بما فيه نجاةُ نفسِه فى آجلِ مَعادِه ، كالذى أخْبَر فى قولِه : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ[(٦)] ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ ﴾ [آل عمران : ١٧٨] . وبالمعنَى الذى أخْبَر أنه فاعلٌ به فى الآخرةِ بقولِه : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد : ١٣] الآية . فذلك نظيرُ سائرِ ما يأتى مِن معانى الكلامِ بـ « يُفاعلُ ومُفاعل » .

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « و » .

(٣) فى ص ، م : « خادع » .

(٤) يعنى أبا عبيدة فى مجاز القرآن ١/ ٣١.

(٥) فى ر ، ت ٢: « المفاعل » .

(٦) فى ر ، ت ٢: « تحسبن » . بالتاء ، وتنظر هاتان القراءتان فى موضعهما من التفسير .

وقد كان بعضُ أهلِ النحوِ مِن أهلِ البصرةِ يقولُ : لا تكونُ المفاعلةُ إلا مِن شيئين ، ولكنه إنما قيل : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ عندَ أنفسِهم بظنِّهم ألا يُعاقَبوا ، فقد علِموا خلافَ ذلك فى أنفسِهم ، بحجةِ اللَّهِ جلّ وعزّ الواقعةِ على خلقِه بمعرفتِه ، ﴿ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ قال : وقد قال بعضُهم : ﴿ وَمَا يَخۡدَعُونَ[1] ﴾ . يقولُ : يَخْدَعون أنفسَهم بالتَّخْليةِ[2] بها ، وقد تكونُ المفاعلةُ مِن واحدٍ فى أشياءَ كثيرةٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا يَخۡدَعُونَ[3] إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ .

إن قال لنا قائلٌ : أو ليس المنافقون قد خدَعوا المؤمنين بما أظْهَروا بألسنتِهم مِن قِيلِ الحقِّ - عن أنفسِهم وأموالِهم وذراريِّهم حتى سلِمَت لهم دنياهم ، وإن كانوا قد كانوا مَخْدوعين فى أمرِ آخرتِهم ؟

قيل :خطأٌ أن يقالَ : إنهم خدَعوا المؤمنين . لأنَّا إذا قلنا ذلك أوْجَبنا لهم حقيقةَ خدْعةٍ جازت[4] لهم على المؤمنين . كما أنَّا لو قلنا : قتَل فلانٌ فلانًا . أوْجَبنا له حقيقةَ قتلٍ كان منه لفلانٍ ، ولكنا نقولُ : خادَع المنافقون ربَّهم [5]والمؤمنين ولم[5] يَخْدَعوهم ، بل خدَعوا أنفسَهم - كما قال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه - دونَ غيرِها . نظيرَ ما تقولُ فى رجلٍ قاتَل آخرَ فقتَل نفسَه ولم يَقْتُلْ صاحبَه : قاتلَ فلانٌ فلانًا ولم يَقْتُلْ إلا نفسَه . فتُوجبُ له مقاتلةَ صاحبِه ، وتَنْفِى عنه قتلَه صاحبَه ، وتُوجِبُ له قتلَ نفسِه . فكذلك تقولُ : خادَع المنافقُ ربَّه والمؤمنين فلم

---

(١) بعده فى ر : « به » .

(٢) فى ر ، ت ٢ : « بالتحلية » .

(٣) فى ص : « يخادعون » .

(٤) فى م : « جاءت » .

(٥ - ٥) فى ص : « المؤمنون لم » .

يَخْدَعُ إلا نفسَه . فتُثْبِتُ منه خِداعَه[(١)] ربَّه والمؤمنين ، وتَنْفِى[(٢)] أن يكونَ خدَع غيرَ نفسِه ؛ لأن الخادِعَ هو الذى قد صحَّت له الخديعةُ ووقَع منه فعلُها ، والمنافقون لم يَخْدَعوا غيرَ أنفسِهم ؛ لأن ما كان لهم من أهلٍ ومالٍ ، فلم يكنِ المسلمون ملَكوه عليهم فى حالِ خِداعِهم إيَّاهم[(٣)] عنه بنفاقِهم ولا قبلَها ، فيَسْتَنْقِذوه[(٤)] بخِداعِهم منهم ، وإنما دافعوا عنه بكَذِبِهم وإظهارِهم بألسنتِهم غيرَ الذى فى ضمائرِهم ، وبحُكْمِ[(٥)] اللَّهِ لهم فى أموالِهم وأنفسِهم وذراريِّهم فى ظاهرِ أمورِهم بحكمِ ما انْتَسَبوا إليه مِن المِلَّةِ ، واللَّهُ بما يُخْفُون مِن أمورِهم عالمٌ ، وإنما الخادعُ مَن ختَل[(٦)] غيرَه عن شيئِه والمخدوعُ غيرُ عالِمٍ بموضعِ خديعةِ خادعِه . فأما والمخادَعُ عارفٌ بخِداعِ صاحبِه إيَّاه ، و[(٧)]غيرُ لاحقِه/ مِن خِداعِه إيَّاه مكروهٌ ، بل إنما يَتجافى للظانِّ به أنه له مخادِعٌ ؛ اسْتِدْراجًا ليَبْلُغَ غايةً يتكامَلُ له عليه الحُجَّةُ للعقوبةِ التى هو به[(٨)] مُوقِعٌ عندَ بلوغِه إيَّاها ، والمُستدرَجُ غيرُ عالمٍ بحالِ نفسِه عندَ مُسْتدرِجِه ، ولا عارفٍ باطِّلاعِه على ضميرِه ، وأنَّ إمهالَ مُستدرِجِه [(٩)]إياه ، وتركَه معاجلةَ عقوبتِه[(٩)] على جُرْمِه ؛ لِيَبْلُغَ المخاتِلُ المخادِعُ مِن استحقاقِه عقوبةَ مُستدرِجِه - بكثرةِ إساءتِه ، [(١٠)]وطولِ عِصيانِه إيّاه ، وكثرةِ صَفْحِ المستدرِجِ[(١٠)] ، وطولِ عفوِه عنه - أقصَى غايةٍ ، فإنما هو خادِعٌ نفسَه لاشكَّ ، دونَ مَن حدَّثَته نفسُه أنه له مخادِعٌ ،

١٢٠/١

(١) فى م : « مخادعة » .

(٢) بعده فى م : « عنه » .

(٣) فى م : « إياه » .

(٤) فى ص : « فيستبعدوه » .

(٥) فى م : « يحكم » . وغير منقوطة فى ر ، ت ٢ .

(٦) ختل : خدع عن غفلة . اللسان (خ ت ل) .

(٧) سقط من : ص .

(٨) فى م : « بها » .

(٩ - ٩) فى م : « وتركه إياه معاقبته » .

(١٠ - ١٠) سقط من : ص .

ولذلك نفَى اللَّهُ جلَّ ثناؤُه عن المنافقِ أن يكونَ خدَع غيرَ نفسِه ، إذ كانت الصفةُ التى وصَفْنا صفتَه .

وإذ كان الأمرُ على ما وصَفنا مِن خِداعِ المنافقِ ربَّه وأهلَ الإيمانِ به ، وأنه غيرُ صائرٍ[1] بخِداعِه ذلك إلى خديعةٍ صحيحةٍ إلا لنفسِه دونَ غيرِها ؛ لِمَا يُوَرِّطُها بفعلِه مِن الهلاكِ والعَطَبِ ، فالواجِبُ إذن [١/ ٣٣و] أن يكونَ الصحيحُ مِن القراءةِ : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ . دونَ : (وَمَا يُخَادِعُونَ) . لأن لفظَ المخادِعِ غيرُ مُوجِبٍ تثبيتَ خديعةٍ على صِحَّةٍ ، ولفظَ خادِعٍ مُوجِبٌ تثبيتَ خديعةٍ على صِحَّةٍ . ولاشكَّ أن المنافقَ قد أوْجَب تثبيتَ[2] خديعةِ اللَّهِ لنفسِه ، بما رَكِب مِن خِداعِه ربَّه ورسولَه والمؤمنين بنفاقِه ، فلذلك وَجَبت الصِّحَّةُ لقراءةِ مَن قرَأ : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ .

ومِن الدَّلالةِ أيضًا على أن قراءةَ من قرَأ : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ . أوْلَى بالصحَّةِ مِن قراءةِ مَن قرَأ : (وَمَا يُخَادِعُونَ) . أَنَّ اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قد أخْبَر عنهم أنهم يُخادِعون اللَّهَ والمؤمنين فى أوَّلِ الآيةِ ، فمُحالٌ أن يَنْفِىَ عنهم ما قد أثْبَت أنهم قد فعَلوه ؛ لأن ذلك تضادٌّ فى المعنى ، وذلك غيرُ جائزٍ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤُه بقولِـه : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ : وَمَا يَدْرُون . يقالُ : ما شعَر فلانٌ بهذا الأمرِ ، وهو لا يَشْعُرُ به - إذا لم يَدْرِ به[4] ولم يَعْلَمْ - شِعْرًا وشُعورًا .

---

(١) فى م : « سائر » .

(٢) سقط من : م .

(٣) القراءتان متواترتان كما تقدم فى ص ٢٨٠ ، ولا تفاضل بين المتواتر ، وينظر توجيه قراءة : (وما يخادعون) فى البحر المحيط ١/٥٧ .

(٤) سقط من : ص ، م .

و(١)قال الشاعرُ(٢) :

عقُّوا بِسَهمٍ فلم يَشْعُرْ به أحدٌ ثم اسْتَفاءُوا(٣) وقالوا حبَّذا الوَضَحُ(٤)

يعنى بقولِه : لم يَشْعُرْ به أحدٌ(٥) : لم يَدْرِ به أحدٌ ولم يَعْلَمْ .

فأخْبَرَ اللَّهُ جلّ ثناؤُه عن المنافقين أنهم لا يَشْعُرون بأن اللَّهَ خادِعُهم ، بإملائِه لهم واستدراجِه إيَّاهم ، الذى هو مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه إبلاغٌ إليهم فى الحجةِ والمَعْذرةِ ، ومنهم لأنفسِهم خديعةٌ ، ولها فى الآجلِ مَضرَّةٌ .

كالذى حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : سألتُ ابنَ زيدٍ عن قولِه : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ . قال : ما يَشْعُرون أنهم ضَرُّوا أنفسَهم بما أَسَرُّوا مِن الكفرِ والنفاقِ . وقرَأ قولَ اللَّهِ : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ . قال : هم المنافقون . حتى بلَغ : ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ [المجادلة : ١٨] . وقد كان الإيمانُ يَنْفَعُهم عندَكم(٦) .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وأصلُ المرضِ السُّقمُ ، ثم(٧) يقالُ ذلك فى الأجسادِ والأديانِ . فأخْبَرَ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أن فى قلوبِ المنافقين /مرضًا ، وإنما عنَى جلّ ثناؤه بخبرِه عن مرضِ قلوبِهم الخبرَ عن مرضِ ما فى قلوبِهم مِن الاعتقادِ . ولكن لما كان معلومًا بالخبرِ ١٢١/١

(١) فى م : « كما » .

(٢) البيت للمتنخل الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين ٢/ ٣١.

(٣) فى ص : « استفادوا » ، وفى ر : « استقاموا » ، وفى ت ٢ : « استقادا » .

(٤) عقوا بسهم : أى رموا به فى السماء ، استفاءوا : رجعوا ، الوضح : اللبن . ينظر شرح أشعار الهذليين ١٢٧٩/٣.

(٥) زيادة من : ر .

(٦) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٢٨١.

(٧) سقط من : ص .

عن مرضِ القلبِ أنه مَعْنِيٌّ به مرضُ ما هم مُعْتقدوه مِن الاعتقادِ ، اسْتَغْنى بالخبرِ عن القلبِ بذلك [(١] والكنايةِ به [١)] عن تصريحِ الخبرِ عن ضمائرِهم واعتقاداتِهم ، كما قال عمرُ بنُ لَجَأٍ [(٢)] :

وسبَّحت المدينةُ لا تَلُمْهَا رأَت قمرًا بسوقِهِمُ نَهارَا

يريد : وسبَّح أهلُ المدينةِ . فاستغْنى بمعرفةِ السامعين خبرَه بالخبرِ عن المدينةِ ، عن الخبرِ عن أهلِها . ومثلُه قولُ عنترةَ العَبْسيِّ [(٣)] :

هلَّا سألتِ الخيلَ يابنةَ مالكٍ إن كنتِ جاهلةً بما لم تَعْلَمِي

يريدُ : هلَّا سألتِ أصحابَ الخيلِ ؟ ومنه قولُهم : يا خيلَ اللَّهِ اركبي . يرادُ : يا أصحابَ خيلِ اللَّهِ ارْكَبوا . والشواهدُ على ذلك أكثرُ مِن أن يُحْصِيَها [(٤)] الكتابُ [(٥)] ، وفيما ذكَرنا كفايةٌ لمن وُفِّق لفهمِه .

فكذلك معنَى قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ . إنما يعنى : فى اعتقادِ قلوبِهم الذى يعتقِدُونه فى الدينِ ، والتصديقِ بمحمدٍ ﷺ ، وبما جاء به مِن عندِ اللَّهِ ، مرَضٌ وسُقْمٌ . فاجْتَزأ بدَلالةِ الخبرِ عن قلوبِهم على معناه ، عن تصريحِ الخبرِ عن اعتقادِهم .

والمرضُ الذى ذكَره اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أنه فى اعتقادِ قلوبِهم الذى وصَفْناه ، هو شكُّهم فى أمرِ محمدٍ ، وما جاء به مِن عندِ اللَّهِ ، وتحيُّرُهم فيه ، فلا هم به مُوقِنون إيقانَ إيمانٍ ، ولا هم له مُنكِرون إنكارَ إشراكٍ ، ولكنهم كما وصَفهم جلّ ذكرُه ،

(١ - ١) فى ص : « الكفاية » .

(٢) البيت فى التبيان ١/ ٤٩.

(٣) البيت من معلقته الشهيرة ، وهو فى ديوانه ص ١٠٢.

(٤) فى ر ، ت ٢: « يحصيه » .

(٥) فى م : « كتاب » .

مُذَبْذَبون بينَ ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء[(١)] ، كما يقالُ : فلانٌ يُمرِّضُ فى هذا الأمرِ . أى يُضَعِّفُ العزمَ[(٢)] ، ولا يصحِّحُ الرَّوِيَّةَ فيه .

وبمثلِ الذى قلنا فى تأويلِ ذلك تظاهَر القولُ فى تفسيرِه مِن المفسِّرين .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ . أى : شكٌّ[(٣)] .

وحُدِّثتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بِشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : المرضُ النِّفاقُ[(٤)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ . يقولُ : فى قلوبِهم شكٌّ[(٥)] .

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال

---

(١) تضمين الآية ١٤٣ من سورة النساء .

(٢) فى ر ، ت ٢: « للعزم » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٣١/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٣/١ (١١٢) من طريق سلمة به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٣/١ (١١١) عن أبى زرعة ، عن المنجاب به .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٠/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٣/١ عقب الأثر (١١٣) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله . وسيأتى تمام هذا الأثر فى ص ٢٩١ .

عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ . قال : هذا مرضٌ فى الدِّينِ ، وليس مرضًا فى الأجسادِ . قال : وهم المنافقون .

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدثنا سُوَيدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخْبَرنا ابنُ المباركِ قراءةً ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ . قال : فى قلوبِهم رِيبةٌ وشكٌّ فى أمرِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه[(١)] .

وحُدِّثت عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ ابنِ أنسٍ : ﴿فِي قُلُوبِهِم/ مَّرَضٌ﴾ . قال : هؤلاء أهلُ النِّفاقِ ، فالمَرَضُ الذى فى قلوبِهم الشكُّ فى أمرِ اللَّهِ[(٢)] . ١٢٢/١

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ . حتى بلَغ : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ . قال : المرضُ الشكُّ الذى دخَلهم فى الإسلامِ[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ .

قد دلَّلنا آنفًا على أن تأويلَ [٣٣/١ظ] المرضِ الذى وصَف اللَّهُ جَلَّ ثناؤُه أنه فى قلوبِ المنافقين هو الشكُّ فى اعتقاداتِ قلوبِهم وأديانِهم ، وما هم عليه فى أمرِ محمدٍ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأمرِ نبوَّتِه وما جاء به ، مُقِيمون .

فالـمَرَضُ الذى أخْبر اللَّهُ جلَّ ثناؤُه عنهم أنه زادهم على مرضِهم ، هو نظيرُ ما

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٠/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٣/١ عقب الأثر (١١٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) بعده فى ر : « فذلك هو المرض والله أعلم » .

كان فى قلوبِهم مِن الشكِّ والحَيْرةِ قبلَ الزيادةِ ، فزادهم[1] اللَّهُ بما أحْدَث مِن حدودِه وفرائضِه التى لم يكنْ فرَضها قبلَ الزيادةِ التى زادَها المنافقين - مِن الشكِّ والحَيْرةِ ، إذ[2] شكُّوا وارْتابوا فى الذى أحْدَث لهم مِن ذلك - إلى المرضِ والشكِّ الذى كان فى قلوبِهم فى السالفِ ، مِن حدودِه وفرائضِه التى كان فرَضها قبلَ ذلك . كما زاد المؤمنين به إلى إيمانِهم الذى كانوا عليه قبلَ ذلك ، بالذى أحْدَث لهم مِن الفرائضِ والحدودِ ، إذْ آمنوا به ، إلى إيمانِهم بالسالفِ مِن حدودِه وفرائضِه - إيمانًا ، كالذى قال جلَّ ثناؤه فى تنزيلِه : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٤، ١٢٥] . فالزيادةُ التى زِيدها المنافقون مِن الرَّجاسةِ إلى رَجاستِهم هو ما وصَفنا ، و[3] التى زِيدها المؤمنون إلى إيمانِهم هو ما بيَّنا ، وذلك هو التأويلُ المُجْمَعُ عليه .

ذكرُ بعضِ مَن قال ذلك مِن أهلِ التأويلِ

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابن عباسٍ : ﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ . قال : شكًّا[4] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : أخبرنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ

---

(١) فى م : « فزاد » .

(٢) فى م : « إذا » .

(٣) بعده فى م : « الزيادة » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٤٣ (١١٤) من طريق سلمة به .

الهَمْدَانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ . يقولُ : فزادهم اللَّهُ[1] شكًّا[2] .

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا سُوَيدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخْبرنا ابنُ المباركِ قراءةً ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ . يقولُ : فزادهم اللَّهُ رِيبةً وشكًّا فى أمرِ اللَّهِ[3] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخْبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ . قال : زادهم رِجْسًا . وقرَأ قولَ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ / إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ . قال : شرًّا إلى شرِّهم ، وضلالةً إلى ضلالتِهم[4] . ١٢٣/١

وحُدِّثتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : ﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ : فزادَهم[5] اللَّهُ شكًّا[6] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والأليمُ[7] المُوجِعُ . ومعناه : ولهم عذابٌ مُؤْلِمٌ . فصُرِفَ مُؤْلِمٌ إلى أليمٍ ، كما يقالُ : ضربٌ وَجيعٌ . بمعنى : مُوجِعٌ . واللَّهُ بديعُ السماواتِ والأرضِ . بمعنى : مُبْدِعٌ . ومنه قولُ عمرِو بنِ مَعْدِيكَرِبَ الزُّبيدىِّ[8] :

---

(١) بعده فى م : « ريبة و » .
(٢) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٢٧٣.
(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٠/١ إلى المصنف وعبد بن حميد . وينظر الفتح ٨/ ١٦٢.
(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧٤/١ عن ابن زيد .
(٥) فى ص ، م : « قال زادهم » .
(٦) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٢٨٩.
(٧) بعده فى م : « هو » .
(٨) ديوان عمرو بن معديكرب (مجموع) ص ١٣٦.

أَمِنْ رَيْحانةَ[١] الداعِي السَّمِيعُ يُؤَرِّقُنى وأصحابى هُجُوعُ

بمعنى : المُسْمِعُ . ومنه قولُ ذِى الرُّمَّةِ[٢] :

وَنرْفَعُ[٣] مِن صُدُورِ شَمَردَلَاتٍ[٤] يَصُدُّ[٥] وجوهَها وَهَجٌ[٦] أَلِيمُ

ويُرْوى : يَصُكُّ[٧] .

وإنما الأليمُ صفةٌ للعذابِ ، كأنه قال : ولهم عذابٌ مُؤْلِمٌ . وهو مأخوذٌ مِن الألمِ ، والألمُ الوَجَعُ .

كما حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ ، قال : الأليمُ المُوجِعُ[٨] .

حدَّثنا يعقوبُ ، قال : حدثنا هُشَيمٌ ، قال : أخبرنا جُوَيْبِرٌ ، عن الضحَّاكِ ، قال : العذابُ[٩] الأليمُ ؛ الموجعُ[١٠] .

---

(١) ريحانة : هى ريحانة بنت معديكرب أخت عمرو ، وهى أم دريد بن الصمة ، كان الصمة سباها ثم تزوجها . الأغانى ١٠/ ٤.

(٢) ديوان ذى الرمة ٢/ ٦٧٧.

(٣) فى ص : « بربع » ، وفى ر : « ترفع » ، وفى ت ٢، م : « يرفع » . والمثبت من الديوان .
ورفع البعير بنفسه فى سيره : بالغ فيه . التاج (ر ف ع) .

(٤) الشمردلة : الناقة الحسنة الجميلة الخلق القوية على السير . اللسان (شمردل) .

(٥) يصد : يعترض . اللسان (ص د د) .

(٦) الوهج : حرارة الشمس والنار من بعيد . اللسان (و هـ ج) .

(٧) هذه رواية الديوان . والصك : الضرب الشديد . اللسان (ص ك ك) .

(٨) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٤٤ (١١٩) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

(٩) سقط من : م .

(١٠) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٤٤ عقب الأثر (١١٩) معلقا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٠ إلى ابن أبى حاتم عن ابن عباس .

وحُدِّثت عن المِنْجابِ بنِ الحارثِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ في قولِه : ﴿ أَلِيمٌ[1] ﴾ . قال : هو العذابُ المُوجِعُ ، وكلُّ شيءٍ في القرآنِ مِن الأليمِ فهو المُوجِعُ .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

اختلفت القرَأَةُ[2] في قراءةِ ذلك ؛ فقرَأه[3] بعضُهم : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ . مُخَفَّفةَ الذالِ ، مفتوحةَ الياءِ ، وهي قراءةُ [4]عُظمِ قرَأةِ[4] أهلِ الكوفةِ[5] . وقرَأه آخرون : (يُكَذِّبُون) . بضمِّ الياءِ وتشديدِ الذالِ ، وهي قراءةُ [4]عُظمِ قرأةِ[4] أهلِ المدينةِ والحجازِ والبصرةِ[6] .

وكأنَّ الذين قرَءوا ذلك بتشديدِ الذالِ وضمِّ الياءِ رأَوْا أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه إنما أوْجَب للمنافقين العذابَ الأليمَ بتكذيبِهم [7]نبيَّهم محمدًا[7] ﷺ وبما جاء به ، وأن الكذِبَ لولا التكذيبُ لا يُوجِبُ لأحدٍ اليسيرَ مِن العذابِ ، فكيف بالأليمِ منه ؟

وليس الأمرُ في ذلك عندى كالذى قالوا ؛ وذلك أن اللَّهَ جلّ ثناؤُه أنْبأ عن المنافقين في أولِ النبأ عنهم في هذه السورةِ بأنهم يَكْذِبون بدَعْواهم الإيمانَ ، وإظهارِهم ذلك بألسنتِهم ، خِداعًا للَّهِ عزَّ وجلَّ ولرسولِه وللمؤمنين ، فقال : ﴿ وَمِنَ

(١) في ص ، ر ، ت ٢ : « الأليم » .

(٢) في م : « القراءة » .

(٣) في ر : « فقراءة » .

(٤ - ٤) في م : « معظم » .

(٥) وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي . ينظر حجة القراءات ص ٨٨ .

(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبي عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ١٤٣ .

(٧ - ٧) في ص : « نبيه » .

ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بذلك مِن قِيلِهم ، مع استسرارِهم الشكَّ والرِّيبةَ ، ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ بصنيعِهم ذلكَ ﴿ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ دونَ رسولِ اللَّهِ ﷺ والمؤمنين ، ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ بموضعِ خديعتِهم أنفسَهم ، واستدراجِ اللَّهِ إيَّاهم بإملائِه لهم ، ﴿ فِى قُلُوبِهِم ﴾ شكُّ [(١] النفاقِ وريبتُه [١)] ، واللَّهُ زائدُهم شكًّا وريبةً/ بما كانوا يَكْذِبون اللَّهَ ورسولَه ١٢٤/١ والمؤمنين بقولِهم بألسنتِهم : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ وهم في قِيلِهم[(٢)] ذلك كَذَبةٌ ؛ لاستسرارِهم الشكَّ والمرضَ في اعتقاداتِ قلوبِهم في أمرِ اللَّهِ وأمرِ رسولِه ﷺ . فأَوْلَى في حكمةِ اللَّهِ جَلَّ جلالُه أن يكونَ الوعيدُ منه لهم على ما افْتتح به الخبرَ عنهم مِن قبيحِ أفعالِهم وذَميمِ أخلاقِهم ، دونَ ما لم يَجْرِ له ذكرٌ مِن أفعالِهم ، إذ كان سائرُ آياتِ تنزيلِه بذلك نزَل ، وهو أن يَفْتَتِحَ ذكرَ محاسنِ أفعالِ قومٍ ، ثم يختِمَ ذلك بالوعدِ[(٣)] على ما افْتَتحَ به ذكرَه مِن أفعالِهم ، ويَفتتِحَ ذكرَ مساوى أفعالِ آخرين ، ثم يختِمَ ذلك بالوعيدِ على ما [٣٤/١و] ابْتَدأ به ذكرَه مِن أفعالِهم . فكذلك الصحيحُ مِن القولِ في الآياتِ التي افْتَتح فيها ذكرَ بعضِ مساوى أفعالِ المنافقين ، أن يختِمَ ذلك بالوعيدِ على ما افْتَتح به ذكرَه مِن قبائحِ أفعالِهم .

فهذا هذا[(٤)] ، مع دَلالةِ الآيةِ الأُخرى على صحةِ ما قلنا ، وشهادتِها بأن الواجبَ من القراءةِ ما اخترْنا ، وأن الصوابَ مِن التأويلِ ما تأَوَّلْنا ، مِن أن وعيدَ اللَّهِ المنافقين في هذه الآيةِ العذابَ الأليمَ على الكذبِ الجامعِ معنى الشكِّ والتكذيبِ ، وذلك قولُ اللَّهِ جلّ ثناؤُه : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ

(١ - ١) في م : « أي نفاق وريبة » .

(٢) في ص : « قولهم » .

(٣) في م : « بالوعيد » .

(٤) سقط من : ص ، ر .

يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [المنافقون : ١، ٢] . والآيةُ الأخرى في « المجادَلةِ » : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [المجادلة : ١٦] . فأخبر اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أن المنافقين - بقِيلِهم ماقالُوا لرسولِ اللَّه ﷺ ، مع اعتقادِهم فيه ما هم معتقدون - كاذِبون ، ثم أخْبرَ تعالى ذكرُه أن العذابَ المُهِينَ لهم على ذلك مِن كَذِبِهم . ولو كان الصحيحُ مِن القراءةِ على ماقَرأه القارئون في سورةِ « البقرةِ » : (وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يُكَذِّبون) . لكانتِ القراءةُ في السورةِ الأخرى : (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ المُنَافِقِينَ لَمُكَذِّبون) . ليكونَ الوعيدُ لهم [(١)] مِن العذابِ المهينِ [(١)] الذي هو عَقِيبَ ذلك وعيدًا على التكذيبِ لا على الكَذِبِ .

وفي إجماعِ المسلمين على أن الصوابَ مِن القراءةِ في قولِه : ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ . بمعنى الكَذِبِ ، وأنَّ إيعادَ اللَّهِ فيه المنافقين العذابَ الأليمَ على ذلك مِن كَذِبِهم - أوضحُ الدَّلالةِ على أن الصحيحَ مِن القراءةِ في سورةِ « البقرةِ » : ﴿ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾ . بمعنى الكَذِبِ ، وأن الوعيدَ مِن اللَّهِ تعالَى ذكرُه للمنافقين فيها على الكذبِ حقٌّ ، لا على التكذيبِ الذي لم يَجْرِ له ذكرٌ - نظيرَ الذي في سورةِ « المنافقين » سواءً .

وقد زعَم بعضُ نحويِّي البصرةِ أنَّ « ما » من قولِ اللَّهِ جلّ ثناؤُه : ﴿ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾ . اسمٌ للمصدرِ ، كما أنَّ « أَنْ » والفعلَ اسمان للمصدرِ في قولِك [(٢)] : أُحبُّ أن تأتيَني . وأنَّ المعنى إنما هو : بكَذِبِهم وتكذيبِهم . قال : وأَدْخل « كان » ليُخْبِرَ أنه

(١ - ١) زيادة من : ر .

(٢) في ر : « قوله » ، وفي ت ٢ : « مثل قوله » .

كان فيما مضى ، كما تقولُ[١] : ما أحسنَ ما كان عبدُ اللَّهِ . فأَنت تعجَبُ من عبدِ اللَّهِ لا من كَوْنِه ، وإنما وقَع التعجُّبُ فى اللفظِ على كونِه .

وكان بعضُ نحويِّ الكوفةِ يُنكرُ ذلك من قولِه ويَسْتَخْطِئُه ، ويقولُ : إنما أُلْغِيَت « كان » فى التعجُّبِ لأن الفعلَ قد تقدَّمها ، فكأنه قال : حَسَنًا كان زيدٌ ، وحسَنٌ كان زيدٌ[٢] . يُبْطِلُ « كان » ، ويُعْمِلُ مع الأسماءِ والصفاتِ التى بألفاظِ الأسماءِ إذا جاءتْ قبلَ « كان » ، ووقعَتْ « كان » بينها وبين الأسماءِ ./ وأما العِلَّةُ فى إبطالِها إذا أُبطِلَت فى هذه الحالِ ، فتشبيهُ[٣] الصفاتِ والأسماءِ بـ « فعَل » و « يَفْعَلُ » التى[٤] لا يظهَرُ عملُ « كان » فيهما ، ألا ترى أنك تقولُ : يقومُ كان زيدٌ . فلا يظهَرُ عملُ « كان » فى « يقومُ » ؟ وكذلك : قام كان زيدٌ . فلذلك أُبْطل عملُها مع « فاعل » تمثيلًا بـ « فعَل » و « يفعلُ » ، وأُعْملت مع « فاعل » أحيانًا ؛ لأنه اسمٌ ، كما تُعْملُ فى الأسماءِ . فأما إذا تقدَّمت « كان » الأسماءَ والأفعالَ ، وكان الاسمُ والفعلُ بعدَها ، فخطأٌ عندَه أن تكونَ « كان » مُبْطَلَةً . فلذلك أحال قولَ البصريِّ الذى حكَيناه ، وتأوَّل قولَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ[٥] ﴾ . أنه بمعنى : الذى يَكْذِبونه .

١٢٥/١

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ هذه الآيةِ ؛ فرُوِى عن سلمانَ الفارسيِّ أنه كان يقولُ : لم يجئْ هؤلاء بعدُ .

---

(١) فى ص ، ت ٢، م : « يقال » .

(٢) فى ت ٢: « فى التعجب لا » .

(٣) فى م : « فشبه » .

(٤) فى م : « اللتين » .

(٥) ضبطه فى « ر » بضم الياء .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدثنا عَثَّامُ بنُ عليٍّ ، قال : حدثنا الأعمشُ ، قال : سمِعت المِنْهالَ بنَ عمرٍو يحدِّثُ عن عبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن سلمانَ ، قال : ما جاء هؤلاء بعدُ ، الذين : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[(١)] .

حدَّثنى أحمدُ بنُ عثمانَ بنِ حَكيمٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ شَرِيكٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى الأعمشُ ، عن زيدِ بنِ وهبٍ وغيرِه ، عن سلمانَ أنه قال فى هذه الآيةِ : ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ . قال : ما جاء هؤلاء بعدُ[(٢)] .

وقال آخرون بما **حدَّثنى** به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[(٣)] . أمَّا ﴿لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإنَّ الفسادَ هو الكفرُ والعملُ بالمعصيةِ[(٤)] .

وحُدِّثت عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن

---

(١) أخرجه وكيع - كما فى تفسير ابن كثير ١/ ٧٥، والدر المنثور ١/ ٣٠- وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٤٥ (١٢٣) من طريق الأعمش به . وعباد بن عبد الله الأسدى ضعيف .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٧٥ عن المصنف . وعبد الرحمن بن شريك ضعيف ، وقد خولف فيه شريك كما فى الإسناد قبله .

(٣) بعده فى م : « هم المنافقون » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٠ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده .
وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٤٥ (١٢٢) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

الرَّبيـع : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ ، يقـولُ : لا تَعْصُوا فى الأرضِ ، ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ . قال : فكان فسادُهم على أنفسِهم ذلك معصيةَ اللّهِ ؛ لأن مَن عصَى اللّهَ فى الأرضِ أو أمَر (١) بمعصيتِه ، فقد (١) أفْسَد فى الأرضِ ؛ لأن إصلاحَ الأرضِ والسماءِ بالطاعةِ (٢) .

وأَوْلى التأْويلين بالآيةِ تأويلُ مَن قال : إن قولَ اللّهِ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ نزَلت فى المنافقين الذين كانوا على عهدِ رسولِ اللّه ﷺ ، وإن كان معنيًّا بها كلُّ مَن كان بمثلِ صفتِهم (٣) من المنافقين بعدَهم إلى يومِ القيامةِ . وقد يَحْتَمِلُ قولُ سلمانَ عند تلاوةِ هذه الآيةِ : ما جاء هؤلاء بعدُ . أن يكونَ قاله بعدَ فناءِ الذين كانوا بهذه الصفةِ على عهدِ / رسولِ اللّهِ ﷺ ، خبرًا منه عمَّن هو (٤) جاءٍ منهم بعدَهم ولمَّا يجئْ بعدُ ، (٥) لا أنه (٥) عنَى أنه لم يمضِ ممَّن ذلك (٦) صفتُه أحدٌ .

١٢٦/١

وإنما قلنا : أَوْلى التأويلين بالآيةِ ما ذكَرنا ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ من [١/٣٤ظ] أهلِ التأويلِ على أن ذلك صفةُ مَن كان بينَ ظهرانَىْ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ، على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ ، من المنافقين ، وأن هذه الآياتِ فيهم نزَلت ، والتأويلُ المجْمَعُ عليه أَوْلى بتأويلِ القرآنِ من قولٍ لا دلالةَ على صحَّتِه من أصلٍ ولا نظيرٍ .

(١ - ١) فى ر : « بمعصية فى » .
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٥/١ عقب الأثر (١٢٢) من طريق ابن أبى جعفر به .
(٣) فى ص : « وصفهم » .
(٤) سقط من : م .
(٥ - ٥) فى م : « لأنه » .
(٦) فى م : « هذه » .

والإفسادُ فى الأرضِ العملُ فيها بما نهَى اللَّهُ جلَّ وعزَّ عنه ، وتضييعُ ما أمرَ اللهُ بحفظِه ، فذلك جملةُ الإفسادِ ، كما قال جلَّ ثناؤُه فى كتابهِ مُخبرًا عن قِيلِ ملائكتِه : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ [البقرة : ٣٠] يَعْنُون بذلك : أتجعلُ فى الأرضِ من يعصِيك ويُخالفُ أمرَك ؟ فكذلك صفةُ أهلِ النفاقِ ؛ مفسدون فى الأرضِ بمعصيتِهم فيها ربَّهم ، ورُكوبِهم فيها ما نهاهم عن رُكوبِه ، وتضييعِهم فرائضَه ، وشكِّهم فى دينِ اللَّهِ الذى لا يقبَلُ من أحدٍ عملًا إلا بالتصديقِ به ، والإيقانِ بحقيقتِه ، وكذبِهم المؤمنين بدَعْواهم غيرَ ما هم عليه مقيمون من الشكِّ والرَّيبِ ، ومُظاهرتِهم أهلَ التكذيبِ باللَّهِ وكتبِه ورسلِه على أولياءِ اللَّهِ إذا وجَدوا إلى ذلك سبيلاً . فذلك[١] إفسادُ المنافقين فى [٢]أرضِ اللَّهِ[٢] ، وهم يَحْسَبون أنهم بفعلِهم ذلك مُصلحونَ فيها ، فلم يُسْقِطِ اللَّهُ جلَّ ثناؤه عنهم عقوبتَه ، ولا خفَّف عنهم أليمَ ما أعدَّ من عقابِه لأهلِ معصيتِه ، بحُسْبانِهم أنهم فيما أتَوْا من معاصى اللهِ مُصلحونَ ، بل أوْجب لهم الدَّرْكَ الأسفلَ من نارِه ، والأليمَ من عذابِه ، والعارَ العاجلَ بسَبِّ اللهِ إيَّاهم وشَتْمِه لهم ، فقال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ . وذلك من حُكمِ اللهِ فيهم أدلُّ الدليلِ على تكذيبِه جلّ ثناؤه قولَ القائلين : إن عقوباتِ اللهِ لا يَسْتَحِقُّها إلَّا المعاندُ ربَّه فيما لزِمه من حقوقِه وفروضِه ، بعد علمِه وثُبوتِ الحُجَّةِ عليه بمعرفتِه بلزومِ ذلك إيَّاه.

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

وتأويلُ ذلك كالذى قاله ابنُ عباس ، الذى **حدَّثنا** به محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ

---

(١) فى ص : « وكذلك » ، وفى ر : « فكذلك » .

(٢ - ٢) فى ص : « الأرض » .

ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ . أى قالوا : إنما نريدُ الإصلاحَ بينَ الفريقين من المؤمنين وأهلِ الكتابِ[(١)] .

وخالَفه فى ذلك غيرُه ، فحدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ . قال : إذا ركِبوا معصيةَ اللَّهِ فقِيل لهم : لا تفعَلوا كذا وكذا . قالوا : إنما نحن على الهُدَى[(٢)] .

قال أبو جعفرٍ : وأىُّ الأمرين كان منهم فى ذلك ، أعنى فى دَعْواهم أنهم مصلحون ، فهم لا شكَّ أنهم كانوا يَحْسَبون أنهم فيما أتَوْا من ذلك مصلحون - فسواءٌ بينَ اليهودِ والمسلمين كانت دَعْواهم الإصلاحَ ، أو فى أديانِهم ، وفيما ركِبوا من معصيةِ اللَّهِ ، وكذِبهم المؤمنين فيما أظْهروا لهم من القولِ ، وهم لغيرِ ما أظْهروا / مُسْتبطِنون ؛ لأنَّهم كانوا فى جميعِ ذلك من أمرِهم عندَ أنفسِهم مُحْسِنين ، وهم عندَ اللَّهِ مُسيئون ، ولأمرِ اللَّهِ مُخالِفون ، لأنَّ اللَّهَ جَلَّ ثناؤُه قد كان فرَض عليهم عداوةَ اليهودِ وحربَهم مع المسلمين ، وألْزمهم التصديقَ برسولِ اللَّهِ ﷺ ، وبما جاء به من عندِ اللَّهِ ، كالذى ألْزم من ذلك المؤمنين ، فكان لقاؤُهم اليهودَ على وجهِ الوِلايةِ منهم لهم ، وشكُّهم فى نبوَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وفيما جاء به أنه من عندِ اللَّهِ - أعظمَ الفسادِ ، وإن كان ذلك كان عندَهم إصلاحًا وهُدًى فى أديانِهم ، أو فيما بينَ المؤمنين واليهودِ ، فقال جلَّ ثناؤُه فيهم : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾

١٢٧/١

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٣١/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٥/١ (١٢٤) من طريق سلمة به .

(٢) بعده فى ص ، ت ١ ، م : « مصلحون » .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٠/١ إلى المصنف كاللفظ المثبت . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٧٥/١ عن ابن جريج عن مجاهد ، بزيادة : « مصلحون » فى آخره .

دونَ الذين يَنْهَوْنهم من المؤمنين عن الإفسادِ فى الأرضِ ، ﴿ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

وهذا القولُ من اللَّهِ جلَّ ثناؤُه تكذيبٌ للمنافقين فى دَعْواهم إذا[1] أُمِروا بطاعةِ اللَّهِ فيما أمَرهم اللَّهُ به ، ونُهوا عن معصيةِ اللَّهِ فيما نهاهم اللَّهُ عنه ، قالوا : إنما نحن مُصلحون لا مُفسدون ، ونحن على رُشْدٍ وهُدًى فيما أنكَرْتموه علينا دونَكم ، لا ضالُّون . فكذَّبهم اللَّهُ جلّ وعزّ فى ذلك من قِيلِهم ، فقال : ألا إنهم هم المُفْسِدون المخالفون أمرَ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، المتعدُّون حدودَه ، الراكبون معصيتَه ، التاركون فروضَه ، وهم لا يَشْعُرون ولا يَدْرُون أنهم كذلك ، لا الذين يَأْمُرونهم بالقسطِ من المؤمنين ، ويَنْهَوْنهم عن معاصى اللَّهِ جلّ وعزّ فى أرضِه من المسلمين .

القولُ فى تأويلِ قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ قولِه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ يعنى : وإذا قيل لهؤلاء الذين وصَفَهم اللَّهُ ونَعَتهم بأنَّهم يقولون : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ : صَدِّقوا بمحمدٍ ﷺ[2] وبما جاء به من عندِ اللَّهِ ، كما صدَّق به الناسُ . ويعنى بـ ﴿ ٱلنَّاسُ ﴾ : المؤمنين الذين آمنوا بمحمدٍ ونبوَّتِه وما جاء به من عندِ اللَّهِ .

كما **حدَّثنا** أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ[3] بنُ سعيدٍ ، عن بِشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ

---

(١) فى ر ، ت ٢ : « إذ » .

(٢) بعده فى ص : « ونبوته » .

(٣) فى ص : « عمار » .

ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ . يقولُ : وإذا قيل لهم : صدِّقوا كما صدَّق أصحابُ محمدٍ ﷺ ، قولوا[(١)] : إنه نبيٌّ ورسولٌ ، وأن ما أُنْزِل عليه حقٌّ ، وصدِّقوا بالآخرةِ ، وأنكم مبعوثون من بعدِ الموتِ[(٢)] .

وإنما أُدْخِلت الألفُ واللَّامُ فى ﴿ ٱلنَّاسُ ﴾ وهم بعضُ الناسِ لا جميعُهم ؛ لأنهم كانوا معروفين عندَ الذين خُوطبوا (٣)بذلك فى هذه(٣) الآيةِ بأعيانِهم . وإنما معناه : آمِنوا كما آمَن الناسُ الذين تعرِفونهم من أهلِ اليقينِ / والتصديقِ باللَّهِ ، وبمحمدٍ ﷺ ، وبما جاء به من عندِ اللَّهِ ، وباليومِ الآخرِ . فلذلك أُدْخِلت الألفُ واللامُ فيه ، كما [١/ ٣٥و] أُدْخِلتا فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] . لأنه أُشِير بدخولِهما[(٤)] إلى ناسٍ معروفين عند مَن خُوطِب بذلك .

١٢٨/١

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والسفهاءُ جمعُ سَفِيهٍ ، (٥)كما العلماءُ(٥) جمعُ عليمٍ ، والحكماءُ جمعُ حكيمٍ . والسفيهُ الجاهلُ الضعيفُ الرأيِ ، القليلُ المعرفةِ بمواضعِ المنافعِ والمضارِّ . ولذلك سمَّى اللَّهُ جلَّ وعزَّ النساءَ والصبيانَ سفهاءَ ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ [النساء : ٥] . فقال عامَّةُ أهلِ التأويلِ : هم النساءُ والصبيانُ ؛ لضعفِ آرائِهم[(٦)] ، وقلةِ معرفتِهم بمواضعِ المصالحِ والمضارِّ التى

(١) فى م : « قالوا » .
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٤٥ (١٢٦، ١٢٧) من طريق أبى كريب به .
(٣ - ٣) فى ص ، م : « بهذه » .
(٤) فى م : « بدخولها » .
(٥ - ٥) فى م : « كالعلماء » .
(٦) فى ت ٢ : « رأيهم » .

تُصْرَفُ إليها الأموالُ .

وإنما عَنى المنافقون بقيلِهم : ﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ - إذ دُعوا إلى التصديقِ بمحمدٍ ﷺ ، وبما جاء به من عندِ اللهِ ، والإقرارِ بالبعثِ ، فقيل[1] لهم : ﴿ ءَامِنُواْ ﴾ -: كما آمَن أصحابُ محمدٍ وأتباعُه من المؤمنين المصدِّقين به مِن[2] أهلِ الإيمانِ واليقينِ ، والتصديقِ باللَّهِ ، وبما افْتَرض عليهم على لسانِ رسولِهِ محمدٍ ﷺ وفى كتابِه ، وباليومِ الآخرِ . فقالوا إجابةً لقائلِ ذلك لهم : أنؤمنُ كما آمَنَ أهلُ الجهلِ ، ونصدِّقُ بمحمدٍ كما صدَّق به هؤلاء الذين لا عقولَ لهم ولا أفهامَ !

كالذى **حدَّثنى** موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمَّادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ : يعنُون أصحابَ النبىِّ ﷺ[3] .

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجَّاجِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبِيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ : يعنُون أصحابَ محمدٍ ﷺ[4] .

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « فقال » .

(٢) سقط من : م .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٧٦ عن السدى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٠ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٤٦ عقب الأثر (١٣٠) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٤٦ (١٣٠) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخْبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ بنِ أسلمَ في قولِه : ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ . قال : هذا قولُ المنافقين ، يريدون أصحابَ النبيِّ ﷺ .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عُثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ[(١)] ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ : يقولون : أنقولُ كما يقولُ السفهاءُ ؟ يعنُون أصحابَ محمدٍ ﷺ ، لخِلافِهم لدينِهم[(٢)] .

القولُ في تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وهذا خبرٌ من اللَّهِ تعالى عن المنافقين الذين تقدَّم نعتُه لهم ، ووصفُه إيّاهم بما وصَفهم به من الشكِّ والتكذيبِ - أنهم هم الجُهَّالُ في أديانِهم ، الضعفاءُ الآراءِ في اعتقاداتِهم واختياراتِهم التي اختاروها لأنفسِهم ، من الشكِّ [(٣)]والتكذيبِ[(٣)] والرَّيبِ في أمرِ اللهِ جلّ وعزّ وأمرِ رسولِه وأمرِ نبوَّتِه ، وفيما جاء به من عندِ اللَّهِ ، وأمرِ/ البعثِ ؛ لإساءتِهم إلى أنفسِهم بما أتَوْا من ذلك ، وهم يحسَبون أنهم إليها يُحسنون[(٤)] ، وذلك هو عينُ السَّفَهِ ؛ لأن السفيهَ إنما يُفْسِدُ من حيثُ يرى أنه يُصلِحُ ، ويُضيِّعُ من حيثُ يرى أنه يحفَظُ ، فكذلك المنافقُ ، يعصِي ربَّه من حيثُ يرى أنه يُطيعُه ، ويكفُرُ به من حيثُ يرى أنه يُؤمنُ به ، ويُسيءُ إلى نفسِه من حيث

١٢٩/١

(١) في م : « عمار » .
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٦/١ (١٢٩) من طريق أبي كريب به .
(٣ - ٣) زيادة من : ر .
(٤) في ر ، ت ٢ : « محسنون » .

يَحْسَبُ[(١)] أنه يُحسنُ إليها ، كما وصَفهم به ربُّنا جلَّ ذكرُه فقال : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ . وقال : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ دونَ المؤمنين المصدِّقين باللَّهِ وبكتابِه وبرسولِه وثوابِه وعقابِه ، ﴿ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ . وكذلك كان ابنُ عباسٍ يتأوَّلُ هذه الآيةَ .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : يقولُ اللَّهُ عزّ وجلَّ : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ ، يقولُ : الجهَّالُ ، ﴿ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ . يقولُ : ولكن لا يعقِلون[(٢)] .

وأما وجهُ دخولِ الألفِ واللامِ فى ﴿ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ فشبيهٌ بوجهِ دخولِهما فى ﴿ ٱلنَّاسُ ﴾ ، فى قولِه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ . وقد بيَّنَّا العلَّةَ فى دخولِهما هنالك ، والعلَّةُ فى دخولِهما فى ﴿ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ نظيرتُها فى دخولِهما فى ﴿ ٱلنَّاسُ ﴾ هنالك ، سواءً .

والدلالةُ التى تدلُّ عليه هذه الآيةُ من خطأ قولِ مَن زعَم أن العقوبةَ من اللَّهِ جلّ وعزّ لا يَستَحِقُّها إلا المعاندُ ربَّه ، بعدَ[(٣)] علمِه بصحةِ ما عانَده فيه - نظيرةُ[(٤)] دلالةِ الآياتِ الأُخَرِ التى قد تقدَّم ذكرُنا تأويلَها فى قولِه : ﴿ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ ونظائرِ[(٥)] ذلك .

---

(١) فى ر : « يرى » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٦/١ (١٣١ ، ١٣٢) من طريق أبى كريب به . وهو تمام الأثر المتقدم فى الصفحة السابقة .

(٣) فى م : « مع » .

(٤) فى ت ٢ ، م : « نظير » .

(٥) فى م : « نظير » .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وهذه الآيةُ نظيرةُ[1] الآيةِ الأُخْرى التى أخْبر اللَّهُ جلّ ثناؤُه فيها عن المنافقين بخِداعِهم اللَّهَ ورسولَه والمؤمنين ، فقال : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ . ثم أكْذَبهم تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وأنهم بقيلِهم ذلك يُخادِعون اللَّهَ والذين آمنوا . وكذلك أخْبر عنهم فى هذه الآيةِ أنهم يقولون للمؤمنين المصدِّقين باللَّهِ وكتابِه ورسولِه بألسنتِهم : آمنَّا وصدَّقنا بمحمدٍ ، وبما جاء به من عندِ اللَّهِ ، خِداعًا عن دمائِهم وأموالِهم وذراريِّهم ، ودرْءًا لهم عنها ، وأنهم إذا خَلَوْا إلى مَرَدتِهم[2] وأهلِ العُتُوِّ والشرِّ والخُبْثِ منهم ، ومن سائرِ أهلِ الشركِ ، الذين هم على مثلِ ما[3] هم عليه من الكفرِ باللَّهِ وبكتابِه ورسولِه ، وهم شَياطينُهم - وقد دلَّلنا فيما مضَى من كتابِنا[4] على أن شياطينَ كلِّ شيءٍ مَردتُه - قالوا لهم : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ أى : إنَّا معكم على دينِكم ، وظُهراؤُكم على مَن [١/٣٥ظ] خالَفكم فيه ، وأولياؤُكم دونَ أصحابِ محمدٍ ﷺ ، ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ باللَّهِ وبكتابِه ورسولِه وأصحابِه .

كالذى **حدَّثنا** محمدُ بنُ العلاءِ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا ﴾ . قال : كان رجالٌ / من اليهودِ إذا لَقُوا أصحابَ النبيِّ ١٣٠/١

---

(١) فى ر ، ت ٢ ، م : « نظير » .

(٢) فى ص : « أهل مودتهم » .

(٣) فى ص ، م : « الذى » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ص ١٠٩ .

ﷺ أو بعضَهم ، قالوا : إنَّا على دينِكم . وإذا خَلَوا إلى أصحابِهم ، وهم شياطينُهم ، ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[1] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بن أبي محمدٍ ، مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ ﴾ . قال : إذا خَلَوا إلى شياطينهم من يهودَ ، الذين يأمُرونهم بالتكذيبِ وخلافِ ما جاء به الرسولُ ، ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ ﴾ ، أي : إنَّا على مثلِ ما أنتم عليه ، ﴿ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[2] .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره **عن** أبي مالكٍ ، و[3] **عن** أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ ﴾ : أما شياطينُهم ، فهم رُءُوسُهم في الكفرِ[4] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ العَقَديُّ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدثنا سعيدٌ[5] ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ ﴾ أي : رُؤَسائِهم وقادتِهم في الشرِّ ، قالوا :

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٤٦ - ٤٨ (١٣٣، ١٣٦، ١٤٢) من طريق محمد بن العلاء به .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٣١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٤٧، ٤٨ (١٣٧، ١٤١) من طريق سلمة به .

(٣) في ص : « أو » .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/٧٧ عن السدى به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٤٧ عقب الأثر (١٤٠) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٥) في ر : « يزيد » .

﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخْبرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ . قال : المشركون .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ابنُ ميمونٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ جلّ وعزَّ : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ . قال : إذا خلا المنافقون إلى أصحابِهم من الكفارِ .

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ . قال : أصحابُهم من المنافقين والمشركين[(٢)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجَّاجِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ . قال : إخوانُهم من المشركين ، ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُريجٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ قال : إذا أصاب المؤمنين رَخاءٌ قالوا[(٤)] : نحن معكم ، إنما نحن إخوانُكم . وإذا خَلَوا إلى شياطينِهم اسْتَهْزَءوا

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٧/١ (١٣٨) من طريق سعيد به .

وأخرجه عبد بن حميد - كما فى الفتح ١٦١/٨ - من طريق شيبان عن قتادة . وستأتى بقيته فى ص ٣١٢.

(٢) تفسير مجاهد ص ١٩٦، ومن طريقه عبد بن حميد - كما فى تغليق التعليق ١٧٢/٤ - وابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٧/١ (١٣٩) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٨/١ عقب الأثر (١٤٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) بعده فى م : «إنا» .

بالمؤمنين .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قال[1] مجاهدٌ : شَياطينُهم أصحابُهم من المنافقين والمشركين .

فإن قال لنا قائلٌ : أرأيتَ قولَه : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ ﴾ . فكيف قيلَ : ﴿خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ ﴾ . ولم يقلْ : خَلَوا بشياطينِهم . فقد عَلِمْتَ أن الجارىَ بينَ الناسِ فى كلامِهم : خَلَوتُ بفلانٍ . أكثرُ وأفْشَى من : خَلَوتُ / إلى فلانٍ . ومن قولِك : إن القرآنَ أفصحُ البيانِ ؟ ١٣١/١

قيل : قد اخْتَلف فى ذلك أهلُ العلم بلغةِ العربِ ، فكان بعضُ نحْويِّى البصرةِ يقولُ : يقالُ : خَلَوتُ إلى فلانٍ . إذا أُريد به : خلَوتُ إليه فى [2]الحاجةِ خاصَّةً[2] ، لا يَحْتَملُ - إذا قيل كذلك - إلا الخلاءَ إليه فى قضاءِ الحاجةِ . فأما إذا قيل : خَلَوتُ به . احْتَمل معنيين : **أحدُهما** ، الخلاءُ به فى الحاجةِ . **والآخرُ** ، فى[3] السخريةِ به . فعلى هذا القولِ : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ ﴾ لا شكَّ أفصحُ منه لو قيل : وإذا خَلَوا بشياطينِهم . لما فى قولِ القائلِ : وإذا خَلَوا بشياطينِهم . من التباسِ المعنى على سامِعيه[4] ، الذى هو مُنْتَفٍ عن قولِه : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ﴾ . فهذا أحدُ الأقوالِ .

والقولُ الآخرُ : [5]أن تُوجِّهَ[5] معنى قولِه : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ ﴾ :

---

(١) فى ص : « وقال » .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١ ، م : « حاجة خاصة » .

(٣) سقط من : ص .

(٤) فى ص : « سامعه » .

(٥ - ٥) فى ص ، ت ٢ : « فأن توجه » ، وفى م : « أن توجيه » .

و[(١)] إذا خَلَوا مع شياطينِهم . إذ كانت حروفُ الصفاتِ[(٢)] يُعاقِبُ بعضُها بعضًا ، كما قال اللَّهُ مُخبرًا عن عيسى ابنِ مريمَ أنه قال للحواريين : ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الصف : ١٤] . يريدُ : مع اللَّهِ . وكما تُوضَعُ « على » فى موضعِ « مِن » و « فى » و « عن » ، و « الباء » ، كما قال الشاعرُ[(٣)] :

إذا رَضِيَتْ علىَّ بنو قُشيرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أعْجَبَنى رِضَاها

بمعنى : عَنِّى .

وأما بعضُ نحْويِّى[(٤)] الكوفةِ ، فإنه كان يتأوَّلُ أن ذلك بمعنى : وإذا لَقُوا الذين آمَنوا قالوا آمَنَّا ، وإذا صرَفوا خَلاءَهم إلى شياطينِهم . فيزعُمُ أن الجالبَ لـ ﴿إِلَى﴾ المعنى الذى دلَّ عليه الكلامُ من انصرافِ المنافقين عن لقاءِ المؤمنين إلى شياطينهم خالِين بهم ، لا قولُه : ﴿ خَلَوْا ﴾ . وعلى هذا التأويلِ لا يَصْلُحُ فى[(٥)] موضعِ ﴿إِلَى﴾ غيرُها ؛ لتغيُّرِ الكلامِ بدخولِ غيرِها من الحروفِ مكانَها .

وهذا القولُ عندى أوْلى بالصوابِ ؛ لأن لكلِّ حرفٍ من حروفِ المعانى وجهًا هو به أوْلى من غيرِه ، فلا يصلُحُ تحويلُ ذلك عنه إلى غيرِه إلا بحجةٍ يجبُ التسليمُ

---

(١) فى ت ٢: « فإذا » ، وفى م : « أى » .

(٢) حروف الصفات هى حروف الجر ، وسميت بذلك لأنها تحدث صفة فى الاسم ، فقولك : جلست فى الدار . دلت « فى » على أن الدار وعاء للجلوس ، وقيل : لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات . همع الهوامع ٢/ ١٩. وهى أيضًا حروف المعانى ، كما سيأتى .

(٣) هو القحيف العجلى ، وينظر البيت فى النوادر لأبى زيد ص ١٧٦، والكامل ٢/ ١٩٠، ٣/ ٩٨، والخزانة ٢/ ١٣٢.

(٤) بعده فى ص ، م : « أهل » .

(٥) سقط من : ص .

لها ، ولـ « إلى »[١] فى كلِّ موضعٍ دخَلت من الكلامِ حُكْمٌ ، وغيرُ جائزٍ سَلْبُها معانيَها فى أماكِنها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ .

أجْمع أهلُ التأويلِ جميعًا لا خلافَ بينهم على أن معنى قولِه : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ : إنما نحن ساخرون . فمعنى الكلام إذن : وإذا انصرف المنافقون خالِين إلى مَرَدتِهم من المنافقين والمشركين قالوا : إنا معكم على[٢] ما أنتم عليه ، من التكذيبِ بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به ، ومعاداتِه ومعاداةِ أتباعِه ، إنما نحن ساخرون بأصحابِ محمدٍ ﷺ [٣]فى قيلِنا[٣] لهم إذا لَقِيناهم : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ . [١/٣٦و]

كما **حدَّثنا** محمدُ بنُ العلاءِ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ[٤] بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ : ساخرون بأصحابِ محمدٍ ﷺ[٥] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ،عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ أى : إنما نحن نَسْتهزِئُ بالقومِ ونلعبُ بهم[٦] .

/ **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ العَقَديُّ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، عن سعيدٍ ، ١٣٢/١

(١) فى ص : « الأولى » .

(٢) فى م : « عن » .

(٣ - ٣) فى ص : « بقيلنا » .

(٤) فى م : « قيس » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٨/١ (١٤٢) من طريق محمد بن العلاء به . وهو تتمة الأثر المتقدم فى ص ٣٠٦.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣١. وهو تتمة الأثر المتقدم فى ص ٣٠٧.

عن قتادةَ : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ : إنما نَستهزِئُ بهؤلاء القومِ ونَسْخَرُ بهم [(١)] .

حدَّثني المُثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجَّاجِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي : نَستَهزِئُ بأصحابِ محمدٍ ﷺ [(٢)] .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اختُلِف في صفةِ استهزاءِ اللَّهِ تعالى ذكرُه الذي ذكَر أنه فاعلُه بالمنافقين الذين وصَف صفتَهم ؛ **فقال بعضُهم** : استهزاؤُه بهم كالذي أخْبرنا تبارك اسمُه أنه فاعلٌ بهم يومَ القيامةِ في قولِه تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ [الحديد: ١٣، ١٤] الآية . وكالذي أخبرنا أنه فعَل بالكفارِ بقولِه : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ [آل عمران : ١٧٨] . فهذا وما أشْبهه من استهزاءِ اللَّهِ تعالى ذكرُه وسخريتِه ومكرِه وخديعتِه للمنافقين وأهلِ الشركِ به ، عندَ قائلي هذا القولِ ومتأوِّلي هذا التأويلِ .

وقال آخرون : بل استهزاؤُه بهم توبيخُه إياهم ، ولومُه لهم على ما ركِبوا من معاصيه [(٣)]

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨/١ عقب الأثر (١٤٢) معلقا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣١/١ إلى عبد بن حميد . وهو تتمة الأثر السابق في ص ٣٠٧.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨/١ عقب الأثر (١٤٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) في م : « معاصي اللَّه » .

والكفرِ به ، كما يقالُ : إن فلانًا ليُهْزَأُ منه[1] اليومَ ، ويُسخرُ منه . يُرادُ به توبيخُ الناسِ إيَّاه ولومُهم له . أو[2] إهلاكُه إيَّاهم وتدميرُه بهم ، كما قال عَبِيدُ بنُ الأبْرَصِ[3] :

سَائِلْ بنا حُجْرَ ابنِ أُمِّ قَطَامِ إذْ ظلَّت به السُّمْرُ النواهِلُ[4] تَلعبُ

فزعَموا أن السُّمْرَ - وهى القَنَا - لا لَعِبَ منها ، ولكنها لما قتَلَتهم وشرَّدتهم ، جعَل ذلك من فعلِها لعبًا بمن فعَلَت ذلك به . قالوا : فكذلك استهزاءُ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه بمَن اسْتَهزَأ به من أهلِ النِّفاقِ والكفرِ به ، إما إهلاكُه إيَّاهم وتدميرُه بهم ، وإما إملاؤُه لهم ليأخُذَهم فى حالِ أمنِهم عندَ أنفسِهم بَغتةً ، أو توبيخُه لهم ولائمتُه إيَّاهم . قالوا : وكذلك معنى المكرِ منه والخديعةِ والسُّخريةِ .

وقال آخرون : قولُه : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ . على الجوابِ ، كقولِ الرجلِ لمن كان يخدَعُه إذا ظَفِر به : أنا الذى خدَعتُك . ولم تكنْ منه خديعةٌ ، ولكن قال ذلك إذ صار الأمرُ إليه . قالوا : وكذلك قولُه : ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٥٤] ، و﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ . على الجوابِ ، واللَّهُ لا يكونُ منه المكرُ ولا الهُزْءُ . والمعنى عندَهم[5] أن المكرَ والهُزْءَ حاقَ بهم .

---

(١) بعده فى ر : « منذ » .

(٢) فى ص ، ر ، ت ٢ : « و » .

والضمير فى قوله : إهلاكه إياهم وتدميرهم . عائد على اللَّه سبحانه ، وهو معطوف على قوله : توبيخه إياهم .

(٣) ديوانه ص ٧ .

(٤) النواهل ، جمع الناهل والناهلة : وهى الإبل العطاش ، تشبه بها الرماح ، كأنها تعطش إلى الدم . التاج (ن هـ ل) .

(٥) زيادة من : ر .

وقال آخرون: قولُه: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾. وقولُه: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢]. وقولُه: ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة: ٧٩]. و﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧]. وما أشْبه ذلك - إخبارٌ من اللَّهِ جلَّ ثناؤُه أنه مجازِيهم جزاءَ الاستهزاءِ، ومعاقبُهم عقوبةَ الخِداعِ، فأخْرج خبرَه عن جزائِه / إيَّاهم وعقابِه[1] لهم، مُخْرَجَ خبرِه عن فعلِهم الذى عليه استحقُّوا العقابَ فى اللفظِ، وإن اختَلف المعنيان، كما قال جلَّ ثناؤُه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠]. ومعلومٌ أن الأُولَى من صاحِبها سيئةٌ، إذ كانت منه للَّهِ تبارك وتعالى معصيةً، وأن الأخرى عَدْلٌ؛ لأنها من اللَّهِ جزاءٌ للعاصى على المعصيةِ، فهما - وإن اتَّفق لفظاهما - مختلفتا المعنى، وكذلك قولُه: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٩٤]. فالعُدْوانُ الأولُ ظلمٌ، والثانى جزاءٌ لا ظلمٌ، بل هو عَدلٌ؛ لأنه عقوبةٌ للظالمِ على ظلمِه، وإن وافق لفظُه لفظَ الأولِ. وإلى مثلِ[2] هذا المعنى وَجَّهوا كلَّ ما فى القرآنِ من نظائرِ ذلك، مما هو خبرٌ عن مكرِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ بقومٍ، وما أشْبَه ذلك.

١٣٣/١

وقال آخرون: إن معنى ذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أخبر عن المنافقين أنهم إذا خَلَوْا إلى مَرَدتِهم قالوا: إنا معكم على دينِكم فى تكذيبِ محمدٍ ﷺ وما جاء به، وإنما نحن - بما نُظهرُ لهم من قولِنا لهم: صدَّقْنا بمحمدٍ ﷺ وما جاء به - مستهزِئون. يعنُون أنَّا نُظهرُ لهم ما هو عندَنا باطلٌ لا حَقٌّ ولا هُدًى. قالوا: وذلك هو معنًى من معانى الاستهزاءِ، فأخْبر اللَّهُ أنه يَسْتهزئُ بهم، فيُظهرُ لهم من أحكامِه فى الدنيا خلافَ الذى لهم عندَه فى الآخرةِ، كما أظْهروا للنبىِّ ﷺ والمؤمنين فى الدينِ ما هم على خلافِه فى سرائرِهم.

---

(١) فى ص: «معاقبته».

(٢) زيادة من: ر.

والصوابُ فى ذلك من القولِ والتأويلِ عندَنا أن معنى الاستهزاءِ فى كلامِ العربِ إظهارُ المستهزِئ للمستهزَأ به من القولِ والفعلِ ما يُرْضِيه ويُوافِقُه[١] ظاهرًا، وهو بذلك من قيلِه وفعلِه به مُوَرِّطُه[٢] مساءَتَه[٣] باطنًا، وكذلك معنى الخِداعِ والسُّخريةِ والمكرِ.

فإذ كان ذلك كذلك، وكان اللَّهُ جلَّ ثناؤُه قد جعَل لأهلِ النِّفاقِ فى الدنيا من الأحكامِ - بما أظْهروا بألسنتِهم من الإقرارِ باللَّهِ وبرسولِه وبما جاء به من عندِ اللَّهِ، المُدْخِلِهم[٤] فى عِدادِ مَن يشمَلُهم[٥] اسمُ الإسلامِ، وإن كانوا[٦] لغيرِ ذلك مُستبطِنين[٧] - أحكامَ المسلمين[٨] المصدِّقين إقرارَهم بألسنتِهم بذلك، بضمائرِ قلوبِهم، وصَحائحِ عزائمِهم، وحميدِ أفعالِهم المحققةِ لهم صحةَ إيمانِهم، مع علمِ اللَّه جلَّ وعزَّ بكذبِهم، واطلاعِه على خُبْثِ اعتقادِهم، وشكِّهم فيما ادَّعَوا بألسنتِهم أنهم به[٩] مصدِّقون، حتى ظنُّوا فى الآخِرةِ - إذ حُشِروا فى عِدادِ من كانوا فى عِدادِهم فى الدنيا - أنّهم وارِدُون مَوْرِدَهم، وداخِلون مَدْخَلَهم، واللَّهُ جلَّ جلالُه مع إظهارِه ما قد أظْهر لهم من الأحكامِ المُلْحِقتِهم[١٠] فى عاجلِ الدنيا وآجلِ الآخرةِ

---

(١) سقط من: ص، وفى ر، ت ٢: «يوفقه».

(٢) فى م: «مورثه».

(٣) فى ص، م: «مساءة».

(٤) فى م: «المدخل لهم».

(٥) فى ص، م: «يشمله».

(٦) فى ر: «كان».

(٧) بعده فى م: «من».

(٨) فى ر: «الإسلام».

(٩) سقط من: م.

(١٠) فى م: «الملحقهم».

إلى [٣٦/١ظ] حالِ تمييزِه بينَهم وبينَ أوليائِه ، وتفريقِه بينهم وبينهم - مُعِدٌّ لهم من أليمِ عقابِه ونَكالِ عذابِه ، ما أعدَّ منه لأعْدى أعدائِه ، وشرِّ[(١)] عبادِه ، حتى ميَّز بينهم وبينَ أوليائِه ، فألحَقَهم من طبقاتِ جحيمِه بالدركِ الأسفلِ (٢)من النارِ(٢) - كان معلومًا[(٣)] أنه جلَّ ثناؤُه بذلك من فعلِه بهم ، وإن كان جزاءً لهم على أفعالِهم ، وعدلًا ما فعَل من ذلك بهم ؛ لاستحقاقِهم إيَّاه منه بعصيانِهم له كان بهم بما أظهَر لهم من الأمورِ التى أظْهرها لهم من إلحاقِه أحكامَهم فى الدنيا بأحكامِ أوليائِه وهم له أعداءٌ ، وحشرِه إيّاهم فى الآخرةِ مع المؤمنين وهم به من المكذِّبين ، إلى أن ميَّز بينَهم (٤)وبينَهم - مستهزِئًا بهم(٤) وساخرًا ، ولهم خادِعًا ،وبهم ماكرًا ؛ إذ كان معنى الاستهزاءِ والسُّخريةِ والمكرِ والخديعةِ ما وصَفنا قبلُ ، دونَ أن يكونَ ذلك معناه فى حالٍ فيها المستهزِئُ بصاحبِه له ظالمٌ ، أو عليه فيها[(٥)] عادلٌ ، بل ذلك معناه فى كلِّ / أحوالِه ، إذا[(٦)] وُجدَت الصفاتُ التى قدَّمنا ذكرَها فى معنى الاستهزاءِ وما أشْبَهه من نظائِره .

١/١٣٤

وبنحوِ ما قلنا فيه رُوى الخبرُ عن ابنِ عباسٍ .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ،

---

(١) فى م : « أشر » .

(٢ - ٢) زيادة من : ر .

(٣) قوله : كان معلوما . جواب قوله: فإذ كان ذلك كذلك ... المتقدم أول الفقرة .

(٤ - ٤) فى م : « وبينهم مستهزئا » .

(٥) بعده فى م : « غير » .

(٦) فى ر : « إذ قد » .

عن أبي رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ . قال : يسخَرُ بهم للنِّقمةِ منهم[(١)] .

وأمّا الذين زعَموا أن قولَ اللَّهِ جلّ ثناؤُه : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ . إنما هو على وجهِ الجوابِ ، وأنه لم يكنْ من اللَّهِ استهزاءٌ ولا مكرٌ ولا خديعةٌ ، فنافون عن اللَّهِ جلّ ثناؤُه ما قد أثْبَته اللَّهُ جلّ ثناؤُه لنفسِه وأوْجَبه لها . وسواءٌ قال قائلٌ : لم يكنْ من اللَّهِ جلَّ ذكرُه استهزاءٌ ولا مكرٌ[(٢)] ولا سُخريةٌ بمن أخبَرَ أنه يَسْتَهزِئُ ويسخَرُ ويمكُرُ به . أو قال : لم يخسِفِ اللَّهُ بمن أخْبَرَ أنه خسَف به من الأممِ ، ولم يُغرقْ من أخْبَرَ أنه غرّقه منهم .

ويقالُ لقائلِ ذلك : إن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أخبَرنا أنه مكَر بقومٍ مضَوا قبلَنا لم نَرَهم ، وأخبَر عن آخرين أنه خسَف بهم ، وعن آخرين أنه غرّقهم ، فصدَّقْنا اللَّهَ جلّ ثناؤُه فيما أخْبَرنا به من ذلك ، ولم نفرِّقْ بين شيءٍ منه ، فما برهانُك على تفريقِك ما فرَّقْتَ بينَه ، بزعمِك أنه قد غرّق وخسَف بمن قد[(٣)] أخْبَرَ أنه غرّقه وخسَف به ، ولم يمكُرْ بمن أخْبَرَ أنه قد مكَر به ؟ ثم يُعكَسُ القولُ عليه في ذلك ، فلن يقولَ في أحدِهما شيئًا إلا أُلْزِمِ في الآخرِ مثلَه .

فإن لجَأ إلى أن يقولَ : إن الاستهزاءَ عبثٌ ولعبٌ ، وذلك عن اللَّهِ عزَّ وجلَّ منفيٌّ .

قيل له : إن كان الأمرُ عندَك على ما وصَفْتَ من معنى الاستهزاءِ ، أفَلسْتَ تقولُ : اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بهم ، وسخِر اللَّهُ منهم ، ومكَر اللَّهُ بهم . وإن لم

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨/١ (١٤٣) من طريق أبي كريب به .

(٢) بعده في م : « ولا خديعة » .

(٣) زيادة من : ر .

يكنْ من اللَّهِ عندَك هُزْءٌ ولا سخريةٌ ؟ فإن قال : لا . كذَّب بالقرآنِ ، وخرَج من[1] ملَّةِ الإسلامِ . وإن قال : بلى . قيل له : أفتقولُ من الوجهِ الذى قلت : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ : يلعَبُ اللَّهُ بهم ويعبَثُ . ولا لعبَ من اللَّهِ ولا عبثَ ؟ فإن قال : نعم . وصَف اللَّهَ بما قد أجْمَع المسلمون على نفيِه عنه ، وعلى تخطئةِ واصفِه به ، وأضاف إليه ما قد قامت الحجةُ من العقولِ على ضلالِ مُضيفِه إليه . وإن قال : لا أقولُ : يلعبُ اللَّهُ بهم ، ولا يعبَثُ . وقد أقولُ : يَسْتهزِئُ بهم ، ويسخَرُ منهم . قيل : فقد فرَّقت بين معنى اللعبِ والعبثِ ، والهُزْءِ والسخريةِ ، والمكرِ والخديعةِ ، ومن الوجهِ الذى جاز قيلُ هذا ، ولم يَجُزْ قيلُ هذا ، افْترق معنياهما ، فعُلم أن لكلٍّ واحدٍ منهما معنًى غيرَ معنى الآخرِ .

وللكلامِ فى هذا النوعِ موضعٌ غيرُ هذا ، كرِهنا إطالَةَ الكتابِ باستقصائِه ، وفيما ذكَرْنا كفايةٌ لمن وُفِّق لفَهمِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اختَلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنى** به موسى بنُ هارونَ ، **قال** : حدَّثنا عمرٌو ، **قال** : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ ﴾ : يُملى لهم[2] .

---

(١) فى م : « عن » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧٨/١ عن السدى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٨/١ (١٤٤) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى من قوله . وسيأتى بقية هذا الأثر فى ص ٣٢١، ٣٢٢.

/ وقال آخرون بما حدَّثني به المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، عن ١٣٥/١ ابنِ المباركِ ، عن ابنِ جُريجٍ قراءةً ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ ﴾ قال : يَزيدُهم[1] .

وكان بعضُ نحويِّي[2] البصرةِ يتأوَّلُ ذلك أنه بمعنى : يَمُدُّ لهم . ويزعُمُ أن ذلك نظيرُ قولِ العربِ : الغلامُ يلعَبُ الكِعابَ . [3]يُراد به : يلعَبُ بالكِعابِ[3] . قال : وذلك أنهم قد يقولون : قد مدَدْتُ له ، وأمْددْتُ له . في غيرِ هذا المعنى ، وهو قولُ اللَّهِ جلَّ وعز : ﴿ وَأَمْدَدْنَهُم ﴾ [الطور : ٢٢] . وهذا من : أمْدَدناهم . قال : ويقالُ : قد مدَّ البحرُ فهو مادٌّ ، وأمَدَّ الجُرْحُ فهو مُمِدٌّ .

وحُكِي عن يونسَ الجَرْميِّ[4] أنه كان يقولُ : ما كان من الشرِّ فهو : مدَدْتُ ، وما كان من الخيرِ فهو : أمْدَدتُ . ثم قال : وهو كما فسَّرتُ لك ، إذا أردتَ أنك ترَكْتَه فهو : مَدَدتُ له ، وإذا أردتَ أنك أعْطَيتَه قلت : أمْدَدتُ .

وأما بعضُ نحويِّي الكوفةِ فإنه كان يقولُ : كلُّ زيادةٍ حدَثت في الشيءِ من نفسِه ، فهو : مَدَدتُ ، بغيرِ ألفٍ ، كما تقولُ : مدَّ النهَرُ ، [5]ومدَّه نهَرٌ[5] آخرُ غيرُه . إذا اتَّصل به فصار منه ، وكلُّ زيادةٍ حَدَثت في الشيءِ من غيرِه فهو بألفٍ ، كقولِك : أمدَّ الجُرْحُ ؛ لأنَّ المِدَّةَ من غيرِ الجُرحِ ، وأمْدَدتُ الجيشَ بمَدَدٍ .

وأولى هذه الأقوالِ بالصوابِ في قولِه : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ ﴾ . أن يكونَ بمعنى :

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨/١ (١٤٥) من طريق ابن جريج به .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣١/١ إلى الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) بعده في ر : « أهل » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) ينظر تهذيب اللغة ١٤/ ٨٥.

(٥ - ٥) في ص : « مده فهو » ، وفي ر : « مد نهر » .

يزيدُهم . على وجهِ[(١)] الإملاءِ والتركِ لهم فى عُتوِّهم وتمرُّدِهم ، كما وصَف ربُّنا جلَّ ثناؤُه أنه فعَل بنظرائِهم فى قولِه : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٠] . [(٢)]فكذلك قولُه : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[(٢)] . يعنى : [(٣)]يَذَرُهم ويترُكُهم فيه ، ويُملى[(٣)] لهم ليزْدادوا إثمًا إلى إثمِهم .

ولا وجهَ لقولِ من قال : ذلك بمعنى : يَمُدُّ لهم . لأنَّه [(٤)]لا تدافُعَ بين[(٤)] العربِ وأهلِ المعرفةِ بلغتِها أن يستجيزوا قولَ القائلِ : مدَّ النهَرَ[(٥)] نَهَرٌ آخرُ . بمعنى : اتصل به فصار[(٦)] زائدًا [(٧)]ماءُ المتَّصَلِ[(٧)] به بماءِ المتَّصِلِ . مِن غيرِ تأوُّلٍ منهم ذلك[(٨)] أن معناه : [١/٣٧و] مدَّ النهَرَ[(٩)] نهَرٌ آخرُ . فكذلك ذلك فى قولِه جلّ وعزّ : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والطغيانُ الفُعْلانُ ، من قولِك : طغَى فلانٌ يطغَى طُغْيانًا . إذا تجاوَز فى الأمرِ حدَّه فبغَى . ومنه قولُ اللَّهِ جلّ ثناؤُه : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن

---

(١) فى ر : « معنى » .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م .

(٣ - ٣) فى ص ، م : « نذرهم ونتركهم فيه ونملى » .

(٤ - ٤) فى ص : « تتدافع » .

(٥) فى ص : « إليهم » .

(٦) فى ص : « صارا » .

(٧ - ٧) فى ر ، ت ٢ : « ما اتصل » ، وفى ت ١ : « بماء المتصل » .

(٨) فى ص : « وذلك » .

(٩) فى ص : « للنهر » .

رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦، ٧] . أى : يتجاوزُ حدَّه . ومنه قولُ أُمَيَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ[1] :

ودعا اللَّهَ دعوةً [2]لاتَ هَنَّا[2] بعدَ طُغْيانِه فظلَّ[3] مُشيرَا

وإنما عنَى اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ ﴾ أى[4] : يُملى لهم ، ويذَرُهم يبغُون فى ضلالَتِهم[5] وكفرِهم حَيارَى يتردَّدون .

كما **حُدِّثت** عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بِشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ . قال : فى كفرِهم يتردَّدون[6] .

وحدَّثنى موسى بنُ هارون ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ فى خبرٍ ذكَره/**عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ فِى طُغْيَٰنِهِمْ ﴾ : فى كفرِهم[7] . ١٣٦/١

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿ فِى طُغْيَٰنِهِمْ ﴾ : فى ضلالتِهم[8] .

حُدِّثت عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن

---

(١) ديوانه ص ٤٤.

(٢ - ٢) فى الديوان : « لا يهنا » .

(٣) فى إحدى نسخ الديوان : « فصار » .

(٤) فى م : « أنه » .

(٥) فى ص ، م : « ضلالهم » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٩/١ (١٤٨، ١٥٠) عن أبى زرعة ، عن المنجاب به .

(٧) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٢١، ٣٢٢ .

(٨) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٩/١ عقب الأثر (١٤٨) معلقا .

الرَّبيعِ : ﴿ فِي طُغْيَنِهِمْ ﴾ : فى ضلالتِهم[(١)] .

حدَّثنا يونسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فِي طُغْيَنِهِمْ ﴾ قال : طغيانُهم كفرُهم وضلالتُهم[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزّ وجلّ : ﴿ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والعَمَهُ نفسُه الضلالُ . يقالُ منه : عمِه فلانٌ يعمَهُ عَمَهانًا وعُموهًا ، إذا ضلَّ . ومنه قولُ رؤْبَةَ بنِ العجَّاجِ يصفُ مَضَلَّةً من المَهامِهِ[(٣)] :

ومَخْفَقٍ[(٤)] من لُهْلُهٍ[(٥)] ولُهْلُهِ
من[(٦)] مَهْمَهٍ[(٧)] يَجْتَبْنَهُ[(٨)] فى[(٩)] مَهْمَهِ
أعْمَى الهُدى بالجاهلين العُمَّهِ

والعُمَّهُ جمعُ عامِهٍ ، وهم الذين يضلُّون فيه فيتحيَّرون .

فمعنى قولِه جلَّ ثناؤُه إذن[(١٠)] : ﴿فِي طُغْيَنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ . فى ضلالتِهم وكفرِهم

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٩/١ عقب الأثر (١٤٨) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٧٩/١ عن ابن زيد .

(٣) ديوان رؤبة (مجموعة أشعار العرب) ص ١٦٦.

(٤) المخفق : الأرض التى تستوى فيكون فيها السراب مضطربا . اللسان (خ ف ق) .

(٥) فى ص : « أهله » . واللهله : الأرض الواسعة يضطرب فيها السراب . اللسان (لهله) .

(٦) فى الديوان : « و » .

(٧) المهمه : الفلاة بعينها لا ماء بها ولا أنيس . اللسان (م هـ هـ) .

(٨) فى الديوان : « أطرافه » ، وفى ص : « يجتنه » ، وفى ت ١ : « يجبنه » . وجاب المفازة جوبًا : قطعها . تاج العروس (ج و ب) .

(٩) فى ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ : « و » .

(١٠) سقط من : م .

الذى قد غمَرَهم دَنَسُه ، وعلاهم رِجْسُه ، يتردَّدون حَيارَى ضُلَّا لّا ، لا يجدون إلى الـمَخْرَجِ منه سبيلًا ؛ لأنَّ اللَّهَ قد طبَع على قلوبِهم ، وختَم عليها ، وأَعْمَى أبصارَهم عن الهدَى وأغشاها[1] ، فلا يُبْصِرونَ رُشْدًا ، ولا يهتَدون سبيلًا .

وبنحوِ ما قلنا فى العَمَهِ جاء تأويلُ المتأوِّلين .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ **يَعْمَهُونَ** ﴾ : يتمادَوْن فى كفرِهم[2] .

حدَّثنى المُثنَّى بنُ إبراهِيمَ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ **يَعْمَهُونَ** ﴾ . قال : يتمادَوْن[3] .

حُدِّثت عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ **يَعْمَهُونَ** ﴾ . قال : يتردَّدون[4] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ **يَعْمَهُونَ** ﴾ : المتلدِّدُ[5] .

---

(١) فى ص : « أعشاها » ، وفى ت ٢: « أعشاهم » .

(٢) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٢١، ٣٢٢.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٤٩ (١٤٩) من طريق عبد الله بن صالح به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣١ إلى ابن المنذر .

(٤) تقدم فى ص ٣٢١.

(٥) سقط من : ص ، وفى ت ١: « التلذذ » ، وفى ت ٢: « المتلذذ » . وتلدد : تلفت يمينا وشمالا وتحير متبلدا . اللسان (ل د د) .

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميمونٍ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ . قال : يتردَّدون[١] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفَة ، قال حدَّثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

١٣٧/١ / **حدَّثنا** سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبي ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثني المُثنى ، قال : حدَّثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، عن ابنِ المباركِ ، عن ابنِ جُريجٍ قراءةً ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حُدِّثت عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ قال : يتردَّدون[٢] .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : إن قال لنا[٣] قائلٌ : وكيف اشترى هؤلاءِ القومُ الضلالةَ بالهدى ، وإنما كانوا منافقين لم يتقدَّمْ نفاقَهم إيمانٌ فيقالَ فيهم : باعوا هداهم الذى كانوا عليه بضلالتِهم التى[٤] اسْتَبدلوها منه . وقد علِمتَ أن معنى الشراءِ المفهومَ

---

(١) تفسير مجاهد ص ١٩٦، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١/١ إلى الفريابى وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٩/١ عقب الأثر (١٥٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « حتى » .

اعتياضُ شيءٍ ببذلِ شيءٍ مكانَه عِوَضًا منه ، والمنافقون الذين وصَفهم اللَّهُ بهذه الصفةِ لم يكونوا قطُّ على هُدًى فيتْرُكوه ويَعْتاضوا منه كفرًا ونفاقًا ؟

قيل : **قد اختَلف أهلُ التأويلِ** في معنى ذلك ، فنذكُرُ ما قالوا فيه ، ثم نبيِّنُ الصحيحَ من التأويلِ في ذلك إن شاء اللَّهُ .

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ ابنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ أي : الكفرَ بالإيمانِ[(1)] .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره **عن** أبي مالكٍ ، **وعن** أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ . يقولُ[(2)] : أَخَذوا الضلالةَ وترَكوا الهدى[(3)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ : استَحبُّوا الضلالةَ على الهُدى[(4)] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٢/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٩/١ (١٥٣) من طريق سلمة به .

(٢) في ص ، ت ١ : « قال » .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٧٩/١ عن السدى به . وعزاه السيوطى في الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٠/١ (١٥٥) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٤) بعده في ت ٢ : « وحدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ . استحبوا الضلالة على الهدى » .=

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميمونٍ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ : آمَنوا ثم كفَروا[1] .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

قال أبو جعفرٍ : فكأنَّ[2] [٣٧/١ظ] الذين قالوا في تأويلِ ذلك : أخَذوا الضلالةَ وترَكوا الهدى . وجَّهوا معنى الشِّراءِ إلى أنه أخْذُ المُشْترِى المُشْتَرَى[3] مكانَ الثمنِ المشترَى به ، فقالوا : كذلك المنافقُ والكافرُ قد أخَذا مكانَ الإيمانِ الكفرَ ، فكان ذلك منهما شراءً للكفرِ والضلالةِ اللذين أخَذاهما بترْكِهما ما ترَكا من الهدى ، وكان الهدى الذى ترَكاه هو[4] الثمنَ الذى جعَلاه عِوَضًا من الضلالةِ التى أخذاها .

وأما الذين تأوَّلوا أن معنى قولِه : ﴿ ٱشۡتَرَوُاْ ﴾ : استحبُّوا . فإنهم لما وجَدوا اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قد وصَف الكفارَ فى موضعٍ آخرَ ، فنسبَهم إلى استحبابِهم الكفرَ على الهدى ، فقال : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾ [فصلت : ١٧] . صرَفوا قولَه : ﴿ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ إلى ذلك ، وقالوا :

= وأثر قتادة أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ، كما فى الدر المنثور ٣٢/١- ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٩/١ (١٥٢) - عن معمر عن قتادة . وعزاه السيوطى إلى عبد بن حميد . وستأتى بقيته فى ص ٣٣٠.

(١) تفسير مجاهد ص ١٩٧، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٠/١ (١٥٤) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) فى م : « فكان » .

(٣) سقط من : ص ، م .

(٤) فى ر : « من » .

قد تدخُلُ/الباءُ مكانَ « عَلَى » ، و« على » مكانَ الباءِ ، كما يقالُ : مَرَرْتُ بفلانٍ ، ١٣٨/١ ومَرَرْتُ على فلانٍ . بمعنًى واحدٍ ، وكقولِ اللّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾ [آل عمران : ٧٥] . يُريدُ[1] : على قنطارٍ . فكان تأويلُ الآيةِ على معنى هؤلاء : أولئك الذين اختاروا الضلالةَ على الهدى . وأُراهم وجَّهوا معنى قولِ اللّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱشْتَرَوُاْ ﴾ إلى معنى : اخْتاروا ؛ لأن العربَ تقولُ : اشْتَريتُ كذا على كذا ، واسْتَرَيتُه . يعنُون : اخترتُه عليه . ومن الاسْتِراءِ[2] قولُ أعْشى بنى ثعلبةَ[3] :

فقد أُخرِجُ الكاعبَ[4] المُسْتَرا ةَ[5] من خِدْرِها وأُشِيعُ القِمَارَا

يَعنى بالمسْتراةِ[6] المختارةَ .

وقال ذو الرُّمَّةِ فى الاشتراءِ بمعنَى الاختيارِ[7] :

يذُبُّ القَصَايا[8] عن شَرَاةٍ[9] كأنَّها جماهيرُ[10] تحت المُدْجِناتِ[11] الهَوَاضِبِ[12]

يعنى بالشَّراةِ المختارةَ .

---

(١) فى م : « أى » .

(٢) فى ر ، م : « الاشتراء » .

(٣) ديوانه ص ٤٥ .

(٤) الكاعب : الجارية التى نهد ثديها . اللسان (ك ع ب) .

(٥) فى م : « المشتراة » .

(٦) فى م : « بالمشتراة » .

(٧) ديوان ذى الرمة ١/ ٢١٢ .

(٨) القصايا : خيار الإبل ، وقيل : القصية من الإبل رذالتها . وهو المراد هنا . اللسان (ق ص ى) .

(٩) فى الديوان ، واللسان (ق ص ى) : « سراة » ، وفى اللسان (ش ر ى) : « شراة » .

(١٠) الجماهير جمع الجمهور : الرمل الكثير المتراكم الواسع . اللسان (جمهر) .

(١١) أدجن المطر : دام فلم يقلع أياما . اللسان (د ج ن) .

(١٢) الهضبة : المطرة الدائمة العظيمة القطر . اللسان (هـ ض ب) .

وقال آخرُ فى مثلِ[(١)] ذلك[(٢)] :

إن الشَّرَاةَ رُوقةُ[(٣)] الأَموالِ

وحَزْرَةُ[(٤)] القَلْبِ خِيارُ المَالِ

قال أبو جعفرٍ : وهذا وإن كان وجهًا من التأويلِ ، فلستُ له بمختارٍ ؛ لأنَّ اللَّهَ جَلَّ ثناؤُه قال : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ . فدلَّ بذلك على أن معنَى قولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ معنَى الشراءِ الذى يتعارفُه الناسُ ، من استبدالِ شىءٍ مكانَ شىءٍ ، وأخذِ عِوَضٍ على عوضٍ .

وأما الذين قالوا : إن القومَ كانوا مؤمنين فكفَروا . فإنه لا مؤنةَ عليهم لو كان الأمرُ على ما وَصَفوا به القومَ ؛ لأن الأمرَ إذا كان كذلك ، فقد ترَكوا الإيمانَ ، واسْتَبدلوا به الكفرَ عوضًا من الهدى ، وذلك هو المعنى المفهومُ من معانى الشِّراءِ والبيعِ ، ولكنّ دلائلَ[(٥)] أولِ الآياتِ فى نعوتِهم إلى آخرِها دالَّـةٌ على أن القومَ لم يكونوا قطُّ استَضاءوا بنورِ الإيمانِ ، ولا دخَلوا فى ملَّةِ الإسلامِ ، أوَ ما تسمَعُ اللَّهَ جلَّ ثناؤُه من لَدُنِ ابْتَدأ فى نعتِهم إلى أن أتى على صفتِهم ، إنما وصَفهم بإظهارِ الكذبِ بألسنتِهم بدَعْوَاهم التصديقَ بنبيِّنا محمدٍ ﷺ ، وبما جاء به ، خِداعًا للَّهِ ولرسولِه وللمؤمنين عندَ أنفسِهم ، واستهزاءً فى أنفسِهم بالمؤمنين ، وهم لغيرِ ما كانوا يُظهِرون مُشتبطنون ، يقولُ[(٦)] اللَّهُ جلَّ جلالُه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ

---

(١) فى ر : « معنى » .

(٢) البيت الأول فى أساس البلاغة ص ١٧٠، والبيت الثانى فى الصحاح ، واللسان ، والتاج (ح ز ر) .

(٣) الروقة : الجميل جدًّا من الناس . اللسان (ر و ق) .

(٤) حزرة القلب : نقاوته . ويقال : هذا حزْرة نفسى : أى خير ما عندى . التاج (ح ز ر) .

(٥) فى ر ، ت ٢: « دلالة » .

(٦) فى م : « لقول » .

﴿ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ . ثم اقتصَّ قَصَصَهم إلى قولِه : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ . فأين الدلالةُ على أنهم كانوا مؤمنين فكفَروا ؟

فإن كان[1] قائلُ هذه المقالةِ ظنَّ[2] أن قولَه : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ هو الدليلُ على أن القومَ قد كانوا على الإيمانِ فانْتَقلوا عنه إلى الكفرِ ، فلذلك قيل لهم : ﴿ٱشْتَرَوُاْ﴾ . فإن ذلك تأويلٌ غيرُ مسلَّمٍ له ؛ إذ كان الاشتراءُ عندَ مخالفيه قد يكونُ أخذَ شيءٍ بتركِ آخرَ غيرِه ، وقد يكونُ بمعنى الاختيارِ ، وبغيرِ ذلك من المعانى ، والكلمةُ إذا احْتَمَلت وجوهًا لم يكنْ لأحدٍ صَرْفُ معناها إلى بعضِ وجوهِها دونَ بعضٍ إلا بحجةٍ يجبُ التسليمُ لها .

قال أبو جعفرٍ : والذى هو أَوْلى عندى[3] بتأويلِ الآيةِ ما رَوَينا عن ابنِ عباسٍ وابنِ مسعودٍ من تأويلِهما / قولَه : ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ : أخَذوا الضلالةَ وترَكوا الهدى . وذلك أن كلَّ كافرٍ باللَّهِ فإنه مستبدِلٌ بالإيمانِ كفرًا[4] ، باكتسابِه الكفرَ الذى وُجد منه [5]بدلًا من الإيمانِ[5] الذى أُمِر به ، أوَ ما تسمَعُ اللَّهَ جَلَّ ثناؤُه يقولُ فى من اكْتَسب كفرًا به مكانَ الإيمانِ به وبرسولِه : ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة : ١٠٨] . وذلك هو معنى الشراءِ ؛ لأنَّ كلَّ مشترٍ شيئًا فإنما يستبدلُ مكانَ الذى يُؤخذُ منه من البدلِ آخرَ بديلًا[6] منه ، [7]فكذلك المنافقُ والكافرُ[7] ، اسْتَبدلَا بالهُدى الضلالَ والنِّفاقَ ، فأضلَّهما اللَّهُ ، وسلَبهما نورَ

١٣٩/١

(١) فى ص : « ظن » ، وفى ر : « قال » .

(٢) سقط من : ص .

(٣) فى ص : « عندنا » .

(٤) بعده فى ر : « و » .

(٥ - ٥) فى ر : « بالإيمان » .

(٦) فى م : « بدلا » .

(٧ - ٧) فى ص : « وكان الكافر والمنافق » .

الهدى ، فترَك جميعَهم فى ظلماتٍ لا يُبْصِرون .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ ذلك أن المنافقين بشرائِهم الضلالةَ بالهُدَى ، خسِروا ولم يربَحوا ؛ لأنَّ الرابحَ من التُّجارِ المستبدِلُ من سلعتِه المملوكةِ عليه بدلًا هو أنفسُ من سلعتِه[1] ، أو أفضلُ من ثمنِها الذى ابتاعَها به ، فأما المستبدِلُ من سلعتِه بدلًا[2] دونَها ، ودونَ الثمنِ الذى ابتاعَها به ، فهو الخاسرُ فى تجارتِه لا شكَّ . فكذلك الكافرُ والمنافقُ ؛ لأنهما اختارا الحَيْرَةَ والعمى على الرشادِ والهدى ، والخوفَ والرعبَ على الخَفْضِ[3] والأمنِ ، فاسْتَبدلا فى العاجلِ بالرشادِ الحَيْرةَ ، وبالهدى الضلالةَ ، وبالخفضِ[4] الخوفَ ، وبالأمنِ الرعبَ ، مع ما قد أعدَّ لهما فى الآجلِ من أليمِ العقابِ وشديدِ العذابِ ، فخابا وخسِرا ذلك هو الخُسرانُ المبينُ . وبنحوِ ما قلنا فى ذلك كان قتادةُ يقولُ[5] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ : قد واللَّهِ رأيتُموهم ، خرَجوا من الهدَى إلى الضلالةِ ، [١/ ٣٨و] ومن الجماعةِ إلى الفُرقةِ ، ومن الأمنِ إلى الخوفِ ، ومن السُّنَّةِ إلى البدعةِ[6] .

قال أبو جعفرٍ : فإن قال قائلٌ : وما وجهُ قولِه : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ ﴾ . وهل

---

(١) بعده فى ص : « المملوكة » .

(٢) فى ص : « ثمنا » .

(٣) فى ص ، م : « الحفظ » . والخفض : الدعة وطيب العيش . التاج (خ ف ض) .

(٤) فى ص ، م : « بالحفظ » .

(٥) فى ر ، ت ٢: « يقوله » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٥٠ (١٥٧) من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٢ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد . وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٢٥.

التجارةُ مما تَربَحُ أو تُوكَسُ[١] ، فيقالَ : رَبِحت أو وُضِعَت[٢] ؟

قيل : إن وجهَ ذلك على غيرِ ما ظننتَ ، وإنما معنى ذلك : فما ربِحوا فى تجارتِهم ، لا فيما اشْتَرَوا ولا فيما شَرَوا . ولكنّ اللَّهَ جلَّ ثناؤُه خاطَب بكتابِه عَربًا ، فسلَكَ فى خطابِه إيَّاهم وبيانِه لهم مسلَكَ خطابِ بعضِهم بعضًا وبيانِهم المستعمَلِ بينَهم . فلما كان فصيحًا لديهم قولُ القائلِ لآخرَ : خاب سعيُك ، ونام ليلُك ، وخَسِر بيعُك . ونحوُ ذلك من الكلامِ الذى لا يَخْفى على سامعِه ما يريدُ قائلُه ، خاطَبهم بالذى هو فى منطقِهم من الكلامِ ، فقال : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ . إذ كان معقولًا عندَهم أن الربحَ إنما هو فى التجارةِ ، كما النومُ فى الليلِ ، فاكتفى بفَهمِ المخاطَبين بمعنى ذلك عن أن يقالَ : فما ربحوا فى تجارتِهم . وإن كان ذلك معناه ، كما قال الشاعرُ[٣] :

وشرُّ المَنَايَا مَيِّتٌ[٤] وَسْطَ[٥] أهلِه ... كهُلْكِ الفتاةِ[٦] أسْلَمَ[٧] الحيَّ حاضِرُهْ

يعنى بذلك : وشرُّ المنايا مَنيَّةُ[٨] ميِّتٍ وسطَ أهلِه . فاكتفى بفهمِ سامعِ قيلِه مرادَه من ذلك عن إظهارِ ما ترَك إظهارَه . وكما قال رُؤْبةُ بنُ العجَّاجِ[٩] :

حارثُ قد فرَّجتَ عنِّى همِّى

(١) فى م : « تنقص » . وهما بمعنى .

(٢) وُضِع فى تجارته : غُبن . اللسان (و ض ع) .

(٣) هو الحطيئة ، ينظر الكتاب ١/ ٢١٥، وطبقات فحول الشعراء ١/ ١١٢.

(٤) فى الطبقات : « هالك » .

(٥) فى الكتاب : « بين » .

(٦) فى الكتاب : « الفتى » .

(٧) فى الطبقات : « أيقظ » ، وفى الكتاب : « قد أسلم » .

(٨) فى ر ، ت ٢: « ميتة » .

(٩) ديوانه ص ١٤٢.

فنام ليلى وتجلَّى غمِّى

/ فوصَف بالنومِ الليلَ ، ومعناه أنه هو الذى نام . وكما قال جريرُ بنُ الخَطَفى[1] : ١٤٠/١

وأَعْوَرَ من نَبْهَانَ أما نهارُه فأَعْمَى وأما ليلُه فبصيرُ

فأضاف العمى والإبصارَ إلى الليلِ والنهارِ ، ومرادُه وصفُ النَّبْهانيِّ[2] بذلك .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ۝١٦ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ : ما كانوا رُشداءَ فى اختيارِهم الضلالةَ على الهدى ، واستبدالِهم الكفرَ بالإيمانِ ، واشترائِهم النفاقَ بالتصديقِ والإقرارِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : إن قال لنا قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ . وقد علمتَ أن الهاءَ والميمَ من قولِه : ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾ كنايةُ جماعٍ[3] من الرجالِ ، أو الرجالِ والنساءِ ، و ﴿ ٱلَّذِى ﴾ دلالةٌ على واحدٍ من الذكورِ ، فكيف جعَل الخبرَ عن الواحدِ مثلاً لجماعةٍ ؟ وهلَّا قيل : مثلُهم كمثلِ الذين اسْتَوقدوا نارًا ؟ وإن جاز عندَك أن تُمثَّلَ الجماعةُ بالواحدِ ، فتُجيزَ لقائلٍ رأَى جماعةً من الرجالِ فأعْجَبتْه صُوَرُهم وتمامُ خلقِهم وأجسامِهم أن يقولَ : كأن هؤلاء ، أو كأن أجسامَ

---

(١) ديوانه ٢/ ٨٧٧.

(٢) فى ص : « النهار » . والنبهانى : هو الأعور النبهانى ، نزل بجرير فأهدى إليه جرير ، ولكن الأعور أساء الأدب وأخذ يتفف على ما أهدى إليه ، فتهاجيا ، فكان ذلك مما أجابه به جرير .

(٣) فى م : « جماعة » .

هؤلاء نخلةٌ ؟

قيل : أمّا فى الموضعِ الذى مثَّل ربُّنا جلَّ ثناؤُه جماعةً من المنافقين بالواحدِ الذى جعَله لأفعالِهم مثلاً ، فجائزٌ حسنٌ ، وفى نظائرِه ، كما قال جلَّ ثناؤُه فى نظيرِ ذلك : ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب : ١٩] . يَعْنى : (١) كدَوْرِ أعينِ الذين يُغْشَى عليهم (١) من الموتِ . وكقولِه : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [لقمان : ٢٨] . بمعنى : إلا كبعثِ نفسٍ واحدةٍ .

وأمّا فى تمثيلِ أجسامِ الجماعةِ من الرجالِ فى الطولِ وتمامِ الخلقِ بالواحدةِ من النخيلِ ، فغيرُ جائزٍ ، ولا فى نظائرِه ، لفرقٍ بينَهما .

فأما تمثيلُ الجماعةِ من المنافقين بالمستوقِد الواحدِ ، فإنما جاز لأن المرادَ من (٢) الخبرِ عن مَثَلِ المنافقين (٣) الخبرُ عن مثَلِ استِضاءتِهم بما أظهَروا بألسنتِهم من الإقرارِ (٤) وهم لغيرِه مستبطِنون ، من اعتقاداتِهم الرديَّةِ ، وخلطِهم نفاقَهم الباطنَ بالإقرارِ بالإيمانِ الظاهرِ . والاستضاءةُ - وإن اخْتَلفَت أشخاصُ أهلِها - معنًى واحدٌ لا معانٍ مختلفةٌ ، فالمَثَلُ لها (٥) فى معنى المثلِ للشخصِ الواحدِ من الأشياءِ المختلفةِ الأشخاصِ .

وتأويلُ ذلك : مثَلُ استضاءةِ المنافقين بما أظْهَروا من الإقرارِ باللهِ عزّ وجل وبمحمدٍ ﷺ وبما جاء به ، قولًا ، وهم به مكذِّبون اعتقادًا ، كمثَلِ استضاءةِ المُوقِدِ

(١ - ١) فى ت ١ : « كدوران الذى يغشى عليه » ، وفى م : « كدوران عين الذى يغشى عليه » .

(٢) فى ص : « بمثل » .

(٣) فى ص ، ت ٢ : « المنافق » .

(٤) بعده فى ت٢ : « والمراد هم الأفراد » .

(٥) فى ص ، ت ١ : « له » .

نارًا . ثم أُسقِط ذكرُ الاستضاءةِ وأُضِيف المثلُ إليهم ، كما قال نابغةُ بنى جَعْدةَ[(١)] :

وكيف تواصِلُ من أصْبَحتْ خِلالتُه[(٢)] كأبى مَرْحَبِ[(٣)]

يريدُ : كخِلالةِ أبى مرحبٍ . فأسْقَط « خِلالَـةَ » ؛ إذ كان فيما أظْهَر من الكلامِ دلالةٌ لسامعيه على ما حذَف منه .

١/١٤١ / فكذلك القولُ فى قولِه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ لما كان معلومًا عندَ سامعيه بما ظهَر[(٤)] من الكلامِ أن المثَلَ إنما ضُرِب لاستضاءةِ القومِ بالإقرارِ دونَ أعيانِ أجسامِهم ، حسُن حذفُ ذكرِ الاستضاءةِ وإضافةُ المثلِ إلى أهلِه ، والمقصودُ بالمثَل ما ذكَرنا . فلِما وصَفنا جاز وحسُن قولُه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ . وتَشْبيهُ[(٥)] مثَلِ الجماعةِ فى اللفظِ بالواحدِ ، إذ كان المرادُ بالمثَلِ الواحدَ فى المعنى . وأما إذا أُريد تشبيهُ الجماعةِ من أعيانِ بنى آدمَ ، أو أعيانِ ذوى الصورِ والأجسامِ بشىءٍ ، فالصوابُ من الكلامِ تشبيهُ الجماعةِ بالجماعةِ ، والواحدِ بالواحدِ ؛ لأن عينَ كلِّ واحدٍ منهم غيرُ أعيانِ الآخرينَ ، ولذلك من المعنى افْتَرَق القولُ فى تشبيهِ الأفعالِ والأسماءِ ، فجاز تشبيهُ أفعالِ الجماعةِ من الناسِ وغيرِهم - [(٦)]إذا كانت[(٦)] بمعنًى واحدٍ - بفعلِ الواحدِ ، ثم حذفُ أسماءِ الأفعالِ ، وإضافةُ المثَلِ والتشبيهِ إلى الذين لهم الفعلُ ، فيقالُ : ما أفعالُكم إلا كفعلِ الكلبِ . ثم

---

(١) شعر النابغة الجعدى ص ٢٦ .

(٢) الخلالة والخلة : الصداقة المختصة التى ليس فيها خلل . اللسان (خ ل ل) ، والبيت فيه .

(٣) أبو مرحب : كنية الظل . اللسان (ر ح ب) ، والبيت فيه .

(٤) فى ص ، م ، ت ١ : « أظهر » .

(٥) فى ص ، م ، ت ٢: « يشبه » .

(٦ - ٦) فى ت ٢: « إذا كان » ، وفى ت ١: « إذ كانوا » .

يُحذفُ فيقالُ : ما أفعالُكم إلا كالكلبِ ، أو[1] كالكلابِ . وأنت تعنى : إلّا كفعلِ الكلبِ ، وإلّا كفعلِ الكلابِ . ولم يَجُزْ أن تقولَ : ما هم إلا نخلةٌ . وأنت تريدُ تشبيهَ أجسامِهم بالنخلِ فى الطولِ والتمامِ .

وأما قولُه : ﴿ ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا ﴾ . فإنه فى تأويلِ : أوْقَد ، كما قال الشاعرُ[2] :

ودَاعٍ دَعَا يا من يُجيبُ إلى النَّدَى[3] فلم يَسْتَجِبْه عندَ ذاك مُجيبُ

[١/٣٨ظ] يريدُ : فلم يُجِبْه .

فكان معنى الكلامِ إذن : مثَلُ استضاءةِ هؤلاء المنافقين فى إظهارِهم لرسولِ اللَّهِ ﷺ وللمؤمنين بألسنتِهم من قولِهم : آمنَّا باللَّهِ وباليومِ الآخرِ ، وصدَّقنا بمحمدٍ وبما جاء به . وهم للكفرِ مستبطِنون ، فيما[4] اللهُ فاعلٌ بهم ، مثَلُ استضاءةِ موقِدٍ نارًا بنارِه ، حتى أضاءت له النارُ ما حولَه . يعنى ما حَولَ المستوقِدِ .

وقد زعَم بعضُ أهلِ العربيةِ من أهلِ البصرةِ أن ﴿ ٱلَّذِى ﴾ فى قولِه : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا ﴾ بمعنى الذين ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر : ٣٣] . وكما قال الشاعرُ[5] :

---

(١) فى ر : « وإلا » .

(٢) هو كعب بن سعد الغنوى ، والبيت فى الأصمعيات ص ٩٦، وطبقات فحول الشعراء ١/ ٢١٣، وأمالى القالى ٢/ ١٥١.

(٣) الندى : الجود . الصحاح (ن د ى) .

(٤) فى ت ٢: « مما » .

(٥) هو الأشهب ابن رميلة ، والبيت فى الكتاب ١/ ١٨٧، والمؤتلف والمختلف ص ٣٧.

فإن الذى حانت بفَلْجٍ[(١)] دماؤُهُمْ هُمُ القومُ كلُّ القومِ يا أُمَّ خالدِ

قال أبو جعفرٍ : والقولُ الأولُ هو القولُ ؛ لِما وصَفْنا من العلةِ ، وقد أغْفَل قائلُ ذلك فرقَ ما بينَ « الذى » فى الآيتين وفى البيتِ ؛ لأن ﴿ ٱلَّذِى ﴾ فى قولِه : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ قد جاءت الدَّلالةُ على أن معناها الجمعُ ، وهو قولُه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ . وكذلك « الذى » فى البيتِ ، وهو قولُه : دماؤُهم . وليست هذه الدَّلالةُ فى قولِه : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ . فذلك فرقُ ما بينَ ﴿ ٱلَّذِى ﴾ فى قولِه : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ وسائرِ شواهدِه التى اسْتَشهد بها على أن معنى : ﴿ ٱلَّذِى ﴾ فى قولِه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ بمعنى الجماعِ[(٢)] ، وغيرُ جائزٍ لأحدٍ نقلُ الكلمةِ التى[(٣)] الأغلبُ فى استعمالِ العربِ على معنًى إلى غيرِه إلا بحجةٍ يجبُ التسليمُ لها .

ثم اخْتَلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فرُوِى عن ابنِ عباسٍ فيه أقوالٌ :

أحدُها : ما حدَّثنى به محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، / أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ضرَب اللَّهُ للمنافقين مثلًا فقال : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ أى : يُبصِرون[(٤)] الحقَّ ويقولون به ، حتى إذا خرَجوا به من ظُلمةِ الكفرِ ، أطفئوه بكفرِهم به ونفاقِهم فيه ، فترَكهم فى ظلماتِ الكفرِ ، فهم لا يُبصِرون هدًى ،

١٤٢/١

---

(١) فلج : موضع بين البصرة وحمى ضرية . وقيل : هو واد بطريق البصرة إلى مكة ، ببطنه منازل للحاج . التاج (ف ل ج) .

(٢) فى م : « الجماعة » .

(٣) فى ص : « إلى » ، وفى م : « التى هى » .

(٤) فى سيرة ابن هشام : « لا يبصرون » .

ولا يَسْتقيمون على حقٍّ[(١)] .

والآخرُ : ما **حدَّثنا** به المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ إلى آخرِ الآيةِ : هذا مثَلٌ ضرَبه اللَّهُ للمنافقين أنهم كانوا يعتزُّون[(٢)] بالإسلامِ ، فيناكحُهم المسلمون ، [(٣)]ويُوارِثونهم[(٣)] ، ويقاسمونهم الفَىْءَ ، فلما ماتوا سلَبهم اللَّهُ ذلك العزَّ ، كما سلَب صاحبَ النارِ ضوءَه ، ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ ﴾ . [(٤)]يقولُ : فى[(٤)] عذابٍ[(٥)] .

والثالثُ : ما **حدَّثنى** به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ : زعَم أن أُناسًا دخَلوا فى الإسلامِ مقدَمَ النبىِّ ﷺ المدينةَ ، ثم إنهم نافقوا ، فكان مثَلُهم كمثَلِ رجلٍ كان فى ظلمةٍ ، فأوْقَد نارًا فأضاءت له[(٦)] ما حولَه

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٢/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٢/١ (١٦٨) من طريق سلمة به ، وستأتى بقية هذا الأثر فى ص ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٦٧، ٣٨١.

(٢) فى ر : « يغترون » ، وفى ت ٢: « يعبرون » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤ - ٤) فى ت ١: « قال » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٠/١ (١٥٨) من طريق أبى صالح به إلى قوله : ضوءه .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/١ إلى ابن المنذر والصابونى فى المائتين . وستأتى بقية هذا الأثر فى ص٣٤٨ .

(٦) سقط من : ص ، ت ١.

من قَذًى أو أذًى ، فأبْصَره حتى عرَف ما يَتَّقى ، فبينا هو كذلك إذ طُفِئت نارُه ، فأقْبَل لا يَدْرى ما يَتَّقى من أَذًى ، فكذلك المنافقُ ، كان فى ظلمةِ الشركِ ، فأسْلم فعرَف الحلالَ من الحرامِ ، والخيرَ من الشرِّ ، فبينا هو كذلك إذ كفَر ، فصار لا يعرِفُ الحلالَ من الحرامِ ، ولا الخيرَ من الشرِّ ، وأما النورُ فالإيمانُ بما جاء به محمدٌ ﷺ ، وكانت الظلمةُ نفاقَهم[(١)] .

والآخر : ما **حدَّثنى** به محمدُ بنُ سعدٍ[(٢)] ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمِّى ، عن أبيه ، عن جدِّه[(٣)] ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ ، إلى ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ : ضرَبه اللَّهُ مثلًا للمنافقِ ، وقولُه : ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ . قال : أما النورُ فهو إيمانُهم الذى يتكلَّمون به ، وأما الظلمةُ فهى ضلالتُهم وكفرُهم الذى[(٤)] يتكلَّمون به ، وهم قومٌ كانوا على هدًى ، ثم نُزِع منهم فعَتَوا[(٥)] بعدَ ذلك[(٦)] .

وقال آخرون بما حدَّثنى به بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٨١ عن السدى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٢ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة ، إلى قوله : من الشر .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٥١ (١٦٢) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

وعزاه السيوطى إلى ابن المنذر . وستأتى بقية هذا الأثر فى ص ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٦٨ .

(٢) فى م : « سعيد » .

(٣) فى ص : « أبيه » .

(٤) زيادة من : ر .

(٥) فى ر : « فعموا » .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٢ إلى المصنف إلى قوله : وكفرهم .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٨١ عن العوفى به . وستأتى بقية هذا الأثر فى ص ٣٦٩ .

قتادةَ قولَه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ : وإن المنافقَ تكلَّم بـ « لا إلَه إلا اللَّهُ » ، فأضاءت له فى الدنيا ، فناكَح بها المسلمين ، وعادَّ[1] بها المسلمين ، ووارَث بها المسلمين ، وحقَن بها دمَه ومالَه ، فلما كان عندَ الموتِ سُلِبها المنافقُ ؛ لأنَّه لم يكنْ لها أصلٌ فى قلبِه ، ولا حقيقةٌ فى عمَلِه[2] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ : وهى لا إلَهَ إلا اللهُ ، أضاءت لهم فأكلوا بها وشرِبوا ، / وأمِنوا فى الدنيا ، ونكَحوا النساءَ ، وحقَنوا[3] دماءَهم ، حتى إذا ماتوا ذهَب اللَّهُ بنورِهم وترَكهم فى ظلماتٍ لا يُبْصِرون . ١٤٣/١

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى أبو تُمَيلةَ[4] ، عن عُبيدِ بنِ سليمانَ ، عن الضحّاكِ بنِ مُزاحمٍ قولَه : ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ . قال : أما النورُ فهو إيمانُهم الذى يتكلَّمون به ، وأما الظلماتُ فهى ضلالتُهم وكفرُهم[5] .

---

(١) فى ص ، ت ٢: « عادا » ، وفى ر ، ت ١، والدر المنثور : « غازى » .

والمعنى : شارك . يقال : هم يتعادون . إذا اشتركوا فيما يعاد فيه بعضهم بعضا من مكارم أو غير ذلك من الأشياء كلها . تاج العروس (ع د د) .

(٢) فى ص ، ر ، م ، ت٢ : « علمه » .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣/١ إلى المصنف وعبد بن حميد . وسيأتى تمامه فى ص ٣٤٨، ٣٧١.

(٣) بعده فى م : « بها » .

(٤) فى م : « نميلة » . وينظر تهذيب الكمال ٢٢/٣٢ .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٥١، ٥٢ (١٦٥، ١٦٩) من طريق على بن الحكم ، عن الضحاك .

وقال آخرون بما حدَّثنى به محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميمونٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ . قال : أما إضاءةُ النارِ ، فإقبالُهم إلى المؤمنين و[1] الهدَى ، وذهابُ نورِهم إقبالُهم إلى الكافرين و[1] الضلالةِ[2] .

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، عن شِبْلٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ [١/٣٩و] نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ : أما إضاءةُ النارِ ، فإقبالُهم إلى المؤمنين والهدى ، وذهابُ نورِهم إقبالُهم إلى الكافرين والضلالةِ .

حدَّثنى القاسمُ ، قال : حدَّثنى الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجَّاجِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ ، قال : ضرَب مثَلَ أهلِ النِّفاقِ فقال : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ . قال : إنما ضَوْءُ النارِ ونُورُها ما أوقدْتَها ، فإذا خمَدت ذهَب نورُها ، كذلك المنافقُ ، كلما[3] تكلَّم بكلمةِ الإخلاصِ أضاء له ، فإذا شكَّ وقَع فى الظلمةِ[4] .

---

(١) سقط من : ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢.

(٢) تفسير مجاهد ص ١٩٧ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥١/١ (١٦١، ١٦٣) .
وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣/١ إلى عبد بن حميد . وستأتى بقيته فى ص ٣٧٠، ٣٧٨.

(٣) فى ت ٢: « كما » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٠/١ (١٥٩) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ إلى آخرِ الآيةِ . قال : هذه صفةُ المنافقين ، كانوا قد آمَنوا حتى أضاء الإيمانُ فى قلوبهم ، كما أضاءت النارُ لهؤلاء الذين اسْتَوْقَدوا ، ثم كفَروا فذَهب اللَّهُ بنورِهم ، فانْتَزَعه كما ذَهَب بضوءِ هذه النارِ ، فترَكهم فى ظلماتٍ لا يُبْصِرون[1] .

وأَوْلى التأويلاتِ بالآيةِ ما قاله قتادةُ والضحَّاكُ ، وما رواه علىُّ بنُ أبى طلحةَ عن ابنِ عباسٍ ، وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه إنما ضرَب هذا المثَلَ للمنافقين الذين وصَف صفتَهم وقصَّ قَصَصَهم ، من لدنِ ابْتَدأ بذكرِهم بقولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ[2] ﴾ لا[3] للمُعالِنين بالكفرِ[3] المجاهرين بالشركِ . ولو كان المثلُ لمن آمَن إيمانًا صحيحًا ثم أعْلن بالكفرِ[4] إعلانًا صحيحًا - على ما ظنَّ المتأوِّلُ قولَ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ أن ضوءَ النارِ[5] مثَلٌ لإيمانِهم الذى كان منهم عندَه على صحةٍ ، وأن ذَهابَ نورِهم مثَلٌ لارتدادِهم وإعلانِهم الكفرَ على صحةٍ - لم يكنْ هناك من القومِ خِداعٌ ولا استهزاءٌ/عندَ أنفسِهم ولا نِفاقٌ . وأنَّى يكونُ خِداعٌ ونفاقٌ ممَّن لم يُبدِ لك قولًا ولا فعلًا إلا ما أوْجَب لك العلمَ بحالِه التى هو لك عليها ، وبعزيمةِ نفسِه التى هو مقيمٌ عليها ؟ إن هذا لغيرِ[6] شكٍّ من النِّفاقِ بعيدٌ ،

١٤٤/١

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٨١/١ عن ابن زيد .

(٢) بعده فى م : « أى » .

(٣ - ٣) فى ر : « المعالنين الكفر » ، وفى م : « المعلنين بالكفر » .

(٤) فى ص ، ت ٢ : « الكفر » .

(٥) فى ت ١ : « النهار » .

(٦) فى ت ١ ، م : « بغير » .

ومن الخِداعِ برىءٌ ، وإن[1] كان القومُ لم تكنْ لهم إلا حالتان ؛ حالُ إيمانٍ ظاهرٍ ، وحالُ كفرٍ ظاهرٍ ، فقد سَقَط عن القومِ اسمُ النفاقِ ؛ لأنهم فى حالِ إيمانِهم الصحيحِ كانوا مؤمنين ، وفى حالِ كفرِهم الصحيحِ كانوا كافرين ، و لا حالةَ هنالك ثالثةً كانوا بها منافقين . وفى وصفِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه إيَّاهم بصفةِ النفاقِ ما يُنْبِئُ عن أن القولَ غيرُ القولِ الذى زعَمه مَن زعَم أن القومَ كانوا مؤمنين ثم ارتدُّوا إلى الكفرِ فأقاموا عليه ، إلا أن يكونَ قائلُ ذلك أراد أنهم انْتقلوا من إيمانِهم الذى كانوا عليه إلى الكفرِ الذى هو نفاقٌ ، وذلك قولٌ إن قاله ، لم تُدرَكْ صحتُه إلَّا بخَبَرٍ مستفيضٍ ، أو ببعضِ المعانى الموجبةِ صحَّتَه . فأما فى ظاهرِ الكتابِ ، فلا دلالةَ على صحَّتِه ؛ لاحتمالِه من التأويلِ ما هو أوْلَى به منه .

فإذ كان الأمرُ على ما وصَفْنا فى ذلك ، فأوْلَى تأويلاتِ الآيةِ بالآيةِ : مثَلُ استضاءةِ المنافقين - بما أظْهَروا بألسنتِهم لرسولِ اللَّهِ ﷺ من الإقرارِ به ، وقولِهم له وللمؤمنين : آمَنَّا باللَّهِ وكتُبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ . حتى حُكِم لهم بذلك فى عاجلِ الدنيا بحكمِ المسلمين فى حقنِ الدماءِ والأموالِ ، والأمنِ على الذرِّيَّةِ من السِّباءِ ، وفى المناكحةِ والموارثةِ - كمثلِ استضاءةِ الموقِدِ النارَ بالنارِ ، حتى[2] ارْتَفق بضيائِها ، وأبْصَر به[3] ما حولَه مستضيئًا بنورِه من الظلمةِ ، حتى خمَدت النارُ وانطفأت ، فذهَب نورُه ، وعاد المستضىءُ به فى ظلمةٍ وحَيْرةٍ .

وذلك أن المنافقَ لم يزَلْ مستضيئًا بضوءِ القولِ الذى دافعَ عنه فى حياتِه القتلَ والسِّباءَ ، مع استبطانِه ما كان مستوجِبًا به القتلَ وسلبَ المالِ لو أظْهَره بلسانِه ، تُخَيِّلُ

---

(١) فى ر : « فلو » ، وفى ت ٢ ، م : « فإن » .

(٢) بعده فى ت ١ : « إذا » .

(٣) سقط من : ص ، م .

إليه بذلك نفسُه أنه باللَّهِ ورسولِه والمؤمنين مستهزئٌ مخادعٌ ، حتى سوَّلت له نفسُه إذ ورَد على ربِّه في الآخرةِ أنه ناجٍ منه بمثلِ الذى نجا به فى الدنيا من الكذبِ والنفاقِ . أوَ ما تسمَعُ اللَّهَ جَلَّ ثناؤُه يقـولُ إذ نعَتهم[(١)] ، ثم [(٢)]أخبَر خبرَهم[٢)] عندَ ورودِهم عليه : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [المجادلة : ١٨] . ظنًّا من القومِ أن نجاءَهم[(٣)] من عذابِ اللَّهِ فى الآخرةِ ، فى مثلِ[(٤)] الذى كان به نجاؤُهم[(٣)] من القتلِ والسِّباءِ[(٥)] وسلبِ المالِ[(٦)] فى الدنيا ، من الكذبِ والإفكِ ، وأن خداعَهم نافعُهم هنالك نفعَه إيَّاهم فى الدنيا ، حتى عايَنوا من أمرِ اللَّهِ ما أيْقَنوا به أنهم كانوا من ظنونِهم فى غرورٍ وضلالٍ ، واستهزاءٍ بأنفسِهم وخداعٍ ، إذ أطْفأ اللَّهُ نورَهم يومَ القيامةِ ، فاسْتَنظروا المؤمنين ليقْتَبِسوا من نورِهم ، فقيل لهم[(٧)] : ارْجِعوا وراءَكم فالتمِسوا نورًا ، واصلَوْا سعيرًا . فذلك حينَ ذهَب اللَّهُ بنورِهم وترَكهم فى ظلماتٍ لا يُبْصِرون ، كما انطَفأت نارُ المستوقِدِ النارَ بعدَ إضاءتِها له ، فبقِى فى ظلمةٍ[(٨)] حيْرانَ تائهًا ، يقولُ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ / ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ ١٤٥/١

(١) فى ت ٢ : « بعثهم » .
(٢ - ٢) فى م : « أخبرهم » .
(٣) فى م : « نجاتهم » .
(٤) سقط من : ر ، ت ٢ .
(٥) بعده فى ت ١ : « والكذب » .
(٦) فى ص : « الأموال » .
(٧) سقط من : ص ، ت ١ .
(٨) فى م : « ظلمته » .

أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الحديد: ١٣ - ١٥].

فإن قال لنا قائلٌ : إنك ذكَرْتَ أن معنى قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ : خمَدت وانطَفأت . وليس ذلك بموجودٍ في القرآنِ ، فما دَلالتُك[1] على أن ذلك معناه ؟

قيل : قد قلنا : إن من شأنِ العربِ الإيجازَ والاختصارَ إذا[2] كان فيما نطَقت به الدَّلالةُ الكافيةُ على ما حذَفت وترَكت ، [١/٣٩ظ] كما قال أبو ذُؤَيبِ الهُذَلِيُّ[3] :

عَصَيْتُ[4] إليها القلبَ إِنِّى لأمرِها سميعٌ فما أدْرِى أَرُشْدٌ طِلابُها

يعنى بذلك : فما أدْرِى أَرُشْدٌ طِلابُها أم غيٌّ . فحذَف ذكرَ « أَمْ غيٌّ » ، إذ كان فيما نطَق به الدلالةُ عليها ، وكما قال ذو الرُّمَّةِ في نعتِ حَميرٍ[5] :

فلمَّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ أو حينَ نصَّبَتْ[6] له مِن خَذَا[7] آذانِها وَهْو جانِحُ

يعنى : أو حينَ أقْبَل الليلُ . في نظائرَ لذلك كثيرةٍ كرِهنا إطالةَ الكتابِ بذكرِها . فكذلك قولُه : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ لمَّا كان فيه وفيما بعدَه من قولِه : ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾

---

(١) في ت ١: « دليلك » .

(٢) في ص ، ت ١: « إذ » .

(٣) ديوان الهذليين ١/ ٧١.

(٤) في الديوان : « عصاني » .

(٥) ديوان ذي الرمة ٢/ ٨٩٧.

(٦) نصبت : رفعت آذانها . اللسان (ن ص ب) .

(٧) خذِيت الأذن : استرخت من أصلها وانكسرت مقبلة على الوجه ، يكون ذلك في الناس والخيل والحمر ، خلقة أو حدثا . اللسان (خ ذ ى) .

دَلالةٌ على المتروكِ كافيةٌ من ذكرِه ، اخْتَصر الكلامَ طلبَ الإيجازِ ، وكذلك حذفُ ما حذَف واختصارُ ما اخْتَصَر من الخبرِ عن مثَلِ المنافقين بعدَه ، نظيرَ ما اخْتصر من الخبرِ عن مثَلِ المستوقِدِ النارَ ؛ لأن معنى الكلامِ : فكذلك المنافقون ذهَب اللَّهُ بنورِهم وترَكهم فى ظلماتٍ لا يُبْصِرون - بعدَ الضياءِ الذى كانوا فيه فى الدنيا ، بما كانوا يُظْهِرون بألسنتِهم من الإقرارِ بالإسلامِ ، وهم لغيرِه مستبطِنون - كما ذهَب ضوءُ نارِ هذا المستوقِدِ بانطفاءِ نارِه وخمودِها ، فبقِىَ فى ظلمةٍ لا يُبْصِرُ .

والهاءُ والميمُ فى قولِه : ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ عائدةٌ على الهاءِ والميمِ فى قولِه : ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وإذ كان تأويلُ قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ هو ما وصَفْنا من أن ذلك خبرٌ من اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عمَّا هو فاعلٌ بالمنافقين فى الآخرةِ ، عندَ هَتْكِ أستارِهم ، وإظهارِه فضائحَ[1] أسرارِهم ، وسلبِه ضياءَ أنوارِهم ، من تركِهم فى ظُلَمِ أهوالِ يومِ القيامةِ يتردَّدون ، وفى حنادِسِها لا يُبْصِرون ، فبَيِّنٌ أن قولَه جلَّ ثناؤُه : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ من المؤخَّرِ الذى معناه التقديمُ ، وأن معنى الكلامِ : أولئك الذين اشترَوُا الضلالةَ بالهدَى ، فما رَبِحت تجارتُهم وما كانوا مُهْتدين ، صُمٌّ بُكْمٌ عمىٌ فهم لا يَرْجِعون ، مثَلُهم كمثَلِ الذى اسْتوقَد نارًا ، فلما أضاءَت ما حوْلَه ذهب اللَّهُ بنورِهم وترَكهم فى ظُلُماتٍ / لا يُبْصِرون ، أوْ كمثَلِ صيِّبٍ من السماءِ . ١٤٦/١

وإذ كان ذلك معنى الكلامِ ، فمعلومٌ أنَّ قولَه : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ يأتِيه الرفعُ

(١) فى ت ١ : « قبائح » .

من وجهين ، والنصبُ من وجهين : **فأما أحدُ وجهى الرفعِ** : فعلى الاستئنافِ لما فيه من الذمِّ ، وقد تفعَلُ العربُ ذلك فى المدحِ والذمِّ ، فتنصِبُ وترفَعُ وإن كان خبرًا عن معرفةٍ ، كما قال الشاعرُ[1] :

لا يَبْعَدَنْ[2] قَوْمِى الَّذين هُمُ   سَمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ[3]

النازِلينَ بكُلِّ مُعْتَرَكٍ   والطَّيِّبِين مَعاقِدَ الأُزْرِ

فيُرْوَى : « النازلون » و « النازِلين » ، وكذلك « الطيِّبون » و « الطيِّبين » ، على ما وصَفْتُ من المدحِ .

والوجهُ الآخرُ : على نيّة التكريرِ من : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ . فيكونُ المعنى حينَئذٍ : أولئك الذين اشْتَرُوا الضلالةَ بالهدَى ، فما رَبِحت تجارتُهم وما كانوا مهتدين ، أولئك صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فهم لا يرجِعون .

وأما أحدُ وجهى النصبِ : فأن يكون قطعًا مما فى : ﴿ مُهْتَدِينَ ﴾ من ذكرِ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ ، لأن الذى فيه من ذكرِهم معرفةٌ ، والصمُّ نكرةٌ .

والآخرُ : أن يكونَ قطعًا من : ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ لأنَّ ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ معرفةٌ ، والصمُّ نكرةٌ .

وقد يجوزُ النصبُ فيه أيضًا على وجهِ الذمِّ ، فيكونُ ذلك وجهًا من النصبِ ثالثًا .

فأمَّا على تأويلِ ما رَوَينا عن ابنِ عباسٍ من غيرِ وجهِ روايةِ علىِّ بنِ أبى طلحةَ عنه ، فإنه لا يجوزُ فيه الرفعُ إلا من وجهٍ واحدٍ ، وهو الاستئنافُ . وأما النصبُ فقد

---

(١) البيتان للخرنق بنت بدر بن هفان ، وهما فى ديوانها ص ٢٩.

(٢) يبعدن : يهلكن ، من بعِد يبعَد . اللسان (ب ع د) .

(٣) الجزر ؛ جمع الجزور : وهى الناقة التى تنحر . اللسان (ج ز ر) .

يجوزُ فيه من وجهين : **أحدُهما** ، الذمُّ . **والآخرُ** ، القطعُ من الهاءِ والميمِ اللتين فى ﴿ وَتَرَكَهُمْ ﴾ ، أو من ذكرِهم فى ﴿ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ . وقد بيَّنا القولَ الذى هو أوْلَى بالصوابِ فى تأويلِ ذلك .

والقراءةُ التى هى القراءةُ[١] ، الرفعُ دونَ النصبِ ؛ لأنه ليس لأحدٍ خلافُ رسومِ مصاحفِ المسلمين ، وإذا قرِئ نصبًا كانت قراءةً مخالفةً رسمَ مصاحِفِهم[٢] .

قال أبو جعفرٍ : وهذا خبرٌ من اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عن المنافقين ، أنهم باشترائِهم الضلالةَ بالهدى لم يكونوا للهدَى والحقِّ مُهْتدين ، بل هم صُمٌّ عنهما فلا يسمَعونهما[٣] ؛ لغلبةِ خِذلانِ اللَّهِ عليهم ، بُكْمٌ عن القيلِ بهما ، فلا ينطِقون بهما - والبُكْمُ الخُرْسُ ، وهو جِماعُ[٤] أبكمَ - عُمْىٌ عن أن يُبْصِروهما فيعقِلوهما ؛ لأنَّ اللَّهَ قد طبَع على قلوبِهم بنفاقِهم فلا يَهْتَدون .

وبمثلِ ما قلنا فى ذلك قالت علماءُ أهلِ التأويل .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ[٥] بنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ : عن الخيرِ[٦] .

---

(١) فى م : « قراءة » .
(٢) بعده فى ر ، ت ١ ، ت ٢ : « القول فى تأويل قوله : صم بكم عمى » .
(٣) فى ر : « يسمعون بهما » .
(٤) فى م : « جمع » .
(٥) فى م : « عبد » .
(٦) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٣٦ .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ . يقولُ : لا يسمَعون الهدى ، ولا يُبْصِرونه ، ولا يعقِلونه[1] .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره **عن** أبي مالكٍ ، **وعن** أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ بُكْمٌ ﴾ : هم[2] الخُرْسُ[3] .

١٤٧/١ / **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ : صُمٌّ عن الحقِّ فلا يسمَعونه ، عُمْيٌ عن الحقِّ فلا يُبصِرونه ، بُكْمٌ عن الحقِّ فلا ينطِقون به[4] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وقولُه : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ . إخبارٌ من اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عن هؤلاء المنافقين الذين نعَتهم اللَّهُ باشترائِهم الضلالةَ بالهدَى ، وصَمَمِهم عن سماعِ الخيرِ والحقِّ ، وبَكَمِهمْ عن القيلِ بهما ، وعَماهم عن إبصارِهما - أنهم لا يَرْجِعون إلى

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٢/١ (١٧٢) من طريق عبد الله بن صالح به .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/١ إلى ابن المنذر والصابوني في المائتين . وتقدم أول هذا الأثر في ص ٣٣٧. وسيأتي في ٥١/٣ .

(٢) في ت ٢: « هو » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣/١ (١٧٥) من طريق أسباط ، عن السدي ، عن أبي مالك ، ٥٣/١ (١٧٣) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدي من قوله . وتقدم أول هذا الأثر في ص ٣٣٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣/١ (١٧٤، ١٧٦) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣/١ إلى عبد بن حميد نحوه. وتقدم أوله في ص٣٣٩. وسيأتي في ٥٠/٣.

الإقلاعِ عن ضلالتِهم ، ولا يثوبون[1] إلى الإنابةِ من نفاقِهم ، فآيَس المؤمنين من أن يُبْصِرَ هؤلاء [١/٤٠و] رُشْدًا ، ويقولوا حقًّا ، أو يسمَعوا داعيًا إلى الهدَى ، أو أن يذَّكَّروا فيتوبوا من ضلالتِهم ، كما آيَس من توبةِ قادةِ كفارِ أهلِ الكتابِ والمشركين وأحبارِهم ، الذين وصَفهم بأنه قد ختَم على قلوبِهم وعلى سمعِهم ، وغشَّى على أبصارِهم .

وبمثلِ الذى قلنا فى تأويلِ ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أى : لا يتوبون ولا يذَّكَّرون[2] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمّادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[3] : إلى الإسلامِ[4] .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ قولٌ يُخالِفُ معناه معنى هذا الخبرِ[5] ، وهو ما **حدَّثنا** به ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ

---

(١) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ : « يتوبون » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣/١ (١٧٩) من طريق يزيد به . وهو تمام الأثر المتقدم فى ص ٣٣٩.

(٣) بعده فى ص ، ر : « فهم لا يرجعون » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣/١ (١٧٨) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله . وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٣٧.

(٥) فى ر ، ت ٢: « القول » .

مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أى : فلا يَرْجِعونَ إلى الهدَى ، ولا إلى خيرٍ ، ولا يُصيبون نجاةً ، ما كانوا على ما هم عليه[1] .

وهذا تأويلٌ ظاهرُ التلاوةِ بخلافِه ، وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أخْبَرَ عن القومِ أنهم لا يَرْجِعون عن اشترائِهم الضلالةَ بالهدى ، إلى ابتغاءِ الهدى وإبصارِ الحقِّ[2] ، من غيرِ حصرٍ منه جلَّ ذكرُه ذلك من حالِهم على[3] وقتٍ دونَ وقتٍ ، وحالٍ دونَ حالٍ . وهذا الخبرُ الذى ذكَرناه عن ابنِ عباسٍ يُنبِئُ عن[4] أن ذلك من صفتِهم محصورٌ على وقتٍ ، وهو ما كانوا على أمرِهم مُقيمين ، وأن لهم السبيلَ إلى[5] الرجوعِ عنه ، وذلك من التأويلِ دعوَى باطلةٌ[6] لا دلالةَ عليها من ظاهرٍ ، ولا من خبرٍ تقومُ بمثلِه الحجةُ فيُسَلَّم لها .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى ذكرُه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

١٤٨/١ / قال أبو جعفرٍ : والصيِّبُ الفَيْعِلُ ، من قولِك : صاب المطرُ يصوبُ صَوْبًا . إذا انحدَر ونزَل ، كما قال الشاعرُ[7] :

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٢/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣/١ (١٧٧) من طريق سلمة به إلى قوله : الهدى . وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٣٦.

(٢) فى ص : « عن » .

(٣) فى م : « إلى » .

(٤) سقط من : ص ، وفى ر : « على » .

(٥) فى ص : « عن » .

(٦) فى ص : « ناظر » ، وفى ت ٢: « باطل » .

(٧) البيت غير منسوب فى الاشتقاق ص ٢٦، والمفردات فى غريب القرآن ص ١٤٥ ، واللسان (أ ل ك ، ل أ ك) ، ونسبه فى المفضليات ص ٣٩٤ إلى علقمة بن عبدة ، وليس فى ديوانه ، ونسب فى مجاز القرآن ٣٣/١ إلى رجل من عبد القيس ، وفى شرح أشعار الهذليين ٢٢٢/١ إلى متمم بن نويرة ، وذكر فى اللسان (ص و ب، =

فَلسْتَ لإنْسِيٍّ[1] ولكنْ لِمَلْأَكٍ[2] تَنَزَّلَ من جوٍّ السماءِ يَصوبُ

وكما قال علقمةُ بنُ عَبَدةَ[3] :

كأنَّهُمُ صابتْ عليهم سَحَابةٌ صواعِقُها لِطَيْرِهِنَّ دَبيبُ
فلا تَعْدِلى بَيْنى وبينَ مُغَمَّرٍ[4] سُقِيتِ[5] رَوَايا[6] المُزْنِ[7] حينَ[8] تَصوبُ

يعنى : حينَ تنحدِرُ .

وهو فى الأصلِ صَيْوِبٌ ، ولكنَّ الواوَ لمّا سبقتها ياءٌ ساكنةٌ ، صُيِّرتا جميعًا ياءً مشددةً ، كما قيل : سيِّدٌ ، من سادَ يسودُ ، وجيِّدٌ ، من جاد يجودُ . وكذلك تفعَلُ العربُ بالواوِ إذا كانت متحرِّكةً وقبلَها ياءٌ ساكنةٌ ، تصيِّرُهما جميعًا ياءً مشددةً .

وبما قلنا من القولِ فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ إسماعيلَ الأَحْمَسىُّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ عُبيدٍ ، قال :

= م ل ك) الاختلاف فى نسبته ، وزاد عن السيرافى نسبته إلى أبى وجزة .

(١) فى ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ : « بإنسى » .

(٢) فى ص ، ر ، ت ١ : « ملكا » ، وفى ت ٢ : « ملاكا » .

(٣) ديوانه ص ٣٤ ، ٤٦ .

(٤) المغمر من الرجال : من استجهله الناس . التاج (غ م ر) .

(٥) فى الديوان : « سقتك » .

(٦) الروايا ؛ جمع الراوية : وهو البعير أو البغل أو الحمار الذى يسقى عليه الماء . اللسان (ر و ى) .

(٧) المزن : السحاب عامة ، وقيل : السحاب ذو الماء ، واحدته مزنة ، وقيل : المزنة السحابة البيضاء . اللسان (م ز ن) .

(٨) فى الديوان : « حيث » .

حدَّثنا هارونُ بنُ عنترةَ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال : القَطْرُ[(١)] .

حدَّثنى عباسُ بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثنا حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُريجٍ : قال لى عطاءٌ : الصيِّبُ المطرُ[(٢)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الصيِّبُ المطرُ[(٣)] .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : الصيِّبُ المطرُ[(٤)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه[(٥)] ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ . يقولُ : المطرُ[(٢)] .

---

(١) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٤٧) من طريق محمد بن عبيد به .

وأخرجه ابن أبى الدنيا فى المطر - كما فى فتح البارى لابن رجب ٢٣١/٩- وابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤/١ (١٨٠) من طريق هارون بن عنترة به .

وعزاه السيوطى أيضا فى الدر المنثور ٣٣/١ إلى وكيع وعبد بن حميد وأبى يعلى وابن المنذر .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤/١ عقب الأثر (١٨٠) معلقًا .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم والصابونى فى المائتين فى أثر مطول ، وسيأتى بطوله فى ص ٣٦٩.

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٨٢/١ عن ابن عباس ، وابن مسعود ، وناس من الصحابة ، والسدى .

(٥) فى م ، ت ٢: « جده » .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخْبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ مثلَه .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ وعمرُو بنُ عليٍّ ، قالا : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميمونٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : الصيِّبُ المطرُ[(١)] .

حدَّثنى المُثَنَّى قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ : الصيِّبُ المطرُ[(٢)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ : الصيِّبُ المطرُ[(٣)] .

/ **حُدِّثت** عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الصيِّبُ المطرُ . ١٤٩/١

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال : أو كغَيثٍ من السماءِ .

حدَّثنا سَوَّارُ بنُ عبدِ اللَّهِ العَنْبَرِيُّ ، قال : قال سفيانُ : الصيِّبُ الذى فيه المطرُ[(٤)] .

حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : حدَّثنا أبو معاويةَ ، قال : حدَّثنا ابنُ جُريجٍ ، عن عطاءٍ فى قولِه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ قال : المطرُ[(٥)] .

---

(١) فى ص ، ر : « الربيع » .

(٢) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٤٨) من طريق أبى حذيفة به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤/١ عقب الأثر (١٨٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) تفسير الثورى ص ٤١ عن أبى الهيثم ، عن سعيد بن جبير : السحاب فيه المطر .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٨٢/١ عن عطاء .

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ ذلك : مثَلُ استضاءةِ المنافقين بضوءِ إقرارِهم بالإسلامِ ، مع استسرارِهم الكفرَ ، مثَلُ اسْتِضاءَةِ[(١)] موقدِ نارٍ[(٢)] بضوءِ نارِه ، على ما وصَف جلَّ ثناؤُه من صفتِه ، أو كمثَلِ مطرٍ مُظلمٍ ، وَدْقُه[(٣)] تَحَدَّرَ من السماءِ ، تحمِلُه مُزنةٌ ظلماءُ ، فى ليلةٍ مُظلمةٍ ، وذلك هو الظلُماتُ التى أخْبَرَ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أنها فيه .

فإن قال لنا قائلٌ : أخْبِرْنا عن هذين المثَلين ، أهما مثَلان للمنافقين ، أو أحدُهما ؟ فإن يكونا مثَلين للمنافقين ، فكيف قيل : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ و « أو » تأتى بمعنى الشكِّ فى الكلامِ ، ولم يقلْ : وكصيِّبٍ . بالواوِ التى تُلحِقُ المثلَ الثانىَ بالمثلِ الأولِ ؟ أو يكونَ مثلُ القومِ أحدَهما ، فما وجهُ ذكرِ الآخرِ بـ ﴿ أَوْ ﴾ وقد علمتَ أن « أو » إذا كانت فى الكلامِ ، فإنما تدخُلُ فيه على وجهِ الشكِّ من المخبِرِ فيما أخْبَرَ عنه ، كقولِ القائلِ : لقِيَنى أخوك أو أبوك . وإنما لقِيَه أحدُهما ، ولكنه جهِل عينَ الذى لقِيَه منهما ، مع علمِه أن أحدَهما قد لقِيَه ، وغيرُ جائزٍ فى اللَّهِ جلَّ ثناؤُه أن يُضافَ إليه الشكُّ فى شىءٍ ، أو عُزوبُ علمِ شىءٍ عنه فيما أخْبَرَ أو ترَك الخبرَ عنه .

قيل له : إن الأمرَ [١/٤٠ظ] فى ذلك بخلافِ[(٤)] الذى[(٥)] ذهبتَ إليه ، و « أو » وإن كانت فى بعضِ الكلامِ تأتى بمعنى الشكِّ ، فإنها قد تأتى دالَّةً على مثلِ ما تدلُّ عليه الواوُ ، إما بسابقٍ من الكلامِ قبلَها ، وإما بما يأتى بعدَها ، كقولِ توبةَ بنِ

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « إضاءة » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « النار » .

(٣) الودق : المطر كله شديده وهينه . اللسان (و د ق) .

(٤) فى ص : « خلاف » .

(٥) فى ص : « منا » ، وفى ت ١ : « ما » .

الحُمَيِّرِ[١] :

وقد زعَمتْ ليلى بأنِّىَ فاجرٌ لنفسى تُقَاها أو عليها فُجورُها

ومعلومٌ أن ذلك من توبةَ على غيرِ وجهِ الشكِّ فيما قال ، ولكن لما كانت « أو » فى هذا الموضعِ دالَّةً على مثلِ الذى كانت تدلُّ عليه الواوُ لو[٢] كانت مكانَها ، وضَعها موضِعَها . وكذلك قولُ جريرٍ[٣] :

نال[٤] الخِلافَةَ أو كانتْ له قَدَرًا كما أتى ربَّه موسى على قَدَرِ

وكما قال الآخرُ[٥] :

فلو كان البكاءُ يردُّ شيئًا بَكَيْتُ عَلَى بُجَيْرٍ[٦] أو عِفاقِ[٧]

[٨]على المَرْأَيْن[٨] إذْ مَضَيَا[٩] جَميعًا لشأنِهما بحُزْنٍ[١٠] واشْتِياقِ[١١]

---

(١) الأضداد ص ٢٧٩، وأمالى القالى ١/ ٨٨، وأمالى المرتضى ٢/ ٥٧.

(٢) فى م : « ولو » .

(٣) ديوانه ١/ ٤١٦.

(٤) فى م : « جاء » .

(٥) هو متمم بن نويرة ، والبيتان فى الأضداد ص ٢٨٠، وأمالى المرتضى ٢/ ٥٨، واللسان (ع ف ق) .

(٦) فى النسخ : « جبير » ، وفى اللسان : « يزيد » . وقال ابن برى : صوابه بجير . وهو على الصواب فى الأضداد وأمالى المرتضى .

(٧) فى م : « عناق » .

وبجير أخو عفاق ، ويقال : غفاق . وهو ابن مليك ، ويقال : ابن أبى مليك . وكان بسطام بن قيس أغار على بنى يربوع فقتل عفاقا ، وقتل بجيرا بعد قتله أخاه عفاقا فى العام الأول ، وأسر أباهما ثم أعتقه وشرط عليه ألا يغير عليه . ذكره فى اللسان عن ابن برى .

(٨ - ٨) فى اللسان : « هما المرآن » .

(٩) فى الأضداد ، وأمالى المرتضى : « ملكا » ، وفى اللسان : « ذهبا » .

(١٠) فى الأضداد ، وأمالى المرتضى : « بشجو » .

(١١) فى اللسان : « واحتراق » .

فقد دلَّ بقولِه : على المَرْأَيَيْنِ . أن بكاءَه الذى أراد أن يَبكيَه لم يُرِدْ أن يقصِدَ به أحدَهما دونَ الآخرِ ، بل أراد أن يَبكِيَهما جميعًا . فكذلك ذلك فى قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ . لمّا كان معلومًا أن ﴿ أَوْ ﴾[1] دالَّةٌ[2] فى ذلك على مثلِ الذى كانت تدلُّ عليه الواوُ لو[3][2] كانت مكانَها ، كان سواءً نطق فيه بـ « أو » / أو بالواوِ . وكذلك وجهُ حذفِ المَثَلِ من قولِه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ لمّا كان قولُه : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ دالًّا على أن معناه : كمثلِ صيِّبٍ . حذَف المثلَ واكتفى بدَلالةِ ما مضَى من الكلامِ فى قولِه[4] : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ على أن معناه : أو كمثلِ صيِّبٍ - من إعادةِ ذكرِ المثلِ ؛ طَلَبَ الإيجازِ والاختصارِ .

١٥٠/١

[٢/١ظ][*] **القولُ فى تأويلِ قولِ اللهِ جلَّ ثناؤُه** : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾ .

قال أبو جعفر : فأما الظلماتُ فجمعٌ ، واحدُها ظلمةٌ .

وأما الرعدُ ، **فإن أهلَ العلمِ اختلَفوا فيه ؛ فقال بعضُهم** : هو ملَكٌ يزجُرُ السحابَ .

---

(١) فى ت ١: « الواو » .

(٢ - ٢) فى ت ١: « على معنى يدل على مثله أو » .

(٣) فى ص ، ر ، م : « ولو » .

(٤) فى ت ١: « أوله » .

(*) من هنا يبدأ الجزء الثانى من نسخة جامعة القرويين ، وسيشار إليها بـ « الأصل » ، وسيجد القارئ أرقام صفحاتها بين معقوفين .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ، عن الحَكَمِ ، عن مجاهدٍ ، قال : الرعدُ ملَكٌ يزجُرُ السحابَ بصوتِه[1] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى عدىٍّ ، عن شعبةَ ، عن الحكَمِ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى يحيى بنُ طلحةَ اليَرْبُوعىُّ ، قال : حدَّثنا فُضيلُ بنُ عِياضٍ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وحدَّثنى يعقوبُ ، قال : حدَّثنا هُشيمٌ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ سالمٍ ، عن أبى صالحٍ ، قال : الرعدُ ملَكٌ مِن الملائكةِ يُسبِّحُ[2] .

وحدَّثنى نصرُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأَوْدىُّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يعلى ، عن أبى الخطَّابِ البصرىِّ ، عن شهرِ بنِ حَوْشبٍ ، قال : الرعدُ ملَكٌ مُوَكَّلٌ بالسحابِ ، يسوقُه كما يسوقُ الحادِى الإبلَ ، يسبِّحُ ، كلَّما خالفت سحابةٌ سَحَابةً صاح بها ، فإذا اشتدَّ غضَبُه طارت النارُ من فِيه ، فهى الصواعقُ التى رأيتُم[3] .

وحُدِّثت عن المِنْجابِ بنِ الحارثِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ،

---

(١) أخرجه البغوى فى الجعديات (٢٥٥) ، وأبو نعيم فى الحلية ٣/ ٢٨٤، ٢٨٥ من طريق شعبة به .
وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٤٩ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ . وينظر سنن البيهقى ٣/ ٣٦٣، والدر المنثور ٤/ ٥١.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٥١ إلى المصنف والخرائطى وأبى الشيخ .

(٣) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٧٧) من طريق حرب بن شداد ، عن شهر . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٥١ إلى عبد بن حميد . وأخرجه أبو الشيخ (٨٨١) من طريق آخر عن شهر ، عن كعب ، نحوه . وسيأتى فى ص ٣٥٩ من طريق شهر ، عن ابن عباس ، مختصرا .

عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الرعدُ ملَكٌ من الملائكةِ اسمُه الرعدُ ، وهو الذى تسمَعون صوتَه[(١)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا عبدُ الملكِ بنُ حُسينٍ ، عن السُّدِّيِّ ، عن أبى مالكٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الرعدُ ملَكٌ يزجُرُ السحابَ بالتسبيحِ والتكبيرِ[(٢)] .

حدَّثنا الحسنُ[(٣)] بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثنا علىُّ بنُ عاصمٍ ، عن ابن جُريجٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الرعدُ اسمُ ملَكٍ ، وصوتُه هذا تسبيحُه ، فإذا اشتدَّ زجرُه السحابَ ، اضطَرب السحابُ واحْتَكَّ ، فتخرُجُ الصواعقُ مِن بيْنِه .

حدَّثنا الحسنُ[(٣)] ، قال : حدَّثنا عفانُ ، قال : حدَّثنا أبو عوانةَ ، عن موسى البزازِ[(٤)] ، عن شهرِ بنِ حوشبٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الرعدُ ملَكٌ يسوقُ السحابَ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٥٠ إلى المصنف وابن مردويه .

وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٧٠) من طريق جويبر ، عن الضحاك من قوله . وعزاه السيوطى ٤/٥١ إلى ابن المنذر . وانظر ما سيأتى فى ص ٣٦٠، ٣٦١.

وبعد هذا الأثر اختلاف فى ترتيب الآثار فى المخطوط الأصل عن بقية النسخ ، وما فى النسخ الأخرى أليق بالسياق ، ولذا سيجد القارئ اضطرابا فى ترقيم ورقات الأصل .

(٢) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٧٨) من طريق عبد الملك بن الحسين به . وعبد الملك بن حسين أبو مالك النخعى متروك .

وأخرج أبو الشيخ أيضا (٧٦٩) نحوه مرفوعا من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وأخرج أيضا (٧٧٦) من طريق أسباط ، عن السدى من قوله ، مثل أثر شهر عن ابن عباس الآتى .

(٣) فى الأصل : « الحسين » .

(٤) فى ر : « البزار » .

بالتسبيحِ ، كما يسوقُ الحادِى الإبلَ بحُدائِه[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ[(٢)] بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ عبَّادٍ وشَبَابةُ ، قالا[(٣)] : حدَّثنا شعبةُ ، عن الحَكَمِ ، عن مجاهدٍ ، قال : الرعدُ ملَكٌ يزجُرُ السحابَ .

/**حدَّثنا** أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا عتَّابُ بنُ زيادٍ ، عن عكرمةَ ، قال : الرعدُ ملَكٌ فى السماءِ[(٤)] يجمَعُ السحابَ كما يجمَعُ الراعى الإبلَ[(٥)] . ١٥١/١

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : الرعدُ خَلْقٌ من خَلْقِ اللَّهِ سامعٌ مُطيعٌ للَّهِ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا حسينٌ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن عكرمةَ ، قال : الرعدُ ملَكٌ يُؤمَرُ بإزجاءِ السحابِ ، ويؤلِّفُ بينَه ، فذلك الصوتُ تسبيحُه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : الرعدُ ملَكٌ .

---

(١) أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق (٥٦٦ - المنتقى) من طريق عفان به .

وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٧٥) من طريق أبى عوانة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٠/٤ إلى ابن المنذر . وتقدم فى ص ٣٥٧ نحوه من قول شهر بن حوشب .

(٢) فى الأصل : « الحسين » .

(٣) فى الأصل : « قال » .

(٤) فى م ، ت ١ : « السحاب » .

(٥) أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق (٥٦٤ - المنتقى) ، والبيهقى ٣٦٣/٣ من طريق آخر عن عكرمة نحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥١/٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا الحجاجُ بنُ المِنْهالِ ، قال : حدَّثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن المغيرةِ [٢/٤ظ] بنِ سالمٍ(١) ، عن أبيه أو غيرِه ، أن عليَّ بنَ أبي طالبٍ قال : الرعدُ ملَكٌ(٢) .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا الحجاجُ ، قال : حدَّثنا حمادٌ ، قال : أخْبَرنا موسى ابنُ سالمٍ أبو جَهْضَمٍ مولى ابنِ عباسٍ ، قال : كتَب ابنُ عباسٍ إلى أبي الجَلْدِ يَسأَلُه عن الرعدِ ؟ فقال : الرعدُ ملَكٌ(٣) .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا عمرُ بنُ الوليدِ الشَّنيُّ(٤) ، عن عكرمةَ ، قال : الرعدُ ملَكٌ يسوقُ السحابَ كما يسوقُ الراعِي الإبلَ .

حدَّثني سعدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحَكَمِ ، قال : حدَّثنا حفصُ بنُ عمرَ ، قال : حدَّثنا الحَكَمُ بنُ أبانٍ ، عن عكرمةَ ، قال : كان ابنُ عباسٍ إذا سمِع الرعدَ قال : سبحانَ الذي سبَّحتَ له . قال : وكان يقولُ(٥) : الرعدُ ملَكٌ ينعِقُ بالغيثِ ، كما ينعِقُ الراعي بغنمِه(٦) .

---

(١) كذا في النسخ ، وفي المصادر : « مسلم » . وينظر تاريخ الدوري ٤/ ٢١٠ (٤٠٠٣) ، والثقات ٧/ ٤٦٤ .

(٢) أخرجه البيهقي ٣/ ٣٦٣ ، والخطيب في المتفق والمفترق ٣/ ١٩٣٦ من طريق حماد بن سلمة ، عن المغيرة ابن مسلم ، عن أبيه ، عن علي . وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٧٧٢) من طريق آخر عن علي بلفظ : البرق : مخاريق من نار بأيدي ملائكة السحاب يزجرون به السحاب .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٥٠ إلى ابن أبي الدنيا في المطر وابن المنذر .

(٣) في ت ٢، ت٣ : « الملك » .

والأثر أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٥٦٣ - المنتقى) من طريق حماد به من قول ابن عباس . وينظر الدر المنثور ٤/ ٤٩.

(٤) في م : « السني » .

(٥) بعده في ر ، م ، ت ٢، ت ٣: « إن » .

(٦) ينظر ص ٣٥٨.

وقال آخرون : الرعدُ ريحٌ تختنقُ تحتَ السحابِ فتصّاعدُ ، فيكونُ منه ذلك الصوتُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، [٢/٢و] قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبيريُّ ، قال : حدَّثنا بشيرٌ[1] أبو[2] إسماعيلَ ، عن أبى كَثيرٍ[3] ، قال : كنتُ عندَ أبى الجَلْدِ[4] ، إذ جاءه رسولُ ابنِ عباسٍ بكتابٍ إليه ، فكتَب[5] إليه : كتبتَ إلىّ تسألُنى عن الرعدِ ، فالرعدُ الريحُ[6] .

حدَّثنى إبراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، قال : حدَّثنا عمرانُ بنُ ميْسرةَ ، قال : حدَّثنا ابنُ إدريسَ ، عن الحسنِ بنِ الفراتِ ، عن أبيه ، قال : كتَب ابنُ عباسٍ إلى أبى الجَلْدِ[4] يسألُه عن الرعدِ ، فقال : الرعدُ ريحٌ[7] .

قال أبو جعفرٍ : فإن كان الرعدُ ما ذكَره ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ ، فمعنَى الآية : أو كصيِّبٍ من السماءِ فيه ظلماتٌ وصوتُ رعدٍ ؛ لأن الرعدَ إن كان ملَكًا يسوقُ السحابَ ، فغيرُ كائنٍ فى الصيِّبِ ؛ لأن الصَّيِّبَ إنما هو ما تحدَّر من صَوْبِ[8] السحابِ ، والرعدُ إنما هو فى جوِّ السماءِ يسوقُ السحابَ . على أنه لو كان فيه

---

(١) فى م ، ص ، ت ١ : « بشر » .

(٢) فى النسخ : « بن » وهو خطأ . وهو بشير بن سلمان ، أبو إسماعيل ، والمثبت من مصدر التخريج ، وينظر تهذيب الكمال ٤/ ١٦٨.

(٣) فى الأصل : « كبير » .

(٤) فى م : « الخلد » .

(٥) فى ت ١ : « فقال فى كتاب » .

(٦) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٧٣) من طريق بشير به ، وسيأتى تمامه فى ص ٣٦٣، ٣٦٤.

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٥٥ (١٨٧) من طريق ابن إدريس ، به .

(٨) فى ص ، ت ١، ت ٢: « صوت » .

ثَمَّ[(١)] ، لم يكنْ له صوتٌ مسموعٌ ، لم[(٢)] يكنْ هنالك رعبٌ يُرْعَب به أحدٌ ؛ لأنه قد قيل : إن مع كلِّ قطرةٍ من قَطْرِ المطرِ ملَكًا . فلا يَعْدُو الملَكُ الذى اسمُه الرعدُ لو كان مع الصيِّبِ ، إذا لم يكنْ مسموعًا صوتُه - أن يكونَ كبعضِ / تلك الملائكةِ التى تنزلُ مع القَطْرِ إلى الأرضِ ، فى ألا رُعبَ على أحدٍ بكونِه فيه . فقد عُلِم - إذ كان الأمرُ كما[(٣)] وصَفْنا من قولِ ابنِ عباسٍ - أن معنَى الآيةِ : أو كمثَلِ غيْثٍ تحدَّر من السماءِ فيه ظلماتٌ وصوتُ رعدٍ . إن كان الرعدُ هو ما قاله ابنُ عباسٍ ، وأنه استَغْنَى بدَلالةِ ذكرِ الرعدِ باسمِه على المرادِ فى الكلامِ من ذكرِ صوتِه ، وإن كان الرعدُ ما قاله أبو الجلدِ[(٤)] ، فلا شىءَ فى قولِه : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ ﴾ . متروكٌ ؛ لأن معنى الكلامِ حينَئذٍ : فيه ظلماتٌ ورعدٌ ، الذى هو ما وصَفْنا صفتَه .

١٥٢/١

وأما البرقُ ، **فإن أهلَ العلمِ اختَلفوا فيه ؛ فقال بعضُهم بما حدَّثنا** مطرُ بنُ محمدٍ الضبِّىُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، **وحدَّثنا** محمدُ بنُ بشّارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ابنُ مهدىٍّ ، **وحدَّثنا** أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوازىُّ ، قال : حدَّثنى أبو أحمدَ الزُّبيرىُّ ، قالوا جميعًا : حدَّثنا سفيانُ الثورىُّ ، عن سَلَمةَ بنِ كُهيلٍ ، عن سعيدِ بنِ أشْوعَ ، عن ربيعةَ بنِ الأَبْيَضِ ، عن علىٍّ ، قال : البرقُ مخاريقُ[(٥)] الملائكةِ[(٦)] .

---

(١) فى م : « يمر » .

(٢) فى م : « فلم » .

(٣) فى ص ، ر ، م : « على ما » .

(٤) فى م : « الخلد » .

(٥) المخاريق ، جمع مخراق : وهو فى الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا ، أراد أنه آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه . النهاية ٢/ ٢٦.

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٥٥ (١٩٠) ، وأبو الشيخ فى العظمة (٧٧١) ، والبيهقى ٣/٣٦٣ من طريق سفيان به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٤٩، ٥٠ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وأخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق (٥٦٥ - المنتقى) من طريق المسعودى ، عن سلمة ، عن رجل ، عن على بلفظ : الرعد : ملك ، والبرق : مخاريق بأيدى الملائكة . وينظر علل الدارقطنى ٣/ ٢٠٠.

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا عبدُ الملكِ بنُ حسينٍ ، عن السُّدِّيِّ ، عن أبى مالكٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : البرقُ مخاريقُ بأيدى الملائكةِ يزْجُرون بها السحابَ .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا الحجاجُ ، قال : حدَّثنا حمادٌ ، عن المغيرةِ بنِ سالمٍ ، عن أبيه أو غيرِه ، أن عليَّ بنَ أبى طالبٍ قال : الرعدُ المَلَكُ ، والبرقُ ضربُه السحابَ بِمِخْراقٍ من[1] حديدٍ[2] .

وقال آخرون : هو سَوْطٌ من نورٍ ، يزجُرُ به الملكُ السحابَ .

[٢/٢ظ] ذكرُ مَن قال ذلك

حُدِّثت عن المِنْجابِ بنِ الحارثِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ بذلك[3] .

وقال آخرون : هو ماءٌ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا بشيرٌ[4] أبو[5] إسماعيلَ ، عن أبى كَثيرٍ[6] ، قال : كنتُ عند أبى الجَلْدِ[7] ، إذ جاءه رسولُ ابنِ

---

(١) ليس فى : الأصل .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٣٦٠ .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٥٠ إلى المصنف وابن مردويه .

(٤) فى م : « بشر » .

(٥) فى النسخ : « بن » . وهو خطأ كما تقدم فى ص ٣٦١.

(٦) فى الأصل : « كبير » .

(٧) فى م : « الخلد » .

عباسٍ بكتابٍ إليه[١] ، [٢]فكتَب إليه[٢] : كَتَبْتَ[٣] إلىّ[٤] تسألُنى عن البرقِ ، فالبرقُ الماءُ[٥] .

حدَّثنا إبراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، قال : حدَّثنا عِمرانُ بنُ ميْسرةَ ، قال : حدَّثنا ابنُ إدريسَ ، عن الحسنِ[٦] بنِ الفراتِ ، عن أبيه ، قال : كتَب ابنُ عباسٍ إلى أبى الجلدِ يسألُه عن البرقِ ، فقال : البرقُ ماءٌ[٧] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا جَريرٌ ، عن عطاءٍ ، عن رجلٍ من أهلِ البصرةِ من قُرَّائِهم ، قال : كتَب ابنُ عباسٍ إلى أبى الجَـلْدِ[٨] - رجلٍ مِن أهلِ هَجَرَ - يسألُه عن البرقِ ، فكتَب إليه : كتَبتَ إلىَّ تسألُنى عن البرقِ ، وإنه من الماءِ[٩] .

وقال آخرون : هو مَصْعُ[١٠] ملَكٍ .

١٥٣/١ / **حدَّثنا** محمدُ بنُ بشَّارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهدىٍّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عثمانَ بنِ الأسودِ ، عن مجاهدٍ ، قال : البرقُ مَصْعُ

---

(١) ليس فى : الأصل .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) سقط من : م .

(٤) زيادة من : ص .

(٥) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٦١ . وينظر الدر المنثور ٤/ ٤٩.

(٦) فى الأصل : « الحسين » .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٥٥ (١٨٨) من طريق ابن إدريس به .

(٨) فى م : « الخلد » .

(٩) أخرج أبو الشيخ فى العظمة (٧٨٢) من طريق ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن عامر ، قال : أرسل ابن عباس إلى أبى الجلد . فذكره مطولًا ، وفيه : وأما البرق فهو تلألؤ الماء . ينظر علل أحمد ١/ ٧٠ (١٩٤) .

(١٠) سيأتى تعريف المصع فى كلام المصنف ، وينظر النهاية ٤/ ٣٣٧.

ملَكٍ[(١)] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا هشامٌ ، عن محمدِ بنِ مسلمٍ الطائفيِّ ، قال : بلَغنى أن البرقَ ملَكٌ له أربعةُ أوجهٍ ، وجهُ إنسانٍ ، ووجهُ ثَوْرٍ ، ووجهُ نَسرٍ ، ووجهُ أسدٍ ، فإذا مصَع بأجنحتِه فذلك البرقُ[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن وهبِ بنِ سليمانَ ، عن شُعيبٍ الجَبَائيِّ ، قال : في كتابِ اللَّهِ ؛ الملائكةُ حَملةُ العرشِ ، لكل ملَكٍ منهم وجهُ إنسانٍ وثَورٍ وأسدٍ ونَسْرٍ ، فإذا حرَّكوا أجنحتَهم ، فهو البرقُ ، وقال أميةُ بنُ أبى الصَّلْتِ[(٣)] :

[٤/٢و] رجُلٌ وثورٌ تحتَ رجْلِ يمينِه والنَّسْرُ للأُخرى ولَيْثٌ مُرْصَدُ[(٤)]

حدَّثنا الحسنُ[(٥)] بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثنا عليُّ بنُ عاصمٍ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : البرقُ ملَكٌ[(٦)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦/١ (١٩٤) من طريق عثمان به، بزيادة : يسوق به السحاب .

وعزاه السيوطى فى الدرالمنثور ٤٩/٤ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ مثله . وعزاه أيضًا إلى المنذر مطولا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم - كما فى البداية والنهاية ١/ ٨٧، وتفسير ابن كثير ٣٦٣/٤ - عن أبيه ، عن هشام - هو ابن عبيد الله الرازى - به . وينظر الدر المنثور ٤/ ٤٩.

(٣) ديوانه ص ٢٩.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٤ إلى أبى الشيخ .

(٥) فى الأصل ، ص ، م ، ت١ ، ت٢ : « الحسين » . وتقدم فى ص ٣٥٨ .

(٦) أخرج أبو الشيخ فى العظمة (٧٨٠) من طريق جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس بلفظ : البرق ملك يترايا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٤ إلى ابن أبى الدنيا فى المطر .

حدَّثنا القاسمُ، قال: حدَّثنا الحسينُ، قال: حدثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُريجٍ[١]، قال: الصواعقُ ملَكٌ يَضْرِبُ[٢] السحابَ بالمطارقِ[٣]، فيُصيبُ به من يشاءُ.

قال أبو جعفرٍ: وقد يَحْتَمِلُ أن يكونَ ما قاله عليُّ بنُ أبى طالبٍ وابنُ عباسٍ ومجاهدٌ بمعنًى واحدٍ؛ وذلك أن تكونَ المخاريقُ التى ذكَر عليٌّ، رضِى اللَّهُ عنه، أنها هى البرقُ، هى[٤] السِّياطُ التى هى من نورٍ، التى يُزْجِى بها الملَكُ السحابَ، كما قال ابنُ عباسٍ، ويكونُ إزجاءُ الملَكِ السحابَ مَصْعَه إيّاه بها. وذلك أن المِصاعَ عندَ العربِ أصلُه المُجالدةُ بالسيوفِ، ثم تستعْمِلُه فى كلِّ شىءٍ جُولِد به، فى حربٍ وغيرِ حربٍ، كما قال أعْشَى بنى ثعلبةَ وهو يصفُ جَوارِىَ لَعِبْن بحَلْيِهن وتَجالَدْن به[٥]:

إذا هُنَّ نازَلْنَ أقرانَهُنَّ ... وكان المِصاعُ بما فى الجُوَنْ[٦]

يقالُ منه: ماصَعه مِصاعًا. وكأنَّ مجاهدًا إنما قال: مَصْعُ ملَكٍ. إذ كان

---

(١) بعده فى ت٢ : « وهب بن سليمان » .

(٢) زيادة من : م .

(٣) فى م ، ت٢ : « بالمخارق » .

(٤) فى ص ، ت ٢: « وهى » .

(٥) ديوان الأعشى ص ١٧.

(٦) الجونة - وربما همزت - : سلة مستديرة مغشاة أدما ، يجعل فيها الطيب والثياب . اللسان (ج أ ن ، ج و ن) .

السحابُ لا يُماصِعُ المَلَكَ ، وإنما الرعدُ هو الماصِعُ[(١)] له ، فجعَله مصدرًا من : مصَعَه يمصَعُه مَصْعًا .

وقد ذكَرنا فى معنى الصاعقةِ ما قاله شهرُ بنُ حَوْشبٍ فيما مضَى[(٢)] .

وأما تأويلُ الآيةِ ، **فإن أهلَ التأويلِ مختلِفون فيه** ؛ فرُوِى عن ابنِ عباسٍ فى ذلك أقوالٌ ؛ [٣/٢و] **أحدُها** : ما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ أى : هم من ظُلُمات ما هم فيه من الكفرِ والحذرِ من القتلِ على الذى هم عليه من الخلافِ والتخوُّفِ منكم - على مثلِ ما وَصَفَ من الذى[(٣)] هو فى ظلمةِ الصيِّبِ ، فجعَل أصابعَه فى أُذُنيه مِن الصواعقِ حذَرَ الموتِ ، ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ أى : لشدةِ ضوءِ الحقِّ ، ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ / أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾ أى : يعرِفون الحقَّ ويتكلَّمون به ، فهم من قولِهم به على استقامةٍ ، فإذا ارْتَكسوا منه إلى الكفرِ قامُوا متحيِّرين[(٤)] . ١٥٤/١

(١) فى م : « المماصع » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٣٥٧.

(٣) فى الأصل : « الذين » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٣٣/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤/١، ٥٦، ٥٨ (١٨٣، ١٩٨، ٢٠٦، ٢٠٩) من طريق سلمة به ، وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٣٦ .

والآخرُ : ما حدَّثنا به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره عن أبي مالكٍ ، وعن أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ إلى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ : أما الصيِّبُ (١فالمطرُ . كان١) رجلان من المنافقين من أهلِ المدينةِ هرَبا من رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى المشركين ، فأصابَهما هذا المطرُ الذى ذكَر اللَّهُ ، فيه رعدٌ شديدٌ وصواعقُ وبرقٌ ، فجعَلا كلَّما أصابَهما[٢] الصواعقُ جعَلا أصابِعَهما فى آذانِهما ، من الفَرَقِ أن تدخُلَ الصواعقُ فى مسامِعِهما فتقتُلَهما ، وإذا لمَع البرقُ مَشَوا فى ضوئِه ، وإذا لم يلمَعْ لم يُبْصِرا ، قاما مكانَهما لا يمشيان ، فجعَلا يقولان : ليتنا قد أصْبَحنا فنأتىَ محمدًا فنضعَ أيدِيَنا فى يدِه . فأصْبَحا ، فأتَياه فأسْلَما ، ووضَعا أيدِيَهما فى يدِه ، وحسُن إسلامُهما ، فضرَب اللَّهُ شأنَ هذين المنافقَين الخارجَين مثَلًا للمنافِقِين الذين بالمدينةِ ، وكان المنافقون إذا حضَروا مجلسَ النبيِّ ﷺ جعَلوا أصابِعَهم فى آذانِهم فرَقًا مِن كلامِ النبيِّ ﷺ أن يَنْزِلَ فيهم شىءٌ ، أو يُذْكَروا بشىءٍ فيُقْتَلوا ، كما كان ذانك [٣/٢ظ] المنافقان الخارجان يجعَلان أصابِعَهما فى آذانِهما . ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾ ، فإذا كَثُرت أموالُهم ، ووُلِد لهم الغِلمانُ ، (٣وأصابُوا٣) غنيمةً أو فتحًا ، مشَوْا فيه ، وقالوا : إن دينَ محمدٍ ﷺ دينٌ[٤]

(١ - ١) فى م : « والمطر ، كانا » .

(٢) فى م : « أضاء لهما » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « فأصابوا » ، وفى ر ، ت ٢ : « أو أصابوا » .

(٤) فى ص ، والدر المنثور : « حينئذ » ، وفى ت ١ : « حق و » .

صدقٍ . فاستقاموا عليه ، كما كان[1] ذانك المنافقان يَمْشِيان ، إذا أضاء لهما[2] البرقُ مشَوْا فيه ، ﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾ . فكانوا إذا هلكت أموالُهم ، ووُلِدِ لهم الجوارِى ، وأصابهم البلاءُ ، قالوا : هذا مِن أجلِ دينِ محمدٍ . فارْتَدُّوا كفارًا ، كما قام ذانك المنافقان حينَ أظْلَم البرقُ عليهما[3] .

والثالثُ : ما حدَّثنى به محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾: كمطرٍ ، ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ : هو مثَلُ المنافقِ فى ضوءِ ما تكلَّم بما معه من كتابِ اللَّهِ ، وعمِل مُراءاةً للناسِ ، فإذا خلا وحدَه عمِل بغيرِه ، فهو فى ظلمةِ ما أقام على ذلك ، وأمّا الظلماتُ فالضلالةُ ، وأما البرقُ فالإيمانُ ،وهم أهلُ الكتابِ ، ﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ ﴾ فهو رجلٌ[4] يأخُذُ بطرَفِ الحقِّ لا يستطيعُ أن يُجاوزَه[5] .

والرابعُ : ما حدَّثنى به المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾: وهو المطرُ ، ضرَب مثَلَه فى القرآنِ ، يقولُ : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ ﴾ يقولُ :

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢: « لهم » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة نحوه . وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٣٧ .

(٤) بعده فى ت١ : « واحد » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/١ إلى المصنف . وتقدم أوله فى ص ٣٥٦.

ابتلاءٌ ، [(١] ﴿ وَرَعْدٌ ﴾ يقولُ : تخويفٌ ، ﴿ وَبَرْقٌ ﴾ [١)] . ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ . يقولُ : يكادُ مُحكَمُ القرآنِ أن يدلَّ على عَوْراتِ المنافقين ، ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾ يقولُ : كلَّما أصاب المنافقون مِن الإسلامِ عزًّا اطمأنُّوا ، وإن أصابَ الإسـلامَ نكبةٌ [(٢] قاموا ليرْجِعوا [٢)] إلى الكفرِ ، يقولُ : ﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾ كقولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ﴾ [الحج : ١١] . إلى آخرِ الآيةِ[(٣)] .

١/١٥٥ **قال أبو جعفرٍ** : / ثم اخْتَلَف سائرُ أهلِ التأويلِ بعدُ فى ذلك نظيرَ ما رُوى عن ابنِ عباسٍ مِن الاختلافِ **فحدَّثنى** محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى بنِ ميمونٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : إضاءةُ البرقِ وإظلامُه[(٤)] على نحوِ ذلك المثَلِ[(٥)] .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا عمرُو بنُ عليٍّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

(١ - ١) فى الدر المنثور : « ورعد وبرق - تخويف » .

(٢ - ٢) فى م : « قالوا ارجعوا » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٥٨ (١٨٢، ١٨٦، ٢٠٣، ٢٠٨) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/١ إلى ابن المنذر والصابونى فى المائتين .

(٤) فى الأصل ، ر : « إظلامهم » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣/١ إلى عبد بن حميد . وينظر تفسير مجاهد ص ١٩٧ . وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٥٧.

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ، قال: حدَّثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ، عن سعيدٍ، عن قتادةَ فى قولِ اللَّهِ: ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ إلى قولِه: ﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾ : فالمنافقُ[1] إذا رأى فى الإسلامِ رخاءً أو طمأنينةً أو سَلْوةً من عيشٍ، قال: أنا معكم وأنا منكم. وإذا أصابتْه شدَّةٌ[2] حَقْحَق[3] واللَّهِ عندَها، فانْقُطِع به، فلم يَصْبِرْ على بلائِها، ولم يَحتسِبْ أجرَها، ولم يرْجُ عاقبتَها[4].

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى، قال: أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ، قال: أخْبَرنا معمرٌ، عن قتادةَ: ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ يقولُ: أجبنُ[5] قومٍ، لا يسمَعون شيئًا إلا ظنُّوا أنهم هالكون فيه؛ [6]حذَرًا من[6] الموتِ، ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾. ثم ضرَب لهم مثَلًا آخرَ، فقال: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾. يقولُ: هذا المنافقُ؛ إذا كثُر مالُه، وكثُرت ماشيتُه، وأصابَته عافيةٌ، قال: لم يُصِبْنى منذُ دخلتُ فى دينى هذا إلا خيرٌ. ﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾ يقولُ: إذا ذهبَت أموالُهم، وهلَكت مواشِيهم، وأصابهم البلاءُ، قاموا متحيِّرين.

---

(١) فى ت ١: « قال ».

(٢) فى الأصل، ص، ت١، ت٢: « شديدة ».

(٣) الحقحقة: أن يسار البعير ويحمل على ما يتعبه وما لا يطيقه حتى يبدع براكبه، وقيل: هو المتعب من السير. اللسان (ح ق ق).

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣/١ إلى المصنف وعبد بن حميد نحوه، وتقدم أوله فى ص ٣٣٩.

(٥) فى م: « أخبر عن »، وفى ت ١: « هم أجبن ».

(٦ - ٦) فى ص، ت ١: « حذارا من ».

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ قال : مثلُهم كمثلِ قومٍ ساروا في [٢/٥٥و] ليلةٍ مظلمةٍ ، ولها مطرٌ ورعدٌ وبرقٌ على جادَّةٍ ، فلما أبْرَقت أبْصَروا الجادَّةَ فمضَوْا فيها ، فإذا ذهَب البرقُ تحيَّروا ، وكذلك المنافقُ ، كلَّما تكلَّم بكلمةِ الإخلاصِ أضاء له ، فإذا شكَّ تحيَّر ووقَع[١] في الظُّلْمةِ ، فكذلك قولُه : ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾ . ثم قال في أسماعِهم وأبصارِهم التي عاشُوا بها في الناسِ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ﴾[٢] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا أبو تميلةَ[٣] ، عن عُبيدِ بنِ سليمانَ الباهليِّ ، عن الضحَّاكِ بنِ مُزاحمٍ : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ ﴾ قال : أما الظلماتُ فالضلالةُ ، والبرقُ الإيمانُ[٤] .

حدَّثني يونسُ بنُ عبدِ الأعْلى ، قال : أخْبَرنا ابنُ وَهبٍ ، قال : حدَّثني عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ [٥]فقَرأ حتى بلَغ[٥] : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ قال : هذا أيضًا مثَلٌ ضرَبه اللَّهُ للمنافقين ، كانوا قد استنارُوا[٦] بالإسلامِ ، كما استنَار[٧] هذا بنورِ هذا[٨] البرقِ .

---

(١) بعده في ر : « ورجع » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٩/١ عقب الأثر (١٢٠) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) في الأصل : « ثميلة » ، وفي م : « نميلة » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٥٤، ٥٦ (١٨٤، ١٩٥) من طريق علي بن الحكم عن الضحاك .

(٥ - ٥) في ر : « حتى قرأ » .

(٦) في ت ١ : « استضاءوا » .

(٧) في ت ١ : « استضاء » .

(٨) سقط من : ص ، ت ١ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُريجٍ : ليس فى الأرضِ شىءٌ يسمعُه المنافقُ إلا ظنَّ أنه يُرادُ به ، وأنه الموتُ ، كراهيةً له ، والمنافقُ أكرَهُ خلقِ اللَّهِ للموتِ ، كما إذا كانوا بالبرارِىِّ[(١)] فى المطرِ ، فرُّوا من الصواعقِ .

/حدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ ، قال : حدَّثنا أبو معاويةَ ، قال : حدَّثنا ابنُ جُريجٍ ، عن عطاءٍ فى قولِه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ قال : مثَلٌ ضُرِب للكافرِين[(٢)] . ١٥٦/١

قال أبو جعفرٍ : وهذه الأخبارُ[(٣)] التى ذكَرْناها عمَّن رَوَيناها عنه ، فإنها وإن اخْتَلفت فيها ألفاظُ قائليها متقارِباتُ المعانى ؛ لأنها جميعًا تُنْبِئُ عن أن اللَّهَ ضرَب الصَّيِّبَ لظاهرِ إيمانِ المنافقِ مثلًا ، ومثَّل ما فيه من ظلماتٍ بضلالتِه ، وما فيه من ضياءِ برقٍ بنورِ إيمانِه ، واتِّقاءَه من الصواعقِ بتصييرِ أصابعِه فى أُذُنَيه ، لضعفِ[(٤)] جَنانِه ، ونَخْبِ[(٥)] فؤادِه ، من حُلولِ عقوبةِ اللَّهِ بساحتِه ، ومشيَه فى ضوءِ البرقِ باستقامتِه على نورِ إيمانِه ، وقيامَه فى الظلامِ بحيرتِه فى ضلالتِه وارتكاسِه فى عَمَهِه .

فتأويلُ الآيةِ[(٦)] إذن - إذ[(٧)] كان الأمرُ على ما وصَفْنا - : [٥/٢ظ] أو[(٨)] مَثَلُ ما استَضاء به المُنافِقون ، مِن قيلِهم لرسولِ اللَّهِ ﷺ وللمؤمنين بألسنتِهم : آمنَّا باللَّهِ

---

(١) فى ص : « بالبر » ، وفى م ، ر ، ت ١ ، ت ٢ : « بالبراز » .

(٢) فى ص ، ر ، م ، ت ١ : « للكافر » ، وفى ت ٢ : « الكافر » .

(٣) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « الأقوال » .

(٤) فى م : « بضعف » .

(٥) فى م : « تحير » . والنخب : الجبن وضعف القلب . اللسان (ن خ ب) .

(٦) فى ص : « الكلام » .

(٧) فى ص : « إن » ، وفى م « إذا » .

(٨) فى الأصل : « و » .

وباليومِ الآخرِ وبمحمدٍ وبما جاء به . حتى صار لهم بذلك فى الدنيا أحكامُ المؤمنين ، وهم - مع إظهارِهم بألسنتِهم ما يُظْهِرون - باللَّهِ وبرسولِه وما جاء به مِن عندِ اللَّهِ وباليومِ الآخرِ مُكَذِّبون ، ولخلافِ ما يُظْهِرون بالألْسُنِ فى قلوبِهم مُعْتَقِدون ، على عمًى منهم وجَهالةٍ بما هم عليه مِن الضَّلالةِ ، لا يَدْرُون فى[1] أىِّ الأمْرَين اللذين قد شُرِعا لهم الهدايةُ ، فى[2] الكفرِ الذى كانوا عليه قبلَ إرسالِ اللَّهِ محمدًا ﷺ بما أرْسَله به إليهم ، أم فى الذى أتاهم به محمدٌ ﷺ مِن عندِ ربِّهم ؟ فهم مِن وَعيدِ اللَّهِ إياهم على لسانِ محمدٍ ﷺ وَجِلون ، وهم مع وَجَلِهم مِن ذلك فى حقيقتِه شاكُّون ، فى قلوبِهم مرضٌ فزادَهم اللَّهُ مرضًا - كمثل غَيْثٍ سرَى ليلًا فى مُزْنةٍ[3] ظَلْماءَ وليلةٍ[4] مُظْلِمةٍ ، يَحْدُوها رَعْدٌ ، ويَسْتَطِيرُ فى حافاتِها برقٌ ، شديدٌ لَمَعانُه ، كثيرٌ خَطَرانُه[5] ، يَكادُ سناه[6] يَذْهَبُ بالأبصارِ ، ويَخْتَطِفُها مِن شدَّةِ ضِيائِه ونورِ شُعاعِه ، وتَهْبِطُ منها تاراتٍ صَواعِقُ ، تَكادُ تَدَعُ النفوسَ مِن شدةِ أهْوالِها زَواهِقَ .

فالصَّيِّبُ مَثَلٌ لظاهرِ ما أظْهَر المُنافِقون بألسنتِهم مِن الإقْرارِ والتَّصْديقِ ، والظلماتُ التى هى فيه لظُلُماتِ ما هم مُسْتَبِطنوه[7] من الشكِّ والتَّكْذِيبِ ومرضِ القلوبِ ، وأما الرعدُ والصَّواعقُ فلِما هم عليه مِن الوَجَلِ مِن وَعيدِ اللَّهِ إياهم على لسانِ رسولِه ﷺ فى آيِ كتابِه ، إمَّا فى العاجلِ وإمَّا فى الآجِلِ ، أن يَحُلَّ بهم ، مع شكِّهم فى ذلك ، هل هو كائنٌ أم غيرُ كائنٍ ، وهل له حقيقةٌ أم ذلك كذبٌ

---

(١) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ .

(٢) فى الأصل ، ص : « أفى » .

(٣) فى ت ١ : « برية » .

(٤) فى م : « ليل » .

(٥) الخطران : الارتفاع والانخفاض . انظر التاج (خ ط ر) .

(٦) فى ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ : « سنا برقه » .

(٧) فى م : « مستنبطون » .

وباطلٌ ؟ مَثَلٌ[(١)] . فهم مِن وَجَلِهم أن يكونَ ذلك حقًّا ، يَتَّقُونه بالإقرارِ بما جاء به محمدٌ ﷺ بألسنتِهم ، مخافةً على أنفسِهم مِن الهلاكِ ونزولِ النَّقِماتِ .

وذلك تأويلُ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ يعْنى بذلك : يَتَّقُون وَعيدَ اللَّهِ الذى أَنْزَله فى كتابِه على لسانِ رسولِه ﷺ بما يُبْدُونه بألسنتِهم مِن ظاهرِ الإقرارِ ، كما يَتَّقِى الخائفُ[(٢)] أصواتَ الصَّواعقِ بتغطيةِ أُذُنيه ، وتَصْيِيرِ أصابِعِه فيهما[(٣)] ، حَذَرًا على نفسِه منها[(٤)] .

وقد ذكَرْنا الخبرَ الذى رُوِى عن ابنِ مسعودٍ وعن ابنِ عباسٍ أنهما كانا يَقُولان : إن المنافقين [٦/٢و] كانوا إذا حضَروا مجلسَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أَدْخَلوا أصابعَهم فى آذانِهم فَرَقًا مِن كلامِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أن يَنْزِلَ فيهم شىءٌ ، أو يُذْكَروا بشىءٍ فيُقْتَلوا[(٥)] . فإن كان ذلك صحيحًا - ولستُ أَعْلَمُه صحيحًا ،/ إذ كنتُ بإسنادِه ١٥٧/١ مُرتابًا - فإن القولَ الذى رُوِى عنهما هو القولُ . وإن يكنْ غيرَ صَحيحٍ ، فأَوْلَى بتأويلِ الآيةِ ما قُلْنا ؛ لأنَّ اللَّهَ إنما قصَّ علينا مِن خبرِهم فى أولِ مُبْتَدَأ قَصَصِهم ، أنهم[(٦)] يُخادِعون اللَّهَ ورسولَه والمؤمنين بقولِهم : آمَنَّا باللَّهِ وباليومِ الآخِرِ . مع شكِّ قلوبِهم ومرضِ أفئدتِهم فى حقيقةِ ما زعَموا أنهم به مُؤْمنون ، مما جاءَهم به رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن عندِ ربِّهم ، وبذلك وصَفهم فى جميعِ آيِ القرآنِ التى ذكَر فيها صفتَهم ، فكذلك ذلك فى هذه الآيةِ .

---

(١) ليست فى : الأصل ، وفى ت ١: « شك » .

(٢) بعده فى ر : « من » .

(٣) فى ص ، م ، ت ١: « فيها » .

(٤) فى ت ٢: « منهما » .

(٥) تقدم فى ص ٣٦٨ .

(٦) بعده فى ص : « عارفون » .

وإنما جعَل اللَّهُ إدخالَهم أصابِعَهم فى آذانِهم مَثَلًا لاتِّقائهم رسولَ اللَّهِ ﷺ والمؤمنين بما ذكَرْنا أنهم يَتَّقُونهم به ، كما يَتَّقِى سامعُ صوتِ الصاعقةِ بإدخالِ أصابعِه فى أُذُنيه ، وذلك مِن المَثَلِ نظيرُ تَمثيلِ اللَّهِ ما أنْزَل[1] فيهم مِن الوَعيدِ فى آيِ كتابِه بأصواتِ الصَّواعقِ ، وكذلك قولُه : ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ ﴾ جعَله جل ثناؤُه مَثَلًا لخوفِهم وإشفاقِهم مِن حُلولِ عاجلِ العِقابِ المُهْلِكِهم[2] الذى تُوُعِّدوه بساحتِهم ، كما يَجْعَلُ سامعُ أصواتِ الصَّواعِقِ أصابِعَه فى أُذُنيه حَذَرَ العَطَبِ والموتِ على نفسِه أن تَزْهَقَ مِن شدتِها .

وإنما نصَب قولَه : ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ ﴾ على نحوِ ما تَنْصِبُ به التَّكْرِمةَ فى قولِك : زُرْتُك تَكرِمةً لك . تُريدُ بذلك : زُرْتُك[3] مِن أجلِ تَكْرِمتِك . وكما قال جلّ ثناؤُه : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء : ٩٠] . على التفسيرِ للفعلِ[4] .

وقد رُوى عن قتادةَ أنه كان يَتأوَّلُ قولَه : ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ ﴾ : حَذَرًا مِن الموتِ .

حدَّثنا بذلك الحسنُ بنُ يحيى ، قال : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، قال : حدَّثنا مَعْمَرٌ عنه .

وذلك مذهبٌ مِن التأويلِ ضعيفٌ ؛ لأنَّ القومَ لم يَجْعَلوا أصابعَهم فى آذانِهم حَذَرًا مِن الموتِ ، فيكونَ معناه ما قال : إنه يرادُ[5] به : حَذَرًا مِن الموتِ . وإنما جعَلوها

---

(١) فى الأصل : « نزل » .

(٢) فى م : « المهلك » .

(٣) سقط من : ص ، ت ٢، ت ٣.

(٤) يعنى بالتفسير للفعل: المفعول لأجله. ينظر معانى القرآن للفراء ١/ ١٧، والمصطلح النحوى ص ١٦٤.

(٥) فى م : « مراد » .

مِن حِذارِ الموتِ فى آذانِهم .

وكان قتادةُ وابنُ جُرَيْجٍ يتأوَّلان قولَه : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ أن ذلك مِن اللَّهِ جل ثناؤُه صفةٌ للمنافِقِين بالهَلَعِ وضعفِ القلوبِ وكراهيةِ الموتِ . [٢/٦٦ظ] ويتأوَّلان فى ذلك قولَه : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [المنافقون : ٤] .

وليس الأمرُ فى ذلك عندى كالذى قالا ، وذلك أنه قد كان فيهم مَن لا تُنْكرُ شجاعتُه ، ولا تُدْفَعُ بَسالتُه ، كقُزْمانَ[1] الذى لم يَقُمْ مَقامَه أحدٌ[2] مِن المؤمنين[3] يومَ أُحُدٍ[3] ، ودونَه[4] ، وإنما كانت كراهتُهم شُهودَ المَشاهِدِ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وتَرْكُهم مُعاونتَه على أعدائِه ؛ لأنهم لم يكونوا فى أديانِهم مُسْتَبْصِرين ، ولا برسولِ اللَّهِ ﷺ مُصَدِّقِين ، فكانوا للحضورِ معه مَشاهدَه كارِهِين ، إلا بالتَّخْذِيلِ عنه . ولكنّ ذلك وصفٌ مِن اللهِ لهم بالإشْفاقِ مِن حُلولِ عقوبةِ اللَّهِ بهم على نفاقِهم ، إما عاجلًا وإما آجِلًا .

ثم أخْبَر جلّ ثناؤُه أن المنافِقِين الذين نعَتَهم اللهُ النَّعْتَ الذى ذكَر ، وضرَب لهم الأمثالَ التى وصَف ، وإنِ اتَّقَوْا عقابَه ، وأشْفَقُوا من عذابِه إشفاقَ الجاعلِ فى أُذنيه أصابعَه حِذارَ حُلولِ الوَعيدِ الذى توَعَّدهم به فى آيِ كتابِه - غيرُ مُنْجِيهم ذلك مِن نزولِه بعَقْوَتِهم[5] ، وحُلولِه بساحتِهم ، إما عاجلًا فى الدنيا ، وإما آجِلًا فى الآخِرةِ ،

---

(١) هو قزمان بن الحارث ، حليف بنى ظفر ، كان منافقا معروفا بالشجاعة ، وقاتل يوم أحد قتالا شديدا ، حتى أصابته الجراحة ، فقتل نفسه . ينظر الإصابة ٥/ ٤٤٠ .

(٢) سقط من : ص ، وفى ر : « بأحد » ، وفى ت ٢: « كأحد » .

(٣ - ٣) فى ص : « كثير أحد » ، وفى ر ، ت ٢: « كبير أحد » ، وفى ت ١، م : « بأحد » .

(٤) فى الأصل ، ر : « ذويه » .

(٥) فى ص : « بعقولهم » ، وفى م : « بعقوبتهم » . والعقوة والعقاة : الساحة وما حول الدار ، والمحلة . اللسان (ع ق و) .

للذى فى قلوبِهم مِن مرضِها ، والشكِّ فى اعتقادِها ، فقال : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ يَعْنى[1] : جامِعُهم ، فمُحِلٌّ بهم عُقوبتَه .

١٥٨/١ / وكان مجاهدٌ يَتأَوَّلُ ذلك كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال أخبرنا عيسى بنُ مَيْمونٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قال : جامِعُهم فى جهنمَ[2] .

حدَّثنى القاسمُ ، قال : حدَّثنا حسينٌ ، قال : حدَّثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قال : جامِعُهم[3] .

وأما ابنُ عباسٍ فرُوِى عنه فى ذلك ما حدَّثنى به ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عِكْرِمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ يقولُ : اللَّهُ مُنْزِلٌ ذلك بهم مِن النِّقْمةِ[4] .

ثم عاد جلّ ذكرُه إلى نعتِ إقرارِ المنافقين بألسنتِهم ، والخبرِ [5]عنه و[5]عنهم وعن نفاقِهم ، وإتمامِ المثلِ الذى ابْتَدَأ ضَرْبَه لهم ولشكِّهم ومَرَضِ قلوبِهم ، فقال : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ ﴾ يعْنى بالبرقِ الإقرارَ الذى أظْهَروه بألسنتِهم باللهِ وبرسولِه وما جاء به

---

(١) فى م : « بمعنى » .

(٢) تفسير مجاهد ص ١٩٧، ومن طريقه عبد بن حميد - كما فى تغليق التعليق ٤/ ١٧٢- وابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٧/١ (٢٠١) . وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٤٠ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٧/١ (٢٠٠) من طريق ابن جريج به ، بزيادة : يوم القيامة فى جهنم .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٧/١ (١٩٩) من طريق سلمة به .

(٥ - ٥) سقط من : ر، ت ١.

مِن عندِ ربِّهم. فجعَل البرقَ له مثلًا على ما[1] قدَّمْنا صفتَه، ﴿ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ يعنى: يَذْهَبُ بها ويَسْتَلِبُها ويَلْتَمِعُها[2] مِن شدةِ ضِيائِه[3] ونُورِ شُعاعِه[4].

كما [٧/٢و] حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ بنِ الحارثِ، قال: حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ، عن أبى رَوْقٍ، عن الضحاكِ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾. قال: يَلْتَمِعُ أبْصارَهم ولمَّا يَفْعَلْ[5].

والخَطْفُ السَّلْبُ. ومنه الخبرُ الذى رُوِى عنِ النبىِّ ﷺ أنه نَهى عن الخَطْفةِ[6]. يعنى بها النُّهْبَةَ. ومنه قيل للخُطَّافِ الذى يُخْرَجُ به الدَّلْوُ مِن البئرِ: خُطَّافٌ؛ لاخْتِطافِه واسْتِلابِه ما علِق به. ومنه قولُ نابغةِ بنى ذُبْيانَ[7]:

---

(١) بعده فى ر: «قد».

(٢) التمع الشىءَ: اختلسه. اللسان (ل م ع).

(٣) فى الأصل، ص، ر، ت٢: «ضيائها».

(٤) فى الأصل، ص، ر، ت ٢: «شعاعها».

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٧/١ (٢٠٤) عن أبى زرعة، عن المنجاب به.

(٦) أخرجه الدارمى ٢/ ٨٥، والطبرانى فى الكبير ٢٠٩/٢٢ (٥٥١)، والبيهقى ٣٣٤/٩ من طريق أبى أويس عبد الله بن عبد الله، عن الزهرى، عن أبى إدريس، عن أبى ثعلبة بلفظ: نهى رسول الله ﷺ عن الخطفة، والمجثمة، والنهبة، وعن أكل كل ذى ناب من السباع.

وآخره فى النهى عن كل ذى ناب من السباع فى الصحيحين، وغيرهما من طرق عن الزهرى به. وينظر علل الدارقطنى ٣١٦/٦ - ٣١٨.

وأخرجه الحميدى (٣٩٧)، وأحمد ١٩٥/٥، ٤٥٥/٦ (الميمنية) من طريق سهيل، عن عبد الله بن يزيد السعدى، عن أبى الدرداء، نحوه. وينظر علل الدارقطنى ٦/ ٢٠٣، ٢٠٤.

والخطفة: ما اختطف الذئب من أعضاء الشاة وهى حية. والمراد ما يقطع من أطراف الشاة، والخطفة المرة الواحدة من الخطف، فسمى بها العضو المختطف. ينظر النهاية ٤٩/٢.

(٧) ديوانه ص ٥٢.

خَطاطِيفُ حُجْنٌ[١] فى حِبالٍ متينةٍ تَمُدُّ بهـا أيـدٍ إليـك نَـوازِعُ

فجعَل ضَوءَ البرقِ وشدةَ شُعاعِ نُورِه ، لضَوْءِ[٢] إقرارِهم بألسنتِهم باللهِ وبرسولِه ﷺ وبما جاء به مِن عندِ اللهِ واليومِ الآخِرِ وشُعاعِ نورِه - مَثَلًا .

ثم قال : ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم ﴾ يعنى أن البرقَ كلَّما أضاء لهم . وجعَل البرقَ لإيمانِهم مَثَلًا . وإنما أراد بذلك أنهم كلما أضاء لهم الإيمانُ . وإضاءتُه لهم أن يَرَوْا فيه ما يُعْجِبُهم فى عاجلِ دُنْياهم مِن النُّصْرةِ على الأعداءِ ، وإصابةِ الغَنائمِ فى المَغازِى ، وكثرةِ الفُتوحِ وتتابُعِها[٣] ، والثَّراءِ فى الأموالِ ، والسلامةِ فى الأَبدانِ والأهلِ والأولادِ - فذلك إضاءتُه لهم ؛ لأنهم إنما يُظْهِرون بألسنتِهم ما يُظْهِرونه مِن الإقرارِ ابْتغاءَ ذلك ، ومُدافَعةً عن أنفسِهم وأموالِهم وأهليهم وذَرارِيِّهم ، فهم كما وصَفَهم جلّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ [الحج : ١١] .

ويعنى بقولِه : ﴿ مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾ : مشَوْا[٤] فى ضوءِ البرقِ . وإنما ذلك مَثَلٌ لإقرارِهم على ما وصَفْنا . فمعناه : كلما رأَوْا فى الإيمانِ ما يُعْجِبُهم فى عاجلِ دنياهم - على ما وصَفْنا - ثبَتوا عليه ، وأقاموا فيه ، كما يَمْشِى السائرُ فى ظُلمةِ الليلِ وظُلمةِ الصَّيِّبِ الذى وصَفه جلّ ذكرُه ، إذا برَقَت فيها بارقةٌ [٥]فأبصَر طريقَه بها[٥] .

﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ ﴾ يعنى : ذهَب ضَوْءُ البرقِ عنهم[٦] . ويعنى بقولِه : ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ :

---

(١) الحجن جمع أحجن : وهو الشيء المعوج . اللسان (ح ج ن) .

(٢) فى ص : « بضوء » ، وفى م : « كضوء » .

(٣) فى ص ، م : « منافعها » .

(٤) فى الأصل : « يعنى مشوا » .

(٥ - ٥) فى م : « أبصر طريقه فيها » .

(٦) فى الأصل ، ر ، ت١ : « عليهم » .

على السائرين فى الصَّيِّبِ الذى وَصَف جلَّ ذكرُه ، وذلك للمنافِقِين مَثَلٌ . ومعنى إظلامِ ذلك أن المنافقين كلما لم يَرَوْا فى الإسلامِ ما يُعْجِبُهم / فى دنياهم - عندَ ابتلاءِ اللَّهِ مؤمِنى عبادِه بالضَّرَّاءِ ، وتَمْحيصِه إياهم بالشدائدِ والبلاءِ ، مِن إخفاقِهم فى مَغْزاهم ، [(١)]أو إدالةِ[(١)] عدوِّهم منهم ، أو إدبارٍ مِن دنياهم عنهم - أقاموا على نفاقِهم ، وثبَتوا على ضَلالتِهم ، كما قام السائرون [٧/٢ظ] فى الصَّيِّبِ الذى وصَف جل ذكرُه إذا أظلَم[(٢)] وخبَتَ[(٣)] ضَوْءُ البرقِ ، فحار فى طريقِه فلم يَعْرِفْ مَنهجَه .

١٥٩/١

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وإنَّما خَصَّ اللَّهُ جلَّ ذِكرهُ السمعَ والأبصارَ بأنَّه لو شاء أذهَبَها مِن المنافقين دونَ سائرِ أعضاءِ أجسامِهم - لِلذى جرَى مِن ذكرِها فى الآيَتَيْن ، أعْنى قولَه : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ ﴾ . وقولَه : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ ﴾ فجرَى ذكرُها فى الآيتَيْنِ على وجهِ المثَلِ . ثم عقَّب جلّ ثناؤُه ذكرَ ذلك بأنه لوشاء أذْهَبه مِن المنافِقِين ، عقوبةً لهم على نفاقِهم وكفرِهم ، ووعيدًا مِن اللهِ لهم ، كما توَعَّدهم فى الآيةِ التى قبلَها بقولِه : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ واصفًا بذلك جلّ ذكرُه نفسَه أنه المُقْتَدِرُ عليهم وعلى جمعِهم[(٤)] ، لإحْلالِ سُخْطِه بهم ، وإنزالِ نِقْمتِه عليهم ، ومُحَذِّرَهم بذلك سَطْوتَه ، ومُخَوِّفَهم[(٥)] عقوبتَه ، ليَتَّقُوا بأسَه ، ويُسارِعوا إليه بالتوبةِ .

كما **حدَّثنا** ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ

(١ - ١) فى ص : « وإدالة » ، وفى م : « وإنالة » . والإدالة : الغلبة . اللسان (د و ل) .

(٢) بعده فى الأصل : « عليهم » .

(٣) فى ص : « خف » ، وفى ر ، م : « خفت » ، وخبت وخفت بمعنى .

(٤) فى الأصل ، ص : « جميعهم » .

(٥) بعده فى ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ : « به » .

إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ ﴾ : لِـمَا تركوا مِن الحقِّ بعدَ معرفتِه[1] .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، قال : ثم قال - يعْنى : قال اللهُ - فى أسْماعِهم - يعنى أسْماعَ المنافِقِين - وأبصارِهم التى عاشُوا بها فى الناسِ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ ﴾[2] .

وإنما معنى قوله : ﴿ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ ﴾ : لأذهب سمعَهم وأبصارَهم . ولكنَّ العربَ إذا أدخلوا الباءَ فى مثلِ ذلك قالوا : ذهبتُ ببصرِه . وإذا حذَفوا الباءَ قالوا : أذهبتُ بصرَه . كما قال جلّ ذكرُه : ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾ [الكهف : ٦٢] . ولو أدخلتِ الباءُ فى الغداءِ لقيل : آتِنا بغدائِنا .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ﴾ فوحَّد ، وقال : ﴿ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ ﴾ فجمَع ، وقد علِمْتَ أن الخبرَ فى السمعِ خبرٌ عن سمعِ جماعةٍ ، كما الخبرُ فى الأبصارِ خبرٌ عن أبصارِ جماعةٍ ؟

قيل : قد اخْتَلَف أهلُ العربيةِ فى ذلك ، فقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ : وحَّد السمعَ لأنه عَنَى به المصدرَ وقصَد به الخَرْقَ ، وجمَع الأبصارَ لأنه عَنَى [٢/٨و] بها[3] الأعينَ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٣/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩/١ (٢١٣) من طريق سلمة به . وتقدم أول هذا الأثر فى ص ٣٣٦ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩/١ (٢١٢) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

(٣) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « به » .

وكان بعضُ نحويِّى البصرةِ يَزْعُمُ أن السمعَ وإن كان فى لفظٍ واحدٍ ، فإنه بمعنى جماعٍ . ويَحْتَجُّ فى ذلك بقولِ اللهِ جلّ وعزّ : ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤٣] . يُرادُ[1] : لا تَرْتَدُّ إليهم أطْرافُهم . وبقولِه : ﴿ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر : ٤٥] . يُرادُ به : أدْبارُهم .

قال أبو جعفرٍ : وإنما جاز[2] ذلك عندى لأن فى الكلامِ ما يَدُلُّ على أنه مُرادٌ به الجمعُ ، فكان دَلالتُه[3] على المرادِ منه وأداءِ معنى الواحدِ مِن السمعِ عن معنى جماعةٍ ، مُغْنِيًا[4] عن جِماعِه ، ولو فُعِل بالبصرِ نظيرُ الذى فُعِل بالسمعِ ، أو فُعِل بالسمعِ نظيرُ الذى فُعِل / بالأبصارِ - مِن الجمعِ والتوحيدِ - كان فصيحًا صحيحًا ؛ ١٦٠/١ لما ذكرْنا مِن العلةِ ، كما قال الشاعرُ[5] :

كُلُوا فى بَعْضِ[6] بَطْنِكُمُ تعِفُّوا[7] فإنَّ زَمانَنا[8] زَمَنٌ خَمِيصُ

فوحَّد البطنَ ، والمرادُ به[9] البطونُ ؛ لما وصَفْنا مِن العلةِ .

---

(١) فى ص : « ويراد » ، وفى م : « يريد » .

(٢) بعده فى ص ، ت١ ، ت٢ : « جمع » ، وفى ر : « جميع » .

(٣ - ٣) فى ص ، ت ١ ، ت٢ : « فى دلالته » ، وفى م : « فيه دلالة » .

(٤) فى ص ، ر ، ت ١، ت ٢: « معنيا » .

(٥) بعده فى ر : « حيث قال » .

والبيت من أبيات سيبويه التى لا يعلم قائلها ، ينظر الكتاب ١/ ٢١٠، وأمالى ابن الشجرى ١/ ٣١١، ٢/ ٢٥، ٣٨، ٣٤٣، والخزانة ٧/ ٥٣٧، ٥٥٩.

(٦) فى الأصل ، ص ، ر ، و أمالى ابن الشجرى ، والموضع الأول من الخزانة : « نصف » .

قال صاحب الكشاف - كما فى الخزانة ٥٦٣/٧ - : أكل فى بعض بطنه ، إذا كان دون الشبع ، وأكل فى بطنه ، إذا امتلأ وشبع .

(٧) فى الأصل ، ص ، ر ، والموضع الأول من الخزانة : « تعيشوا » . وذكر صاحب الخزانة أنها رواية .

(٨) فى مصادر التخريج : « زمانكم » .

(٩) فى ص ، م : « منه » .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

قال أبو جعفر : وإنما وصَف نفسَه جلّ ذكرُه بالقُدرةِ على كلِّ شىءٍ فى هذا الموضعِ ؛ لأنه حذّر المنافِقين بأسَه وسطْوتَه ، وأخبرَهم أنه بهم محيطٌ ، وعلى إذهابِ أسماعِهم وأبصارِهم قديرٌ ، ثم قال جلّ ذكرُه : فاتَّقونى أيها المنافقون ، واحذَرُوا خداعِى وخداعَ رسُولى وأهلِ الإيمانِ بى ؛ لا[1] أُحِلَّ بكم نِقَمِى ، فإنى على ذلك وعلى غيرِه من الأشياءِ قادرٌ[2] . ومعنى ﴿ قَدِيرٌ ﴾ : معنى قادرٍ ، كما معنى عليمٍ[3] : عالمٌ . على ما وصفْتُ فيما تقدّم من نظائِرِه مِن زيادةِ معنى « فعيلٍ » « على » « فاعلٍ » فى المدحِ والذَّمِّ[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ .

فأمَر جلَّ ثناؤُه الفريقين اللذين أَخْبر عن أحدِهما أنه سواءٌ عليهم أُنْذِروا[5] أَمْ لم يُنذَروا[6] أنهم لا يؤمنون ؛ لطبعِه على قلوبِهم وسمعِهم[7] ، وعن الآخرِ أنه يُخادِعُ اللَّهَ والذين [٨/٢ظ] آمنوا بما يُبْدى بلسانِه من قيلِه : آمنَّا باللَّهِ وباليومِ الآخِرِ . مع استبطانِه خلافَ ذلك ومرضِ قلبِه وشكِّه فى حقيقةِ ما يُبْدى مِن ذلك ، وغيرَهم مِن سائرِ خلقِه المكلَّفين - بالاستكانةِ والخضوعِ له بالطاعةِ ، وإفرادِ الرُّبوبيَّةِ له والعبادةِ دونَ الأوثانِ والأصنامِ والآلهةِ ؛ لأنَّه جلَّ ذِكرُه هو خالقُهم وخالقُ مَن قبلَهم مِن

---

(١) فى فى الأصل : « لأنى » .

(٢) فى ص ، م : « قدير » .

(٣) بعده فى ر : « معنى » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ص ١٢٥ .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « أأنذرتهم » .

(٦) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « تنذرهم و » .

(٧) بعده فى م : « وأبصارهم » .

آبائِهم وأجدادِهم ، وخالقُ أوثانِهم وأصنامِهم وآلهتِهم .

فقال لهم جلَّ ذِكرُه : فالذى خلَقكم وخلَق آباءَكم وأجدادَكم وسائرَ الخلقِ غيرَكم ، وهو يقدِرُ على ضَرِّكم ونَفعِكم ، أَوْلى بالطاعةِ ممَّن لا يقدِرُ لكم على نَفْعٍ ولا ضَرٍّ .

وكان ابنُ عباسٍ فيما رُوِى لنا عنه يقولُ فى ذلك نظيرَ ما قُلنا فيه ، غيرَ أنه ذُكِر عنه أنه كان يقولُ فى معنى : ﴿ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ : وحِّدوا ربَّكم .

وقد دلَّلنا فيما مضَى مِن كتابِنا هذا على أن معنى العبادةِ ؛ الخضوعُ للَّهِ بالطاعةِ ، والتذلُّلُ له بالاستكانةِ[1] .

والذى أراد ابنُ عباسٍ - إن شاء اللَّهُ - بقولِه فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ : [2]وحِّدوه . أى[2] : أَفرِدوا الطاعةَ والعبادةَ لربِّكم دونَ سائرِ خلقِه .

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال اللَّهُ جل ذكرُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ : للفريقين جميعًا من الكفارِ والمنافقين ، أى : وحِّدوا ربَّكم الذى خلَقكم والذين مِن قبلِكم[3] .

وحدَّثنى مُوسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهمدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ / النبىِّ ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ١٦١/١

(١) ينظر ما تقدم فى ص ١٥٩ .

(٢ - ٢) فى ص : « وحدوا له » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٣٣/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٥٩، ٦٠ (٢١٥، ٢١٦) من طريق سلمة به .

﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾. (١) يقولُ : خلَقكم وخلَق الذين مِن قبلِكم (٢).

قال أبو جعفرٍ (١) : وهذه الآيةُ مِن أدلِّ الدليلِ على فسادِ قولِ مَن زعَم أن تكليفَ ما لا يُطاقُ إلّا بمعونةِ اللهِ غيرُ جائزٍ ، إلَّا بعدَ إعطاءِ اللهِ المكلَّفَ المعونةَ على ما كلَّفه ، وذلك أن اللَّهَ جلَّ وعزّ أمَر مَن وصَفْنا بعبادتِه والتوبةِ مِن كفرِه ، بعدَ إخبارِه عنهم أنهم لا يؤمنون ، وأنهم عن ضلالتِهم [٩/٢و] لا يَرْجِعون .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾.

وتأويلُ ذلك : لعلَّكم تتَّقون بعبادتِكم ربَّكم الذى خلَقكم ، وطاعتِكم إيَّاه فيما أمَركم به ونهاكم عنه ، وإفرادِكم له بالعبادةِ (٣) - سخطَه وغضبَه أن يَحُلَّ عليكم (٤) ، وتكونوا مِن المتقين الذين رَضِى عنهم ربُّهم .

وكان مجاهدٌ يقولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿تَتَّقُونَ﴾ : تُطيعون .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، عن سفيانَ ، عن ابن أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ . قال : لعلكم تُطيعون (٥) .

والذى أظنُّ أن مجاهدًا أراد بقولِه هذا : لعلكم أن تتَّقوا رَبَّكم بطاعتِكم إيَّاه ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠/١ (٢١٧) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « العبادة لتتقوا » ، وفى م : « بالعبادة لتتقوا » .

(٤) فى ر : « بكم » .

(٥) تفسير الثورى ص ٤٢ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠/١ (٢٢٠) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤/١ إلى وكيع وعبد بن حميد وأبى الشيخ .

وإقلاعِكم عن ضلالتِكم .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أوَ لم يكُنْ عالمًا بما يصيرُ إليه أمرُهم إذا هم عَبدوه وأطاعوه ، حتى قال لهم : لعلَّكم إذا فعَلتم ذلك أن تتَّقوا . فأخْرَج الخبرَ عن عاقبةِ عبادتِهم إيَّاه مُخْرَجَ الشكِّ ؟

قيل : ذلك على غيرِ المعنى الذى توهَّمتَ ، وإنما معنى ذلك : اعبُدوا ربَّكم الذى خلَقكم والذين مِن قبلِكم لتتَّقوه بطاعتِه وتوحيدِه وإفرادِه بالرُّبوبيةِ والعبادةِ ، كما قال الشاعرُ[1] :

وقُلْتُمْ لنَا كُفُّوا الحُرُوبَ لَعَلَّنا   نَكُفُّ وَوَثَّقْتُمْ لَنا كُلَّ مَوْثِقِ
فلَمَّا كَفَفْنا الحَرْبَ كانَتْ عُهُودُكُمْ   كَلَمْحِ سَرَابٍ فى المَلَا[2] مُتَألِّقِ

يريدُ بذلك : قلتم لنا كفُّوا لنكفَّ . وذلك أن « لعل » فى هذا الموضعِ لو كان شكًّا لم يكونوا وثَّقوا لهم كلَّ مَوْثِقٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ .

وقولُه : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ مردودٌ على ﴿ ٱلَّذِى ﴾ الأوَّلِ فى قولِه : ﴿ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾ وهما جميعًا مِن نعتِ ﴿ رَبَّكُمُ ﴾ . فكأنَّه قال : اعبُدوا ربَّكم الخالِقَكم ، والخالقَ [٩/٢ظ] الذين مِن قبلِكم ، الجاعلَ لكم الأرضَ فِراشًا . يعنى بذلك أنه جعَل لكم[3] الأرضَ مِهادًا تُوطَأُ ، وقرارًا يُستقرُّ / عليها . يُذكِّرُ ربُّنا جلَّ ذكرُه بذلك مِن قيلِه ، عبادَه[4] نعمَه عندَهم وآلاءَه لديهم ؛ ١٦٢/١

(١) البيتان فى أمالى ابن الشجرى ٥١/١ غير منسوبين .

(٢) فى ص ، م : « الفلا » . والفلا والملا : المتسع من الأرض ، أو الصحراء الواسعة . اللسان (ف ل و ، م ل و) .

(٣) فى ص : « لهم » .

(٤) فى م : « زيادة » .

لِيذكُروا أياديَه عندَهم ، فيُنيبوا إلى طاعتِه ، تَعطُّفًا منه بذلك عليهم ، ورأفةً منه بهم ، ورحمةً لهم ، مِن غير ما حاجةٍ منه إلى عبادتِهم ، ولكن ليُتِمَّ نعمتَه عليهم ولعلَّهم يَهتدُون .

كما **حدَّثنى** مُوسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** [1] مُرَّةَ ، عن [1] ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا ﴾ : فهى فِراشٌ يُمشَى عليها ، وهى المهادُ والقَرارُ [2] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا ﴾ قال : مهادًا لكم [3] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ قال : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا ﴾ أى : مِهادًا [4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل وعزّ : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وإنما سُمِّيت السماءُ سماءً ؛ لعُلُوِّها على الأرضِ ، وعلى سُكَّانِها مِن خلْقِه ، وكلُّ شىءٍ كان فوقَ شىءٍ آخرَ ، فهو لما تحتَه سماءٌ . ولذلك قيل لسقفِ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .
وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١/١ (٢٢٢) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١/١ عقب الأثر (٢٢٢) معلقا .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١/١ عقب الأثر (٢٢٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

البيتِ : سماؤُه ؛ لأنَّه فوقَه مرتفِعٌ عليه ، وكذلك قيل : سما فلانٌ لفلانٍ : إذا أَشْرف له وقصَد نحوَه عاليًا عليه ، كما قال الفرزدقُ[١] :

سَمَوْنا لِنَجْرَانَ اليَمانِى وأهْلِهِ وَنجْرَانُ[٢] أرْضٌ لَمْ تُدَيَّثْ[٣] مَقاوِلُهْ[٤]

وكما قال نابغةُ بنى ذُبْيانَ[٥] :

[٦]سَمَتْ لى نَظْرَةٌ[٦] فَرأيْتُ مِنْها تُحَيْتَ الخِدْرِ[٧] وَاضِعَةَ القِرَامِ[٨]

يريدُ بذلك : أَشْرفتْ لى نظرةٌ وبدَت . فكذلك السماءُ سُمِّيت للأرضِ سماءً ؛ لعُلُوِّها وإشرافِها عليها .

كما **حدَّثنى** مُوسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهمدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ : ابتنى[٩] السماءَ [٢/١٠و] على الأرضِ كهيئةِ القُبَّةِ ، وهى سَقْفٌ على الأرضِ[١٠] .

---

(١) ديوانه ص ٧٣٥.

(٢) نجران : من مخاليف اليمن من ناحية مكة . معجم البلدان ٤/ ٧٥١.

(٣) تديث : توطأ . وطريق مديث أى مذلل . اللسان (د ى ث) .

(٤) المقول : الملك من ملوك حمير ، والجمع مقاول ومقاولة . اللسان (ق و ل) .

(٥) ديوانه ص ١٥٩.

(٦ - ٦) فى الديوان : « صفحت بنظرة » .

(٧) الخدر : ستر يمد للجارية فى ناحية البيت . تاج العروس (خ د ر) .

(٨) القرام : الستر الرقيق . اللسان (ق ر م) .

(٩) فى م : « فبناء » ، وفى ص ، ر ، ت١ ، ت٢ : « فبنى » ، وفى حاشية الأصل : « فى الأم : فبنى » .

(١٠) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١/١ (٢٢٤) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ قال : جعَل السماءَ سقفًا لك[١] .

وإنما ذكَر السماءَ والأرضَ جل ثناؤُه فيما عدَّد عليهم مِن نعَمِه التى أَنْعَمها عليهم ؛ لأنَّ منهما أقواتَهم وأرزاقَهم ومعايشَهم ، وبهما قِوامُ دنياهم . فأَعْلَمهم أن الذى خلَقهما وخلَق جميعَ ما فيهما وما هم فيه مِن النِّعمِ ، هو المستحِقُّ عليهم الطاعةَ ، والمستوجِبُ منهم الشكرَ والعبادةَ ، دونَ الأصنامِ والأوثانِ التى لا تضُرُّ ولا تنفَعُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ .

يعنى بذلك أنه جل ثناؤُه أَنْزل مِن السماءِ مطرًا ، فأَخْرج بذلك المطرِ ممّا أَنْبتوه[٢] فى الأرضِ مِن زروعِهم / وغروسِهم ثمراتٍ رزقًا لهم ؛ غِذاءً وأقواتًا . فنبَّههم بذلك جلَّ ثناؤُه على قدرتِه وسلطانِه ، وذَكَّرهم به آلاءَه لديهم ، وأنه هو الذى خلَقهم ، وهو الذى يرزُقُهم ويكفُلُهم[٣] ، دونَ مَن جعَلوه له نِدًّا وعِدْلًا من الأوثانِ والآلهةِ . ثم زجَرهم عن أن يجعَلوا له نِدًّا مع علمِهم بأنَّ ذلك كما أَخْبَرهم ، وأنَّه لا نِدَّ له ولا عِدْلَ ، ولا لهم نافعٌ ولا ضارٌّ ، ولا خالقٌ ولا رازقٌ سواه .

١٦٣/١

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والأندادُ جمعُ نِدٍّ ، والنِّدُّ العِدْلُ والمِثْلُ ، كما قال حسانُ بنُ

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١/١ عقب الأثر (٢٢٤) معلقا .

(٢) فى ر : « أثبتوه » .

(٣) فى ص ، ت ٢ : « يكلفهم » .

ثابتٍ[(١)] :

أَتَهْجُوه وَلَسْتَ لَهُ بِنِدٍّ[(٢)] فَشَرُّكما لخَيْرِكما الفِداءُ

يعنى بقولِه : ولستَ له بنِدٍّ : لستَ له بمِثْلٍ ولا عِدْلٍ . وكلُّ شىءٍ كان نظيرًا لشىءٍ وله شبيهًا ، فهو له نِدٌّ .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ أى : عِدْلًا[(٣)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن [٢/١٠ظ] ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ أى : عِدْلًا[(٤)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ . قال : أَكْفَاءً مِن الرجالِ تُطيعونهم فى معصيةِ اللَّهِ[(٥)] .

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أَخْبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى

---

(١) ديوانه ص ٧٦.

(٢) فى الديوان : « بكفو » .

(٣) فى م : « عدلاء » .
والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥/١ إلى المصنف .

(٤) فى م : « عدلاء » .
والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥/١ إلى المصنف ووكيع وعبد بن حميد .
وأخرجه الثورى فى تفسيره ص ٤٢ عن مجاهد . وستأتى بقيته فى ص ٣٩٤ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٤، ٣٥ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده .

قولِ اللَّهِ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ . قال : الأندادُ الآلهةُ التى جعَلوها معه ، وجعَلوا لها مثلَ ما جعَلوا له .

وحُدِّثت عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةِ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ قال : أشْباهًا[(١)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ القزازُ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن شَبيبٍ ، عن عكرمةَ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ : أن تقولوا : لولا كلبُنا لدخَل علينا اللصُّ الدارَ ، ولولا كلبُنا[(٢)] فى الدارِ . ونحو هذا[(٣)] .

فنهاهم اللَّهُ جل ذكرُه أن يُشرِكوا به شيئًا ، وأن يعبُدوا غيرَه ، أو يتَّخِذوا له نِدًّا أو عِدْلًا فى الطاعةِ ، فقال : كما لا شريكَ لى فى خلقِكم ، وفى رزقِى[(٤)] الذى أَرْزُقُكم ، ومِلْكى إيَّاكم ، ونِعْمتى التى أنعمتُها عليكم ، فكذلك فأَفْردوا لى الطاعةَ ، وأَخْلِصوا لى العبادةَ ، ولا تجعَلوا لى شريكًا ونِدًّا مِن خَلْقى ، فإنكم تعلمون أن كلَّ نعمةٍ عليكم فمنِّى .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اخْتَلف أهلُ التأويلِ فى الذين عُنُوا بهذه الآيةِ ؛ **فقال بعضُهم :** عُنِى بها جميعُ المشركين مِن مُشرِكى العربِ وأهلِ الكتابِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢/١ (٢٢٨) عن أبى زرعة ، عن المنجاب به .

(٢) بعده فى ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ : « صاح » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢/١ (٢٢٩) من طريق أبى عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مطولا . وينظر مسند أحمد ٣٣٩/٣ (١٨٣٩) ، وتفسير ابن كثير ١/ ٨٧.

(٤) فى م ، ت٢ : « رزقكم » .

وقال **بعضُهم** : عُنِى بذلك أهلُ الكتابَيْنْ التوراةِ والإنجيلِ .

ذكرُ مَن قال : عُنِى بها جميعُ عَبَدةِ الأوثانِ مِن العربِ وكفارِ أهلِ الكتابينْ

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمَةُ [١١/٢و] بنُ الفضلِ ، عن محمدِ ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ / مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : نزَل ذلك فى الفريقَيْنْ جميعًا مِن الكفارِ والمنافِقين ، وإنَّما عنَى بقولِه : ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أى : لا تُشرِكوا باللَّهِ غيرَه مِن الأندادِ التى لا تنفعُ ولا تضُرُّ ، وأنتم تعلمون أنه لا ربَّ لكم يرزُقُكم غيرُه ، وقد علِمتم أن الذى يدعوكم إليه الرسولُ مِن توحيدِه هو الحقُّ لا شكَّ فيه[١] .

١٦٤/١

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أى : تعلَمون أن اللَّهَ خلَقكم وخلَق السماواتِ والأرضَ ، ثم تجعَلون له أندادًا[٢] .

ذكرُ من قال : عُنِى بذلك أهلُ الكتابَيْنْ

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه إلهٌ واحدٌ فى التوراةِ والإنجيلِ[٣] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٣/١. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢/١ (٢٣١) من طريق سلمة به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢/١ (٢٣٣) من طريق يزيد به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢/١ (٢٣٢) من طريق سفيان به .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا قَبيصةُ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(١)] .

وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . يقولُ : وأنتم تعلَمون أنه لا نِدَّ له فى التوراةِ والإنجيلِ .

قال أبو جعفرٍ : وأحسَبُ أن الذى دعا مجاهدًا إلى هذا التأويلِ ، وإضافةِ ذلك إلى أنه خطابٌ لأهلِ التوراةِ والإنجيلِ دونَ غيرِهم ، الظنُّ منه بالعربِ أنها لم تكُنْ تعلَمُ أن اللَّهَ خالِقُها ورازِقُها بجحودِها وحدانيةَ رَبِّها ، وإشراكِها معه فى العبادةِ غيرَه ، وإن ذلك لقولٌ ، ولكنَّ اللَّهَ جلَّ ذكرُه قد أَخْبَرَ فى كتابِه عنها أنها كانت تُقِرُّ بوحدانيتِه ، غيرَ أنها كانت تُشرِكُ فى عبادتِه ما كانت تُشرِكُ فيها ، فقال تعالى ذِكرُه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف : ٨٧] . وقال تعالى ذِكرُه : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٣١] .

قال أبو جعفرٍ : والذى هو أَوْلى بتأويلِ قولِه : ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ - إذ كان ما كان عندَ العربِ مِن العلمِ بوحدانيةِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، وأنه مُبدِعُ الخلقِ وخالِقُهم ورازِقُهم ، نظيرَ الذى كان مِن ذلك عندَ [١١/٢ظ] أهلِ الكتابَيْن ، ولم يكنْ فى الآيةِ دَلالةٌ على أن اللَّهَ عَنى بقولِه : ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أحدَ الحزبَيْن ، بل مَخرَجُ الخِطابِ بذلك عامٌّ للناسِ كافَّةً[(٢)] ؛ لأنه تحدَّى الناسَ كلَّهم بقولِه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

---

(١) تفسير الثورى ص ٤٢. وهذا الأثر تتمة الأثر المتقدم فى ص ٣٩١ .

(٢) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢: « لهم » .

﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ - أن يكونَ تأويلُه ما قاله ابنُ عباسٍ وقتادةُ ، مِن أنَّه معنيٌّ بذلك كلُّ مُكلَّفٍ عالمٍ بوحدانيةِ اللَّهِ وأنه لا شريكَ له في خلقِه ، يشركُ[1] معه في عبادتِه[2] ، كائنًا مَن كان مِن الناسِ ، عَربيًّا كان أو أعجميًّا ، كاتبًا[3] أو أميًّا ، وإن كان الخِطابُ لكفارِ أهلِ الكتابِ الذين كانوا حَوالَيْ دارِ هجرةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأهلِ النِّفاقِ منهم ، وممن بينَ ظهرانَيْهم ممن كان مشركًا فانْتقل إلى النِّفاقِ بمَقْدَمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ عليهم .

١٦٥/١ / **القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤه :** ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وهذا مِن اللَّهِ جل ثناؤُه احتجاجٌ لنبيِّه محمدٍ ﷺ على مُشرِكى قومِه مِن العربِ ومُنافقيهم ، وكفارِ أهلِ الكتابِ وضُلَّالِهم الذين افْتَتَح بقصصِهم قولَه جلَّ ثناؤُه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ وإيَّاهم يُخاطِبُ بهذه الآياتِ ، [4]وضُرباءَهم يعنى بها[4] ، قال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه لهم : ﴿وَإِن كُنتُمۡ﴾ أيها المشركون مِن العربِ والكفارِ مِن أهلِ الكتابَيْن ، إنْ كنتم في شكٍّ ، وهو الرَّيبُ ، ﴿مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ محمدٍ ﷺ مِن النورِ والبرهانِ وآياتِ الفرقانِ ، أنه مِن عندِى ، وأنِّى الذى أنْزلتُه إليه ، فلم تؤمنوا به ، ولم تصدِّقوه فيما يقولُ ، فأْتوا بحُجةٍ تدفَعُ حُجتَه ؛ لأنكم تعلَمون أن حجةَ كلِّ ذى نبوَّةٍ على صدقِه في دَعْواه النبوَّةَ أن يأتىَ ببرهانٍ يَعجِزُ عن أن يأتِىَ بمثلِه جميعُ الخلقِ . ومن حجةِ محمدٍ ﷺ

---

(١) في الأصل : « مشرك » .

(٢) بعده في ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ : « غيره » .

(٣) في ص ، ر ، ت ٢: « كتابيا » .

(٤ - ٤) في م : « وأخبر بأهم نعوتها » .

على صِدْقِه ، وبرهانِه على حقيقةِ نبوَّتِه ، وأن ما جاء به مِن عندى ، عجزُ جميعِكم وجميعِ مَن تستعينون به مِن أعوانِكم وأنصارِكم عن أن تأتوا بسورةٍ مِن مثلِه ، وإذا عجَزتم عن ذلك وأنتم أهلُ البراعةِ فى الفصاحةِ والبلاغةِ والذَّرابةِ[1] ، فقد علِمتم أن غيرَكم عما عجَزتم عنه [١٢/٢و] مِن ذلك أعجَزُ ، كما كان برهانُ مَن سلَف مِن رُسُلى وأنبيائى على صدْقِه ، وحُجتُه على نبوَّتِه مِن الآياتِ ما يعجِزُ عن الإتيانِ بمثلِه جميعُ خلقى . فتقرَّر حينئذٍ عندَكم أن محمدًا ﷺ لم يتقوَّلْه ولم يختلِقْه ؛ لأن ذلك لو كان منه اختلاقًا وتقوُّلًا لم تعجِزوا وجميعُ خَلْقِى[2] عن الإتيانِ بمثلِه ؛ لأن محمدًا ﷺ لم يَعْدُ أن يكونَ بشرًا مثلَكم ، وفى مثلِ حالِكم فى الجسمِ وبَسْطةِ الخَلقِ وذَرابةِ اللسانِ ، فيُمكِن أن يُظنَّ به اقتدارٌ على ما عجَزتم عنه ، أو يُتوهَّمَ منكم[3] عجزٌ عما اقْتَدر عليه .

ثم اخْتلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ[4] **قولِه** : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ ؛

فحدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ يعنى بذلك : مِن مثلِ هذا القرآنِ حقًّا وصدقًا ، لا باطلَ فيه ولا كَذِبَ[5] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أَخْبرنا مَعْمرٌ ، عن

---

(١) فى م : « الدرابة » .

والذرابة : حِدَّةُ نحوِ السيف والسنان ، وتستعار لطلاقة اللسان مع عدم اللكنة . التاج (ذ ر ب) .

(٢) فى م : « خلقه » .

(٣) فى ص : « فيكم » .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣/١ (٢٣٨) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥/١ إلى عبد بن حميد .

قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ . يقولُ : بسورةٍ من[1] مثلِ هذا القرآنِ[2] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ابنُ ميمونٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ : مثلِ القرآنِ[3] .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ قال : ﴿ مِّثْلِهِۦ ﴾ مثلِ القرآنِ .

/ فمعنى قولِ مجاهدٍ وقتادةَ الذى ذكَرناه عنهما أن اللَّهَ جلَّ ذِكْرُه قال لمن حاجَّه لنبيِّه[4] محمدٍ ﷺ مِن الكفارِ : فأتوا بسورةٍ مِن مثلِ هذا القرآنِ ، مِن كلامِكم أيَّتُها العربُ ، كما أتَى به محمدٌ بلغاتِكم ومعانى منطقِكم . ١٦٦/١

وقد قال قومٌ آخرون : إن معنى قولِه : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ : مِن مثلِ محمدٍ مِن البشرِ ؛ لأن محمدًا بشرٌ مثلُكم .

والتأويلُ الأوَّلُ الذى قاله مجاهدٌ وقتادةُ هو التأويلُ الصحيحُ ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قال فى سورةٍ أُخرى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾

---

(١) زيادة من : الأصل .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥/١ إلى عبد الرزاق .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣/١ (٢٣٧) من طريق ابن أبى نجيح به .

(٤) فى م : « فى نبيه » .

[يونس : ٣٨] . ومعلومٌ أن السورةَ ليست لمحمدٍ بنظيرٍ ولا شبيهٍ فيجوزَ أن يقالَ : فأْتوا بسورةٍ مثلِ محمدٍ .

فإن قال لنا قائلٌ : [١٢/٢ظ] إنك ذكَرت أن اللَّهَ عَنى بقولِه : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ : مِن مثلِ هذا القرآنِ ، فهل للقرآنِ مِن مثلٍ فيقالَ : ائتوا بسورةٍ مِن مثلِه ؟

قيل : إنه لم يَعنِ به : ائتوا بسورةٍ مِن مثلِه فى التأليفِ والمعانى التى بايَن بها سائرَ الكلامِ غيرَه . وإنما عَنَى : ائتوا بسورةٍ مِن مثلِه فى البيانِ ؛ لأن القرآنَ أَنْزله اللَّهُ بلسانٍ عربىٍّ ، وكلامُ العربِ - لا شكَّ - له مثلٌ فى معنى العربيةِ ، فأما فى المعنى الذى بايَن به القرآنُ سائرَ كلامِ المخلوقين ، فلا مثلَ له مِن ذلك الوجهِ ولا نظيرَ ولا شبيهَ .

وإنما احْتَجَّ جلَّ ثناؤُه عليهم لنبيِّه محمدٍ ﷺ بما احْتَجَّ به[(١)] له عليهم مِن القرآنِ ، إذ ظهَر عجزُ القومِ عن أن يأتوا بسورةٍ مِن مثلِه فى البيانِ ، إذ كان القرآنُ بيانًا مثلَ بيانِهم ، وكلامًا نزَل بلسانِهم ، فقال لهم جلَّ ثناؤُه : وإن كنتم فى ريبٍ مِن أن ما أَنزلتُ على عبدِى مِن القرآنِ مِن عندِى ، فأْتوا بسورةٍ مِن كلامِكم الذى هو مثلُه فى العربيةِ ، إذ كنتم عربًا ، وهو بيانٌ نظيرُ بيانِكم ، وكلامٌ شبيهُ كلامِكم . فلم يُكلِّفْهم جلَّ ثناؤُه أن يأتوا بسورةٍ مِن غيرِ اللسانِ الذى هو نظيرُ اللسانِ الذى نزَل به القرآنُ ، فيقدِروا أن يقولوا : كلَّفْتنا ما لو أحسنَّاه أتينا به ، وإنا لا نقدِرُ على الإتيانِ به ؛ لأنا لسنا مِن أهلِ اللسانِ الذى كلَّفتَنا الإتيانَ به ، فليس لك علينا بهذا حجةٌ ؛ لأنا وإن عجَزنا عن أن نأتِىَ بمثلِه مِن غيرِ ألسُنِنا - لأنا لسنا مِن أهلِه - ففى الناسِ خلقٌ كثيرٌ مِن غيرِ أهلِ لسانِنا يقدِرُ على أن يأتِىَ بمثلِه مِن اللسانِ الذى كلَّفتنا الإتيانَ به . ولكنه جلَّ ثناؤُه قال لهم : ائتوا بسورةٍ مِن مثلِه ؛ لأن مثلَه مِن الألسُنِ ألسنُكم ،

---

(١) سقط من : م .

وأنتم - إن كان محمدٌ اخْتَلَقه وافْتَراه - إذا اجتَمَعتم وتظاهَرتم على الإتيانِ بمثلِ سورةٍ منه مِن لسانِكم وبيانِكم ، أقدرُ على اختلاقِه ورصفِه[١] وتأليفِه مِن محمدٍ ﷺ ، وإن لم تكونوا أقدرَ عليه منه ، فلن تعجِزوا وأنتم جميعٌ عما قدَر عليه محمدٌ مِن ذلك وهو وحيدٌ[٢] ، إن كنتم صادقين فى دَعْواكم وزعمِكم أن محمدًا افْتَراه واخْتَلَقه وأنه مِن عندِ غيرى .

[٣]**القولُ فى تأويلِ قولِه جَلَّ وعَزَّ :** ﴿ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم [١٣/٢و] مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٣] .

واخْتَلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ؛ فقال ابنُ عباسٍ ما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ يعنى : أعوانَكم على ما أنتم عليه إن كنتم صادقين[٤] .

١٦٧/١ / **حدَّثنى** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى[٥] نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم ﴾ : ناسٌ يَشْهَدون لكم[٦] .

---

(١) فى م : « وضعه » .

(٢) فى م : « وحده » .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٣٣/١ ، ٥٣٤ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣/١ ، ٦٤ (٢٤٠) من طريق سلمة به .

(٥) سقط من : م .

(٦) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .
والأثر فى تفسير مجاهد ص ١٩٨ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤/١ (٢٤٢) .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، عن شبلٍ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : قومٌ يَشهَدون لكم .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم ﴾ قال : ناسٌ يَشْهَدون . قال ابنُ جُريجٍ : ﴿ شُهَدَآءَكُم ﴾ عليها إذا أتيتم بها أنها مثلُه ؛ مثلُ القرآنِ . وذلك قولُ اللَّهِ لمن شكَّ مِن الكفارِ فيما جاء به محمدٌ ﷺ[1] .

وقولُه : ﴿ وَٱدْعُواْ ﴾ يعني : اسْتَنصِروا واستَعينُوا ، كما قال الشاعرُ[2] :

فَلَمَّا الْتَقَتْ فُرسانُنا ورِجالُهُم دَعَوْا يا لَكَعْبٍ[3] واعْتَزَيْنا[4] لِعامِرِ

يعني بقولِه : دَعَوا يا لَكَعْبٍ : اسْتَنصروا كعبًا واستغاثوا[5] بهم .

وأما الشهداءُ ، فإنها جمعُ شهيدٍ ، كما الشركاءُ جمعُ شريكٍ ، والخطباءُ جمعُ خطيبٍ . والشهيدُ يُسمَّى به الشاهدُ على الشيءِ لغيرِه بما يُحقِّقُ دَعْواه ، وقد يُسمَّى به المُشاهِدُ للشيءِ ، كما يقالُ : فلانٌ جليسُ فلانٍ ، يَعْني به مُجالِسَه ، ونديمُه ، يَعْني به مُنادِمَه ، وكذلك يقالُ : شهيدُه . يَعْني به مُشاهِدَه .

---

(١) ينظر تفسير ابن أبي حاتم ١/٦٣ (٢٣٦) .

(٢) البيت للراعي النميري ، وهو في ديوانه ص ١٤٥ .

(٣) في الديوان : « لكلب » .

(٤) اعتزى : انتسب ، صدقًا كان أو كذبًا . اللسان (ع ز و) .

(٥) في ر ، م : « استعانوا » .

فإذا كانت الشهداءُ مُحْتَمِلةً أن تكونَ جمعَ الشهيدِ الذى هو منصرِفٌ للمعنَيَيْن اللذين وصفتُ ، فأَوْلى وجهيه بتأويلِ الآيةِ ما قاله ابنُ عباسٍ ، [٢/١٣ظ] وهو أن يكونَ معناه : واستنصِروا على أن تأتوا بسورةٍ مِن مثلِه أعوانَكم وشهداءَكم الذين يُشاهدونكم ويُعاونونكم على تكذيبِكم اللَّهَ ورسولَه ، ويُظاهرونكم على كفرِكم ونفاقِكم ، إن كنتم محقِّين فى جحودِكم أن ما جاءكم به محمدٌ ﷺ اختلاقٌ وافتراءٌ ؛ لتمتحنوا أنفسَكم وغيرَكم : هل تقدِرون على أن تأتوا بسورةٍ مِن مثلِه ، فيقدِرَ محمدٌ على أن يأتِيَ بجميعِه من قِبَلِ نفسِه اختلاقًا ؟

وأما ما قاله مجاهدٌ وابنُ جُريجٍ فى تأويلِ ذلك ، فلا وجهَ له ؛ لأن القومَ كانوا على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أصنافًا ثلاثةً ؛ أهلَ إيمانٍ صحيحٍ ، وأهلَ كفرٍ صحيحٍ ، وأهلَ نفاقٍ بينَ ذلك . فأهلُ الإيمانِ كانوا باللَّهِ وبرسولِه مؤمنين ، فكان مِن المُحالِ أن يَدَّعِىَ الكفارُ أن لهم شهداءَ - على حقيقةِ ما كانوا يأتُون به ، لو أتَوا باختلاقٍ مِن الرسالةِ ، ثم ادَّعَوا أنه للقرآنِ نظيرٌ - مِن المؤمنين . فأما[1] أهلُ النفاقِ والكفرِ ، فلا شكَّ أنهم لو دُعُوا إلى تحقيقِ الباطلِ وإبطالِ الحقِّ لسارعوا إليه مع كفرِهم وضلالتِهم ، فمن أىِّ الفِرَقِ[2] كانت تكونُ شهداؤُهم لو ادَّعَوا أنهم قد أتَوا بسورةٍ مِن مثلِ القرآنِ ؟

ولكن ذلك كما قال اللَّهُ : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] . فأَخْبر جلَّ ثناؤُه فى هذه الآيةِ أن مثلَ القرآنِ لا يأتى به الجنُّ والإنسُ ولو تظاهروا وتعاونوا على الإتيانِ به ، وتحدَّاهم بمعنى التوبيخِ لهم فى سورةِ « البقرة » ، فقال :

(١) بعده فى الأصل ، ر ، ت ١ ، ت ٣ : « من » .

(٢) فى م : « الفريقين » .

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ/صَادِقِينَ ﴾ . يعنى بذلك : إن كنتم فى شَكٍّ فى صِدْقِ محمدٍ ﷺ فيما جاءكم به مِن عندى أنه مِن عندى ، فَأْتُوا بسورةٍ من مثلِه ، ولْيستَنْصِرْ بعضُكم بعضًا على ذلك ، إن كنتم صادقين فى زعمِكم ، حتى تعلَموا أنكم إذ عجَزتم عن ذلك ، أنه لا يقدِرُ على أن يأتىَ به محمدٌ ﷺ ولا مِن البشرِ أحدٌ ، ويصحَّ عندَكم أنه تنزيلى ووَحْيى إلى عبدى .

١٦٨/١

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعز : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا [١٤/٢و] وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ .

ويعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ : إن لم تأتوا بسورةٍ مِن مثلِه ، وقد تظاهرتم أنتم وشركاؤُكم عليه وأعوانُكم ، فتبيَّن لكم بامتحانِكم واختبارِكم عَجْزُكم وعجزُ جميعِ خلقى عنه ، وعلِمتم أنه مِن عندى ، ثم أقَمْتم على التكذيبِ به .

وقولُه : ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ أى : ولن تأتوا بسورةٍ مِن مثلِه أبدًا .

كما **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ أى : لا تقدِرون على ذلك ولا تُطيقونه[(١)] .

وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ : [(٢)]قد تبيَّنَ[(٢)] لكم الحقُّ[(٣)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤/١ (٢٤٣) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة به بنحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥/١ إلى عبد بن حميد .

(٢ - ٢) فى ص ، ر ، م : « فقد بين » ، وضبطه فى ر : « بُين » بضم الباء .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٣٤/١، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥/١ إلى ابن أبى حاتم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ : فاتَّقُوا أن تَصْلَوا النارَ بتكذيبِكم رَسُولى ، بما جاءَكم به مِن عندى أنه مِن وَحْيى وتنزيلى ، بعدَ تبيُّنِكم أنه كتابى ومن عندى ، وقيامِ الحجةِ عليكم بأنه كلامى ووَحْيى ، بعَجْزِكم وعَجْزِ جميعِ خَلْقى عن أن يأتُوا بمثلِه .

ثم وصَف جلَّ ذكرُه النارَ التى حذَّرهم صِلِيَّها ، فأَخْبَرهم أن الناسَ وَقودُها ، وأَن الحجارةَ وَقودُها ، فقال : ﴿ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ يعنى بقولِه : ﴿وَقُودُهَا﴾ : حَطَبُها ، والعربُ تجعَلُه مصدرًا ، وهو اسمٌ إذا فتَحْتَ الواوَ بمنزلةِ الحطبِ ، فإذا ضمَمْتَ الواوَ مِن « الوقودِ » كان مصدرًا مِن قولِ القائلِ : وقَدَت النارُ ، فهى تقِدُ وُقودًا وقِدَةً ووَقَدانًا ووَقْدا ، يُرادُ بذلك أنها التهبَتْ .

قال أبو جعفرٍ : فإن قال قائلٌ : وكيف خُصَّت الحجارةُ فقُرِنت بالناسِ ، حتى جُعلَت لنارِ جَهنَّمَ حطبًا ؟ قيل : إنها حجارةُ [٢/١٤٤ظ] الكِبْرِيتِ ، وهى أشدُّ الحجارةِ فيما بلغَنا حرًّا إذا أُحْمِيت .

كما **حدَّثنا** أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا أبو معاويةَ ، عن مِسعرٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ ميسرةَ الزرَّادِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سابطٍ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، عن عبدِ اللَّهِ فى قولِه : ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قال : هى حجارةٌ مِن كِبريتٍ خلَقها اللَّهُ يومَ خلَق السماواتِ والأرضَ فى السماءِ الدنيا يُعدُّها للكافرين (١) .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤/١ (٢٤٤) ، والطبرانى فى الكبير (٩٠٢٦) ، والحاكم ٢/ ٢٦١، ٤٩٤ ، والبيهقى فى البعث والنشور (٥٠٣) من طريق مسعر به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦/١ إلى الفريابى وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر . وينظر تفسير الثورى ص ٤٢.

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُيينةَ ، عن مِسعرٍ ، عن عبدِ الملكِ/الزرَّادِ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، عن ابنِ مسعودٍ في قولِه : ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ قال : حجارةُ الكِبْريتِ جعَلها اللَّهُ كما شاء[1] .

١٦٩/١

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره **عن** أبي مالكٍ ، **وعن** أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ : أما الحجارةُ فهي حجارةٌ في النارِ مِن كِبْريتٍ أسودَ يُعذَّبون به مع النارِ[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ في قولِه : ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ قال : حجارةٌ مِن كِبْريتٍ أسودَ في النارِ . قال : وقال لي عمرُو بنُ دينارٍ : حجارةٌ أصلَبُ مِن هذه وأعظمُ[3] .

حدَّثنا سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبي ، عن مسعرٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ ميسرةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سابطٍ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : حجارةُ[4] الكبريتِ . قال[5] : خلَقها اللَّهُ عندَه كيف شاء وكما شاء[6] .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٦/١ إلى عبد الرزاق .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٨٩/١ عن السدي به . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤/١ (٢٤٥) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدي من قوله .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٨٩/١ عن ابن جريج به . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥/١ (٢٤٧) من طريق ابن جريج ، عن عمرو بن دينار به .

(٤) بعده في م : « من » .

(٥) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤/١ (٢٤٤) ، والطبراني (٩٠٢٦) ، والحاكم ٢٦١/٢ من طرق عن مسعر به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ (٢٤) ﴾ .

قد دلَّلنا فيما مضَى مِن كتابِنا هذا على أن الكافرَ فى كلامِ العربِ هو الساترُ شيئًا بغطاءٍ ، وأَن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه إنما سَمَّى الكافرَ كافرًا لجحودِه آلاءَه عندَه ، وتغطيتِه نَعْماءَه قِبَله[1] .

فمعنى قولِه إذن : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ : أُعِدَّت النارُ للجاحدين أن اللَّهَ ربُّهم ، المتوحِّدُ بخلقِهم وخلْقِ الذين مِن قبلِهم ، الذى جعَل لهم الأرضَ فِراشًا ، والسماءَ [١٥/٢و] بناءً ، وأَنْزَل مِن السماءِ ماءً ، فأَخْرج به مِن الثمراتِ رزقًا لهم ، المشركين معه فى عبادتِه الأندادَ والآلهةَ ، وهو المتفرِّدُ لهم بالإنشاءِ ، والمتوحِّدُ بالأقواتِ والأرزاقِ .

كما **حدَّثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ أى : لمن كان على مثلِ ما أنتم عليه مِن الكفرِ[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : أما قولُه : ﴿ وَبَشِّرِ ﴾ . فإنه يعنى : أَخْبِرْهم . والبشارةُ أصلُها الخبرُ بما[3] يُسَرُّ به المخبَرُ ، إذا كان سابقًا به كلَّ مخبَرٍ سواه .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٢٦٢ .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٣٤/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥/١ (٢٤٨) من طريق سلمة به .

(٣) بعده فى الأصل : « بشر » .

١٧٠/١ وهذا أمرٌ مِن اللَّهِ نبيَّه محمدًا ﷺ بإبلاغِ بشارتِه خلقَه الذين آمنوا به / وبمحمدٍ ﷺ وبما جاء به مِن عندِ ربِّه ، وصدَّقوا إيمانَهم ذلك وإقرارَهم بأعمالِهم الصالحةِ ، فقال له : يا محمدُ ، بشِّرْ مَن صدَّقك أنك رسولى ، وأَنَّ ما جئتَ به مِن الهدى والنورِ فمن عندى ، وحقَّق تصديقَه ذلك قولًا بأداءِ الصالحِ مِن الأعمالِ التى افترضْتُها عليه ، وأوجبتُها فى كتابى على لسانِك عليه - أن له جناتٍ تجرى مِن تحتِها الأنهارُ ، خاصَّةً ، دونَ مَن كذَّب بك[1] ، وأنكَر ما جئتَه به مِن الهُدَى مِن عندى ، وعانَدك ، ودونَ مَن أَظْهَر تصديقَك وأقرَّ بأن ما جئتَه به فمِن عندى ، قولًا ، وجحَده اعتقادًا ولم يحقِّقْه عملًا ، فإن لأُولئك النارَ التى وَقودُها الناسُ والحجارةُ مُعَدَّةً عندى .

والجناتُ جِماعُ جَنَّةٍ ، والجنةُ البُستان .

وإنما عَنَى جلَّ ذكرُه بذكرِ الجنةِ ما فى الجنةِ مِن أشجارِها وثمارِها وغروسِها دونَ أرضِها ، فلذلك قال : ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ ؛ لأنه معلومٌ أنه إنما أراد جلَّ ثناؤُه الخبرَ عن ماءِ أنهارِها أنه جارٍ تحتَ أشجارِها وغروسِها وثمارِها ، [٢/ ١٥ظ] لا أنه جارٍ تحتَ أرضِها ؛ لأن الماءَ إذا كان جاريًا تحتَ الأرضِ ، فلا حظَّ فيها لعيونِ مَن فوقَها إلا بكشفِ الساترِ بينَه وبينَها . على أن الذى تُوصَفُ به أنهارُ الجنةِ أنها جاريةٌ فى غيرِ أخاديدَ .

كما **حدَّثنا** أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا الأشجعىُّ ، عن سفيانَ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن أبى عُبيدةَ ، عن مسروقٍ ، قال : نخلُ الجنةِ نَضيدٌ مِن أصلِها إلى فرعِها ، وثمرُها أمثالُ القِلالِ ، كلَّما نُزِعتْ ثمرةٌ عادت مكانَها أُخرَى ، وماؤُها يَجرى فى غيرِ أخدودٍ[2] .

---

(١) فى الأصل : « به » .

(٢) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٣٢٠) من طريق الثورى به . وأخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة =

حدَّثنا مجاهدُ بنُ موسى ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدثنا مِسعرُ بنُ كِدامٍ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن أبى عُبيدةَ بنحوِه[1] .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ مهدىٍّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، قال : سمعتُ عمرَو بنَ مُرَّةَ يحدِّثُ عن أبى عُبيدةَ . فذكَر مثلَه . قال : فقلت لأبى عُبيدةَ : من حدَّثك ؟ فغضِب وقال : مسروقٌ[2] .

فإذا كان الأمرُ كذلك فى أن أنهارَها جاريةٌ فى غيرِ أخاديدَ ، فلا شكَّ أن الذى أُريدَ بالجناتِ أشجارُ الجناتِ وغروسُها وثمارُها دونَ أرضِها ، إذ كانت أنهارُها تجرى فوقَ أرضِها وتحتَ غُروسِها وأشجارِها ، على ما ذكَره مسروقٌ ، وذلك أَوْلى بصفةِ الجنةِ من أن تكونَ أنهارُها جاريةً تحتَ أرضِها .

وإنما رغَّب اللَّهُ بهذه الآيةِ عبادَه فى الإيمانِ ، وحضَّهم على عبادتِه بما أَخْبَرهم أنه أَعدَّه لأهلِ طاعتِه والإيمانِ به عندَه ، كما حذَّرهم فى الآيةِ التى قبلَها بما أَخْبَر من إعدادِه ما أعدَّ لأهلِ الكفرِ به والجاعلين معه الآلهةَ والأندادَ من عقابِه عن إشراكِ غيرِه معه ، والتعرُّضِ لعقوبتِه بركوبِ معصيتِه وتركِ طاعتِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ذكرُه : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا ﴾ : من الجناتِ . والهاءُ راجعةٌ

=(٤٩) من طريق عمرو بن مرة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى هناد وابن أبى حاتم وأبى الشيخ .

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ٩٧/١٣ من طريق مسعر به .

(٢) أخرجه حسين المروزى وابن صاعد فى زوائدهما على الزهد لابن المبارك (١٤٨٩، ١٤٩٠) ، وأبو نعيم فى صفة الجنة (٣١٥) من طريق ابن مهدى به .

على الجناتِ ، [٢/ ١٦و] وإنما المَغْنِيُّ أشجارُها . فكأنه قال : كُلَّما رُزِقوا من أشجارِ البساتينِ التى أعدَّها اللَّهُ للذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ فى جناتِه من ثمرةٍ من ثمارِها رزقًا ، قالوا : هذا الذى رُزِقنا من قبلُ .

١٧١/١ / **ثم اختلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه** : ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : تأويلُه : هذا الذى رُزِقنا مِن قبلُ[1] فى الدنيا .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ . قال : إنهم أُتوا بالثمرِ فى الجنةِ ، (٢فلما نظَروا٢) إليها قالوا : هذا الذى رُزِقنا من قبلُ فى الدنيا[3] .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ : فى الدنيا .

وحدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميمونٍ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ .

---

(١) بعده فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت٢ : « هذا » .

(٢ - ٢) فى ص : « فنظروا » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٩٠ عن السدى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٨ إلى المصنف عن ابن مسعود ، وناسٍ من الصحابة . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٦٦ (٢٥٧) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

يقولون : ما أشبهَه به[(١)] .

[(٢)] وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(٢)] .

وحدَّثني يونسُ ، قال : حدَّثنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ : في الدنيا . قال[(٣)] : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ : يعرِفونه[(٤)] .

وقال آخرون : تأويلُ ذلك : هذا الذى رُزِقنا من [(٥)] قَبلُ مِن[(٥)] ثمارِ الجنةِ مِن قبلِ هذا ؛ لشدةِ مشابهةِ بعضِ ذلك بعضًا في اللونِ والطعمِ . ومن علةِ قائلى هذا القولِ أن ثمارَ الجنةِ كلَّما نُزِع منها شيءٌ عاد مكانَه آخرُ مثلُه .

كما حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنى ابنُ مهديٍّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، قال : سمِعتُ عمرَو بنَ مُرَّةَ يحدِّثُ عن [٢/١٦ظ] أبى عُبيدةَ[(٦)] ، قال : نخلُ الجنةِ نَضيدٌ من أصلِها إلى فرعِها ، وثمرُها أمثالُ القِلالِ ، كلما نُزِعتْ منها ثمرةٌ عادتْ مكانَها أُخرَى[(٧)] .

قالوا : فإنما اشْتَبهت عندَ أهلِ الجنةِ لأن التى عادت نظيرةُ التى نُزِعتْ فأُكِلَت ،

---

(١) تفسير مجاهد ص ١٩٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٦/١ (٢٥٨) بزيادة : يقول : من كل صنف مثل . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى عبد بن حميد .

(٢ - ٢) سقط من : ر .

(٣) فى ص : « قالوا » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٩٠/١ عن ابن زيد .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ .

(٦) بعده فى ر : « وذكر ثمار الجنة » .

(٧) تقدم تخريجه فى ص ٤٠٦ .

فى كلٍّ معانيها . قالوا : ولذلك قال اللَّهُ : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ ؛ لاشتباهِ جميعِه فى كلٍّ معانيه .

وقال بعضُهم : بل قالوا : ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ ؛ لمشابهتِه الذى قبلَه فى اللونِ وإن خالفه فى الطعمِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسينِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثنا شيخٌ من المَصِّيصَةِ[(١)] ، عن الأوزاعىِّ ، عن يحيى بنِ أبى كَثيرٍ ، قال : يُؤْتَى أحدُهم بالصَّحْفَةِ فيأكُلُ منها ، ثم يُؤْتَى بأُخرَى فيقولُ : هذا الذى أُتِينا به مِن قبلُ . فيقولُ المَلَكُ : كُلْ ، فاللونُ واحدٌ والطعمُ مُختَلِفٌ[(٢)] .

قال أبو جعفرٍ : وهذا التأويلُ مذهبٌ مِن تأويلِ[(٣)] الآيةِ ، غيرَ أنه يدفَعُ صحَّتَه ظاهرُ التلاوةِ . والذى يدلُّ على صحتِه ظاهرُ الآيةِ ويُحقِّقُ صحَّتَه[(٤)] قولُ القائلين : إن معنى ذلك : هذا الذى رُزِقنا مِن قبلُ فى الدنيا . وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قال : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ﴾ . فأَخْبَر جلَّ ثناؤُه أن مِن قِيلِ أهلِ الجنةِ كُلَّما رُزِقوا مِن ثمرِ الجنةِ رزقًا أن يقولوا : ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ . ولم يَخْصُصْ بأن ذلك من قيلِهم فى بعضِ ذلك دونَ بعضٍ ، فإذ كان قد أَخْبَر جلَّ ذكرُه عنهم أن

---

(١) المصيصة : مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . معجم البلدان ٤/ ٥٥٧.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٦٧ (٢٦١) من طريق عامر بن يساف ، عن يحيى بن أبى كثير به بنحوه.

(٣) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢: « تأول » .

(٤) فى الأصل : « صحة » .

ذلك من قيلِهم فى كلِّ ما رُزقوا من / ثمرِها ، فلا شكَّ أن ذلك من قيلِهم فى أولِ رزقٍ ١٧٢/١ رُزقوه من ثمارِها ، وأُتوا به بعدَ دخولِهم الجنةَ واستقرارِهم فيها ، الذى لم يتقدَّمْه عندَهم من ثمارِها ثمرةٌ .

فإذ كان لا شكَّ أن ذلك من قيلِهم فى أولِه ، كما هو من قيلِهم فى أوسَطِه وما يتلوه ، فمعلومٌ أنه مُحالٌ أن يكونَ من قيلِهم لأولِ رزقٍ رُزقوه من ثمارِ الجنةِ : هذا الذى رُزِقنا من قبلِ هذا من ثمارِ الجنةِ . وكيف يجوزُ أن يقولوا لأولِ رزقٍ رُزقوه من ثمارِها ولمَّا يتقدَّمْه عندَهم غيرُه منها : هذا الذى رُزقناه من قبلُ ؟ إلا أن ينسِبَهم ذو عَتَهٍ[1] وضلالٍ إلى قيلِ الكذبِ الذى قد [٢/ ١٧و] طهَّرهم اللَّهُ منه ، أو يدفَعَ دافعٌ أن يكونَ ذلك مِن قيلِهم لأولِ رزقٍ يُرزقونه منها من ثمارِها ، فيَدفَعَ صحةَ ما أَوْجَب اللَّهُ صحّتَه بقولِه : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ﴾ من غيرِ نَصْبِ دَلالةٍ على أنه مَعنيٌّ به حالٌ من أحوالِهم دونَ حالٍ . فقد تبيَّنَ بما بيَّنا أن معنى الآيةِ : كلما رُزِقَ الذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ مِن ثمرةٍ من ثمارِ الجنةِ فى الجنةِ رزقًا ، قالوا : هذا الذى رُزِقنا من قبلِ هذا فى الدنيا .

فإن سأَلنا سائلٌ فقال[2] : وكيف قال القومُ : هذا الذى رُزِقنا من قبلُ . والذى رُزِقوه من قبلُ قد عُدِم بأكلِهم إيَّاه ؟ وكيف يجوزُ أن يقولَ أهلُ الجنةِ قولًا لا حقيقةَ له ؟

قيل : إن الأمرَ على غيرِ ما ذهبتَ إليه فى ذلك ، وإنما معناه : هذا مِن النوعِ الذى رُزِقناه من قبلِ هذا من الثمارِ والرزقِ ، كالرجلِ يقولُ لآخرَ : قد أعدَّ لك فلانٌ

---

(١) فى م : « غرة » .

(٢) سقط من : الأصل .

مِن الطعامِ كذا وكذا مِن ألوانِ الطبيخِ والشِّواءِ والحلوى . فيقولُ المَقولُ له ذلك : هذا طعامى فى منزلى . يعنى بذلك أن النوعَ الذى ذكَر له صاحبُه أنه أعدَّه له من الطعامِ هو طعامُه ، (١) لا أن (١) أعيانَ ما أخْبَره صاحبُه أنه قد أعدَّه له هو طعامُه ، بل ذلك مما لا يجوزُ لسامعٍ سمِعه يقولُ ذلك أن يتوهَّمَ أنه أراده أو قصَده ؛ لأن ذلك خلافُ مَخرجِ كلامِ المتكلمِ ، وإنما يُوجَّهُ كلامُ كلِّ متكلمٍ إلى المعروفِ فى الناسِ من مخارجِه دونَ المجهولِ من معانيه ، فكذلك ذلك فى قولِه : ﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ إذ كان ما كانوا رُزِقوه من قبلُ قد فنِى وعُدِم ، فمعلومٌ أنهم عَنَوا بذلك : هذا من النوعِ الذى رُزِقنا من قبلُ ، ومن جنسِه فى التسمياتِ (٢) والألوانِ . على ما قد بيَّنا من القولِ فى ذلك فى كتابِنا هذا (٣) .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ .

والهاءُ فى قولِه : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ عائدةٌ على الرزقِ ، فتأويلُه : وأُتُوا بالذى رُزِقوا من ثمارِها متشابهًا .

وقد اختَلَفَ أهلُ التأويلِ فى تأويلِ التشابهِ (٤) فى ذلك ؛ [٢/١٧ظ] **فقال بعضُهم :** تشابهُه أن كلَّه خِيارٌ لا رَذْلَ فيه .

(١ - ١) فى الأصل : « إلا أن » ، وفى م : « لأن » .

(٢) فى ص : « السمات » .

(٣) بعده فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى قوله : ﴿ وأتوا به متشابهًا ﴾ أنه متشابه فى الفضل : أى كل واحد منه له من الفضل فى نحوه مثل الذى للآخر فى نحوه . قال أبو جعفر : وليس هذا قولاً نستجيز التشاغل بالدلالة على فساده لخروجه عن قول جميع علماء أهل التأويل . وحسب قول بخروجه عن قول أهل العلم دلالة على خطئه » ، وفى ت ١ ، ت ٢ : « أن كل » بدلٌ من : « أى كل » وسيأتى فى مكانه الصحيح فى ص ٤١٨ .

(٤) فى ص ، م : « المتشابه » .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا خلادُ بنُ أسلمَ ، قال : أَخْبَرنا النَّضْرُ بنُ شُميلٍ ، قال : أَخْبَرنا أبو عامرٍ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ مُتَشَٰبِهٗا ﴾ قال : خِيارًا كلُّها لا رَذْلَ فيها[1] .

١٧٣/١ /**حدَّثنى** يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُليَّةَ ، عن أبى رَجاءٍ : قرأ الحسنُ آياتٍ من « البقرة » فأتى على هذه الآيةِ : ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗا ﴾ قال : ألم تَروا إلى ثمارِ الدنيا كيف تُرذلون بعضَه ؟ وإن ذلك ليس فيه رَذْلٌ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : حدَّثنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أَخْبَرنا مَعْمرٌ ، قال : قال الحسنُ : ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗا ﴾ . قال : يُشبهُ بعضُه بعضًا ليس فيه مَرْذولٌ[2] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗا ﴾ : أى خِيارٌ لا رَذْلَ فيه[3] ، وإن ثمارَ الدنيا يُنْتَقَى منها ويُرذَلُ منها ، وثمارُ الجنةِ خِيارٌ كلُّه لا يُرذَلُ منه شئٌ[4] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : ثمرُ الدنيا منه ما يُرذَلُ ومنه نقاوةٌ ، وثمرُ الجنةِ نقاوةٌ كلُّه ، يُشبِهُ بعضُه بعضًا فى الطِّيبِ ، ليس فيه مرذولٌ[5] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) فى ص : « من رذل » .

(٣) فى ص : « فيها » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١ (٢٦٣) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى عبد بن حميد .

(٥) ذكره ابن القيم فى حادى الأرواح ص١٣٣ عن ابن جريج .

وقال **بعضُهم** : تشابهُه فى اللونِ وهو مختلفُ الطعمِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النَّبىِّ ﷺ : ﴿ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ ﴾ : فى اللونِ والمَرْآةِ ، وليس يُشبِهُ الطعمَ[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ ﴾ : مثلَ الخِيارِ[2] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفَةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ ﴾ : لونُه ، مختلفًا طعمُه ، مثلَ الخِيارِ من القِثَّاءِ[3] .

حُدِّثت عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ ابنِ أنسٍ : ﴿ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ ﴾ : يُشبهُ بعضُه بعضًا ويختلفُ الطعمُ[4] .

[٢/١٨و] **حدَّثنا** الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرنا الثوريُّ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قوله : ﴿ مُتَشَٰبِهًاۖ ﴾ . قال : مشتبهًا فى

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٩١/١ عن المصنف . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

(٢) تفسير مجاهد ص ١٩٨.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى وكيع وعبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١ عقب الأثر (٢٦٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

اللونِ ومختلفًا فى الطعمِ[١] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ ﴾ : مثلَ الخيارِ .

وقال بعضُهم : تشابهُه فى اللونِ والطعمِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ مُتَشَٰبِهًاۖ ﴾ . قال : اللونُ والطعمُ .

و**حدَّثنى** المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرزَّاقِ ، عن الثوريِّ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ويحيى بنِ سعيدٍ : ﴿ مُتَشَٰبِهًاۖ ﴾ . قالا : فى اللونِ والطعمِ .

/ **وقال بعضُهم** : تشابهُه تشابهُ ثمرِ الجنةِ وثمرِ الدنيا فى اللونِ ، وإن اختلفت طعومُهما . ١٧٤/١

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أَخْبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ ﴾ . قال : يُشبِهُ ثمرَ الدنيا ، غيرَ أن ثمرَ الجنةِ أطيبُ[٢] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا حفصُ بنُ عمرَ ، قال :

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى عبد الرزاق ، وينظر تفسير الثورى ص ٤٢ .

(٢) أخرجه ابن الأنبارى فى الأضداد ص٣٨٦ من طريق محمد بن ثور ، عن معمر به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى عبد بن حميد .

حدَّثنى الحكمُ بنُ أبانٍ ، عن عكرمةَ فى قولِه : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ . قال : يُشبِهُ ثمرَ الدنيا ، غيرَ أن ثمرَ الجنةِ أطيبُ [١] .

وقال بعضُهم : لا يُشبِهُ شىءٌ مما فى الجنةِ ما فى الدنيا إلا الأسماءُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا الأشجعىُّ ، **وحدَّثنا** محمدُ بنُ بشَّارٍ ، قال : حدَّثنا مُؤمَّلٌ ، قالا جميعًا : حدَّثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، [٢] عن أبى ظَبْيانَ [٢] ، عن ابنِ عباسٍ - قال أبو كُريبٍ فى حديثِه عن الأشجعىِّ - : لا يُشبِهُ شىءٌ مما فى الجنةِ ما فى الدنيا إلا الأسماءُ . وقال ابنُ بشَّارٍ فى حديثِه عن مؤمَّلٍ ، قال : ليس فى الدنيا مما فى الجنةِ إلَّا الأسماءُ [٣] .

حدَّثنا عباسُ بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ عُبيدٍ ، عن الأعمشِ ، عن أبى ظَبْيانَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ليس [٢/١٨ظ] فى الدنيا من الجنةِ شىءٌ إلا الأسماءُ .

وحدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال: قال عبدُ الرحمنِ بنُ زيدٍ فى قولِه :﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ . قال : يعرِفون أسماءَه كما كانوا فى الدنيا ، التُّفَّاحُ بالتُّفَّاحِ ، والرُّمَّانُ بالرُّمَّانِ ، قالوا فى الجنةِ : ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ فى الدنيا ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ يعرِفونه ، وليس هو مثلَه فى الطعمِ [٤] .

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٩١/١ عن عكرمة .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ر ، ت ١، ت ٢.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦/١ (٢٦٠) ، والبيهقى فى البعث والنشور (٣٦٨) من طرق عن الأعمش به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/١ إلى هناد ومسدد وابن المنذر . وينظر الصحيحة (٢١٨٨) .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٩١/١ عن ابن زيد .

قال أبو جعفرٍ : وأَوْلَى هذه التأويلاتِ بتأويلِ الآيةِ تأويلُ مَن قال : وأتوا به متشابهًا فى اللونِ والمنظرِ ، والطعمُ مختلِفٌ . يعنى بذلك اشتباهَ ثمرِ الجنةِ وثمرِ الدنيا فى المنظرِ واللونِ ، مختلفًا فى الطعمِ والذوقِ ، لِمَا قَدَّمنا من العلَّةِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ . وأن معناه : كلما رُزقوا مِن الجنانِ مِن ثمرةٍ مِن ثمارِها رِزقًا قالوا : هذا الذى رُزِقنا مِن قبلِ هذا فى الدنيا . فأَخْبَرَ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه عنهم أنهم قالوا ذلك مِن أجلِ أنهم أتُوا بما أتُوا به مِن ذلك فى الجنةِ مُتشابهًا ، يعنى بذلك تشابُه ما أُتُوا به منه فى الجنةِ والذى كانوا رُزِقوه فى الدنيا ، فى اللونِ والمَرْآةِ والمنظرِ ، وإن اختلفا فى الطعمِ والذوقِ فتباينا ، فلم يكنْ لشىءٍ مما فى الجنةِ من ذلك فى الدنيا نظيرٌ .

وقد دلَّلنا على فسادِ قولِ مَن زعَم أن معنى قولِه : ﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ . إنما هو من قولِ أهلِ الجنةِ فى تشبيهِهم بعضَ ثمرِ الجنةِ ببعضٍ ، وتلك الدَّلالةُ على فسادِ ذلك القولِ هى الدَّلالةُ على فسادِ قولِ مَن خالَف قولَنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ . لأَن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه إنما أَخْبَر عن المعنى الذى مِن أجلِه قال القومُ : ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ . بقولِه : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ .

ويُسألُ مَن أَنْكَر ذلك فزعَم أنه غيرُ جائزٍ أن يكونَ شىءٌ مما فى الجنةِ نظيرًا لشىءٍ مما فى الدنيا بوجهٍ مِن الوجوهِ ، فيقالُ له : أيجوزُ أن تكونَ أسماءُ ما فى الجنةِ من ثمارِها وأطعمتِها وأشربتِها نظائرَ أسماءِ ما فى الدنيا/ منها ؟ ١٧٥/١

فإن أَنْكَر ذلك خالَف نصَّ كتابِ اللَّهِ ؛ لأن اللَّهَ إنما عرَّف عبادَه فى الدنيا ما هو عتيدٌ[1] فى[2] الجنةِ بالأسماءِ التى يُسمَّى بها ما فى الدنيا مِن ذلك .

---

(١) فى ص ، م : « عنده » . والعتيد : الحاضر المهيأ . التاج (ع ت د) .

(٢) فى ر : « فيها » .

وإن قال : ذلك جائزٌ ، بل هو كذلك .

قيل : فما أَنْكَرْتَ أن يكونَ ألوانُ ما فيها من ذلك نظيرَ ألوانِ ما فى الدنيا منه ، بمعنى البياضِ والحمرةِ والصُّفرةِ وسائرِ صنوفِ الألوانِ ، وإن تبايَنت فتفاضَلت بفضلِ [١٩/٢و] حسنِ المَرْآةِ والمنظرِ ، فكان لما فى الجنةِ من ذلك مِن البهاءِ والجمالِ وحسنِ المَرْآةِ والمنظرِ ، خلافُ الذى لما فى الدنيا منه ، كما كان جائزًا ذلك فى الأسماءِ مع اختلافِ المسمَّياتِ بالفضلِ فى أجسامِها ؟ ثم يُعكَسُ عليه القولُ فى ذلك ، فلن يقولَ فى أحدِهما شيئًا إلا أُلْزِم فى الآخرِ مثلَه .

وكان أبو موسى الأشعرىُّ يقولُ فى ذلك بما حدَّثنا به محمد بنُ بشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى عدىٍّ وعبدُ الوهَّابِ ومحمدُ بنُ جعفرٍ ، عن عوفٍ ، عن قَسامةَ ، عن الأشعرىِّ ، قال : إن اللَّهَ لما أَخْرَج آدمَ من الجنةِ زوَّده من ثمارِ الجنةِ ، وعلَّمه صنعةَ كلِّ شىءٍ ، فثمارُكم هذه من ثمارِ الجنةِ ، غيرَ أن هذه تَغَيَّرُ ، وتلك لا تتغيَّرُ[(١)] .

[(٢)] وقد زعَم بعضُ أهلِ العربيةِ أنَّ معنى قولِه : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ﴾ . أنه متشابهٌ فى الفضلِ ، أى كلُّ واحدٍ منه له مِن الفضلِ فى نحوِه مثلُ الذى للآخرِ فى نحوِه .

وليس هذا قَوْلًا نستجيزُ التشاغلَ بالدَّلالةِ على فسادِه ؛ لخُرُوجِه عن قولِ جميعِ علماءِ أهلِ التأويلِ . وحسبُ قولٍ بخروجِه عن قولِ جميعِ أهلِ العلمِ دَلالةٌ على خَطَئِه[(٢)] .

---

(١) أخرجه البزار (٢٣٤٥ - كشف) من طريق ابن أبى عدى به .

وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١/ ٤٣، والحاكم ٢/ ٥٤٣، والبيهقى فى البعث والنشور (١٩٨) من طريق معمر وهوذة بن خليفة ، عن عوف به .

وأخرجه عبد الله بن أحمد - كما فى حادى الأرواح ص١٣٤ - والبزار (٢٣٤٤ - كشف) من طريق ربعى بن علية ، عن عوف به مرفوعًا . وعزاه الهيثمى فى المجمع ١٩٧/٨ إلى الطبرانى ، وقال : رجاله ثقات .

(٢ - ٢) سقط من : ر ، م ، وتقدم مكانه فيهما فى ص ٤١٢.

القولُ فى تأويلِ قولِهِ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والهاءُ والميمُ اللتان فى ﴿ لَهُمْ ﴾ عائدتان على ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ . والهاءُ والألفُ اللتان فى ﴿ فِيهَآ ﴾ عائدتان على الجنَّاتِ . وتأويلُ ذلك : وبشِّرِ الذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ أن لهم جناتٍ فيها أزواجٌ مطهرةٌ .

والأزواجُ جمعُ زوجٍ ، وهى امرأةُ الرجلِ . يقالُ : فلانَةُ زوجُ فلانٍ وزوجتُه .

وأما قولُه : ﴿ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . فإن تأويلَه أنهن[1] طُهِّرن مِن كلِّ أذًى وقَذًى وريبةٍ ، مما يكونُ فى نساءِ أهلِ الدنيا مِن الحيضِ والنِّفاسِ والغائطِ والبولِ والمُخاطِ والبُصاقِ والمَنِىِّ ، وما أَشْبَهَ ذلك مِن الأذَى والأدْناسِ والرِّيَبِ والمكارهِ .

كما **حدَّثنا** به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهمدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ [٢/ ١٩ظ] النبىِّ ﷺ : أما ﴿ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ فإنهن لا يَحِضْنَ ولا يُحدِثْنَ ولا يتنخَّمْنَ[2] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . يقولُ : مُطهّرةٌ مِن القَذَرِ والأذَى[3] .

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وحده .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١ عقب الأثر (٢٦٧) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١، ٩٨٤/٣ (٢٦٤، ٥٥٠٧) من طريق عبد الله بن صالح به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/١ إلى ابن المنذر .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشَّارٍ ، قال : حدَّثنا يحيى[1] القطَّانُ[2] ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . قال : لا يبُلْنَ ولا يتغوَّطْنَ ولا يَمذِينَ[3] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأَهْوازِىُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبيرىُّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوَه ، إلا أنه زاد فيه : ولا يُمْنِينَ ولا يَحِضْن .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . قال : مُطهَّرةٌ مِن الحيضِ والغائطِ والبولِ والنُّخامِ والبصاقِ والمَنِىِّ والوَلدِ[4] .

١٧٦/١ /**حدَّثنا** المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ المباركِ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[5] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أَخْبَرنا الثورىُّ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ [6] نحوَ حديثِ أحمدَ بنِ إسحاقَ عن الزبيرىِّ ، غيرَ أنه زاد فيه : ولا يَلِدْنَ ولا يَبْزُقْنَ[6] .

---

(١) بعده فى ت ١ : « بن » .

(٢) فى ص : « العطار » .

(٣) تفسير الثورى ص ٤٣ .

(٤) تفسير مجاهد ص١٩٨ . ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١، ٩٨٤/٣، (٢٦٥، ٥٥٠٨)، والبيهقى فى البعث والنشور (٣٩٩) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/١ إلى وكيع وهناد فى الزهد وعبد بن حميد .

(٥) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٢٤٣ - زوائد نعيم بن حماد) ، ومن طريقه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة (٢٩٢) .

(٦ - ٦) سقط من ت ١، وفى ص ، م : « قال : لا يبلن ولا يتغوطن ولا يحضن ولا يلدن ولا يمنين ولا يبزقن » ، ومثله فى ت ٢، إلا أن فيها : « ولا ينزفن » بدلا من : « ولا يبزقن » . =

حدثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبلٌ ، عن ابن أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوَ حديثِ محمدِ بنِ عمرٍو ، عن أبى عاصمٍ .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ : إى واللَّهِ ، مِن الإثمِ والأذى(١) .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال أخْبَرنا مَعمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِهِ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾. قال : طَهَّرهن اللَّهُ من كلِّ بولٍ وغائطٍ وقَذَرٍ ، ومن كلِّ مأثمٍ(٢) .

حُدِّثت عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ ، قال : مُطهَّرةٌ من الحيضِ والحبَلِ والأذى(٣) .

حُدِّثت عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : المطهَّرةُ من الحيضِ والحبَلِ .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ زيدٍ : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . قال : المطهَّرةُ التى لا تَحيضُ . قال : وأزواجُ الدنيا ليست بمطهَّرةٍ ؛ [٢/ ٢٠و] ألا تراهنَّ يَدمَين ويتركن الصلاةَ والصيامَ ؟ قال ابنُ زيدٍ : وكذلك خُلِقَتْ حوَّاءُ حتى عَصتْ ، فلما عصتْ قال اللهُ : إنِّى خلقتكِ مطهَّرةً ، وسأُدْمِيك كما دمَّيْتِ هذه الشجرةَ(٤) .

= والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/١ إلى عبد الرزاق . وينظر تفسير الثورى ص ٤٣.

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١، ٩٨٤/٣ (٢٦٦، ٥٥٠٩) من طريق سعيد وأبان ، عن قتادة .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/١ إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١ (٢٦٧) من طريق خليد ، عن قتادة ، بنحوه .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٩٢/١ ، وابن رجب فى فتح البارى ١٢/٢ عن المصنف ، وقال ابن كثير : وهذا غريب . وسيأتى بسياق أطول من هذا فى ص ٥٦٥.

وحُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : حدثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبِيعِ ، عن[(١)] الحسنِ فى قولِه : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ يقولُ : مُطهَّرةٌ مِن الحيضِ[(٢)] .

حدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ ، قال : حدَّثنا خالدُ بنُ يزيدَ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ الرازىُّ ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . قال : مِن الحيضِ .

وحدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أبو معاويةَ ، قال : حدَّثنا ابنُ جُريجٍ ، عن عطاءٍ فى قولِه : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ . قال : من الولدِ والحيضِ والغائطِ والبولِ . وذكَر أشياءَ مِن هذا النحوِ[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

يعنى بذلك : والذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ فى الجناتِ خالدون . فالهاءُ والميمُ مِن قولِه : ﴿ وَهُمْ ﴾ عائدةٌ على ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ . والهاءُ والألفُ فى ﴿ فِيهَا ﴾ على الجناتِ . وخلودُهم فيها دوامُ بقائهم فيها على ما أعطاهم اللَّهُ فيها مِن الحَبْرَةِ[(٤)] والنعيمِ المقيمِ .

١٧٧/١ / القولُ فى تأويلِ قولِه جل وعز : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ .

---

(١) فى الأصل : « وعن » .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١ عقب الأثر (٢٦٧) معلقا .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧/١ عقب الأثر (٢٦٧) معلقا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/١ إلى وكيع وهناد . وينظر البداية والنهاية ٢٠/ ٣٣٥.

(٤) فى ر ، ت ١: « الخيره » . والحبرة : النعمة وسعة العيش . النهاية ٣٢٧/١.

قال أبو جعفرٍ : اختلَف أهلُ التأويلِ فى المعنى الذى أنزَل اللَّهُ جلَّ ثناؤه فيه[1] هذه الآيةَ وفى تأويلِها ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنى** به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدىِّ فى خبرٍ ذَكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن [٢/ ٢٠ظ] ابن عباسٍ ، **وعن** مرةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : لـمّا ضرَب اللَّهُ هذين المَثَلين للمنافِقِين - يعنى قولَه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ . وقولَه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ . الآياتِ الثلاثَ - قال المنافقون : اللَّهُ أعلى وأجلُّ من أن يضرِبَ هذه الأمثالَ . فأنزَل اللَّهُ جل ثناؤُه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ إلى قولِه : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾[2] .

وقال آخرون بما **حدَّثنى** به أحمدُ بنُ إبراهيمَ[3] ، قال : حدَّثنا قُرادٌ ، عن أبى جعفرٍ الرازىِّ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ فى قولِه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ قال : هذا مثلٌ ضَرَبه اللهُ للدنيا ؛ أن البعوضةَ تحيا ما جاعتْ ، فإذا سمِنتْ ماتتْ ، وكذلك مثلُ هؤلاءِ القومِ الذين ضَرَبَ اللهُ لهم هذا المثلَ فى القرآنِ ، إذا امتلئوا من الدنيا رِيًّا ، أخذهم اللهُ عند ذلك . قال : ثم تلا ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ الآية[4] [الأنعام : ٤٤] .

---

(١) فى الأصل : « فى » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤١/١ إلى المصنف وابن أبى حاتم عن ابن مسعود وناس من الصحابة . وهو عند ابن أبى حاتم ٦٨/١ (٢٧٣) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٣) بعده فى ر : « الدورقى » .

(٤) قال ابن كثير فى تفسيره ١/ ٩٣: هكذا رواه ابن جرير ، ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، بنحوه ، فالله أعلم .

وهو عند ابن أبى حاتم ٦٨/١ (٢٧٠) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢/٣ إلى أبى الشيخ .

حدثنا المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ بنحوِه ، إلّا أنه قال : فإذا خلت آجالُهم ، وانْقَطَعت مُدَّتُهم ، صاروا كالبعوضةِ تحيا ما جاعت وتموتُ إذا رَوِيت ، فكذلك هؤلاءِ الذين ضرَب اللهُ لهم هذا المثلَ ، إذا امتلَئوا مِن الدنيا رِيًّا أخذَهم اللَّهُ فأهلَكهم ، فذلك قولُه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤] .

وقال آخرون بما حدَّثنا به بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ أى : إن اللَّهَ لا يستحيى من الحقِّ أن يَذْكُرَ منه شيئًا ما ، قَلَّ منه أو كثُرَ ، إن اللَّهَ جل ذكره لما ذكَر فى كتابِه الذبابَ والعنكبوتَ ، قال أهلُ الضلالةِ : ما أراد اللَّهُ من ذِكْرِ هذا ؟ فأنزَل اللَّهُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[(١)] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ ، قال : لمّا ذكَر/ اللَّهُ العنكبوتَ والذبابَ ، قال المشركون : ما بالُ العنكبوتِ والذبابِ يُذْكَران ؟ فأنزَل اللَّهُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[(٢)] . ١٧٨/١

قال أبو جعفرٍ : وقد ذهَب [٢/ ٢١و] كلُّ قائلٍ ممن ذَكَرْنا قولَه فى هذه الآيةِ وفى المعنى الذى أُنزلت فيه مذهبًا ، غيرَ أن أوْلى ذلك بالصوابِ وأشبهَه بالحقِّ ما ذَكَرْنا مِن قولِ ابنِ مسعودٍ وابنِ عباسٍ ، وذلك أن اللَّهَ أخبرَ عبادَه أنه لا يستحيى أن يَضْرِبَ مثلًا

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٩٢ عن سعيد به .

(٢) تفسير عبد الرزاق - كما فى الدر المنثور ١/ ١٤ - وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسير ١/ ٦٩ (٢٧٣) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطى إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وقال ابن كثير فى تفسيره ١/ ٩٢: والعبارة الأولى - يعنى رواية معمر عن قتادة - فيها إشعار أن هذه الآية مكية ، وليس كذلك ، وعبارة رواية سعيد عن قتادة أقرب ، والله أعلم .

ما بعوضةً فما فوقها ، عقيبَ أمثالٍ قد تَقَدَّمَت فى هذه السورةِ ضرَبها للمنافقِين دونَ الأمثالِ التى ضرَبها فى سائرِ السورِ غيرِها - فلأنْ[1] يكونَ هذا القولُ ، أعنى قولَه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ . جوابًا لنكيرِ الكفارِ والمنافقين ما ضرَب اللَّهُ لهم مِن الأمثالِ فى هذه السورةِ ، أحقُّ وأولى من أن يكونَ ذلك جوابًا لنكيرِهم ما ضرَب اللَّهُ لهم من الأمثالِ فى غيرِها من السورِ .

فإن ظنَّ ظانٌّ أنه إنما وجَب أن يكونَ ذلك جوابًا لنكيرِهم ما ضرَب من الأمثالِ فى سائرِ السُّورِ ؛ لأن الأمثالَ التى ضرَبها اللَّهُ لهم ولآلهتِهم فى سائرِ السورِ أمثالٌ فى مُوافقةِ المعنى لما أَخبَر اللَّهُ عنه أنه لا يستحيى أن يضربَه مثلًا ؛ إذ كان بعضُها تمثيلًا لآلهتِهم بالعنكبوتِ ، وبعضُها تشبيهًا لها فى الضعفِ والمهانةِ بالذبابِ ، وليس ذكرُ شيءٍ من ذلك بموجودٍ فى هذه السورةِ فيجوزَ أن يقالَ : إن اللَّهَ لا يستحيى أن [2]يضربَه مثلًا[2] . فإن ذلك بخلافِ ما ظنَّ ، وذلك أن قولَ اللَّهِ جلَّ ثناؤه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ إنما هو خبرٌ منه جلَّ ذِكْرُه أنه لا يستحيى أن يضربَ فى الحقِّ من الأمثالِ صغيرِها وكبيرِها ابتلاءً بذلك عبادَه ، واختبارًا[3] منه لهم ، ليَميزَ به أهلَ الإيمانِ والتصديقِ به من أهلِ الضلالةِ والكفرِ به ، إضلالًا منه به لقومٍ وهدايةً منه به لآخرين .

كما **حدَّثنى** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾ : يعنى الأمثالَ صغيرَها وكبيرَها ، يؤمنُ بها المؤمنون ، ويعلَمون أنها الحقُّ مِن ربِّهم ، ويهديهم اللَّهُ بها ،

---

(١) فى ص : « فلا » .

(٢ - ٢) فى م : « يضرب مثلا ما » .

(٣) فى ص : « إخبارا » ، وفى ر : « اختيارا » .

ويَضِلُّ بها الفاسقون . يقولُ : يعرِفُه المؤمنون فيؤمنون به ، ويعرِفُه الفاسقون فيكفرون به[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابن أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ بمثلِه .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، [٢١/٢ظ] قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ نحوَه .

لا أنه جلَّ ذِكْرُه قصَد الخبرَ[(٢)] عن عينِ البعوضةِ أنه لا يستحيي مِن ضربِ المثلِ بها ، ولكنَّ البعوضةَ[(٣)] لما كانت أضعفَ الخلقِ - كما **حدَّثنا** القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا أبو سفيانَ ، عن مَعمرٍ ، عن قتادةَ ، قال : البعوضَةُ أضعفُ ما خلَق اللَّهُ[(٤)] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ نحوَه - خصَّها اللَّهُ بالذكرِ في القلةِ ، فأخبَر أنه لا يستحيي أن يَضْرِبَ أقلَّ الأمثالِ في الحقِّ وأحقرَها وأعلاها إلى غيرِ نهايةٍ في الارتفاعِ ، جوابًا منه جلَّ ذِكْرُه لمن أنكَر من منافقِي خلقِه ما ضرَب لهم من المثلِ بمُوقِدِ النارِ ، والصَّيِّبِ من السماءِ على ما نَعَتهما به من نَعْتِهما .

فإن قال لنا قائلٌ : وأين ذِكْرُ نكيرِ المنافقِين الأمثالَ التي وصفْتَ الذي هذا الخبرُ

---

(١) تفسير مجاهد ص ١٩٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨/١ (٢٧٢) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢/١ إلى عبد بن حميد نحوه .

(٢) في الأصل : « بالخبر » .

(٣) في الأصل ، ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ : « البعوض » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤١/١ إلى المصنف .

١٧٩/١

جوابُه ، فنعلمَ أنَّ/ القولَ فى ذلك ما قلتَ ؟

قيل : الدَّلالةُ على ذلك بيِّنةٌ فى قولِه جل ذكرُه : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ . وإن القومَ الذين ضرَب لهم الأمثالَ فى الآيتيْن المتقدِّمتيْن – اللتين مثَّلَ ما عليه المنافقون مقيمون فيهما[1] بمُوقِدِ النارِ وبالصَّيِّبِ من السماءِ على ما وصَف من ذلك قبلَ قولِه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ – قد أنكروا المثلَ ، وقالوا : ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ . فأوضَح خطأَ قِيلِهم ذلك ، وقبَّح لهم ما نطَقوا به وأخبرَهم بحكمِهم فى قِيلِهم ما قالوا منه ، وأنه ضلالٌ وفسوقٌ ، وأن الصوابَ والهدَى ما قاله المؤمنون دونَ ما قالوه .

وأما تأويلُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ ﴾ . فإن بعضَ المنسوبين إلى المعرفةِ بلغةِ العربِ كان يتأولُ معنى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ ﴾ : إن اللَّه لا يخشَى أن يضربَ مثلًا . ويَستشهدُ على ذلك من قولِه بقولِ اللَّهِ جل وعز : ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] . ويزْعُمُ أن معنى ذلك : وتستحيى الناسَ واللَّهُ أحقُّ أن تستحييَه . فيقولُ : الاستحياءُ بمعنى الخشيةِ ، والخشيةُ بمعنى الاستحياءِ .

وأما معنى قولِه : ﴿ أَن يَضْرِبَ ﴾ . فهو : أن يُبيِّنَ ويصفَ . كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [الروم : ٢٨] . بمعنى : وصَف لكم . وكما قال الكميتُ[2] :

---

(١) قوله : « فيهما » متعلق بقوله : « مثل » يعني الآيتين اللتين مثل فيهما – ما عليه المنافقون مقيمون – بموقد النار .

(٢) شعر الكميت بن زيد (مجموع) ٢/ ١٢٢ .

وذلك ضربُ أخماسٍ أُرِيدتْ لأسداسٍ عسى ألا تكونا[(١)]

بمعنى وصفِ أخماسٍ . والمثلُ الشِّبهُ ، يقالُ : هذا مِثْلُ الشيءِ ومَثَلُه ، كما يقال : شِبْهُه وشَبَهُه . [٢٢/٢و] ومنه قولُ كعبِ بنِ زهيرٍ[(٢)] :

كانت مواعيدُ عُرْقوبٍ لها مَثَلًا وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ[(٣)]

يعنى شَبَهًا .

فمعنى قولِه إذن : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ : إن اللَّهَ لا يخشَى أن يصِفَ شبهًا لما شَبَّه به[(٤)] .

وأما ﴿ مَّا ﴾ التى مع « مَثل » فإنها بمعنى الذى ؛ لأن معنى الكلامِ : إن اللَّهَ لا يستحيِى أن يضربَ الذى هو بعوضةٌ فى الصِّغرِ والقِلةِ فما فوقَها مَثَلًا .

فإن قال قائلٌ: فإن كان القولُ فى ذلك ما قلتَ ، فما وجهُ نصبِ « البعوضة » ، وقد علمتَ أن تأويلَ الكلامِ على ما تأوّلتَ : أن اللَّهَ لا يستحيِى أن يضربَ مثَلًا الذى هو بعوضةٌ ؛ فالبعوضةُ على قولِك فى محلِّ الرفعِ ، فأنَّى أتاها النصبُ ؟

قيل : أتاها النصبُ من وجهين ، **أحدُهما** : مِن أن ﴿ مَّا ﴾ لما كانت فى محلِّ نصبٍ بقولِه : ﴿ يَضْرِبَ ﴾ وكانتِ البعوضةُ لها صلةً ، عُرِّبت[(٥)] بتعريبِها فأُلزِمتْ

---

(١) البيت فى أصله مثل يضرب لمن يرواغ ويظهر أمرا وهو يريد غيره . ينظر جمهرة الأمثال ٥/٢ .

(٢) ديوانه ص ٨ .

(٣) أصل البيت مثل يضرب فى إخلاف الوعد . وعرقوب هو عرقوب بن معبد بن أسيد بن زيد مناة ، وقيل : هو رجل من الأمم الماضية . الفاخر ١٣٣، ١٣٤.

(٤) هذا تتمة تفسير الكلمة على مذهب من قال : إن الاستحياء بمعنى الخشية ، لا ما أخذ به الطبرى . وأما تفسير الطبرى فيأتى فى آخر تفسير الآية .

(٥) فى م : « أعربت » . قال الشيخ شاكر : وقوله : عربت . أى أجريت مجراها فى الإعراب ، وهذا هو معنى التعريب فى اصطلاح قدماء النحاة .

إعْرابَها ، كما قال حسانُ بنُ ثابتٍ[١] :

[٢]وكفَى[٢] بنا فضلًا على مَن غيرِنا   حبُّ النبىِّ محمدٍ إيانا

فعُرِّب « غير »[٣] بإعراب « مَن » ، والعربُ تفعلُ ذلك خاصةً فى « مَن » و« ما » ؛ تُعَرِّبُ صِلاتِهِما[٤] بإعرابِهِمَا ؛ لأنهما يكونان معرِفةً أحيانا ونكرةً أحيانًا .

وأما الوجهُ الآخرُ : فأن يكونَ معنى الكلامِ : إن اللّهَ لا يستحيى أن يضربَ مثلًا ما بينَ بعوضةٍ إلى/ ما فوقَها . ثم حذَف ذِكْرَ « بينَ » و« إلى » ؛ إذْ كان فى نصبِ « البعوضة » ودخولِ الفاءِ فى ﴿ مَّا ﴾ الثانيةِ دَلالةٌ عليهما ، كما قالتِ العربُ : مُطِرْنا ما زُبالةَ فالثَّعْلَبِيَّةَ[٥] . و:له عشرون ما[٦] ناقةً فجَمَلًا . و : هى أحسنُ الناسِ ما قرنًا فقدمًا . يعنون بذلك : [٧]ما بيْنَ[٧]

١/ ١٨٠

---

(١) ليس فى ديوان حسان ، وقد أورده المصنف فى تفسير الآية ١٥٩ من سورة آل عمران غير منسوب، ونسبه فى الكتاب ٢/ ١٠٥ إلى الأنصارى بدون تحديد ، ونسبه فى خزانة الأدب إلى كعب بن مالك وقال : ونسب إلى حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا ، ولم يوجد فى شعره . قال اللخمى فى شرح شواهد الجمل : وقيل : هو لعبد الله بن رواحة الأنصارى . وقيل : لبشير بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك . الخزانة ٦/ ١٢٢.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ر : « لكفى » ، وفى ص : « أكفا » .

(٣) فى الأصل : « غيرنا » .

(٤) فى الأصل : « صلاتها » .

(٥) المعنى إذا قلت : مُطِرْنا بين زبالة فالثعلبية . أنك أردت أن المطر انتظم الأماكن التى ما بين القريتين ، وإذا قلت : مطِرنا ما بين زبالة فالثعلبية . فإنك تريد أن المطر وقع بينهما ، ولم ترد أنه اتصل فى هذه الأماكن كلها . والعرب إذا ألقت « بين » من كلام تصلح « إلى » فى آخره ، نصبوا الحرفين المخفوضين اللذين خفض أحدهما بـ« بين » والآخر بـ« إلى » ، فيقولون : مطرنا ما زبالة فالثعلبية . ينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٢٢، وخزانة الأدب ١١/ ١٠، ١١، ١٣، ١٦، ٢٠.

وزبالة بضم أوله ؛ منزل معروف بطريق مكة من الكوفة . والثعلبية ماء لبنى أسد ، وهى من أعمال المدينة منسوبة إلى ثعلبة بن مالك . معجم ما استعجم ١/ ٣٤١، ومعجم البلدان ٢/ ٩١٢.

(٦) سقط من : ص .

(٧ - ٧) فى ص : « من » .

قَرْنِها إلى قَدمِها . وكذلك يقولون فى كلِّ ما حسُن فيه من الكلامِ دخولُ « ما » بين كذا إلى كذا . ينصِبون الأولَ والثانىَ ، ليدلَّ النصبُ (١) فى الأسماءِ (١) على المحذوفِ من الكلامِ . فكذلك ذلك فى قولِه : ﴿مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ .

وقد زعمَ بعضُ أهلِ العربيةِ أن ﴿مَّا﴾ التى مع « المثَل » صِلةٌ فى الكلامِ بمعنى التَّطوُّلِ (٢) ، وأن معنى الكلامِ : إن اللَّهَ لا يستحيِى (٣) أن يضربَ بعوضةً مثلًا فما فوقَها . فعلى هذا التأويلِ يجبُ أن تكونَ « البعوضة » منصوبةً بـ ﴿يَضْرِبَ﴾ ، وأن تكونَ ﴿مَّا﴾ الثانية التى فى ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ معطوفةً على البعوضةِ لا على ﴿مَّا﴾ .

وأما [٢/٢٢ظ] تأويلُ قولِه : ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ . (٤) فهو : ما (٤) هو أعظمُ منها عندِى ؛ لما ذكَرْنا قبلُ من قولِ قتادةَ وابنِ جُريجٍ أن البعوضةَ أضعفُ خلقِ اللَّهِ ، فإن كانت أضعفَ خلقِ اللَّهِ فهى نهايةٌ فى القلةِ والضعفِ ، وإذا كانت كذلك فلا شكَّ أن ما فوقَ أضعفِ الأشياءِ لا يكونُ إلا أقوَى منه . فقد يجبُ أن يكونَ المعنى على ما قالاه : فما فوقَها فى العِظَمِ والكِبَرِ ، إذ (٥) كانتِ البعوضةُ نهايةً فى الضعفِ والقلةِ .

وقيل فى تأويلِ قولِه : ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ : فى الصِّغَرِ والقلةِ . كما يُقالُ فى الرجلِ يذكرُه الذاكرُ فيصِفُه باللؤمِ والشحِّ ، فيقولُ السامعُ : نعم ، وفوقَ ذلك . يعنى

(١ - ١) فى م : « فيهما » .

(٢) فى الأصل ، ر : « البطول » ، وفى ص : « التطويل » . والتطول بمعنى الزيادة فى الكلام .

(٣) بعده فى ص : « من الحق » .

(٤ - ٤) فى م : « فما » ، وفى ت ١ : « فهو » .

(٥) فى الأصل ، ت ١ : « إذا » .

به فوقَ الذى وصفتَ فى الشحِّ واللؤمِ .

وهذا قولٌ خلافُ تأويلِ أهلِ العلمِ الذين تُرتضَى معرفتُهم بتأويلِ القرآنِ ، فقد تَبيَّنَ إذن بما وصفْنا أن معنى الكلامِ : إن اللَّهَ لا يستحيى أن يصِفَ شبهًا لما شَبَّه به الذى هو ما بينَ بعوضةٍ إلى ما فوقَ «البعوضةِ». فأما تأويلُ الكلامِ لو رُفعتِ « البعوضة » ، فغيرُ جائزٍ فى ﴿ مَّا ﴾ ، إلا ما قلنا من أن تكونَ[1] اسمًا لا صلةً ، بمعنى التطولِ[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِ اللَّهِ جلّ ثناؤه : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ .

يعنى بقولِه جلّ ذكرُه : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ : فأما الذين صدَّقوا اللَّهَ ورسولَه .

وقولُه : ﴿ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ . يعنى : فيعرِفونَ أن المثَلَ الذى ضرَبه اللَّهُ لما ضرَبه له مثلًا[3] مَثَلٌ .

كما **حدَّثنى** المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ أى : هذا المثَلُ الحقُّ من ربِّهم ، وأنه كلامُ اللَّهِ ومِنْ عندِ اللَّهِ[4] .

وكما **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : حَدَّثنا سعيدٌ ،

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « يكون » .

(٢) فى الأصل ، ر : « البطول » .

(٣) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٦٩ عقب الأثر (٢٧٧) من طريق ابن أبى جعفر به . وينظر تفسير ابن أبى حاتم ١/ ٦٩ (٢٧٥) ، والدر المنثور ١/ ٤٢.

عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ أى : يعلَمون أنه كلامُ الرحمنِ ، وأنه الحقُّ من اللَّهِ ، ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾[(١)] .

وقولُه : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ . يعنى : الذين جحَدوا آياتِ اللَّهِ ، وأنكَروا ما عرَفوا ، وستَروا ما عَلِموا أنه الحقُّ . وذلك صفةُ المنافقين ، وإيَّاهم عنَى اللَّهُ جلّ ثناؤُه ومَن كان من نُظرائِهم[(٢)] / وشركائِهم من المشركين مِن[(٣)] أهلِ الكتابِ وغيرِهم ، بهذه الآيةِ : ﴿ فَيَقُولُونَ [٢/٢٣و] مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ . ١/١٨١

كما قد ذَكَرْنا قبلُ[(٤)] من الخبرِ الذى روَيْناه عن مجاهدٍ الذى حَدَّثنا به محمدُ ابنُ عمرٍو ، قال : حدثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ الآية . قال : يؤمنُ بها المؤمنون ، ويعلَمون أنها الحقُّ من ربِّهم ، ويهديهم اللَّهُ بها ، ويَضِلُّ بها الفاسقون . يقولُ : يعرِفُه المؤمنون فيؤمنون به ، ويعرِفُه الفاسقون فيكفرون به .

وتأويلُ قولِهِ : ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ : ما الذى أراد اللَّهُ بهذا المثَلِ مثلًا ؟ فـ « ذا » الذى مع « ما » فى معنى « الذى » ، وأرادَ صلته ، و« هذا » إشارةٌ إلى « المثل » .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ .

ومعنى قولِه جل ذكرُه : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ : يُضلُّ اللهُ به كثيرًا من خلقِه . والهاءُ فى ﴿بِهِۦ﴾ من ذِكْرِ «المثَل» . وهذا خبرٌ من اللّهِ جلَّ ثناؤه مُبتدأٌ ، ومعنى

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٦٩ (٢٧٦) من طريق يزيد به دون آخره ، ثم أخرجه (٢٧٧) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، وفيه : وأنه من عند الله .

(٢) فى حاشية الأصل : « وقع فى غير الأم : نُصَرائهم » .

(٣) فى ر : « و » .

(٤) تقدم فى ص٤٢٥ ، ٤٢٦ .

الكلامِ : (١) قال اللّهُ : يُضِلُّ اللهُ (١) بالمثلِ الذى يضْرِبُه كثيرًا من أهلِ النفاقِ والكفرِ .

كما **حَدَّثني** موسى ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السديِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ : يعنى المنافقين ، ﴿ وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ : يعني المؤمنين ، فيزيدُ هؤلاء ضلالًا إلى ضلالِهم لتكذيبِهم بما قد علِموه حقًّا يقينًا من المثَلِ الذى ضرَبه اللهُ لِما ضرَبه له ، وأنه لِما ضرَبه له موافقٌ ، فذلك إضلالُ اللّهِ إياهم به ، ﴿ وَيَهْدِى بِهِۦ ﴾ - يعنى بالمثلِ - كثيرًا من أهلِ الإيمانِ والتصديقِ ، فيزيدهم هدًى إلى هداهم ، وإيمانًا إلى إيمانِهم ، لتصديقِهم بما قد علِموه حقًّا يقينًا أنه موافقٌ ما ضرَبه اللّهُ له مثلًا ، وإقرارِهم به ، وذلك هدايةُ (٢) اللّهِ لهم به (٣) .

وقد زَعمَ بعضُهم أن ذلك خبرٌ عن قولِ (٤) المنافقين ، كأنهم قالوا : ما أرادَ اللّهُ بمَثَلٍ لا يعرفُه كلُّ أحدٍ ، يُضِلُّ به هذا ويهدِى به هذا ؟ ثم استؤنِف الكلامُ والخبرُ عن اللّهِ ، فقال اللّهُ : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ وفى ما فى سورةِ « المدثر » من قولِ اللّهِ : ﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [المدثر: ٣١]- ما ينبئُ عن أنه فى سورةِ « البقرة » كذلك مبتدأً ، أعنى قولَه : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ .

(١ - ١) فى م : « أن الله يضل » .

(٢) بعده فى ص ، ر ، م : « من » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠/١ (٢٨٣) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله ، مقتصرا على أوله .

(٤) سقط من : م .

[٢٣/٢ظ] **القولُ فى تأويلِ قوله جلَّ وعز** : ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ .

وتأويلُ ذلك مَا **حَدَّثنى** موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السديِّ فى خبرٍ ذَكرَه **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ : هم المنافقون[(١)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ : فسَقوا فأضلَّهم اللهُ على فسقِهم[(٢)] .

١٨٢/١ /**حدَّثنى** المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ : هم أهلُ النفاقِ[(٣)] .

قال أبو جعفرٍ : وأصلُ الفِسقِ فى كلامِ العربِ الخروجُ عن الشىءِ ، يقالُ منه : فَسقَتِ الرُّطَبَةُ ، إذا خرَجت من قشرِها ؛ ومن ذلك سُميتِ الفأرةُ فُوَيسِقةً ؛ لخروجِها عن[(٤)] جحرِها ، فكذلك المنافقُ والكافرُ ، سُمِّيا فاسقَيْن لخروجِهما عن طاعةِ ربِّهما ، ولذلك قال جلَّ ذكرُه فى صفةِ إبليسَ : ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف : ٥٠] . يعنى به : خرَج عن طاعتِه واتباعِ أمرِه .

كما **حدَّثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠/١ (٢٨٤) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠/١ (٢٨٥) من طريق سعيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠/١ عقب الأثر (٢٨٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) فى ر : « من » .

داودَ بنِ الحصينِ ، عن عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة : ٥٩] أى : بما (١) تعدَّوا من (١) أمرِى (٢) .

فمعنى قولِه : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ : وما يُضِلُّ اللّهُ بالمثَلِ الذى يضْرِبُه لأهلِ النفاقِ والضلالِ إلا الخارجِين عن طاعتِه والتاركِين اتباعَ أمرِه ، من أهلِ الكفرِ به من أهلِ الكتابِ ، وأهلِ الضلالِ من أهلِ النفاقِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وهذا وصفٌ من اللّهِ جلَّ ذِكرُه الفاسقين الذين أخبَر أنه لا يُضِلُّ بالمثلِ الذى ضرَبه لأهلِ النفاقِ غيرَهم ، فقال : ومَا يُضلُّ اللهُ بالمثلِ الذى يضرِبُه ، على ما وصَفَ قَبلُ فى الآياتِ المتقدمةِ - إلا الفاسقين الذين يَنْقُضون عهدَ اللّهِ من بعدِ ميثاقِه .

ثم اختلَف أهلُ المعرفةِ فى معنى العهدِ الذى وصَف اللّهُ هؤلاء الفاسقين [٢٤/٢و] بنقضِه ؛ **فقال بعضُهم** : هو وصيةُ اللّهِ إلى خلقِه ، وأمرُه إياهم بما أمرَهم به من طاعتِه ، ونهيُه إيّاهم عما نهاهُم عنه من معصيتِه فى كُتُبِه وعلى لسانِ رسولِه ﷺ ، ونقضُهم ذلك تركُهم العملَ به .

وقال آخرون : إنما نزلَت هذه الآياتُ فى كفارِ أهلِ الكتابِ والمنافقين منهم ، وإياهم عنَى اللّهُ جلَّ ذِكْرُه بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ . وبقولِه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ . فكلُّ

(١ - ١) فى ص ، ر ، م ، ت ٢ : « بعدوا عن » ، وفى ت ١ ، ت ٣ : « بعدوا من » .

(٢) وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٢٠ (٥٩٦) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق من قوله .

ما في هذه الآياتِ فعَذْلٌ لهم وتوبيخٌ إلى انقضاءِ قَصَصِهم . قالوا : فعهدُ اللّهِ الذى نقضُوه بعدَ ميثاقِه هو ما أخَذه اللّهُ عليهم فى التوراةِ ؛ من العملِ بما فيها ، واتباعِ محمدٍ ﷺ إذا بُعِث ، والتصديقِ به وبما جاءَ به من عندِ ربِّهم ، ونقْضُهم ذلك هو جُحودُهم به بعدَ معرفتِهم بحقيقتِه ، وإنكارِهم ذلك ، وكتمانِهم علمَ ذلك الناسَ ، بعد إعطائِهم اللَّهَ مِن أنفسِهم الميثاقَ لَيُبَيِّنُنَّه للناسِ ولا يكتُمونه ، فأخبَر جل ذكرُه أنهم نبَذوه وراء ظهورِهم واشترَوا به ثمنًا قليلًا .

وقال بعضُهم : إن اللّهَ عنَى بهذه الآيةِ جميعَ أهلِ الشركِ والكفرِ والنفاقِ ، وعهدُه إلى جميعِهم فى توحيدِه /ما وضَع لهم من الأدلةِ[(١)] الدالةِ على رُبوبيَّتِه ، وعهدُه إليهم فى أمرِه ونهيِه ما احتج به لرسُلِه من المعجزاتِ التى لا يقدِرُ أحدٌ من الناسِ غيرُهم أن يأتىَ بمثلِها ، الشاهدةِ لهم على صدقِهم . قالوا : ونقضُهم ذلك تركُهم الإقرارَ بما قد تبيَّنتْ لهم صحتُه بالأدلةِ[(١)] ، وتكذيبُهم الرسلَ والكتُبَ ، مع علمِهم أن ما أتَوا به حقٌّ .

١٨٣/١

وقال آخرون : العهدُ الذى ذكَره اللّهُ هو العهدُ الذى أخَذه عليهم حينَ أخرَجهم من صُلْبِ آدمَ ، الذى وصَفه فى قولِه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾[(٢)] الآيتين [الأعراف : ١٧٢، ١٧٣] . ونقضُهم ذلك تركُهم الوفاءَ به .

قال أبو جعفرٍ : وأوْلى الأقوالِ عندى بالصوابِ فى ذلك قولُ من قال : إنَّ هذه

---

(١) فى الأصل : « الدلالة » .

(٢) فى الأصل ، ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ذرياتهم » . والمثبت من : م ، وهى قراءة ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائى ، وقراءة الجمع قرأ بها نافع وأبو عمرو وابن عامر . ينظر السبعة ص ٢٩٨.
ولم يشر المصنف فى سورة الأعراف إلى هاتين القراءتين ، فأثبتناه بالإفراد كرسم مصاحفنا .

الآياتِ نزلتْ فى كفارِ أحبارِ اليهودِ الذين كانوا بين ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللّهِ ﷺ ، وما قرُب منها من بقايا بنى إسرائيلَ ، ومن كان على شركِه من أهلِ النفاقِ الذين قد بيَّنا قَصَصَهم فيما مضَى من كتابِنا [٢/٢٤ظ] هذا .

وقد دلَّلْنا على أن قولَ اللّهِ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ . وقولَه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ . فيهم أُنْزِلت ، وفى مَن كان على مِثْلِ الذى هم عليه من الشركِ باللّهِ ، غيرَ أن هذه الآياتِ عندى وإن كانت فيهم نزلَتْ ، فإنه مَعْنىٌّ بها كلُّ مَن كان على مثلِ ما كانوا عليه من الضلالةِ ، ومعنىٌّ بما وافقَ منها صفةَ المنافقين خاصةً جميعُ المنافقين ، وبما[1] وافقَ منها صفةَ كفارِ أحبارِ اليهودِ جميعُ[2] مَن كان لهم نَظيرًا فى كفرِهم ، وذلك أن اللّهَ جلَّ ذكرُه يَعُمُّ أحيانًا جميعَهم بالصفةِ لتقديمِه ذِكْرَ جميعِهم[3] فى أولِ الآياتِ التى ذكَرتْ قَصَصَهم[4] ، ويَخُصُّ بالصفة أحيانًا بعضَهم لِتفصيلِه فى أولِ الآياتِ بينَ فَرِيقَيْهِم[5] ، أعنى فريقَ المنافِقين من عبدةِ الأوثانِ وأهلِ الشركِ باللّهِ ، وفريقَ كفارِ أحبارِ اليهودِ . فالذين ينقضون عهدَ اللّهِ هم التاركونَ ما عهِد اللّهُ إليهم من الإقرارِ بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به وتَبْيِينِ نُبوَّتِه للناسِ ، والكاتمون بيانَ ذلك بعدَ علْمِهم به وبما قد أخَذ اللّهُ عليهم فى ذلك ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ[6] لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ[7] فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] . ونبذُهم ذلك

---

(١) فى ص : « ما » .

(٢) فى ص : « وجميع » .

(٣) فى م : « جميعها » .

(٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥) فى م : « فريقهم » .

(٦) فى ص : « ليبيننه » . قراءة وستأتى فى موضعها من التفسير .

(٧) فى ص : « يكتمونه » . وهى قراءة ستأتى .

وراءَ ظهورِهم هو نقضُهم العَهدَ الذى عُهِد إليهم فى التوراةِ ، الذى وصفْناه ، وتركُهم العملَ به .

وإنما قلتُ : إنه عنَى بهذه الآيةِ[1] مَن قلتُ إنه عنَى بها ؛ لأن الآياتِ من مبتدأ الآياتِ الخمسِ والستِّ من سورةِ « البقرةِ » فيهم نزلتْ إلى تمامِ قَصَصِهم ، وفى الآيةِ التى بعدَ الخبرِ عن خلقِ آدمَ ، وبيانِه[2] فى قولِه : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٠] . وخطابِه جلَّ ذِكرُه إياهم بالوفاءِ بذلك خاصةً دونَ سائرِ البشرِ ، ما يدلُّ على أن قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ . مقصودٌ[3] به كفارُهم ومنافقُوهم ، ومَن كان من أشياعِهم مِن مُشركى عَبَدةِ الأوثانِ على ضلالتِهم ، غيرَ أن الخطابَ وإن كان لمن وصفتُ من الفريقيْن ، فداخلٌ فى أحكامِهم وفى ما أوجَب اللّهُ لهم من الوعيدِ والذمِّ والتوبيخِ ، كلُّ من كان على سبيلِهم ومنهاجِهم من جميعِ الخلقِ وأصنافِ الأُمَمِ المخاطَبين بالأمرِ والنهيِ .

فمعنى الآيةِ إذن : وما يُضِلُّ به إلا التارِكين طاعةَ اللّهِ ، الخارِجين عن اتباعِ / أمرِه ونهيِه ، الناكثِين عهودَ اللّهِ التى عهِدها إليهم فى الكُتبِ التى أنزَلها إلى رسلِه وعلى ألْسُنِ أنبيائِه ، باتباعِ أمرِ رسولِه [٢/٢٥و] محمدٍ ﷺ وما جاء به ، وطاعةِ اللّهِ فيما افترَض عليهم فى التوراةِ من تبيِينِ أمرِه للناسِ ، وإخبارِهم إياهم أنَّهم يجِدونه مكتوبًا عندَهم أنه رسولٌ من عندِ اللّهِ مُفترضَةٌ طاعتُه ، وتركِ كتمانِ ذلك لهم . ونَكثُهم ذلك ونقضُهم إياه هو مخالفتُهم اللّهَ فى عهدِه إليهم فيما وصفتُ أنه عهِد إليهم ، بعدَ إعطائِهم ربَّهم الميثاقَ بالوفاءِ بذلك ، كما وصَفهم به ربُّنا جل ذِكْرُه

١٨٤/١

(١) فى ر ، م ، ت ٣: « الآيات » .

(٢) فى م : « أبنائه » . وفى ر : « نبئه » . وقوله : وبيانه . معطوف على قوله : وفى الآية التى بعد الخبر .

(٣) فى ص : « مقصور » .

بقوله : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾ [الأعراف : ١٦٩] .

وأما قولُه : ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ . فإنه يَعنى : من بعدِ توثُّقِ اللّهِ منه[(١)] بأخذِ[(٢)] عهودِه بالوفاءِ له بما عهِد إليه فى ذلك ، غيرَ أن التوثُّقَ مصدرٌ من قولِك : توثَّقتُ من فلانٍ توثُّقًا . والميثاقُ اسمٌ منه ، والهاءُ فى «الميثاق» عائدةٌ على اسمِ «اللّه» جلَّ ذِكْرُه .

وقد يدخُلُ فى حكمِ هذه الآيةِ كلُّ من كان بالصفةِ التى وصَف اللّهُ بها هؤلاء الفاسقين من المنافقين والكفارِ فى نقضِ العهدِ ، وقطْعِ الرحمِ ، والإفسادِ فى الأرضِ .

كما **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ : فإياكُم ونقضَ هذا الميثاقِ ، [(٣)] فإن اللّهَ قد كرِه نقْضَه وأوْعَد فيه ، وقدَّم فيه فى آيٍ مِن[(٤)] القرآنِ[(٣)] ، حجةً وموعظةً ونصيحةً ، وإنا لا نعلمُ اللّهَ أوعَد فى ذنبٍ ما أَوْعَد فى نقضِ الميثاقِ ، فمن أَعطَى عهدَ اللّهِ وميثاقَه من ثمرةِ قلبِه فلْيفِ به للهِ[(٥)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِى ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ : فهى

---

(١) فى ص : « فيه » .

(٢) فى ص : « يأخذ » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) سقط من : ر ، م . وينظر الدر المنثور ١/ ٤٢ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٤٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن أبى حاتم وأبى الشيخ .

ستٌّ خلالٍ في أهلِ النفاقِ ، إذا كانت لهم الظَّهْرَةُ[1] أظْهَروا هذه الخلالَ الستَّ جميعًا ؛ إذا حدَّثوا كذَبوا ، وإذا وعَدوا أخلَفوا ، وإذا ائْتُمِنوا خانوا ، ونقَضوا عهْدَ اللَّهِ مِن بعدِ ميثاقِه ، وقطَعوا ما أمَر اللَّهُ به أن يُوصلَ ، وأفسَدوا فى الأرضِ ، وإذا كانت عليهم الظَّهْرَةُ أظهَروا الخِلالَ الثلاثَ ؛ إذا حدَّثوا كذَبوا ، وإذا وعَدوا [٢/٢٥ظ] أخلَفوا ، وإذا ائْتُمِنوا خانوا[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والذى رغَّب اللهُ فى وَصْلِه وذمَّ على قطْعِه فى هذه الآيةِ ، الرحمُ ، وقد بيَّن ذلك فى كتابِه فقال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٢٢] . وإنما عنَى بالرحمِ أهلَ الرجلِ[3] الذين جمعتْهم وإياه رحمُ والدةٍ واحدةٍ . وقطْعُ ذلك ظلمُها[4] فى تركِ أداءِ ما ألزَم اللَّهُ من حقوقِها ، وأوجَبَ من برِّها . ووصْلُها أداءُ الواجبِ لها إليها ، من حقوقِ اللَّهِ التى أوجَب لها ، والتعطُّفُ عليها بما يَحِقُّ التعطفُ به عليها .

١/١٨٥ و ﴿ أَن ﴾ التى مع ﴿ يُوصَلَ ﴾ فى محلِّ خفضٍ ، بمعنى ردِّها على / موضعِ الهاءِ التى فى ﴿ بِهِۦٓ ﴾ . فكان معنى الكلامِ : ويقطَعون الذى أمَر اللَّهُ به[5] بأن يُوصلَ . والهاءُ التى فى ﴿ بِهِۦٓ ﴾ هى كنايةُ[6] ذكرِ ﴿ مَآ ﴾[7] .

---

(١) الظهرة : الكثرة ، ويريد هنا الغلبة ، من قولك : ظهرت على فلان ، إذا علوته وغلبته . اللسان (ظ هـ ر) .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٩٦/١ عن الربيع .

(٣) فى الأصل ، ص ، ر : « الرحم » .

(٤) فى ص ، م : « ظلمه » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ظلمة » .

(٥) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ .

(٦) بعده فى م : « عن » .

(٧) فى ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ : « أن » ، وفى م : « أن يوصل » .

وبما قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ . وأنه الرحمُ ، كان قتادةُ يقولُ .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ : فقُطِعَ واللّهِ ما أمَر اللّهُ به أن يوصلَ بقطيعةِ الرحمِ والقرابةِ[1] .

وقد تأوّل بعضُهم ذلك أن اللّهَ ذمَّهم بقطعِهم رسولَه والمؤمنين به وأرحامَهم . واستَشهَد على ذلك بعمومِ[2] ظاهرِ الآيةِ ، وألا[3] دلالةَ على أنه معنيٌّ بها بعضُ ما أمَر اللّهُ بوصْلِه دونَ بعضٍ .

وهذا مذهبٌ مِن تأويلِ الآيةِ غيرُ بعيدٍ من الصوابِ ، ولكنَّ اللّهَ جلَّ ثناؤُه قد ذكَر المنافقين فى غيرِ آيةٍ من كتابهِ ، فوصَفهم بقطْعِ الأرحامِ ، فهذه نظيرةُ تلك ، غيرَ أنها وإن كانت كذلك ، فهى دالةٌ على ذمِّ اللّهِ كلَّ قاطعٍ قطَع ما أمَر اللّهُ أن يُوصلَ ، رحِمًا كانت أو غيرَها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : [٢٦/٢و] ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وفسادُهم فى الأرضِ هو ما تقدَّم وَصْفُناهُ قبلُ من معصيتِهم ربَّهم ، [4]وكُفرِهم به[4] ، وتكذيبِهم رسولَه ، وجَحْدِهم نبوَّتَه ، وإنكارِهم ما أتاهم به من عندِ اللّهِ أنه حقٌّ مِن عندِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز وجل : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) فى الأصل ، ص ، ر : « عموم » .

(٣) فى ص : « لا » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

والخاسرون جمعُ خاسرٍ ، والخاسرون ؛ الناقصون أنفسَهم حظوظَها بمعصيتِهم اللّهَ - من رحمتِه ، كما يخسَرُ الرجلُ فى تجارتِه بأن يوضَعَ من رأسِ مالِه فى بيعِه[(١)] . فكذلك الكافرُ والمنافقُ خسِر بحِرْمانِ اللّهِ إياه رحمَتَه التى خلَقها لعبادِه فى القيامةِ أحوجَ ما كان إلى رحمتِه . يقالُ منه : خسِر الرجلُ يخسَرُ خُسْرًا وخُسرانًا وخَسارًا . كما قال جريرُ بنُ عطيةَ[(٢)] :

إن سَلِيطًا فى الخَسارِ إنَّهْ

أولادُ قومٍ خُلِقوا أقِنَّهْ[(٣)]

يعنى بقولِه : فى الخَسارِ . أى : فيما يوكِسُهم حظوظَهم من الشرفِ والكرمِ .

وقد قيل : إن معنى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ : أولئك هم الهالِكون . وقد يجوزُ أن يكونَ قائلُ ذلك أرادَ ما قلنا من هلاكِ الذى وصَف اللّهُ صفتَه بالصفةِ التى وصَفه بها فى هذه الآيةِ ، بحِرْمانِ اللّهِ إياه ما حرَمه من رحمتِه بمعصِيتِه إياه وكفرِه به . فحمَل تأويلَ الكلامِ على معناه دونَ البيانِ عن تأويلِ عينِ الكلمةِ بعينِها ، فإن أهلَ التأويلِ ربما فعلوا ذلك لعللٍ كثيرةٍ تدعوهم إليه .

وقال بعضُهم فى ذلك بما **حُدِّثت** به عن المِنجابِ بنِ الحارثِ ، قال : حدَّثنا بشرُ ابنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كلُّ شىءٍ نسَبه اللّهُ إلى غيرِ أهلِ الإسلامِ من اسمٍ مثلَ خاسرٍ فإنما يعنى به الكفرَ ، وما نسَبه إلى أهلِ الإسلامِ فإنما يعنى به الذَّنْبَ[(٤)] .

---

(١) وُضع الرجل فى تجارته - بالبناء للمجهول - كعُنِىَ : خسر فيها . التاج (و ض ع) .
(٢) ديوانه ٢/ ١٠١٧، والنقائض ص ٤.
(٣) أقنة جمع قن ، وهو العبد ، وهو جمع نادر . التاج (ق ن ن) .
(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

/ [٢٦/٢ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ** : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ . ١٨٦/١

قال أبو جعفرٍ : اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنى** به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، **عن** السدىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن مُرَّةَ** ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ يقولُ : لم تكونوا شيئًا فخلَقكم ، ثم يميتُكم ، ثم يحيِيكم يومَ القيامةِ[(١)] .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهدىٍّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى الأحوصِ ، عن عبدِ اللَّهِ فى قولِه : ﴿ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ [غافر: ١١] . قال : هى كالتى فى « البقرة » : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ .

وحدَّثنى أبو حُصينٍ [(٢)] عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ [(٣)] بنِ يونسَ ، قال : حدَّثنا عَبْثَرٌ ، قال : حدَّثنا حُصينٌ [(٢)] ، عن أبى مالكٍ فى هذه الآيةِ : ﴿ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ قال : خلَقْتنا ولم نَكُنْ شيئًا ، ثم أَمَتَّنا ، ثم أحْيَيْتَنا .

وحدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هُشيمٌ ، عن حُصينٍ ، عن أبى مالكٍ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

(٢ - ٢) سقط من : ت ١، ت ٢.

(٣) بعده فى م : « ابن عبد الله » . وينظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢٨٤.

فى قولِه : ﴿ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ قال : كانوا أمواتًا فأحياهم اللَّهُ ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا [(١] الحسينُ بنُ داودَ [١)] ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِهِ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ . قال : لم تكونوا شيئًا حتى [(٢)] خلَقكم ، ثم يميتُكم الموتةَ الحقَّ ، ثم يحييكُم ، وقولُه : ﴿ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ مثلُها [(٣)] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى الحجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : أخبرنى عطاءٌ الخراسانىُّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : هو قولُه : ﴿ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ [(٤)] .

وحُدِّثْت عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : [٢٧/٢و] حدثنى أبو العاليةِ فى قولِ اللهِ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ

(١ - ١) فى ص : « الحسن » .

(٢) فى ر ، م ، ت ١ : « حين » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣/١ (٣٠٢) من طريق ابن جريج به بنحوه ، وليس فيه تصريح ابن جريج بالسماع . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى ابن المنذر .

وفى رواية ابن جريج عن عطاء الخراسانى ضعف ، قال ابن المدينى : سألت يحيى بن سعيد عن حديث ابن جريج عن عطاء الخراسانى ، فقال : ضعيف . قلت ليحيى : إنه يقول : أخبرنى ؟ قال : لا شىء ، كله ضعيف إنما هو كتاب دفعه إليه . ينظر تهذيب التهذيب ٦/ ٤٠٦ ، وعطاء لم يسمع من ابن عباس . ينظر جامع التحصيل ص ٢٣٨.

بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ . يقولُ : حينَ لم يكونوا شيئًا ، ثم أحياهُم [(١] حين[(٢)] خلَقهم[١)] ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم يومَ القيامةِ ، ثم رجَعوا إليه بعدَ الحياةِ[(٣)] .

وحُدِّثت عن المِنجابِ ، قال : حدثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ / فى قولِه : ﴿ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ . قال : كنتم ترابًا قبلَ أن يخلُقَكم ، فهذه مِيتةٌ ، ثم أحياكم فخلَقكم ، فهذه حياةٌ[(٤)] ، ثم يميتُكم فترجِعون إلى القبورِ ، فهذه مِيتةٌ أخرى ، ثم يبعَثُكم يومَ القيامةِ ، فهذه حياةٌ[(٤)] ، فهما مِيتَتان وحياتانِ ، فهو قولُه[(٥)] : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾[(٦)] .

١٨٧/١

وقال آخرون بما **حدَّثنا** به أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن السدىِّ ، عن أبى صالحٍ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ قال : يُحييكُم فى القبرِ ، ثم يُميتُكم[(٧)] .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى ر : « وحين » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣/١ (٣٠٣) من طريق أبى جعفر به .

(٤) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « إحياءة » .

(٥) فى الأصل : « كقوله » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣/١ (٣٠١) عن أبى زرعة ، عن منجاب به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٧/٥ إلى ابن مردويه .

(٧) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى المصنف . وذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣/١ عقب الأثر (٣٠١) معلقا .

وقال ابن كثير فى تفسيره ٩٧/١ : هذا غريب .

وقال آخرون بما حدَّثنا به بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾ (١الآية . قال : كانوا أمواتًا١) في أصْلُبةِ(٢) آبائِهم ، فأحياهم اللّهُ وخلَقهم ، ثم أماتَهم الموتةَ التى لا بدَّ منها ، ثم أحياهُم للبعثِ يومَ القيامةِ ، فهما حياتان وموتَتان .

وقال بعضُهم بما حدَّثنى به يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِ اللّهِ : ﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ قال : خلَقهم اللّهُ من ظَهرِ آدمَ حينَ أخَذ عليهم الميثاقَ(٣) . وقرأ : (وإذْ أخذَ ربكَ من بنى آدمَ من ظُهُورِهم ذُرِّيَّاتِهم) . حتى بلَغ : ﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢، ١٧٣]. قال : فكسَّبهم العقلَ وأخَذ عليهم الميثاقَ . قال : وانتزَع ضِلْعًا من أضلاعِ آدمَ القُصَيْرَى(٤) ، فخلَق منه حواءَ . ذكَره عن النبىِّ ﷺ . قال : وذلك قولُ اللهِ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا [٢/ ٢٧ظ] كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء : ١]. قال : بثَّ منهما(٥) بعدَ ذلك فى الأرحامِ خلقًا كثيرًا . وقرأ : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ [الزمر : ٦] . قال : خلْقًا بعدَ ذلك . قال : فلما أخَذ عليهم الميثاقَ أماتهم ، ثم خلَقهم فى الأرحامِ ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم يومَ القيامةِ ، فذلك قولُ اللّهِ : ﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى ر ، م : « أصلاب » ، والصلب يجمع على أصلب وأصلاب .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ١/ ٩٧.

(٤) القصيرى : الضلع التى تلى الشاكلة ، وهى أسفل الأضلاع . التاج (ق ص ر) .

(٥) فى ص ، ر ، م : « فيهما » .

﴿ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ . وقرأ قولَ اللّهِ تعالى ذكره : ﴿وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء : ١٥٤، والأحزاب : ٧]. قال : يومَئذٍ . قال : وقرأ قولَ اللّهِ : ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ [المائدة : ٧].

قال أبو جعفرٍ : ولكلِّ قولٍ من هذه الأقوالِ التى حكَيْناها عمّن رَوَيناها عنه وجهٌ ومذهبٌ من التأويلِ . فأما وجهُ تأويلِ مَن تأوَّلَ قولَه : ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتًا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ﴾ . أى : لم تكونوا شيئًا . فإنه ذهَب إلى نَحوِ قولِ العربِ للشىءِ الدَّارسِ والأمرِ الخاملِ الذِّكرِ : هذا شىءٌ ميتٌ ، وهذا أمرٌ ميتٌ . يُرادُ بوصفِه بالموتِ خمولُ ذِكْرِه ودُروسُ أثَرِه من الناسِ ، وكذلك يقالُ فى ضدِّ ذلك وخلافِه : هذا أمرٌ حىٌّ ، وذِكْرٌ حىٌّ . يرادُ بوصفِه بذلك أنه نابِهٌ مُتعالمٌ فى الناسِ ، كما قال أبو نُخيلةَ السَّعدىُّ[(١)] :

فأحْيَيْتَ[(٢)] لى ذِكْرِى وما كنتُ خاملًا ... ولكنَّ بعضَ الذِّكْرِ أنْبَهُ من بعضِ

/يريدُ بقولِه : فأحيَيْتَ لى ذِكرِى . أى : رفعْتَه وشهَرْتَه فى الناسِ حتى نبُه فصار مذكورًا حيًّا بعدَ أن كان خاملًا ميتًا . ١٨٨/١

فذلك[(٣)] تأويلُ قولِ من تأوَّل فى قولِهِ : ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتًا﴾ : لم تكونوا شيئًا . أى : كنتم خُمولًا لا ذِكْرَ لكم ، وذلك كان [(٤)]موتَكم ، ﴿فَأَحۡيَٰكُمۡۖ﴾ فجعلكم[(٤)]

---

(١) البيت فى طبقات ابن المعتز ص ٦٤، والمؤتلف والمختلف ص ٢٩٧.

(٢) فى ص ، والمؤتلف والمختلف : « وأحيت » ، وفى ابن المعتز : « وأنبهت » .

(٣) فى ص ، ر ، م ، ت ١، ت ٢: « فكذلك » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « موتهم فأحياهم فجعلهم » .

بشَرًا أحياءً [(١]تُذكَرون وتعرَفون[١)] ، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بقبضِ أرواحِكم ، وإعادتِكم كالذى كنتم قبلَ أن يحييَكم من دروسِ ذكرِكم ، وتَعفِّى آثارِكم ، وخُمولِ أمورِكم ، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بإعادةِ أجسامِكم إلى هيئاتِها ، ونفخِ الروحِ فيها ، وتَصْييرِكم بشرًا كالذى كنتم قبلَ الإماتةِ تتعارَفون فى بعثِكم وعندَ حشْرِكم .

وأما وجهُ تأويلِ مَن تأوَّل ذلك أنه الإماتةُ التى هى خروجُ الروحِ من الجسدِ ، فإنه ينبغى أن يكونَ ذهَب بقولِه : ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ . إلى أنه خطابٌ لأهلِ القبورِ بعدَ إحيائِهم فى قبورِهم ، [٢٨/٢و] وذلك معنًى بعيدٌ ؛ لأن التوبيخَ هنالك إنما هو توبيخٌ على ما سلَف وفرَط من إجْرامِهم ، لا استعتابٌ واسترجاعٌ . وقولُه جلَّ ذِكْرُه : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ .توبيخُ مُستعتِبِ عبْدَه[(٢)] ، وتأنيبُ مُسترجِعٍ خلْقَه من المعاصِى إلى الطاعَةِ ، ومن الضلالِةِ إلى الإنابةِ ، ولا إنابةَ فى القبورِ بعدَ المماتِ ، ولا توبةَ فيها بعدَ الوفاةِ .

وأما وجهُ تأويلِ قولِ قتادةَ ذلك أنهم كانوا أمواتًا فى أصلابِ آبائِهم . فإنه عنَى بذلك أنهم كانوا نُطَفًا لا أرواحَ فيها ، فكانت بمعنى سائرِ الأشياءِ المَواتِ التى لا أرواحَ فيها ، وإحياؤُه إياها جل ذِكْرُه ؛ نَفْخُه الأرواحَ فيها ، وإماتَتُه إياهم بعدَ ذلك ؛ قبضُه أرواحَهُم ، وإحياؤه إياهم بعد ذلك ؛ نفخُ الأرواحِ فى أجسامِهم يومَ يُنْفَخُ فى الصورِ ويُبعَثُ الخلقُ للموعودِ .

وأما ابنُ زيدٍ فقد أبان عن نفسِه ما قصَد بتأويلِه ذلك ، وأن الإماتةَ الأولَى

(١ - ١) فى الأصل : « يذكرون ويعرفون » .

(٢) فى م : « عباده » .

عندَه[1] إعادةُ اللّهِ جلَّ ثناؤه عبادَه فى أصلابِ آبائِهم بعدَما أخَذهم من صُلبِ آدمَ ، وأن الإحياءَ الآخَرَ هو نفخُ الأرواحِ فيهم فى بطونِ أمهاتِهم ، وأن الإماتةَ الثانيةَ هى قبضُ أرواحِهم للعَوْدِ إلى الترابِ ، والمصيرُ فى البرْزَخِ إلى يومِ البعثِ ، وأن الإحياءَ الثالثَ هو نفخُ الأرواحِ فيهم لبعثِ الساعةِ ونشرِ القيامةِ . وهذا تأويلٌ إذا تَدبَّره المتدبِّرُ وجَده خِلافًا لظاهرِ قولِ اللّهِ الذى زعَم مفسِّرُه أن الذى وصَفْنا من قولِه تفسيرُه ، وذلك أن اللّهَ جلَّ ذكرُه أخْبر فى كتابِه عن الذين أخبَر عنهم من خلقِه أنهم قالوا : ﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ . وزعَم ابنُ زيدٍ أن[2] تفسيرَه أن اللّهَ أحياهم ثلاثَ إحياءاتٍ ، وأماتهم ثلاثَ إماتاتٍ .

قال أبو جعفرٍ : والأمرُ عندنا وإن كان فى ما وصَف من استخراجِ اللّهِ جلَّ ثناؤُه من صُلْبِ آدمَ ذُريتَه ، وأخذِه ميثاقَه عليهم ، كما وصَف ، فليس ذلك من تأويلِ هاتين الآيتين - أعنى قولَه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾ الآية . وقولَه : ﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ - فى شىءٍ ؛ لأن أحدًا لم يدَّعِ أن اللّهَ أمات من ذرأ يومئذٍ غيرَ الإماتةِ التى صار [٢٨/٢ظ] بها فى البرزخِ إلى البعثِ ، فيكونَ جائزًا أن يوجَّهَ تأويلُ الآيةِ إلى ما وجَّهَهُ إليه ابنُ زيدٍ .

١٨٩/١ / **وقال بعضُهم** : الموتةُ الأولَى مُفارقةُ نُطفةِ الرجلِ جسدَه إلى رحمِ المرأةِ ، فهى ميتةٌ من لَدُنْ فِراقِها جسدَه إلى نفخِ الروحِ فيها ، ثم يُحييها اللّهُ بنفخِ الروحِ فيها فيجعَلُها بشرًا سويًّا بعدَ تاراتٍ تأتى عليها ، ثم يُميتُه الـمِيتةَ الثانيةَ بقبضِ الروحِ منه ، فهو فى البرزخِ ميتٌ إلى يومِ يُنْفَخُ فى الصورِ ، فيَرُدُّ فى جسدِه روحَه ، فيعودُ حيًّا سويًّا لبعثِ القيامةِ ، فذلك موتَتان وحياتان .

---

(١) فى م : « عند » .

(٢) فى م : « فى » .

وإنما دعَا هؤلاء إلى هذا القولِ لأنهم قالوا : موتُ ذِى الروحِ مفارقةُ الروحِ إياه . فزعَموا أن كلَّ شىءٍ من ابنِ آدمَ حىٌّ ما لم يفارقْ جسدَه الحىَّ ذا الروحِ ، فكلُّ ما فارقَ جسدَه الحىَّ ذا الروحِ ، فارقَتْه (١) الروحُ و(١) الحياةُ فصار ميتًا ، كالعضوِ من أعضائِه ؛ مثلُ اليدِ من يدَيْه أو الرِّجْلِ من رجلَيْه ، لو قُطِعت فأُبِينَتْ ، والمقطوعُ ذلك منه حىٌّ ، كان الذى بان من جسدِه مَيِّتًا لا روحَ فيه بفراقِه سائرَ جسدِه الذى فيه الروحُ . قالوا : فكذلك نطفتُه حيةٌ بحياتِه ، ما لم تفارقْ جسدَه ذا الروحِ ، فإذا فارقَتْه مُبايِنةً له صارت مَيتةً ، نظيرَ ما وصفْنَا من حكمِ اليدِ والرجلِ وسائرِ أعضائِه ، وهذا قولٌ ووجهٌ من التأويلِ لو كان من أقوالِ أهلِ القُدْوةِ الذين يُرتضَى للقرآنِ تأويلُهم .

وأَوْلَى ما ذكَرْنا من الأقوالِ التى بيَّنَّا بتأويلِ قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴾ الآية . القولُ الذى ذكَرْناه عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ابنِ عباسٍ ، من أنَّ معنى قولِه : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾ . أمواتَ الذِّكْرِ ، خُمولًا فى أصلابِ آبائِكم ، نُطَفًا لا تُعرَفون ولا تُذكَرون ، فأحياكُم بإنشائِكُم بشرًا سويًّا ، حتى ذُكِرتم وعُرِفتم وحَيِيتُم ، ثم يميتُكم بقبضِ أرواحِكم وإعادتِكم رُفاتًا ، لا تُعْرَفون ولا تُذْكرون فى البرزخِ إلى يومِ تُبعثون ، ثم يُحيِيكم بعدَ ذلك بنفخِ الأرواحِ فيكم لبعثِ الساعةِ وصَيحةِ القيامةِ ، ثم إلى اللَّهِ تُرجَعون بعدَ ذلك ، كما قال : ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه يُحيِيهم فى قبورِهم قبلَ حشرِهم ، ثم يحشُرُهم لموقفِ الحسابِ ، كما قال جلَّ ذكرُه ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ [المعارج : ٤٣] . وقال : ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس : ٥١] .

والعِلةُ التى من أجلِها [٢٩/٢و] اختَرنا هذا التأويلَ ، ما قدَّمنا ذِكْرَه للقائلين به ،

(١ - ١) سقط من : م .

وفسادُ ما خالَفه بما قد أوضَحْناه قبلُ .

وهذه الآيةُ توبيخٌ من اللّهِ جلَّ ثناؤُه للقائلين : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ . الذين أخبَر اللّهُ عنهم أنهم مع قِيلِهم ذلك بأفواهِهم ، غيرُ مؤمنين به ، وأنهم إنما يقولون ذلك خِداعًا للّهِ وللمؤمنين ، فعذَلهم اللّهُ بقولِه : ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ﴾ . ووبَّخهم واحتجَّ عليهم فى نكيرِهم ما أنكَروا من ذلك ، وجُحودِهم ما جَحدوا بقلوبِهم المريضةِ ، فقال : كيف تكفرون باللّهِ فتَجْحَدون قدرتَه على إحيائِكم بعد إماتتِكم (١) لبعْثِ القيامةِ ، ومجازاةِ المسىءِ منكم بالإساءةِ ، والمحسنِ بالإحسانِ ، وقد كنتم نطفًا أمواتًا فى أصلابِ آبائِكم ، فأنشأتُكم (٢) خلقًا سويًّا ، وجعلتُكم (٣) بشرًا أحياءً ، ثم أمتُّكم (٤) بعد إنشائكم ، فقد علِمتم أن من فعَل ذلك بقدرتِه ، غيرُ معجزِه - بالقدرةِ التى فعَل ذلك بكم - إحياؤُكم بعد إماتتِكم (١) ، وإعادتُكم بعد إفنائِكم ، وحشرُكم إليه لمجازاتِكم بأعمالِكم .

(٥) **القولُ فى تأويلِ قولِه جل وعز : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ﴾**

قال أبو جعفرٍ (٥) : ثم عدَّدَ ربُّنا عليهم ، وعلى أوليائِهم من أحبارِ اليهودِ الذين جمَع بينَ قَصَصِهم وقَصصِ المنافقين فى كثيرٍ من آيِ هذه السورةِ التى افتَتح الخبرَ

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢.

(٢) فى ص : « فأنشأكم » .

(٣) فى ص : « فجعلكم » .

(٤) فى ص : « أماتكم » .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢.

عنهم فيها بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ - نِعَمَه التى سلَفتْ منه إليهم وإلى آبائِهم ، التى عظُمتْ منهم مواقِعُها ، ثم سلْبُه[1] كثيرًا منهم كثيرًا منها ، بما ركِبوا من الآثامِ ، واجترَموا من الأجْرامِ ، وخالَفوا من الطاعةِ إلى المعصيةِ ،/ محذِّرَهم بذلك تعجيلَ العقوبةِ لهم ، كالتى[2] عجَّلها للأسلافِ والأفراطِ قبلَهم ، ومخوِّفَهم حُلولَ مَثُلاتِه بساحتِهم ، كالذى أحلَّ بأوائِلِهم[3] ، ومعرِّفَهم ما لهم من النجاةِ فى سرعةِ الأَوْبةِ إليه وتعجيلِ التوبةِ ؛ من الخلاصِ لهم يومَ القيامةِ من [٢٩/٢ظ] العقابِ . فبدأ بعدَ تعديدِه عليهم ما عدَّد من نِعَمِه التى هم فيها مُقيمون بذكرِ أبينا وأبِيهم آدمَ أبى البشرِ ، صلواتُ اللّهِ عليه ، وما سلَف منه من كرامتِه إليه وآلائِه لدَيه ، وما أحلَّ به وبعدوِّه إبليسَ مِن عاجلِ عقوبتِه بمعصيتِهما التى كانت منهما ، ومخالفتِهما أمْرَه الذى أمَرهما به ، وما كان من تغمُّدِه آدمَ برحمتِه إذْ تاب وأناب إليه ، وما كان من إحلالِه بإبليسَ من لعنتِه فى العاجِل ، وإعدادِه له ما أعدَّ له من العذابِ المقيمِ فى الآجلِ ، إذِ استكبرَ وأبَى التوبةَ إليه والإنابةَ ، مُنبهًا لهم على حُكمِه فى المُنيبين إليه بالتوبةِ ، وقضائِه فى المستكبِرين عن الإنابةِ ، إعذارًا من اللّهِ بذلك إليهم ، وإنذارًا لهم لِيتدبَّروا آياتِه ، ولِيتذَكَّرَ منهم أُولو الألبابِ ، وخاصًّا أهلَ الكتابِ بما ذكَر من قصَصِ آدمَ وسائرِ القصصِ التى ذكَرها معها وبعدَها ، مما علِمه أهلُ الكتابِ وجهِلَتْه الأمةُ الأُميةُ مِن مشركِى عَبدَةِ الأوثانِ - بالاحتجاجِ عليهم - دونَ غيرِهم من سائرِ أصنافِ الأممِ الذين لا علْمَ عندَهم بذلك - لنبيِّه محمدٍ ﷺ ؛ ليعلموا بإخبارِه إياهم بذلك أنه للّهِ رسولٌ مبعوثٌ ، وأن ما جاءهم به فمِن عندِه ، إذْ كان ما اقتصَّ عليهم من هذه القصصِ من مكنونِ

١٩٠/١

(١) فى م : « سلب » .
(٢) فى الأصل : « كالذى » .
(٣) فى م : « بأوليهم » .

علومِهم ، ومَصونِ ما فى كُتبِهم ، وخفىِّ أمورِهم ، التى لم يكنْ يدَّعِى معرفةَ عِلْمِها غيرُهم وغيرُ مَن أخَذ عنهم وقرَأ كُتُبَهم . وكان معلومًا من محمدٍ ﷺ أنه لم يكنْ قطُّ كاتبًا ، ولا لأسفارِهم تاليًا ، ولا لأحدٍ منهم مصاحبًا ولا مجالسًا ، فيمكِنَهم أن يَدَّعُوا أنه أخَذ ذلك من كُتبِهم ، أو عن بعضِهم ، فقال جلَّ ذكرُه فى تعديدِه عليهم ماهم فيه مقيمون من نِعَمِه مع كفرِهم به ، وتركِهم شُكْرَه عليها بما يَجِبُ له عليهم من طاعتِه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

فأخبرَهم جلَّ ذِكْرُه أنه خلَقَ لهم ما فى الأرضِ جميعًا ؛ لأن الأرضَ وجميعَ ما فيها لبنى آدمَ منافعُ ، أما فى الدِّينِ فدليلٌ[(١)] على وحدانيةِ ربِّهم[(٢)] ، وأما فى الدنيا فمعاشٌ وبلاغٌ لهم[(٣)] إلى طاعتِه ، وأداءِ فرائضِه ، فلذلك قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ .

وقولُه : ﴿ هُوَ ﴾ مَكْنِيٌّ[(٤)] من اسمِ اللّهِ جلَّ ذِكْرُه ، [٣٠/٢و] عائدٌ على اسمِه فى قولِه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾ . ومعنى خلْقِه ما خلَق جلّ ثناؤُه ؛ إنشاؤُه عينَه ، وإخراجُه من حالِ العدَمِ إلى الوجودِ . و ﴿ مَّا ﴾ بمعنى « الذى » ، فمعنى الكلامِ إذن : كيفَ تكفرون باللّهِ وقد كنتم نُطَفًا فى أصلابِ آبائِكم ، فجعَلكم بشرًا أحياءً ، ثم يميتُكم ، ثم هو مُحييكم بعد ذلك ، وباعثُكم يومَ الحشرِ للثوابِ

---

(١) بعده فى الأصل : « له » .

(٢) فى الأصل : « ربه » .

(٣) فى ص : « له » .

(٤) إنما أطلق الكوفيون على الضمير : « المكنى » أو « الكناية » . لأنه يرمز به عن الظاهر اختصارا ، فهو اسم كنى به عن اسم . ينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٥، ١٩، ٥٠، وشرح المفصل ٣/ ١٨٤، وشرح الرضى ٢/ ٩٣.

والعقابِ ، وهو المُنعمُ عليكم بما خلَق لكم فى الأرضِ ، من مَعايشِكم وأدِلَّتِكم على وحدانيةِ ربِّكم . و ﴿ كَيْفَ ﴾ بمعنى التعجبِ والتوبيخِ ، لا بمعنى الاستفهامِ ، كأنه قال : ويْحَكُمْ كيفَ تكفرون باللهِ ! كما قال : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير: ٢٦] . وحلَّ قولُه : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ محلَّ الحالِ ، وفيه ضميرُ[(١)] « قد » ، ولكنَّها حُذفت لما فى الكلامِ من الدليلِ عليها ، وذلك أن « فَعل » إذا حلَّت محلَّ الحالِ كان معلومًا أنها مُقتضيةٌ « قد » ، كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [النساء: ٩٠] يعنى : قد حَصِرتْ صدُورُهم . وكما تقولُ للرجلِ : أصبحتَ كَثُرَتْ ماشيتُك . تريدُ : قَدْ كثُرتْ ماشيتُك .

١٩١/١ وبنحوِ / ما قلنا فى قولِه : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ كان قتادةُ يقولُ .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ : نَعَمْ واللهِ ، سَخَّر لكم ما فى الأرضِ[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز وجل : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : معنى ﴿ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ : أقبلَ عليها . كما تقولُ : كان فلانٌ مُقبلًا على فلانٍ ، ثم استوى علىَّ يُشاتِمُنى ، واستوى إلىَّ يُشاتِمُنى . يعنى : أقبَل علىَّ وإلىَّ

---

(١) الضمير هنا بمعنى التقدير . ينظر مصطلحات النحو الكوفى ص ١٤١ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥/١ (٣٠٧) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى عبد بن حميد . وينظر تاريخ دمشق ٧/ ٣٩٩.

يُشاتِمُنى . واستَشهد على أن معنى الاستواءِ بمعنى الإقبالِ بقولِ الشاعرِ[(١)] :

أقولُ وقد قَطَعْنَ بنا شَرَوْرَى[(٢)] سَوامِدَ[(٣)] واستوَيْنَ مِنَ الضَّجُوعِ[(٤)]

فزعَم أنه عنَى به أنّهنَّ خرجْن من الضَّجوعِ ، وكان ذلك عنده بمعنى « أقبَلْن » .

وهذا [٢/٣٠ظ] من التأويلِ فى هذا البيتِ خطأٌ ، وإنما معنى قولِه : واستوينَ من الضجوعِ - عندى - : استوَيْنَ على الطريقِ من الضَّجُوعِ خارجاتٍ . بمعنى : استقَمْنَ عليه[(٥)] .

وقال بعضُهم : لم يكن ذلك من اللّهِ جلَّ ذكرُه بتحوُّلٍ ، ولكنه يعنى فِعْلَه ، كما تقولُ : كان الخليفةُ فى أهلِ العراقِ يُواليهم ، ثم تحوَّلَ إلى أهلِ الشامِ . إنما يريدُ تحوُّلَ فعْلِه .

وقال بعضُهم : قولُه : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ يعنى : استوتْ به . كما قال الشاعرُ :

أقُولُ لَهُ لَمَّا استوَى فى ترابِه[(٦)] على أىِّ دِينٍ [(٧)]قَتَّل الناسَ[(٧)] مُصْعبُ

---

(١) البيت لابن مقبل ، وهو فى ديوانه ص ١٦٤ .

(٢) شرورى : جبل بين العَمْق والمعدِن ، فى طريق مكة إلى الكوفة ، وهى بين بنى أسد وبنى عامر . معجم ما استعجم ٣/ ٧٩٤، والبيت فيه .

(٣) رواية الديوان ، ومعجم ما استعجم : « ثوانى » . وسمدت الإبل : إذا جدت فى السير . التاج (س م د) .

(٤) الضجوع : موضع بين بلاد هذيل وبلاد بنى سليم . معجم ما استعجم ٣/٨٥٧ والبيت فيه .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) فى ص : « ثراته » ، وفى ر : « تراثه » .

(٧ - ٧) فى م : « قبل الرأس » .

وقال بعضُهم : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ : عمَد لها . وقال : كلُّ تاركٍ عملًا كان فيه إلى آخرَ[1] فهو مُستوٍ لما عمَد له ومُستوٍ إليه .

وقال بعضُهم : الاستواءُ هو العلوُّ ، والعلوُّ هو الارتفاعُ .

وممن قال ذلك الربيعُ بنُ أنسٍ ، حُدِّثْتُ بذلك عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ يقولُ : ارتفعَ إلى السماءِ[2] .

ثم اختلَف متأوِّلو الاستواءِ بمعنى العلوِّ والارتفاعِ فى الذى استوَى إلى السماءِ ؛ فقال بعضُهم : الذى استوَى إلى السماءِ وعلَا عليها خالِقُها ومُنشِئُها .

وقال بعضُهم : بلِ العالى إليها[3] الدخانُ الذى جعَله اللّهُ للأرضِ سماءً .

قال أبو جعفرٍ : والاستواءُ فى كلامِ العربِ منصرِفٌ على وجوهٍ ؛ منها : انتهاءُ شبابِ الرجلِ وقوّتِه ، فيقالُ إذا صارَ كذلك : قدِ استوَى الرجلُ .

ومنها : استقامةُ ما كان فيه أوَدٌ[4] من الأمورِ والأسبابِ ، يقالُ منه : استوَى لفلانٍ أمرُه : إذا استقام له بعدَ أوَدٍ[5] . ومنه قولُ الطِّرِمّاحِ بنِ حكيمٍ[6] :

طال على رسمِ مَهْدَدٍ أبَدُهْ و[7]عفا واسْتَوَى به بَلَدُهْ

---

(١) فى م : « آخره » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥/١ عقب الأثر (٣٠٨) من طريق ابن أبى جعفر به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/١ إلى المصنف عن أبى العالية . وستأتى بقيته فى ص ٤٥٨ .

(٣) فى ص : « عليها » .

(٤) الأود : العِوَج . ينظر التاج (أ و د) .

(٥) فى الأصل : « درء » .

(٦) ديوانه ص ١٩٣ .

(٧) فى الأصل : « ثم » .

يعنى : استقام به .

/ ومنها : الإقبالُ على الشيءِ بالفعلِ ، كما يقالُ : استوَى فلانٌ على فلانٍ بما يكرهُه ويسوءُه بعدَ الإحسانِ إليه . ١٩٢/١

ومنها : (١) الاستيلاءُ والاحتواءُ(١) ، كقولِهم : استوَى فلانٌ على المملكةِ . بمعنى : احتوَى عليها وحازَها .

ومنها : العلوُّ والارتفاعُ ، كقولِ القائلِ : استوَى فلانٌ على سريرِه . يعنى به : عُلوَّه [٣١/٢و] عليه .

قال أبو جعفرٍ : وأوْلَى المعانى بقولِ اللّهِ : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ : علَا عليهن وارتفع ، فدبَّرهن بقدرتِه وخلَقهنَّ سبعَ سماواتٍ .

والعجبُ ممن أنكَرَ المعنى المفهومَ من كلامِ العربِ فى تأويلِ قولِ اللّهِ : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ الذى هو بمعنَى العلوِّ والارتفاعِ هَرَبًا عندَ نفسِه من أنْ يلزَمَه بزعمِه - إذا تأوَّله بمعناه المفهومِ كذلك - أن يكونَ إنما علَا وارتفَع بعد أن كان تحتَها ، إلى أنْ تأوَّلَه بالمجهولِ من تأويلِه المُسْتَنْكَرِ(٢) ، ثم لم ينجُ مما هرَب منه ، فيقالُ له : أزعَمتَ أن تأويلَ قولِه : ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ : أقبَل ، أفكانَ مُدْبِرًا عن السماءِ فأقبَل إليها ؟ فإن زعَمَ أن ذلك ليس بإقبالِ فعلٍ ولكنه إقبالُ تدبيرٍ . قيلَ له : فكذلك فقلْ(٣) : علَا عليها عُلوَّ مُلْكٍ وسلطانٍ لا علوَّ انتقالٍ وزوالٍ . ثم لن يقولَ فى شىءٍ من ذلك قولًا إلا أُلزِم فى الآخَرِ مثلَه . ولولا أنَّا كرِهنا إطالةَ الكتابِ بما ليس من جنسِه لأَنبأْنا عن فسادِ قولِ كلِّ قائلٍ قال فى ذلك قولًا لقولِ أهلِ الحقِّ فيه مخالفًا ، وفيما بيَّنا منه ما يُشرِفُ

(١ - ١) فى م : « الاحتياز والاستيلاء » .

(٢) فى ص : « المستكره » .

(٣) فى ر : « تقل » .

بذى الفهمِ على ما فيه له الكفايةُ إن شاء اللّهُ .

وإن قال لنا قائلٌ : أخبِرْنا عن استواءِ اللّهِ جلَّ وعز إلى السماءِ ، كان قبلَ خلْقِ السماءِ أم بعدَه ؟

قيل : بعدَه ،وقبلَ أن يسوِّيَهن سبعَ سماواتٍ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت : ١١] . فالاستواءُ كان بعد أن خلَقها دخانًا ، وقبل أن يسَوِّيَها سبعَ سماواتٍ .

وقال بعضُهم : إنما قال[(١)] : ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ولا سماءَ ، كقولِ الرجلِ لآخَرَ : اعمَلْ هذا الثوبَ . وإنما معه غزلٌ .

وأما قولُه : ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ . فإنه يعنى : هيَّأَهُنَّ وخلَقهن ودبَّرهن وقوَّمهن . والتسويةُ فى كلامِ العربِ التقويمُ والإصلاحُ والتوطئةُ ، كما يقالُ : سوَّى فلانٌ لفلانٍ هذا الأمرَ . إذا قوَّمه وأصلَحه ووطَّأه له ، فكذلك تسويةُ اللّهِ جلَّ وعز سماواتِه ، تَقويمُه إياهن على مشيئتِه ، وتدبيرُه لهن على إرادتِه ، وتفتيقُهن بعد ارْتِتاقِهن[(٢)] .

كما **حُدِّثْتُ** عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ [٣١/٢ظ] سَمَٰوَٰتٍ﴾ يقولُ : سوّى خَلْقَهنّ ، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[(٣)] .

وقال جلّ ذكرُه : ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ . فأخرَج مَكنِيَّهن[(٤)] مُخرجَ مَكْنىِّ الجميعِ ،

---

(١) فى الأصل ، ر : « قيل » .

(٢) فى ص : « بتامتهن » ، وفى م : « ارتاقهن » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٧٥ (٣١٠) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٤٣ إلى المصنف عن أبى العالية . وتقدم أوله فى ص ٤٥٦ .

(٤) فى ر : « مكينهن » . والمكنى هو الضمير فى اصطلاح نحويى الكوفة . ينظر ص ٤٥٣.

وقد قال قبلُ : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ فأخرَجها على تقديرِ الواحدِ ، وإنما أخرَج مَكنيَّهن مُخرَجَ مَكْنيِّ الجميعِ ؛ لأن السماءَ جمعٌ ، واحدُها سماوَةٌ ، فتقديرُ واحدتِها وجميعِها إذن تقديرُ بقرةٍ وبقرٍ ، ونخلةٍ ونخلٍ ، وما أشبهَ ذلك ، ولذلك أُنِّثت السماءُ مرةً ، فقيل : هذه سماءٌ . وذُكِّرت أُخرى ، فقيل : ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾ [المزمل : ١٨] . كما يُفعَلُ ذلك بالجميعِ الذى لا فرْقَ بينَه وبين واحدِه غيرُ دخولِ الهاءِ وخروجِها ، فيقالُ : هذا بقرٌ ، وهذه بقرٌ ، وهذا نخلٌ ، وهذه نخلٌ . وما أشبهَ / ذلك . ١٩٣/١

وكان بعضُ أهلِ العربيةِ يزعُمُ أن السماءَ واحدةٌ ، غيرَ أنها تدُلُّ على السماواتِ ، فقيل : ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾ . يُراد بذلك التى ذُكرتْ وما دلَّتْ عليه من سائرِ السماواتِ التى لم تُذكرْ معها . قال : وإنما تُذكَّرُ إذا ذُكِّرتْ وهى مؤنثةٌ ، فيقالُ : ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾ . كما يُذَكَّرُ المؤنثُ ، وكما قال الشاعرُ[1] :

فلا مُزْنةٌ ودَقَتْ وَدْقَها ... ولا أرضَ أبْقَلَ إبْقالَها

وكما قال أعْشى بنى ثعلبةَ[2] :

فإمّا تَرَىْ لِمَّتِى بُدِّلَتْ ... فإنَّ الحوادثَ أزْرَى بها

وقال بعضُهم : السماءُ وإن كانت سماءً فوقَ سماءٍ ، وأرضًا فوقَ أرضٍ ، فهى فى التأويلِ واحدةٌ إن شئتَ ، ثم تكونُ تلك الواحدةُ جِماعًا ، كما يقالُ : ثوبٌ

---

(١) البيت لعامر بن جوين الطائى ، وهو فى الكتاب ٢/ ٤٦، والخزانة ١/ ٤٥ .

(٢) ديوانه ١٧١، وروايته :

فإن تعهدينى ولى لمة ... فإن الحوادث ألوى بها

أخلاقٌ وأسمالٌ[(١)] ، وبُرْمةٌ أعشارٌ[(٢)] . للمتكسِّرَةِ ، وبُرْمةٌ أكسارٌ وأجبارٌ . وأخلاقٌ ، أى أنّ نواحيَه أخلاقٌ .

فإن قال لنا قائلٌ : فإنك[(٣)] قد قلتَ : إن اللهَ استوَى إلى السماءِ وهى دخانٌ قبل أن يسوِّيَها سبعَ سماواتٍ ثم سوّاها سبعًا [(٤)]بعد استوائِه إليها[(٤)] ، فكيف زعَمتَ أنها جماعٌ ؟

قيل : إنهنَّ كُنَّ سبعًا غيرَ مُستوياتٍ ، فلذلك[(٥)] قال تعالى ذكرُه : فسواهنَّ سبعًا .

كما حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قال : قال محمدُ بنُ إسحاقَ : كان أوّلَ ما خلَق اللّهُ تعالى ذكرُه النورُ [٣٢/٢و] والظلمةُ ، ثم ميَّزَ بينَهما فجعَل الظلمةَ ليلًا أسودَ مُظلمًا ، وجعَل النورَ نهارًا مضيئًا مُبصرًا ، ثم سمَك السماواتِ السبعَ من دخانٍ ، يقالُ - واللّهُ أعلمُ - : من دخانِ الماءِ . حتى استقلَلْنَ ولم يُحْبَكن ، وقد أغطَش فى السماءِ الدنيا ليلَها وأخرَج ضُحاها ، فجرَى فيها الليلُ والنهارُ ، وليس فيها شمسٌ ولا قمرٌ ولا نجومٌ ، ثم دحَا الأرضَ فأرْساها بالجبالِ ، وقدَّر فيها الأقواتَ ، وبثَّ فيها ما أراد من الخَلْقِ ، ففرَغ من الأرضِ وما قدَّر فيها من أقواتِها فى أربعةِ أيامٍ ، ثم استَوى إلى السماءِ وهى دخانٌ ، كما قال ، فحبَكَهُنَّ ، وجعَل فى السماءِ الدنيا شمسَها وقمرَها ونجومَها ، وأوْحَى فى كلِّ سماءٍ أمْرَها ،

---

(١) ثوب أخلاق : من قولهم : خلق الثوب . أى بلى كله . وأسمال من : سمل الثوب سمولا وسمولة : أخلق . التاج (خ ل ق ، س م ل) .

(٢) أى : مكسرة على عشر قطع . ينظر التاج (ع ش ر) .

(٣) سقط من : ص ، ر .

(٤ - ٤) فى ص : « فقد استوى به إليها » .

(٥) فى ص : « فكذلك » .

فأكمَل خَلْقَهن فى يومين ، ففرَغ من خلْقِ السماواتِ والأرضِ فى ستةِ أيامٍ ، ثم استوَى فى اليومِ السابعِ فوقَ سَماواتِه ، ثم قال للسّماواتِ والأرضِ : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ لِمَا أردْتُ[1] بكما ، فاطمَئِنَّا عليه طوعًا أو كرهًا ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[2] .

فقد أخبَر ابنُ إسحاقَ أن اللّهَ تعالى ذكرُه استوَى إلى السماءِ بعد خلقِه الأرضَ وما فيها وهنّ سبعٌ من دخانٍ ، فسَوّاهُنَّ كما وصَف .

وإنما استَشهدْنا لقولِنا الذى قُلْنا فى ذلك بقولِ ابنِ إسحاقَ ؛ لأنه أوضحُ بيانًا عن خبرِ[3] السماواتِ أنهنَّ كن سبعًا من دخانٍ قبلَ استواءِ ربِّنا إليها لتسويتِها[4] - من غيرِه ، وأحسنُ شرحًا لما أردْنا الاستدلالَ به ، من أن معنى السماءِ التى قال تعالى ذكرُه فيها : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ بمعنى الجمعِ على ما وصفْنا ، وأنَّه إنما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾ . إذْ كانت السماءُ بمعنى الجمعِ ، على ما بيَّنَّا .

فإن قال لنا قائلٌ : فما صِفةُ تسويةِ اللّهِ السماواتِ التى ذكَرها فى قولِه : ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾ . إذْ كنَّ قد كنّ خُلِقن سبعًا قبل تسويتِه إياهُنَّ ؟ وما وجْهُ ذكْرِ خلْقِهنّ بعد ذكْرِ خلْقِ الأرضِ ، أَلأنَّها[5] خُلِقتْ قبلَها أم لمعنًى[6] غيرِ ذلك ؟

قيل : قد ذكَرْنا ذلك فى الخبرِ الذى رَوَيْناه عن ابنِ إسحاقَ ، ونزيدُ ذلك توكيدًا بما نضُمُّ إليه من أخبارِ بعضِ السلفِ المتقدِّمين وأقوالِهم .

---

(١) فى الأصل : « أردته » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٣٤/١ إلى قوله : مبصرا . وينظر تفسير الآيات ٩ - ١٢ من سورة فصلت .

(٣) فى ص : « خلق » .

(٤) فى ص ، ر ، م : « بتسويتها » .

(٥) فى ص : « لا أنها » ، وفى ر : « لأنها » .

(٦) فى ص ، م : « بمعنى » .

١٩٤/١ / فحدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السديِّ في خبرٍ ذكَره عن [٣٢/٢ظ] أبي مالكٍ ، وعن أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ . قال : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه كان عرشُه على الماءِ ، ولم يخلُقْ شيئًا غيرَ ما خلَق قبلَ الماءِ ، فلمَّا أراد أن يَخْلُقَ الخَلْقَ أخرَج من الماءِ[١] دخانًا ، فارتفَع فوق الماءِ فسَما عليه ، فسمّاهُ سماءً ، ثم أيبَس الماءَ فجعَله أرضًا واحدةً ، ثم فتقَها فجعَل سبعَ أرَضينَ في يومين ، في الأحدِ والاثنينِ ، فخلَق الأرضَ على حوتٍ ، والحوتُ هو النونُ الذى ذكَر اللهُ في القرآنِ : ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم : ١] . والحوتُ في الماءِ ، والماءُ على ظَهْرِ صَفَاةٍ ، والصفاةُ على ظهرِ مَلَكٍ ، والمَلَكُ على صخرةٍ ، والصخرةُ في الريحِ - وهى الصخرةُ التى ذكَر لقمانُ[٢] - ليست في السماءِ ولا في الأرضِ ، فتحرَّك الحوتُ فاضطرَب ، فتزلزلتِ الأرضُ ، فأرْسَى عليها الجبالَ فقرّتْ ، فالجبالُ تفخَرُ على الأرضِ ، وذلك قولُه : ﴿[٣]وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ[٣] رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل : ١٥] . وخلَق الجبالَ فيها ، وأقواتَ أهلِها ، وشجرَها ، وما ينبغى لها في يومين ؛ في الثلاثاءِ والأربعاءِ ، وذلك حينَ يقولُ : ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ . يقولُ : أنبتَ شجرَها . ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ . يقولُ :

---

(١) في ص : « النار » .

(٢) يشير إلى الآية ١٦ من سورة لقمان .

(٣ - ٣) في النسخ ، والتوحيد ، وتفسير ابن أبي حاتم ، والدر المنثور : « وجعل لها » ، والمثبت هو صواب تلاوة الآية ، وهى كذلك في تاريخ المصنف .

أقواتَها لأهلِها . ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ . يقول : (١) مَن سأل فهكذا (١) الأمرُ . ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فصلت : ٩- ١١] . وكان ذلك الدخانُ من تَنَفُّسِ الماءِ حينَ تنفَّس ، فجعَلها سماءً واحدةً ، ثم فتقَها فجعَلها سبعَ سماواتٍ فى يومين ؛ فى الخميسِ والجمُعةِ ، وإنما سُمِّىَ يومَ الجمُعةِ لأنه جُمِع فيه خلْقُ السماواتِ والأرضِ ، ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ . قال : خلَق فى كلِّ سماءٍ خلْقَها من الملائكةِ والخَلْقِ الذى فيها ، من البحارِ وجبالِ البَرَدِ وما لا يُعلَمُ ، ثم زيَّنَ السَّماءَ الدُّنْيا بالكواكبِ ، فجَعَلها زينةً وحِفْظًا تَحْفَظُ من الشياطينِ ، فلمّا فرَغ من خلْقِ ما أحبّ ، استوَى على العرشِ ، فذلك حينَ يقولُ : ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ [الأعراف : ٥٤، يونس : ٣، هود : ٧] . يقولُ : ﴿كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ (٢) [الأنبياء : ٣٠] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، [٣٣/٢و] قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ . قال : خلَق الأرضَ قبلَ السماءِ ، فلمّا خلَق الأرضَ ثارَ منها دخانٌ ، فذلك حينَ يقولُ : ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ﴾ . قال : بعضُهن فوقَ بعضٍ ، وسبعُ أرَضين بعضُهن تحتَ (٣)

(١ - ١) فى م : « قل لمن يسألك هكذا » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٥٢، ٥٣ عن موسى وغيره ، عن عمرو به ، إلى آية سورة النحل .

وأخرجه ابن خزيمة فى التوحيد ص٢٤٣، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٨٠٧) من طريق عمرو به .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤/١ (٣٠٦) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٤٢، ٤٣ إلى ابن المنذر .

(٣) فى ر : « فوق » .

بعضٍ[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبَرنا مَعمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِهِ : ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ قال : بعضُهن فوق بعضٍ ، بين كلِّ سماءين مَسِيرةُ خمسِمائةِ عامٍ[(٢)] .

حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِهِ حيثُ ذكَر خلْقَ الأرضِ قبلَ السماءِ ، ثم ذكَر السماءَ قبلَ الأرضِ - : وذلك أن اللَّهَ / خلَق الأرضَ بأقواتِها من غيرِ أن يدْحُوَها قبلَ السماءِ ، ثم استوَى إلى السماءِ فسوّاهُنّ سبعَ سماواتٍ ، ثم دَحَا الأرضَ بعد ذلك ، فذلك قولُه عز وجل : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [النازعات : ٣٠] .

١٩٥/١

حدثنى المثنى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى أبو معشرٍ ، عن سعيدِ بنِ أبى سعيدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سلامٍ أنه قال : إن اللَّهَ بدَأ الخلْقَ يومَ الأحدِ ، فخلَق الأرَضِين فى الأحدِ والاثنينِ ، وخلَق الأقواتَ والرواسِيَ فى الثلاثاءِ والأربعاءِ ، وخلَق السماواتِ فى الخميسِ والجمُعةِ ، وفرَغ فى آخرِ ساعةٍ من يومِ الجمُعةِ ، فخلَق فيها آدمَ على عَجَلٍ ، فتلك الساعةُ التى تقومُ فيها الساعةُ[(٣)] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق - كما فى الدر المنثور ٤٢/١ - وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٥/١ (٣١١) ، وأبو الشيخ فى العظمة (٨٨٥) من طريق الحسن بن يحيى به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٢/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٤/١ إلى المصنف وعبد الرزاق .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٤، ٥٤،٥٥ مفرقا .

=

فمعنى الكلامِ إذن : هو الذى أنعَم عليكم ، فخلَق لكم ما فى الأرضِ جميعًا ، وسخَّره لكم ، تفضُّلًا منه بذلك عليكم ؛ ليكونَ لكم بلاغًا فى دنياكم ، ومتاعًا إلى موافاةِ آجالِكم ، ودليلًا لكُم على وحدانيةِ ربِّكم ، ثم علَا إلى السماواتِ السبعِ وهنَّ دخانٌ ، فسوّاهن وحَبَكهن ، وأجرَى فى بعضِهن[1] [2]شمسَه وقمرَه ونجومَه[2] ، وقدَّر فى كلِّ واحدةٍ منهنَّ ما قدَّر من خلْقِه .

[٢/٣٣ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ .**

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَهُوَ ﴾ نفسَه ، وبقولِه : ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أن الذى خلَقكم وخلَق لكم ما فى الأرضِ جميعًا ، وسوَّى السماواتِ السبعَ بما فيهن ، فأحكَمهن مِن دخانِ الماءِ وأتقَن[3] صُنْعَهن ، لا يخفَى عليه أيُّها المنافقون والملحدون والكافرون به مِن[4] أهلِ الكتابِ - ما تُبْدون وما تكتُمون فى أنفسِكم ، وإن أبدَى منافقوكم بألسِنتِهم قولَهم : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ . وهم على التكذيبِ به مُنْطَوون ، وكذَّبتْ أحبارُكم[5] بما أتاهم به رسولى من الهدَى والنورِ ، [6]وهم[6] بصحتِه عارِفون ، وجحَدوا[7] وكتَموا ما

= وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٨٨٤) من طريق محمد بن بكير ، عن أبى معشر به .

وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (٨١١) من طريق ابن أبى ذئب ، عن سعيد بن أبى سعيد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن سلام . وأخرج أحمد ٥/ ٤٥٠ (الميمنية) آخره من طريق آخر عن عبد الله بن سلام .

(١) فى الأصل ، ص : « بعضها » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « شمسها وقمرها ونجومها » .

(٣) فى ت ١ : « أيقن » .

(٤) فى ص : « و » .

(٥) فى ص : « أحبارهم » .

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) الأصل ، ر : « جحدوه » .

قد أخَذْتُ عليهم تبْيانَه[(١)] لخلقِى من أمرِ محمدٍ ﷺ (٢) ونُبُوَّتِه[(٢)] - المواثيقَ ، وهم به عالمون ، بل أنا عالمٌ بذلك (٣) من أمْرِكم[(٣)] وغيرِه من أمورِكم وأمورِ غيرِكم ؛ أى[(٤)] بكلِّ شىءٍ عليمٌ .

وقولُه : ﴿ عَلِيمٌ ﴾ . بمعنى عالمٍ . ورُوِى عن ابنِ عباسٍ أنه كان يقولُ : هو الذى قد كَمُلَ فى عِلْمِه .

حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ ابنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : العالِمُ الذى قد كَمُلَ فى عِلْمِه[(٥)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ .

زعَم بعضُ المنسوبين إلى العلمِ بلُغاتِ العَربِ من أهلِ البصرةِ[(٦)] أن تأويلَ قولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ : وقال ربُّك . وأنّ ﴿ إِذْ ﴾ من الحروفِ الزَّوائدِ ، وأن معناها الحذفُ . واعتَلَّ لقولِه الذى وصَفْنا عنه فى ذلك ببيتِ الأسودِ بنِ يَعْفُرَ[(٧)] :

فإذا وذلك لا مَهاهَ لِذِكْرِه والدهرُ يُعْقِبُ صالحًا بفسادِ

(١) فى م : « بيبانه » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى ص ، ر ، م : « إنى » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره - كما فى مجموع الفتاوى ١٧/ ٢٢٠ - من طريق عبد الله بن صالح به . وينظر تفسير ابن كثير ٨/ ٥٤٧.

(٦) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١/ ٣٦، ٣٧ .

(٧) البيت فى المفضليات ، ص ٢٢٠، واللسان (م هـ هـ) .

/ ثم قال : ومعناها : وذلك لا مَهاهَ لذِكْرِه . وببيتِ عبدِ منافِ بن رِبْعٍ[(١)] الهُذليِّ[(٢)] : ١٩٦/١

حتى إذا أسلَكوهم فى قُتائِدَةٍ[(٣)] شَلًّا[(٤)] كما تطْرُدُ الجَمّالةُ[(٥)] الشُّرُدا[(٦)]

[٣٤/٢و] وقال : معناه : حتى أسْلَكُوهم .

قال أبو جعفرٍ : والأمرُ فى ذلك بخلافِ ما قال ، وذلك أن « إذْ »[(٧)] حرفٌ يأتى بمعنى الجزاءِ ، ويَدُلُّ على مجهولٍ من الوقتِ ، وغيرُ جائزٍ إبطالُ حرفٍ كان دليلًا على معنًى [(٨)]فى الكلامِ[(٨)] . إذ سواءٌ قيلُ قائلٍ : هو بمعنى البُطولِ[(٩)] ، [(٨)]وهو[(٨)] فى الكلامِ دليلٌ على معنًى مفهومٍ . وقيلُ آخرَ فى جميعِ الكلامِ الذى نطَق به دليلًا على ما أرِيدَ به : هو بمعنى البُطولِ[(٩)] .

وليس [(١٠)]لما ادّعى[(١٠)] الذى وصَفْنا قولَه[(١١)] - فى بيتِ الأسودِ بنِ يَعفُرَ ، أن « إذا »[(١٢)] بمعنى البُطولِ[(٩)] - وجهٌ مفهومٌ ؛ بل ذلك لو حُذِف من الكلامِ لَبَطَل المعنَى

---

(١) فى ت ١، ت ٢: « زريع » .

(٢) ديوان الهذليين ٢/ ٤٢، وسيأتى ١٤/ ٩، وفى الشعراء .

(٣) قتائدة : جبل بين المنصرف والروحاء . معجم ما استعجم ٣/ ١٠٤٨.

(٤) شل السائق الإبل شلًّا ؛ إذا طردها ، والشل : الطرد . التاج (ش ل ل) .

(٥) فى ص : « الحمالة » ، والجمالة أصحاب الجمال .

(٦) شرد جمع شرود من قولهم : شرد الفرس أو البعير . إذا استعصى وذهب على وجهه . التاج (ش ر د) .

(٧) فى ر ، ت ١، ت ٢: « إذا » .

(٨ - ٨) سقط من : ص .

(٩) فى م : « التطول » .

(١٠ - ١٠) فى م : « المدعى » .

(١١) فى ر : « فى قوله » .

(١٢) فى ت ٢: « إذ » .

الذى أراده الأسودُ من قولِه :

* فإذا وذلك لا مَهاهَ لذِكْرِه *

وذلك أنه أراد بقولِه : فإذا[١] : فإذا الذى نحن فيه وما قد مضَى من عَيْشِنا . وأشار بقولِه : [٢]وذلك[٢] . إلى ما تقدَّم وصْفُه من عيشِه الذى كان فيه . لا مَهاهَ لذِكْرِه ، يعنى : لا طَعْمَ له ولا فضْلَ ؛ لإعقابِ الدهرِ صالحَ ذلك بفسادٍ . وكذلك معنى قولِ عبدِ منافِ بنِ رِبعٍ[٣] :

حتى إذا أسلكوهم فى قُتائدةٍ شَلًّا[٤] ....

لو أُسقِط منه « إذا » بطَل معنى الكلامِ ؛ لأن معناه : حتى إذا أسلكوهم فى قُتائدةٍ سلكوا شَلًّا . فدلَّ[٥] قولُه : أسلكوهم شلًّا[٤] . على مَعْنَى المحذُوفِ ، فاسْتُغْنِى عن ذكْرِه بدَلالةِ « إذا » عليه فحُذِف - كما قد ذكَرْنا فيما مَضَى من كتابِنا[٦] - على ما تفعَلُ العربُ فى نظائرِ ذلك ، وكما قال النَّمِرُ بنُ تَوْلَبٍ[٧] :

فإن المنيةَ من يخْشَها فسوف تصادِفُه أيْنَما

وهو يريدُ : أينما ذهَب . وكما تقولُ العربُ : أتيتُك من قبلُ ومن بعدُ . تُريدُ:

---

(١) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢.

(٢ - ٢) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢: « ذلك » .

(٣) فى ت ١ ، ت ٢: « زريع » .

(٤) فى ت ١ ، ت ٢: « سلا » .

(٥) فى ر : « فذلك » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ١١١ - ١١٢ ، ٣٤٤ .

(٧) البيت فى الصناعتين ١٨٣، والخزانة ١٠١/١١ وشرح التصريح ٢/ ٢٥٣.

من قبلِ ذلكَ ومن بعدِ ذلكَ . فكذلك ذلك فى « إذا » ، كما يقولُ القائلُ : إذا أكرَمك أخوك فأكرِمْه ، وإذا لا فلَا . يريدُ : وإذا لم يُكرِمْك[1] فلا تُكرِمْه . ومن ذلك قولُ الآخرِ[2] .

فإذا وذلك لا يضُرُّك ضُرُّه[3] فى يومِ أسألُ[4] نائلًا أو أنكَدَا

نظيرَ ما ذكَرْنا من المعنى فى بيتِ الأسودِ بنِ يَعفُرَ . وكذلك معنى قولِ اللّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ . لو أُبْطِلَتْ « إذْ » وحذِفتْ من الكلامِ ، لاستحالَ عن[5] معناه الذى هو به وفيه « إذْ » .

فإن قال قائلٌ : فما معنى ذلك ، وما الجالبُ لـ « إذ » ، إذا[6] لم يكنْ فى الكلامِ قبلَه ما يُعطَفُ به عليه ؟

قيل له : قد ذكَرنا فيما مضَى أن اللّهَ تعالى ذكرُه [٣٤/٢ظ] خاطَب الذين خاطَبهم بقولِه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾ . بهذه الآياتِ والتى بعدَها مُوَبِّخَهم ومُقَبِّحًا إليهم سوءَ فِعالِهم ومُقامِهم على ضلالِهم مع النعمِ التى أنعَمها عليهم وعلى أسلافِهم ، ومُذكِّرَهُم - بتعديدِ نِعَمِه عليهم وعلى أسلافِهم - بأسَه أن يسلُكوا سبيلَ مَن هلَك من أسلافِهم فى معصيتِه ، فيسلُكَ بهم سبيلَهم[7] فى

---

(١) فى ت ١: « يكن معك » .

(٢) التبيان ١/ ١٣١.

(٣) فى ص ، والتبيان : « ضرة » ، وفى ر : « ضيرة » .

(٤) فى ص ، م : « أثل » .

(٥) فى ت ١، ت ٢: « من » .

(٦) فى ص ، م: « إذ » .

(٧) فى ت ١: « سبيله » .

عقوبتِه ، ومُعرِّفَهم ما كان منه من تعطُّفِه على التائبِ منهم ، استعتابًا منه لهم ، فكان مما عدَّدَ من نِعَمِه عليهم ، أنه خلَق لهم ما فى الأرضِ / جميعًا ، وسخَّر لهم ما فى السماواتِ ؛ من شمسِها وقمرِها ونجومِها وغيرِ ذلك من منافعِها التى جعَلها لهم ولسائرِ بنى آدمَ معهم منافعَ ، فكان فى قولِه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ . معنى[1] : اذكُروا نعمتى[2] عليكم إذ خلَقتُكم ولم تكونوا شيئًا ، وخلَقتُ لكم ما فى الأرض جميعًا ، وسوَّيتُ لكم ما فى السماءِ . ثم عطَف بقولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ على المعنى المقتضَى بقولِه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾ إذ كانَ مُقتضيًا ما وصفتُ من قولِه : اذكُروا نِعمتى إذْ فعلتُ بكم وفعلتُ ، واذكُروا فِعْلِى بأبِيكم آدمَ ، إذْ قلتُ للملائكةِ : إنى جاعلٌ فى الأرضِ خليفةً .

فإن قال قائلٌ : فهل لذلك من نظيرٍ فى كلامِ العربِ نعلَمُ به صحةَ ما قلتَ ؟

قيل : نعم ، أكثرُ مِن أن يُحصَى ، من ذلك قولُ الشاعرِ[3] :

أجِدَّك لن تَرَى بثُعَيْلِباتٍ[4] ولا بَيْدَانَ[5] ناجيةً[6] ذَمُولَا[7]

---

(١) فى ر : « معناه » .

(٢) بعده فى م : « التى أنعمت » .

(٣) البيتان للمرار بن سعيد الفقعسى، وهما فى مجالس ثعلب ١/ ١٥٩، واللسان (ب ى د ، ن ش غ ، ط ف ل) .

(٤) فى ص : « بتعيلنات » . وثعيلبات تصغير جمع ثعلبة : موضع . معجم البلدان ١/ ٩٢٧.

(٥) بيدان : جبل أحمر مستطيل من أخيلة حمى ضريّة . معجم البلدان ١/ ٧٨٣.

(٦) الناجية : الناقة السريعة . التاج (ن ج و) .

(٧) الذميل : ضرب من سير الإبل ، وقيل : هو السير اللين ما كان ، وقيل : هو فوق العنق . اللسان (ذ م ل) .

ولا متدارَكٍ[(١)] والشمسُ طِفْلٌ ببعضِ نواشغِ[(٢)] الوادى حُمُولَا

فقال : ولا مُتدارَكٍ . ولم يتقدَّمْه فعلٌ بلفظِه يُعطَفُ[(٣)] به عليه ، ولا حرفٌ مُعرَبٌ إعرابَه فيُرَدَّ « متدارك » عليه فى إعرابِه ، ولكنه لما تقدَّمه فعلٌ مجحودٌ بـ « لن »[(٤)] يَدُلُّ على المعنى المطلوبِ فى الكلامِ من[(٥)] المحذوفِ ، استغْنَى بدَلالةِ ما ظَهَر منه عن إظهارِ ما حُذِف ، وعامَل الكلامَ فى المعنى والإعرابِ معاملتَه أن[(٦)] لو كان ما هو محذوفٌ منه ظاهرًا ؛ لأن قولَه :

* أجِدَّك لن تَرَى بثُعَيْلِباتٍ *

معناه : أجِدَّك لستَ براءٍ . فردَّ « مُتداركًا » على موضعِ « تَرَى » ، كأن « لست » والباءَ[(٧)] موجودتان فى الكلامِ . فكذلك قولُه :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ . لمّا سلَف قبلَه تذكيرُ اللهِ جلّ وعزَّ المخاطَبين به ما سلَف قِبلَهم وقِبلَ آبائِهم من أيادِيه وآلائِه ، وكان قولُه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ [٢/٣٥و] لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ مع ما بعدَه من النِّعَمِ التى عدَّدَها عليهم ، ونبَّههم على مواقعِها - ردَّ « إذْ » على موضعِ ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴾ . لأن معنى ذلك : اذكُروا هذه من نِعَمِى[(٨)] ، وهذه التى قلتُ فيها للملائكةِ . فلمّا كانت الأولى مُقتضيةً « إذ » ، عطَف

---

(١) فى اللسان : « متلاقيا » .

(٢) النواشغ : مجارى الماء فى الوادى . التاج (ن ش غ) .

(٣) فى ر : « يفعله » .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « بأن » .

(٥) فى م : « وعلى » .

(٦) فى ص : « إذ » .

(٧) فى ر ، ت ١ ، ت ٢ : « الياء » .

(٨) فى ص : « نعمتى » .

[١]بـ « إذ »[١] على موضعِها فى الأولى ، كما وصَفْنا من فِعْلِ[٢] الشاعرِ فى : ولا مُتدارِكٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ .

والملائكةُ جمعُ مَلْأَكٍ[٣] ، غيرَ أن أحدَهم بغيرِ الهمزِ أكثرُ وأشهرُ فى كلامِ العربِ منه بالهمزِ ، وذلك أنهم يقولون فى واحدِهم : مَلَكٌ من الملائكةِ . فيحذِفون الهمزَ منه ، ويُحرِّكون اللامَ التى كانت مُسَكَّنةً لو هُمزَ الاسمُ ، وإنما يُحرِّكونها بالفَتْحِ لأنهم ينقُلونَ حركةَ الهمزةِ التى فيه بسقوطِها[٤] إلى الحرفِ الساكنِ قبلَها ، فإذا جمَعوا واحدَهم ردُّوه[٥] فى[٦] الجمعِ إلى الأصلِ[٧]وهمَزُوا[٧] ، فقالوا : ملائكةٌ . وقد تفعَلُ العربُ نحوَ ذلك كثيرًا فى كلامِها ، فتترُكُ الهمزَ فى الكلمةِ التى هى مهموزةٌ فيجرِى كلامُهم بتَرْكِ هَمْزِها فى حالٍ ، وبهمزِها فى أُخرى ، كقولِهم : رأيتُ فلانًا . فجرَى كلامُهم بهمزِ « رأيتُ » ، ثم قالوا : نرَى / وترَى ويَرى . فجرَى كلامُهم فى « يفعل » ونظائرِها بتركِ الهمزِ ، حتى صار الهمزُ معها شاذًّا ، مع كونِ الهمزِ فيها أصلًا . فكذلك ذلك فى « مَلَك وملائكة » ، جرَى كلامُهم بتركِ الهمزِ من واحدِهم ، وبالهمزِ

١٩٨/١

(١ - ١) فى م : « وإذ » .

(٢) فى م : « قول » .

(٣) فى ص ، ر ، م : « ملك » .

(٤) فى ص : « فسقوطها » ، وفى ر : « لسقوطها » .

(٥) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « ردوا » .

(٦) سقط من : ص ، م .

(٧ - ٧) فى الأصل : « فهمزوا » .

فى جميعِهم ، وربما جاء الواحدُ منهم[1] مهموزًا ، كما قال الشاعرُ[2] :

فلستَ بجنِّىٍّ[3] ولكنْ مَلْأَكًا[4]   تحدَّر من جوِّ السماءِ يَصُوبُ

وقد يقالُ فى واحدِهم : مألكٌ . فيكونُ ذلك مثلَ قولِهم : جبَذ وجذَب ، وشَأْمَلَ وشمْأَل[5] . وما أشبهَ ذلك من الحروفِ المقلوبةِ[6] ، غيرَ أن الذى يجبُ إذا سُمِّىَ واحدُهم : مألكٌ[7] ، أن يُجمَعَ إذا جُمِعَ على ذلك : مآلكُ ، ولستُ أحفظُ جمعَهُم كذلك سماعًا ، ولكنهم قد يَجمعون : ملائِكُ ، و ملائِكةٌ ، كما يُجْمَعُ أشعثُ : أشاعثُ وأشاعِثةٌ ، ومِسْمَعٌ : مَسامعُ ومَسامِعَةٌ . قال أميةُ بنُ أبى الصَّلْتِ فى جمعِهم كذلك[8] :

[٣٥/٢ظ] وفيها مِنْ عبادِ اللّهِ قومٌ   ملائِكُ ذُلِّلوا وهُمُ صِعابُ

وأصلُ الملأكِ[9] الرسالةُ ، كما قال عدىُّ بنُ زيدٍ العِبادِىُّ[10] :

---

(١) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ .

(٢) تقدم تخريج البيت فى ص ٣٥٠.

(٣) فى م : « لإنسى » .

(٤) فى م : « لملأك » .

(٥) فى ص : « شمل » .

(٦) قلب الشىء : حوله ظهرًا لبطن . والقلب المكانى باب من أبواب التصريف ، يقع فيه تقديم بعض حروف الكلمة على بعض ، وأكثر ما يتفق القلب فى المعتل والمهموز ، وأكثر ما يكون بتقديم الآخر على متلوّه . وأنواعه كثيرة . ينظر التاج (ق ل ب) ، وفهارس سيبويه ، وفهارس المقتضب ، والخصائص ٢/ ٨٨، وشرح الرضى على الشافية ١/ ٢١ فما بعدها . وينظر أيضا القلب والإبدال لابن السكيت نشرة هفنر ؛ ضمن مجموعة الكنز اللغوى .

(٧) فى ص : « ملك » .

(٨) ديوانه ص ٦٢.

(٩) فى ص : « الملك » .

(١٠) البيت فى الأغانى ٢/ ١١٤، والعقد الفريد ٥/ ٢٦١، وكتاب ليس فى كلام العرب لابن خالويه =

أبلغِ النعمانَ عنى ملأكًا[١] أنه قد طال حَبْسِى وانتظارِى[٢]

وقد يُنشَدُ : مَألُكًا ، على اللغةِ الأخرَى . فمن قال : ملأكًا . فهو « مَفْعَل » ، من : [٣]لأَكَ إليه يَلْأَكُ[٤][٣] ، إذا أرسَل إليه رسالةً ، مَلْأَكةً[٥] . ومن قال : مَألُكًا . فهو « مَفْعَل » ، من : ألَكتُ إليه ألِكُه[٦] ، إذا أرسلتَ إليه ، مألكةً وألُوكًا . كما قال لَبيدُ ابنُ[٧] ربيعةَ[٨] :

وغُلامٍ أرسلَتْه أمُّه بألوكٍ فبَذَلْنا ما سأَلْ

فهذا من : ألَكت . ومنه قولُ نابغةِ بنى ذُبيانَ[٩] :

ألِكْنِى يا عُيَينَ إليك قولًا [١٠]سأُهْدِيه[١١] إليك إليك عنِّى[١٠]

وقال عبدُ بنى الحَسْحاسِ[١٢] :

ألِكْنى إليها عَمْرَكَ اللهَ يا فتى بآيةِ ما جاءت إلينا تهادِيَا

= ص ٤٧. والرواية فيهن جميعًا : « مألكا » .

(١) فى ص ، ت ١، ت ٢: « مألكا » .

(٢) فى م ، ت ١، ت ٢: « انتظار » .

(٣ - ٣) فى ص : « لاك إليه يلك » .

(٤) فى م : « يلئك » .

(٥) فى ص ، ت ١، ت ٢: « ملكه » .

(٦) فى م : « ألك » .

(٧) بعده فى م : « أبى » .

(٨) شرح ديوان لبيد ص ١٧٨.

(٩) ديوانه ص ١٩٧.

(١٠ - ١٠) فى م : « ستهديه الرواة إليك عنى » .

(١١) فى الديوان : « سأبديه » .

(١٢) تقدم البيت وتخريجه فى ص ١٠٤.

يعنى بذلك : أبْلِغها رسالتى . فسُمِّيتِ الملائكةُ ملائكةً بالرسالةِ ؛ لأنها رسُلُ اللّهِ بينَه وبينَ أنبيائِه ومَن أُرسِلتْ إليه مِن عبادِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعز : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ[(١)] قولِه : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : إنى فاعلٌ .

ذِكرُ من قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، **عن** جريرِ بنِ حازمٍ[(٢)] ومباركٍ ، عن الحسنِ ، **وأبى** بكرٍ - يعنى الهُذَلىَّ - **عن** الحسنِ وقتادةَ ، قالوا : قال اللّهُ تعالى ذِكْرُه لملائكتِه : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . قال لهم : إنى فاعلٌ[(٣)] .

وقال آخرون : إنى خالقٌ .

/[٣٦/٢و] ذِكرُ من قال ذلك ١٩٩/١

حُدِّثت عن المِنجابِ بنِ الحارثِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، قال : كلُّ شىءٍ فى القرآنِ « جعَل » فهو « خلَق »[(٤)] .

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى ص : « خازم » .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٨، ١٠١ مطولا . وسيأتى بتمامه فى ص ٤٩٢ .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٧٦ (٣١٥) من طريق سعيد بن سليمان ، عن مبارك ، عن الحسن به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٤٤ إلى المصنف عن الحسن وحده .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٤٤ إلى المصنف من قول الضحاك .

قال أبو جعفرٍ : والصوابُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . إنِّى مُستخلِفٌ فيها[١] خليفةً ، ومُصَيِّرٌ فيها خُلَفاءَ[٢] . وذلك شبيهٌ بتأويلِ قولِ الحسنِ وقتادةَ .

وقيل : إن الأرضَ التى ذكَرها اللّهُ جل ثناؤُه فى هذه الآيةِ هى مكةُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا جريرٌ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ سابطٍ ، أن النبىَّ ﷺ قال : « دُحِيتِ الأرضُ مِن مكَّةَ ، وكانتِ الملائكةُ تطُوفُ بالبيتِ ، فهى أولُ من طاف به ، وهى الأرضُ التى قال اللّهُ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . وكان النبىُّ إذا هلَك قومُه ونَجا هُوَ والصالحون ، أتاها[٣] هو ومَن معه فعبَدوا اللّهَ بها حتى يموتوا ، فإنَّ قبرَ نوحٍ وهودٍ وصالحٍ وشعيبٍ بينَ زمزمَ والرُّكنِ والمَقامِ »[٤] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ خَلِيفَةً ﴾ .

والخليفةُ الفَعِيلةُ ، من قولِك : خلَف فلانٌ فلانًا فى هذا الأمرِ[٥] ، إذا قام مَقامَه فيه بعدَه ، كما قال تعالى ذكرُه . ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ

---

(١) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « فى الأرض » .
(٢) فى ص ، ر : « خلقا » .
(٣) فى م : « أتى » .
(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٧٦ (٣١٧) من طريق عطاء به مختصرًا ، وعزاه السيوطى أيضًا فى الدر المنثور ١/٤٦ إلى ابن عساكر ، وينظر مختصر تاريخ دمشق ٢٧/١٥٦، ١٥٧ .
وقال ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٠٠ : وهذا مرسل ، وفى سنده ضعف ، وفيه مدرج ، وهو أن المراد بالأرض مكة ، والله أعلم ، فإن الظاهر أن المراد بالأرض أعم من ذلك .
(٥) فى ر : « الإقرار » .

﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]. يَعْنى بذلك أنه أبدَلكم فى الأرضِ منهم، فجعلَكم خُلفاءَ (١) بعدَهم، ومن ذلك قيل للسلطانِ الأعظمِ: خليفةٌ. لأنه خلَف الذى كان قبلَه، فقام بالأمرِ مَقامَه، فكان منه خَلَفًا (١)، يقالُ منه: خَلَف الخليفةُ يخلُفُ خِلافةً وخِلِّيفَى (٢).

وكان ابنُ إسحاقَ يقولُ بما حدَّثنا (٣) به ابنُ حُميدٍ، قال: حدَّثنا سلمةُ، عن ابنِ إسحاقَ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ - يقولُ: ساكنًا وعامرًا يَسكُنُها ويَعْمُرُها - ليسَ خَلْقًا (٤) منكم (٥).

وليس الذى قال ابنُ إسحاقَ فى معنى «الخليفةِ» بتأويلِها (٦)، وإن كان اللّهُ [٣٦/٢ظ] تعالى ذكرُه إنما أخبَر ملائكتَه أنه جاعلٌ فى الأرضِ خليفةً يَسكُنُها، ولكن معناها ما وصفتُ قبلُ.

فإن قال لنا قائلٌ: فما الذى كان فى الأرضِ قبلَ بنى آدمَ لها عامرًا، فكان بنو آدمَ منه بدلًا، وفيها منه (٧) خَلَفًا؟

قيلَ: **قد اختلف أهلُ التأويلِ فى ذلك؛ فحدَّثنا** أبو كُريبٍ، قال: حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ، قال: حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ، عن أبى رَوْقٍ، عن الضحاكِ، عن ابنِ

(١ - ١) سقط من: ت ١، ت ٢.

(٢) الخليفى، بكسر الخاء وتشديد اللام المكسورة وفتح الفاء: الخلافة، وقيل: هو مبالغة فى الخلافة لا نفسها، ويدل على كثرة الجهد فى أمور الخلافة وتصريف أعنتها. التاج (خ ل ف).

(٣) فى ر: «حدثكم».

(٤) فى ر: «خلفا».

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٦/١ (٣١٦) من طريق سلمة به. وسيأتى بتمامه فى ص ٤٩٦.

(٦) فى ص: «بتأويلهما».

(٧) فى الأصل: «منهم».

عباسٍ ، قال : أولُ من سكَن الأرضَ الجنُّ ، فأفسَدوا فيها ، وسفَكوا[١] الدماءَ ، وقتَل بعضُهم بعضًا . قال : فبعَث اللهُ إليهم إبليسَ فى جندٍ مِن الملائكةِ ، فقتَلهم إبليسُ ومن معه[٢] ، حتى ألحقُوهم[٣] بجزائرِ البحورِ وأطرافِ الجبالِ ، ثم خلَق اللهُ آدمَ فأسكَنه إياها ، فلذلك قال : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[٤] .

[٥]فعلى هذا[٥] القولِ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ من الجنِّ يَخلُفونهم[٦] فيها فيسكُنونها ويَعْمُرُونها .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ فى قولِه : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الآية . قال : إن اللّهَ خلَقَ الملائكةَ يومَ الأربعاءِ ،/ وخلَق الجنَّ يومَ الخميسِ ، وخلَق آدمَ يومَ الجمُعةِ ، قال : فكفَر قومٌ مِن الجنِّ ، فكانتِ الملائكةُ تهبِطُ إليهم فى الأرضِ فتُقاتِلُهم ، فكانت الدماءُ وكان الفسادُ فى الأرضِ[٧] .

١/٢٠٠

وقال آخرون فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . أى : خُلَفاءَ[٨]

---

(١) بعده فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « فيها » .

(٢) فى الأصل : « معهم » .

(٣) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « ألحقهم » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٠١/١ عن المصنف .

وأخرجه الحاكم ٢٦١/٢ من طريق مجاهد عن ابن عباس به بنحوه ، وقال : صحيح الإسناد .

(٥ - ٥) فى ر : « فعنى بها » .

(٦) فى الأصل : « يخلقونه » .

(٧) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٨٤. وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٨٨٢) من طريق ابن أبى جعفر به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٥/١ إلى المصنف وابن أبى حاتم وأبى الشيخ عن أبى العالية . وهو عند ابن أبى حاتم ٧٧/١ (٣٢٢) .

(٨) فى ر : « خلقا » ، وفى م : « خلفا » .

يخلُفُ بعضُهم بعضًا ، وهم ولدُ آدمَ الذين يَخْلُفون أباهم آدمَ ، ويَخْلُفُ كلُّ قرنٍ منهم القرنَ الذى سلَف قبلَه . وهذا قولٌ حُكِى[1] عن الحسنِ البصرىِّ .

ونظيرٌ له ما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزّبيرىُّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن ابنِ سابطٍ فى قولِه : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ قال : يَعنُون به بنى آدمَ[2] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : قال اللَّهُ للملائكةِ : إنى أُريدُ أن أخلُقَ فى[3] الأرضِ خَلْقًا ، وأجعلَ فيها خليفةً . وليس للّهِ يومئذٍ خَلْقٌ إلا الملائكةُ ، والأرضُ ليس فيها خلقٌ[4] .

[٣٧/٢و] وهذا القولُ يَحْتَمِلُ ما حُكِى عن الحسنِ ، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ أراد ابنُ زيدٍ أن اللّهَ تعالى ذِكْرُه أخبَر الملائكةَ أنه جاعلٌ فى الأرضِ خليفةً له ، يَحْكُمُ فيها بينَ خلْقِه بحُكْمِه ، نظيرَ مَا **حدَّثنى** به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو ابنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، (٥عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ،٥) **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ ، أن اللّهَ جلَّ ثناؤُه قال للملائكةِ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . قالوا : ربَّنا وما يَكُونُ ذلك الخليفةُ ؟ قال يكونُ له ذريةٌ يُفْسِدُون فى الأرضِ

---

(١) فى الأصل : « يحكى » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٠١/١ عن الثورى به . وينظر ما سيأتى فى ص ٤٩١ .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٠١/١ عن ابن زيد . وهو جزء من الأثر الآتى فى ص ٤٩٥ .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

وَيَتَحاسَدونَ ويَقْتُلُ بعضُهم بعضًا[(١)] .

فكان تأويلُ الآيةِ على هذه الروايةِ التى ذكَرناها عن ابنِ مسعودٍ وابنِ عباسٍ : إنى جاعلٌ فى الأرضِ خليفةً منِّى يَخْلُفُنى فى الحكمِ بينَ خَلْقِى ، وذلك الخليفةُ هو آدمُ وَمَن قامَ مَقامَه فى طاعةِ اللهِ ، والحكمِ بالعدلِ بينَ خَلْقِه . وأما الإفسادُ وسفكُ الدماءِ بغيرِ حَقِّها فمن غيرِ خلفائِه ، ومن غيرِ آدمَ ومَن قام مَقامَه فى عبادِ اللهِ ؛ لأنهما أخبرَا أن اللهَ تعالى ذِكْرُه قال لملائكتِه إذْ سألوه : ما ذاك الخليفةُ ؟ : إنه خليفةٌ تكونُ له ذريةٌ يُفْسِدون فى الأرضِ ويتحاسَدون ويَقْتُلُ بعضُهم بعضًا . فأضاف الإفسادَ وسفْكَ الدماءِ بغيرِ حقِّها إلى ذريةِ خَليفتِه دونَه ، وأخرَج منه خليفتَه .

وهذا التأويلُ وإن كان مخالفًا فى معنى الخليفةِ ما حُكِى عن الحسنِ من وجهٍ ، فموافقٌ له من وجهٍ ، فأما موافقتُه إياه فصرْفُ متأوِّليه إضافةَ الإفسادِ فى الأرضِ وسَفْكِ الدماءِ فيها إلى غيرِ الخليفةِ . وأما مخالفتُه إياه ، فإضافتُهم الخلافةَ إلى آدمَ بمعنى استخلافِ اللهِ إياه فيها . وإضافةُ الحسنِ الخلافةَ إلى ولدِه ، بمعنى خلافةِ بعضِهم بعضًا ، وقيامِ قرْنٍ منهم مَقامَ قَرْنٍ قبلَهم ، وإضافةِ الإفسادِ فى الأرض وسَفْكِ الدماءِ إلى الخليفةِ .

والذى دعَا المتأوِّلين قولَه : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ التأويلَ[(٢)] [٢/٣٧ظ] الذى ذُكِر عن الحسنِ - إلى ما قالوا فى ذلك ؛ أنّهم قالوا : إن

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٠١ عن السدى به .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٧٧ (٣٢٤) من طريق السدى ، عمن حدثه ، عن ابن عباس وحده ، نحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٤٥ إلى عبد بن حميد . وسيأتى مطولا فى ص ٤٨٦- ٤٨٨، ٥٠٩، ٥١٠.

(٢) فى م : « فى التأويل » .

الملائكةَ إنما قالت لربِّها - إذ قال لهم ربُّهم : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ - : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . إخبارًا منها بذلك عن الخليفةِ الذى أخبرَ اللّهُ جلَّ ذِكْرُه أنه جاعِلُه فى الأرضِ لا عن[1] غيرِه ؛ لأن [2]المحاورةَ بين[2] الملائكةِ وبين ربِّها عنه جرتْ . قالوا : فإذ كان ذلك كذلك ، وكان اللّهُ تعالى ذِكْرُه قد برَّأ آدمَ من الإفسادِ فى الأرضِ وسفْكِ الدماءِ ، وطهَّره من ذلك ، عُلِمَ أن الذى عُنى به غيرُه من ذرِّيتِه . فثبَت أن / الخليفةَ الذى يفسِدُ فى الأرضِ ويَسفِكُ الدماءَ هو غيرُ آدمَ ، وأنهم ولدُه الذين فعلُوا ذلك ، وأن معنى الخلافةِ التى ذكَرها اللّهُ إنما هى خلافةُ قَرْنٍ منهم قرنًا ، عندَهم[3] ؛ لما وصَفْنا . وأغفَل قائلُو هذه المقالةِ ومتأوِّلو الآيةِ هذا التأويلَ سبيلَ التأويلِ ، وذلك أن الملائكةَ - إذ قال لها ربُّها : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ - لم تُضِفِ[4] الإفسادَ وسفْكَ الدماءِ فى جوابِها ربَّها إلى خليفتِه فى أرضِه ، بل قالت : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . [5]وغيرُ مُنكرٍ أن يكونَ ربُّها أعلَمَها أنه يكونُ لخليفتِه ذلك ذريةٌ يكونُ منهم الإفسادُ وسفــكُ الدماءِ ، [6]فقالت : يا ربَّنا ، أتجعلُ فيها من يفسِدُ فيها ويسفِكُ الدماءَ[5][6] . كما قال ابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ ومَن حكَيْنا ذلك عنه من أهلِ التأويلِ[7] .

٢٠١/١

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى ر : « المجاورة من » .

(٣) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ : « غيرهم » . وعندهم . يعنى عند هؤلاء المتأولين .

(٤) فى ص : « تصف » ، وفى : ت ٢: « يصف » .

(٥ - ٥) سقط من : ر .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) بعده فى ص : « على الأصل المنقول منه بلغت من أوله قراءتى على القاضى أبى الحسن الخصيب بن عبد الله الخصيبى عن أبى محمد الفرغانى عن أبى جعفر الطبرى . وسمع معى أخى على بن أحمد بن =

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه خبرًا عن ملائكتِه : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ .

إن قال لنا قائلٌ : وكيف قالتِ الملائكةُ لربِّها ، إذ أخبَرها أنه جاعلٌ فى الأرضِ خليفةً : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . ولم يكنْ آدمُ بعدُ مخلوقًا ولا ذريتُه ، فيعلَموا ما يفعَلون عِيانًا ؟ أعلِمتِ الغيبَ فقالت ذلك ، أم [١/٣٨و] قالت ما قالت مِن ذلك ظنًّا ؟ فذلك شهادةٌ منها بالظنِّ ، وقولٌ بما لا تعلمُ ، وذلك ليس مِن صفتِها ، أمْ ما وجهُ قِيلِها ذلك لربِّها ؟

قيل : قد قالتِ العلماءُ من أهلِ التأويلِ فى ذلك أقوالًا ، ونحن ذاكِرو أقوالِهم فى ذلك ، ثم مُخْبِرون بأصحِّها برهانًا وأوضحِها حُجةً .

فرُوِى عن ابنِ عباسٍ فى ذلك ما **حدثنا** به أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان إبليسُ مِن حىٍّ مِن أحياءِ الملائكةِ يقالُ لهم : الجنُّ[(١)] . خُلِقوا من نارِ السَّمومِ مِن بينِ الملائكةِ . قال : وكان اسمُه الحارثَ . قال : وكان خازنًا مِن خُزَّانِ الجنةِ . قال : وخُلِقتِ الملائكةُ كلُّهم مِن نورٍ غيرَ هذا الحىِّ . قال : وخُلِقتِ الجنُّ الذين ذُكِروا فى القرآنِ من مارجٍ من نارٍ - وهو لسانُ النارِ الذى يكونُ فى طرَفِها إذا أُلهِبَت - قال : وخلِق الإنسانُ [(٢)]من طينٍ[(٢)] ، فأولُ مَن سكَن الأرضَ الجنُّ ، فأفسَدوا فيها وسفَكوا الدماءَ ، وقتَل بعضُهم بعضًا . قال : فبعَث اللَّهُ جلَّ وعزَّ إليهم

= عيسى ونصر بن الحسن الطبرى . وسمع أبوالفتح أحمد بن عمر الجهارى من موضع سماعه . وكتب محمد بن أحمد بن عيسى السعدى فى جمادى الآخرة سنة ثمان وأربع مائة ، بسم الله الرحمن الرحيم رب تمم » .

(١) فى ص : « الحن » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

إبليسَ فى جندٍ مِن الملائكةِ - وهم[(١)] هذا الحىُّ [(٢)]الذين يُقالُ لهم : الجنُّ[(٢)] - فقتَلهم إبليسُ ومن معه حتى ألحَقَهم بجزائرِ البُحورِ وأطرافِ الجبالِ ، فلما فعَل إبليسُ ذلك اغترَّ[(٣)] فى نفسِه ، وقال : قد صنَعْتُ شيئًا لم يَصْنَعْه أحدٌ . قال : فاطَّلع اللَّهُ على ذلك مِن قلبِه ، ولم تطَّلِعْ عليه الملائكةُ الذين كانوا معه ، فقال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه للملائكةِ [(٤)]الذين معه[(٤)] : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . فقالتِ الملائكةُ مجيبين له : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ ، كما أفسَدتِ الجنُّ وسفَكتِ الدماءَ ، وإنما بعَثْتَنا[(٥)] عليهم لذلك ، فقال : ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . يقولُ : إنى قد اطَّلعتُ من قلبِ إبليسَ على ما لم تطَّلعوا عليه من كِبْرِه واغْتِرارِه[(٦)] .

قال : ثم أمَر بتربةِ آدمَ فرُفِعَت ، فخلَق اللَّهُ آدمَ مِن طينٍ لازِبٍ - واللازِبُ اللَّزِجُ الطيِّبُ[(٧)] - مِن حمأٍ مَسْنونٍ مُنْتِنٍ . قال : وإنما كان حمأً مسنونًا بعدَ الترابِ . قال : فخلَق [١/٣٨ظ] منه آدمَ عليه السلامُ بيدِه . قال : فمكَث أربعينَ ليلةً جسدًا ملقًى ، فكان إبليسُ يَأْتِيه فيَضْرِبُه برِجْلِه فيُصَلْصِلُ - أى[(٨)] : فيُصَوِّتُ - قال : فهو / قولُ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] . يقولُ : كالشىءِ المنفوخِ[(٩)] الذى ليس بمُصمَتٍ[(١٠)] . قال : ثم يَدْخلُ فى فِيه ويَخرجُ من دُبُرِه ، ١/٢٠٢

(١) فى الأصل : « هو » .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣) فى الأصل ، ص : « اعتز » .
(٤ - ٤) سقط من : ص .
(٥) فى ص ، م : « بعثنا » ، وفى ت ٢ : « بغينا » ، وفى ت ١ : « بقينا » .
(٦) فى الأصل ، ص : « اعتزازه » .
(٧) فى ص ، ر ، م ، ت ١ : « الصلب » .
(٨) زيادة من : م .
(٩) فى ر ، ت ٢ : « المنفرج » .
(١٠) المصمت : الذى لا جوف له . اللسان (ص م ت) .

ويَدْخلُ من دُبُرِه ، ويَخرُجُ من فِيه ، ثم يقولُ : لستَ شيئًا للصلصلةِ ، ولشيءٍ ما خُلقتَ ، لئن سُلِّطتُ عليك لأُهْلِكَنَّك ، ولئن سُلِّطْتَ علىَّ لأَعْصِيَنَّك . قال : فلما نفَخ اللَّهُ فيه من رُوحِه ، أتَتِ النَّفخةُ مِن قِبلِ رأسِه فجعَل لا يَجرِى شىءٌ منها فى جسدِه إلا صار لحمًا ودمًا ، فلما انتهتِ النفخةُ إلى سُرَّتِه نظَر إلى جسدِه ، فأعْجَبه ما رأى مِن حُسنِه ، فذهَب ليَنهضَ فلم يَقدِرْ ، فهو قولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَانَ[1] ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء : ١١] . قال : ضجِرًا لا صبْرَ له على سَرَّاءَ ولا ضَرّاءَ . قال : فلما تمَّتِ النفخةُ فى جسدِه عطَس فقال : الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين . بإلهامِ اللَّهِ له ، فقال اللَّهُ له : يَرْحَمُك اللَّهُ يا آدمُ . قال : ثم قال اللَّهُ للملائكةِ الذين كانوا مع إبليسَ خاصةً دونَ الملائكةِ الذين فى السماواتِ : اسْجُدوا لآدمَ . فسجَدوا كلُّهم أجمعون إلا إبليسَ أبَى واستكبر ، لما كان[2] حدَّث به[3] نفسَه مِن كِبْرِه واغتِرارِه[4] ، فقال : لا أسجدُ له ، وأنا خيرٌ منه ، وأكبر سنًّا وأقوى خلقًا ، ﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١٢] . يقولُ : إن النارَ أقْوَى مِن الطينِ . قال : فلما أبَى إبليسُ أن يسجدَ أبْلَسَه اللَّهُ ، أى[5] : آيَسَه مِن الخيرِ كلِّه ، وجعَله شيطانًا رَجيمًا عقوبةً لمعصيتِه .

ثم علَّم آدمَ الأسماءَ كلَّها ، وهى هذه الأسماءُ التى يَتعارَفُ بها الناسُ ؛ إنسانٌ ودابةٌ وأرضٌ وسهلٌ وبحرٌ وجبلٌ[6] وحمارٌ ، وأشباهُ ذلك مِن الأممِ وغيرِها ، ثم عرَض

---

(١) فى الأصل ، ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ : « خلق » ، وفى الدر المنثور : « خلق الإنسان من عجل » ، وفى تفسير ابن كثير تركت على الخطأ كما جاءت فى المخطوطات الخمس المذكورة .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) سقط من : الأصل ، ر .

(٤) فى ص : « اعتزازه » .

(٥) سقط من : الأصل ، وفى م : « و » .

(٦) فى ص : « حبل » .

هذه الأسماءَ على أولئك الملائكةِ - يعنى الملائكةَ الذين كانوا مع إبليسَ الذين خُلِقوا مِن نارِ السمومِ - وقال لهم : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ . يقولُ : أخْبِرُونى بأسماءِ هؤلاء ، ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ : [(1)] إن كنتم [(1)] تَعلمون لمَ [(2)] أجعَلُ فى الأرضِ خليفةً . قال : فلمّا علِمتِ الملائكةُ مُؤاخذةَ [(3)] اللّهِ عليهم فيما تكلَّموا به من علمِ الغيبِ الذى لا يعلمُه غيرُه ، الذى ليس لهم به علمٌ ، قالوا : ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ - تنزيهًا للّهِ مِن أن يكونَ أحدٌ [٣٩/٢و] يعلمُ الغيبَ غيرَه - تبنا إليك ، ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ - تبَرِّيًا منهم من علمِ الغيبِ - ﴿ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ كما علَّمْتَ آدمَ . فقال : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ . يقولُ : أخبِرْهم بأسمائِهم ، ﴿ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ . [(4)] يقولُ : أخبَرَهم [(4)] بأسمائهم ، ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ ﴾ أيها الملائكةُ خاصةً : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ، ولا يَعْلَمُه غيرى ، ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ . يقول : ما تُظْهِرون ، ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . يقول : أعلمُ السرَّ كما أعلمُ العَلانيةَ ، يعنى ما [(5)] كتَم إبليسُ فى نفسِه مِن الكِبْرِ والاغْتِرارِ [(6)] .

وهذه الروايةُ عن ابنِ عباسٍ تُنبئُ عن أن قولَ اللّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَإِذْ قَالَ

(١ - ١) فى ص ، ر ، م : « أنكم » .

(٢) فى ص ، م ، ت٢ : « أنى » .

(٣) فى ص : « موجدة » .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ .

(٥) فى ص ، ر : « مما » .

(٦) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٠ مفرقًا .

وعزاه ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٠٨ إلى المصنف بطوله ، وقال عقبه : هذا سياق غريب ، وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها ، وهذا الإسناد إلى ابن عباس يروى به تفسير مشهور .

رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . خطابٌ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ لخاصٍّ مِن الملائكةِ دونَ الجميعِ ، وأن الذين قيل لهم ذلك من الملائكةِ كانوا قبيلةَ إبليسَ خاصةً ، الذين قاتَلوا معه جنَّ الأرضِ قبلَ خلقِ آدمَ ، وأن اللَّهَ إنما خصَّهم بقيلِ ذلك امتحانًا منه لهم وابتلاءً ؛ ليعرِّفَهم قصورَ علْمِهم وفضْلَ كثيرٍ ممَّن هو أضعفُ خَلْقًا منهم من خَلْقِه عليهم ، وأن كرامتَه لا تُنالُ بقُوَى الأبدانِ وشدةِ الأجسامِ ، كما ظنَّه إبليسُ عدوُّ اللَّهِ ، ومُصَرِّحٌ[(١)] بأن قِيلَهم لربِّهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . كانت هَفوةً منهم ورَجْمًا بالغيبِ ، وأن اللَّهَ أطْلَعَهم على مكروهِ ما نطَقوا به مِن ذلك ، ووقَّفهم عليه حتى تابوا وأنابوا / إليه مما قالوا ونطَقوا مِن رَجْمِ الغيْبِ بالظُّنونِ ، وتبرَّءُوا إليه من أن يَعْلَمَ الغيبَ غيرُه ، وأظْهَر لهم مِن إبليسَ ما كان مُنطوِيًا عليه من الكِبْرِ الذى قد كان عنهم مستَخْفِيًا . ٢٠٣/١

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ خلافُ هذه الروايةِ ، وهو ما **حدَّثنى** به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السديِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : لما فرَغ اللَّهُ مِن خلقِ ما أحبَّ ، استوى على العرشِ ، فجعَل إبليسَ على مُلْكِ سماءِ الدنيا ، وكان من قبيلةٍ من الملائكةِ يُقالُ لهم : الجنُّ . وإنما سُمُّوا الجنَّ لأنهم خُزَّانُ الجنةِ ، وكان إبليسُ مع مُلكِه خازنًا ، [٣٩/٢ظ] فوقَع فى صدرِه كِبْرٌ ، وقال : ما أعطانى اللَّهُ هذا إلا لمزيدٍ[(٢)] لى - هكذا قال موسى ابنُ هارونَ ، وقد **حدَّثنى** به[(٣)] غيرُه[(٤)] فقال : لـمَزِيَّةٍ لى - على الملائكةِ . فلما وقَع

---

(١) فى ر : « تصرح » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ : « يصرح » .
(٢) فى الأصل ، وتاريخ المصنف : « لمزية » .
(٣) سقط من : الأصل .
(٤) هو أحمد بن أبى خيثمة ، كما صرح المصنف باسمه فى تاريخه ١/ ٨٦.

ذلك الكِبْرُ في نفسِه ، اطَّلَع اللَّهُ على ذلك منه ، فقال اللَّهُ للملائكةِ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . قالوا : ربَّنا ، وما يكونُ ذلك الخليفةُ ؟ قال : يكونُ له ذريةٌ يُفْسِدُون في الأرضِ ويتحاسَدون ويَقْتُلُ بعضُهم بعضًا . قالوا : ربَّنا ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . يعني من شأنِ إبليسَ . فبعَث جبريلَ عليه السلامُ إلى الأرضِ ليأْتِيَه بطِينٍ منها ، فقالتِ الأرضُ : إني أعوذُ باللَّهِ منك أن تَنقُصَ مني أو تَشِينَني . فرجَع ولم يأخُذْ ، وقال : ربِّ إنها عاذَت بك فأعذْتُها . فبعَث اللَّهُ مِيكائيلَ ، فعاذَت منه فأعاذها ، فرجَع فقال كما قال جبريلُ ، فَبعَث مَلَكَ الموتِ ، فعاذت منه ، فقال : وأنا أَعوذُ باللَّهِ أن أرجِعَ ولم أُنْفِذْ أمْرَه . فأخَذ مِن وجهِ الأرضِ وخلَط ، فلم يَأْخُذْ من مكانٍ واحدٍ ، وأخَذ مِن تُرْبةٍ حمراءَ وبيضاءَ وسوداءَ ، فلذلك خرَج بنو آدمَ مُخْتَلِفين ، فصَعِد به فبلَّ الترابَ حتى عاد طينًا لازبًا - واللازبُ هو الذي يَلْتَزِقُ بعضُه ببعضٍ - ثم تُرِك حتى أنْتَن وتغيَّر ، فذلك حينَ يقولُ : ﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٦] . قال : مُنْتِنٍ . ثم قال للملائكةِ : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [ص : ٧١، ٧٢] . فخلَقه اللَّهُ بيدَيْه ، لكَيْلا يَتكبَّرَ إبليسُ عنه ليقولَ له : تتكبَّرُ عما عمِلْتُ بيديَّ ، ولم أتكبَّرْ أنا عنه ؟ فخلَقه بشرًا ، فكان جسدًا من طينٍ أربعين سنةً مِن مقدارِ يوم الجمعةِ ، فمرَّت به الملائكةُ ، ففزِعوا منه لمَّا رأَوْه ، وكان أشدَّهم منه فزَعًا إبليسُ ، فكان يمرُّ به فيضرِبُه ، فيُصَوِّتُ الجسدُ كما يُصَوِّتُ الفَخَّارُ ، وتَكُونُ له صَلْصَلةٌ ، فذلك حينَ يقولُ : ﴿ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] . ويقولُ : لأمرٍ ما خُلِقْتَ . ودخَل مِن[1] فِيه فخرَج مِن دُبُرِه . فقال للملائكةِ : لا تَرْهَبوا مِن هذا ، فإن ربَّكم صَمَدٌ وهذا أجوفُ ،

(١) سقط من : الأصل ، م .

لئن سُلِّطْتُ عليه لأُهْلِكَنَّه . فلمّا بلَغ الحينَ الذى يُريدُ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أن يَنفُخَ فيه [٢/٤٠و] الرُّوحَ ، قال للملائكةِ : إذا نفَخْتُ فيه مِن رُوحى فاسْجُدوا له . فلمّا نفَخ فيه الرُّوحَ فدخَل الرُّوحُ فى رأسِه ، عطَس ، فقالت له الملائكةُ : قل : الحمدُ للَّهِ . فقال : الحمدُ للَّهِ . فقال له اللَّهُ : رحِمك ربُّك . فلما دخَل الروحُ فى عينَيْهِ نظَر إلى ثِمارِ الجنةِ ، فلمّا دخَل فى جوفِه اشْتهَى الطعامَ ، فوثَب قبلَ أن تَبْلُغَ الروحُ رجليْه عَجْلانَ إلى ثمارِ الجنةِ ، فذلك حينَ يقولُ : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ ﴾ [الأنبياء: ٣٧]. ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر ٣٠، ٣١] أى[1] :/ استكبر وكان من الكافرين . قال اللَّهُ له : ما ١/٢٠٤ منَعك أنْ تَسجدَ إذ أمَرتُك لِما خلقتُ بيدَىَّ . قال : أنا خيرٌ منه لم أكُنْ لأَسْجُدَ لبشرٍ خلقتَه من طينٍ . قال اللَّهُ له : اخْرُجْ منها فما يَكُونُ لك - يعنى: ما يَنْبغى لك - أنْ تَتَكبَّرَ فيها ، فاخْرُجْ إنك مِن الصاغِرين . والصَّغارُ هو الذُّلُّ . قال : وعلَّم آدمَ الأسماءَ كلَّها ، ثم عرَض الخَلْقَ على الملائكةِ فقال : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنَّ بنى آدمَ يُفسِدون فى الأرضِ ويَسفِكون الدماءَ . فقالوا له : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . قال اللَّهُ : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . قال: قولُهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . فهذا الذى أبْدَوْا ، وأَعْلَمُ ما كنتم تكْتُمون ، يعنى ما أسَرَّ إبليسُ فى نفسِه من الكِبْرِ[2] .

---

(١) فى م : « أبى » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٨١، ٨٥، ٨٦، ٩٠، ٩٣، ٩٤، ١٠٠ مفرقا .

وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (٧٧٣) ، وابن عساكر فى تاريخه ٧/ ٣٧٧، ٣٧٨ من طريق عمرو بن حماد به ، دون قوله : قال الله له : اخرج منها فما يكون لك ...

فهذا الخبرُ أولُه مُخالِفٌ معْناه معنى الروايةِ التى رُوِيتْ عن ابنِ عباسٍ مِن روايةِ الضحاكِ التى قدمْنا ذِكْرَها قبلُ ، وموافقٌ معنى آخرِه معناها ، وذلك أنه ذُكِر فى أوَّلِه أن الملائكةَ سأَلت ربَّها : ما ذاك الخليفةُ ؟ حين قال لها : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . فأجابها أنه تكونُ له ذُرِّيةٌ يُفسِدُون فى الأرضِ ويَتَحاسَدُون ويَقتلُ بعضُهم بعضًا ، فقالت الملائكةُ حينئذٍ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . فكان قولُ الملائكةِ ما قالت لربِّها من ذلك بعدَ إعلامِ اللَّهِ إياها أن ذلك كائنٌ من ذريةِ الخليفةِ الذى يجعَلُه فى الأرضِ . [٢/٤٠ظ] فذلك معنى خلافِ أولِه معنى خبرِ الضحاكِ الذى ذكرْناه .

وأما موافقتُه إياه فى آخرِه ، فهو قولُهم فى تأويلِ قولِه : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أن بنى آدمَ يفسِدون فى الأرضِ ويَسْفِكون الدماءَ ، وأن الملائكةَ قالت - إذ قال لها ربُّها ذلك - تبَرِّيًا مِن علمِ الغيبِ : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

وهذا إذا تدَبَّره ذو الفهمِ ، علِم أنَّ أولَه يُفْسِدُ آخرَه ، وأن آخِرَه يُبطِلُ معنى أولِه ، وذلك أن اللَّهَ تعالى ذكره إن كان أخبرَ الملائكةَ أن ذريةَ الخليفةِ الذى يَجْعَلُه فى الأرضِ تُفْسِدُ فيها وتَسْفِكُ الدماءَ ، فقالتِ الملائكةُ لربِّها : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . فلا وجهَ لتوبيخِها على أن أخْبَرَت عمَّن أخْبَرَها اللَّهُ عنه أنه يُفسِدُ فى الأرضِ ويَسفِكُ الدماءَ ، بمثلِ الذى أخْبَرَها عنهم ربُّها ، فيَجُوزَ أن يُقالَ لها فيما طوَى عنها مِن العلومِ : إن كنتم صادقين فيما علِمْتُم بخبرِ اللَّهِ إياكم أنه كائنٌ مِن الأمورِ فأَخبَرْتُم به ، فأخْبِرونا بالذى قد طوَى اللَّهُ عنكم علمَه ، كما قد أخْبَرْتُمونا بالذى قد أطْلَعَكم اللَّهُ [(١] على علمِه [١)] - بل ذلك خُلْفٌ مِن التأويلِ ، ودعوَى على اللَّهِ

(١ - ١) فى م : « عليه » .

ما لا يَجوزُ أن يكونَ (١ له صفةٌ ، وأخْشَى أن يَكُونَ بعضُ نَقَلةِ هذا الخبرِ هو الذى غَلِط على مَن رواه عنه مِن الصحابةِ ١) ، وأن يكونَ التأويلُ منهم (٢) كان فى (٣) ذلك : ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما ظنَنْتم أنكم أدْرَكْتموه مِن العلمِ بخبَرى إياكم أن بنى آدمَ يُفسِدون فى الأرضِ ويَسفِكون الدماءَ ، حتى اسْتَجَزْتم أن تَقُولوا : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ . فيكونُ التَّوْبيخُ حينئذٍ واقعًا على ما ظنُّوا أنهم قد أدْرَكوا بقولِ اللَّهِ لهم : إنه يكونُ له ذريةٌ يُفسِدون فى الأرضِ ويَسفِكون الدماءَ . لا على / إخبارِهم بما أخبرهم اللَّهُ به أنه كائنٌ ، وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤه وإن كان أخبَرهم عما يكونُ مِن بعضِ ذريةِ خليفتِه فى الأرضِ ، ما يكونُ منه فيها مِن الفسادِ وسَفْكِ الدماءِ ، فقد كان طوَى عنهم الخبرَ عما يكونُ من كثيرٍ منهم بما يكونُ مِن طاعتِهم ربَّهم ، وإصلاحِهم (٤) فى أرضِه وحَقْنِ الدماءِ ، ورفعِه (٥ منزلتَهم ، وكرامتِهم ٥) عليه ، فلم يُخْبِرْهم بذلك ، فقالتِ الملائكةُ : [٤١/٢و] ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ على ظنٍّ منها - على تأويلِ هذيْن الخبرَيْن اللذيْن ذكَرْتُ وظاهِرِهما - أن جميعَ ذريةِ الخليفةِ الذى يُجعَلُ (٦) فى الأرضِ يُفسِدون فيها ، ويَسفِكون فيها الدماءَ ، فقال اللَّهُ لهم ، إذ علَّم آدمَ الأسماءَ كلَّها : ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنكم تَعْلَمون أن جميعَ بنى آدمَ يُفسِدون فى الأرضِ ويَسفِكون الدماءَ ، على ما

٢٠٥/١

(١ - ١) سقط من : ر .
(٢) فى الأصل : « عنهم » .
(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ : « على » .
(٤) فى ر : « إصلاحه » .
(٥ - ٥) فى ر : « منزلته وكرامته » .
(٦) فى م : « يجعله » .

ظننتُم فى أنفسِكم . إنكارًا منه لِقيلِهم ما قالوا مِن ذلك على الجميعِ والعمومِ ، وهو مِن صفةِ خاصٍّ ذريةِ الخليفةِ منهم . وهذا الذى ذكَرْنا هو صفةٌ منا لتأويلِ الخبرِ لا القولُ الذى نَخْتارُه فى تأويلِ الآيةِ .

ومما يَدُلُّ على ما ذكَرْنا مِن توجيهِ مَخْرجِ[(١)] خبرِ الملائكةِ عن إفسادِ ذريةِ الخليفةِ وسَفْكِها الدماءَ على العمومِ ما **حدَّثنا** به أحمدُ[(٢)] بنُ إسحاقَ الأهْوازىُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرىُّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سابطٍ قولَه : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . قال : يعْنون الناسَ[(٣)] .

وقال آخرون فى ذلك بما **حدَّثنا** به بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . فاستشارَ[(٤)] الملائكةَ فى خلقِ آدمَ ، فقالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . وقد علِمتِ الملائكةُ مِن علمِ اللَّهِ أنه لا شىءَ أكْرَهُ إلى اللَّهِ مِن سَفْكِ الدماءِ والفسادِ فى الأرضِ ، ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . فكان فى علمِ اللَّهِ أنه سيكونُ مِن تلك[(٥)] الخليفةِ أنبياءُ ورسلٌ ، وقومٌ صالحون ، وساكِنو[(٦)] الجنةِ . قال : وذُكِر لنا أن ابنَ عباسٍ كان يقولُ : إن اللَّهَ لما أخَذ فى خلقِ آدمَ قالتِ الملائكةُ : ما اللَّهُ خالقٌ خلقًا أكرمَ عليه منَّا ، ولا أعلمَ

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « بن أحمد » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٧٨ (٣٢٦) من طريق أبى أحمد الزبيرى به . وينظر ما تقدم فى ص ٤٧٩ .

(٤) فى م : « فاستخار » .

(٥) سقط من : ص ، وفى م : « ذلك » .

(٦) فى الأصل ، ص : « ساكن » .

منّا . فابْتُلوا بخلقِ آدمَ - وكلُّ خلقٍ مُبتلًى - كما ابْتُلِيَتِ السماواتُ والأرضُ بالطاعةِ ، فقال اللَّهُ : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[1] [فصلت : ١١] .

وهذا الخبرُ عن قتادةَ يَدُلُّ على أن قتادةَ كان يرى أن الملائكةَ قالت ما قالت مِن قولِها : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . على غيرِ[2] [٤١/٢ظ] يقينِ علمٍ تقَدَّم منها بأن ذلك كائنٌ ، ولكن على الرأيِ منها والظنِّ ، وأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه أنكر ذلك مِن قيلِها ، وردَّ عليها ما رأَت بقولِه : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . مِن أنه يكونُ مِن ذريةِ ذلك الخليفةِ الأنبياءُ والرسلُ والمُجْتَهِدُ فى طاعةِ اللَّهِ .

وقد رُوِى عن قتادةَ خلافُ هذا التأويلِ ، وهو ما **حدَّثنا** به الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . قال : كان اللَّهُ أعلَمَهم[3] إذا كان فى الأرضِ خلقٌ أَفْسَدوا فيها ، وسفَكوا الدماءَ ، فذلك قولُه : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾[4] .

وبمثلِ قولِ قتادةَ قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ ، منهم الحسنُ البصريُّ .

١/٢٠٦ /**حدَّثنا** القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، **عن** جريرِ بنِ حازمٍ ومبارَكٍ ، عن الحسنِ ، وأبى بكرٍ ، عن الحسنِ وقتادةَ ، قالا : قال اللَّهُ لملائكتِه : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . قال لهم : إنى فاعلٌ . فعرَضُوا برأيِهم ، فعلَّمهم علمًا ، وطوَى عنهم علمًا علِمه لا يَعْلَمونه ، فقالوا بالعلمِ الذى علَّمهم : ﴿ أَتَجْعَلُ

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٠٠، ١٠١ . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣٩٩/٧ من طريق شيبان ، عن قتادة ، نحوه . وينظر ما سيأتى فى ص ٥١٠ .

(٢) من هنا إلى قوله : « قال : علمه اسم » . ص٤٩٣ سقط من المخطوط الأصل .

(٣) بعده فى ص ، ر : « أنّه » ، وينظر تفسير ابن كثير ١/ ١٠٢.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٨/١ (٣٢٥) عن الحسن بن يحيى به .

فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . وقد كانت الملائكةُ علِمتْ مِن علم اللَّهِ أنه لا ذنبَ أعظمَ عندَ اللَّهِ مِن سَفْكِ الدماءِ ، ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . فلما أخَذ فى خلقِ آدمَ همَستِ الملائكةُ فيما بينَها ، فقالوا : ليخْلُقْ ربُّنا ما شاء أن يَخْلُقَ ، فلن يَخْلُقَ خَلقًا إلا كنّا أعلمَ منه ، وأكرمَ عليه منه . فلمّا خلَقه ونفَخ فيه مِن روحِه ، أمَرهم أن يَسجدوا له لِمَا قالوا ، ففضَّله عليهم ، فعلِموا أنهم ليسوا بخيرٍ منه ، فقالوا : إن لم نَكنْ خيرًا منه ، فنحن أعلمُ منه ؛ لأنا كنا قبلَه ، وخُلِقتِ الأممُ قبلَه . فلما أُعْجِبوا بعلمِهم ابتُلوا ، ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنى لا أَخْلُقُ خلقًا إلا كنتم أعلمَ منه ، فأَخْبِرونى بأسماءِ هؤلاءِ إنْ كنتم صادقينَ . قال : ففزِع القومُ إلى التوبةِ - وإليها يَفْزَعُ كلُّ مؤمنٍ - فقالوا : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . لقولِهم : لِيَخْلُقْ ربُّنا ما شاء ، فلن يَخْلُقَ خلقًا أكرمَ عليه منا ، ولا أعلمَ منا . قال : علَّمه اسمَ [٢/ ٤٢و] كلِّ شىءٍ ؛ هذه الخَيْلُ[(١)] ، وهذه البِغالُ ، والإبلُ ، والجنُّ ، والوحشُ ، وجعَل يُسمى كلَّ شىءٍ باسمِه ، وعُرِضَت عليه أمَّةً أمَّةً : ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . قال: أما ما أبْدَوْا فقولُهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . وأمَّا ما كتَموا فقولُ بعضِهم لبعضٍ : نحن خيرٌ منه وأعلمُ[(٢)] .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « الجبال » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ بتمامه . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٧٧=

حدَّثني المثنَّى بنُ إبراهيمَ الآمُليُّ ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ في قولِه : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الآية . قال : إنَّ اللَّهَ خلَق الملائكةَ يومَ الأربعاءِ ، وخلَق الجنَّ يومَ الخميسِ ، وخلَق آدمَ يومَ الجمعةِ . قال : فكفَر قومٌ مِن الجنِّ ، فكانتِ الملائكةُ تهْبِطُ إليهم فى الأرضِ فتُقاتِلُهم ، فكانتِ الدماءُ ، وكان الفسادُ فى الأرضِ ، فمِن ثَمَّ قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ الآية[1] .

[2]**حُدِّثْتُ** عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ بمثلِه[2] .

حدِّثتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن غيرِ[3] الربيعِ ابنِ أنسٍ : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . قال : وذلك حينَ قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قال : فلما عرَفوا أنه جاعلٌ فى الأرضِ خليفةً ، قالوا بينَهم : لن يَخلُقَ اللَّهُ خلقًا إلا كنا نحن أعلمَ منه وأكرمَ . فأراد اللَّهُ جلَّ ذكرُه أن يُخبرَهم أنه قد فضَّل عليهم آدمَ ، وعلَّم آدمَ الأسماءَ كلَّها ، فقال للملائكةِ : ﴿ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَأَعْلَمُ / مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . فكان ١/٢٠٧

= (٣٢٣) من طريق مبارك ، عن الحسن به مختصرًا . وقد تقدم مختصرًا فى ص ٤٧٥ . وينظر تاريخ دمشق ٧/ ٣٩٩.

(١) تقدم فى ص ٤٧٨.

(٢ - ٢) فى ص : « حدثنا محمد بن جرير قال » .

(٣) سقط من : ر .

الذى أبْدَوْا حينَ قالوا :﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . وكان الذى كتَموا بينَهم قولَهم : لن يَخْلُقَ ربُّنا خلقًا إلا كنا نحن أعلمَ منه وأكرمَ . فعرَفوا أن اللَّهَ فضَّل عليهم آدمَ فى العلمِ والكرمِ(١) .

وقال ابنُ زيدٍ بما حدَّثنى به يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : لمّا خلَق اللَّهُ النارَ ذُعِرَت منها الملائكةُ ذُعْرًا شديدًا ، وقالوا : ربَّنا لمَ خلَقْتَ هذه النارَ ، ولأىِّ شىءٍ خلَقْتَها ؟ [٢/ ٤٢ظ] قال : لِمَن عصانى مِن خَلْقى . قال : ولمْ يَكُنْ للَّهِ(٢) خَلْقٌ يومَئذٍ إلا الملائكةُ ، والأرضُ ليس فيها خلقٌ ، إنما خُلِق آدمُ بعدَ ذلك . وقرَأ قولَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان : ١] . قال : قال عمرُ بنُ الخطابِ : يا رسولَ اللَّهِ ، ليتَ ذلك الحينَ(٣) . ثم قال : وقالتِ الملائكةُ : يا ربِّ ، أو يأتى علينا دهرٌ نعصِيك فيه ! - لا يَرَون له خلقًا غيرَهم - قال :لا ، إنى أُرِيدُ أن أَخلُقَ فى الأرضِ خلْقًا ، وأَجعَلَ فيها خَليفةً(٤) ، يَسفِكون الدماءَ ويُفْسِدون فى الأرضِ . فقالت الملائكةُ : أتَجعلُ فى الأرض مَن يفسدُ فيها ويسفكُ الدماءَ وقد اخترتَنا ؟ فاجْعَلْنا نحن فيها ، فنحن نُسبِّحُ بحمدِك ونُقدِّسُ لك ، ونعمَلُ فيها بطاعتِك . وأعظَمت الملائكةُ أن يَجْعَلَ اللَّهُ فى الأرضِ مَن يَعْصِيه ، فقال : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ . فقال : فلانٌ ، وفلانٌ . قال : فلما رأَوْا ما أعْطاه اللَّهُ مِن العلمِ عليهم(٥) ،

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٠٢، ١٠٣ بهذا الإسناد عن الربيع . ووقع فيه : حدثنا عمار بن الحسن .

(٢) فى الأصل ، ر : « الله » .

(٣) أى : ليت الإنسان بقى شيئا غير مذكور ، خوفا من يوم القيامة .

وقول عمر أخرجه ابن المبارك فى الزهد (٢٣٥) ، وأبو عبيد فى الفضائل ص ٧٠. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٩٧ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) فى ص ، م : « خليقة » .

(٥) سقط من : م .

أقرُّوا لآدمَ بالفضلِ عليهم ، وأبى الخبيثُ إبليسُ أن يُقِرَّ له ، قال : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ [1] [الأعراف : ١٢، ١٣] .

وقال ابنُ إسحاقَ بما حدَّثنا به ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : لما أراد اللَّهُ أن يَخْلُقَ آدمَ بقدرتِه ليَبْتَليَه ويَبْتَلِيَ به ، لعلمِه بما في ملائكتِه وجميعِ خلقِه - وكان أولَ بلاءٍ ابتُلِيَت به الملائكةُ مما لها فيه ما تُحِبُّ وما تَكْرَهُ ، للبلاءِ والتَّمْحيصِ لما فيهم مما لم يَعْلَموا ، وأحاط به علمُ اللَّهِ منهم - جمَع [2] الملائكةَ مِن سكانِ السماواتِ والأرضِ ، ثم قال : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . يقول : ساكنًا وعامرًا ليَسْكنَها ويَعْمُرَها ، خَلْقًا [3] ليس منكم . ثم أخْبَرَهم بعلمِه فيهم ، فقال : يُفْسِدون في الأرضِ ويَسفِكون الدماءَ ويَعمَلون بالمعاصي . فقالوا جميعًا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . لا نَعْصِى ، ولا نَأْتى شيئًا كرِهْته ، ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [4] أي [5] : فيكم ومنكم - ولم يُبْدِها لهم - مِن المعصيةِ والفسادِ وسفكِ الدماءِ وإتيانِ ما أَكْرَهُ منهم ، مما يكونُ في الأرضِ مما ذكَرْتُ في بني آدمَ .

قال اللَّهُ لمحمدٍ ﷺ : ﴿ مَا كَانَ لِىَ مِنْ [٤٣/٢و] عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص : ٦٩- ٧٢] .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٥/١ إلى المصنف مختصرًا . وينظر الدر المنثور ٢٩٧/٦.

(٢) في الأصل ، م : « جميع » .

(٣) في ر : « خلفا » .

(٤) بعده في ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢: « قال » .

(٥) بعده في م : « إني أعلم » .

فذكَر لنبيِّه ﷺ الذى كان مِن ذِكرِه آدمَ ﷺ حينَ أراد خلقَه ، ومُراجعةِ الملائكةِ إياه فيما ذكَر لهم منه ، فلما عزَم اللَّهُ تعالى ذكرُه على خلْقِ آدمَ قال للملائكةِ : ﴿ إِنِّي خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٨] . بيدَيْه تَكْرِمةً له ، وتَعْظيمًا لأمرِه ، وتَشْريفًا له ، حفِظَتِ الملائكةُ عهدَه ، ووَعَوْا قولَه ، وأجْمَعوا لطاعتِه ، إلا ما كان مِن عدوِّ اللَّهِ إبليسَ ، فإنه صمَت على ما كان فى نفسِه مِن الحسدِ والبغْيِ والتكَبُّرِ والمعصيةِ .

وخلَق اللَّهُ آدمَ عليه السلامُ مِن أَدَمةِ الأرضِ ؛ مِن طينٍ لازبٍ مِن حمَأٍ مسنونٍ بيديه ، تكرِمةً له ، / وتَعْظيمًا لأمرِه ، وتَشْريفًا له على سائرِ خلْقِه . ٢٠٨/١

قال ابنُ إسحاقَ : فيُقالُ واللَّهُ أعلمُ : خلَق اللَّهُ آدمَ ، ثم وضَعه يَنْظُرُ إليه أربعين عامًا قبلَ أن يَنْفُخَ فيه الرُّوحَ حتى عاد صَلصالًا كالفَخارِ ، ولم تَمسسْه نارٌ . قال : فيُقالُ واللَّهُ أعلمُ : إنه لمَّا انْتَهى الروحُ إلى رأسِه عطَس ، فقال : الحمدُ للَّهِ . فقال له ربُّه : يَرْحَمُك[1] ربُّك . ووقَع الملائكةُ حينَ اسْتَوَى سجودًا له ؛ حفظًا لعهدِ اللَّهِ الذى عهِد إليهم ، وطاعةً لأمرِه الذى أمَرهم به ، وقام عدوُّ اللَّهِ إبليسُ مِن بينِهم فلم يَسْجُدْ ، مُكابِرًا مُتعَظِّمًا ، بَغْيًا وحسدًا ، فقال له : ﴿ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ . إلى : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٧٥-٨٥] . قال : فلمَّا فرَغ اللَّهُ مِن إبليسَ ومن مُعاتَبتِه ، وأبَى إلا المعصيةَ ، أوْقَع عليه اللعنةَ ، وأخْرَجه مِن الجنةِ ، ثم أقْبَل على آدمَ وقد علَّمه الأسماءَ كلَّها ، فقال : ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ أى: إنما أجبْناك فيما علَّمْتَنا، فأما ما لم

---

(١) فى الأصل : « رحمك » .

تُعَلِّمْنا فأنت أعْلَمُ به ، فكان ما سمَّى آدمُ مِن شيءٍ ، كان اسمَه الذى هو عليه إلى يومِ القيامةِ[(١)] .

وقال ابنُ جُرَيْجٍ بما حدَّثنا به القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : إنما [٢/ ٤٣ظ] تكَلَّموا بما أعْلَمَهم أنه كائنٌ مِن خلقِ آدمَ ، فقالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾[(٢)] .

وقال بعضُهم : إنما قالتِ الملائكةُ ما قالت : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . لأن اللَّه تعالى ذكرُه أذِن لها فى السؤالِ عن ذلك بعد ما أخْبَرَها أن ذلك كائنٌ مِن بنى آدمَ ، فسألَتْه الملائكةُ ، فقالت على التعجبِ منها : وكيف يَعْصُونك يا ربِّ وأنتَ خالقُهم ؟ فأجابهم ربُّهم : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . يعنى أن ذلك كائنٌ منهم وإن لم تَعْلَموه أنتم ، ومِن بعضِ مَن تَرَوْنه لى طائعًا ، يُعَرِّفُهم بذلك قُصورَ علمِهم عن علمِه .

وقال بعضُ أهلِ العربيةِ : قولُ الملائكةِ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . على غيرِ وجهِ الإنكارِ منهم على ربِّهم ، وإنما سألُوه ليعْلَموا ، وأخْبَروا عن أنفسِهم أنهم يُسَبِّحون . وقال : قالوا ذلك لأنهم كرِهوا أن يُعْصَى اللَّهُ ؛ لأن الجنَّ قد كانت أُمِرَتْ قبلَ ذلك فعَصَتْ .

وقال بعضُهم : ذلك مِن الملائكةِ على وجهِ الاسْتِرْشادِ عما لم يَعْلَموا مِن ذلك ، فكأنهم قالوا : ياربِّ خَبِّرْنا . مسألةَ اسْتِخْبارٍ منهم للَّهِ ، لا على وجهِ مسألةِ التوبيخِ .

قال أبو جعفرٍ : وأولَى هذه التأويلاتِ بقولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه مُخْبِرًا عن ملائكتِه

---

(١) أخرج المصنف بعضه فى تاريخه ١/٩٣، ٩٥، ١٠٤، وتقدم طرف منه فى ص ٤٧٧.

(٢) ينظر تفسير ابن كثير ١/ ١٠٢.

قيلَها له : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا / مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . تأويلُ مَن قال : إن ذلك منها استِخْبارٌ لربِّها ، بمعنى : أعْلِمْنا ياربَّنا ، أجاعلٌ أنت فى الأرضِ مَن هذه صفتُه ، وتاركٌ أن تجْعَلَ [(١] خليفتَك فيها [١)] منا ، ونحن نُسَبِّحُ بحمدِك ونُقَدِّسُ لك . لا إنكارًا منها لِما أعْلَمَها ربُّها أنه فاعلٌ ، وإن كانت قد استعظَمَتْ لمَّا أُخبِرَت بذلك أن يكونَ للَّهِ خلقٌ يَعْصِيه . ٢٠٩/١

وأما دَعْوى مَن زعَم أن اللَّهَ كان أذِن لها بالسؤالِ عن ذلك ، فسألَتْ على وجهِ التعجبِ ، فدَعْوى لا دَلالةَ عليها فى ظاهرِ التنزيلِ ، ولا خبرَ بها عن[(٢)] الحُجَّةِ يَقْطَعُ العُذْرَ ، وغيرُ جائزٍ أن يُقالَ فى تأويلِ كتابِ اللَّهِ بما لا دَلالةَ عليه مِن بعضِ الوجوهِ التى تَقومُ بها الحُجَّةُ .

وأما وصفُ الملائكةِ مَن وصَفَت - فى استخبارِها ربَّها عنه - بالفسادِ فى الأرضِ وسفْكِ الدماءِ ، فغيرُ مُسْتحيلٍ فيه[(٣)] ما رُوِى عن ابنِ عباسٍ وابنِ مسعودٍ مِن القولِ الذى رواه السديُّ ، ووافَقَهما [٢/ ٤٤و] عليه قَتادةُ مِن التأويلِ ، وهو أن يكونَ اللَّهُ تعالى ذكرُه أخبَرَهم أنه جاعلٌ فى الأرضِ خليفةً تكونُ له ذريةٌ يفعَلون كذا وكذا ، فقالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . على ما وصَفتُ من الاستخبارِ .

فإن قال لنا قائلٌ : وما وجهُ اسْتِخْبارِها ، والأمرُ على ما وصَفْتَ مِن أنها قد أُخْبِرَت أن ذلك كائنٌ ؟

قيل : وجهُ اسْتِخْبارِها حينَئذٍ يكونُ عن حالِهم عندَ[(٤)] وقوعِ ذلك ، وهل

(١ - ١) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢: « خلفاءك » .

(٢) فى م : « من » .

(٣) فى ص : « منه » .

(٤) فى ر ، م : « عن » .

ذلك منهم ؟ ومسألتُهم ربَّهم أن يَجْعَلَهم الخلفاءَ فى الأرضِ حتى لا يَعْصُوه .

وغيرُ فاسدٍ أيضًا ما رواه الضحاكُ عن ابنِ عباسٍ ، وتابَعه عليه الربيعُ بنُ أنسٍ ، من أن الملائكةَ قالت ذلك لِما كان عندها مِن علمِ سُكانِ الأرضِ قبلَ آدمَ من الجنِّ ، فقالت لربِّها : أجاعلٌ فيها أنت مثلَهم مِن الخَلْقِ يَفْعَلون مثلَ الذى كانوا يَفْعَلون ؟ على وجهِ الاسْتِعلامِ منهم لربِّهم ، لا على وجهِ الإيجابِ أن ذلك كائنٌ كذلك ، فيَكونَ ذلك منها إخبارًا عما لم تَطَّلِعْ عليه مِن علمِ(١) الغيبِ .

وغيرُ خطأٍ أيضًا ما قاله ابنُ زيدٍ مِن أن يكونَ قِيلُ الملائكةِ ما قالت كان(٢) على وجهِ التعجبِ منها مِن أن يكونَ للَّهِ خلقٌ يَعْصِى خالقَه .

وإنما ترَكْنا القولَ بالذى رواه الضحاكُ عن ابنِ عباسٍ ، ووافَقه عليه الربيعُ ، وبالذى قاله ابنُ زيدٍ فى تأويلِ ذلك ؛ لأنه لا خبرَ عندَنا بالذى قالوه مِن وجهٍ يَقْطَعُ مجيئُه العذرَ ، ويَلْزَمُ سامعَه به الحجةُ ، والخبرُ عما قد مضَى وما قد سَلَف لا يُدْرَكُ علمُ صحتِه إلا بمجيئِه مَجيئًا يَمْتَنِع منه التشاغُبُ(٣) والتَّواطُؤُ ، ويَسْتَحيلُ فيه(٤) الكذبُ والخطأُ والسَّهْوُ ، وليس ذلك بموجودٍ كذلك فيما حكاه الضحاكُ عن ابنِ عباسٍ ، (٥)ووافقه عليه الربيعُ(٥) ، ولا فيما قاله ابنُ زيدٍ .

فأولَى التأويلاتِ إذ كان الأمرُ كذلك بالآيةِ ، ما كان عليه مِن ظاهرِ التنزيلِ دَلالةٌ مما يَصِحُّ مَخْرَجُه فى المفهومِ .

---

(١) فى ص : « ظهر » .

(٢) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « من ذلك » .

(٣) فى ص : « الشاعر » .

(٤) فى ص ، ر ، م : « منه » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

فإن قال قائلٌ : فإن كان أوْلَى التأويلاتِ بالآيةِ هو ما ذكَرْتَ ، مِن أن اللَّهَ تعالى ذِكْرُه أخْبَرَ الملائكةَ بأن ذريةَ خليفتِه في الأرضِ يُفسِدون فيها ويَسفِكون فيها الدماءَ ، فمِن أجلِ ذلك قالتِ الملائكةُ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . فأين ذِكْرُ إخبارِ اللَّهِ تعالى ذِكْرُه إياهم بذلك [٢/ ٤٤ظ] في كتابِه ؟

قيل له : اكْتُفِى بدَلالةِ ما قد ظهَر مِن الكلامِ عليه عنه ، كما قال الشاعر[(١)] :

٢١٠/١ / [(٢)]فلا تَدْفِنونى إنَّ دَفْنى مُحَرَّمٌ[(٢)] عليكم ولكنْ خامِرِى[(٣)] أمَّ عامِرِ

فحذَف قولَه : دعُونى للتى يُقالُ لها [(٤)]إذا أُريد[(٤)] صيدُها : خامِرِى أمَّ عامرِ[(٥)] . إذ كان فيما ظهَر مِن كلامِه دلالةٌ على معنى مرادِه ، فكذلك ذلك في قولِه : ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ لـمّا كان فيه دَلالةٌ على ما ترَك ذكرَه بعد قولِه ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ مِن الخبرِ عما يَكونُ مِن إفسادِ ذريتِه في الأرضِ ، اكْتَفَى بدلالتِه ، فحذَف وترَك ذِكْرَه ، كما ذكَرْنا مِن قولِ الشاعرِ ، ونظائرُ ذلك في القرآنِ وأشعارِ العربِ وكلامِها أكثرُ مَن أن يُحْصَى ، فلِمَا ذكَرْنا مِن ذلك[(٦)] اخْتَرْنا ما اخترْنا مِن القولِ في تأويلِ قولِه : ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ .

---

(١) في نسبة البيت خلاف ، وأكثر الرواية تنسبه إلى الشَّنْفَرى - ينظر الشعر والشعراء ١/ ٨٠، والأغاني ٢١/ ١٨٢، وشرح الحماسة للمرزوقي ٢/ ٤٨٧، وأمالي ابن الشجري ١/ ٣٦٠ - وبعضها ينسبه إلى تأبط شرًّا . ينظر الحيوان ٦/ ٤٥٠، وأمالي المرتضى ٢/ ٧٣.

(٢ - ٢) رواية الحيوان : فلا تقبروني إن قبري محرم .

(٣) رواية الأصفهاني ، والمرزوقي : « أبشرى » .

(٤ - ٤) في م : « عند » .

(٥) أم عامر هي الضبع ، ويضرب بها المثل فيُشَبَّه بها الأحمق فيقال : خامري أم عامر ، ينظر عقلاء المجانين ص ٢٥، ٢٦، ومجمع الأمثال ١/ ٤٢٢.

(٦) بعده في ص : « ما ذكرنا » .

القولُ في تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ .

أما قولُه : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ . فإنه يَعْنى : إنا نعظِّمُك بالحمدِ لك والشكرِ ، كما قال اللَّهُ تعالى ذكرُه : (١﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾١) [النصر : ٣] . وكما قال : ﴿ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [الشورى : ٥] . وكلُّ ذكرٍ للَّهِ عندَ العربِ فتَسْبيحٌ وصلاةٌ ، يقولُ الرجلُ منهم : قضَيْتُ سُبْحَتى[٢] مِن الذكرِ والصلاةِ . وقد قيل : إن التسبيحَ صلاةُ الملائكةِ .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا يعقوبُ القُمِّيُّ ، عن جعفرِ بنِ أبى المُغيرةِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، قال : كان النبىُّ ﷺ يُصَلِّى ، فمرَّ رجلٌ مِن المسلمين على رجلٍ مِن المنافِقين ، فقال له : النبىُّ ﷺ يُصَلِّى وأنت جالسٌ ! فقال له : امْضِ إلى عملِك إن كان لك عملٌ . فقال : ما أَظُنُّ إلا سيَمُرُّ عليك مَن يُنْكِرُ عليك . فمرَّ عليه عمرُ بنُ الخطابِ ، فقال له : يا فلانُ ، النبىُّ ﷺ يُصَلِّى وأنت جالسٌ ! فقال له مثلَها ، فقال : هذا مِن عمَلى . فوثَب عليه ، فضرَبه حتى انْبَهَر[٣] ، ثم دخَل المسجدَ ، فصلَّى مع النبىِّ ﷺ ، فلما انْفَتل النبىُّ ﷺ قام إليه عمرُ ، [٢/ ٤٥و] فقال : يا نبىَّ اللَّهِ ، مرَرْتُ آنفًا على فلانٍ وأنت تُصَلِّى ، فقلتُ له : النبىُّ ﷺ يُصَلِّى وأنت جالسٌ ! فقال : مُرَّ[٤] إلى عملِك إن كان لك عملٌ . فقال النبىُّ ﷺ : « فَهَلَّا ضَرَبْتَ عُنُقَهُ » . فقام عمرُ مُسْرِعًا ، فقال : « ياعمرُ ، ارجِعْ ، فإن غضبَك عِزٌّ ، ورضاك حُكمٌ ، إن للَّهِ

(١ - ١) فى ر : « نسبح بحمدك » .

(٢) السبحة : الدعاء ، وصلاة التطوع ، والنافلة . التاج (س ب ح) .

(٣) فى ص ، ت١ ، ت٢ : « ابتهر » ، وفى م : « انتهى » . والبُهرُ : انقطاع النفس من الإعياء ، وقد انبهر وابتهر : أى تتابع نَفَسه . التاج (ب هـ ر) .

(٤) فى م : « سر » .

فى السماواتِ السبعِ ملائكةٌ يُصلُّونَ له غِنًى[١] عن صلاةِ فُلانٍ » . فقال عمرُ : يا نبيَّ اللَّهِ ، وما صلاتُهم ؟ فلم يَرُدَّ عليه شيئًا ، فأتاه جبريلُ ، فقال : يا نبيَّ اللَّهِ ، سأَلك عمرُ عن صلاةِ أهلِ السماءِ ؟ قال : « نَعَمْ » . قال : اقْرَأْ على عمرَ السلامَ ، وأخْبِرْه أن أهلَ سماءِ الدنيا سجودٌ إلى يومِ القيامةِ يَقُولون : سبحانَ ذى المُلْكِ والملكوتِ . وأهلَ السماءِ الثانيةِ ركوعٌ[٢] إلى يومِ القيامةِ يَقُولون : سُبْحانَ ذى[٣] العزةِ والجَبَروتِ . وأهلَ السماءِ الثالثةِ قيامٌ إلى يومِ القيامةِ يقولون : سبحانَ الحيِّ الذى لا يموتُ[٤] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ وسهلُ بنُ موسى الرازيُّ ، قالا : حدَّثنا ابنُ عُلَيَةَ ، قال : أخْبَرَنا الجُرَيْرِيُّ ، عن أبى عبدِ اللَّهِ الجَسْرىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الصامتِ ، عن أبى ذَرٍّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ عادَه - أو أن أبا ذَرٍّ عاد النبيَّ ﷺ - فقال : يارسولَ اللَّهِ ، بأبى أنت ، / أىُّ الكلامِ أحبُّ إلى اللَّهِ جل وعز ؟ فقال : « ما اصطَفى اللَّهُ لملائكتِه ؛ سبحانَ ربى وبحمدِه ، سبحانَ ربِّى وبحمدِه »[٥] . ٢١١/١

فى أشكالٍ لما ذكَرْنا مِن الأخبارِ ، كرِهْنا إطالةَ الكتابِ باسْتِقْصائِها .

---

(١) فى الأصل : « غَناء » . وهما بمعنى .

(٢) فى الأصل ، ص ، ر : « قيام » .

(٣) كذا فى الأصل ، م ، والحلية ، وكتب فوقه فى الأصل : «رب» وفى ص ، ر ، ت١ ، ت٢ : « رب » .

(٤) إسناده مرسل ، ولا يصح وصله . أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٤/٢٧٧ من طريق ابن حميد به .

وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ص٦٢ (ترجمة عمر طبعة الرسالة) من طريق يعقوب به ، مختصرا .

وأخرجه ابن عدى٦/ ٢٢٨٩ ، وابن عساكر ص ٦١، ٦٢ من طريق يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، وعن أنس ، مختصرا . وصوب ابن عدى المرسل .

(٥) أخرجه الترمذى (٣٥٩٣) من طريق ابن علية به . وأخرجه أحمد ٥/ ١٤٨، ١٦١، ١٧٦ (الميمنية) ، ومسلم (٢٧٣١) ، من طرق عن الجريرى به نحوه . وينظر العلل للدارقطنى ٦/ ٢٤٥، ٢٤٦.

وأصلُ التسبيحِ للَّهِ عندَ العربِ التنزيهُ له مِن إضافةِ ما ليس مِن صفاتِه إليه ، والتبرِئةُ له مِن ذلك ، كما قال أعْشَى بنى ثَعْلبةَ[1] :

أَقُولُ لمَّا جاءنى فخْرُه سبحانَ مِن عَلْقَمةَ الفاخِرِ

يريدُ : سبحانَ اللَّهِ مِن فخْرِ علقمةَ . أى : تنزيهًا[2] للَّهِ مما أتَى علقمةُ مِن الافْتِخارِ . على وجهِ النكيرِ[3] منه لذلك .

وقد اختلَف أهلُ التأويلِ فى معنى ذلك التسبيحِ والتقْدِيسِ فى هذا الموضعِ ؛ **فقال بعضُهم** : قولُهم[4] : ﴿ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ : نُصَلِّى لك .

ذكرُ مَن قال ذلك

[٢/٤٥ظ] **حدَّثنى** موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ قال : يقُولون[5] : نُصَلِّى لك[6] .

وقال آخَرون : نُسَبِّحُ لك التسبيحَ المعلومَ .

---

(١) ديوانه ص ١٤٣.

(٢) فى ر : « تبرئة » .

(٣) فى ص ، ر : « التكبير » ، ت ٢: « التنكير » .

(٤) فى الأصل ، ص ، ت ١، ت ٢: « قوله » .

(٥) فى الأصل : « يقول » .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٦/١ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٩/١ (٣٣٠) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ . قال : التسبيحُ : التسبيحُ[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ .

والتقْديسُ هو التطهيرُ والتعظيمُ ، ومنه قولُهم : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ . يعنى بقولِهم : سُبُّوحٌ . تنزيهٌ للَّهِ جلَّ وعزَّ ، وبقولِهم : قُدُّوسٌ . طهارةٌ له وتعظيمٌ . ولذلك قيل للأرضِ : أرضٌ مُقَدَّسةٌ . يعنى بذلك المُطَهَّرَةَ .

فمعنى قولِ الملائكةِ إذن : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ : نُنَزِّهُك ونُبَرِّئُك مما يُضيفُه إليك أهلُ الشركِ بك ، ونُصَلِّى لك . ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . نَنْسِبُك إلى ما هو مِن صفاتِك من الطهارةِ من الأدناسِ ، وما أضاف إليك أهلُ الكفرِ بك .

وقد قيل : إن تقديسَ الملائكةِ لربِّها صلاتُها له ، كما **حدَّثنا** به الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قال : التقديسُ : الصلاةُ[2] .

وقال بعضُهم : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ : نُعَظِّمُك ونُمَجِّدُك .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هاشمُ بنُ القاسمِ ، قال : حدَّثنا أبو

(١) تفسير عبد الرزاق - كما فى الدر المنثور ٤٦/١ - وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٩/١ (٣٢٩) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطى إلى عبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق - كما فى الدر المنثور ٤٦/١ - وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٩/١ (٣٣٢) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطى إلى عبد بن حميد .

سعيدٍ المُؤَدِّبُ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ ، عن أبي صالحٍ في قولِه : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قال : نُعَظِّمُك ونُمَجِّدُك[1] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثني عيسى ، **وحدَّثني** المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، جميعًا عن ابن أبي نَجِيحٍ ، عن مُجاهِدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قال : نُعَظِّمُك ونُكَبِّرُك[2] .

٢١٢/١ / **حدَّثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، عن ابنِ [٢/٤٦و] إسحاقَ : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ : لا نعصِى ولا نأتى شيئًا تَكرهُه[3] .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرٌ ، عن أبي روقٍ ، عن الضحاكِ في قولِه : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قال : التقديسُ : التطهيرُ[4] .

وأما قولُ مَن قال : التقديسُ : الصلاةُ ، أو[5] : التعظيمُ . فإن معنى قولِه ذلك راجعٌ إلى نحوِ[6] المعنى الذى ذكَرْنا مِن التطهيرِ ، من أجلِ أن صلاتَها لربِّها تعظيمٌ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ص ١١٣ (٣٣٤، ٣٣٥ - تحقيق د. أحمد عبد الله العمارى) من طريق سفيان ، عن إسماعيل به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٦/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) تفسير مجاهد ص ١٩٩، ومن طريقه ابن أبي حاتم فى تفسيره ص ١١٣ (٣٣٣ - تحقيق د. أحمد عبد الله العمارى) من طريق ابن أبي نجيح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٦/١ إلى عبد بن حميد . وينظر تفسير الثورى ص ٤٤.

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٠٣، وتقدم بتمامه فى ص ٤٩٦.

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٠٣، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٧٩/١ (٣٣١) عن أبي زرعة ، عن منجاب ، عن بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس .

(٥) فى ر، ت ١، ت ٢: « و » .

(٦) سقط من : ر ، م .

منها له ، وتطهيرٌ مما يَنسِبُه إليه أهلُ الكفرِ به .

ولو كان[1] مكانَ : ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ : ونُقَدِّسُك . كان فصيحًا مِن الكلامِ ، وذلك أن العربَ تقولُ : فلانٌ يُسَبِّحُ اللَّهَ ويُقَدِّسُه ، ويُسَبِّحُ للَّهِ ويُقَدِّسُ له . بمعنًى واحدٍ ، وقد جاء بذلك القرآنُ ، قال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه : ٣٣] . وقال فى موضعٍ آخرَ : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الجمعة : ١] .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : يعنى بقولِه : ﴿ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ مما اطلَع عليه مِن إبليسَ ، وإضمارِه المعصيةَ للَّهِ وإخْفائِه الكبْرَ ، مما اطلَع عليه تعالى ذكرُه منه ، وخفِى على ملائكتِه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ العلاءِ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . يقولُ : إنى قد اطلَعتُ مِن قلبِ إبليسَ على ما لم تَطَّلِعوا عليه مِن كِبْرِه [2]واغترارِه[2] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ [٢/ ٤٦ظ] عباسٍ ،

---

(١) فى ص ، م : « قال » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « واعتزازه » . وتقدم الأثر بتمامه فى ص٤٨٢ وما بعدها .

وعن مُرةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ يعنى : مِن شأنِ إبليسَ[1] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازىُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، وحدَّثنا محمدُ ابنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا مؤمَّلٌ ، قالا جميعًا : حدَّثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ . قال : علِم من إبليسَ المعصيةَ وخلَقَه لها[2] .

حدَّثنى موسى بنُ عبدِ الرحمنِ المَسْروقىُّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ بشرٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن علىِّ بنِ بَذِيمةَ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه[3] .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ يمانٍ ، عن سفيانَ ، عن علىِّ بنِ بذيمةَ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا حَكَّامٌ ، عن عَنْبسةَ ، عن محمدِ بنِ عبد الرحمنِ ، عن القاسمِ بنِ أبى بَزَّةَ ، عن مُجاهدٍ فى قولِه : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ . قال : علِم من إبليسَ المعصيةَ وخلَقَه لها .

٢١٣/١ /حدَّثنى جعفرُ[4] بنُ محمدٍ البُزُورىُّ ، قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ بشرٍ ، عن حمزةَ

---

(١) تقدم بتمامه فى ص٤٨٦ - ٤٨٨.

(٢) أخرجه ابن عيينة فى تفسيره - كما فى الدر المنثور ٤٦/١ - وعنه سعيد بن منصور فى سننه (١٨٤ - تفسير) عن ابن أبى نجيح وغيره ، عن مجاهد . وهو فى تفسير مجاهد ص ١٩٩.

وأخرجه عثمان بن سعيد الدارمى فى الرد على الجهمية ص٦٠ من طريق ابن جريج ، عن مجاهد . وعزاه السيوطى إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد فى السنة (٩٣٨) عن أبيه ، عن محمد بن بشر به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٩/١ (٣٣٤) من طريق على بن بذيمة به .

(٤) فى الأصل : « يعقوب » .

الزياتِ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِه : ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . قال : علِم مِن إبليسَ كتْمانَه الكِبْرَ ألا يسْجُدَ لآدمَ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميمونٍ[1] ، قال : وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . قال : علِم مِن إبليسَ المعصيةَ[2] .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[3] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا سُويدٌ ، قال : أخبَرنا ابنُ المباركِ ، عن سفيانَ ، قال : قال مجاهدٌ فى قولِه : ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . قال : علِم مِن إبليسَ المعصيةَ ، وخلَقه لها . وقال مرةً : آدمَ .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا حجاجُ بنُ المنهالِ ، قال : حدَّثنا المعتمِرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعتُ عبدَ الوهابِ بنَ مجاهدٍ يُحدِّثُ عن أبيه فى قولِه : ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ[4] ﴾ . قال : علِم مِن إبليسَ المعصيةَ وخلَقه لها ، وعلِم مِن آدمَ الطاعةَ وخلَقه لها .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن ابنِ

---

(١) بعده فى ر : « عن ابن أبى نجيح عن مجاهد » .

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد فى السنة (٨٩١) من طريق شبل به ، بزيادة : وخلقه لها .

(٣) أخرجه وكيع - كما فى الدر المنثور ٤٦/١ - ومن طريقه عبد الله بن أحمد فى السنة (٩٣٨) .

(٤) فى ص : « يعلمون » .

طاوسٍ ، عن أبيه والثوريِّ ، عن عليِّ بنِ بَذِيمةَ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ . قال : علِم مِن إبليسَ المعصيةَ وخلَقه لها[(١)] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ[(٢)] إسحاقَ : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ أى : فيكم ومنكم - ولم يبْدِها لهم - [٤٧/٢و] مِن المعصيةِ والفسادِ وسَفْكِ الدماءِ[(٣)] .

وقال آخرون : معنى ذلك : إنى أعلمُ ما لا تعلمونَ من أنَّه يكونُ من تلك[(٤)] الخليفةِ أهلُ الطاعةِ والولايةِ للَّهِ جلَّ ذكْرُه .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ : فكان فى علمِ اللَّهِ أنه سيكونُ مِن [(٥)]تلك الخليفةِ[(٥)] أنبياءُ ورسلٌ وقومٌ صالحون وساكنو[(٦)] الجنةِ[(٧)] .

وهذا الخبرُ من اللَّهِ تعالى ذكرُه يُنبئُ عن أن ملائكتَه التى قالت : ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . استَفْظَعَت أن يكونَ للَّهِ جلَّ ثناؤُه خَلْقٌ يَعْصِيه ، وعَجِبَتْ منه إذ أُخبِرت أن ذلك كائنٌ فلذلك قال لهم ربُّهم : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا

---

(١) تفسير عبد الرزاق - كما فى الدر المنثور ٤٦/١ - وأخرجه عبد الرزاق أيضًا فى الأمالى (١٩٥) .

(٢) فى ر : « أبى » .

(٣) تقدم مطولاً فى ص ٤٩٦.

(٤) فى م : « ذلك » .

(٥ - ٥) فى م : « ذلك الخليفة » ، وفى ت ١ : « تلك الخليقة » .

(٦) فى الأصل ، وتفسير ابن أبى حاتم : « ساكن » ، وفى ر ، ت ١: « ساكنون » .

(٧) جزء من الأثر المتقدم فى ص ٤٩١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٩/١ (٣٣٥) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٦/١ إلى عبد بن حميد .

نَعْلَمُونَ ﴾ يَعْنى بذلك واللَّهُ أعلمُ : إنكم لتَعْجَبون مِن أمرِ[(١)] وتَسْتَفْظِعونه ، وأنا أعلمُ أنه فى بعضِكم ، وتصِفون أنفسَكم بصفةٍ أعلمُ خلافَها مِن بعضِكم ، وتُعَرِّضون بأمرٍ قد جعَلْتُه لغيرِكم . وذلك أن الملائكةَ (٢ قالت لربِّها ٢) - لمّا أخبَرها ربُّها بما هو كائنٌ مِن ذريةِ خليفتِه من الفسادِ وسَفْكِ الدماءِ - قالت لربِّها : ربَّنا ، أجاعلٌ أنت فى الأرضِ خليفةً مِن غيرِنا ، (٣ يكونُ مِن ذريَّتِه ٣) من يَعْصِيك أم منا ، فإنا نعَظِّمُك ونصَلِّى لك ونُطِيعُك ولا نَعْصِيك ؟ - ولم يكنْ عندَها علمٌ بما قد انطوى كَشْحًا عليه إبليسُ من استكبارِه على ربِّه - فقال لهم ربُّهم : إنِّى أعلمُ غيرَ الذى تقُولونَ من بعضِكم . وذلك هو ما كان مستورًا عنهم مِن أمرِ إبليسَ وانْطِوائِه على ما كان قد انْطَوَى عليه مِن الكِبْرِ ، وعلى قِيلِهم ذلك ، ووصْفِهم أنفسَهم بالعمومِ من الوصفِ ، عُوتِبوا .

٢١٤/١

/ القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ﴾ .

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميْدٍ ، قال : حدَّثنا يعقوبُ القُمِّيُّ ، عن جعفرِ بنِ أبى المغيرةِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : بعَث ربُّ العِزَّةِ تعالى ذِكْرُه إبليسَ[(٤)] ، فأخَذ مِن أَدِيمِ الأرضِ مِن عذْبِها ومِلْحِها ، فخلَق منه آدمَ ، ومِن ثَمَّ سُمِّى آدمَ ؛ لأنه خُلِق مِن أَديمِ [٤٧/٢ظ] الأرضِ[(٥)] .

---

(١) فى م : « أمر الله » .

(٢ - ٢) سقط من : ر ، ت ١ ، ت ٢ .

(٣ - ٣) فى الأصل : « تكون ذريته تعصيك واجعله » .

(٤) فى م : « ملك الموت » .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٠ ، ٩١ ، وفيه زيادة ، وينظر تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٣ .

وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣٨٠/٧ من طريق يعقوب القمى به نحوه .

وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (٨١٦) من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس =

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِىُّ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ ثابتٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن علىٍّ ، قال : إن آدمَ خُلِق مِن أديمِ الأرضِ ، فيه الطَّيِّبُ والصالحُ والرَّدِىءُ ، فكلٌّ ذلك أنت راءٍ فى ولدِه ، الصالحَ والردىءَ[(١)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا مِسْعَرٌ ، عن أبى حَصِينٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : خُلِق آدمُ مِن أَدِيمِ الأرضِ ، فسُمِّىَ آدمَ[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو داودَ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ، عن أبى حَصِينٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، قال : إنما سُمِّىَ آدمَ لأنه خُلِق مِن أَدِيمِ الأرضِ[(٣)] .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أَسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ ، أن مَلَكَ الموتِ لمَّا بُعِث ليأْخُذَ مِن

= مختصرًا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/١ إلى المصنف وابن سعد وابن أبى حاتم وابن عساكر مطولًا . وأخرجه ابن سعد ١/ ٢٦- ومن طريقه ابن عساكر ٧/ ٣٧٩، ٣٨٠- من طريق آخر ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن مسعود . وابن جبير لم يدرك ابن مسعود .

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٩١/١ . وعمرو بن ثابت ضعيف .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩١. وأخرجه ابن سعد٢٦/١ من طريق مسعر به .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩١. وأخرجه ابن سعد ١/ ٢٦- ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ٧/ ٣٨٧- من طريق شعبة به . وأخرجه ابن عساكر ٣٨٦/٧ من طريق الثورى ، عن أبى حصين أو غيره ، عن سعيد بن جبير . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/١ إلى عبد بن حميد . وأخرجه ابن عساكر أيضا ٣٨٧/٧ من طريق إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، بزيادة ستأتى من طريق آخر عن سعيد فى تفسير الآية ١١٥ من سورة طه .

الأرضِ تُرْبةَ آدمَ ، أخَذ مِن وجهِ الأرضِ وخلَط ، فلم يَأْخُذْ مِن مكانٍ واحدٍ ، وأخَذ مِن تربةٍ حمراءَ وبيضاءَ وسوداءَ ، فلذلك خرَج بنو آدمَ مُخْتَلِفين ، ولذلك سُمِّىَ آدمَ ؛ لأنه أُخِذ مِن أَدِيمِ الأرضِ[١] .

وقد رُوِى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ خبرٌ يُحَقِّقُ ما قال مَن حكَيْنا قولَه فى معنى « آدمَ » ، وذلك ما **حدَّثنى** به يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن عوفٍ ، **وحدَّثنا** محمدُ بنُ بَشَّارٍ وعمرُ بنُ شَبَّةَ ، قالا : حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا عوفٌ ، **وحدَّثنا** ابنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ومحمدُ بنُ جعفرٍ وعبدُ الوهَّابِ الثَّقَفِىُّ ، قالوا : حدَّثنا عوفٌ ، **وحدَّثنى** محمدُ بنُ عُمارةَ الأسَدىُّ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ أبانٍ ، قال : حدَّثنا عَنْبَسةُ ، عن عوفٍ الأعْرابىِّ ، عن قَسامةَ بنِ زُهَيْرٍ ، عن أبى موسى الأشْعَرىِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدمَ مِن قَبْضَةٍ قَبَضَها مِن جَميعِ الأرْضِ ، فجاء بنو آدمَ على قَدْرِ الأرْضِ ، جاء منهم الأحْمرُ والأسْودُ والأبْيضُ ، وبينَ ذلك ، [٢]والسهْلُ والحَزْنُ[٢] ، والخَبيثُ وَالطيِّبُ »[٣] .

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٤٨٨ .

(٢ - ٢) فى الأصل : « الحزن والسهل » .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩١ بزيادة فى آخره . وأخرجه الترمذى (٢٩٥٥) ، وأبو الشيخ فى العظمة (١٠١٤) من طريق ابن بشار به . وأخرجه أحمد ٤/ ٤٠٠، ٤٠٦ (الميمنية) ، وأبو داود (٤٦٩٣) ، وابن حبان (٦١٨١) ، وأبو الشيخ (١٠١٥) من طريق يحيى بن سعيد به . وأخرجه أحمد ٤/ ٤٠٠ (الميمنية) عن محمد بن جعفر به .

وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١/ ٤٣ ، وابن سعد ١/ ٢٦ ، وأحمد ٤/ ٤٠٠، ٤٠٦ (الميمنية) ، وعبد بن حميد (٥٤٨) ، وأبو داود (٤٦٩٣) ، وابن حبان (٦١٦٠) ، والحاكم ٢/ ٢٦١ ، وأبو نعيم فى الحلية ٣/ ١٠٤ ، ٨/ ١٣٥ ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٧١٥، ٨١٥) ، وابن عساكر فى تاريخه ٧/ ٣٧٤ من طرق أخرى عن عوف به . وقال الترمذى : حسن صحيح . وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

قال أبو جعفرٍ : فعلى التأويلِ الذى تأوَّل « آدمَ » مَن تأوَّله بمعنى أنه خُلِق مِن أَدِيمِ الأرضِ ، يَجِبُ أن يكونَ أصلُ « آدمَ » فعلًا / سُمِّىَ به أبو البَشرِ، ٢١٥/١ كما سُمِّىَ أحمدُ بالفِعلِ [٤٨/٢و] من الإحْمادِ ، وأسعدُ مِن الإسعادِ ، فلذلك لم يُجْرَ[١] . ويَكونُ تأويلُه حينَئذٍ : آدمَ المَلَكُ الأرضَ . يعنى به : بلَغ أَدَمَتَها - وأَدَمَتُها : وجهُها الظاهرُ لرَأْىِ العينِ ، كما[٢] جِلْدةُ كلِّ [٣]ذى جِلدٍ[٣] له أَدَمةٌ ، ومِن ذلك سُمِّىَ الإِدامُ إدامًا ؛ لأنه صار كالجِلْدةِ العليا مما هى منه - ثم نُقِل مِن الفعلِ فجُعِل اسمًا للشخصِ بَعيْنِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اختَلَف أهلُ التأويلِ فى الأسماءِ التى علَّمَها آدمَ ثم عرَضها على الملائكةِ ؛ فقال ابنُ عباسٍ بما حدَّثنا به أبو كرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال[٤] : علَّم اللَّهُ آدمَ الأسماءَ كلَّها ، وهى هذه الأسماءُ التى يَتَعارَفُ بها الناسُ ؛ إنسانٌ ، ودابةٌ ، وأرضٌ ، وسهلٌ ، وبحرٌ ، وجبلٌ ، وحمارٌ ، وأشباهُ ذلك مِن الأممِ وغيرِها[٥] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، وحدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيْفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهدٍ

---

(١) أى لم يُصْرف ، والإجراء الصرف . ينظر المصطلح النحوى ص ١٦٦ .

(٢) بعده فى م : « أن » .

(٣ - ٣) فى ص : « شىء » .

(٤) فى ت١ ، ت٢ : « فلما » .

(٥) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٢ - ٤٨٥ .

فى قولِ اللَّهِ تعالى ذِكرُه : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ . قال : (١) ما خلَق اللهُ كلَّه (١) .

حدَّثنا ابنُ وَكِيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن خُصَيفٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ . قال : علَّمه اسمَ كلِّ شىءٍ [٢] .

حدَّثنا علىُّ بنُ الحسنِ [٣] ، قال : حدَّثنا مُسلمٌ الجَرْمِىُّ ، عن محمدِ بنِ مُصْعَبٍ ، عن قَيْسِ بنِ الربيعِ ، عن خُصَيفٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : علَّمه اسمَ الغُرابِ والحَمامةِ ، واسمَ كلِّ شىءٍ [٤] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن شَريكٍ ، عن سالمٍ الأفْطَسِ ، عن سعيدِ ابنِ جُبَيْرٍ ، قال : علَّمه اسمَ كلِّ شىءٍ ، حتى البعيرِ والبقرةِ والشاةِ [٥] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن شَريكٍ ، عن عاصمِ بنِ كُلَيبٍ ، عن سعيدِ [٦] بنِ مَعْبَدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : علَّمه اسمَ [٧] القَصْعةِ والفَسْوةِ [٨] والفُسَيَّةِ [٩] .

(١ - ١) فى م ، ت١ ، ت٢ : « علمه اسم كل شىء » .

والأثر أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٧، وهو فى تفسير مجاهد ص ١٩٩.

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٧. وأخرجه ابن أبى حاتم ١/ ٨٠ (٣٣٨) من طريق سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بلفظ : علمه كل دابة وكل طير وكل شىء .

(٣) فى ص ، ت١ : « الحسين » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٨٢ (٣٥١) من طريق قيس به .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٨. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٤٩ إلى وكيع .

(٦) فى الأصل : « سعد » .

(٧) بعده فى ت١ : « كل شىء حتى » .

(٨) فى ت ٢: « القوس » .

(٩) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٨٠ (٣٣٧) من طريق عاصم به . وسعيد بن معبد مجهول .

حدَّثنا ابنُ إسحاقَ، قال: حدَّثنا أبو أحمدَ، قال: حدَّثنا شَرِيكٌ، عن عاصمِ ابنِ كُلَيْبٍ، [٢/٤٨ظ] عن الحسنِ بنِ سعدٍ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾. قال: حتى الفَسْوَةِ والفُسَيَّةِ[1].

حدَّثنا على بنُ الحسنِ، قال: حدَّثنا مسلمٌ، قال: حدَّثنا محمدُ بنُ مُصْعَبٍ، عن قيسٍ، عن[2] عاصمِ بنِ كُلَيْبٍ، عن سعيدِ بنِ مَعْبَدٍ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِ اللَّهِ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾. قال: علَّمه اسمَ كلِّ شىءٍ، حتى الهَنَةِ والهُنَيَّةِ، والفَسْوةِ والضَّرْطةِ[3].

حدَّثنا القاسمُ، قال: حدَّثنا الحسينُ، قال: حدَّثنا على بنُ مُسْهِرٍ، عن عاصمِ ابنِ كُلَيْبٍ، قال: قال ابنُ عباسٍ: علَّمه القَصْعةَ مِن القُصَيْعَةِ، والفَسْوةَ مِن الفُسَيَّةِ[4].

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ، قال: حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ، قال: حدَّثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ / ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾. حتى بلَغ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾: فأنْبأَ كلَّ صنفٍ مِن الخلقِ باسمِه، وألْجأه إلى جنسِه[5]. ٢١٦/١

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى، قال: أخبرنا عبدُ الرزاقِ، قال: أخبرنا مَعْمَرٌ، عن قَتادةَ فى قولِه: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾. قال: علَّمه اسمَ كلِّ

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٧.

(٢) فى الأصل، ص: «ابن».

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٧.

(٤) عاصم بن كليب لم يدرك ابن عباس كما فى الأسانيد قبله.

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٨. وينظر تاريخ دمشق ٧/ ٣٩٩.

شيءٍ؛ هذا جبلٌ، وهذا بحرٌ، وهذا كذا، وهذا كذا، لكلِّ شيءٍ، ثم عرَض تلك الأسماءَ[1] على الملائكةِ، فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[2].

حدَّثنا القاسمُ، قال: حدَّثنا الحسينُ، قال: حدَّثنى حجاجٌ، **عن** جَريرِ بنِ حازمٍ ومباركٍ، عن الحسنِ، وأبى بكرٍ، عن الحسنِ وقتادةَ، قالا: علَّمه اسمَ كلِّ شيءٍ؛ هذه الخيلُ، وهذه البِغالُ، والإبلُ، والجنُّ، والوحشُ، وجعَل يُسَمِّى كلَّ شيءٍ باسمِه[3].

حُدِّثْتُ عن عمارٍ، قال: حدَّثنا عبدُ اللَّه بنُ أبى جعفرٍ، عن أبيه، عن غيرِ[4] الربيعِ، قال: اسمَ كلِّ شيءٍ.

وقال آخَرون: علَّم آدمَ أسماءَ الملائكةِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حُدِّثْتُ عن عمارٍ، قال: حدَّثنا عبدُ اللَّه بنُ أبى جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ قولَه: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾. قال: أسماءَ الملائكةِ[5].

وقال آخَرون: إنما علَّمه أسماءَ ذُرِّيَّتِه.

---

(١) فى م: «الأشياء».

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٨. وهو فى تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٢، ٤٣.

(٣) تقدم بتمامه فى ص ٤٩٣.

(٤) سقط من: ص، م، ت١، ت٢.

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٩٩ عن عبدة المروزى، عن عمار بن الحسن به.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ . قال : أسماءَ ذُرِّيتِه كلِّهم[١] أجمَعين[٢] .

قال أبو جعفر: وأولَى هذه الأقوالِ بالصوابِ وأشْبهُها بما دلَّ على صحتِه ظاهرُ التِّلاوةِ ، قولُ مَن قال في قولِه : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ . أنها أسماءُ ذرِّيَّتِه وأسماءُ [٢/ ٤٩و] الملائكةِ ، دون أسماءِ سائرِ أجناسِ الخلقِ ، وذلك أن اللَّهَ تعالى ذكرُه قال : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ . يعْني بذلك أعيانَ المُسَمَّيْن بالأسماءِ التي علَّمها آدمَ . ولا تَكادُ العربُ تَكْنى بالهاءِ والميمِ إلا عن أسماءِ بني آدمَ والملائكةِ . فأما إذا كَنَتْ عن أسماءِ البَهائمِ وسائرِ الخلقِ سوى مَن وصَفْنا ، فإنها تَكْنى عنها بالهاءِ والألفِ ، أو[٣] بالهاءِ والنونِ ، فقالت : عرَضَهنّ ، أو عرَضَها . وكذلك تَفْعَلُ إذا كَنَتْ عن أصنافٍ مِن الخلْقِ ؛ كالبَهائمِ والطيرِ وسائرِ أصنافِ الأممِ ، وفيها أسماءُ بني آدمَ أو[٤] الملائكةِ ، فإنها تَكْنى عنها بما وصَفْنا مِن الهاءِ والنونِ ، و[٥] الهاءِ والألفِ . وربما كَنَتْ عنها إذا كان ذلك[٦] كذلك ، بالهاءِ والميمِ ، قال تعالى ذكرُه : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ[٧] كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ ﴾

---

(١) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، وفي ص ، ر : « كلها » .
(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٩٩ مطولا .
(٣) في ت١ : « و » .
(٤) في ر ، م ، ت١ : « و » .
(٥) في م : « أو » .
(٦) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ .
(٧) في الأصل : « خالق » . وهي قراءة حمزة والكسائي . السبعة لابن مجاهد ص ٤٥٧ .

[النور: ٤٥] . فكنَى عنها بالهاءِ والميمِ ، وهى أصنافٌ مختلِفةٌ ، فيها الآدمىُّ وغيرُه . وذلك وإن كان جائزًا ، فإن الغالبَ المُستَفيضَ فى كلامِ العربِ ما وصَفْنا ، مِن إخْراجِهم كنايةَ أسماءِ أجناسِ الأمَمِ - إذا اختَلَطَت - بالهاءِ والألفِ ، و[1] الهاءِ والنونِ ؛ فلذلك قلتُ : أَوْلى بتأويلِ الآيةِ أن تَكونَ الأسماءُ التى عَلَّمها آدمَ أسماءَ أعيانِ بنى آدمَ وأسماءَ الملائكةِ . وإن كان ما قال ابنُ عباسٍ / جائزًا ، على مثالِ ما جاء فى كتابِ اللَّهِ جل ثناؤه مِن قولِه : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ[2] كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ الآية . وقد ذُكِر أنها فى حرفِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ : (ثم[3] عرَضَهن)[4] . وأنها فى حرفِ أُبَىٍّ : (ثم عرَضها)[4] .

١/٢١٧

ولعلَّ ابنَ عباسٍ تأوَّل ما تأوَّل مِن قولِه : علَّمه اسمَ[5] كلِّ شىءٍ ، حتى الفَسْوةِ والفُسَيَّةِ . على قراءةِ أُبَىٍّ ، فإنه فيما بلغَنا كان يَقْرَأُ قراءةَ أُبَىٍّ . وتأويلُ ابنِ عباسٍ - على ما حُكِى عن أبىٍّ من قراءتِه - غيرُ مُسْتَنْكَرٍ ، بل هو صحيحٌ مُسْتَفِيضٌ فى كلامِ العربِ ، على نحوِ ما تقدَّم وصْفِى ذلك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : قد تقَدَّم ذكْرُنا التأويلَ الذى هو أوْلى بالآيةِ على قراءتِنا ورَسْمِ مُصْحَفِنا ، وأن [٢/ ٤٩ظ] قولَه : ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ . بالدَّلالةِ على بنى آدمَ والملائكةِ ، أَوْلَى منه بالدَّلالةِ على أجناسِ الخلقِ كلِّها ، وإن كان غيرَ فاسدٍ أن يكون دالًّا على

---

(١) فى م : « أو » .

(٢) فى الأصل ، ر ، ت١ : « خالق » .

(٣) فى النسخ : « و » .

(٤) ينظر البحر المحيط ١/ ١٤٦ .

(٥) زيادة من : م .

جميعِ أصنافِ الأُمِ ، للعللِ التى وصَفْنا .

ويعنى بقولِه : ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ : ثم عرَض أهلَ الأسماءِ على الملائكةِ .

وقد اختَلَف المفسِّرون فى تأويلِ قولِه : ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ نحوَ اختلافِهم فى قولِه : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ . وسأذْكُرُ (١) قولَ بعضٍ (١) مَن انتَهى إلينا عنه فيه قولٌ .

حدَّثنا محمدُ بنُ العلاءِ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بِشْرُ بنُ عُمارَةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ : ثم عرَض هذه الأسماءَ على الملائكةِ . يعنى أسماءَ جميعِ الأشياءِ التى علَّمها آدمَ مِن أصنافِ الخلقِ (٢) .

حدثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابن عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ : ثم عرَضَ الخلْقَ على الملائكةِ (٣) .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : أسماءَ ذريتِه كلِّها أخَذَهم مِن ظهرِه ، ثم عرَضَهم على الملائكةِ (٤) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن

(١ - ١) فى ص ، م : « قول » ، وفى ر ، ت١ ، ت٢ : « بعض قول » .

(٢) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٥.

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٠٥ عن السدى به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٨٠ (٣٤١) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى من قوله . وتقدم بتمامه فى ص٤٨٨ .

(٤) تقدم تخريجه فى ص٥١٨ .

قتادةَ : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ ﴾ . قال : علَّمه اسمَ كلِّ شيءٍ ، ثم عرَض تلك الأسماءَ على الملائكةِ[1] .

حدثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ ﴾ : عرَض أصحابَ الأسماءِ على الملائكةِ[2] .

حدثنى عليُّ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا مسلمٌ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ مُصْعَبٍ ، عن قيسٍ ، عن خُصَيفٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ . يعنى : عرَض الأسماءَ ؛ الحَمامةَ والغرابَ[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، **عن** جَريرِ بنِ حازمٍ ومباركٍ ، عن الحسنِ ، وأبى بكرٍ ، عن الحسنِ وقتادةَ ، قالا : علَّمه اسمَ كلِّ شيءٍ ؛ هذه الخيلُ ، وهذه البغالُ ، وما أشْبَهَ ذلك ، وجعَل يُسَمِّى كلَّ شيءٍ باسمِه ، وعُرِضَت عليه أُمَّةً أُمَّةً[4] .

/ **القولُ فى تأويل قولِه جلّ وعزّ : ﴿ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى ﴾ .** ٢١٨/١

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ قولِه عزّ وجلّ : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى ﴾ : أَخْبِرونى . كما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ [٢/ ٥٠و] بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى ﴾ . يقولُ : أخْبِرونى بأسماءِ هؤلاءِ[5] .

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٥١٧ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/١ إلى المصنف .

(٣) تقدم فى ص ٥١٥.

(٤) تقدم بتمامه فى ص ٤٩٣.

(٥) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٥ .

ومنه قولُ نابغةِ بنى ذُبْيانَ[(١)] :

وأنبأه المُنَبِّئُ أنَّ حيًّا حُلُولًا مِن حَرامٍ[(٢)] أو جُذَامِ

يعنى بقولِه : أنبأَه : أخْبَرَه وأعْلَمَه .

القولُ فى تأويل قولِه : ﴿ بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، **وحدَّثنى** المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، جميعًا عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِه : ﴿ بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ . قال : بأسماءِ هذه التى حدَّثْتُ بها آدمَ[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بن دُاودَ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ . يقولُ : بأسماءِ هؤلاءِ التى[(٤)] حَدَّثتُ بها آدمَ[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ **فحدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ : إن كنتم تَعْلَمون لِمَ أَجْعَلُ فى الأرضِ

---

(١) ديوانه ص ١٦٢ .

(٢) فى ت٢ : « حزام » ، وفى ت١ : « جذام » . وحرام : بطن من جذام .

(٣) تفسير مجاهد ص ١٩٩، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨١/١ (٣٤٢) .

(٤) فى ت١ ، ت٢ : « الذين » .

خليفةً[١] ؟

حدَّثنا موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّ بنى آدمَ يُفْسِدون فى الأرضِ ويَسْفِكون الدماءَ[٢] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجّاجٌ ، **عن** جريرِ بنِ حازمٍ ومباركٍ ، عن الحسن ، وأبى بكرٍ ، عن الحسنِ وقتادةَ : ﴿ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنى لم[٣] أَخْلُقْ خَلْقًا إلا كُنتم أعلمَ منه ، فأخْبِرونى بأسماءِ هؤلاءِ إن كنتم صادِقين[٤] .

قال أبو جعفرٍ : وأولى هذه الأقوالِ بتأويلِ الآيةِ تأويلُ ابنِ عباسٍ ومَن قال بقولِه .

[٢/ ٥٠ظ] ومعنى ذلك : فقال : أَنْبِئونى بأسماءِ مَن عرَضْتُه عليكم أيتُها الملائكةُ القائلون : أتَجعَلُ (٥ فى الأرضِ ٥) مَن يُفسِدُ فيها ويَسفِكُ الدمَاءَ ، مِن غيرِنا أم منا ، فنحن نُسَبِّحُ بحمدِك ونُقَدِّسُ لك ؟ إن كنتم صادقِين فى قِيلِكم أنى إن جعَلْتُ خليفتى فى الأرضِ مِن غيرِكم ، عَصَانى ذريتُه وأفْسَدوا فيها وسفَكوا الدماءَ ، وإن جعَلْتُكم فيها ، أطَعْتُمونى واتَّبَعْتُم أمرى ، بالتعظيمِ لى والتقديسِ ، فإنكم إذ كنتم لا تَعْلَمون أسماءَ هؤلاء الذين عرَضْتُهم عليكم مِن خَلْقى ، وهم مَخْلوقون

(١) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٥ .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٠٥ عن السدى به . وتقدم بتمامه فى ص ٤٨٨.

(٣) فى الأصل : « لن » .

(٤) تقدم فى ص ٤٩٣ .

(٥ - ٥) فى ص ، م : « فيها » .

موجودون تَرَوْنهم وتُعايِنونهم ، وعَلِمه غيرُكم بتَعْليمِى إياه ، فأنتم بما هو غيرُ موجودٍ مِن الأمورِ الكائنَةِ التى لم توجَدْ بعدُ ، وبما هو مُتَستِّرٌ من الأُمورِ – التى هى موجودةٌ – عن أعينِكم ، / أحْرَى أن تكونوا غيرَ عالمين ، فلا تَسْألونى ما ليس لكم به علمٌ ، فإنى أعلمُ بما يُصْلِحُكم ويُصْلِحُ خَلْقى . ٢١٩/١

وهذا الفعلُ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه بملائكتِه الذين قالوا له : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . مِن جهةِ عِتابِه تعالى ذِكرُه إياهم – نظيرُ قولِه لنبيِّه نوحٍ صلّى اللَّهُ عليه ، إذ قال : ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾– ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [هود : ٤٥، ٤٦] . فكذلك الملائكةُ سأَلت ربَّها أن تكونَ خُلفاءَه فى الأرضِ ليُسَبِّحوه ويُقَدِّسوه فيها ؛ إذ كان ذريةُ مَن أخْبَرهم أنه جاعلُه فى الأرضِ خليفةً يُفْسِدون فيها ويَسْفِكون الدماءَ ، فقال لهم تعالى ذكرُه : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . يعنى بذلك : إنى أعْلَمُ أن بعضَكم فاتحُ المعاصى وخاتِمُها . وهو إبليسُ ، مُنْكِرًا بذلك[1] تعالى ذِكرُه قولَهم . ثم عرَّفهم موضِعَ هَفوتِهم ، فى قِيلِهم ما قالوا مِن ذلك ، بتعريفِهم قُصورَ علمِهم عمّا هم له شاهِدون عِيانًا – فكيف بما لم يَرَوْه ولم يُخْبَروا عنه ؟ – بعرْضِه ما عرَض عليهم مِن خلقِه الموجودين يومَئذٍ ، وقيلِه لهم : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنكم إن اسْتَخْلَفْتُكم فى أرْضى سبَّحْتمونى وقدَّسْتُمونى ، وإن اسْتَخْلَفْتُ فيها غيرَكم عَصانى ذُريتُه وأفْسَدوا وسَفَكوا الدماءَ . فلمَّا اتَّضَح لهم موضِعُ خطأً قيلِهم ، وبَدَت لهم هفوةُ زَلَّتِهم ، أنابوا إلى اللَّهِ بالتوبةِ فقالوا : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ . فسارَعوا الرَّجْعةَ مِن

(١) فى ت١ ، ت٢ : « بعد ذلك » .

الهَفْوةِ ، وبادَروا الإنابةَ مِن الزَّلَّةِ ، كما قال نوحٌ عليه السلامُ حِين عوتِب فى مسألتِه ، فقيل له : ﴿ فَلَا تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ - : ﴿ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[1] [هود : ٤٦، ٤٧] . وكذلك فعْلُ كلِّ مُسَدَّدٍ للحقِّ مُوَفَّقٍ له ، سَريعةٌ [٢/ ٥١و] إلى الحقِّ إنابتُه ، قريبةٌ إليه أوْبتُه .

وقد زعَم بعضُ نحْويِّى أهلِ البصرةِ أن قولَه : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ . لم يكنْ ذلك لأن الملائكةَ ادَّعَوْا شيئًا ، إنما أخْبَرَ عن جهْلِهم بعلمِ الغيبِ وعلمِه بذلك وفضلِه ، فقال : أنْبِئونى إن كنتم صادقين . كما يقولُ الرجلُ للرجلِ : أنْبِئْنى بهذا إن كنتَ تَعْلَمُ . وهو يَعْلَمُ أنه لا يَعْلَمُ ، يُرِيدُ أنه جاهِلٌ .

وهذا قولٌ إذا تدَبَّره متدَبِّرٌ عَلِم أن بعضَه مفْسِدٌ بعضًا ، وذلك أن قائلَه زعَم أن اللَّهَ تعالى ذكرُه قال للملائكةِ - إذ عرَض عليهم أهلَ الأسماءِ - : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ . وهو يَعْلَمُ أنهم لا يَعْلَمون ذلك[2] ، ولا هم ادَّعَوْا[3] علمَ شيءٍ[3] يوجِبُ أن يوبَّخوا بهذا القولِ . وزعَم أن قولَه : ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ نظيرُ قولِ القائلِ[4] : أنْبِئْنى بهذا إن كنتَ تَعْلَمُ . وهو يَعْلَمُ أنه لا يَعْلمُ ، يُرِيدُ أنه جاهلٌ . ولا شكَّ أن معنى قولِه : ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ . إنما هو : إن كنتم صادقينَ ؛ إمّا فى قولِكم ، وإمّا فى فعلِكم ؛ لأن الصدقَ فى كلامِ العربِ إنما هو صِدقٌ فى الخبرِ لا فى العلمِ ، وذلك أنه غيرُ معقولٍ فى لغةٍ مِن اللغاتِ أن يُقالَ : صدَق

---

(١) سقطت هذه الآية من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ .

(٢) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١، ت ٢.

(٣ - ٣) فى ص : « شيئًا » .

(٤) فى ر ، م : « الرجل للرجل » .

الرجلُ . بمعنى : عَلِم . فإذ كان ذلك كذلك ، فقد وجَب أن يكونَ اللَّهُ تعالى ذكرُه قال للملائكةِ – على تأويلِ قولِ هذا الذى حكَيْنا قولَه فى هذه الآيةِ – : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ﴾ . وهو يَعْلَمُ أنهم غيرُ صادقين ، يُرِيدُ بذلك أنهم كاذِبون ، وذلك هو عينُ ما أنْكره ؛ لأنه زعَم أن الملائكةَ لم تَدَّعِ شيئًا ، فكيف جاز أن / يقالَ لها[1] : إن كنتم صادقين فأنبِئونى بأسماءِ هؤلاء[2] ؟ مع خروج هذا القولِ الذى حكَينا عن صاحبِه ، مِن أقوالِ جميعِ المُتَقَدِّمين والمُتَأخِّرين مِن أهلِ التأويلِ والتفسيرِ . ١/٢٢٠

وقد حُكِى عن بعضِ أهلِ التفسيرِ أنه كان يَتأوَّلُ قولَه : ﴿ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ﴾ . بمعنى : إذ كنتم صادقين .

ولو كانت ﴿إِن﴾ بمعنى « إذ » فى هذا الموضعِ ، لَوجَب أن تكونَ قراءتُها بفتحِ ألفِها ؛ لأن « إذ » إذا تقدَّمها فعلٌ مُستقبَلٌ ، صارت علةً للفعل وسببًا له ، وذلك كقولِ القائلِ : أقومُ إذ قمتَ . فمعناه : أقومُ مِن أجلِ أنك قمتَ . والأمرُ بمعنى الاستِقبالِ . فمعنى الكلامِ لو كانت ﴿إِن﴾ بمعنى « إذ » : أنبِئونى بأسماءِ هؤلاءِ مِن أجلِ أنكم صادِقون . فإذا وُضِعَت « إن » مكان[3] ذلك ، قيل : أنبِئونى بأسماءِ هؤلاءِ أن كنتم صَادِقين . مفتوحةَ الألفِ . وفى إجماعِ جميعِ قَرأةِ [٢/٥١ظ] أهلِ الإسلامِ على كسرِ الألفِ مِن ﴿إِن﴾ دليلٌ واضحٌ على خطأِ تأويلِ مَن تأوَّل ﴿إِن﴾ بمعنى « إذ » فى هذا الموضعِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ قَالُواْ سُبۡحَـٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ

---

(١) سقط من : ت١ ، ت٢ ، وفى م : « لهم » .

(٢) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ : « هذا » .

(٣) فى ص : « فى موضع » .

أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن ملائكتِه بالأَوْبةِ إليه ، وتسليمِ عِلْمِ ما (١) عَلِم ممّا (١) لم يَعْلَموه له ، وتَبَرِّيهم (٢) مِن أن يَعْلَموا أو يَعْلَمَ أحدٌ شيئًا إلا ما علَّمه تعالى ذِكرُه .

وفى هذه الآياتِ الثلاثِ العِبْرةُ لمن اعْتَبر ، والذكْرَى لمن ادَّكَر ، والبيانُ لمن كان له قلبٌ أو أَلقَى السمعَ وهو شهيدٌ ، عما أَوْدَع اللَّهُ تعالى ذكرُه آىَ هذا القرآنِ مِن لَطائفِ الحِكَمِ التى تَعْجِزُ عن أوصافِها الألسنُ . وذلك أن اللَّهَ تعالى ذكرُه احْتَجَّ فيها لنبيِّه ﷺ على مَن كان بين ظهرانَيْه مِن يهودِ بنى إسرائيلَ ، بإطلاعِه إياه مِن علومِ الغَيْبِ التى لم يكنْ تعالى ذكرُه أَطْلَع عليها مِن خلقِه إلا خاصًّا ، ولم يكنْ مُدْرَكًا علمُه إلا بالإنباءِ والإخبارِ ؛ لتَتَقَرَّرَ عندَهم صحةُ نبوتِه ، ويَعْلَموا أن ما أتاهم به فمِن عندِه ، ودلَّ فيها على أن كلَّ مُخْبِرٍ خبرًا عما قد كان ، أو عما هو كائنٌ مما لم يكنْ ولمّا يَأْتِه به خبرٌ ، ولم يُوضَعْ له على صحتِه بُرهانٌ ، فمُتَقَوِّلٌ ما يَسْتَوْجِبُ به مِن ربِّه العقوبةَ .

ألا (٣) تَرَى أن (٣) اللَّهَ ردَّ على ملائكتِه قِيلَهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . وعرَّفهم أن قِيلَ ذلك لم يكنْ جائزًا لهم ، بما عرَّفهم مِن قُصورِ علمِهم عندَ عَرْضِه ما عرَض عليهم مِن أهلِ الأسماءِ ، فقال : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ . فلم يَكُنْ لهم مَفْزَعٌ إلا الإقرارُ بالعجزِ والتَّبَرِّى إليه أن يعلَموا إلّا ما علَّمَهم بقولِهم : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ . فكان فى ذلك أوضحُ

(١ - ١) فى ص ، ت١ ، ت٢ : « إن » .

(٢) فى ت ١، ت ٢: « تنزيههم » .

(٣ - ٣) فى ر : « تسمعون » ، وفى ت ١، ت ٢: « يسمعون » .

الدلالةِ وأبينُ الحُجَّةِ على كذبِ مَقالةِ كلِّ مَن ادَّعَى شيئًا مِن علومِ الغيبِ ، مِن الحُزاةِ[(١)] والكَهَنةِ والعافَةِ[(٢)] والمُتَنَجِّمةِ .

وذكَّر [٢/ ٥٢و] بها الذين وصَفْنا أمرَهم مِن أهلِ الكتابِ ، سَوالفَ نعمِه على آبائِهم ، وأياديَه عندَ أسلافِهم ، عندَ إنابتِهم إليه ، وإقبالِهم إلى طاعتِه ، مُسْتَعْطِفَهم بذلك إلى الرَّشادِ ، ومُسْتَعْتِبَهم به إلى النجاة ، وحذَّرهم - بالإصرارِ والتمادى / فى الغَيِّ[(٣)] والضَّلالِ - حلولَ العِقابِ بهم ، نظيرَ ما أحلَّ بعدوِّه إبليسَ ، إذ تمادَى فى الغَيِّ[(٣)] والخَسارِ[(٤)] . ١/ ٢٢١

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ . فهو كما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ ﴾ تَنْزِيهًا للَّهِ مِن أن يكونَ أحدٌ يَعْلَمُ الغيبَ غيرَه ، تُبْنا إليك ، ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ تَبَرِّيًا منهم مِن علمِ الغيبِ ، إلَّا ما علَّمتنا كما علَّمْتَ آدمَ[(٥)] .

و« سبحانَ » مصدرٌ لا تصرُّفَ له ، ومعناه : تسبيحَكَ[(٦)] . كأنهم قالوا : نُسَبِّحُك تَسْبيحًا ، ونُنَزِّهُك تَنْزيهًا ، ونُبَرِّئُك مِن أن نَعْلَمَ شيئًا غيرَ ما علَّمْتَنا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ ذلك : إنك أنت يا ربَّنا العليمُ - مِن غيرِ تَعْليمٍ -

---

(١) الحزاة : جمع حاز ، وهو الذى يحزر الأشياء ويقدرها بظنه . النهاية ١/ ٣٨٠ .

(٢) فى الأصل ، م : « القافة » . والعافة : جمع عائف ، وهو المتكهن بالطير أو غيرها . التاج (ع ى ف) .

(٣) فى م : « البغى » .

(٤) بعده فى ص ، ر ، م : « قال » .

(٥) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٥ .

(٦) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ : « نسبحك » .

بجميعِ[(١)] ما قد كان ، وما هو كائنٌ ، والعالمُ للغُيوبِ دون جميعِ خلقِك . وذلك أنهم نفَوْا عن أنفسِهم بقولِهم : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ . أن يكونَ لهم علمٌ إلا ما علَّمهم ربُّهم ، وأثْبتوا ما نَفَوْا عن أنفسِهم مِن ذلك لربِّهم بقولِهم : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . يَعْنون بذلك العالمَ مِن غيرِ تعليمٍ ؛ إذ كان مَن سواك لا يَعْلَمُ شيئًا إلا بتعليمِ غيرِه إياه .

﴿ ٱلْحَكِيمُ﴾ : هو ذو الحِكْمةِ ، كما **حدَّثني** به المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ ، قال : حدَّثني معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ : العليمُ الذى قد كمُل فى علمِه ، والحكيمُ الذى قد كمُل فى حِكْمتِه[(٢)] .

وقد قيل : إن معنى ﴿ ٱلْحَكِيمُ﴾ الحاكمُ ، كما[(٣)] العليمُ بمعنى العالمِ ، والخبيرُ بمعنى الخابرِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه عرَّف ملائكتَه [٢/٥٢ظ] الذين سألوه أن يَجْعَلَهم الخلفاءَ فى الأرضِ ووصَفوا أنفسَهم بطاعتِه والخضوعِ لأمرِه ، دون غيرِهم الذين يفْسِدون فيها ويَسْفِكون الدماءَ - أنهم مِن الجهلِ بمَواقعِ تدْبيرِه ومحَلِّ قَضائِه ، قبلَ إطْلاعِه إياهم عليه ، على نحوِ جهلِهم بأسماءِ الذين عرَضهم عليهم ، إذ كان ذلك مما لم يُعَلِّمْهم فيَعْلَموه ، وأنهم وغيرَهم مِن العبادِ لا يَعْلَمون مِن العلمِ إلا ما

---

(١) فى الأصل : « لجميع » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره - كما فى مجموع الفتاوى ١٧/ ٢٢٠ - وأبو الشيخ فى العظمة (٩٨) من طريق عبد الله بن صالح به مطولا . وسيأتى فى تفسير قوله : ﴿ الصمد ﴾ .

(٣) بعده فى م : « أن » .

علَّمَهم إياه ربُّهم ، وأنه يَخُصُّ بما شاء مِن العلمِ مَن شاء مِن الخلقِ ، ويَمْنَعُه منهم مَن شاء ، كما علَّم آدمَ أسماءَ من عرَض على الملائكةِ ، ومنَعهم علمَها إلا بعدَ تعليمِه إياهم .

فأما تأويلُ قولِه : ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم ﴾ : (١) قال اللهُ : يا آدمُ أنبِئْهم (١) . يقولُ : أخْبِرِ الملائكةَ . والهاءُ والميمُ فى قولِه : ﴿ أَنۢبِئۡهُم ﴾ عائدتان على الملائكةِ . وقولُه : ﴿ بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ ﴾ يعنى : بأسماءِ الذين عرَضهم على الملائكةِ . والهاءُ والميمُ اللتان فى ﴿ بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ ﴾ كنايةٌ عن ذكرِ ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ التى فى قولِه : ﴿ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ . ﴿ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم ﴾ يقولُ : فلمّا أخْبَر آدمُ الملائكةَ بأسماءِ الذين عرَضهم عليهم ، فلم يَعْرِفوا أسماءَهم ، وأيْقَنوا خطأَ قِيلِهم : ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لك ﴾ . وأنهم قد هفَوْا (٢) فى ذلك ، / وقالوا ما لا يَعْلَمون كيفيَّةَ وقوعِ قضاءِ ربِّهم فى ذلك ، لو وقَع على ما نطَقوا به – قال لهم ربُّهم : ﴿ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ . والغيبُ : هو ما غاب عن أبصارِهم فلم يُعاينوه . تَوبيخًا مِن اللهِ جلَّ وعزَّ لهم بذلك على ما سلَف مِن قيلِهم ، وفرَط منهم مِن خطأِ مسألتِهم .

١/٢٢٢

كما **حدَّثنا** محمدُ بنُ العَلاءِ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيد ، قال : حدَّثنا بشرُ ابنُ عُمارة ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحاكِ ، عن ابنِ عباس : ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ ﴾ . يقولُ : أخْبِرْهم بأسمائِهم ، ﴿ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ ﴾ أيُّها الملائكةُ خاصةً : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ، ولا يَعْلَمُه غيرى (٣) .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قصةِ الملائكةِ

(١ – ١) سقط من : م ، وفى ص : « يقول أخبرهم » .
(٢) بعده فى ص : « عنده » .
(٣) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٥ .

وآدمَ : فقال اللَّهُ للملائكةِ : كما لم تَعْلَموا هذه الأسماءَ ، فليس لكم علمٌ أنما[1] أرَدْتُ أن أجْعَلَهم ليُفْسِدوا فيها ، هذا عِندِى[2] قد علِمْتُه ، فكذلك أخْفَيْتُ عنكم أنى أجْعَلُ فيها مَن يَعْصِينى ومَن يُطِيعُنى . قال : وسبَق مِن اللَّهِ : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود : ١١٩] . قال : ولم تَعْلَمِ الملائكةُ ذلك ولم يَدْرُوه . قال : فلما رأَوْا ما أعْطَى اللَّهُ آدمَ مِن العلمِ ، أقرُّوا لآدمَ بالفضلِ[3] .

[٥٣/٢و] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .**

قال أبو جعفر : اختَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فرُوِى عن ابنِ عباسٍ فى ذلك ما **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ . يقولُ : ما تُظْهِرون ، ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . يقولُ : أعْلَمُ السرَّ كما أعْلَمُ العَلانيةَ . يعنى ما كتَم إبليسُ فى نفسِه مِن الكِبْرِ والاغْتِرارِ[4] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . قال : قولُهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ . فهذا الذى أبْدَوْا ، ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . يَعْنى ما أسَرَّ إبليسُ فى نفسِه مِن الكِبْرِ[5] .

---

(١) فى ص : « بما » .

(٢) فى ص ، ر : « عبدى » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٠٧/١ عن المصنف .

(٤) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٥ .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٠٦/١ عن السدى به .

=

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوازيُّ قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِيُّ قال : حدَّثنا عمرُو بنُ ثابتٍ ، عن أبيه ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ قولَه : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . قال : ما أَسَرَّ إبليسُ في نفسِه[(١)] .

حدَّثنا أحمدُ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا سفيانُ في قولِه : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . قال : ما أَسَرَّ إبليسُ في نفسِه مِن الكِبْرِ ألَّا يَسْجُدَ لآدمَ[(٢)] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا الحجاجُ الأَنْماطيُّ ، قال : حدَّثنا مَهْديُّ بنُ مَيْمونٍ ، قال سمِعْتُ الحسنَ بنَ دينارٍ قال للحسنِ ونحن جُلوسٌ عندَه في منزلِه : يا أبا سعيدٍ ، أرأيْتَ قولَ اللَّهِ للملائكةِ : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . فما الذي كتَمَت الملائكةُ؟ فقال الحسنُ : إن اللَّهَ لمَّا خلَق / آدمَ ، رأَتِ الملائكةُ خلقًا عَجبًا ، فكأنهم دخَلَهم مِن ذلك شيءٌ ، فأقبَل بعضُهم إلى بعضٍ ، وأسرُّوا ذلك بينَهم ، فقالوا : ما يُهِمُّكم من هذا المخلوقِ ! إن اللَّهَ لن يَخْلُقَ خلقًا إلا كُنَّا أكرمَ عليه منه[(٣)] .

١/٢٢٣

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ في قولِه : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . قال : أَسَرُّوا بينَهم فقالوا :

= وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٥٠ إلى المصنف عن ابن مسعود وناس من الصحابة .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٨٢ (٣٥٤) من طريق الفضل بن خالد ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك عن ابن عباس بنحوه .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٨٣ عقب الأثر (٣٥٧) معلقا . وعمرو بن ثابت ضعيف .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ١٠٦ عن الثوري .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٨٥- تفسير) من طريق مهدي بن ميمون به .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٥٠ إلى عبد بن حميد .

يَخْلُقُ اللَّهُ ما (١) يَشاءُ أن يَخْلُقَ (١) ، فلن يَخْلُقَ خلقًا إلَّا ونحن أكرمُ عليه منه (٢) .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ : فكان الذى أَبدَوا [٥٣/٢ظ] حين قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ . وكان الذى كتَموا بينَهم قولُهم : لن يَخْلُقَ ربُّنا خلقًا إلا كنا نحن أعلَمَ منه وأكرمَ . فعرَفوا أن اللَّهَ فضَّل آدمَ عليهم فى العلمِ والكرمِ (٣) .

قال أبو جعفرٍ : وأولى هذه الأقوالِ بتأويلِ الآيةِ ما قاله ابنُ عباسٍ ، وهو أن معنى قولِه : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ : وأعلمُ - مع علمِى غيبَ السماواتِ والأرضِ - ما تُظهِرون بألسنتِكم ، ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ : وما كنتم تُخْفُونه فى أنفسِكم ، فلا يَخْفَى علىَّ شىءٌ ، سواءٌ عندى سَرائرُكم وعَلانيتُكم . والذى أَظْهَروه بألسِنتِهم ما أخبَرَ اللَّهُ تعالى ذكرُه عنهم أنهم قالوه ، وهو قولُه (٤) : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . والذى كانوا يَكْتُمونه ما كان عليه منطويًا إبليسُ مِن الخلافِ على اللَّهِ فى أمرِه ، والتَّكبُّرِ عن طاعتِه ؛ لأنه لاخلافَ بينَ جميعِ أهلِ التأويلِ أن تأويلَ ذلك غيرُ خارجٍ مِن أحدِ الوجهَيْن اللذين وصَفْتُ ، وهو ما قلْنا . والآخرُ ما ذكَرْنا مِن قولِ الحسنِ وقتادةَ ، ومَن قال : إن معنى ذلك كِتْمانُ الملائكةِ بينَهم : لن يَخْلُقَ اللَّهُ خلقًا إلا كنا أكرمَ عليه منه . فإذ كان لا قولَ فى

(١ - ١) فى الأصل ، ر : « شاء » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٤٣/١ .

(٣) بعده فى ت١ ، ت٢ : « كتموا بينهم قولهم لن يخلق ربنا خلقا » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٣/١ (٣٥٧) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) فى م : « قولهم » .

تأويلِ ذلك إلا أحدُ القولين اللذين وصَفْتُ ، ثم كان أحدُهما غيرَ موجودةٍ على صحتِه الدَّلالةُ مِن الوجهِ الذى يَجِبُ التسليمُ له - صَحَّ الوجهُ الآخرُ . والذى حُكِى عن الحسنِ وقتادةَ ومَن قال بقولِهما فى تأويلِ ذلك ، غيرُ موجودةٍ الدَّلالةُ على صحتِه من الكتابِ ، ولا من خبرٍ تجبُ به حجةٌ . والذى قاله ابنُ عباسٍ يَدُلُّ على صحتِه خبرُ اللَّهِ عن إبليسَ وعِصْيانِه إياه ، إذ دعاه إلى السجودِ لآدمَ عليه السلامُ فأبَى واسْتَكْبَر ، وإظهارُه لسائرِ الملائكةِ مِن معصيتِه وكِبْرِه ما كان له كاتمًا قبلَ ذلك .

فإن ظَنَّ ظانٌّ أن الخبرَ عن كِتمانِ الملائكةِ ما كانوا يَكْتُمون ، لمَّا كان خارجًا مَخْرَجَ الخبرِ عن الجميعِ ، كان غيرَ جائزٍ أن يكونَ ما رُوِى فى تأويلِ ذلك عن ابنِ عباسٍ ومَن قال بقولِه ، مِن أن ذلك خبرٌ عن كِتْمانِ إبليسَ الكِبْرَ والمعصيةَ ، صحيحًا ، فقد ظَنَّ غيرَ الصوابِ . وذلك أن مِن شأنِ العربِ إذا أَخْبَرَتْ خبرًا عن بعضِ جماعةٍ بغيرِ تسميةِ شخصٍ بعينِه أن تُخْرِجَ الخبرَ [٢/٥٤و] عنه مُخْرَجَ الخبرِ عن الجميعِ ، وذلك كقولِهم : قُتِل الجيشُ وهُزِموا . وإنما قُتِل الواحدُ أو البعضُ ، وهُزم الواحدُ أو البعضُ ، فتُخْرِجُ الخبرَ عن المهزومِ منهم والمقتولِ مُخْرَجَ الخبرِ عن جميعِهم ، كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ /أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات : ٤] . ذُكِر أن الذى نادَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فنزلَت هذه الآيةُ فيه ، كان رجلًا مِن جماعةٍ مِن بنى تميمٍ ، كانوا قدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ[1] . فأخْرَج الخبرَ عنه مُخْرَجَ الخبرِ عن الجماعةِ ، فكذلك قولُه : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . أخْرَج الخبرَ مُخْرَجَ الخبرِ عن الجميعِ ، والمرادُ به الواحدُ منهم .

١/٢٢٤

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ

---

(١) سيأتى تخريجه فى سورة الحجرات .

إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٣٤) ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : أما قولُه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ . فمعطوفٌ على قولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ . كأنه قال لليهودِ الذين كانوا بينَ ظهرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ من بنى إسرائيلَ ، مُعَدِّدًا عليهم نعمَه ، ومُذَكِّرَهم آلاءَه ، على نحوِ الذى قد وصَفْنا فيما مضَى قبلُ - : اذْكُروا فِعْلى بكم إذ أنْعَمْتُ عليكم ، فخلَقْتُ لكم ما فى الأرضِ جميعًا ، وإذ قلتُ للملائكةِ إنى جاعِلٌ فى الأرضِ خليفةً ، فكرَّمْتُ أباكم آدمَ بما آتَيْتُه مِن عِلْمى وفَضْلى وكَرامتى ، وإذ أسْجَدتُ له مَلائِكتى فسجَدوا له . ثم اسْتَثْنى مِن جميعِهم إبليسَ ، فدلَّ باستثنائِه إياه منهم على أنه منهم ، وأنه ممَّن قد أُمِر بالسجودِ معهم ، كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف : ١١، ١٢] . فأخبر جل ثناؤه أنه قد أمَر إبليسَ فى من أمَره مِن الملائكةِ بالسجودِ لآدمَ ، ثم اسْتَثْناه مما أَخْبَر عنهم أنهم فعَلوه مِن السجودِ لآدمَ ، فأخْرَجه مِن الصفةِ التى وصَفهم بها مِن الطاعةِ لأمرِه ، ونفَى عنه ما أثْبَته لملائكتِه مِن السجودِ لعبدِه آدمَ .

ثم **اختَلَف أهلُ التأويلِ فيه** ؛ هل هو مِن الملائكةِ أم هو مِن غيرِهم ؟ **فقال بعضُهم** [٢/٥٤ظ] بما **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان إبليسُ مِن حيٍّ مِن أحياءِ الملائكةِ يقالُ لهم : الجِنُّ . خُلِقوا مِن نارِ السَّمومِ مِن بينِ الملائكةِ . قال : وكان اسمُه الحارثَ . قال : وكان خازنًا مِن خُزَّانِ الجنةِ . قال : وخُلِقَت الملائكةُ مِن نورٍ غيرَ هذا الحيِّ . قال : وخُلِقَت الجِنُّ الذين ذُكِروا فى القرآنِ مِن مارجٍ مِن نارٍ ؛ وهو لسانُ النارِ الذى يَكونُ فى طَرَفِها إذا الْتَهَبَت[1] .

---

(١) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٢ .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن خَلَّادِ بنِ[1] عَطاءٍ ، عن طاوسٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان إبليسُ قبلَ أن يَرْكَبَ المعصيةَ مِن الملائكةِ ، اسمُه عَزَازِيلُ[2] ، وكان مِن سكانِ الأرضِ ، وكان مِن أشدِّ الملائكةِ اجْتِهادًا وأكثرِهم علمًا ، فذلك دعاه إلى الكبْرِ ، وكان مِن حيٍّ يُسَمَّوْن جنًّا[3] .

وحدَّثنا به ابنُ حُميدٍ مرةً أخرى ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن خلادِ بنِ[1] عطاءٍ ، عن طاوسٍ ، أو مُجاهِدٍ أبي الحَجَّاجِ ، عن ابنِ عباسٍ وغيرِه بنحوِه ، إلا أنه قال : كان مَلَكًا مِن الملائكةِ اسمُه عَزَازِيلُ[4] ، وكان مِن سكانِ الأرضِ وعُمَّارِها ، وكان سكانُ الأرضِ فيهم يُسَمَّوْن الجنَّ مِن بينِ الملائكةِ[5] .

١/٢٢٥ / **حدَّثني** موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أَسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ في خبرٍ ذكَره **عن** أبي مالكٍ ، **وعن** أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ،

---

(١) في ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، وتفسير ابن كثير ١/ ١١٠ ، والبداية والنهاية ١/ ١٢٩: « عن » .
وفي الرواة : خلاد بن عطاء بن رباح ، يروى عن أبيه . التاريخ الكبير ١٨٦/٣ .
وخلاد بن عبد الرحمن الصنعاني ، يروى عن طاووس ومجاهد . تهذيب الكمال ٨/ ٣٥٦.
والمثبت كما في الأصل ، وكذلك هو في تاريخ المصنف ، والأضداد ، وتفسير ابن كثير ٥/ ١٦٥.
وفي الرواة : خلاد بن عطاء بن الشِّيَج ، يروى عن طاووس . وقال ابن إسحاق : هو الشامي . التاريخ الكبير ١٨٦/٣ . وينظر ما سيأتي في تفسير الآية ٥٠ من سورة الكهف .

(٢) في الأصل : « عزرائيل » .

(٣) أخرجه ابن إسحاق في المبتدأ ، كما في تفسير ابن كثير ١١٠/١ .
وأخرجه المصنف في تاريخه ٨٦/١ . وينظر الدر المنثور ٥٠/١ .

(٤) في ر : « عزرايل » .

(٥) أخرجه المصنف في تاريخه ٨٦/١ . وأخرجه ابن الأنبارى في الأضداد ص ٣٣٤ من طريق ابن حميد وابن غانم ، عن سلمة به مطولا .

وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : جُعِل إبليسُ على مُلْكِ سماءِ الدنيا ، وكان مِن قبيلةٍ مِن الملائكةِ يُقالُ لهم : الجنُّ . وإنما سُمُّوا الجنَّ لأنهم خُزَّانُ الجنةِ ، وكان إبليسُ مع مُلْكِه خازنًا[(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسَيْنُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : كان إبليسُ مِن أشْرافِ الملائكةِ و[(٢)]أكرمِهم قبيلةً ، وكان خازنًا على الجنانِ ، وكان له سلطانُ سماءِ الدنيا ، وكان له سلطانُ الأرضِ . قال : قال ابنُ عباسٍ : وقولُه : ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الكهف : ٥٠] . إنما سُمِّى بالجَنَّانِ أنه كان خازنًا عليها . كما يُقالُ للرجلِ : مَكِّىٌّ ، ومدَنىٌّ ، وكوفىٌّ ، وبصرىٌّ . قاله[(٣)] ابنُ جُرَيْجٍ[(٤)] .

وقال آخرون : هم سِبْطٌ مِن الملائكةِ قَبيلَةٌ ، وكان اسمُ قبيلتِه الجِنَّ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن صالحٍ مولى التوأمةِ وشريكِ بنِ أبى نَمِرٍ - أحدُهما أو كلاهما - عن ابنِ عباسٍ ، قال : إن مِن الملائكةِ قبيلةً مِن الجنِّ ، وكان إبليسُ منها ، وكان يَسُوسُ ما بينَ السماءِ والأرضِ[(٥)] .

---

(١) تقدم بتمامه فى ص ٤٨٦ .

(٢) زيادة من : م .

(٣) فى النسخ : « قال » . والمثبت مما سيأتى فى تفسير سورة الكهف .

(٤) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٨١ إلى قوله : « وكان له سلطان الأرض » . وسيأتى فى سورة الكهف بزيادة . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٢٢٧ إلى المصنف وابن المنذر ، بزيادة نحوه .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٨١ . وسيأتى فى ص ٥٤١ من طريق آخر عن شريك ، عن صالح ، عن ابن عباس . وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (١١٣١) من طريق سليمان بن بلال ، عن شريك ، عن كريب ، عن ابن عباس .

حُدِّثْتُ عن الحُسَينِ بنِ الفَرَجِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ الفضلَ بنَ خالدٍ ، قال : أخْبَرَنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ الضَّحَّاكَ بنَ مُزَاحِمٍ يقولُ فى قولِه : ﴿ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ . قال : كان ابنُ عباسٍ يقولُ : إن إبليسَ كان مِن أشرفِ الملائكةِ وأكرمِهم قبيلةً . ثم ذكَر مثلَ حديثِ [٢/٥٥و] ابنِ جُرَيْجٍ الأولِ سَواءً[(١)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : حدَّثنى شَيْبانُ ، قال : حدَّثنا سَلَّامُ بنُ مِسْكينٍ ، عن قَتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، قال : كان إبليسُ رئيسَ ملائكةِ سماءِ الدنيا[(٢)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ : قَبيلٌ مِن الملائكةِ يُقالُ لهم : الجنُّ . وكان ابنُ عباسٍ يقولُ : لو لم يَكُنْ مِن الملائكةِ لم يُؤْمَرْ بالسجودِ ، وكان على خِزانةِ سماءِ الدنيا . قال : وكان قَتادةُ يقولُ : جُنَّ عن طاعةِ ربِّه[(٣)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ . قال : كان مِن قَبيلٍ مِن الملائكةِ يقالُ لهم : الجنُّ[(٤)] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال حدَّثنا سَلَمةُ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : أمَّا

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٨١/١ عن عبدان المروزى ، عن الحسين بن الفرج به .
وأخرجه أبو الشيخ فى العظمة (١١٣٨) من طريق أبى معاذ به نحوه .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٨٦/١ . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٠/١، ٢٢٧/٤ إلى ابن أبى حاتم .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٢٧/٤ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم عن أبيه ، إلى قوله : سماء الدنيا .
وأخرج باقيه أبو الشيخ فى العظمة (١١٣٢) من طريق سلام بن مسكين ، عن أبيه ، عن قتادة .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٤٠٤/١ .

العربُ فيقولون : ما الجنُّ إلَّا كلُّ ما اجْتَنَّ فلم يُرَ . قال : وأما قولُه : ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ . أى : كان مِن الملائكةِ ، وذلك أن الملائكةَ اجْتنُّوا فلم يُرَوْا ، وقد قال اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴾ [الصافات : ١٥٨] . وذلك لقولِ قريشٍ : إن الملائكةَ بناتُ اللَّهِ . فيقولُ اللَّهُ جلَّ ذكرُه : إن تكنِ الملائكةُ بناتى / فإبليسُ منها ، وقد جعَلوا بينى وبينَ إبليسَ وذريتِه نسَبًا . قال : وقد قال الأعْشَى ؛ أعْشَى بنى قيسِ بنِ ثَعْلبةَ البَكْرِىُّ ، وهو يَذْكُرُ سليمانَ بنَ داودَ وما أعطاه اللَّهُ عزّ وجلّ : ١/٢٢٦

فلو كان شىءٌ خالدًا أو مُعمَّرًا لكان سليمانُ البرِىءَ مِن الدَّهرِ
بَراه إلهى واصطَفاه عِبادَه وملَّكه ما بينَ ثريا[1] إلى مِصْرِ
وسخَّر من جنِّ الملائكِ تسعةً قيامًا لديه يعملون بلا أجرِ

قال : فأبَت العربُ فى لغتِها إلا أن الجنَّ كلُّ ما اجتَنَّ ، وتقولُ : ما سمَّى اللَّهُ الجنَّ إلا أنهم اجْتنُّوا فلم يُرَوا ، وما سمَّى بنى آدمَ الإنسَ إلا أنهم ظهَروا فلم يجتنُّوا ، فما ظهَر فهو إنسٌ ، وما اجْتنَّ فلم يُر فهو جِنٌّ[2] .

وقال آخَرون بما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ، عن عوفٍ ، عن الحسنِ ، قال : ما كان إبليسُ مِن الملائكةِ طَرْفةَ عينٍ قطُّ ، وإنه لأصلُ

---

(١) فى الأصل : « تونا » ، وفى الأضداد : « ترنا » .

(٢) أخرجه ابن الأنبارى فى الأضداد ص٣٣٥ من طريق ابن حميد وابن غانم ، عن سلمة به مختصرا .

وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره ١٦٥/٥ : وقد روى فى هذا آثار كثيرة عن السلف ، وغالبها من الإسرائيليات التى تنقل لينظر فيها ، والله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته الحق الذى بأيدينا ، وفى القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة .

الجنِّ كما أن آدمَ أصلُ الإنسِ[(١)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يَزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان الحسنُ يقولُ فى قولِه : ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ : ألجأه إلى نَسَبِه ، [٢/٥٥ظ] فقال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى ﴾ الآية . وهم يَتَوالَدون كما يَتَوالَدُ بنو آدمَ[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : حدَّثنا أبو سعيدٍ اليَحْمَدىُّ[(٣)] إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا سَوَّارُ بنُ الجَعْدِ اليَحْمَدِىُّ ، عن شَهْرِ ابنِ حَوشَبٍ قولَه : ﴿ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ . قال : كان إبليسُ مِن الجنِّ الذين طرَدَتهم الملائكةُ ، فأسَرَه بعضُ الملائكةِ فذهَب به إلى السماءِ[(٤)] .

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : إبليسُ أبو الجنِّ ، كما آدمُ أبو الإنسِ[(٥)] .

حدَّثنا علىُّ بنُ الحسنِ[(٦)] ، قال : حدَّثنى أبو نصرٍ أحمدُ بنُ محمدٍ الخَلَّالُ ، قال : حدَّثنى سُنَيدُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثنى هُشَيمٌ ، قال : أخبَرنا عبدُ الرحمنِ بنُ يحيى ، عن موسى بنِ نُمَيرٍ وعثمانَ بنِ سعيدِ بنِ كاملٍ ، عن سعدِ بن مسعودٍ ، قال :

---

(١) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (١١٥٦) من طريق ابن أبى عدى به .

وأخرجه ابن الأنبارى فى الأضداد ص٣٣٧ ، وأبو الشيخ (١١٤٠) من طريق عوف به . وقال ابن كثير فى تفسيره ١/ ١١٠، ٥/ ١٦٤: هذا إسناد صحيح .

(٢) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (١١٤٨) من طريق يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة من قوله .

(٣) بعده فى م : « حدثنا » .

(٤) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٨٧ . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٢٢٧ إلى ابن أبى حاتم .

(٥) ينظر تفسير ابن كثير ١/ ١١٠ .

(٦) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الحسين » .

كانت الملائكةُ تُقاتِلُ الجنَّ ، فسُبِى إبليسُ وكان صغيرًا ، فكان مع الملائكةِ فتعبَّد معها ، فلما أُمِروا بالسجودِ لآدمَ سجَدوا ، فأبى إبليسُ ، فلذلك قال اللَّهُ : ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [(١)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثنا المباركُ بنُ مُجاهدٍ أبو الأزهرِ ، عن شريكِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى نمِرٍ ، عن صالحٍ مولى التَّوْأمةِ ، عن ابن عباسٍ ، قال : إن مِن الملائكةِ قبيلًا يقالُ لهم : الجنُّ . فكان إبليسُ منهم ، وكان إبليسُ يسُوسُ ما بينَ السماءِ والأرضِ ، فعصَى فمسَخه اللَّهُ شيطانًا رَجيمًا [(٢)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ سِنانٍ القَزَّازُ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن شَريكٍ ، [(٣)] عن رجلٍ [(٣)] ، عن عِكْرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : إن اللَّهَ خلَق خلقًا فقال : اسْجُدوا لآدمَ . فقالوا : لا نَفْعَلُ . فبعَث اللَّهُ عليهم نارًا تَحْرِقُهم ، ثم خلَق خلقًا آخرَ ، فقال : إنى خالقٌ بشرًا مِن طينٍ ، فاسْجُدوا لآدمَ . قال : فأبَوْا ، فبعَث اللَّهُ عليهم نارًا فأحْرَقَتهم . قال : ثم خلَق هؤلاءِ ، فقال : اسْجُدوا لآدمَ . فقالوا : نعَم . قال : وكان إبليسُ مِن أولئك الذين أبَوا أن يَسجُدوا لآدمَ [(٤)] .

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٨٧ . وينظر العظمة (١١٤٣) ، وتفسير ابن كثير ١/١١١ .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٨٢. وأخرجه البيهقى فى الشعب (١٤٤) من طريق زهير بن محمد ، عن شريك به .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص ، ر .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١١١ عن المصنف . وقال : وهذا غريب ، ولا يكاد يصح إسناده ؛ فإن فيه رجلا مبهما ، ومثله لا يحتج به .

وأخرجه المصنف فى تاريخه ١/٨٧ عن محمد بن سنان ، عن أبى عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . وأخرجه ابن الأنبارى فى الأضداد ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ من طريق أبى عاصم به مثله . وينظر ما سيأتى فى تفسير الآية ٢٨، ٢٩ من سورة الحجر .

قال أبو جعفرٍ : وعلةُ مَن قال هذه المَقالةَ - [(١)]أن إبليسَ ليس هو مِن الملائكةِ[(١)] - أن اللَّهَ تعالى ذكرُه أخبَر فى كتابِه أنه خلَق إبليسَ من نارِ السَّمومِ ، ومِن مارجٍ مِن نارٍ ، ولم يخبِرْ عن الملائكةِ أنه خلَقها مِن شىءٍ من ذلك ، وأن اللَّهَ أخبَر[(٢)] أنه مِن الجنِّ .

٢٢٧/١ /قالوا : فغيرُ جائزٍ أن يُنْسَبَ إلى غيرِ ما نسَبه اللَّهُ إليه . قالوا : ولإبليسَ نَسْلٌ وذُرِّيةٌ ، والملائكةُ لا تتناسَلُ ولا تَتَوالَدُ .

قال أبو جعفرٍ : وهذه عِللٌ تُنْبِئُ عن ضعفِ معرفةِ أهلِها ، [٥٦/٢و] وذلك أنه غيرُ مُسْتَنْكَرٍ أن يكونَ اللَّهُ تعالى ذكرُه خلَق أصنافَ ملائكتِه مِن أصنافٍ مِن خلقِه شَتَّى . فخلَق بعضًا مِن نُورٍ ، وبعضًا مِن نارٍ ، وبعضًا مما شاء مِن غيرِ ذلك . وليس فى تَرْكِ اللَّهِ تعالى ذكرُه الخبرَ عما خلَق منه ملائكتَه ، وإخبارِه عما خلَق منه إبليسَ ، ما يوجِبُ أن يكونَ إبليسُ خارجًا مِن[(٣)] معناهم ، إذ كان جائزًا أن يكونَ خلَق صِنفًا مِن ملائكتِه مِن نارٍ كان منهم إبليسُ ، وأن يكونَ أفْرَد إبليسَ بأن خلَقه مِن نارِ السَّمومِ دون سائرِ ملائكتِه . وكذلك غيرُ مخرجِه أن يكونَ كان مِن الملائكةِ بأن كان له نسلٌ وذريةٌ ، لِما ركَّب فيه من الشهوةِ واللذةِ التى نُزِعتْ من سائرِ الملائكةِ ، لِما أراد اللَّهُ به[(٤)] مِن المَعْصيةِ .

وأما خبرُ اللَّهِ تعالى ذكرُه عنه أنه مِن الجنِّ ، فغيرُ مدفوعٍ أن يُسَمَّى[(٥)] ما اجْتَنَّ

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) بعده فى ص : « فى كتابه » .

(٣) فى م : « عن » .

(٤) فى الأصل : « منهم » ، وفى ص ، ت٣ : « بهم » .

(٥) بعده فى ص : « من الجن » .

مِن الأشياءِ كلِّها عن الأبْصارِ جنًّا - كما قد ذكَرْنا قبلُ فى شعرِ الأعْشَى - فيكونُ إبليسُ والملائكةُ منهم لاجْتِنانِهم عن أبصارِ بنى آدمَ .

القولُ فى معنى : ﴿ إِبْلِيسَ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وإبليسُ : إفْعِيلُ ، مِن الإبْلاسِ ، وهو الإياسُ مِن الخيرِ والندَمُ والحزنُ .

كما حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ ابنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : إبليسُ أبْلَسَه اللَّهُ مِن الخيرِ كلِّه ، وجعَله شيطانًا رجيمًا عُقوبةً لمعصيتِه[(١)] .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : كان اسمُ إبليسَ الحارثَ ، وإنما سُمِّى إبليسُ حينَ أبْلِس فقيرًا[(٢)] .

قال أبو جعفرٍ : وكما قال اللَّهُ تبارك وتعالى : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٤] . يعنى به أنهم آيِسون مِن الخيرِ ، نادِمون حُزْنًا ، كما قال العجَّاجُ[(٣)] :

يا صاحِ هل تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا[(٤)]

قال نَعَمْ أَعْرِفُه وأبْلَسَا

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٩٥ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٨٤ (٣٦٢) ، وابن الأنبارى فى الأضداد ص ٣٣٦ من طريق بشر به بنحوه .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٥٠ إلى ابن المنذر . وتقدم بتمامه فى ص ٤٨٢.

(٢) فى م : « فغير » ، وغير منقوطة فى ص .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٨٤ عقب الأثر (٣٦٢) من طريق عمرو بن حماد به نحوه .

(٣) ديوانه ص ١٢٣ .

(٤) رسم مكرِس ومكرَس : بعرت فيه الإبل وبوَّلت ، فركب بعضه بعضًا . التاج (ك ر س) .

وقال رُؤْبةُ[(١)] :

وحضَرَتْ[(٢)] يومَ الخميسِ الأخْماسْ
وفى الوُجـــوهِ صُفْرةٌ وإبْـــلاسْ

[٥٦/٢ظ] يعنى به : اكْتئابًا وكُسوفًا .

فإن قال قائلٌ : فإن كان إبليسُ كما قلتَ إفعيلَ مِن الإبْلاسِ ، فهلَّا صُرِف وأُجْرِى ؟

قيل : تُرِك إجراؤُه اسْتِثْقالًا ، إذ كان اسمًا لا نظيرَ له مِن أسماءِ العربِ ، فشبَّهَته العربُ - إذ كان كذلك - بأسماءِ العَجَمِ التى / لاتُجْرَى ، وقد قالوا : مرَرْتُ بإسحاقَ . فلم يُجْروه ، وهو مِن : أسْحَقه اللَّهُ إسْحاقًا . إذ كان وقَع مبتدأً اسمًا لغيرِ العربِ ، ثم تسَمَّت به العربُ ، فجرَى مَجْراه - وهو مِن أسماءِ العجمِ - فى الإعرابِ ، فلم يُصْرَفْ . وكذلك أيوبُ ، إنما هو فَيْعُولٌ[(٣)] ، مِن : آبَ يَئوبُ ، [(٤)] نظيرَ قَيُّومٍ من : قام يقومُ[(٤)] .

٢٢٨/١

وتأويلُ قولِه : ﴿ أَبَىٰ ﴾ . يعنى بذلك إبليسَ ، أنه امْتَنع مِن السجودِ لآدمَ فلم يَسْجُدْ له ، ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ . يعنى بذلك أنه تكبَّر وتعَظَّم عن طاعةِ اللَّهِ فى السجودِ لآدمَ .

وهذا وإن كان مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه خبرًا عن إبليسَ ، فإنه تَقْرِيعٌ لضُرَبائِه من

---

(١) ديوانه (مجموع أشعار العرب) ص ٦٧ .

(٢) فى الديوان : « عرفت » .

(٣) فى ص ، ر ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فعول » ، وفى م : « فيعوع » . وأيوب زنة فيعول ، وقيل : فعول .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

خلقِ اللَّهِ الذين يَتَكَبَّرون عن الخضوعِ لأمرِ اللَّهِ ، والانْقِيادِ لطاعتِه فيما أمَرهم به وفيما نهاهم عنه ، والتسليمِ له فيما أوْجَب لبعضِهم على بعضٍ مِن الحقِّ . وكان ممَّن تكَبَّر عن الخضوعِ لأمرِ اللَّهِ ، والتَّذَلُّلِ لطاعتِه ، والتسليمِ لقضائِه فيما ألْزَمَهم مِن حقوقِ غيرِهم - اليهودُ الذين كانوا بينَ ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأحبارُهم الذين كذَّبوا[1] برسولِ اللَّهِ ﷺ ، [2]وهم بصفتِه عارفون[2] ، وبأنه للَّهِ رسولٌ عالمون . ثم اسْتَكْبَروا - مع علمِهم بذلك - عن الإقرارِ بنبوتِه ، والإذْعانِ لطاعتِه ؛ بَغْيًا منهم له وحسدًا . فقرَّعهم اللَّهُ بخبرِه عن إبليسَ الذى فعَل فى استكبارِه عن السجودِ لآدمَ ، حسدًا له وبَغْيًا ، نظيرَ فعلِهم فى التكبُّرِ عن الإذعانِ لمحمدٍ نبىِّ اللَّهِ ﷺ ونبوتِه ، إذ جاءهم بالحقِّ مِن عندِ ربِّهم ، حسدًا وبَغْيًا .

ثم وصَف إبليسَ بمثلِ الذى وصَف به الذين ضرَبه لهم مثلًا ، فى الاستكبارِ والحسدِ والاسْتِنْكافِ عن الخضوعِ لمَن أمَره اللَّهُ بالخضوعِ له ، فقال : ﴿ وَكَانَ ﴾ - يعنى إبليسَ - ﴿ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ . مِن الجاحِدين نعمَ اللَّهِ عليه ، وأياديَه عندَه ، بخلافِه عليه فيما أمَره به من السجودِ لآدمَ ، كما كفَرَت اليهودُ نعمَ ربِّها التى آتاها وآباءَها قبلُ ؛ مِن إطعامِ اللَّهِ أسْلافَهم المَنَّ والسَّلْوَى ، وإظلالِ الغَمامِ عليهم ، وما لا يُحْصَى مِن نعمِه التى كانت لهم خُصوصًا ، وما خصَّ الذين أدْرَكوا محمدًا ﷺ بإدْراكِهم إياه ، ومشاهدتِهم [3]حُجَّةَ اللَّهِ عليهم[3] ، [٥٧/٢و] فجَحَدت نبوتَه بعد علمِهم به ، ومعرفتِهم بنبوتِه ، حسدًا وبَغْيًا ، فنسَبه اللَّهُ تعالى ذكرُه إلى الكافرين ، فجعَله مِن عِدادِهم فى الدِّينِ والمِلَّةِ ، وإن خالَفهم فى الجنسِ والنسبةِ ، كما جعَل أهلَ

---

(١) فى ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « كانوا » .

(٢ - ٢) فى ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « وصفته عارفين » .

(٣ - ٣) فى ص : « محمد ﷺ » .

النِّفاقِ بعضَهم مِن بعضٍ ، لاجْتماعِهم على النفاقِ ، وإن اخْتَلَفَت أنسابُهم وأجْناسُهم ، فقال : ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة : ٦٧] . يعنى بذلك أن بعضَهم مِن بعضٍ فى النفاقِ والضَّلالِ ، فكذلك قولُه فى إبليسَ : ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ . كان منهم فى الكُفرِ باللَّهِ ، والمخالفةِ لأمْرِه ، وإن كان مخالِفًا جنسُه أجْناسَهم ، ونِسْبتُه نِسْبتَهم . ومعنى قولِه : ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ . أى أنه كان حينَ أبَى السجودَ مِن الكافرين حينئذٍ .

وقد رُوِى عن الربيعِ بن أنسٍ ، عن أبى العاليةِ أنه كان يَقولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ . فى هذا الموضعِ : وكان مِن العاصِين .

حدَّثنى المُثنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا آدمُ العسقَلانىُّ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيـعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ . يعنى : من[(١)] العاصِين[(٢)] .

حدِّثْت عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بمثلِه .

وذلك شَبيهٌ بمعنى[(٣)] قولِنا فيه .

وكان سجودُ الملائكةِ لآدمَ تَكْرِمةً لآدمَ ، وطاعةً للَّهِ ، لا عبادةً لآدمَ ،

٢٢٩/١ /كما **حدثنا** به بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ . فكانت الطاعةُ للَّهِ ،

---

(١) سقط من : الأصل ، ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٥/١ (٣٦٧) من طريق آدم به .

(٣) فى الأصل : « لمعنى » .

والسَّجْدةُ لآدمَ ، أكْرَم اللَّهُ آدمَ أن أسْجَدَ له ملائكتَه[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وفى هذه الآيةِ دَلالةٌ واضحةٌ على صحةِ قولِ مَن قال : إن إبليسَ أُخْرِج مِن الجنةِ بعدَ الاسْتكبارِ عن السجودِ لآدمَ ، وأُسْكِنها آدمُ قبلَ أن يَهْبِطَ إبليسُ إلى الأرضِ . ألا تسمعون اللَّهَ يقولُ : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ . فقد تبيَّنَ أن إبليسَ إنما أزَلَّهما عن طاعةِ اللَّهِ بعدَ أن لُعِن وأظْهَر التكبُّرَ ؛ لأن سجودَ الملائكةِ لآدمَ كان بعدَ أن نُفخ فيه الروحُ ، وحينئذٍ كان امْتِناعُ إبليسَ مِن السجودِ له ، وعند الامتناعِ مِن ذلك حلَّت عليه اللعنةُ .

كما حدَّثنى موسى بنُ هارون ، قال : حدَّثنا [٢/٥٧ظ] عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكرَه **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ ، أن عدوَّ اللَّهِ إبليسَ أقْسَم بعِزَّةِ اللَّهِ لَيُغْوِيَنَّ آدمَ وذريَّتَه وزوجَتَه ، إلا [(٢)]عبادَ اللَّهِ[(٢)] المُخْلَصِين منهم ، بعد أن لعَنه اللَّهُ ، وبعدَ أن أُخْرِج مِن الجنةِ ، وقبلَ أن يَهْبِطَ إلى الأرضِ ، وعلَّم اللَّهُ آدمَ الأسماءَ كلَّها .

وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : لما فرَغ اللَّهُ مِن

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٥٠ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم . وينظر تفسير ابن أبى حاتم ١/ ٨٤ (٣٦٤) ، وتاريخ دمشق ٧/ ٤٠٠ .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٨٤(٣٦٠) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن ابن عباس .

(٢ - ٢) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « عباده » .

إبليسَ ومُعاتَبتِه ، وأبَى إلا المعصيةَ ، أوقَع اللَّهُ عليه اللعنةَ ، ثم أخْرَجه مِن الجنةِ ، أقْبَل على آدمَ وقد علَّمه الأسماءَ كلَّها ، فقال : ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[1] .

ثم اختلَفَ أهلُ التأويلِ فى الحالِ التى خُلقت لآدمَ زوجتُه ، والوقتِ الذى جُعِلَت له سكنًا ؛ فقال ابنُ عباسٍ بما حدَّثنى به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره عن أبى مالكٍ ، وعن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : فأُخْرِج إبْليسُ مِن الجنةِ حينَ لُعِن ، وأُسْكِن آدمُ الجنةَ ، فكان يَمْشِى فيها وَحْشًا[2] ، ليس له زَوْجٌ يَسْكُنُ إليها ، فنام نَوْمةً ، فاسْتيقظ وإذا عند رأسِه امرأةٌ قاعدةٌ ، خلَقها اللَّهُ من ضِلَعِه ، فسَألَها : من أنْتِ ؟ قالت : امْرَأةٌ . قال : ولِمَ خُلِقْتِ ؟ قالت : تسكنُ إلَىَّ . قالت له الملائكةُ - ينظُرون ما بلغَ علمُه - : ما اسْمُها يا آدمُ ؟ قال : حواءُ . قالوا : ولِمَ سميت حواءَ ؟ قال : لأنَّها خُلِقَتْ مِن شىءٍ حىٍّ . فقال اللَّهُ له : ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا ﴾[3] .

فهذا الخبرُ يُنْبِئُ عن أن حَواءَ خُلِقَت بعدَ أن أُسكِن آدمُ الجنةَ ، فجُعِلَت له سَكَنًا .

٢٣٠/١ / وقال آخرون : بل خُلِقَت قبلَ أن يُسْكَنَ آدمُ الجنةَ .

---

(١) تقدم بتمامه فى ص ٤٩٦ .

(٢) أى وحده ليس معه غيره . اللسان (و ح ش) .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/١٠٣ ، ١٠٤ . وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (٨٢٠) ، وابن عساكر فى تاريخه ٧/٤٠٢ من طريق عمرو بن حماد به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٨٥ (٣٧٢) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى من قوله .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : لما فرَغ اللَّهُ مِن مُعاتبةِ إبليسَ ، أقْبَل على آدمَ وقد علَّمه الأسماءَ كلَّها ، فقال : ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . ثم ألْقَى السِّنَةَ على آدمَ - فيما بلَغَنا عن أهلِ الكتابِ مِن أهلِ التَّوْراةِ ، وغيرِهم مِن أهلِ العلمِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ وغيرِه - ثم أخَذ ضِلَعًا مِن أضْلاعِه مِن شِقِّه الأيسرِ ، [٥٨/٢و] ولأَم مكانَه لحمًا ، وآدمُ نائمٌ لم يَهْبُبْ مِن نَوْمِه حتى خلَق اللَّهُ مِن ضِلَعِه تلك زوجتَه حَوَّاءَ ، فسوَّاها امرأةً ليَسْكُنَ إليها ، فلما كشَف عنه السِّنَةَ وهبَّ مِن نومتِه رآها إلى جنبِه ، فقال - فيما يَزْعُمون واللَّهُ أعلمُ - : لحْمى ودمى وزوجتى . فسكَن إليها ، فلمّا زوَّجه اللَّهُ ، وجعَل له سكنًا من نفسِه ، قال له قِبَلًا[(١)] : ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[(٢)] .

قال أبو جعفرٍ : ويقالُ لامرأةِ الرجل : زوْجُه وزَوْجتُه . والزوجةُ بالهاءِ أكثرُ فى كلامِ العربِ منها بغيرِ الهاءِ ، والزوجُ بغيرِ الهاءِ يقالُ : إنها لغةٌ لأزْدِ شَنُوءةَ . فأمّا الزوجُ الذى لا اختلافَ فيه بينَ العربِ فهو زوجُ المرأةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : أمّا الرَّغَدُ ، فإنه الواسِعُ مِن العيشِ الهَنِىءِ الذى لا يُعَنِّى صاحبَه ، يقالُ : أرْغَد فلانٌ . إذا أصاب واسعًا مِن العيشِ الهَنِىءِ ، كما قال امرُؤُ القيسِ بنُ

---

(١) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فتلا » . وقِبلا : عيانا ومقابلة ، لا من وراء حجاب ، ومن غير أن يولى أمره أو كلامه أحدا من ملائكته . النهاية ٨/٤ .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١٠٤/١ . وذكره ابن كثير فى تفسيره ١١٢/١ عن ابن إسحاق به .

حُجْرٍ[1] :

بينَما المرءُ تَراهُ ناعِمًا يأمنُ الأحْداثَ فى عيشٍ رغدْ

وكما **حدَّثنا** به موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ فى خبرٍ ذكَره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ﴾ : والرَّغَدُ الهنِيءُ[2] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسَى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهِدٍ قولَه : ﴿ رَغَدًا ﴾ . قال : لا حِسابَ عليهم[3] .

حدَّثنا المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا حَكَّامٌ ، عن عَنْبَسةَ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن القاسمِ بنِ أبى بَزَّةَ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ . أى : لا حسابَ عليهم .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ بنِ الحارثِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ،

---

(١) لم نجده فى ديوان امرئ القيس بهذه الرواية ، ولكن لامرئ القيس قصيدة على نفس الوزن بها بيت شبيه ، لعله المراد وليس فيه موضع الشاهد ، وهو :

بينما المرء شهاب ثاقب ضرب الدهر ثناه فخمد

ديوان امرئ القيس ص٢١٧ .

(٢) ذكره الحافظ فى الفتح ١٦٤/٨ عن المصنف من طريق السدى عن رجاله . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٦/١ (٣٧٥) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدى من قوله . وهو تمام الأثر المتقدم فى ص ٥٤٧.

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٠٣ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٦/١ (٣٧٤) .

عن الضَّحَّاكِ ، عن ابن عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ﴾ . قال : الرَّغَدُ سَعَةُ المَعيشةِ[1] .

[٢/ ٥٨ظ] فمعنى الآيةِ : وقلْنا يا آدمُ اسْكُن أنت وزوجُك الجنةَ ، وكُلَا مِن الجنةِ رِزقًا واسعًا هَنيئًا مِن العيشِ حيثُ شئتُما .

كما **حدَّثنا** بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يَزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا ﴾ : ثم أتى[2] البلاءُ الذى كُتِب على الخلقِ / على آدمَ ، كما ابتُلِى الخلقُ قبلَه ، إن اللَّهَ تعالى ذكرُه أحَلَّ له ما فى الجنةِ أن يَأْكلَ منها رَغَدًا حيثُ شاءَ ، غيرَ شجرةٍ واحدةٍ نُهِى عنها ، وقَدَّم إليه فيها ، فما زال به البلاءُ حتى وقَع بالذى نُهِى عنه . ٢٣١/١

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ : ﴿ وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والشجرُ فى كلامِ العربِ كلُّ ما قام على ساقٍ ، ومنه قولُ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾ [الرحمن : ٦] . يعنى بالنَّجْمِ ما نَجَم مِن الأرضِ مِن نَبْتٍ ، وبالشجَرِ ما اسْتَقَلَّ على ساقٍ .

ثم **اخْتَلَف أهلُ التأويلِ** فى عينِ الشجَرةِ التى نُهِىَ عن أكلِ ثمرِها آدمُ عليه السلام ؛ **فقال بعضُهم** : هى السُّنْبُلةُ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ إسماعيلَ الأحْمَسىُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الحميدِ الحِمَّانىُّ ،

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٥/١ (٣٧٣) عن أبى زرعة ، عن المنجاب به .

(٢) فى م : « إن » .

عن النضرِ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الشجَرةُ التى نُهِىَ آدمُ عنها[(١)] السُّنْبُلةُ[(٢)] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، **وحدَّثنا** ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا عِمْرانُ بنُ عُيَيْنَةَ[(٣)] ، جميعًا عن حُصينٍ ، عن أبى مالكٍ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ . قال : هى السُّنْبلةُ[(٤)] .

حدَّثنا محمد بن بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْدىٍّ ، **وحدَّثنا** أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوازىُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرىُّ ، قالا جميعًا : حدَّثنا سفيانُ ، عن حُصَيْنٍ ، عن أبى مالكٍ مثلَه .

حدَّثنا أبو كُرَيْب وابنُ وَكيعٍ ، قالا : حدَّثنا ابنُ إدْريسَ ، قال : سمِعْتُ أبى ، عن عطيةَ العوفىِّ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ . قال : السُّنْبُلةُ[(٥)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يَزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : الشجَرةُ التى نُهِى عنها آدمُ هى السُّنْبلةُ .

حدَّثنى المثنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، قال : [٢/ ٥٩و] حدَّثنا

---

(١) فى م : « عن أكل ثمرها » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٦/١ (٣٧٧) ، وأبو الشيخ فى العظمة (١٠٥٩) من طريق محمد بن إسماعيل به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٢/١ إلى ابن المنذر وابن عساكر . والنضر بن عبد الرحمن متروك .

(٣) فى م : « عتيبة » . وينظر تهذيب الكمال ٣٤٥/٢٢ .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٤٠١/٧ من طريق حصين به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٣/١ إلى وكيع وعبد بن حميد وأبى الشيخ .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٦/١ عقب الأثر (٣٧٧) معلقا .

القاسمُ ، قال : حدَّثنى رجلٌ مِن بنى تَميمٍ ، أن ابنَ عباسٍ كتَب إلى أبى الجَلْدِ يَسْألُه عن الشجرةِ التى أكَل منها آدمُ ، والشجرةِ التى تاب عندَها ؟ فكتَب إليه أبو الجَلْدِ : سأَلْتَنى عن الشجرةِ التى نُهِىَ عنها آدمُ ، وهى السُّنْبُلةُ ، وسأَلْتَنى عن الشجرةِ التى تاب عندَها آدمُ ، وهى الزَّيْتُونةُ .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن رجلٍ مِن أهْلِ العلمِ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنه كان يقولُ : الشجرةُ التى نُهِىَ عنها آدمُ البُرُّ[(١)] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنى إسحاقُ ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ عُيَيْنةَ وابنُ المباركِ ، عن الحسنِ بنِ عُمارةَ ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كانت الشجرةُ التى نَهَى اللَّهُ عنها آدمَ وزوجتَه السُّنبلةَ[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن بعضِ أهلِ اليمنِ ، عن[(٣)] وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ اليَمانىِّ أنه كان يقولُ : هى البُرُّ ، ولكنَّ الحَبَّةَ منها فى الجنةِ ككُلَى البقرِ ، ألينُ مِن الزُّبْدِ وأحْلَى مِن العسلِ ، وأهلُ التَّوْراةِ يَقُولون : هى البُرُّ[(٤)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن يعقوبَ

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١١٣ عن ابن إسحاق به . وينظر الدر المنثور ١/ ٥٢.

(٢) سيأتى بتمامه فى تفسير الآية ٢٢ من سورة الأعراف .

(٣) فى الأصل : « وعن » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٨٦ (٣٧٨) من طريق سلمة به .

ابنِ عُتْبَةَ ، أنه حدَّث أنها الشجرةُ التى تَحَنَّكُ[(١)] بها الملائكةُ للخَلْدَةِ[(٢)] .

٢٣٢/١ / **حدَّثنا** ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ يَمانٍ ، عن جابرِ بنِ يزيدَ بنِ رِفاعةَ ، عن مُحارِبِ بنِ دِثارٍ ، قال : هى السنْبُلةُ[(٣)] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبو أُسامةَ ، عن يزيدَ بنِ إبراهيمَ ، عن الحسنِ ، قال : هى السنبلةُ التى جعَلها اللَّهُ رِزقًا لولدِه فى الدنيا[(٣)] .

وقال آخَرون : هى الكَرْمةُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا [(٤)] عبيدُ اللَّهِ [(٤)] ، عن إسرائيلَ ، عن السدىِّ ، عمَّن حدَّثه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : هى الكَرْمةُ[(٥)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكره **عن** أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ

---

(١) فى م : « تحتك » .

(٢) فى ص ، م : « للخلد » .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٦/١ عقب الأثر (٣٧٧) معلقا .

(٤ - ٤) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « عبد الله » .

(٥) فى ر ، والمصادر : « الكرم » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٦/١ (٣٧٦) من طريق عبيد الله به .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٣/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وذكر السيوطى ٥٣/١ عن المصنف ، عن ابن عباس : هى اللوز . وقال : كذا فى النسخة ، وهى قديمة ، وعندى أنها تصحفت من الكرم .

ٱلشَّجَرَةَ ﴾ : هي الكَرْمُ ، وتَزْعُمُ اليهودُ أنها الحنْطةُ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حَمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السديِّ ، قال : الشجرةُ هي الكَرْمُ .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، عن مُغيرةَ ، عن الشعبيِّ ، عن جَعْدةَ بنِ هُبَيْرةَ ، قال : هو العِنَبُ . في قولِه : ﴿ وَلَا نَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبي ، عن خَلَّادٍ الصَّفَّارِ ، عن بَيانٍ ، عن الشعبيِّ ، عن جَعْدةَ بنِ هُبَيْرةَ : ﴿ وَلَا نَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ . قال : الكَرْمُ[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ وابنُ وَكيعٍ ، قالا : [٥٩/٢ ظ] حدَّثنا جَريرٌ ، عن مُغيرةَ ، عن الشعبيِّ ، عن جَعْدةَ بنِ هُبَيْرةَ ، قال : الشجرةُ التي نُهِي عنها آدمُ شجرةُ الخمرِ .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْريُّ ، قال : حدَّثنا عَبَّادُ بنُ العَوَّامِ ، قال : حدَّثنا سفيانُ بنُ حسينٍ[(٣)] ، عن يَعْلَى بنِ مُسْلِمٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ قولَه : ﴿ وَلَا نَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ . قال : الكَرْمُ[(٤)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا سُفيانُ ، عن السُّدِّيِّ ، قال : العِنَبُ .

حدَّثنا القاسمُ قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن أبي مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ قيسٍ ، قال : عِنَبٌ[(٤)] .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/١ إلى المصنف عن ابن مسعود . وينظر تاريخ دمشق ٧/ ٤٠١ .

(٢) أخرجه وكيع - كما في الدر المنثور ٥٣/١ - وأخرجه ابن سعد ٣٤/١ من طريق بيان به . وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ . وينظر تفسير ابن أبي حاتم ٨٦/١(٣٧٦) .

(٣) في ص : « حصين » .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٦/١ عقب الأثر (٣٧٦) معلقًا .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا خالدٌ الواسطىُّ ، عن بَيانٍ ، عن الشعبىِّ ، عن جَعْدةَ بنِ هُبَيْرةَ : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ . قال : الكَرْمُ.

وقال آخَرون : هى التِّينةُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن بعضِ أصحابِ محمدٍ ﷺ ، قال: تينةٌ[1] .

٢٣٣/١ / **قال أبو جعفرٍ**: والقولُ فى ذلك عندنا أن اللَّهَ تعالى ذكرُه أخْبَر عبادَه أن آدمَ وزوجَه قد أكَلا مِن الشجرةِ التى نهاهما عن الأكلِ منها ، وأتَيا الخَطيئةَ التى نهاهما عن إتيانِها بأكلِهما ما أكَلا منها ، بعدَ أن بيَّنَ اللَّهُ لهما عَينَ الشجرةِ التى نهاهما عن الأكلِ منها ، وأشار لهما إليها بقولِه : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ . ولم يَضَعِ اللَّهُ لعبادِه المخاطَبِين بالقرآنِ دَلالةً على أىِّ أشجارِ الجنةِ كان نَهْيُه آدمَ عليه السلامُ أن يَقْرَبَها ، بنصٍّ عليها باسمِها ، ولا بدَلالةٍ عليها ، ولو كان للَّهِ جلّ ثناؤُه فى العلمِ بأىِّ ذلك مِن أىٍّ رضًا ، لم يُخْلِ عبادَه مِن نَصْبِ دَلالةٍ لهم عليها يَصِلون بها إلى معرفةِ عينِها ، ليُطِيعوه بعلمِهم بها ، كما فعَل ذلك فى كلِّ ما فى العلمِ به له رضًا .

فالصوابُ فى ذلك أن يقالَ : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه نهَى آدمَ عليه السلامُ وزوجتَه عن أكلِ شجرةٍ بعينِها مِن أشجارِ الجنةِ دون سائرِ أشجارِها ، فخالَفا إلى ما نهاهما اللَّهُ عنه ، فأكلا منها كما وصَفَهُما اللَّهُ به ، ولا علمَ عندَنا [2] بأىِّ ذلك من أىٍّ [2] . وقد

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٣/١ إلى المصنف عن بعض الصحابة .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٦/١ (٣٧٩) من طريق ابن جريج عن مجاهد . وعزاه السيوطى إلى أبى الشيخ عن مجاهد . وينظر ما تقدم فى ص ٢٠٤ .

(٢ - ٢) فى م : « أى شجرة كانت على التعيين ؛ لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك فى القرآن ، ولا =

قِيلَ : كانت شجرةَ البُرِّ . وقيل : كانت شجرةَ العِنَبِ . وقيل : كانت شجرةَ التِّينِ . وجائزٌ أن تكونَ واحدةً منها ، وذلك (١) عِلْمٌ إذا عُلِم (١) لم يَنْفَعِ العالمَ به علمُه ، وإنْ جَهِله جاهلٌ لم يضُرَّه جهلُه به .

[٢/٦٠و] **القولُ فى تأويلِ قولِه عزّ وجلّ** : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣٥) ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اخْتلَف أهلُ العربيةِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ؛ فقال بعضُ نحْويِّى الكوفيين : تأويلُ ذلك : ولا تَقْرَبا هذه الشجرةَ ، فإنكما إن قرِبْتُماها كنتما مِن الظالمين . فصار الثانى فى موضعِ جوابِ الجزاءِ ، وجوابُ الجزاءِ يَعْمَلُ فيه أوَّلُه ، كقولِك : إن تَقُمْ أَقُمْ . فتَجْزِمُ الثانىَ بجزمِ الأوَّلِ ، فكذلك قولُه : ﴿ فَتَكُونَا ﴾ لمّا وقَعَتِ الفَاءُ فى موضعِ شرطِ الأوَّلِ نُصِب بها ، وصُيِّرَت بمنزلةِ « كى » فى نصبِها الأفعالَ المستقبلةَ ، للزومِها الاستقبالَ ، إذ كان أصلُ الجزاءِ الاستقبالَ .

وقال بعضُ نحْويِّى أهلِ البصرةِ : تأويلُ ذلك : لا يكُنْ منكما قُرْبُ هذه الشجرةِ ، فأن تكونا مِن الظالمين . غيرَ أنه زعَم أنّ « أن » غيرُ جائزٍ إظهارُها مع ﴿ لَا ﴾ ، ولكنَّها مُضْمَرةٌ لابد منها ليَصحَّ الكلامُ بعطفِ اسمٍ - وهى « أن » - على اسمٍ ، كما غيرُ جائزٍ فى قولِهم : عسى أن يَفْعَلَ : عسى الفعلُ . ولا فى قولِك : ما كان لِيَفْعَلَ : ما كان لأن يَفْعَلَ .

وهذا القولُ الثانى يُفسِدُه إجماعُ جميعِهم على تخطئةِ قولِ القائلِ : سرَّنى

= فى السنة الصحيحة ، فأنى يأتى ذلك من أتى » .

(١ - ١) فى م : « إن علمه عالم » .

تقومُ يا هذا . وهو يُريدُ : سرَّنى قيامُك . فكذلك يجِبُ أن يَكونَ خطأً على هذا المذهبِ قولُ القائلِ : لا تقمْ . إذا كان المعنى : لا يكن منك قيامٌ . وفى إجْماعِ جميعِهم على صحةِ قولِ القائلِ : لا تَقُمْ . وفسادِ قولِ القائلِ : سرَّنى تَقُومُ . بمعنى : سرَّنى قيامُك - الدليلُ الواضحُ على فسادِ دعوى المُدَّعِى أن مع ﴿ لَا ﴾ التى فى قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ . ضميرَ « أن » ، وصحةِ القولِ الآخرِ .

وفى قولِه : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . **وجهان** مِن التأويلِ ؛ **أحدُهما** : أن يَكونَ ﴿ فَتَكُونَا ﴾ فى نيةِ العطفِ على قولِه : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا ﴾ فيكونَ تأويلُه حينَئذٍ : ولا تَقْرَبا هذه الشجرةَ ، ولا تكونا من الظالمين . فيكونَ ﴿ فَتَكُونَا ﴾ حينَئذٍ فى معنى الجزمِ مجزومًا بما جُزِم به : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا ﴾ . كما يقولُ القائلُ : لا تُكلِّمْ عَمْرًا ولا تُؤْذِه . كما قال امرُؤُ القيسِ[1] .

١/٢٣٤ [٢/ ٦٠ظ] /فقلتُ له صوِّبْ ولا تَجْهَدَنَّهُ فَيُذْرِكَ مِن أُخْرَى القَطاةِ[2] فتزْلَقِ

فجزَم « يُذْرِك » بما جزَم به « لا تَجْهَدَنَّه » ، كأنه كرَّر النهىَ .

والثانى : أن يكونَ ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . بمعنى جوابِ النهيِ ، فيكونَ تأويلُه حينَئذٍ : لا تَقْرَبا هذه الشجرةَ ، فإنكما إن قَرِبْتُماها كنتما مِن الظالمين . كما تقولُ : لا تَشْتُمْ زيدًا[3] فيَشْتُمَك مُجازاةً . فيكونَ ﴿ فَتَكُونَا ﴾ حينَئذٍ فى موضعِ نَصبٍ إذ كان حرفًا عُطِفَ على غيرِ شكلِه ، لمَّا كان فى ﴿ وَلَا تَقْرَبَا ﴾ حرفٌ عاملٌ فيه لا[4] يَصْلُحُ إعادتُه فى ﴿ فَتَكُونَا ﴾ ، فنُصِب على ما قد بيَّنْتُ فى أولِ هذه المسألةِ .

---

(١) ديوانه ص ١٧٤ .

(٢) القطاة : موضع الردف من الدابة خلف الفارس . اللسان (ق ط و) .

(٣) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « عمرًا » .

(٤) فى ص ، م : « ولا » .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ . فإنه يعنى به : فتكونا من المُتَعدِّين إلى غيرِ ما أُذِن لهم فيه وأُبيح لهم . وإنما عَنَى بذلك أنكما إن قرِبْتُما هذه الشجرةَ كنتما على مِنْهاجِ مَن تَعدَّى حُدودى ، وعَصَى أمرى ، واسْتَحلَّ مَحارِمى ؛ لأن الظالمين بعضُهم أولياءُ بعضٍ ، واللَّهُ ولىُّ المُتَّقِين .

وأصلُ الظلمِ فى كلامِ العربِ وضعُ الشىءِ فى غيرِ موضعِه ، ومنه قولُ نابغةِ بنى ذُبْيانَ[1] :

إلَّا أَوارِىَّ[2] لَأْيًا ما أُبَيِّنُها والنُّؤْىُ كالحوضِ بالمَظْلومةِ الجَلَدِ

فجعَل الأرضَ مظلومةً ؛ لأن الذى حفَر فيها النُّؤْىَ حفَر فى غيرِ موضعِ الحفرِ ، فجعَلها مظلومةً [3]لوضعِ الحُفْرةِ[3] منها فى غيرِ موضعِها . ومِن ذلك قولُ ابنِ قَمِيئةَ فى صفةِ غَيْثٍ[4] :

ظَلَم البِطاحَ[5] به[6] انْهلالُ[7] حَريصةٍ[8] فَصَفَا النِّطافُ[9] له بُعَيْدَ المُقْلَعِ[10]

---

(١) تقدم فى ص ١٨٤ .

(٢) فى الأصل ، م : « الأوارى » . ويروى بالوجهين ، وقد تقدم بدون الألف واللام فى جميع النسخ فى الموضع السابق .

(٣ - ٣) فى ص : « لموضع الحفر » .

(٤) كذا نسبه المصنف ، وورد هذا البيت فى ديوان ابن قميئة ص ٢٠٧ على أنه من الشعر المنسوب إليه وليس فى مخطوطة الديوان . والصواب أنه للحادرة ، ينظر المفضليات ص ٤٤ ، وديوان شعر الحادرة ص ٣٠٨ .

(٥) البطاح : بطون الأودية . التاج (ب ط ح) .

(٦) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « بها » . وفى المفضليات : « له » . والمثبت من الأصل ، ص موافق لما فى ديوان شعر الحادرة .

(٧) أنهل المطر انهلالاً : سال بشدة . اللسان (هـ ل ل) .

(٨) الحريصة : السحابة التى تقشر وجه الأرض بمطرها . التاج (ح ر ص) .

(٩) النطاف : القليل من الماء . وقيل : هى الماء الصافى قلَّ أو كثر . اللسان (ن ط ف) .

(١٠) المقلع : الإقلاع ؛ وهو الإمساك والكف . التاج (ق ل ع) .

وظلمُه إياه مَجِيئُه فى غيرِ أوانِه ، وانصبابُه فى غيرِ مَصَبِّه . ومنه ظلمُ الرجلِ جَزورَه ، وهو نحرُه إياه لغيرِ علَّةٍ ، وذلك عندَ العربِ وَضْعُ النحرِ فى غيرِ موضعِه .

وقد يتفرَّعُ الظُّلْمُ فى معانٍ يَطولُ بإحْصائِها الكِتابُ ، سنُبيِّنُها فى أماكنِها إذا أتيْنا عليها ، إنِ اللَّهُ شاء ذلك ، وأصلُ ذلك كُلِّه ما وصَفْنا من وضعِ الشىءِ فى غيرِ موضِعِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اخْتَلَفتِ القَرَأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأَتْه عامَّتُهم : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ . بتشديدِ اللامِ[(١)] ، بمعنى : اسْتَزَلَّهما ، مِن قولِك : زَلَّ الرجلُ فى دينِه . إذا هفَا فيه وأخْطَأ ، فأَتَى ما ليس له إتيانُه [٦١/٢و] فيه ، وأزلَّه غيرُه ، إذا سبَّب له ما يَزِلُّ مِن أجلِه فى دِينِه أو دنياه ؛ ولذلك أضاف اللَّهُ تعالى ذكرُه إلى إبليسَ خروجَ آدمَ وزوجتِه مِن الجنةِ فقال : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ . يعنى : إبليسُ أخرَجهما[(٢)] ﴿ مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ ؛ لأنه كان الذى سبَّب لهما الخطيئةَ التى عاقَبهما اللَّهُ عليها بإخْراجِهما مِن الجنةِ .

وقرَأه آخَرون : (فأزالهما)[(٣)] . بمعنى إزالةِ الشىءِ عن الشىءِ ، وذلك تَنْحِيتُه عنه .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ [(٤)] **ما حدَّثناه**[(٤)] القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : / حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : قولُه : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ . قال : أغواهما[(٥)] . ٢٣٥/١

(١) وهى قراءة نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وأبى عمرو والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ١٥٣ .

(٢) سقط من ص ، م ، ت٢ .

(٣) وهى قراءة حمزة . المصدر السابق .

(٤ - ٤) فى ص : « الشيطان عنها ، قال : أغواهما . حدثنا » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٧/١ (٣٨٦) من طريق ابن جريج به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٣/١ إلى ابن المنذر .

وأولى القراءتَيْن بالصوابِ قراءةُ مَن قرَأه : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ ؛ لأن اللَّهَ تعالى ذكرُه قد أخْبَرَ في الحرفِ الذي يتْلُوه بأنَّ إبليسَ أخرَجَهُما مما كانا فيه ، وذلك هو مَعْنى قولِه : (فأزالهما)[١] . فلا وجهَ - إذ كان معنى الإزالةِ معنى التَّنْحِيةِ والإخْراجِ - أن يُقالَ : (فأزالهما الشيطانُ عنها فأخْرَجهما مما كانا فيه) فيكونُ كقولِه : فأزالهما الشيطانُ عنها فأزالهما مما كانا فيه . ولكنِ المعنى المفهومُ أن يُقالَ : فاسْتَزَلَّهما إبليسُ عن طاعةِ اللَّهِ - كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ . وقرَأَت به القَرأَةُ - فأخْرَجهما باسْتِزْلالِه إياهما عن[٢] الجنةِ .

فإن قالَ قائلٌ : وكيف كان اسْتِزْلالُ إبليسَ آدمَ وزوجتَه عليهما السلامُ ، حتى أُضِيفَ إليه إخراجُهما مِن الجنةِ ؟

قيل : قد قالت العلماءُ في ذلك أقوالًا سنَذْكُرُ بعضَها .

فحُكِي عن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ في ذلك ما **حدَّثنا** به الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا عمرُ[٣] بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ مُهْرِبٍ ، قال : سمِعْتُ وهْبَ ابنَ مُنَبِّهٍ يقولُ : لمَّا أسْكَن اللَّهُ آدمَ وذريتَه ، أو زوجتَه - الشكُّ مِن أبي جعفرٍ ، وهو في أصلِ كتابِه : وذريتَه - ونهاه عن الشجرةِ ، وكانت شجرةً غُصونُها مُتَشَعِّبٌ بعضُها في بعضٍ ، وكان لها ثمرٌ تأْكُلُه الملائكةُ لخُلْدِهم ، وهي الثمرةُ التي نهَى اللَّهُ عنها آدمَ وزوجتَه ، فلمّا أراد إبليسُ أن يَستزِلَّهما ، دخَل في جوفِ الحيَّةِ ، وكانت للحيَّةِ أربعُ قَوائِمَ كأنها بُخْتيَّةٌ[٤] مِن أحسنِ دابةٍ خلَقها اللَّهُ جلَّ ثناؤُه ، فلمّا دخَلَت الحيةُ الجنةَ ،

---

(١) في ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فأزلهما » .

(٢) في م : « من » .

(٣) في م : « عمرو » .

(٤) البختية : الأنثى من الجمال البُخْتِ ، والذكر بختيٌّ ، وهي جمال طوال الأعناق ، وتجمع على بُخْت وبخاتيّ - غير مصروف - واللفظة معربة . النهاية ١/١٠١ .

خرَج مِن جوفِها إبليسُ ، فأخَذ مِن الشجرةِ التى [٦١/٢ظ] نهَى اللَّهُ عنها آدمَ وزوجتَه ، فجاء بها[١] إلى حَوَّاءَ ، فقال : انظُرى إلى هذه الشجرةِ ، ما أطيبَ ريحَها ، وأطيبَ طعمَها ، وأحسنَ لونَها ! فأخَذَت حواءُ فأكَلت منها ، ثم ذهَبَت بها إلى آدمَ ، فقالت : انظُرْ إلى هذه الشجرةِ ، ما أطيبَ ريحَها ، وأطيبَ طعمَها ، وأحسنَ لونَها ! فأكَل منها آدمُ ، فبدَت لهما سَوآتُهما ، فدخَل آدمُ فى جوفِ الشجرةِ ، فناداه ربُّه : يا آدمُ ، أين أنت ؟ قال : أنا هذا[٢] يا ربِّ . قال : ألا تَخرُجُ ؟ قال : أَسْتَحْيِى منك يا ربِّ . قال : ملعونةٌ الأرضُ التى خُلِقْتَ منها لعنةً [٣]تتحوَّلُ ثمارُها[٣] شوكًا . قال : ولم يَكُنْ فى الجنةِ ولا فى الأرضِ[٤] شجرةٌ كان أفضلَ مِن الطَّلْحِ والسِّدْرِ . ثم قال : يا حَوَّاءُ ، أنت التى غرَرْتِ عبدى ، فإنك لا تَحْمِلين حَمْلًا إلا حَملْتِه كَرْهًا ، فإذا أرَدْتِ أن تَضَعِى ما فى بطنِكِ أَشْرَفْتِ على الموتِ مِرارًا . وقال للحيَّةِ : أنتِ التى دخَل الملعونُ فى جوفِكِ ، حتى غرَّ عبدِى ، ملعونةٌ أنتِ لعنةً تَتَحوَّلُ قَوائِمُك فى بطنِكِ ، [٥]ولا يكونُ[٥] لك رزقٌ إلا الترابُ ، أنت عدوَّةُ بنى آدمَ ، وهم أعداؤُكِ ، حيثُ لقيتِ أحدًا منهم أخَذْتِ بعَقِبِه ، وحيثُ لقِيَكِ شدَخ رأسَكِ . قال عمرُ[٦] : قيل لوهبٍ : وما كانت الملائكةُ تأْكُلُ ؟ قال : يَفْعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ[٧] .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ نحوُ هذه القصةِ .

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « به » .

(٢) فى م ، ت ٢: « هنا » .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يتحول ثمرها » .

(٤) فى ص : « السماء » .

(٥ - ٥) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، وتاريخ المصنف : « لا يكن » ، وفى ت٣ : « لم يكن » .

(٦) فى م : « عمرو » .

(٧) تفسير عبد الرزاق ١/ ٢٢٦، وأخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٠٨، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٨٧ (٣٨٢) - مختصرا - عن الحسن بن يحيى به . وعندهم : لما أسكن الله آدم وزوجته الجنة . بدون شك .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدِّيِّ في خبرٍ ذَكَره **عن** أبي مالكٍ ، **وعن** أبي صالحٍ ، عن ابن عباسٍ ، **وعن** مُرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ : لما قال اللَّهُ لآدمَ : ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ / شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . أراد إبليسُ أن ١/٢٣٦ يَدْخُلَ عليهما الجنةَ ، فمنعَه الخَزَنةُ ، فأتَى الحيةَ - وهى دابةٌ لها أربعُ قَوائِمَ ، كأنها البعيرُ ، وهى كأحسنِ الدوابِّ - فكلَّمها أن تُدْخِلَه فى فُقْمِها[(١)] حتى تَدْخُلَ به إلى آدمَ ، فأدْخَلَته فى فُقْمِها[(٢)] - [(٣)]قال أبو جعفرٍ : والفُقْمُ جانبُ الشِّدْقِ[(٣)] - فمرَّت الحيةُ على الخَزَنةِ فدخَلَت ولا يَعْلَمون ، لِمَا أراد اللَّهُ مِن الأمرِ . فكلَّمه مِن فُقْمِها[(٤)] ، فلم يُبالِ كلامَه[(٥)] ، فخرَج إليه ، فقال : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه : ١٢٠] . يقولُ : هل أَدُلُّك على شجرةٍ إن أكَلْتَ منها كنتَ مَلِكًا مثلَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، أو تكونا مِن الخالدِين فلا تَموتان أبدًا . وحلَف لهما باللَّهِ : ﴿ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٢١] . وإنما أراد بذلك لِيُبْدِيَ لهما ما ووُرِيَ عنهما مِن سَوْءاتِهما بهَتْكِ لباسِهما ، وكان قد علِم أن لهما سَوْأَةً ، لِمَا كان يَقْرأُ مِن كتبِ الملائكةِ ، ولم يَكُنْ آدمُ يَعْلَمُ ذلك ، وكان [٦٢/٢و] لِباسُهما الظُّفْرَ ، فأبَى آدمُ أن يأْكُلَ منها ، فتقَدَّمَت حَوَّاءُ فأكَلَت ، ثم قالت : يا آدمُ كُلْ ، فإني قد أكَلْتُ فلم يَضُرَّني . فلمَّا أكَل آدمُ بَدَت لهما سوءاتُهما ، وطَفِقا يَخْصِفان عليهما مِن ورقِ الجنةِ[(٦)] .

---

(١) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، وتاريخ المصنف ، والدر المنثور : « فمها » .

(٢) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، والتاريخ ، والدر : « فمها » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٤) فى م : « فمها » ، وفى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فمه » .

(٥) فى م ، والدر : « بكلامه » .

(٦) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/١٠٦ ، ١٠٧ . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٧/٤٠٢ من طريق عمرو =

حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : حدَّثنى مُحدِّثٌ أن الشيطانَ دخَل الجنةَ فى صورةِ دابةٍ ذاتِ قوائمَ ، فكان يُرى أنه[1] البعيرُ ، قال : فلُعِن ، فسقَطت قوائمُه فصار حيَّةً[2] .

حُدِّثت عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : وحدَّثنى أبو العاليةِ أن مِن الإبلِ ما كان أوَّلُها مِن الجنِّ . قال : فأُبيحَت له الجنةُ كلُّها إلا الشجرةَ ، وقيل لهما[3] : ﴿ لا نقربا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قال : فأتى الشيطانُ حوَّاءَ ، فبدَأ بها ، فقال : أنُهِيتُما عن شىءٍ ؟ قالت : نعم ، عن هذه الشجرةِ . فقال : ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠] . قال : فبدَأَت حواءُ فأكَلَت منها ، ثم أمَرَت آدمَ فأكَل منها . قال : وكانت شجرةً مَن أكَل منها أحْدَث . قال : ولا يَنْبَغِى أن يَكونَ فى الجنةِ حَدَثٌ . قال : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا[4] ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ . قال : فأخرج آدمُ مِن الجنةِ[5] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، قال : حدَّثنا ابنُ إسحاقَ ، عن بعضِ أهلِ العلمِ ، أن آدمَ حينَ دخَل الجنةَ ورأَى ما فيها مِن الكَرامةِ وما أعْطاه اللَّهُ منها ، قال : لو

= ابن حماد به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٥١/٥ (٨٢٩٤، ٨٢٩٥ ، ٨٢٩٨) من طريق عمرو بن حماد به ، عن السدى من قوله مختصرًا .

(١) فى ت٣ : « كأنه » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١٠٩/١ .

(٣) فى ص : « له » .

(٤) فى الأصل ، ص : « فأزالهما » . وهى قراءة حمزة كما تقدم .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٠٩، ١١٠.

أن خُلْدًا كان . (١ فاغْتَمَز فيها ١) منه الشيطانُ لمَّا سمِعَها منه ، فأتاه مِن قِبَلِ الـخُلْدِ[٢] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : حُدِّثْتُ أن أولَ ما ابْتَدَأهما به مِن كيدِه إياهما أنه ناح عليهما نِياحَةً[٣] حَزَّنتهما[٤] حينَ سمِعاها ، فقالا له : ما يُبْكِيك ؟ قال : أبْكِى عليكما ؛ تَموتان فتُفارِقان ما أنتما فيه مِن النعمةِ والكَرامةِ . فوقَع ذلك فى أنفسِهما ، ثم أتاهما فوَسْوَس إليهما ، فقال : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه : ١٢٠] . وقال : ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠، ٢١] . أى : تكونان ملكَين ، أو تَخلُدان - إن لم تكونا ملكَين - فى نعمةِ الجنةِ ، فلا تَموتان . يقولُ اللّهُ جل ثناؤه : ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾[٥] [الأعراف : ٢٢] .

/ **وحدَّثنى** يونُسُ [٢/ ٦٢ظ] بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : وسْوَس الشيطانُ إلى حَوَّاءَ فى الشجرةِ حتى أتَى بها إليها ، ثم حسَّنها فى عينِ آدمَ . قال : فدعاها آدمُ لحاجتِه . قالت : لا ، إلا أن تَأْتِىَ هـهنا . فلما أتَى قالت : لا ، إلا أن تَأْكُلَ مِن هذه الشجرةِ . قال : فأكَلا منها فبدَت لهما سَوءاتُهما . قال : وذَهَب آدمُ هاربًا فى الجنةِ ، فناداه ربُّه : يا آدمُ ، أمنِّى تَفِرُّ ؟ قال : لا يا ربِّ ، ولكن حَياءً منك . قال : يا آدمُ ، أنَّى أُتِيتَ ؟ قال : مِن قِبَلِ حواءَ أى ربِّ . فقال اللّهُ : فإن لها علىَّ أن أُدْمِيَها ٢٣٧/١

(١ - ١) فى م : « فاغتنمها » . وقوله اغتمز فيها : يقال : سمعت منه كلمة فاغتمزتها فى عقله ، وأغمزت فيه ، أى : وجدت فيه ما يستضعف لأجله . أساس البلاغة (غ م ز) .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١١٠.

(٣) فى ت ٢، ت ٣: « مناحة » .

(٤) فى م ، وتاريخ المصنف : « أحزنتهما » . وفى نسختين من نسخ التاريخ كالمثبت هنا .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١١٠، ١١١.

فى كلِّ شهرٍ مرةً كما دَمَّتْ[(١)] هذه الشجرةَ ، وأن أَجْعَلَها سَفِيهةً ، فقد كنتُ خلَقْتُها حَلِيمةً ، وأن أَجْعَلَها تَحْمِلُ كَرْهًا وَتَضَعُ كَرْهًا ، فقد كنتُ جعَلْتُها تَحْمِلُ يُسْرًا[(٢)] وتَضَعُ يُسْرًا[(٢)] . قال ابنُ زيدٍ : ولولا البَلِيَّةُ التى أصابَتْ حَوَّاءُ لكان نساءُ الدنيا لا يَحِضْنَ ، ولكُنَّ حَليماتٍ ، وكُنَّ يَحْمِلْنَ يُسْرًا[(٢)] ويَضَعْنَ يُسْرًا[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن يزيدَ بنِ عبدِ اللّهِ بنِ قُسَيْطٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، قال : سمِعْتُه يَحْلِفُ باللّهِ ما يَسْتَثْنى : ما أكَل آدمُ مِن الشجرةِ وهو يَعْقِلُ ، ولكنّ حَوَّاءَ سقَتْه الخمرَ ، حتى إذا سكِر قادَتْه إليها فأكَل[(٣)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن ليثِ بنِ أبى سُلَيْمٍ ، عن طاوسٍ اليَمانىِّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : إن عدُوَّ اللهِ إبليسَ عرَض نفسَه على دَوابِّ الأرضِ أنها تَحْمِلُه حتى تَدْخُلَ به[(٤)] الجنةَ[(٥)] حتى[(٦)] يُكَلِّمَ آدمَ وزوجتَه ، فكلُّ الدوابِّ أبَى ذلك عليه ، حتى كلَّم الحَيَّةَ ، فقال لها : أَمْنَعُكِ مِن ابنِ آدمَ ، فأنتِ فى ذِمَّتى إن أنتِ أدْخَلْتِنى الجنةَ . فجعَلَتْه بينَ نابينِ مِن أنيابِها ، ثم دخَلَت به ، فكلَّمَهما مِن فيها ، وكانت كاسيةً تَمْشِى على أربعِ قَوائِمَ ، فأعْراها اللّهُ وجعَلها

---

(١) فى م : « أدميت » ، وفى تاريخ المصنف : « أدمت » . والمثبت هنا والذى فى التاريخ كلاهما بمعنى ، وينظر التاج (د م ى) .

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « يسيرا » .

والأثر أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١١١. وتقدم طرف منه فى ص ٤٢١.

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١١١، ١١٢ مطولا .

(٤) سقط من : م .

(٥) بعده فى الأصل ، ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « معه » ، وبعده فى م : « معها » .

(٦) فى م : « و » .

تَمْشِى على بطنِها . قال : يقولُ ابنُ عباسٍ : اقْتُلُوها حيث وجَدْتُموها ، أخْفِروا ذِمَّةَ عدوِّ اللهِ فيها[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : قال ابنُ إسحاقَ : وأهلُ التَّوراةِ يَدْرُسون : إنما كلَّم آدمَ الحيةُ . ولم يُفَسِّروا كتفسيرِ ابنِ عباسٍ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن أبى مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ قيسٍ ، قال : نهَى اللهُ آدمَ وحوَّاءَ أن يَأْكُلا مِن شجرةٍ واحدةٍ فى الجنةِ ، ويأْكُلا منها[(٢)] رَغَدًا حيث شاءا ، فجاء الشيطانُ فدخَل فى [٦٣/٢و] جوفِ الحيةِ ، فكلَّم حَوَّاءَ ، ووسْوَس[(٣)] إلى آدمَ ، فقال : ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠، ٢١] . قال : فقطَعت[(٤)] حَوَّاءُ الشجرةَ ، فدَمِيَت الشجرةُ ، وسقَط عنهما رياشُهما الذى كان عليهما ، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف : ٢٢] . لمَ أكَلْتَها وقد نهَيْتُك عنها ؟ قال : يارَبِّ ، أطْعَمَتْنى حَوَّاءُ . قال لحَوَّاءَ : لمَ أطْعَمْتِه ؟ قالت : أمَرَتْنِى الحيةُ . قال للحيةِ : لمَ أمَرْتِها ؟ قالت : أمَرَنى إبليسُ . قال : ملعونٌ مَدْحورٌ ؛ أما أنت يا حَوَّاءُ فكما أَدْمَيْتِ الشجرةَ ، تَدْمَيْن[(٥)] فى كلِّ هلالٍ ، وأما أنت يا حَيَّةُ فأَقْطَعُ / قَوائمَك ، فتَمْشِين جرًّا[(٦)] على وجهِك ، وسيَشْدَخُ رأسَك مَن ٢٣٨/١

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٠٧، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٣/١ إلى عبد الرزاق .

(٢) فى ر : « من الجنة » .

(٣) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « الشيطان » .

(٤) فى م : « فعضت » .

(٥) فى م : « فتدمين » .

(٦) سقط من : ر . وفى م ، وتاريخ المصنف : « جريا » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « جرى » .

لَقِيَكِ بالحجرِ ، اهْبِطوا بعضُكم لبعضٍ عدُوٌّ[1] .

فقد رُوِيَت هذه الأخبارُ - عمَّن روَيْناها عنه مِن الصحابةِ والتابعين وغيرِهم - فى صفةِ استزلالِ إبليسَ عدوِّ اللَّهِ آدمَ وزوجتَه حتى أخْرَجَهما مِن الجنةِ .

قال أبو جعفرٍ : وأولى ذلك بالحقِّ عندَنا ما كان لكتابِ اللَّهِ مُوافِقًا ، وقد أخْبَر اللَّهُ تعالى ذكرُه عن إبليسَ أنه وسْوَس لآدَمَ وزوجتِه ليُبْدِيَ لهما ما وُورِى عنهما مِن سَوْءاتِهما ، وأنه قال لهما : ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ . وأنه قاسَمهما : ﴿ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ . مُدَلِّيًا لهما بغُرورٍ . ففى إخْبارِ اللَّهِ تعالى ذكرُه عن عدوِّ اللهِ أنه قاسَم آدمَ وزوجتَه بقيلِه لهما : ﴿ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ . الدليلُ الواضحُ على أنه قد باشَر خطابَهما بنفسِه ، إما ظاهرًا لأعينِهما ، وإما مُسْتَجِنًّا فى غيرِه ، وذلك أنه غيرُ معقولٍ فى كلامِ العربِ أن يُقالَ : قاسَم فلانٌ فلانًا فى كذا وكذا . إذا سبَّب له سببًا وصَل به إليه دونَ أن يَحْلِفَ له ، والحَلِفُ لا يكونُ بتَسَبُّبِ السببِ ، فكذلك قولُه : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [طه : ١٢٠] . لو كان ذلك كان منه إلى آدمَ على نحوِ الذى منه إلى ذريتِه - مِن تَزْيينِ أكلِ ما نهَى اللَّهُ آدمَ عن أكلِه مِن الشجرةِ ، بغيرِ مباشرةِ خطابِه إياه بما اسْتَزَلَّه به مِن القولِ والحِيَلِ - لَما قال تعالى ذكرُه : ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ . كما غيرُ جائزٍ أن يَقولَ اليومَ قائلٌ ممَّن أتَى معصيةً : قاسَمَنى إبليسُ أنه لى ناصحٌ فيما زيَّن لى مِن المعصيةِ [٢/٦٣ظ] التى أتَيْتُها . فكذلك الذى كان مِن آدمَ وزوجتِه لو كان على النحوِ الذى يكونُ فيما بينَ إبليسَ اليومَ وذريةِ آدمَ ، لما قال تعالى ذكرُه : ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ . ولكن

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٠٩.

ذلك كان إن شاءَ اللّهُ على نحوِ ما قال ابنُ عباسٍ ومَن قال بقولِه .

فأما سببُ وصولِه إلى الجنةِ حتى كلَّم آدمَ بعدَ أن أخْرَجَه اللّهُ منها وطرَده عنها ، فليس فيما رُوى عن ابنِ عباسٍ ووهبِ بنِ مُنَبِّهٍ فى ذلك معنًى يَجوزُ لذى[1] فَهمٍ مُدافعتُه ، إذ كان ذلك قولًا لا يَدْفَعُه عقلٌ[2] ، ولا خبرٌ يَلزَمُ تَصْديقُه مِن حُجَّةٍ بخلافِه ، وهو مِن الأمورِ المُمْكنةِ . فالقولُ فى ذلك أنه قد وصَل إلى خطابِهما على ما أخْبَرنا اللّهُ تعالى ذكرُه ، وممكنٌ أن يَكونَ وصَل إلى ذلك بنحوِ الذى قاله المتأوِّلون ، بل ذلك - إن شاء اللّهُ - كذلك ؛ لتتابعِ أقوالِ أهلِ التأويلِ على تصحيحِ ذلك ، وإن كان ابنُ إسحاقَ قد قال فى ذلك ما حدَّثنا به ابنُ حُمَيدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : قال ابنُ[3] إسحاقَ فى ذلك : [4]اللّهُ أعلمُ ، أكَما[4] قال ابنُ عباسٍ وأهلُ التَّوْراةِ ، أَمْ[5] خلَص إلى آدمَ وزوجتِه بسُلطانِه الذى جعَل اللّهُ له ليَبْتَلِىَ به آدمَ وذريتَه ؟ وأنه يَأْتى ابنَ آدمَ فى نَوْمتِه وفى يَقَظتِه ، وفى كلِّ حالٍ مِن أحوالِه ، حتى يَخْلُصَ إلى ما أراد منه حتى يَدْعُوَه إلى المعصيةِ ، ويُوقِعَ فى نفسِه الشهوةَ وهو لا يَراه ، وقد قال اللّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ . ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ . وقال : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٧] . وقد قال اللّهُ جل ثناؤه لنبيِّه ﷺ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ

---

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «لذوى» .

(٢) فى ص : «قول» .

(٣) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «أبو» .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «واللّه أعلم ، كما» .

(٥) فى م ، ت ٢: «إنه» .

بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : ١، ٢] . إلى آخرِ السورةِ . ثم ذكر الأخبارَ التي رُويَت عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ / مَجْرَى الدَّمِ »[(١)] . ثم[(٢)] قال ابنُ إسحاقَ : وإنما أمْرُ ابنِ آدمَ فيما بينَه وبينَ عدوِّ اللهِ كأمْرِه فيما بينَه وبينَ آدمَ ، فقال اللهُ : ﴿ فاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣] . ثم خلَص إلى آدمَ وزوجتِه حتى كلَّمَهما[(٣)] كما قصَّ اللهُ علينا مِن خبرِهما ، فقال : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ [٢/٦٤و] يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه : ١٢٠] . فخلَص إليهما[(٤)] بما خلَص إلى ذريتِه مِن حيثُ لا يَرَيانِه – فاللهُ أعلمُ أيُّ ذلك كان – فتابا إلى ربِّهما .

٢٣٩/١

قال أبو جعفرٍ : وليس في يقينِ ابنِ إسحاقَ – لو كان قد أيْقَن في نفسِه – أن إبليسَ لم يَخْلُصْ إلى آدمَ وزوجتِه بالمُخاطَبةِ بما أخبَر اللهُ عنه أنه قال لهما وخاطَبهما به ، ما يَجوزُ لذي فهمِ الاعتراضُ به على ماورَد مِن القولِ مُسْتَفِيضًا في أهلِ العلمِ ، مع دَلالةِ الكتابِ على صحةِ ما اسْتَفاض مِن ذلك بينَهم ، فكيف بشَكِّه ؟ واللهَ نَسْأَلُ التوفيقَ .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ . فإنه يعني : فأخْرَج الشيطانُ آدمَ وزوجتَه ، ﴿ مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ يعني : مما كان فيه آدمُ وزوجتُه مِن رَغَدِ العيشِ في الجنةِ ، وسَعَةِ نعيمِها الذي كانا فيه . وقد بيَّنَّا أن اللهَ تعالى ذكرُه إنما أضاف إخراجَهما مِن الجنةِ إلى

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٩) ، ومسلم (٢١٧٥) من حديث صفية ، رضي الله عنها .

(٢) سقط من : م .

(٣) في ص، ت ١: « كلمها » .

(٤) في ص : « إليها » .

الشيطانِ ، وإن كان اللّهُ هو المُخْرِجَ لهما ؛ لأن خروجَهما منها كان عن سببٍ مِن الشيطانِ ، فأُضِيف ذلك إليه لتَسْبيبِه إياه ، كما يقولُ القائلُ لرجلٍ وصَل إليه منه أذًى حتى تحَوَّل مِن أجلِه عن موضعٍ كان يَسْكُنُهُ : ما حوَّلنى عن[1] موضِعى الذى كنتُ فيه إلا أنت . ولم يَكُنْ منه له تحويلٌ ، ولكنه لمّا كان تحوُّلُه عن سببٍ منه جاز له إضافةُ تحويلِه إليه .

القولُ فى تأويل قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ .

يُقالُ : هبَط فلانٌ أرضَ كذا ، ووادىَ كذا . إذا حَلَّ ذلك ، كما قال الشاعرُ[2] :

ما زِلْتُ أَرْمُقُهم حتَّى إذا هبَطَتْ أَيْدِى الرِّكابِ بهم مِن راكِسٍ[3] فَلَقَا[4]

وقد أبان هذا القولُ مِن اللهِ جل ثناؤُه عن صحةِ ما قلْنا مِن أن المُخْرِجَ آدمَ مِن الجنةِ هو [٦٤/٢ظ] اللهُ جل ثناؤُه ، وأن إضافةَ اللّهِ إلى إبليسَ ما أضاف إليه مِن إخراجِهما كان على ماوصَفْنا ، ودلَّ بذلك أيضًا على أن هُبوطَ آدمَ وزوجتِه وعدوِّهما إبليسَ كان فى وقتٍ واحدٍ ، لجَمْعِ[5] اللّهِ إياهم فى الخبرِ عن إهْباطِهم ، بعدَ الذى كان مِن خَطيئةِ آدمَ وزوجتِه ، وتسبيبِ إبليسَ ذلك لهما ، على ما وصَفَه ربُّنا تعالى ذكرُه عنهم .

---

(١) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « من » .

(٢) هو زهير بن أبى سلمى ، شرح ديوانه ص ٣٧.

(٣) راكس : واد . معجم البلدان ٢/ ٧٣٥.

(٤) فى ص : « فلتا » ، وفى ت ١ ، ت ٣ : « قلقا » . والفلق : المطمئن من الأرض بين ربوتين . اللسان (ف ل ق) .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بجمع » ، وفى م : « يجمع » .

وقد اختلف أهلُ التأويلِ في المعنيِّ بقولِه : ﴿ ٱهْبِطُوا۟ ﴾ . مع إجماعِهم على أن آدمَ وزوجتَه ممَّن عُنِي به .

فحدَّثنا سفيانُ بنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبو أسامةَ ، عن أبي عَوانةَ ، عن إسماعيلَ بنِ سالمٍ ، عن أبي صالحٍ : ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ . قال : آدمُ وحواءُ[1] والحيَّةُ[2] .

[3]حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ وموسى بنُ هارونَ ، قالا : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : فلعَن الحيةَ وقطَع قَوائمَها ، وترَكها تَمْشِي على بطنِها ، وجعَل رزقَها مِن الترابِ ، وأهبَط إلى الأرضِ آدمَ وحواءَ وإبليسَ والحيةَ[3] .

١/٢٤٠ / وحدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى بنُ ميمونٍ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ في قولِ اللَّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : آدمُ وإبليسُ والحيةُ[4] .

---

(١) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وإبليس » . وسيأتي بهذه الزيادة من وجه آخر عن إسماعيل في ص ٥٨٨ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٢/١ (٤١٦) من طريق أبي عوانة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٥٥ إلى أبي الشيخ من طريق قتادة ، عن أبي صالح .

(٣ - ٣) سقط من ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٢/١ عقب الأثر (٤١٦) من طريق عمرو به .

وأخرجه المصنف في تاريخه ١١٢/١ بهذا الإسناد عن السدي بإسناده المعروف .

(٤) بعده في ت ١ : « وحواء » .

والأثر في تفسير مجاهد ص ٢٠٠ بلفظ : إبليس وآدم . وأخرجه المصنف في تاريخه ١١٢/١ بزيادة : حواء . وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٤٠٤/٧ من طريق الثوري ، عن مجاهد بلفظ : آدم والحية والشيطان . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٥/١ إلى أبي الشيخ عن مجاهد بهذا اللفظ .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ : آدمُ وإبليسُ والحيّةُ ذريةُ بعضِهم أعداءٌ لبعضٍ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : آدمُ وذريتُه ، وإبليسُ وذريتُه .

حدَّثنا المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ بنُ أبي إياسٍ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ [(١] في قوله : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : يعنى آدمَ وإبليسَ .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عُبيدُ اللهِ بنُ موسى ، عن إسرائيلَ ، عن السُّديِّ ، عمَّن حدَّثه [١)] ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : [(٢] بعضُهم لبعضٍ عـدوٌّ [٢)] ؛ آدمُ وحواءُ وإبليسُ والحيةُ .

حدَّثني يونُسُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثني عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ ، عن إسرائيلَ ، عن إسماعيلَ السديِّ ، قال : حدَّثني مَن سمِع ابنَ عباسٍ يقولُ : ﴿ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : آدمُ وحواءُ وإبليسُ والحيّةُ [(٣)] .

[٢/٦٥و] حدَّثني يونسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه :

(١ - ١) سقط من : ر .

(٢ - ٢) في الأصل : « بعضكم لبعض عدو قال » .

(٣) أخرجه المصنف في تاريخه ١/ ١١٢، وابن أبي حاتم في تفسيره ٨٩/١ ، ١٤٥٥/٥ (٣٩٨، ٨٣٢٠) عن يونس به .

﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ . قال : لهما ولذريتِهما .

قال أبو جعفرٍ : فإن قال قائلٌ : وما كانت عَداوةُ ما بينَ آدمَ وزوجتِه وإبليسَ والحيةِ ؟

قيل : أما عَداوةُ إبليسَ آدمَ وذريتَه ، فحسَدُه إيّاه ، واسْتِكبارُه عن طاعةِ اللّهِ فى السجودِ له حينَ قال لربِّه : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١٢، ص : ٧٦] .

وأما عَداوةُ آدمَ وذريتِه إبليسَ ، فعداوةُ المؤمنين إيّاه ؛ لكفرِه باللّهِ وعِصْيانِه ربَّه فى تكبُّرِه عليه ومُخالفتِه أمرَه ، وذلك مِن آدمَ ومؤمنِى ذريتِه إيمانٌ باللّهِ .

وأما عَداوةُ إبليسَ آدمَ ، فكفرٌ باللّهِ .

وأما عَداوةُ ما بينَ آدمَ وذريتِه والحيّةِ ، فقد ذكَرْنا ما رُوِى فى ذلك عن ابنِ عباسٍ ووهبِ بنِ مُنَبِّهٍ ، وذلك هى العَداوةُ التى بينَنا وبينَها ، كما رُوِى عن رسولِ اللّهِ ﷺ أنه قال : « ما سَالَـمْنَاهُنَّ منذ حارَبْنَاهُنَّ ، فمن تَرَكَهُنَّ خَشْيَةَ ثَأْرِهِنَّ فليس منَّا » .

حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللّهِ بنِ عبدِ الحكمِ ، قال : حدَّثنا حجاجُ بنُ رِشدين[1] ، قال : حدَّثنا حَيْوَةُ بنُ شُرَيْحٍ ، عن ابنِ عَجْلانَ ، عن أبيه ، عن أبِى هُريرةَ ، عن رسولِ اللّهِ ﷺ أنه قال : « ما سَالَـمْنَاهُنَّ منذ حارَبْنَاهُنَّ ، فمن تَرَكَ شَيْئًا مِنْهُنَّ خِيفَةً فليس مِنَّا »[2] .

---

(١) فى م : « رشد » .

(٢) أخرجه أحمد ٣٦٠/١٥ ، ٤٣٣/١٦ (٩٥٨٨، ١٠٧٤١) ، وأبو داود (٥٢٤٨) ، والطحاوى فى المشكل (١٣٣٨) من طرق عن ابن عجلان به . وأخرجه الحميدى (١١٥٦) ، وأحمد ٣٢٤/١٢ =

وأحْسَبُ أن الحربَ التى بينَنا كان أصلُه ما ذكَره علماؤُنا الذين قدَّمْنا الروايةَ عنهم / فى إدخالِها إبليسَ الجنةَ بعدَ أن أخْرَجه اللّهُ منها ، حتى اسْتَزَلَّه عن طاعةِ ربِّه فى أكلِ[1] ما نُهِى عن أكلِه مِن الشجرةِ . ٢٤١/١

وقد حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا مُعاويةُ بنُ هشامٍ ، وحدَّثنا محمدُ بنُ خلفٍ العَسْقلانىُّ ، [2]قال : حدَّثنا آدمُ ، جميعًا عن شَيْبانَ[2] ، عن جابرٍ ، عن سعيدِ ابنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : سُئِل رسولُ اللّهِ ﷺ عن قتلِ الحيَّاتِ ، فقال رسولُ اللّهِ ﷺ : « خُلِقَتْ هى والإنسانُ ، كُلُّ واحِدٍ منهما عَدُوٌّ لصَاحِبِه ، إن رَآها أَفْزَعَتْه ، وإن لَدَغَتْهُ أَوْجَعَتْهُ ، فاقْتُلْهَا حيث وَجَدْتها »[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ .

اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلكِ ؛ فقال بعضُهم بما **حدَّثنى** المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا [٢/٦٥ظ] آدمُ العَسْقلانىُّ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ الرازىُّ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ . قال : هو قولُه : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾[4] .

وحُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ،

= (٧٣٦٦) ، وابن حبان (٥٦٤٤) من طريق ابن عجلان أيضا ، عن بكير بن عبد الله بن الأشج ، عن عجلان به . وقال الدارقطنى فى العلل ١٣٨/١١ : ولعل محمد بن عجلان سمعه عن أبيه ، واستثبته من بكير بن الأشج .

(١) فى م : « أكله » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) إسناده ضعيف ؛ لضعف جابر الجعفى . وأخرجه الطيالسى (٢٧٤١) ، والطبرانى فى الأوسط (٤٥٠٠) من طريق جابر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٠/١، ١٤٥٥/٥ (٤٠١، ٨٣٢٣) من طريق آدم به .

عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ . قال : هو قولُه : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ [غافر : ٦٤] .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولكم فى الأرضِ قَرارٌ فى القبورِ[(١)] .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ . قال[(٢)] : القبورُ[(٣)] .

حدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ ، عن إسرائيلَ ، عن إسماعيلَ السُّدىِّ ، قال : حدَّثنى مَن سمِع ابنَ عباسٍ قال : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ . قال : القبورُ[(٤)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ . قال : مُقامُهم فيها .

والمستقرُّ فى كلامِ العربِ هو موضعُ الاستقرارِ ، فإذ كان ذلك كذلك ، فحيثُ كان مِن[(٥)] الأرضِ موجودًا حالًّا ، فذلك المكانُ مِن الأرضِ مُسْتَقَرُّه .

وإنما عنَى اللَّهُ جلّ وعزّ بذلك أن لهم فى الأرضِ مستقرًّا ومَنْزِلًا بأماكِنِهم

---

(١) بعده فى ر : « ولكم فيها بلاغ إلى الموت » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « يعنى » ، وفى ت ٣ : « أعنى » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٥٥/٥ عقب الأثر (٨٣٢١) من طريق عمرو به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨٩/١ (٣٩٩) من طريق إسرائيل ، عن السدى ، عن ابن عباس .

(٥) بعده فى م : « فى » .

ومُسْتَقَرِّهم مِن الجنةِ والسماءِ ، وكذلك قولُه : ﴿ وَمَتَٰعٌ ﴾ . يعنى به أنّ لهم فيها متاعًا بمتاعِهم فى الجنةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ : ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦ ﴾ .

اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : ولكم فيها بَلاغٌ إلى الموتِ .

/ ذِكر مَن قال ذلك

٢٤٢/١

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ فى قولِه : ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ . قال : يقولُ : بَلاغٌ إلى الموتِ[1] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ ، عن إسرائيلَ ، عن إسماعيلَ السُّدىِّ ، قال : حدَّثنى مَن سمِع ابنَ عباسٍ : ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ . قال : الحياةُ .

[2]**حدَّثنى** المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، عن [٢/ ٦٦و] إسرائيلَ ،عن السدىِّ ، عمّن حدّثه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ . قال : الحياةُ[2] .

وقال آخَرون : يعنى بقولِه : ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ : إلى قيامِ الساعةِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٩٠، ١٤٥٦/٥ (٤٠٢، ٨٣٢٤) من طريق عمرو به .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٩٠، ١٤٥٦/٥ (٤٠٣، ٨٣٢٥) من طريق عبيد اللَّه بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ . قال : إلى يومِ القيامةِ ، إلى انقطاعِ الدنيا .

وقال آخَرون : ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾[(١)] : إلى أجلٍ .

ذكرُ من قال ذلك

حُدِّثْت عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ . قال : إلى أجلٍ[(٢)] .

والمتاعُ في كلامِ العربِ كلُّ ما استُمْتِع به مِن شيءٍ ، في[(٣)] معاشٍ استُمْتِع به ، أو رِياشٍ أو زينةٍ أو لذَّةٍ أو غيرِ ذلك . فإذ كان ذلك كذلك - وكان اللهُ تعالى ذكرُه قد جعَل حياةَ كلِّ حيٍّ متاعًا له يَسْتَمْتِعُ بها أيامَ حياتِه ، وجعَل الأرضَ للإنسانِ مَتاعًا أيامَ حياتِه بقَرارِه عليها ، واغْتِذائِه بما أخْرَج اللهُ عزّ وجلّ منها مِن الأَقْواتِ والثِّمارِ ، والتِذاذِه بما خلَق اللهُ فيها مِن الملاذِّ ، وجعَلها مِن بعدِ وفاتِه لجثتِه كِفاتًا[(٤)] ، ولجسمِه منزلًا وقَرارًا ، وكان اسمُ المتاعِ يَشْتَمِلُ جميعَ ذلك - كان أولى التأويلاتِ بالآيةِ - إذ[(٥)] لم يَكُنِ اللهُ تعالى ذكرُه وضَع دَلالةً دَالَّةً على أنه قصَد بقولِه : ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ . بعضًا دونَ بعضٍ ، وخاصًّا دونَ عامٍّ في عقلٍ ولا خبرٍ - أن يَكونَ ذلك في

---

(١) بعده في ص ، م : « قال » .

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ٣٢١/١ عن الربيع .

(٣) في م : « من » .

(٤) كِفاتا : أي تحفظهم وتحرزهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم ، وتحفظهم وتحرزهم أمواتا في بطنها . التاج (ك ف ت) .

(٥) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إن » .

معنى العامِّ ، وأن يَكونَ الخبرُ أيضًا كذلك إلى وقتِ بُطولِ[(١)] اسْتِمْتاعِ بنى آدمَ وبنى إبليسَ بها ، وذلك إلى أن تُبَدَّلَ الأرضُ غيرَ الأرضِ .

فإذ كان ذلك أولى التأويلاتِ بالآيةِ لما وصَفْنا ، فالواجبُ إذن أن يَكونَ تأويلُ الآيةِ : ولكم فى الأرضِ مَنازلُ ومَساكنُ تَسْتَقِرُّون فيها اسْتِقْرارَكم - كان - فى السماواتِ ، وفى الجنانِ فى مَنازِلِكم منها ، واستمتاعٌ منكم بها وبما أخْرَجْتُ لكم منها ، وبما جعَلْتُ لكم فيها مِن المَعاشِ والرِّياشِ والزِّينِ والملاذِّ ، وبما أعطيتُكم على ظهرِها [(٢)] من الحياةِ [(٢)] أيامَ حياتِكم ، ومِن بعدِ وَفاتِكم لأرْماسِكم[(٣)] وأجداثِكم [٢/ ٦٦ظ] تُدْفَنون فيها ، وتَبْلُغون باستمتاعِكم بها إلى أن أُبَدِّلَكم بها غيرَها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ .

أما تأويلُ قولِه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ﴾ . فإنه : أخَـذ وقَبِل[(٤)] . وأصلُه التَّفَعُّلُ مِن اللِّقاءِ ، كما يَتَلَقَّى/ الرجلُ الرجلَ يستقبِلُه[(٥)] عندَ قدومِه مِن [(٦)] غَيْبةٍ أو سفرٍ ، فكذلك ذلك[(٦)] فى قولِه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ﴾ . كأنه اسْتَقْبَله فتلَقَّاه بالقَبولِ حينَ أُوحِى إليه أو أُخْبِر به ، فمعنى ذلك إذن : فلقّى اللَّهُ آدمَ كلماتِ توبةٍ ، فتلقَّاها آدمُ مِن ربِّه وأخَذها عنه تائبًا ، فتاب اللَّهُ عليه بقِيلِه إياها وقبولِه إياها مِن ربِّه . ١/ ٢٤٣

كما حدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعلَى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ الآية . قال : لقَّاهما هذه الآيَةَ : ﴿ رَبَّنَا

---

(١) فى ص ، م : « يطول » .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) الرمس : القبر . التاج (ر م س) .

(٤) فى م ، ر : « قيل » .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مستقبله » .

(٦ - ٦) فى ص : « غيبته أو سفره فكان ذلك كذلك و » .

ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[1] [الأعراف : ٢٣] .

وقد قرأ بعضُهم : (فَتَلَقَّى ءَادَمَ مِن رَّبِّهِ كَلماتٌ)[2] . فجعَل « الكلماتِ » هى المُتَلَقِّيةَ آدمَ . وذلك وإن كان مِن جِهةِ العربيةِ جائزًا – إذ كان كلُّ ما تَلقَّاه الرجلُ فهو له مُتَلَقٍّ ، وما لقِيه فقد لقِيه ، فصار للمتكلمِ أن يُوَجِّهَ الفعلَ إلى أيِّهما شاء ، ويُخْرِجَ مِن الفعلِ أيَّهما أحبَّ – فغيرُ جائزٍ عندى فى القراءةِ إلا رفعُ « آدمَ »[3] على أنه المُتَلَقِّى « الكلماتِ » ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ مِن القَرأةِ وأهلِ التأويلِ مِن علماءِ السلفِ والخلفِ على توجيهِ التَّلَقِّى إلى آدمَ دونَ الكلماتِ ، وغيرُ جائزٍ الاعْتراضُ عليها فيما كانت عليه مُجْمِعةً بقولِ مَن يجوزُ عليه السهوُ والخطأُ .

واخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى أعْيانِ الكلماتِ التى تَلقَّاها آدمُ مِن ربِّه ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ عَطِيةَ ، عن قيسٍ ، عن ابنِ أبى ليلى ، عن المِنْهالِ ، عن سعيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾. قال : أىْ ربِّ ، ألم تَخْلُقْنى بيدِك ؟ قال : بلى . قال : أىْ ربِّ ، ألم تنفُخْ فىَّ مِن رُوحِك ؟ قال : بلى . قال : أىْ رَبِّ ، أَلَمْ تُسْكِنِّى جنّتَك ؟ قال : بلى . قال : أىْ ربِّ ، ألم تَسْبِقْ رحمتُك غضبَك ؟ قال : بلى . قال : أرأَيْتَ إن[4] تُبْتُ وأصْلَحْتُ ، أراجِعى أنت إلى الجنةِ ؟ قال : بلى[5] . قال : فهو قولُه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١١٦/١ عن ابن زيد .

(٢) هذه قراءة ابن كثير . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ١٥٣ .

(٣) بل قراءة الرفع والنصب متواترتان .

(٤) بعده فى م : « أنا » .

(٥) فى م : « نعم » . وهو وجه الكلام ، وتظاهرت النسخ على « بلى » ، وكذا هو فى التاريخ للمصنف ، والمستدرك .

مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[(١)] .

حدَّثني عليُّ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا مسلمٌ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ مُصعبٍ ، عن قيسِ بنِ الربيعِ ، عن عاصمِ بنِ كُلَيْبٍ ، عن سعيدِ بنِ مَعْبَدٍ[(٢)] ، [٢/ ٦٧و] عن ابنِ عباسٍ نحوَه[(٣)] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾ : فإنّ آدمَ قال لربِّه إذ عصاه : ربِّ ، أرأيتَ إن تُبْتُ وأصْلَحْتُ ؟ فقال له ربُّه : إنى راجِعُك إلى الجنةِ[(٤)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ قولَه : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ : ذُكِرَ لنا أنه قال : يا ربِّ ، أرأَيْتَ إن أنا تبتُ وأصلحتُ ؟ قال : إذن أُرجِعَك إلى الجنةِ[(٥)] . قال : وقال

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٣٢. وأخرجه الآجرى فى الشريعة (٧٥٥، ٩١٠) من طريق قيس بن الربيع به . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٤٣٣/٧ من طريق ابن أبى ليلى به .

وابن عطية هو الحسن بن عطية بن نجيح - كما سيأتى فى ٨٦/٢ - وهو صدوق ، وقد اختلف على قيس فيه .

وقد أخرجه الحاكم ٥٤٥/٢ من طريق الحسن بن عطية ، عن الحسن بن صالح ، عن المنهال به . وقال : صحيح الإسناد . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٩/١ إلى عبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى التوبة وابن المنذر وابن مردويه .

(٢) بياض فى ص ، وفى م : « جبير » ، وفى ت ١، ت ٢: « معيد » وينظر تفسير ابن كثير ١/ ١١٦.

(٣) سعيد بن معبد مجهول ، وقد اختلف على قيس فيه .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١١٦/١ عن العوفى عن ابن عباس .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٣٢. وأخرجه البيهقى فى الشعب (٧١٧٤) ، ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ٤٣٥/٧ من طريق شيبان ، عن قتادة . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٩/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر . وسيأتى من وجه آخر عن قتادة فى ص ٥٨٦ .

الحسنُ[1] : إنهما قالا : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2] .

حدَّثنى المثنّى ، قال : حدَّثنا آدمُ العَسْقَلانىُّ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ . قال : إن آدمَ لـمَّا أصاب الخطيئةَ ، قال : يارَبِّ أرأَيْتَ / إن تبتُ وأصلحتُ ؟ فقال اللَّهُ : إذن أُرْجِعَك إلى الجنةِ . فهى مِن الكلماتِ . ومِن الكلماتِ أيضًا : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3] . ٢٤٤/١

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ . قال : ربِّ ، ألم تَخْلُقْنى بيدِك[4] ؟ قيل له : بلى . قال : ونفَخْتَ فىَّ مِن رُوحِك ؟ قيل له : بلى . قال : وسبَقَت رحمتُك[5] غضبَك ؟ قيل له : بلى . قال : ربِّ ، هل[6] كتبْتَ هذا علىَّ ؟ قيل له : نعَم . قال : ربِّ ، إن تبتُ وأصلحتُ هل أنت راجِعى إلى الجنةِ ؟ قيل له : نعَم . قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[7] [طه : ١٢٢] .

---

(١) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الحسين » .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩١/١ عقب الأثر (٤١٠) معلقا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٩/١ إلى عبد بن حميد .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١١٦/١ عن أبى جعفر به .

(٤) فى الأصل ، ت ١ : « بيديك » .

(٥) بعده فى الأصل : « إلى » .

(٦) بعده فى م : « كنت » .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٠/١ عقب الأثر (٤٠٧) من طريق عمرو به . وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (١٨٦ - تفسير) - ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ٤٣٣/٧ - عن الحسن بن يزيد الأصم ، =

وقال آخرون بما حدَّثنا به محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدىٍّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ رُفَيْعٍ ، قال : حدَّثنى مَن سمِع عُبيدَ ابنَ عُميرٍ يقولُ : قال آدمُ عليه السلامُ : يا ربِّ ، خَطيئتى التى أخْطَأْتُها ، أشىءٌ كتبْتَه علىَّ قبلَ أن تَخْلُقَنى ، أو شىءٌ ابْتَدَعْتُه مِن قِبَلِ نفسِى ؟ قال : بل[1] شىءٌ كتَبْتُه عليك قبلَ أن أَخْلُقَك . قال : فكما كتَبْتَه علىَّ فاغْفِرْه لى . قال : فهو قولُ اللهِ : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾[2] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ[3] ، قال : حدَّثنا مُؤَمَّلٌ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ رُفَيْعٍ ، [4]عن مجاهدٍ ، عن[4] عُبيدِ بنِ عُمَيْرٍ بمثلِه[5] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ[3] ، قال : حدَّثنا وَكيعُ بنُ الجراحِ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ رُفَيْعٍ ، عمَّن سمِع عُبيدَ بنَ عُميرٍ يقولُ : قال آدمُ . فذكَر نحوَه[6] .

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا الثورىُّ ، عن

= عن السدى . وأخرجه ابن أبى حاتم أيضا (٤٠٧) من طريق إسرائيل ، عن السدى ، عمن حدثه ، عن ابن عباس .

(١) فى م : « بلى » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩١/١ (٤٠٩) من طريق ابن مهدى به . وأخرجه الدارمى فى الرد على الجهمية ص ٧٢، عن محمد بن كثير ، عن سفيان به .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « سنان » .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « قال أخبرنى من سمع » .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٤٣٤/٧ من طريق مؤمل به . وقد خولف مؤمل فى إسناده .

(٦) أخرجه وكيع - كما فى الدر المنثور ٥٩/١ - ومن طريقه الفريابى فى القدر (١٢١) ، والآجرى فى الشريعة (٣٢٢) ، وأبو الشيخ فى العظمة (١٠٢٣) ، وأبو نعيم فى الحلية ٣/ ٢٧٣.

عبدِ العزيزِ [٢/ ٦٧ظ] بنِ رفيعٍ ، عن عُبيدِ بنِ عُميرٍ مثلَه[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو نُعَيْمٍ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ رُفَيْعٍ ، قال : أَخْبَرَنى مَن سَمِع عُبيدَ بنَ عُميرٍ . بنحوِه .

وقال آخرون بما حدَّثنى به أحمدُ بنُ عثمانَ بنِ حَكيمٍ الأَوْدىُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ شَريكٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، قال : حدَّثنا حُصَيْنُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن حُميدِ بنِ نَبْهانَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ (٢) يزيدَ بنِ معاويةَ (٢) أنه قال : قولُه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ . قال آدمُ[(٣)] : اللهم لا إلهَ إلا أنت سبحانَك وبحمدِك ، أَستَغْفِرُك وأَتوبُ إليك ، فَتُبْ علىَّ إنك أنت التوابُ الرحيمُ[(٤)] .

حدَّثنى المثنّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا أبو غَسَّانَ ، قال : (٥) حدَّثنا زُهَيْرٌ (٥) ، وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهْوازىُّ ، قال : أخْبَرَنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا سفيانُ وقيسٌ ، جميعًا عن خُصَيْفٍ ، عن مُجاهِدٍ فى قولِه: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾. قال : قولُه : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا ﴾ حتى فرَغ منها[(٦)] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٤ . وأخرجه الآجرى فى الشريعة (٣٢٣) ، وابن عساكر فى تاريخه ٤٣٤/٧ من طريق الحسن بن يحيى ومحمد بن حماد الطهرانى ، عن عبد الرزاق به .

(٢ - ٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « زيد عن » .

(٣) سقط من : ص .

(٤) عبد الرحمن بن شريك ضعيف ، وحميد بن نبهان لم يتعين لنا .

وأخرجه البيهقى فى الشعب (٧١٧٥) ، وابن عساكر فى تاريخه ٧/ ٤٣٥، ١١٥/٤٢ (ترجمة عبد الرحمن ، طبعة مجمع اللغة بدمشق) - من طريق البيهقى والخطيب وغيرهما - من طريق العوام بن حوشب ، عن عبد الكريم المكتب - وعند البيهقى : عبد الرحيم - عن عبد الرحمن بن يزيد . وعبد الكريم هو ابن أبى المخارق المعلم ، ضعيف .

(٥ - ٥) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « أنبأنا أبو زهير » .

(٦) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ١٣٢، عن أحمد بن إسحاق الأهوازى وحده . وأخرجه ابن أبى حاتم =

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ كان يَقولُ في قولِ اللّهِ : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ الكلماتُ : اللهمّ لا إلهَ إلا أنت سبحانَك وبحمدِك ، / ربِّ إني ظلَمتُ نفسِي ، فاغْفِرْ لي إنك خيرُ الغافِرين ، اللهم لا إلهَ إلا أنت سبحانَك وبحمدِك ، ربِّ إني ظلَمْتُ نفسى فارْحَمْنى إنك خيرُ الراحمين ، اللهم لا إلهَ إلا أنت سبحانَك وبحمدِك ، ربِّ إني ظلَمْتُ نفسى ، فتُبْ عليَّ إنك أنت التَّوابُ الرَّحيمُ[1] . ٢٤٥/١

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبي ، عن النضرِ بنِ عربيٍّ[2] ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ . قال : هو قولُه : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا ﴾ الآية[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال حدَّثني حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ . قال : أىْ ربِّ ، أَتَتوبُ عليَّ إن تُبْتُ ؟ قال : نعَم . فتاب آدمُ ، فتاب عليه ربُّه .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ في قولِه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ . قال : هو قولُه : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[4] .

= في تفسيره ٩١/١ (٤١٠) من طريق سفيان به ، عن خصيف ، عن مجاهد وسعيد ابن جبير .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩١/١ (٤١١) من طريق أبي حذيفة ، عن شبل ، عن عبد اللّه بن كثير ، عن مجاهد . وذكره ابن كثير في تفسيره ١١٦/١ عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

(٢) في ت ١: « عمير » ، وفي ت ٢، ت ٣: « عتير » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٩/١ إلى وكيع وعبد بن حميد .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٤. وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٧/ ٤٣٥، من طريق محمد بن حماد =

(١) حدَّثني يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : هو قولُه : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾(١) .

وهذه الأقوالُ التى حكَيْناها عمَّن حكَيْناها عنه ، وإن كانت مختلفةَ [٢/ ٦٨و] الألفاظِ ، فإن معانيَها مُتَّفِقَةٌ فى أن اللّهَ تعالى ذكرُه لقَّى آدمَ كلماتٍ تلقَّاهن آدمُ مِن ربِّه فقبِلَهن ، وعمِل بهن ، وتاب - بقِيلِه إيَّاهن وعملِه بهن - إلى اللّهِ مِن خطيئتِه ، مُعْتَرِفًا بذنبِه ، مُتَنصِّلًا إلى ربِّه مِن خطيئتِه ، نادمًا على ما سلَف منه مِن خلافِ أمرِه ، فتاب اللّهُ عليه بقبولِه الكلماتِ التى تلقَّاهن منه ، وندمِه على سالفِ الذنبِ منه .

والذى يَدُلُّ عليه كتابُ اللّهِ جلّ ثناؤه أن الكلماتِ التى تَلقَّاهن آدمُ مِن ربِّه هن الكلماتُ التى أخْبَر جلّ ذكرُه عنه أنه قالها مُتَنَصِّلًا بقِيلِها إلى ربِّه ، معترفًا بذنبِه ، وهو قولُه : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ . وليس ما قاله مَن خالَف قولَنا هذا - مِن الأقوالِ التى حكَيْناها - بمدفوعٍ قولُه ، ولكنه قولٌ لا شاهدَ عليه مِن حجةٍ يَجِبُ التسليمُ لها ، فيَجوزَ لنا إضافتُه إلى آدمَ ، وأنه مما تلَقَّاه مِن ربِّه عندَ إنابتِه إليه مِن ذنبِه .

وهذا الخبرُ الذى أخْبَر اللّهُ عن آدمَ - من قيلِه الذى لقَّاه اللهُ إيّاه ، فقاله تائبًا إليه مِن خطيئتِه - تَعريفٌ منه جلَّ ذِكرُه جميعَ المخاطَبين بكتابِه كيفيةَ التوبةِ إليه مِن

= الطهرانى ، عن عبد الرزاق به . وتقدم من وجه آخر عن قتادة فى ص ٥٨١ .

(١ - ١) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣.

والأثر ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١١٦ عن ابن زيد .

الذنوبِ ، وتنبيهٌ للمُخاطَبِينَ بقوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا ﴾. على موضعِ التوبةِ ممّا هم عليه مِن الكفرِ باللّهِ ، وأن خَلاصَهم مما هم عليه مُقِيمون مِن الضَّلالةِ نظيرُ خَلاصِ أبيهم آدمَ مِن خطيئتِه ، مع تذكيرِه إيّاهم به السالفَ إليهم مِن النِّعمِ التى خصَّ بها أباهم آدمَ وغيرَه مِن آبائِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ .

وقولُه : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ . يعنى على آدمَ ، والهاءُ التى فى ﴿ عَلَيْهِ ﴾ عائدةٌ على آدمَ . وقولُه : / ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ . يعْنى : رزَقه التوبةَ مِن خطيئتِه . والتوبةُ معناها الإنابةُ إلى اللّهِ جلَّ ثناؤُه ، والأَوْبةُ إلى طاعتِه مما يَكْرَهُ مِن معصيتِه . ١/٢٤٦

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) ﴾ .

وتأويلُ قولِه : ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ . أن اللّهَ جلّ ثناؤُه هو التوابُ على مَن تاب إليه مِن عبادِه [٢/ ٦٨ظ] المُذْنبين مِن ذنوبِه ، التاركُ مُجازاتَه بإنابتِه إلى طاعتِه بعدَ معصيتِه بما سلَف مِن ذنبِه . و قد ذكَرنا أن معنى التوبةِ مِن العبدِ إلى ربِّه إنابتُه إلى طاعتِه ، وأَوْبتُه إلى ما يُرْضِيه ، بتركِه ما يَسْخَطُه مِن الأمورِ التى كان عليها مُقيمًا مما يَكْرَهُه ربُّه . فكذلك توبةُ اللّهِ على عبدِه ، هو أن يَرْزُقَه ذلك ، ويؤوبَ له[1] مِن غضبِه عليه إلى الرضا عنه ، ومِن العقوبةِ إلى العفوِ والصَّفْحِ عنه .

وأما قولُه : ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ فإنه يعنى أنه المُتَفَضِّلُ عليه مع التوبةِ بالرحمةِ ، ورحمتُه إياه إقالتُه[2] عثرتَه وصَفْحُه عن عقوبةِ جُرْمِه .

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « إقالة » .

وقد ذكَرْنا القولَ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ . فيما مضَى ، فلا حاجةَ بنا إلى إعادتِه ؛ إذ كان معناه فى هذا الموضعِ هو معناه فى ذلك الموضعِ .

وقد حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ ابنُ سالم ، عن أبى صالحٍ فى قولِه : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ . قال : آدمُ وحوَّاءُ والحيّةُ وإبليسُ[1] .

القولُ فى تأويل قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾ .

وتأويلُ قولِه : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم ﴾ : فإن يأْتِكم ، و « ما » التى مع « إن » توكيدٌ للكلامِ ، ولدخولِها مع « إن » أُدْخِلَت النونُ المُشَدَّدةُ فى ﴿ يَأْتِيَنَّكُم ﴾ تفرقةً بدخولِها بينَ « ما » التى تأْتى بمعنى توكيدِ الكلامِ - التى تُسَمِّيها أهلُ العربيةِ صِلةً وحَشْوًا - وبين « ما » التى تأتى بمعنى « الذى » ، فتُؤْذِنُ بدخولِها فى الفعلِ أنَّ « ما » التى مع « إن » التى بمعنى الجزاءِ توكيدٌ ، وليست « ما » التى بمعنى « الذى » .

وقد قال بعضُ نحوِيِّى [2]أهلِ البصرةِ[2] : إنَّ « إمَّا » : « إنْ » ، زِيدَت معها « ما » ، وصار الفعلُ الذى بعدَه بالنونِ الخفيفةِ أو الثقيلةِ ، وقد يَكونُ بغيرِ نونٍ ، وإنما حسُنَت فيه النونُ لمَّا دخَلَته « ما » ؛ لأن « ما » نفىٌ ، وهى مما ليس بواجبٍ ، وهى الحرفُ الذى يَنْفِى الواجبَ ، فحسُنَت فيه النونُ ، نحوَ قولِهم : بعينٍ ما أَرَيَنْكَ . حينَ أُدْخِلَت فيها « ما » حسُنَت النونُ فيما هاهنا .

وقد أنْكَر جماعةٌ مِن أهلِ العربيةِ دعوى قائلِ[3] هذه المقالةِ أن « ما » التى مع :

---

(١) تقدم فى ص ٥٧٢ من طريق آخر عن إسماعيل .

(٢ - ٢) فى م : « البصريين » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قائلى » .

بعينِ ما أرينك ، بمعنى الجحدِ ، وزعَموا أن ذلك بمعنى التوكيدِ للكلامِ .

وقال آخَرون : بل هو حَشْوٌ فى الكلامِ ، ومعناها الحذفُ ، وإنما معْنى الكلامِ : « بعينِ أراك . [٢/٦٩و] وغيرُ جائزٍ أن يُجْعَلَ مع الاختلافِ فيه أصلًا يُقاسُ عليه غيرُه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

والهُدَى فى هذا الموضعِ البيانُ والرَّشادُ ، كما **حدَّثنى** المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا / آدمُ العَسْقلانيُّ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾ . قال : الهُدَى الأنبياءُ والرسلُ والبَيانُ[1] . ٢٤٧/١

فإن كان ما قال أبو العاليةِ فى[2] ذلك كما قال ، فالخِطابُ بقولِه : ﴿ ٱهْبِطُوا۟ ﴾ . وإن كان لآدمَ وزوجتِه ، فيَجِبُ أن يَكونَ مُرادًا به آدمُ وزوجتُه وذريتُهما ، فيَكونَ ذلك حينَئذٍ نظيرَ قولِه : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] . بمعنى : أتَيْنا بما فينا مِن الخَلْقِ طائِعين . ونظيرَ قولِه فى قراءةِ ابنِ مسعودٍ : (ربَّنا واجْعَلْنا مُسلِمَيْنِ لك ومن ذُرِّيتِنا أُمَّةً مُسلمَةً لك وأَرِهِم مَنَاسِكَهم)[3] . فجمَع قبلَ أن تَكونَ ذريةٌ ، وهو فى قراءتِنا : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ [البقرة : ١٢٨] . وكما يقولُ القائلُ لآخرَ : كأنك قد تزَوَّجْتَ ووُلِد لك وكثُرْتُم وعززْتُم . ونحوِ ذلك مِن الكلامِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٣/١ (٤١٩) من طريق آدم به .

(٢) فى ص : « من » .

(٣) سيأتى تخريج هذه القراءة فى موضعها من التفسير .

وإنما قلْنا : إن ذلك هو الواجبُ على التأويلِ الذى ذكَرْناه عن أبى العاليةِ ؛ لأن آدمَ كان هو النبىَّ عليه السلامُ أيامَ حياتِه بعدَ أن أُهْبِط إلى الأرضِ ، والرسولَ مِن اللّهِ تعالى ذكرُه إلى ولدِه ، فغيرُ جائزٍ أن يكونَ مَعْنِيًّا - وهو الرسولُ - بقولِه : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾ . خطابًا له ولزوجتِه : فإما يأتينّكم مِنى[(١)] أنبياءُ ورسلٌ . إلا على ما وصَفْتُ مِن التأويلِ .

وقولُ أبى العاليةِ فى ذلك - وإن كان وجهًا مِن التأويلِ تَحْتَمِلُه الآيةُ - فأقربُ إلى الصوابِ منه عندى ، وأشبهُ بظاهرِ التّلاوةِ أن يكونَ تأويلُها : فإما يَأْتِيَنَّكم[(٢)] يا معشرَ مَن أُهْبِطَ[(٣)] إلى الأرضِ مِن سمائى - وهو آدمُ وزوجتُه وإبليسُ ، كما قد ذكَرْنا قبلُ فى تأويلِ الآيةِ التى قبلَها - إما يَأْتِيَنَّكم منى بيانٌ مِن أمرِى وطاعتى ورَشادٌ إلى سبيلى ودِينى ، فمَن اتَّبَعه منكم فلا خوفٌ عليهم ولا هم [٢/ ٦٩ظ] يَحْزنون ، وإن كان قد سلَف منهم قبلَ ذلك إلىَّ معصيةٌ وخلافٌ لأمْرى وطاعتى . يُعَرِّفُهم بذلك تعالى ذكرُه أنه التائبُ على مَن تاب إليه مِن ذنوبِه ، والرحيمُ بمن[(٤)] أناب إليه ، كما وصَف نفسَه بقولِه : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

وذلك أن ظاهرَ الخِطابِ بذلك إنما هو للذين قال لهم جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ . والذين خُوطِبوا به هم مَن سَمَّيْنا فى قولِ الحُجَّةِ مِن الصحابةِ والتابعين الذين قد قدَّمْنا الروايةَ[(٥)] عنهم . وذلك وإن كان خطابًا مِن اللّهِ تعالى ذِكرُه لمن أُهْبِط حينَئذٍ مِن السماءِ إلى الأرضِ ، فهو سنَّةُ اللّهِ فى جميعِ خلقِه ، وتعريفٌ منه بذلك

---

(١) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « هدى » .

(٢) بعده فى م : « منى » .

(٣) فى م : « أهبطته » .

(٤) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢: « لمن » .

(٥) بعده فى ص : « به » .

الذين أخْبَر عنهم فى أولِ هذه السورةِ بما أخْبَر عنهم فى قولِه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. وفى قولِه : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة : ٦ ، ٨] . أن[(١)] حُكْمَه فيهم - إن تابوا إليه وأنابوا ، واتَّبَعوا ما أتاهم مِن البيانِ مِن عندِ اللَّهِ على لسانِ رسولِه محمدٍ ﷺ - أنهم عندَه فى الآخرةِ ممَّن لا خوفٌ عليهم ولا هم يَحْزَنون ، وأنهم إن هلَكوا على[(٢)] كُفرِهم وضَلالتِهم قبلَ الإنابةِ والتوبةِ ، كانوا مِن أهلِ النارِ المُخَلَّدِين فيها .

وقولُه : ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ . يعنى : فمَن تبع بَيانى الذى أُبَيِّنُه[(٣)] على ألْسُنِ رُسُلى ، أو مع رسلى .

كما **حدَّثنى** به المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ العسقلانىُّ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ يعنى : بَيانى[(٤)] .

/ وقولُه : ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ . يعنى : فهم آمِنون فى أهوالِ القيامةِ مِن عقابِ اللّهِ ، غيرُ خائِفِين عذابَه ؛ بما أطاعوا اللّهَ فى الدنيا ، واتَّبَعوا أمرَه وهُداه وسبيلَه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يومَئذٍ على ما خلَّفوا بعدَ وفاتِهم فى الدنيا . ١/٢٤٨

كما **حدَّثنى** يونُسُ ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ . يقولُ : لا خوفٌ عليكم أمامَكم ، وليس شىءٌ أعظمَ فى صدرِ الذى يَموتُ ممَّا بعدَ الموتِ ، فأمَّنهم منه وسلَّاهم عن الدنيا ، فقال : ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

---

(١) فى ص ، م : « وأن » .
(٢) فى الأصل : « من » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فى » .
(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « آتيته » .
(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٣/١ (٤٢٢) من طريق آدم .

وقولُه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ [٢/ ٧٠و] بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ . يعنى : والذين جحَدوا آياتى وكذَّبوا رُسُلى . وآياتُ اللَّهِ حُجَجُه وأدلَّتُه على وحدانيَّتِه وربوبيَّتِه ، وما جاءت به الرسلُ مِن الأعْلامِ والشَّواهدِ على ذلك ، وعلى صدقِها فيما أنبأَتْ عن ربِّها ، وقد بيَّنا أن معنى الكفرِ التَّغْطيةُ على الشيءِ[1] .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ ﴾ يعنى : أهلُها الذين هم أهلُها دونَ غيرِهم ، المخَلَّدون فيها أبدًا[2] إلى غيرِ أمَدٍ ولا نهايةٍ .

كما **حدَّثنى** عُقبةُ بنُ سِنانٍ البصرىُّ ، قال : حدَّثنا غَسَّانُ بنُ مُضَرَ ، قال : حدَّثنا سعيدُ بنُ يَزيدَ ، **وحدَّثنا** سَوَّارُ بنُ عبدِ اللَّهِ العَنْبَرىُّ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : حدَّثنا أبو مَسْلَمةَ[3] ، **وحدَّثنى** يعقوبُ بنُ إبراهيمَ وأبو بكرِ بنُ[4] عونٍ ، قالا : حدَّثنا إسماعيلُ ابنُ عُلَيَّةَ ، عن سعيدِ بنِ يزيدَ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أمَّا أهْلُ النَّارِ الذِين هم أهْلُها ، فإنَّهم لا يَمُوتُونَ فيها ولا يَحْيَوْنَ ، ولكِنَّ أقْوامًا أصابَتْهم النَّارُ بخَطايَاهم - أو بذُنُوبِهم - فأمَاتَتْهم إمَاتَةً ، حتى إذا صَارُوا فَحمًا أُذِنَ فى الشَّفَاعَةِ »[5] .

---

(١) تقدم فى ص ٢٦٢.

(٢) فى ر : « هم فيها خالدون » .

(٣) بعده فى م : « سعيد بن يزيد » . وهو اسم أبى مسلمة .

(٤) بعده فى الأصل ، ص : « أبى » .

(٥) أخرجه ابن خزيمة فى التوحيد ص ١٨٢ ، وابن صاعد فى زوائده على زهد ابن المبارك (١٢٦٩) من طريق عقبة بن سنان ويعقوب بن إبراهيم به .

وأخرجه مسلم (١٨٥) ، وابن ماجه (٤٣٠٩) من طريق بشر بن المفضل به . وأخرجه أحمد ١٧/ ١٣٤، ١٣٥ (١١٠٧٧) ، وحسين المروزى وابن صاعد فى زوائدهما على زهد ابن المبارك (١٢٦٩) ، وأبو يعلى (١٠٩٧ ، ١٣٧٠) ، وابن حبان (٧٤٨٥) ، وابن منده فى الإيمان (٨٣٢) من طريق ابن علية به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ . ولدَ[1] يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ خليلِ الرحمنِ . وكان يعقوبُ يُدْعَى إسرائيلَ ، بمعنى : عبدُ اللهِ وصَفْوتُه مِن خلقِه . و « إيلُ » هو اللّهُ تعالى ذكرُه ، و « إِسْرا » : هو العبدُ ، كما قيل : جبريلُ ، بمعنى : عبدُ اللّهِ .

وكما **حدَّثنا** به ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا جريرُ بنُ عبدِ الحميدِ ، عن الأعمشِ ، عن إسماعيلَ بنِ رَجاءٍ ، عن عُمَيْرٍ مولَى ابنِ عباسٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن إسرائيلَ كقولِك : عبدُ اللّهِ[2] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا جَريرٌ ، عن الأعمشِ ، عن المِنْهالِ ، عن عبدِ اللّهِ ابنِ الحارثِ قال : « إيلُ » اللّهُ بالعِبْرانيةِ[3] .

وإنما خاطَب اللّهُ جلّ وعزّ بقولِه : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ أحبارَ اليهودِ مِن بنى إسرائيلَ الذين كانوا بينَ ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللّهِ ﷺ ، فنسَبهم إلى يعقوبَ ، كما نسَب / ذريــةَ آدمَ إلى آدمَ ، فقال : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [الأعراف : ٣١] . وما أشْبَه ذلك . ٢٤٩/١

وإنما خصَّهم بالخطابِ فى هذه الآيةِ والتى بعدَها مِن الآيِ التى ذكَّرهم فيها نعَمَه – وإن كان قد تقدَّم ما أنْزَل فيهم وفى غيرِهم فى [٢/ ٧٠ظ] أولِ هذه السورةِ ما

---

(١) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « يا ولد » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٢/١ (٩٦٣) ، والبيهقى فى الشعب (١٦٥) ، والخطيب فى المتفق والمفترق ٣٩٨/١ من طريق أبى معاوية ، عن الأعمش به . وسيأتى فى ٢٩٦/٢ بهذا الإسناد . وينظر تغليق التعليق ٤/ ١٧٥ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٢/١ (٩٦٧) من طريق جرير به . وسيأتى فى ٢٩٥/٢ بهذا الإسناد .

قد تقَدَّم - أن الذى احْتَجَّ به مِن الحُجَجِ فى[(١)] الآياتِ التى فيها أنباءُ أسْلافِهم وأخبارُ أوائلِهم ، وقَصَصُ الأمورِ التى هم بعلمِها مَخْصوصون دونَ غيرِهم مِن سائرِ الأمِمِ ، ليس عندَ[(٢)] غيرِهم مِن العلمِ بصحتِه وحقيقتِه مثلُ الذى لهم مِن العلمِ به ، إلا لمن اقتَبَس علمَ ذلك منهم ، فعرَّفهم باطِّلاعِ محمدٍ ﷺ على علمِها - مع بُعْدِ قومِه وعَشيرتِه مِن معرفتِها ، وقلَّةِ مُزاولةِ محمدٍ ﷺ دراسةَ الكتبِ التى فيها أنباءُ ذلك - أن محمدًا ﷺ لم يَصِلْ إلى علمِ ذلك إلا بوحيٍ مِن اللهِ تعالى ذكرُه وتنزيلٍ منه ذلك إليه ؛ لأنهم مِن عِلْمِ صحةِ ذلك بمَحلٍّ ليس به مِن الأممِ غيرُهم ، فلذلك تعالى ذكرُه خصَّ بقولِه : ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ خطابَهم .

كما **حدَّثنا** به ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ قال : يا أهلَ الكتابِ ، للأحْبارِ مِن يهودَ[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ .

ونعمتُه التى أنْعَمها على بنى إسرائيلَ[(٤)] اصْطفاؤُه منهم الرسلَ ، وإنزالُه عليهم الكتبَ ، واسْتِنْقاذُه إياهم مما كانوا فيه مِن البلاءِ والضَّرَّاءِ مِن فرعونَ وقومِه ، إلى التَّمْكينِ لهم فى الأرضِ ، وتَفْجيرِ عُيونِ الماءِ مِن الحجرِ ، وإطعامِ المنِّ والسَّلْوَى ، فأمَر جل ثناؤُه أعْقابَهم أن يَكونَ ما سلَف منه إلى آبائِهم على ذِكْرٍ منهم[(٥)] ، وألا يَنْسَوْا صَنيعَه إلى أسلافِهم وآبائِهم ، فيُحِلَّ بهم مِن النِّقَمِ ما أحَلَّ بمَن نسِى نعمَه عندَه منهم

---

(١) فى ص ، م : « و » .

(٢) فى ص : « عندهم » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٤، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٩٥ (٤٣٤) من طريق سلمة به .

(٤) بعده فى ر : « وتلك النعم » ، وبعده فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « جل ذكره » .

(٥) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

وكَفَرَها وجحَد صنائعَه عندَه .

كما حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ أى : بَلائى[(١)] عندَكم وعندَ آبائِكم ؛ لِمَا كان نجّاهم به مِن فرعونَ وقومِه[(٢)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ العسقلانيُّ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ﴾ قال : نعمتُه أن جعَل منهم الأنبياءَ والرسلَ ، وأنْزَل عليهم الكتبَ[(٣)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ : يعنى نعمتَه التى أنْعَم على بنى إسرائيلَ فيما سمَّى وفيما سِوَى ذلك ؛ [٢/ ٧١و] فجَّر لهم الحجرَ ، وأنْزَل عليهم المنَّ والسلوى ، وأنْجاهم مِن عُبوديةِ[(٤)] آلِ فرعونَ[(٥)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ قال : نعمةٌ عامةٌ ، ولا نعمةَ أفضلُ مِن نعمةِ الإسلامِ ، والنِّعمُ بعدُ تبعٌ لها . وقرَأ قولَ اللّهِ تعالى ذِكْرُه : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ﴾ الآية [الحجرات : ١٧] .

---

(١) فى م : « آلائى » .

(٢) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٥/١ (٤٣٥) من طريق آدم به .

(٤) فى الأصل : « عبودة » ، وفى ص : « عيون » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٥/١ (٤٣٦) من طريق ابن أبى نجيح به .

وتذكيرُ اللّهِ تعالى ذكرُه الذى ذكَّرهم بهذه الآيةِ مِن نعَمِه على لسانِ رسولِه محمدٍ ﷺ، نظيرُ تَذْكيرِ موسى صلواتُ اللّهِ / عليه أسلافَهم على عهدِه الذى أخْبَرَ اللّهُ عنه أنه قاله لهم، وذلك قولُه : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٠].

١/٢٥٠

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : قد تقدَّم بَيانُنا عن معنى العهدِ فيما مضَى مِن كتابِنا هذا، واختلافِ المُخْتَلِفِين فى تأويلِه[1]، والصوابِ عندَنا مِن القولِ فيه. وهو فى هذا الموضعِ عهدُ اللّهِ ووصيتُه التى أخَذ على بنى إسرائيلَ فى التَّوراةِ أن يُبيِّنوا للناسِ أمرَ محمدٍ ﷺ أنه رسولُ اللهِ، وأنهم يَجِدونه مَكتوبًا عندَهم أنه نبىُّ اللّهِ، وأَن يُؤْمِنوا به وبما جاء به مِن عندِ اللّهِ.

﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ وعهدُه إليهم[2] أنهم إذا فعَلوا ذلك أدْخَلَهم الجنةَ، كما قال تعالى ذكرُه : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ الآية [المائدة: ١٢]. وكما قال : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

وكما **حدَّثنا** به ابنُ حُميدٍ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ، عن ابنِ إسحاقَ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ، عن عكرمةَ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ،

---

(١) تقدم فى ص٤٣٥ - ٤٣٩.

(٢) فى ص، ر، م، ت١، ت٢، ت٣ : «إياهم».

عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِى ﴾ : الذى أخَذْتُ فى أعْناقِكم للنبىِّ محمدٍ إذ جاءكم ، ثم ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ أى : أُنْجِزْ لكم ما وعَدْتُكم عليه بتصديقِه واتباعِه ، بوضعِ ما كان عليكم مِن الإصْرِ والأغْلالِ التى كانت فى أعْناقِكم بذنوبِكم [٢/ ٧١ظ] التى كانت مِن أحداثِكم[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . قال : عهدُه إلى عبادِه ؛ دينُه[(٢)] الإسلامُ أن يَتَّبِعوه ، ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . يعنى الجنةَ[(٣)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أَسْباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ : أمّا ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِى ﴾ ، فما عهِدْتُ إليكم فى الكتابِ ، وأمّا ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ ، فالجنةُ ، عهِدْتُ إليكم أنكم إن عمِلْتُم بطاعتى أدْخَلْتُكم الجنةَ[(٤)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ فى قولِه : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ قال : ذلك الميثاقُ الذى أخَذ عليهم فى « المائدةِ » : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ إلى آخرِ الآيةِ . فهذا عهدُ اللّهِ الذى عهِد إليهم ، وهو عهدُ اللّهِ فينا ، فمن أوْفَى بعهدِ اللهِ وفَى اللّهُ له بعهدِه .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٤. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٩٥، ٩٦ (٤٣٨، ٤٤١) من طريق سلمة به .

(٢) فى م : « دين » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٩٥، ٩٦ (٤٣٩) ، وعقب (٤٤١) من طريق آدم به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١١٨ عن السدى .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . يقولُ : أَوْفوا بما أمَرْتُكم به مِن طاعتى ، ونهَيْتُكم عنه مِن معصيتى فى النبىِّ ﷺ وفى غيرِه ، ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . يقولُ : أَرْضَ عنكم وأُدْخِلْكم الجنةَ[(١)] .

٢٥١/١ / حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . قال : أَوْفوا بأمْرِى أُوفِ بالذى وعَدْتُكم . وقرَأ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ حتى بلَغ : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ١١١] . قال : هذا عهدُه الذى عهِد لهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ قولِه جلّ وعز : ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ : وإياى فاخْشَوْا واتَّقُوا أيها المُضَيِّعون عَهْدى مِن بنى إسرائيلَ ، والمُكَذِّبون رَسولى الذى قد أخَذْتُ ميثاقَكم فيما أنْزَلْتُ مِن الكتبِ على أنْبيائى أن تُؤْمِنوا به وتَتَّبِعوه - أن أُحِلَّ بكم مِن عقوبتى - إن لم تُنِيبُوا وتَتوبُوا إلىَّ باتِّباعِه والإقرارِ بما أنْزَلْتُ إليه - ما أحْلَلْتُ بمَن خالف أمرى وكذَّب [٢/٧٢و] رُسلى مِن أسْلافِكم .

كما **حدَّثنا** محمدُ بنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بن أبى محمد ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ أى[(٢)] : أن أُنزِلَ بكم ما أَنْزَلْتُ بمَن كان قبلَكم مِن آبائِكم مِن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٩٥، ٩٦ (٤٣٧، ٤٤٠) من طريق المنجاب به .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

النَّقِماتِ التى قد عرَفْتُم مِن المَسْخِ وغيرِه[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنى آدمُ العَسْقلانىُّ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ . يقولُ : فاخْشَوْنِ[(٢)] .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ يقولُ : وإياىَ فاخْشَوْنِ[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَءَامِنُواْ ﴾ : صدِّقوا ، كما قد قدَّمْنا البيانَ عنه قبلُ[(٤)] . ويَعْنى بقولِه : ﴿بِمَآ أَنزَلْتُ ﴾ . ما أنْزَل على محمدٍ ﷺ مِن القرآنِ . ويعنى بقولِه : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ . أن القرآنَ مُصَدِّقٌ لما مع اليهودِ مِن بنى إسرائيلَ مِن التوراةِ ، فأمَرهم بالتَّصْديقِ بالقرآنِ ، وأخْبَرَهم أن فى تصديقِهم بالقرآنِ تصديقًا منهم للتوراةِ ؛ لأن الذى فى القرآنِ مِن الأمرِ بالإقرارِ بنبوَّةِ محمدٍ ﷺ وتصديقِه واتِّباعِه ، نظيرُ الذى مِن ذلك فى التوراةِ والإنجيلِ ، ففى تصديقِهم بما أُنْزل على محمدٍ ﷺ تصديقٌ منهم لما معهم مِن التوراةِ ، وفى تكذيبِهم به تكذيبٌ منهم لما معهم مِن التوراةِ .

وقولُه جل ثناؤُه : ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ . قطعٌ مِن الهاءِ المتروكةِ فى ﴿ أَنزَلْتُ ﴾[(٥)]

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٤. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٦/١ (٤٤٢) من طريق سلمة به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٦/١ (٤٤٣) من طريق آدم به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٦/١ عقب الأثر (٤٤٣) من طريق عمرو به .

(٤) تقدم فى ص ٢٥٤.

(٥) فى ص ، م : « أنزلته » .

مِن ذكر « ما » . ومعنى الكلامِ : وآمِنوا بالذى أنْزَلْتُه مصدقًا لما معكم أيُّها اليهودُ . والذى معهم هو التوراةُ والإنجيلُ .

كما **حدَّثنى** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنى عيسى ابنُ ميمونٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ فى قولِ اللّهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ . يقولُ : ﴿ بِمَآ [1] أَنزَلْتُ ﴾ القرآنُ ، ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ التوراةُ والإنجيلُ[2] .

٢٥٢/١ /**حدَّثنى** المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، [٢/ ٧٢ظ] قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ العَسْقلانىُّ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ . يقولُ : يا معشرَ أهلِ الكتابِ ، آمِنوا بما أنْزَلْتُ على محمدٍ ﷺ مصدِّقًا لما معكم ، يقولُ : لأنهم يَجِدون محمدًا ﷺ مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل وعز : ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : إن قال لنا قائلٌ : كيف قيل : ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ﴾ والخطابُ خبرٌ[4] لجميعٍ ، وقولُه[5] : ﴿ كَافِرِۭ ﴾ واحدٌ ؟ وهل نُجيزُ - إن كان ذلك

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إنما » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠١ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٦/١ (٤٤٥) ، بدون ذكر التوراة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ص ١٦ (مخطوط) إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٦/١ (٤٤٤) من طريق آدم به .

(٤) فى ص ، م : « فيه » .

(٥) سقط من : م .

جائزًا – أن يَقولَ قائلٌ : لا تكونوا أولَ رجلٍ قام ؟

قيل له : إنما يَجوزُ توحيدُ ما أُضِيف إليه « أَفْعَل » وهو خبرٌ لجميعٍ ، إذا كان اسمًا مشتقًّا مِن « فَعَلَ ويَفْعُلُ » ؛ لأنه يؤدِّى عن المرادِ معه المحذوفَ مِن الكلامِ ، وهو « مَن » ، ويَقومُ مَقامَه فى الأداءِ عن معنى ما كان يؤَدِّى عنه « مَن » ، مِن الجمعِ والتأنيثِ ، وهو فى لفظٍ واحدٍ . ألا تَرَى أنك تقولُ : ولا تكونوا أولَ مَن يَكْفُرُ به . فـ « مَن » بمعنى جمعٍ ، وهو غيرُ مُتَصَرِّفٍ تَصَرُّفَ الأسماءِ للتثنيةِ والجمعِ والتأنيثِ ، فإذا أُقِيم الاسمُ المشتقُّ مِن « فَعَلَ ويَفْعُلُ » مُقامَه ، جرَى وهو موحَّدٌ مَجْراه فى الأداءِ عما كان يُؤَدِّى عنه « مَنْ » مِن معنى الجمعِ والتأنيثِ ، كقولِك : الجيشُ مُنْهَزِمٌ[1] ، والجُنْدُ مُقْبِلٌ[2] . فتُوَحِّدُ الفعلَ لتوحيدِ لفظِ الجيشِ والجندِ ، وغيرُ جائزٍ أن يُقالَ : الجيشُ رجلٌ ، والجندُ غلامٌ . حتى تقولَ : الجندُ غِلْمانٌ ، والجيشُ رجالٌ . لأن الواحدَ مِن عددِ الأسماءِ التى هى غيرُ مشتقةٍ مِن « فَعَلَ ويَفْعُلُ » لا يُؤَدِّى عن معنى الجماعةِ منهم ، ومِن ذلك قولُ الشاعرِ[3] :

وإذا هُمُ طعِموا فأَلْأَمُ طاعِمٍ وإذا هُمُ جاعوا[4] فشرُّ جِياعِ

فوحَّد مرَّةً على ما وصَفْتُ مِن نيةِ « مَن » ، وإقامةِ الظاهرِ مِن الاسمِ الذى هو مشتقٌّ مِن « فَعَلَ ويَفْعُلُ » مُقامَه ، وجمَع أُخرى على الإخراجِ على عددِ الأسماءِ المُخْبَرِ عنهم ، ولو وحَّد حيثُ جمَع أو جمَع حيثُ وحَّد ، كان صوابًا جائزًا .

وأما تأويلُ ذلك فإنه يَعْنى به : يا معشرَ أحبارِ أهلِ الكتابِ ، صدِّقوا بما أَنْزَلْتُ

(١) فى م : « ينهزم » .

(٢) فى م : « يقبل » .

(٣) ذكره أبو زيد فى النوادر ص ١٥٢، والفراء فى معانى القرآن ١/ ٣٣.

(٤) فى النوادر : « عاعوا » . وهى رواية فى البيت .

على رسولى محمدٍ ﷺ مِن القرآنِ المُصَدِّقِ كتابَكم ، والذى عندَكم مِن التوراةِ والإنجيلِ المعهودِ إليكم فيهما أنه رسولى [٢/ ٧٣و] ونبيِّىَ المبعوثُ بالحقِّ ، ولا تكونوا أولَ أُمّتِكم[1] كذَّب به وجحَد أنه مِن عندِى ، وعندَكم مِن العلمِ به ما ليس عندَ غيرِكم .

وكفرُهم به جُحودُهم أنه مِن عندِ اللّهِ .

والهاءُ التى فى ﴿ بِهِۦ ﴾ مِن ذكرِ « ما » التى مع قولِه : ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ ﴾ .

كما **حدَّثنى** القاسمُ ، قال : حدَّثنى الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ﴾ : بالقرآنِ[2] .

ورُوِى عن أبى العاليةِ فى ذلك ما **حدَّثنى** به المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ﴾ . يقولُ : ولا تكونوا أولَ مَن كفَر بمحمدٍ ﷺ[3] .

٢٥٣/١ / وقال بعضُهم : ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ﴾ . يعنى : بكتابِكم . ويتأوَّلُ أن فى تكذيبِهم بمحمدٍ ﷺ تكذيبًا منهم بكتابِهم ؛ لأن فى كتابِهم الأمرَ باتِّباعِ محمدٍ ﷺ .

وهذان القولان مِن ظاهرِ ما تَدُلُّ عليه التِّلاوةُ بعيدانِ ، وذلك أن اللّهَ جَلَّ ثناؤُه أَمَر المُخاطَبين بهذه الآيةِ فى أولِها بالإيمانِ بما أنْزَل على محمدٍ ﷺ ، فقال تعالى ذكرُه : ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ . ومَعقولٌ أن الذى أنْزَله اللّهُ فى

---

(١) فى م : « من » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/١ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٧/١ (٤٤٧) من طريق آدم به .

عصرِ محمدٍ ﷺ هو القرآنُ لا محمدٌ ؛ لأن محمدًا صلواتُ اللهِ عليه رسولٌ مُرْسَلٌ لا تَنْزِيلٌ مُنْزَلٌ ، والمُنْزَلُ هو الكتابُ ، ثم نهاهم أن يكونوا أولَ مَن يَكْفُرُ بالذى أمَرهم بالإيمانِ به فى أولِ الآيةِ - مِن أهلِ الكتابِ ، فذلك هو الظاهرُ المفهومُ ، ولم يَجْرِ لمحمدٍ ﷺ فى هذه الآيةِ ذكرٌ ظاهرٌ فيُعادَ عليه بذكرِه مَكْنِيًّا فى قولِه : ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ﴾ . وإن كان غيرَ مُحالٍ فى الكلامِ أن يُذكَرَ مَكْنِيُّ اسمٍ لم يَجْرِ له ذكرٌ ظاهرٌ فى الكلامِ .

وكذلك لا معنى لقولِ مَن زعَم أن العائدَ مِن الذِّكْرِ فى ﴿ بِهِۦ ﴾ على « ما » التى فى قولِه : ﴿ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ . لأن ذلك وإن كان مُحْتَمِلًا ظاهرَ الكلامِ ، فإنه بعيدٌ مما يَدُلُّ عليه ظاهرُ التِّلاوةِ والتنزيلِ ؛ لما وصَفْنا قبلُ مِن أن الأمرَ[1] بالإيمانِ به فى أولِ الآيةِ هو القرآنُ ، فكذلك الواجبُ أن يكونَ النهىُ عن الكفرِ به فى آخرِها هو القرآنَ . فأما أن يكونَ المأمورُ بالإيمانِ به غيرَ المنهىِّ عن الكفرِ به فى كلامٍ واحدٍ وآيةٍ واحدةٍ ، فذلك غيرُ الأشهرِ الأظهرِ فى الكلامِ ، هذا مع بُعْدِ معناه فى التأويلِ .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ [٢/ ٧٣ظ] عباسٍ : ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ﴾ : وعندَكم فيه مِن العلمِ ما ليس عندَ غيرِكم[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ .

اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ **فحدَّثنى** المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ .

---

(١) فى م : « المأمور » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٤، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ٩٧ (٤٤٦) من طريق سلمة به .

يقولُ : لا تأْخُذوا عليه أجرًا . قال : وهو مَكتوبٌ عندَهم فى الكتابِ الأولِ : يا بنَ آدمَ ، علِّمْ مَجّانًا كما عُلِّمْتَ مَجّانًا[1] .

وقال آخَرون بما حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ . يَقولُ : لا تأْخُذوا طَمعًا قليلًا وتَكْتُموا اسمَ اللَّهِ ، فذلك الطَّمَعُ هو الثمنُ[2] .

فتأويلُ الآيةِ إذن : لا تَبيعوا ما آتيتُكم مِن العلمِ بكتابى وآياتِه بثمنٍ خَسيسٍ وعَرَضٍ مِن الدنيا قليلٍ . وبيعُهم إياه تركُهم إبانةَ ما فى كتابِهم مِن أمرِ محمدٍ ﷺ للناسِ وأنه مَكتوبٌ فيه أنه النبىُّ الأمىُّ الذى يَجِدونه مَكتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ ، بثمنٍ قليلٍ ، وهو رِضاهم بالرِّياسةِ على أتْباعِهم مِن أهلِ ملَّتِهم ودينِهم ، وأخذِهم الأجرَ ممَّن بيَّنوا له ذلك على ما بيَّنوا له منه .

وإنما قلْنا : معنى ذلك : لا تَبيعوا ؛ لأن مُشْتَرِىَ الثمنِ القليلِ بآياتِ اللهِ بائعُ الآياتِ بالثمنِ ، فكلٌّ واحدٍ مِن / الثمنِ والمُثَمَّنِ مَبيعٌ لصاحبِه ، وصاحبُه به مُشْتَرٍ[3] . ٢٥٤/١

وأما معنى ذلك على ما تأوَّله أبو العاليةِ : فبيِّنوا للناسِ أمرَ محمدٍ ﷺ ، ولا تَبْتَغوا عليه منهم أجرًا . فيكونُ حينَئذٍ نهيُه عن أخذِ الأجرِ على تَبْيينِه هو النهىَ عن شراءِ الثمنِ القليلِ بآياتِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعز : ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٧/١ (٤٤٩) والخطيب فى الكفاية ص١٥٣ من طريق آدم به . وأخرجه ابن عدى ١٠٢٣/٣ - ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ١٧٩/١٨ - ، وأبو نعيم فى الحلية ٢/ ٢٢٠، والخطيب ص١٥٤ من طريق أبى جعفر به نحوه . وأخرجه أبو خيثمة فى العلم (٦٨) عن إسحاق بن سليمان الرازى عن أبى جعفر عن الربيع قوله .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٧/١ (٤٥١) من طريق عمرو به .

(٣) فى الأصل : « مُشْتَرِى » .

قال أبو جعفرٍ : يقولُ : فاتَّقونِ فى بيعِكم آياتى بالخَسِيسِ مِن الثمنِ ، وشِرائِكم بها القليلَ مِن العِوضِ[1] ، وكفرِكم بما أنْزَلْتُ على رسولى ، وجُحودِكم نبوَّةَ نبيِّى[2] - أن أُحِلَّ بكم ما أحْلَلْتُ بأسلافِكم[3] الذين سلَكوا سبيلَكم مِن المَثُلاتِ والنَّقِماتِ .

[٢/ ٧٤و] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه** : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : يعنى بقولِه : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ﴾ : لا تَخْلِطوا . واللَّبْسُ هو الخَلْطُ ، يقالُ منه : لَبَسْتُ عليه هذا الأمرَ أَلْبِسُه لَبْسًا ، إذا خلَطْتَه عليه[4] .

كما **حُدِّثْنا** عن المِنْجابِ ، عن بشرٍ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٩] . يقولُ : لخلَطْنا عليهم ما يَخْلِطون[5] .

ومنه قولُ العَجَّاجِ[6] :

لَمَّا لَبَسْنَ الحَقَّ بالتَّجَنِّى

غَنِينَ واسْتَبْدَلْنَ زَيْدًا مِنِّى

يعنى بقولِه : لبَسْنَ : خلَطْنَ . وأما اللُّبْسُ فإنه يقالُ منه : لبِسْتُه ألبَسُه لُبْسًا ومَلْبَسًا . وذلك فى الكِسْوةِ يَكْتَسِيها فيَلْبَسُها .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « العرض » .

(٢) فى م : « نبيه » .

(٣) فى م : « بأخلافكم » .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عليهم » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤/١٢٦٧ (٧١٣٤) عن أبى زرعة ، عن منجاب به .

(٦) ديوانه ص ١٨٥ .

ومن اللَّبْسِ قولُ الأخطلِ[١] :

ولقد لَبِسْتُ لهذا الدهرِ أعْصُرَه حتى تجَلَّل رأسى الشَّيْبُ واشْتَعَلا

ومِن اللَّبْسِ قولُ اللّهِ جل ثناؤُه : ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف كانوا يَلْبِسون الحقَّ بالباطلِ وهم كفارٌ ؟ وأىُّ حقٍّ كانوا عليه مع كفرِهم باللّهِ ؟

قيل : إنه كان فيهم مُنافِقون منهم يُظْهِرون التَّصْديقَ بمحمدٍ ﷺ ويَسْتَبْطِنون الكفرَ به ، وكان عُظْمُهم يَقُولون : محمدٌ نبىٌّ مبعوثٌ ، إلا أنه مبعوثٌ إلى غيرِنا . فكان لَبْسُ المنافقِ منهم الحقَّ بالباطلِ إظهارَه الحقَّ بلسانِه وإقرارَه بمحمدٍ ﷺ وبما جاء به جِهارًا ، وخلْطَه ذلك الظاهرَ مِن الحقِّ بالباطلِ الذى يَسْتَبْطِنُه ، وكان لَبْسُ المُقِرِّ منهم بأنه مَبعوثٌ إلى غيرِهم ، الجاحدِ أنه مبعوثٌ إليهم ، إقرارَه بأنه مبعوثٌ إلى غيرِهم - وهو الحقُّ - وجحودَه أنه مَبْعوثٌ إليهم وهو الباطلُ ، وقد بعَثه اللّهُ إلى الخلقِ كافَّةً ، فذلك خلْطُهم الحقَّ بالباطلِ ولَبْسُهم إياه به .

كما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ . قال : لا تَخْلِطوا الصدقَ بالكذبِ[٢] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَلَا / تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ . يقولُ : لا تَخْلِطوا الحقَّ بالباطلِ ، وأدُّوا ١/٢٥٥

(١) شرح ديوان الأخطل ص ٣٤٧.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٦٤ إلى المصنف .

النَّصيحةَ لعبادِ اللّهِ فى أمرِ محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ[(١)] .

[٢/ ٧٤ظ] **حدَّثنا** القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ : اليهوديةَ والنصرانيةَ بالإسلامِ .

وحدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ . قال : الحقُّ التوراةُ التى أنْزَل اللّهُ تعالى ذكرُه على موسى ، والباطلُ الذى كتَبوه بأيديهم[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وفى قولِه : ﴿ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾ **وجهان** مِن التأويلِ ؛ **أحدُهما** : أن يكونَ اللّهُ تعالى ذكرُه نهاهم عن أن يَكْتُموا الحقَّ ، كما نهاهم عن أن يَلْبِسوا الحقَّ بالباطلِ . فيَكونُ تأويلُ ذلك حينَئذٍ : ولا تَلْبِسوا الحقَّ بالباطلِ ، ولا تكْتُموا الحقَّ . ويَكونُ قولُه : ﴿ وَتَكْتُمُوا۟ ﴾ عندَ ذلك مَجْزومًا بما جُزِم به ﴿تَلْبِسُوا۟﴾ عَطْفًا عليه .

والوجهُ الآخرُ منهما : أن يَكونَ النهىُ مِن اللّهِ تعالى ذكرُه لهم عن أن يَلْبِسوا الحقَّ بالباطلِ ، ويكونَ قولُه : ﴿ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾ خبرًا منه عنهم بكِتمانِهم الحقَّ الذى يَعْلَمونه . فيَكونُ قولُه حينَئذٍ : ﴿ وَتَكْتُمُوا۟ ﴾ منصوبًا لانْصرافِه عن معنى قولِه : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ . إذ كان قولُه : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾ نهيًا ، وقولُه : ﴿ وَتَكْتُمُوا۟ ﴾ خبرًا معطوفًا عليه غيرَ جائزٍ أن يُعادَ عليه ما عمِل فى

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٨/١ (٤٥٤) من طريق آدم به .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/١ إلى المصنف .

قولِه : ﴿ تَلْبِسُواْ ﴾ مِن الحرفِ الجازمِ ، وذلك هو المعنى الذى يُسَمِّيه النَّحْويون صَرْفًا[(١)] . ونظيرُ ذلك فى المعنى والإعرابِ قولُ الشاعرِ[(٢)] :

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتَأْتِىَ مثلَه عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

فنصَب « تأتى » على التأويلِ الذى قلْنا فى قولِه : ﴿ وَتَكْتُمُواْ ﴾ ؛ لأنه لم يَرِدْ : لا تَنْهَ عن خلقٍ ولا تأتِ مثلَه . وإنما معناه : لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وأنت تَأْتى مثلَه . فكان الأولُ نهيًا والثانى خبرًا ، إذ عطَفه على غيرِ شكلِه .

فأما الوجهُ الأولُ مِن هذين الوجهين اللذين ذكَرْنا أن الآية تَحْتَمِلُهما ، فهو على مذهبِ ابنِ عباسٍ الذى **حدَّثنا** به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ ابنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ ﴾ . يقولُ : لا تَكْتُموا الحقَّ وأنتم تَعْلَمون[(٣)] .

حدَّثنا [٢/ ٧٥و] ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدِ بن ثابتٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ ﴾ . أى : ولا تَكْتُموا الحقَّ .

وأما الوجهُ الثانى منهما ، فهو على مذهبِ أبى العاليةِ ومُجاهدٍ .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن

---

(١) ينظر تعريف المصنف للصرف فى ٦/ ٩٢، وينظر المصطلح الكوفى ص١٠٥ وما بعدها.

(٢) البيت مختلف فى نسبته؛ فقال صاحب الخزانة ٨/ ٥٦٤: المشهور أنه لأبى الأسود الدؤلى. ونسبه سيبويه فى الكتاب ٣/٤٢ للأخطل. وقد نسبه الآمدى فى المؤتلف والمختلف ص ٢٧٣ للمتوكل الليثى.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٦٤ إلى المصنف.

أبى العاليةِ : ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قال : كتَموا نَعْتَ[1] محمدٍ ﷺ[2] .

/ حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى بنِ ميمونٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوَه[3] . ٢٥٦/١

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ نحوَه .

وأما تأويلُ الحقِّ الذى كتَموه وهم يَعْلَمونه ، فإنه ما حدَّثنا به ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى زيدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ . يقولُ : لا تَكْتُموا ما عندَكم مِن المعرفةِ برسولى ، وما جاء به ، وأنتم تَجِدونه عندَكم فيما تَعْلَمون مِن الكتبِ التى بأيديكم[4] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ . يقولُ : إنكم قد عِلِمْتُم أن محمدًا رسولُ اللهِ ﷺ ، فنهاهم عن ذلك .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . قال : يَكْتُمُ أهلُ الكتابِ

---

(١) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « بعث » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٨/١ (٤٥٦) من طريق آدم به .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٩/١ عقب الأثر (٤٥٨) معلقا .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٤، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٨/١ (٤٥٧) من طريق سلمة به .

محمدًا ﷺ وهم يَجِدونه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . قال : الحقُّ هو محمدٌ ﷺ[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قال : كتَموا نَعْتَ محمدٍ ﷺ وهم يَجِدونه مَكتوبًا عندَهم[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ[3] ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ : تَكْتُمون محمدًا وأنتم تَعْلَمون ، وأنتم تَجِدونه عندَكم فى التوراةِ والإنجيلِ .

فتأويلُ الآيةِ [٢/ ٧٥ظ] إذن : ولا تَخْلِطوا على الناسِ أيُّها الأحبارُ مِن أهلِ الكتابِ فى أمرِ محمدٍ ﷺ وما جاء به مِن عندِ ربِّه ، وتزْعموا أنه مَبْعوثٌ إلى [4] بعضِ أجْناسِ الأممِ دون بعضٍ ، أو تُنافِقوا فى أمرِه ، وقد علِمْتُم أنه مَبعوثٌ إلى [4] جميعِكم ، وجميعِ الأممِ غيرِكم ، فتَخْلِطوا بذلك الصدقَ بالكذبِ ، وتَكْتُموا به ما تَجِدونه فى كتابِكم مِن نعْتِه وصفتِه ، وأنه رسولى إلى الناسِ كافَّةً ، وأنتم تَعْلَمون أنه

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٩٩/١ (٤٥٨) عن أبى زرعة ، عن عمرو به .

(٢) تقدم مختصرا فى ص ٦٣٣ .

(٣) فى ر ، ت ١ ، ت ٢ : « الحسن » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

رسولى ، وأن ما جاء به إليكم فمِن عندى ، وتَعْرِفون أن مِن عهدى الذى أَخَذْتُ عليكم فى كتابِكم الإيمانَ به وبما جاء به والتصديقَ به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

/ **قال أبو جعفرٍ** : ذُكِر أن أحبارَ اليهودِ والمنافِقِين كانوا يَأْمُرون الناسَ بإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ ولا يَفْعَلونه ، فأمَرهم اللّهُ تعالى ذكرُه بإقامِ الصلاةِ مع المسلمين المُصدِّقِين بمحمدٍ ﷺ ، وبما جاء به ، وإيتاءِ زكاةِ أموالِهم معهم ، وأن يَخْضَعوا للّهِ تبارك وتعالى ولرسولِه كما خضَعوا . ٢٥٧/١

كما **حُدِّثْتُ** عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ . قال : فَرِيضتان واجِبتان ، فأدُّوهما إلى اللّهِ جلّ ثناؤه .

وقد بيَّنا معنى إقامةِ الصلاةِ فيما مضَى مِن كتابِنا هذا ، فكرِهْنا إعادتَه فى هذا الموضعِ[1] .

وأما إيتاءُ الزكاةِ فهو أداءُ الصدقةِ المفروضةِ ، وأصلُ الزكاةِ نَماءُ المالِ وتَثْميرُه وزيادتُه . ومِن ذلك قيل : زكا الزرعُ ، إذا كثُر ما أَخْرَج اللّهُ جلّ وعزّ منه ، وزكَتِ النفقةُ ، إذا كَثُرت . وقيل : زكا الفردُ ، إذا صار زوجًا بزيادةِ الزائدِ عليه حتى صار به شَفْعًا ، كما قال الشاعرُ[2] :

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٢٤٧ .

(٢) البيت فى اللسان (خ س ى) .

كانوا خَسًا أو زَكًا مِن دونِ أربعةٍ لم يُخْلَقوا وجُدودُ[(١)] الناسِ تَعْتَلِجُ[(٢)]

[(٣)]قال أبو جعفرٍ : خسًا : الوترُ ، وزكًا : الشَّفْعُ[(٣)] .

وقال الرَّاجزُ[(٤)] :

فــلا خَسًا عَـدِيدُه ولا زَكا

كما شِرارُ البَقْلِ أطرافُ السَّفَا

قال أبو جعفرٍ : السفا : شَوكُ البُهْمَى ، والبُهْمى : الذى يكونُ مُدَوَّرًا فى السُّلَّاءِ[(٥)] . يعنى بقولِه : ولا زكا [٢/٧٦و] : لم يُصَيِّرْهم شَفْعًا مِن وِتْرٍ بحُدوثِه فيهم .

وإنما قيل للزكاةِ : زكاةٌ ، وهى مالٌ تَخْرُجُ مِن مالٍ ؛ لتثميرِ اللهِ جلَّ وعزَّ - بإخراجِها مما أُخْرِجَت منه - ما بـقِى عندَ ربِّ المالِ مِن مالِه . وقد يَحْتَمِلُ أن تكونَ سُمِّيت زكاةً لأنها تطهيرٌ لما بقِى مِن مالِ الرجلِ ، وتخليصٌ له مِن أن تكونَ فيه مَظْلِمةٌ لأهلِ السُّهْمانِ ، كما قال اللهُ جل ثناؤُه مخبرًا عن نبيِّه موسى صلواتُ اللهِ عليه : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ [الكهف : ٧٤] . يعنى : بريئةً مِن الذنوبِ طاهرةً . وكما يقالُ للرجلِ : هو عَدْلٌ زَكِيٌّ . بذلك المعنى .

قال أبو جعفرٍ : وهذا الوجهُ أعجبُ إلىَّ فى تأويلِ زكاةِ المالِ مِن الوجهِ الأولِ ،

---

(١) جدود : حظوظ . اللسان (ج د د) .

(٢) تعتلج : تتصارع . اللسان (ع ل ج) .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ .

(٤) هو هريم بن جواس التميمى ، والرجز بروايات مختلفة فى الأغانى ٢١/ ٣٠، وطبقات فحول الشعراء ٢/ ٧٣٩، ومعجم الشعراء ص ٤٧٣.

(٥) فى النسخ : « السلى » . والصواب ما أثبتناه . والسلاء : جمع سلاءة وهو شوك النخل . اللسان (س ل أ) . وينظر تعليق الشيخ شاكر .

وإن كان الوجهُ الأولُ مقولًا[1] فى تأويلِها . وإيتاؤُها : إعطاؤُها أهلَها .

وأما الركوعُ ، فهو الخضوعُ للهِ جلّ ثناؤه بالطاعةِ ، يُقالُ منه : ركَع فلانٌ لكذا وكذا إذا خضَع له . ومنه قولُ الشاعرِ[2] :

بِيعَت بكَسْرٍ لَئِيمٍ واسْتَغاث بها   مِن الهُزالِ أبوها بعدَما رَكَعا

يعنى : بعدَ ما خضَع مِن شدةِ الحاجةِ والجَهْدِ .

وهذا أمرٌ مِن اللهِ تعالى ذكرُه لمن ذكَر مِن أحبارِ بنى إسرائيلَ ومُنافقِيها - بالإنابةِ[3] والتوبةِ إليه ، وبإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ ، والدخولِ مع المسلمين فى الإسلامِ ، والخضوعِ له بالطاعةِ ، ونَهْىٌ منه لهم عن كِتْمانِ ما قد علِموا مِن نبوَّةِ محمدٍ ﷺ بعدَ تَظاهُرِ حُجَجِه عليهم ، مما قد وصَفْنا قبلُ فيما مضَى مِن كتابِنا هذا ، وبعدَ الإعْذارِ إليهم والإنْذارِ ، وبعدَ تذكيرِهم نعمَه إليهم وإلى أسلافِهم ؛ تَعَطُّفًا منه بذلك عليهم وإبلاغًا إليهم فى المَعْذِرةِ .

/القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ . ١/٢٥٨

قال أبو جعفرٍ : اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى معنى « البرِّ » الذى كان المخاطَبون بهذه الآيةِ يَأْمُرون الناسَ به ، ويَنْسَوْن أنفسَهم ، بعدَ إجماعِ جميعِهم على أن كلَّ طاعةٍ للهِ فهى تُسَمَّى بِرًّا .

فرُوِى عن ابنِ عباسٍ ما **حدَّثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عِكْرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ، س : « مقبولا » .

(٢) هو عصام بن عبيد الزمانى . والبيت فى الوحشيات لأبى تمام ص ٨٦ ، والحيوان للجاحظ ٤/ ٢٨١ ، والشطر الأول فيهما : بيعت بوكس قليل فاستقل بها

(٣) فى م : « بالإبانة » .

عباسٍ : ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ [٢/ ٧٦ظ] وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ . أى : تَنْهَوْن الناسَ عن الكفرِ بما عندَكم مِن النبوةِ والعهدِ مِن التوراةِ ، وتَتْرُكون أنفسَكم وأنتم تَكْفُرون بما فيها مِن عَهْدى إليكم فى تصديقِ رسولى ، وتَنْقُضون مِيثاقى ، وتَجْحَدون ما تَعْلَمون مِن كتابى[١] .

وحدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ﴾. يقولُ : أتَأْمُرُون الناسَ بالدخولِ فى دينِ محمدٍ ﷺ وغيرِ ذلك مما أُمِرْتُم به مِن إقامِ الصلاةِ [٢]وإيتاءِ الزكاةِ[٢] ، ﴿ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾[٣] .

وقال آخَرون بما حدَّثنى به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنى عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ . قال : كانوا يَأْمُرُون الناسَ بطاعةِ اللّهِ وهم يَعْصُونه[٤] .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ . قال : كان بنو إسرائيلَ يَأْمُرون الناسَ بطاعةِ اللّهِ وبتَقْواه وبالبرِّ ويُخالِفون ، فعيَّرهم اللّهُ جلّ ثناؤه[٥] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا الحجاجُ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ﴾ : أهلُ الكتابِ والمنافِقون كانوا يَأْمُرون الناسَ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٣٤، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٠١، ١٠٢ (٤٧٣، ٤٧٦، ٤٧٩) من طريق سلمة به .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١، ت٢، ت٣ .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/١ إلى المصنف ، وسيأتى تمامه فى ص ٦١٦، ٦١٧.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٤٧٨) من طريق عمرو به .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٤. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠١/١ (٤٧٧) عن الحسن بن يحيى به .

بالصومِ والصلاةِ ، ويَدَعُون العملَ بما يَأْمُرون به الناسَ ، فعيَّرهم اللَّهُ جلّ ثناؤه بذلك ، فمن أمَر بخيرٍ فلْيَكُنْ أشدَّ الناسِ فيه مُسارَعةً[(١)] .

وقال آخَرون بما حدَّثنى به يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : هؤلاء اليهودُ كان إذا جاء الرجلُ يَسْألُهم ما ليس فيه حقٌّ ولا رِشْوةٌ ولا شئٌ ، أمَروه بالحقِّ ، فقال اللَّهُ جلّ ثناؤه لهم : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[(٢)] .

وحدَّثنى علىُّ بنُ الحسنِ ، قال : حدَّثنا مسلمٌ الجَرْمِىُّ ، قال : حدَّثنا مَخْلَدُ ابنُ الحسينِ ، عن أيوبَ السَّخْتِيانىِّ ، عن أبى قِلابةَ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ . قال : قال أبو الدَّرْداءِ : لا يَفْقَهُ الرجلُ كلَّ الفقهِ حتى يمقُتَ الناسَ فى ذاتِ اللَّهِ ، ثم يَرْجِعَ إلى نفسِه فيكونَ لها أشدَّ مَقْتًا[(٣)] .

/ قال أبو جعفرٍ : وجميعُ الذى قال فى تأويلِ هذه الآيةِ مَن ذكَرْنا قولَه متقاربُ المعنى ؛ لأنهم وإن اخْتَلَفوا فى صفةِ « البرِّ » الذى كان القومُ يَأمُرون به غيرَهم الذين وصَفَهم اللَّهُ جل ثناؤه بما وصَفَهم به ، فهم مُتَّفِقون فى أنهم [٢/ ٧٧و] كانوا يَأْمُرون الناسَ بما للَّهِ فيه رضًا مِن القولِ والعملِ ، ويُخالِفون ما أمَروهم به مِن ذلك إلى غيرِه بأفعالِهم . ٢٥٩/١

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٢١ عن ابن جريج .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٢١ عن ابن زيد .

(٣) أخرجه معمر فى جامعه (٢٠٤٧٣) ، وابن أبى شيبة ١٣/ ٣٠٦، والخطابى فى العزلة ص ٨٢، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٢١١، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٦١٩) من طريق أيوب به بنحوه . وزاد معمر فى أوله : لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهًا كثيرة . وأبو قلابة لم يدرك أبا الدرداء ، قال الحافظ فى الفتح ١٣/ ٣٨٣ : رجاله ثقات إلا أنه منقطع .

فالتأويلُ الذى يَدُلُّ على صحتِه ظاهرُ التِّلاوةِ إذن : أتأْمُرون الناسَ بطاعةِ اللّهِ وتتْرُكون أنفسَكم تَعْصِيه ؟ فهلَّا تأْمُرونها بما تأْمُرُون به الناسَ مِن طاعةِ ربِّكم جلَّ وعز ؟ مُعَيِّرَهم بذلك ومقبِّحًا (١)لهم قبيحَ(١) ما أَتَوْا به(٢) .

ومعنى نسيانِهم أنفسَهم فى هذا الموضعِ نظيرُ النسيانِ الذى قال جل ثناؤه : ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة : ٦٧] . بمعنى : ترَكوا طاعةَ اللّهِ فترَكهم اللّهُ مِن ثوابِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : يعنى بقولِه : ﴿ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ : تَدْرُسون وتَقْرَءون .

كما **حدَّثنا** أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ . يقُولُ : تَدْرُسون الكتابَ بذلك(٣) .

ويعنى بـ ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ : التَّوْراةَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ .

قال أبو جعفرٍ : يعنى بقولِه : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ : أفلا تَفْقَهون وتَفْهَمون قُبْحَ ما تَأْتُون مِن معصيتِكم ربَّكم التى تأْمُرون الناسَ بخِلافِها وتَنْهَوْنهم عن رُكوبِها ، وأنتم راكبُوها ، وأنتم تَعْلَمون أن الذى عليكم مِن حقِّ اللهِ وطاعتِه فى اتباعِ محمدٍ ﷺ والإيمانِ به وبما جاء به ، مثلُ الذى على مَن تَأْمُرونه باتِّباعِه .

كما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ العَلاءِ ، قال : حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنا

(١ - ١) فى الأصل : « لهم قبح » ، وفى م : « إليهم » .

(٢) فى ص : « منه » .

(٣) تقدم أوله فى ص ٦١٤ .

بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ . يقولُ : أفلا تَفقهون . فنهاهم عن هذا الخُلُقِ القَبيحِ [١] .

وهذا يَدُلُّ على صحةِ ما قلْنا مِن أمرِ أحْبارِ يهودِ بنى إسرائيلَ غيرَهم باتِّباعِ محمدٍ ﷺ ، وأنهم كانوا يَقُولون : هو مَبْعوثٌ إلى غيرِنا . كما ذكَرْنا قبلُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : [٢/ ٧٧ظ] يعنى بقولِه تعالى ذكرُه : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ : واسْتَعِينوا على الوفاءِ بعهدى الذى عاهَدْتُمونى فى كتابِكم - مِن طاعتى واتباعِ أمرى ، وتركِ ما تَهْوَوْنه مِن الرِّياسةِ وحبِّ الدنيا ، إلى ما تَكْرَهونه مِن التسليمِ لأمْرِى ، واتباعِ رسولى محمدٍ ﷺ - بالصبرِ عليه والصلاةِ .

وقد قيل : إن معنى الصبرِ فى هذا الموضعِ الصومُ ، والصومُ بعضُ معانى الصبرِ [٢]عندَنا ، بل تأويلُ[٢] ذلك عندَنا أن اللّهَ تعالى ذكرُه أمَرهم بالصبرِ على كُلِّ ما كرِهَتْه نفوسُهم مِن طاعةِ اللّهِ وتركِ مَعاصِيه .

وأصلُ الصبرِ منعُ النفسِ مَحابَّها وكفُّها عن هَواها ؛ ولذلك قيل للصابرِ على المصيبةِ : صابرٌ ، لكفِّه نفسَه عن / الجَزَعِ . وقيل لشهرِ رمضانَ : شهرُ الصَّبرِ ، لصبرِ صائميه عن المَطاعِمِ والمَشارِبِ نهارًا . وصَبْرُه إياهم عن ذلك : حَبْسُه لهم وكفُّه إياهم عنه ، كما تَصْبِرُ الرجلَ المسىءَ للقتلِ ، فتَحْبِسُه عليه حتى تَقْتُلَه ، ولذلك قيل : قتَل فلانٌ فلانًا صَبْرًا . يعنى به : حبَسه عليه حتى قتَله ، فالمقتولُ مَصْبورٌ ، والقاتلُ صابرٌ . ١/ ٢٦٠

وأما الصلاةُ فقد ذكَرْنا معناها فيما مضَى [٣] .

---

(١) تقدم أوله فى ص ٦١٤ .

(٢ - ٢) فى ص : « عند تأويل من تأول » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٢٤٨، ٢٤٩.

فإن قال قائلٌ : قد علِمْنا معنى الأمرِ بالاستعانةِ بالصبرِ على الوَفاءِ بالعهدِ والمحافظةِ على الطاعةِ ، فما معنى الأمرِ بالاستعانةِ بالصلاةِ على طاعةِ اللّهِ وتركِ مَعاصِيه ، والتَّعَرِّى عن الرِّياسةِ وترْكِ الدنيا ؟

قيل : إن الصلاةَ فيها تلاوةُ كتابِ اللّهِ جل ثناؤه ، الداعيةِ آياتهُ إلى رفضِ الدنيا ، وهجرِ نَعيمِها ، المُسَلِّيةِ النفوسَ عن زينتِها وغُرورِها ، المُذَكِّرةِ الآخرةَ وما أعدَّ اللهُ فيها لأهلِها ، ففى الاعتبارِ بها المعونةُ لأهلِ طاعةِ اللهِ جلَّ جلالُه على الجِدِّ فيها ، كما رُوِى عن نبيِّنا ﷺ أنه كان إذا حزَبَه أمرٌ[1] فزِع إلى الصلاةِ .

حدَّثنى بذلك إسماعيلُ بنُ موسى الفَزاريُّ ، قال : أخبرنا الحسينُ[2] بنُ زيادٍ[3] الهَمْدانيُّ ، [4]عن ابنِ جُرَيجٍ[4] ، عن عكرمةَ بنِ عمارٍ ، عن محمدِ بنِ عُبَيدِ بنِ أبى قُدامةَ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ اليمَانِ ، عن حُذيفةَ ، قال : كان رسولُ اللّهِ ﷺ إذا حزَبه أمرٌ فزِع إلى الصلاةِ[5] .

---

(١) حزَبه أمر : أى إذا نزل به مُهِمٌّ أو أصابه غم . النهاية ١/٣٧٧ .

(٢) كذا فى النسخ ، والصواب : الحسن . كما فى الثقات ٨/١٦٨ والمصادر ، ولعله : الحسن بن زياد اللؤلؤى ، وهو ضعيف ، والله أعلم .

(٣) سقط من : ر ، وفى م : « رتاق » .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، وفى م ، ر : « عن ابن جرير » .

(٥) إسناده ضعيف ؛ عبد العزيز بن اليمان مجهول . وأخرجه ابن قانع فى معجمه ٢/١٨٩ عن العنزى - هو الحسن بن عليل - عن إسماعيل به . وأخرجه ابن قانع أيضا ، وابن منده - كما فى أسد الغابة ٣/ ٥٠٦، ٥٠٧- من طريق عمر بن إبراهيم ومحمد بن إسحاق الثقفى ، عن إسماعيل به ، ولم يذكرا فى إسناده حذيفة . وهكذا ذكره ابن حبان فى الثقات ٨/١٦٨ ، والمزى فى التحفة ٣/٥٠ . ووقع فى أسد الغابة ، والتحفة : محمد بن عبد الله بن أبى قدامة . وينظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند ١٠/٥٧ (٦٥٤٨) .

وأخرجه البخارى فى الكبير ١/١٧٢ معلقا عن النضر بن محمد الجرشى ، عن عكرمة به موصولا .

وحدَّثني سليمانُ بنُ عبدِ الجبارِ ، قال : حدَّثنا خلفُ بنُ الوليدِ الأزْديُّ ، قال : حدَّثنا يحيى بنُ زكريا ، عن عكرمةَ بنِ عمارٍ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الدُّؤَليِّ ، قال : قال عبدُ العزيزِ أخو حُذَيْفةَ : قال حذيفةُ : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا حزَبه أمرٌ صلَّى[1] .

وكذلك رُوِى عنه [٢/ ٧٨و] ﷺ أنه رأَى أبا هريرة مُنْبَطِحًا على بطنِه فقال له : « اشكَنْب دَرْد »[2] . قال : نعم . قال : « قُمْ فَصَلِّ فإِنَّ فِي الصَّلاةِ شِفَاءً »[3] .

---

(١) أخرجه أحمد ٣٨٨/٥ (الميمنية) عن خلف بن الوليد به . وأخرجه أحمد - أيضا - وأبو داود (١٣١٩) ، والخطيب ٢٧٤/٦ من طريق يحيى بن زكريا بن أبي زائدة به . ووقع عند أبي داود : ابن أخي حذيفة .

وأخرجه ابن قانع في معجمه ١٨٩/٢ ، وأبو نعيم - كما في أسد الغابة ٥٠٧/٣ - من طريق سريج بن يونس ، عن ابن أبي زائدة به ، ولم يذكر في إسناده حذيفة . وهكذا ذكره المزي في التحفة ٣/ ٥٠ . ووقع في أسد الغابة : ابن أخي حذيفة . وصوبه أبو نعيم ، والحافظ في الإصابة ٥/ ٢٥٠.

والصواب أنه أخو حذيفة . وينظر تفسير ابن كثير تحقيق أبي إسحاق الحويني ٢/ ٣٥٦.

(٢) في الأصل : « اشتكيت ذرنا » . وفي المسند : « اشكنب ذرد » وفي سنن ابن ماجه : « اشكمت درد » ، وفي التاريخ الصغير : « أشكم درد » . وهي كلمة فارسية تعني : أتشتكي بطنك ؟ ينظر الذيل على النهاية ص ٢٧٤، والمعجم الذهبي ص ٣٧٥، وفيه « شكم درد : مغص » .

(٣) حديث منكر ، والصواب أنه موقوف . وأخرجه أحمد ١٥/ ٢٨، ٢٩، ١٣١ (٩٠٦٦، ٩٢٤٠) ، وابن ماجه (٣٤٥٨) ، والعقيلي ٢/ ٤٨، وابن عدي في الكامل ٣/ ٩٨٥، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ٢٧٥ ، وابن شاهين في الجزء الخامس من الأفراد (٦٥) ، وتمام في الفوائد (١١٤٣- الروض البسام) ، وابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ١٧٠، ١٧١، وغيرهم من طريق ذوّاد بن عُلبة ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، عن أبي هريرة ، مرفوعا . وذوّاد ضعيف ، وقال ابن حبان : منكر الحديث جدا .

ورواه الصلت بن الحجاج عن ليث مثل رواية ذوّاد بن عُلبة . أخرجه أبو الشيخ ص ٢٧٦ ، وابن عدي ٤/ ١٤٠٠، وابن الجوزي ١/ ١٧١.

وقال ابن عدي : هذا معروف بذوّاد بن عُلبة عن ليث ، أسنده ، وغيره أوقفه على أبي هريرة . وهذا الصلت بن الحجاج رواه أيضا كما رواه ذوّاد مرفوعا ... والصلت في بعض أحاديثه ما ينكر عليه ، بل عامته كذلك .

وقال ابن الجوزي : ولعله أخذه من ذواد ... وقد رُوِى هذا الحديث عن أبي هريرة موقوفا ، وهو أصح .

والموقوف أخرجه البخاري في الصغير ٢٣٥/٢ - وعنه العقيلي ، وابن عدي ، وابن الجوزي ١٧٢/١- =

فأمَرَ اللهُ جلَّ ثناؤُه الذين وصَف أمرَهم مِن أحْبارِ بنى إسرائيلَ أن يَجْعَلوا مَفْزَعَهم - فى الوفاءِ بعهدِ اللهِ الذى عاهَدوه - إلى الاستعانةِ بالصبرِ والصلاةِ كما أمَر نبيَّه محمدًا ﷺ بذلك ، فقال له : ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ يا محمدُ ﴿ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [طه : ١٣٠] . فأمَره جل ثناؤُه فى نَوائبِه بالفزَعِ إلى الصبرِ والصلاةِ .

وقد **حدَّثنا** محمدُ بنُ العَلاءِ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ قالا : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، قال : حدَّثنا عُيَيْنةُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه ، أن ابنَ عباس نُعِى إليه أخوه قُثَمُ وهو فى سفرٍ ، فاسْتَرْجَع ثم تنَحَّى عن الطريقِ ، فأناخ فصلَّى ركعتَيْن ، أطال فيهما الجلوسَ ، ثم قام يَمْشِى إلى راحلتِه وهو يقولُ : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾(1) .

وأما أبو العاليةِ فإنه كان يَقولُ بما **حدَّثنى** به المثنى بنُ إبراهيمُ ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ

= عن ابن الأصبهانى ، عن المحاربى ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن أبى هريرة ، موقوفا .

وقال ابن الأصبهانى : رفعه ذوَّاد ، وليس له أصل ، أبو هريرة لم يكن فارسيا ، إنما مجاهد فارسى .

وأخرجه العقيلى ، وابن عدى - أيضا - من طريقين آخرين عن ليث به موقوفا . وليث ضعيف . وينظر التحديث بما قيل : لا يصح فيه حديث ص ١٣٩ .

(1) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢٣١ - تفسير) - ومن طريقه البيهقى فى الشعب (٩٦٨٢) - عن ابن علية به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٨/١ إلى ابن المنذر .

وأخرجه سعيد أيضا (١٨٩ ، ٢٣٢) عن هشيم ، عن خالد بن صفوان ، عن زيد بن على ، عن ابن عباس ، وفيه : نعى إليه ابن له .

وأخرجه البخارى فى الكبير ١٥٦/٣ من طريق هشيم به عن ابن عباس ، أنه أصابته مصيبة فصلى .

وأخرجه الحاكم ٢٦٩/٢ ، ٢٧٠ - وعنه البيهقى فى الشعب (٩٦٨١) - من طريق هشيم ، عن خالد ، عن زيد ، عن أبيه ، عن ابن عباس أنه جاءه نعى بعض أهله .

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ . قال : يقولُ : اسْتَعينوا بالصبرِ والصلاةِ على مَرْضاةِ اللَّهِ ، واعْلَموا أنهما مِن طاعةِ اللَّهِ تعالى ذكرُه[1] .

/ وقال ابنُ جُرَيْجٍ بما حدَّثنا به القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى ٢٦١/١ حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ فى قولِه : ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ . قال : إنهما مَعونتان على رحمةِ اللَّهِ[2] .

وحدَّثنى يُونُسُ ، قال : أَخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية . قال : قال المُشْرِكون : واللَّهِ يا محمدُ إنك لَتَدْعُونا إلى أمرٍ كبيرٍ . قال : إلى الصلاةِ والإيمانِ باللَّهِ[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ .

قال أبو جعفرٍ : يعنى جلّ وعزّ بقولِه : ﴿وَإِنَّهَا﴾ : وإن الصلاةَ . والهاءُ والألفُ فى ﴿وَإِنَّهَا﴾ عائدتان على الصلاةِ .

وقد قال بعضُهم : إن قولَه : ﴿وَإِنَّهَا﴾ . بمعنى : إن إجابةَ محمدٍ ﷺ . ولم [٧٨/٢ظ] يَجْرِ لذلك بلفظِ الإجابةِ ذِكْرٌ فتُجْعَلَ الهاءُ والألفُ كنايةً عنه ، وغيرُ جائزٍ تركُ الظاهرِ المفهومِ مِن الكلامِ إلى باطنٍ لا دَلالةَ على صحتِه .

ويعنى بقولِه جلَّ وعزَّ : ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ : لَشديدةٌ ثقيلةٌ .

كما **حدَّثنا** يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أَخْبَرَنا يزيدُ[4] ، قال : أَخْبَرَنا

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٢/١ (٤٨١) من طريق آدم به .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٢٤، عن ابن جريج .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٨/١ إلى المصنف .

(٤) فى م : « ابن زيد » .

جُوَيْبِرٌ ، عن الضحاكِ فى قولِه : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ . قال : إنها لثقيلةٌ[1] .

ويعنى بقولِه : ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ : إلا على الخاضِعين لطاعتِه ، الخائفِين سَطَواتِه ، المُصَدِّقِين بوعدِه ووَعِيدِه .

كما **حدَّثنى** المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طَلْحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ : يعنى المُصَدِّقين بما أنْزَل اللَّهُ[2] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ العَسْقلانىُّ ، قال: حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ : يعنى الخائِفين[3] .

وحدَّثنى مُحمَّدُ بنُ عَمْرٍو[4] قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا [5] عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ [5] ، عن مُجاهدٍ : ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ . قال : المؤمنين حقًّا[6] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ مثلَه .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٣/١ (٤٨٧) معلقا عن يزيد به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٣/١ (٤٨٩) من طريق عبد اللَّه بن صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٣/١ (٤٩١) من طريق آدم به .

(٤) فى م : « جعفر » .

(٥ - ٥) فى م : « سفيان عن جابر » .

(٦) تفسير مجاهد ص ٢٠١ ، ومن طريقه عبد بن حميد - كما فى تغليق التعليق ١٧٢/٤ - وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٣/١ (٤٩٠) وينظر تفسير الثورى ص ٤٥.

وحدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ قال : قال ابنُ زيدٍ : الخشوعُ الخوفُ والخشيةُ للهِ عز وجل . وقرأ قولَ اللّه تبارك وتعالى : ﴿ خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ ﴾ [الشورى : ٤٥] . قال : قد أذَلَّهم الخوفُ الذى نزَل بهم وخشَعوا له .

وأصلُ الخشوعِ التَّواضعُ والتَّذللُ والاسْتِكانةُ ، ومنه قولُ الشاعرِ[1] :

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبيرِ تواضَعَتْ سُورُ المدينةِ والجبالُ الخُشَّعُ

يعنى : والجبالُ خُشَّعٌ مُتَذَلِّلةٌ لعِظَمِ المُصيبةِ بفَقْدِه .

فمعنى الآيةِ : واستَعِينوا أيُّها الأحبارُ مِن أهلِ الكتابِ بحبسِ أنفسِكم على طاعةِ اللهِ جل وعز ، وكفِّها عن مَعاصى اللّهِ ، وبإقامةِ الصلاةِ المانعةِ مِن الفَحْشاءِ والمُنْكرِ ، المُقَرِّبةِ مِن رضا اللهِ ، العظيمةِ إقامتُها إلا على المُتَواضِعِين للّهِ المُسْتَكِينين لطاعتِه المُتَذَلِّلين مِن مَخافتِه .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾ . ٢٦٢/١

قال أبو جعفرٍ : إن قال لنا قائلٌ : وكيف أخْبَرَ اللّهُ جلَّ وعزَّ عمَّن قد وصَفه [٢/ ٧٩و] بالخشوعِ له بالطاعةِ أنه يَظُنُّ أنه مُلاقِيه ، والظنُّ شكٌّ ، والشاكُّ فى لقاءِ اللّهِ جلَّ ثناؤه عندَك باللّهِ كافرٌ ؟

قيل : إن العربَ قد تُسَمِّى اليقينَ ظنًّا ، والشكَّ ظنًّا ، نظيرَ تسميتِهم الظُّلمةَ سُدْفةً ، والضياءَ سُدفةً ، والمُغيثَ صارخًا ، والمُسْتَغِيثَ صارخًا ، وما أشْبَهَ ذلك مِن الأسماءِ التى تُسمِّى بها الشىءَ وضدَّه ، ومما يَدُلُّ على أنه يُسَمَّى به اليقينُ ، قولُ دُرَيْدِ ابنِ الصِّمَّةِ[2] :

(١) هو جرير ، والبيت فى ديوانه ٢/ ٩١٣.

(٢) الأصمعيات ص ١٠٧، وشرح ديوان الحماسة ٢/ ٨١٢.

فقلتُ لهم ظُنُّوا بألْفَىْ مُدَجَّجٍ   سَراتُهمُ[١] فى الفارسىِّ المُسَرَّدِ[٢]

يعنى بذلك : تيَقَّنوا ألفَىْ مُدَجَّجٍ تأْتِيكم .

وقولُ عَمِيرةَ بنِ طارقٍ[٣] :

بأن تَغْتزوا[٤] قوْمى وأَقْعُدَ فيكمُ   وأَجْعَلَ منى الظنَّ غَيْبًا مُرَجَّمَا

يعنى : وأجْعَلَ منى اليَقينَ غيبًا مُرَجَّمًا .

والشواهدُ مِن أشعارِ العربِ وكلامِها على أن الظنَّ فى معنى اليقينِ أكثرُ مِن أن تُحْصَى ، وفيما ذكَرْنا لمَن وُفِّق لفهمِه كِفايةٌ .

ومنه قولُ اللهِ تعالى ذكرُه : ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ [الكهف : ٥٣] . وبمثلِ الذى قلْنا فى ذلك جاء تفسيرُ المُفَسِّرين .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ . قال : الظنُّ ههنا يقينٌ[٥] .

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن

---

(١) السراة : جمع سرى ، والسرى الرئيس ، وهو جمع عزيز لا يكاد يوجد له نظير ؛ لأنه لا يجمع فعيل على فعلة . المصباح (س ر ى) .

(٢) السَّرْد : اسم جامع للدروع وسائر الحلق ، والمسرد : تداخل الحلق بعضها فى بعض . اللسان (س ر د) .

(٣) الأضداد لابن الأنبارى ص ١٤، والنقائض ١/ ٥٣، ٢/ ٧٨٥.

(٤) فى الأصل : « تعتزوا » ، وفى م : « يعتزوا » ، وفى ت ١، ت ٢: « تعبروا » . وغير منقوطة فى ص والمثبت من مصادر التخريج .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٤٩٣) من طريق آدم به .

جابرٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : كلُّ ظنٍّ فى القرآنِ يَقينٌ ، ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ ﴾ [الحاقة : ٢٠] ، و﴿ ظَنُّوا ﴾[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا أبو داودَ الحَفَرِىُّ ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : كلُّ ظنٍّ فى القرآنِ فهو عِلْمٌ[2] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ : أمَّا ﴿ يَظُنُّونَ ﴾ فَيَسْتَيْقِنون[3] .

حدَّثنى القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ : عَلِموا أنهم ملاقو ربِّهم . قال : هى كقولِه : ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ . يقولُ : عَلِمْتُ[4] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ . قال : لأنهم لم يُعايِنوا ، فكان ظنُّهم يَقينًا ، وليس ظنًّا فى شكٍّ . [٢/ ٧٩ظ] وقرأ : ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ .

٢٦٣/١

/ القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : إن قال لنا قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ . فأُضِيف المُلاقون إلى الربِّ جلَّ وعزَّ ، وقد علِمْتَ أن معناه : الذين يَظُنُّون أنهم يَلْقَوْن ربَّهم ؟ وإذا كان المعنى كذلك ، فمِن كلامِ العربِ تركُ الإضافةِ وإثباتُ النونِ ، وإنما تُسْقِطُ

---

(١) ذكره ابن كثير فى التفسير ١/ ١٢٥ عن المصنف .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٢٦ عن المصنف . وقال ابن كثير : وهذا سند صحيح . وأخرجه الثورى فى تفسيره ص ٤٥، قال : قال مجاهد ...

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٠٤ عقب الأثر (٤٩٤) من طريق عمرو به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٢٦ عن ابن جريج .

النونَ وتُضِيفُ فى الأسماءِ المبْنِيَّةِ مِن الأفعالِ إذا كانت بمعنى « فَعَل » ، فأما إذا كانت بمعنى « يفْعَل » ، و« فاعِل » ، فشأنُها إثباتُ النونِ وتركُ الإضافةِ .

قيل : لا تَدافُعَ بينَ جميعِ أهلِ المعرفةِ بلغاتِ العربِ وألْسُنِها فى إجازةِ إضافةِ الاسمِ المَبنىِّ من « فَعَل » و« يفعَلُ » ، وإسقاطِ النونِ ، وهو بمعنى « يفْعَل » ، و« فاعِل » - أعْنى بمعنى الاسْتِقْبالِ وحالِ الفعلِ - ولمَّا يَنْقَضِ ، فلا وجهَ لمسألةِ السائلِ عن ذلك لمَ قيل .

وإنما اخْتَلَف أهلُ العربيةِ فى السببِ الذى مِن أجلِه أُضِيفَ وأُسْقِطَت النونُ ؛ فقال نحْويُّو البصرةِ : أُسْقِطَت النونُ مِن ﴿ مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ وما أشْبَهَه مِن الأفعالِ التى فى لفظِ الأسماءِ ، وهى فى معنى « يفعل » ، أو فى[(1)] معنى ما لم يَنْقَضِ [(2)] من الفعلِ[(2)] ، اسْتِثْقالًا لها ، وهى مُرادةٌ ، كما قال جل ثناؤُه : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] . وكما قال : ﴿ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ ﴾ [القمر : ٢٧] . ولمَّا يُرْسِلْها بعدُ ، وكما قال الشاعرُ[(3)] :

هل أنتَ باعثُ دينارٍ لحاجتِنا أوَ عبدَ رَبٍّ أخا عَوْنِ بنِ مِخْراقِ

فأضاف « باعث[(4)] » إلى « الدينارِ » ولـمَّا يَبْعَثْ ، ونصَب « عبدَ ربٍّ » عطفًا على موضعِ « دينارٍ » ؛ لأنه فى معنى[(5)] نصبٍ وإن خُفِض ، وكما قال الآخرُ[(6)] :

والحافظو عورةِ العَشِيرةِ لا يَأْتِيهِمُ مِن وَرائِهم نَطَفُ[(7)]

---

(١) فى ص ، ر ، م : « وفى » .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ر ، م .

(٣) الكتاب لسيبويه ١/ ١٧١ ، وذكر الاختلاف فى نسبته فى الخزانة ومما قيل : إنه مصنوع . ثم قال : والله أعلم بالحال . الخزانة ٨/ ٢١٩.

(٤) فى الأصل ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « باعثا » .

(٥) فى م : « موضع » .

(٦) الكتاب ١/ ١٨٦ ، وينظر الخلاف فى نسبته فى الخزانة ٤/ ٢٨٣.

(٧) النطف : العيب والشر والفساد . القاموس المحيط (ن ط ف) .

بنصبِ « العورةِ » وخفضِها ، فالخفضُ على الإضافةِ ، والنصبُ على حذفِ النونِ اسْتِثْقالًا وهى مُرادةٌ . وهذا قولُ نحْويِّى البصرةِ .

وأما نحْويُّو الكوفةِ فإنهم قالوا : جائزٌ فى ﴿مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ الإضافةُ ، وهو فى معنى « يَلْقَوْن » ، وإسقاطُ النونِ منه ؛ لأنه فى لفظِ الأسماءِ ، فله فى الإضافةِ إلى الأسماءِ حظُّ الأسماءِ ، وكذلك حكمُ [٢/ ٨٠و] كلِّ اسمٍ كان له نَظيرًا . قالوا : وإذا أُثْبِتت فى شىءٍ من ذلك النونُ وتُركت الإضافةُ ، فإنما تفعلُ ذلك به لأن له معنى « يفعل » الذى لم يَكنْ ولم يَجِبْ بعدُ . قالوا : فالإضافةُ فيه للفظِ ، وتركُ الإضافةِ للمعنى .

فتأويلُ الآيةِ إذن : واسْتَعِينوا على الوَفاءِ بعَهْدى بالصبرِ عليه والصلاةِ ، وإن الصلاةَ لكبيرةٌ إلا على الخائِفِين عِقابى ، المُتَواضِعِين لأمْرِى ، المُوقِنين بِلقائى والرجوعِ إلىَّ بعدَ مَماتِهم .

وإنما أخْبَرَ اللَّهُ جل ثناؤُه أن الصلاةَ كبيرةٌ إلا على مَن هذه صفتُه ؛ لأن مَن كان غيرَ مُوقِنٍ بمَعادٍ ، ولا مُصَدِّقٍ بمَرْجِعٍ ولا ثَوابٍ ولا عِقابٍ ، فالصلاةُ عندَه عَناءٌ وضَلالٌ ؛ لأنه لا يَرْجُو بإقامتِها إدراكَ نفعٍ ، ولا دفعَ ضُرٍّ ، وحُقَّ لمَن كانت هذه الصفةُ صفتَه أن تكونَ الصلاةُ عليه كبيرةً ، وإقامتُها عليه ثقيلةً ، وله فادحةً .

وإنما خفَّت على المؤمنين المُصَدِّقين بلقاءِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، الراجِين عليها جَزيلَ ثَوابِه ، الخائِفين بتَضْييعِها أليمَ عقابِه ، لِمَا يَرْجُون بإقامتِها فى مَعادِهم مِن الوصولِ إلى ما وعَد اللَّهُ عليها أهلَها ، ولِمَا يَحْذَرون بتَضْييعِها / ما أوْعَد مُضَيِّعِيها . فأمَر اللَّهُ تعالى ذكرُه أحبارَ بنى إسرائيلَ الذين خاطَبهم بهذه الآياتِ أن يَكونوا مِن مُقِيمِيها ، الراجِين ثوابَها ، إذا كانوا أهلَ يقينٍ أنهم إلى اللَّهِ جلَّ وعزَّ راجِعون ، وإياه فى القيامةِ مُلاقُون . ٢٦٤/١

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : والهاءُ والميمُ اللتان فى قولِه : ﴿ وَأَنَّهُمْ ﴾ مِن ذكرِ الخاشِعين ، والهاءُ التى فى ﴿ إِلَيْهِ ﴾ مِن ذكرِ الربِّ جلَّ وعزَّ فى قولِه : ﴿ مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ فتأويلُ الكلمةِ : وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشِعين المُوقِنين أنهم إلى ربِّهم راجِعون .

ثم اخْتُلِف فى تأويلِ « الرجوعِ » الذى فى قولِه : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنى** به المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ . قال : يَسْتَيْقِنون أنهم يَرْجعون إليه يومَ القيامةِ[1] .

[٢/ ٨٠ظ] **وقال آخرون :** معنى ذلك أنهم إليه يَرْجعون بموتِهم .

وأولى التأويلَيْن بالآيةِ القولُ الذى قاله أبو العاليةِ ؛ لأن اللهَ جلَّ ثناؤه قال فى الآية التى قبلَها : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨] . فأخبَر جلَّ ثناؤُه أن مَرْجِعَهم إليه بعد نَشْرِهم وإحيائِهم مِن مَماتِهم ، وذلك لاشكَّ يومَ القيامةِ ، فكذلك تأويلُ قولِه : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويل قولِه جل ثناؤه : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ ذلك فى هذه الآيةِ نظيرُ تأويلِه فى التى قبلَها فى قولِه : ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . وقد ذكَرْتُه

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٠٤ (٤٩٥) من طريق آدم به .

هنالك[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل وعز : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وهذا أيضًا مما ذكَّرهم اللَّهُ جل جلالُه مِن آلائِه ونعمِه عندَهم . ويَعْنى بقولِه : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾ : أنى فضَّلْتُ أسْلافَكم . فنَسَب نِعَمَه على آبائِهم وأسْلافِهم إلى أنها نِعَمٌ منه عليهم ؛ إذ كانت مآثِرُ الآباءِ مآثِرَ للأبناءِ ، والنعمُ عندَ الآباءِ نِعَمًا عند الأبناءِ ؛ لِكونِ الأبناءِ مِن الآباءِ . وأخْرَج جل ذكرُه قولَه : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾ مُخْرَجَ العُمومِ وهو يُرِيدُ به خصوصًا ؛ لأن المعنى : وأنى فضَّلْتُكم على عالَمِ مَن كنتم بينَ ظَهْرَيه وفى زمانِه .

كالذى **حدَّثنا** به محمدُ بنُ عبدِ الأعْلَى الصَّنْعانىُّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ ثَوْرٍ ، عن مَعْمَرٍ ، **وحدَّثنا** الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾ قال : فضَّلهم على عالَمِ ذلك الزمانِ[(٢)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾ . قال : بما أُعْطُوا مِن المُلْكِ والرُّسلِ والكتبِ على عالَمِ مَن كان فى ذلك الزمانِ ، فإن لكل زمان عالَمًا[(٣)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا [٢/ ٨١و] أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : على مَن هم بينَ ظَهْرَانَيْه[(٤)] .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٥٩٣ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٤، ٤٥، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٨/١ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (٤٩٧) من طريق آدم به .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢٠١ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٨/١ إلى عبد بن حميد .

١/٢٦٥ / حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال مُجاهِدٌ فى قولِه : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾ قال : على مَن هم بينَ ظَهرَانَيْه[1].

وحدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : سأَلْتُ ابنَ زيدٍ عن قولِ اللّهِ جل ثناؤُه : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾ . قال : عالَمِ ذلك الزمانِ . وقرَأ قولَ اللّهِ تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الدخان : ٣٢] . قال : هذه لـمَن أطاعَه واتَّبَع أمرَه ، وقد كان فيهم القِرَدةُ ، وهم أبْغَضُ خلقِه إليه . قال : وقال لهذه الأمةِ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] . قال : هذه لِمَن أطاعه واتَّبَع أمرَه جل وعز واجْتَنَب مَحارمَه .

قال أبو جعفرٍ : والدليلُ على صحةِ ما قلْنا مِن أن تأويلَ ذلك على الخصوصِ الذى وصَفْنا ما حدَّثنى به يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، وحدَّثنا الحسنُ ابنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، جميعًا عن بَهْزِ بنِ حَكيمٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : سمِعْتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقولُ : « أَلَا إنَّكم وَفَّيْتُم سَبْعين أُمَّةً » : قال يعقوبُ فى حديثِه : « أنْتُم آخِرُها » . وقال الحسنُ : « أنْتُم خَيْرُها وأكْرَمُها على اللّهِ » .

فقد أنْبَأَ هذا الخبرُ عن النبيِّ ﷺ أن بنى إسرائيل لم يكونوا مُفَضَّلِين على أمةِ محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ ، وأن معنى قولِه : ﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الجاثية : ١٦] . وقولِه : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾ . على ما بيَّنا مِن تأويلِه ، وقد أتَيْنا على بيانِ تأويلِ قولِه : ﴿ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ . بما فيه الكفايةُ فى غيرِ هذا الموضعِ ، فأغْنَى ذلك عن

---

(١) فى الأصل ، ص : « ظهريه » .

إعادتِه[١] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾ .

وتأويلُ قولِه : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾ : واتَّقوا يومًا لا تَجْزِى فيه نفسٌ عن نفسٍ شيئًا . وجائزٌ أيضًا أن يَكونَ تأويلُه : واتَّقُوا يومًا لا تَجْزِيه نفسٌ عن نفسٍ شيئًا ، كما قال الراجزُ[٢] :

قد صبَّحَتْ صبَّحَها السلامُ

بكَبِدٍ خالَطَها سَنامُ

فى ساعةٍ يُحَبُّها الطَّعامُ

وهو يعنى : يُحَبُّ فيها الطعامُ . فحُذِفَت [٢/ ٨١ظ] الهاءُ الراجعةُ على « اليومِ » ؛ إذ فيه اجتزاءٌ بما ظهَر مِن قولِه : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ ﴾ الدالِّ على المحذوفِ منه - عما حُذِف ؛ إذ كان معلومًا معناه .

وقد زعَم قومٌ مِن أهلِ العربيةِ أنه لا يَجوزُ أن يَكونَ المحْذوفُ فى هذا الموضعِ إلا الهاءَ .

/ **وقال آخَرون :** لا يجوزُ أن يكونَ المحذوفُ إلا « فيه » . ٢٦٦/١

وقد دلَّلْنا فيما مضَى على جَوازِ حذفِ كلِّ ما دل الظاهرُ (٣) من الكلام (٣) عليه[٤] .

(١) ينظر ما تقدم فى ص ١٤٤ .

(٢) الرجز فى الكامل للمبرد ١/ ٣٤.

(٣ - ٣) سقط من : ر، م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) ينظر ما تقدم فى ص ١٣٩ .

وأما المعنى فى قولِه : ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾ . فإنه تحذيرٌ مِن اللّهِ تعالى ذكرُه عبادَه الذين خاطَبَهم بهذه الآيةِ ، عقوبتَه أن تَحِلَّ بهم يومَ القيامةِ ، وهو اليومُ الذى لا تَجْزِى فيه نفسٌ عن نفسٍ شيئًا ، ولا يَجزِى فيه والدٌ عن ولدِه ، ولا مولودٌ هو جازٍ عن والدِه شيئًا .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ لَّا تَجْزِى نَفْسٌ ﴾ . فإنه يعنى : لا تُغْنى .

كما **حدَّثنى** به موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾ : أما ﴿ تَجْزِى ﴾ فتُغْنِى[(١)] .

وأصلُ الجزاءِ فى كلامِ العربِ القَضاءُ والتَّعْويضُ ، يقالُ : جزَيْتُه قَرْضَه ودَيْنَه ، أَجْزِيه جَزاءً . بمعنى : قضَيْتُه دَيْنَه . ومِن ذلك قيل : جزَى اللّهُ فلانًا عنى خيرًا أو شرًّا . بمعنى : أثابه عنى ، وقضاه عنى ما لزِمنى له بفعلِه الذى سلَف منه إلىَّ .

وقد قال قومٌ مِن أهلِ العلمِ بلغةِ العربِ : يُقالُ : أجْزَيْتُ عنه كذا . إذا أعَنْتَه عليه ، وجزَيْتُ عنك فلانًا . إذا كافأْتَه .

وقال آخَرون منهم : بل : جزَيْتُ عنك : قضَيْتُ عنك ، وأجْزَيْتُ : كفَيْتُ .

وقال آخَرون منهم : بل هما بمعنًى واحدٍ ، يُقالُ : جزَتْ عنك شاةٌ وأجْزَتْ ، وجزَى عنك درهمٌ وأجْزَى ، ولا تَجْزِى عنك شاةٌ ولا تُجْزِى . بمعنًى واحدٍ . إلا أنهم ذكَروا أنَّ : جزَت عنك ، ولا تَجْزِى عنك ، مِن لغةِ أهلِ الحجازِ ، وأن : أجزَأ وتُجْزِئُ ، مِن لغةِ غيرِهم . وزعَموا أن تميمًا خاصَّةً مِن بينِ قبائلِ العربِ تقولُ : أجْزَأَتْ عنك شاةٌ ، وهى تُجْزِئُ عنك .

وزعَم آخَرون أن « جَزَى » بلا همزٍ : قضَى ، و « أجْزَأ » بالهمزِ : كافَأَ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٤/١ (٤٩٨) من طريق عمرو بن حماد به .

فمعنى الكلامِ إذن : واتَّقُوا يومًا لا تَقْضِى نفسٌ عن نفسٍ شيئًا ، ولا تُغْنِى عنها غِنًى .

فإن قال قائلٌ : وما معنى : لا تَقْضِى نفسٌ عن نفسٍ شيئًا[(١)] ، ولا تُغْنِى عنها غِنًى ؟

قيل : هو أن أحدَنا اليومَ ربَّما قضَى عن ولدِه أو والدِه أو ذى الصَّداقةِ والقَرابةِ دَيْنَه ، وأما فى الآخرةِ - فإنه فيما أتَتْنا به الأخبارُ [٢/ ٨٢و] عنها - يَسُرُّ الرجلَ أن يَبْرُدَ[(٢)] له على ولدِه أو والدِه حقٌّ ، وذلك أن قضاءَ الحقوقِ فى القيامةِ مِن الحسناتِ والسيئاتِ .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ونصرُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأَوْدِىُّ ، قالا[(٣)] : حدَّثنا المُحاربىُّ ، عن أبى خالدٍ الدالانىِّ[(٤)] يزيدَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن زيدِ بنِ أبى أُنَيْسةَ ، عن سعيدِ بنِ أبى سعيدٍ المَقْبُرىِّ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللّهِ ﷺ : « رَحِمَ اللّهُ عَبْدًا كانت عندَه لأَخيه مَظْلِمَةٌ فِى عِرْضٍ - قال أبو كُرَيْبٍ[(٥)] فى حديثِه : أو مَالٍ - جاءَه[(٦)] فاسْتَحَلَّهُ قبلَ أَن يُؤْخَذَ منه وليس ثَمَّ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ ، فإن كانت له حَسَنَاتٌ أَخَذُوا مِن حَسَنَاتِه ، وإن لم تكنْ لَه حَسَنَاتٌ حَمَلُوا عليه من سَيِّئَاتِهِم »[(٧)] .

---

(١) سقط من ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٢) برد لى حقى على فلان : وجب ولزم وثبت . تاج العروس (ب ر د) .

(٣) فى ر ، م : « قال » .

(٤) فى م : « الدولابى » .

(٥) فى م : « بكر » .

(٦) فى م ، ت١ ، ت٢ : « أو جاه » .

(٧) أخرجه الترمذى (٢٤١٩) عن نصر بن عبد الرحمن به . وأخرجه الترمذى أيضا ، وأبو يعلى (٦٥٣٩) من طريق المحاربى به . وأخرجه الطيالسى (٢٤٤٠، ٢٤٤٦) ، وأحمد ١٥/ ٣٧٧، ٣٣٧/١٦ (٩٦١٥، ١٠٥٧٣) ، والبخارى (٢٤٤٩) من طريق سعيد المقبرى به .

وحدَّثني أبو عثمانَ المُقدَّميُّ ، قال : حدَّثنا الفَرَويُّ [(١)] ، قال : حدَّثنا مالكٌ ، عن المَقْبُريِّ ، عن أبيه ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ بنحوِه [(٢)] .

حدَّثنا خَلَّادُ بنُ أسْلَمَ ، قال : حدَّثنا أبو همامٍ الأهْوازيُّ ، قال : أخْبَرَنا عبدُ اللهِ ابنُ سعيدٍ ، عن سعيدٍ ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ بنحوِه .

٢٦٧/١ / حدَّثني موسى بنُ سهلٍ الرَّمْليُّ ، قال : حدَّثنا نُعَيْمُ بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ العزيزِ الدَّراوَرْديُّ ، عن عمرِو بنِ أبي عمرٍو ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لا يَموتَنَّ أحدُكم وعليه دَيْنٌ ، فإنَّه ليس هناك دِينارٌ ولا دِرْهَمٌ ؛ إنَّما تَقْتَسِمُون هُناك [(٣)] الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ » . وأشار رسولُ اللهِ ﷺ بيدِه يمينًا وشمالًا .

حدَّثني محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا سلمُ بنُ قادمٍ ، قال : حدَّثنا أبو مُعاويةَ هاشمُ بنُ عيسى ، قال : أخْبَرَنى الحارثُ بنُ مُسلمٍ ، عن الزهريِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ بنحوِ حديثِ أبي هريرةَ [(٤)] .

قال أبو جعفرٍ : فذلك معنى قولِه : ﴿ لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾ . يعني أنها

---

(١) في ر ، م ، ت ٣: « القروى » . وينظر تهذيب الكمال ٢/ ٤٧١ .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٤٤ من طريق إسحاق بن محمد الفروى به .
وأخرجه ابن حبان (٧٣٦٢) من طريق خالد بن أبي يزيد ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن مالك به .
وخالفه أبو خالد الدالاني ، فرواه عن زيد ، عن سعيد المقبرى، عن أبي هريرة ، كما سبق .
وأصحاب مالك يروونه عنه ، عن سعيد ، عن أبي هريرة . أخرجه البخارى (٦٥٣٤) ، وغيره . وينظر علل الدارقطنى ١٠/ ٣٥٦ - ٣٥٨، ومسند الطيالسى (٢٤٤٠) .

(٣) في ر ، م، ت ١، ت ٢، ت ٣: « هنالك » .

(٤) إسناده ضعيف ؛ هاشم بن عيسى ، هو ابن أبي هريرة ، قال العقيلي : منكر الحديث ، وهو وأبوه مجهولان بالنقل . وأخرجه الطبراني في الأوسط (٥١٥٩) عن محمد بن الحسين الأنماطى ، عن سلم به . وينظر المجمع ١٠/ ٣٥٥ .

لا تَقْضِي عنها شيئًا لزِمها لغيرِها ؛ لأن القَضاءَ هنالك مِن الحسناتِ والسيئاتِ على ما وصَفْنا . وكيف يَقْضِي عن غيرِه غُرْمًا[1] لزِمه مَن كان يَسُرُّه أن يَثْبُتَ له على ولدِه أو والدِه حقٌّ فيأْخُذَه منه ولا يَتَجافَى له عنه ؟

وقد زعَم بعضُ نحويِّي البصرةِ أن معنى قولِه : ﴿ لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ : لا تَجْزِي منها أن تكونَ مكانَها .

وهذا قولٌ يَشْهَدُ ظاهرُ القرآنِ على فَسادِه ؛ وذلك أنه غيرُ معقولٍ في كلامِ العربِ أن يَقولَ القائلُ : ما أَغْنَيْتَ عني شيئًا . [٢/ ٨٢ظ] بمعنى : ما أَغْنَيْتَ مني أن تكونَ مكاني . بل إذا أرادوا الخبرَ عن شيءٍ أنه لا يَجْزِي مِن شيءٍ ، قالوا : لا يَجْزِي هذا مِن هذا . ولا يَسْتَجِيزون أن يَقولوا : لا يَجْزِي هذا مِن هذا شيئًا .

فلو كان تأويلُ قولِه : ﴿ لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ . ما قاله مَن حكَيْنا قولَه ، لقال : واتَّقوا يومًا لا تَجْزِي نفسٌ عن نفسٍ . كما يقالُ : لا تَجْزِي نفسٌ مِن نفسٍ . ولم يَقُلْ : ﴿ لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ . وفي صحةِ التنزيلِ بقولِه : ﴿ لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ أوضحُ الدَّلالةِ على صحةِ ما قلْنا ، وفسادِ قولِ مَن ذكَرْنا قولَه في ذلك .

القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : و« الشَّفاعةُ » مصدرٌ مِن قولِ الرجلِ : شفَع لي فلانٌ إلى فلانٍ شَفاعةً . وهو طلَبُه إليه في قضاءِ حاجتِه ، وإنما قيل للشفيعِ : شَفيعٌ وشافعٌ . لأنه ثنَّى المُسْتَشْفِعَ به[2] ، فصار له شَفْعًا ، وكان ذو الحاجةِ قبلَ اسْتِشْفاعِه به في حاجتِه فَرْدًا ،

---

(١) في ر ، م : « ما » ، وفي ت ٢، ت ٣: « عن ما » .

(٢) في م : « له » .

فصار صاحبُه له فيها شافعًا ، وطلبُه فيه وفى حاجتِهِ شَفاعةً ، ولذلك سُمِّى الشفيعُ فى الدارِ والأرضِ شفيعًا ؛ لمصيرِ البائعِ به شَفْعًا .

فتأويلُ الآيةِ إذن : واتَّقوا يومًا لا تَقْضِى نفسٌ عن نفسٍ حقًّا لزِمها للّهِ عزَّ وجلَّ ولا لغيرِه ، ولا يَقْبَلُ اللّهُ منها شفاعةَ شافعٍ ، فيَتْرُكَ لها ما لزِمها مِن حقٍّ .

وقيل : إن اللهَ جل ثناؤُه خاطَب أهلَ هذه الآيةِ بما خاطَبهم به فيها ؛ لأنهم كانوا مِن يهودِ بنى إسرائيلَ ، وكانوا يقولون : نحن أبناءُ اللّهِ وأَحبَّاؤُه وأولادُ أنبيائِه ، وسيَشْفَعُ لنا عندَه آباؤُنا . فأخبَرَهم اللّهُ تعالى ذكرُه أن نفسًا لا تَجْزِى عن نفسٍ شيئًا فى القيامةِ ، ولا يُقْبَلُ منها شفاعةُ أحدٍ فيها حتى يُسْتَوْفَى لكلِّ ذى حقٍّ منها حقُّه .

كما حدَّثنى عباسُ بنُ أبى طالبٍ ، قال : حدَّثنا حجاجُ بنُ نُصَيْرٍ ، عن شعبةَ ، عن العَوَّامِ بنِ مُزَاحِمٍ[1] - / رجلٌ مِن بنى قيسِ بنِ ثَعْلَبَةَ - عن أبى عثمانَ النَّهْدىِّ ، عن عثمانَ بنِ عفانَ ، أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال : « إِنَّ الجَمَّاءَ لَتَقْتَصُّ مِن القَرْنَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ »[2] .

٢٦٨/١

وكما قال اللّهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْـلَمُ

---

(١) هكذا فى النسخ ، وهو قول ابن معين . وفى ر : « مراحم » . والصواب : مراجم . بالراء والجيم . ينظر المؤتلف للدارقطنى ٤/ ٢٠٧٨، وتعجيل المنفعة ٢/ ٨٨.

(٢) إسناده ضعيف ؛ حجاج بن نصير ضعيف . وأخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند ١/٥٤٢ (٥٢٠) ، والبزار (٣٨٧) ، والعقيلى فى الضعفاء ١/ ٢٨٥، وابن عدى فى الكامل ٢/ ٦٤٩، والدارقطنى فى العلل ٦٤/٣ من طرق عن حجاج بن نصير به .

وأخرجه العقيلى ١/ ٢٨٥، ٢٨٦، وابن عدى ٢/ ٦٥٠، والدارقطنى ٦٥/٣ من طريق غندر ، عن العوام ، عن أبى السليل ، عن سلمان ، موقوفًا . وهو الصواب . قال ابن عدى : قال لنا ابن صاعد : وليس هذا من حديث عثمان عن النبى ﷺ ، إنما رواه أبو عثمان ، عن سلمان من قوله . وينظر العلل لابن أبى حاتم (٢١٤٢، ٢١٦٦) ، وعلل الدارقطنى .

ومعناه فى صحيح مسلم (٢٥٨٢) عن أبى هريرة مرفوعا .

نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ [الأنبياء: ٤٧]. فآيَسَهم اللَّهُ جل ذكرُه مما كانوا أطْمَعوا فيه أنفسَهم مِن النجاةِ مِن عذابِ اللَّهِ - [٢/ ٨٣و] مع تكذيبِهم بما عرَفوا مِن الحقِّ، وخلافِهم أمرَ اللَّهِ تعالى ذكرُه في اتباعِ محمدٍ ﷺ، وما جاءهم به مِن عندِه - بشفاعةِ آبائِهم وغيرِهم مِن الناسِ كلِّهم، وأخبَرَهم أنه غيرُ نافعِهم عندَه إلا التوبةُ إليه مِن كفرِهم، والإنابةُ مِن ضَلالِهم، وجعَل ما سنَّ فيهم مِن ذلك إمامًا لكلِّ مَن كان على مِثل منهاجِهم؛ لئلا يَطْمَعَ ذوو الإلحادِ في رحمةِ اللَّهِ.

قال أبو جعفر: وهذه الآيةُ وإن كان مَخْرَجُها عامًّا في التِّلاوةِ، فإن المرادَ بها خاصٌّ في التأويلِ؛ لتَظاهُرِ الأخبارِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال: «شَفَاعَتى لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِن أُمَّتِى»[1]. وأنه قال: «ليس مِن نَبِيٍّ إلَّا وقد أُعْطِيَ دَعْوَةً، وإنِّى اخْتَبَأْتُ دَعْوَتى شَفاعَةً لأُمَّتِى، وهى نائِلَةٌ منهم من لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»[2]. فقد تبيَّنَ بذلك أن اللَّهَ جل ثناؤُه قد يَصْفَحُ لعبادِه المؤمنين بشفاعةِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ لهم عن كثيرٍ مِن عُقوبةِ إجْرامِهم بينَهم وبينَه، وأن قولَه: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾. إنما هى لمن مات على كفرِه غيرَ تائبٍ إلى اللَّهِ عز وجل. وليس هذا مِن مَواضِعِ الإطالةِ في القولِ في الشَّفاعةِ والوَعْدِ والوَعيدِ فنَسْتَقْصِيَ الحِجاجَ في ذلك، وسنَأْتى على ما فيه الكفايةُ في مَواضِعِه إن شاء اللَّهُ تعالى.

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾.

قال أبو جعفرٍ: و«العَدْلُ» في كلامِ العربِ - بفتحِ العينِ - الفِدْيةُ.

---

(١) أخرجه الطيالسى (٢١٣٨)، وأحمد ٤٣٩/٢٠ (١٣٢٢٢)، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذى (٢٤٣٥)، وغيرهم من حديث أنس.

(٢) أخرجه البخارى (٦٣٠٤، ٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨، ١٩٩) من حديث أبى هريرة بنحوه.

كما حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : أنبأنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ قال : يعنى فِداءً[(١)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ : أما ﴿عَدْلٌ﴾ فيَعْدِلُها ، مِن العَدْلِ . يقولُ : لو جاءت بمِلْءِ الأرضِ ذهبًا تَفْتَدِى به ما تُقُبِّل منها .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ . قال : لو جاءت بكلِّ شىءٍ لم يُقبلْ منها[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال مُجاهِدٌ : قال ابنُ عباسٍ : ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ . قال : بَدَلٌ ، والبَدَلُ الفِدْيةُ[(٣)] .

حدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ . قال : لو أن لها مِلْءَ[(٤)] الأرضِ ذهبًا لم يُقْبَلْ منها ؛ [(٥)] لم يُؤْخَذْ منها [(٥)] فِداءٌ . قال : ولو جاءَت بكلِّ شىءٍ لم يُقْبَلْ منها .

حدَّثنا نَجيحُ بنُ إبراهيمَ ، قال : أخبرنا علىُّ بنُ حَكيمٍ ، قال : أخبرنا حُميدُ بنُ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٠٥ (٥٠١) من طريق آدم به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٤٥ .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٦٨ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) فى ص : « مثل » .

(٥ - ٥) سقط من : ر ، م .

١/٢٦٩ عبدِ الرحمنِ ، عن أبيه ، / عن [٢/٨٣ظ] عمرِو بنِ قيسٍ المُلَائىِّ ، عن رجلٍ مِن بنى أُميةَ مِن أهلِ الشامِ ، أحْسَن عليه الثناءَ ، قال : قيل : يا رسولَ اللَّهِ ، ما العَدْلُ ؟ قال : « العَدْلُ الفِدْيَةُ »[١] .

قال أبو جعفر : وإنما قيل للفِدْيةِ مِن الشىءِ والبَدَلِ منه : عَدْلُه ؛ لمُعادَلتِه إياه وهو مِن غيرِ جنسِه ، ومَصِيرِه له مثلًا مِن وَجهِ الجَزاءِ ، لا مِن وجهِ المُشابَهةِ فى الصورةِ والخِلْقةِ ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾ [الأنعام : ٧٠] . بمعنى : وإن تَفْدِ كلَّ فِدْيةٍ لا يُؤْخَذْ منها . يقالُ منه : هذا عَدْلُه وعَدِيلُه . وأما العِدْلُ - بكسرِ العينِ - فهو مِثْلُ الحِمْلِ المَحْمولِ على الظهرِ ، يقالُ مِن ذلك : عندى غلامٌ عِدْلُ غُلامِك ، وشاةٌ عِدْلُ شاتِك . بكسرِ العينِ ، إذا كان غلامًا يَعْدِلُ غلامًا ، وشاةً تَعْدِلُ شاةً ، وكذلك ذلك فى كلِّ مثْلٍ للشىءِ مِن جنسِه ، فإذا أُريد أن عندَه قيمتَه مِن غيرِ جنسِه نُصِبَت العينُ ، فقيل : عندى عَدْلُ شاتِك مِن الدراهمِ . وقد ذُكِر عن بعضِ العربِ أنه يَكْسِرُ العينَ مِن العَدْلِ الذى هو بمعنى الفِديةِ [٢]والمعادلةِ[٢] ما عادلَتْه مِن جهةِ الجَزاءِ ؛ وذلك لتقارُبِ معنى العَدْلِ والعِدْلِ عندَهم . وأما واحدُ الأعْدالِ فلم يُسْمَعْ فيه إلا عِدْلٌ بكسرِ العينِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل وعز : ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

وتأويلُ قولِه جلَّ جلاله : ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ . يعنى : إنهم يومَئذٍ لا يَنْصُرُهم ناصرٌ، كما لا يَشْفَعُ لهم شافعٌ ، ولا يُقْبَلُ منهم عَدْلٌ ولا فِديةٌ ، بَطَلَت هنالك المُحاباةُ ، واضمَحلَّت الرِّشَا والشَّفاعاتُ ، وارْتَفَع مِن القومِ التعاوُنُ

(١) إسناده ضعيف ؛ عمرو بن قيس من أتباع التابعين ، وشيخه مجهول . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٦٨ إلى المصنف . وينظر تفسير ابن كثير ١/١٢٧.

(٢ - ٢) فى ر ، م ، ت٢ : « لمعادلة » ، وفى ت١ ، ت٣ : « المعادلة » .

والتَّناصُرُ، وصار الحُكمُ إلى العَدلِ الجَبَّارِ الذى لا يَنْفَعُ لديه الشُّفَعاءُ والنُّصَراءُ، فيَجْزِى بالسيئةِ مثلَها، وبالحسنةِ أضْعافَها، وذلك نظيرُ قولِه جل ثناؤُه: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصافات: ٢٤- ٢٦].

وكان ابنُ عباسٍ يقولُ فى معنى: ﴿لَا تَنَاصَرُونَ﴾. ما حُدِّثْتُ به عن المِنْجابِ، قال: حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ، عن أبى رَوْقٍ، عن الضَّحَّاكِ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾: ما لكم[(١)] لا تمانعون منا، هَيْهاتَ[(٢)]، ليس ذلك لكم اليومَ[(٣)].

وقد قال بعضُهم فى معنى قولِه: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: وليس لهم مِن اللَّهِ يومَئذٍ نَصيرٌ يَنْتَصِرُ لهم مِن اللَّهِ إذا عاقَبَهم.

وقد قيل: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ بالطلبِ فيهم والشَّفاعةِ والفِدْيةِ.

قال أبو جعفرٍ: [٨٤/٢و] والقولُ الأولُ أولى بتأويلِ الآيةِ؛ لما وصَفْنا مِن أن اللَّهَ جل ثناؤُه إنما أعْلَم المخاطَبِين بهذه الآيةِ أن يومَ القيامةِ يومٌ لا فِدْيةَ فيه[(٤)] لمن استَحَقَّ مِن خلقِه عُقوبتَه، ولا شَفاعةَ فيه، ولا ناصرَ له، وذلك أن ذلك قد كان لهم فى الدنيا، فأخْبَر أن ذلك يومَ القيامةِ مَعْدومٌ لا سبيلَ لهم إليه.

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾.

---

(١) بعده فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «اليوم».

(٢) فى الأصل: «أيهات»، على إبدال الهاء همزة، مثل هراق وأراق.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٧٣/٥ إلى المصنف.

(٤) سقط من: ص، ر، م، ت١، ت٢، ت٣.

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم ﴾ . فإنه عَطْفٌ على قولِه : ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ﴾ . / فكأنه قال : اذْكُروا نِعْمتى التى أنْعَمْتُ عليكم ، واذْكُروا إنعامَنا عليكم إذ نَجَّيْناكم مِن آلِ فرعونَ ، بإنجائِنا لكم منهم . ٢٧٠/١

وأما : [1]﴿ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾[1] فإنهم أهلُ دينِه وقومُه وأشْياعُه .

وأصلُ « آل » : أهلٌ ، أُبْدِلَت الهاءُ همزةً ، كما قالوا : ماءٌ[2] . فأبْدَلوا الهاءَ همزةً ، فإذا صغَّروه قالوا : مُوَيْهٌ . فردُّوا الهاءَ فى التَّصْغيرِ ، وأخْرَجوه على أصلِه ، وكذلك إذا صغَّروا « آلًا » ، قالوا : أُهَيْلٌ . وقد حُكِى سَماعًا مِن العربِ فى تَصْغيرِ « آلٍ » : أُوَيْلٌ . وقد يُقالُ : فلانٌ مِن آلِ النساءِ . يُرادُ أنه منهن خُلِق . ويقالُ ذلك أيضًا بمعنى أنه يُرِيدُهن ويَهْواهن ، كما قال الشاعرُ[3] :

فإنكَ[4] مِن آلِ النِّساءِ وإنَّما   يَكُنَّ لِأَدْنَى لا وِصالَ لِغائبِ

وأحسنُ أماكنِ « آل » أن يُنْطَقَ به مع الأسماءِ المشهورةِ ، مثلَ قولِهم : آلُ النبىِّ محمدٍ ﷺ ، وآلُ علىٍّ ، وآلُ العباسِ ، وآلُ عَقيلٍ . وغيرُ مُسْتَحْسَنٍ استعمالُه مع المجهولِ وفى أسماءِ الأرَضِين وما أشبهَ ذلك . غيرُ حسنٍ عندَ أهلِ العلمِ بلسانِ[5] العربِ أن يُقالَ : رأيتُ آلَ الرجلِ ، وزارنى[6] آلُ المرأةِ . ولا : رأيتُ آلَ البصرةِ ، وآلَ

(١ - ١) سقط من : ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) فى ر ، م : « ماه » .

(٣) البيت فى الصاحبى ص ٤٣٤ غير منسوب ، ونسبه فى الخصائص ٢٧/٣ إلى كُثَيِّر ، وليس فى ديوانه ، ونسبه فى البحر المحيط ٢٦٢/٢ إلى جميل ، وليس فى ديوانه أيضا .

(٤) فى مصادر التخريج : « بثينة » .

(٥) فى الأصل : « بلغات » .

(٦) فى م : « رآنى » .

الكوفةِ . وقد ذُكِر عن[(١)] العربِ سَماعًا أنها تقولُ : رأيْتُ آلَ مكةَ ، وآلَ المدينةِ . وليس ذلك فى كلامِهم بالمستعملِ الفاشى .

وأما ﴿ فِرْعَوْنَ ﴾ فإنه يقالُ : إنه اسمٌ كانت مُلوكُ العَمالِقةِ بمصرَ تُسَمَّى به ، كما كانت ملوكُ الرومِ يُسمَّى بعضُهم قيصَرَ ، وبعضُهم هِرقْلَ ، وكما كانت ملوكُ فَارسَ تُسَمَّى الأكاسِرةَ ، [٨٤/٢ ظ] واحدُهم كِسْرَى ، وملوكُ اليمنِ تُسَمَّى التَّبَابِعةَ ، واحدُهم تُبَّعٌ .

وأما فرعونُ موسى الذى أخْبَر اللّٰهُ تعالى ذكرُه عن بنى إسرائيلَ أنه نجَّاهم منه ، فإنه يقالُ : إن اسمَه [(٢)] الذى هو اسمُه [(٢)] الوَليدُ بنُ مُصْعبٍ . كذلك ذكَر محمدُ بنُ إسحاقَ أنه بلَغه عن اسمِه . **حدَّثنا** بذلك محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ[(٣)] .

[(٤)] وقد قيل : إن اسمَه [(٤)] مصعبُ بنُ الرّيَّانِ .

وإنما جاز أن يقالَ : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ . والخطابُ به لمن لم[(٥)] يُدْرِكْ فرعونَ ولا المُنَجَّيْنَ منه ؛ لأن المُخاطَبين بذلك كانوا أبناءَ مَن نجَّاهم مِن فرعونَ وقومِه ، فأضاف ما كان مِن نعمِه على آبائِهم إليهم ، وكذلك ما كان مِن كُفرانِ آبائِهم ، على وجهِ الإضافةِ ، كما يقولُ القائلُ لآخرَ : فعَلْنا بكم كذا وكذا[(٦)] ،

---

(١) بعده فى ص ، م : « بعض » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ٣٨٧/١ .

(٤ - ٤) فى م : « أن اسمه الوليد بن » .

(٥) سقط من : ص ، ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

وفعَلْنا بكم كذا ، وقتَلْناكم وسبَيْناكم . والمُخْبِرُ إما أن يكونَ يعنى قومَه وعَشيرتَه بذلك ، أو أهلَ بلدِه ووطنِه ، كان المَقولُ له ذلك أدْرَكَ ما فُعِل بهم مِن ذلك أو لم يُدْرِكْه ، كما قال الأخطلُ يُهاجِى جَريرَ بنَ عَطِيَّةَ[1] :

ولقد سَما[2] لكمُ الهُذَيْلُ[3] فنالكم بإرَابَ[4] حيث يُقَسِّمُ الأَنْفالَا[5]

فى فَيْلَقٍ[6] يَدْعُو الأراقِمَ[7] لم تَكُنْ فُرسانُه عُزْلًا ولا أَكْفالَا[8]

ولم يَلْقَ[9] جَريرٌ هُذَيلًا ولا أدْرَكه ، ولا أدْرَكَ إرَابَ ولا شهِدَه ، ولكنه لما كان يومًا مِن أيامِ قومِ الأخْطَلِ على قومِ جَريرٍ ، أضاف الخطابَ إليه وإلى قومِه ، فكذلك خطابُ اللهِ عز وجل مَن خاطَبه بقولِه : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ . لمَّا كان فعلُه ما فعَل مِن ذلك بقومِ مَن خاطَبه بالآيةِ وآبائِهم ، [10]أضاف فعْلَه ذلك الذى فعَله بآبائِهم إلى المُخاطَبين بالآيةِ[10] وقومِهم .

---

(١) ديوان الأخطل ص ٣٩١ .

(٢) سما لهم : نهض لقتالهم ، وتساموا : تباروا . اللسان (س م و) .

(٣) الهذيل : هو الهذيل بن هبيرة التغلبى . النقائض ص ٧٧.

(٤) إراب : ماء من مياه بنى يربوع ، كانت فيه لتغلب وقعة على بنى يربوع . معجم ما استعجم ١/ ١٣٣.

(٥) فى الأصل ، ص : « الأثقالا » ، وفى ت ١ ، ت ٣ : « الأثقال » والنفل : الغنيمة والهبة . اللسان (ن ف ل) .

(٦) الفيلق : الكتيبة الكثيرة السلاح . اللسان (ف ل ق) .

(٧) الأرقم من الحيات ما فيه بياض وسواد ، والجمع أراقم . اللسان (ر ق م) .

والأراقم هنا : هم من بنى تغلب ، جشم ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحارث بنو بكر بن حبيب ، مركاهن بأمهم وهم فى قطيفة لها فقالت : ينظر إلى ولدى هؤلاء . فقال : والله لكأنما رمونى بعيون الأراقم . النقائض ص ٧٨.

(٨) الكفل من الرجال : الذى يكون فى مؤخر الحرب ، وإنما همته فى التأخير والفرار . اللسان (ك ف ل) .

(٩) فى ص : « يلحق » .

(١٠ - ١٠) سقط من : ص ، ر .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ .

٢٧١/١ **قال أبو جعفرٍ :** / وفى قولِه : ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ . وجهان مِن التأويلِ ؛ **أحدُهما** : أن يَكونَ خبرًا مُسْتَأْنَفًا عن فِعْلِ فرعونَ ببنى إسرائيلَ ، فيَكونَ معناه حينَئذٍ : واذْكُروا نعمتى عليكم إذ نجَّيناكم[(١)] مِن آلِ فرعونَ ، وكانوا مِن قبلُ يَسُومُونكم سُوءَ العذابِ .

وإذا كان ذلك تأويلَه كان موضعُ ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ رفعًا[(٢)] .

والوجهُ الثانى : أن يَكونَ ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ حالًا ، فيكونَ تأويلُه [٨٥/٢و] حينَئذٍ : وإذ نجَّيْنا كم مِن آلِ فرعونَ سائميكم سُوءَ العذابِ . فيكونَ حالًا مِن ﴿ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ . فإنه : يُورِدُونَكم ، ويُذِيقُونكم ، ويُولُونكم . يقالُ منه : سامه خُطَّةَ ضَيْمٍ . إذا أولاه ذلك وأذاقه[(٣)] ، كما قال الشاعرُ[(٤)] :

* إن سِيمَ خَسْفًا[(٥)] وجهُه تَرَبَّدَا[(٦)] *

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ . فإنه يعنى : ما ساءَهم مِن العذابِ . وقد قال بعضُهم : أشدَّ العذابِ . ولو كان ذلك معناه لقيل : أسوأَ العذابِ .

فإن قال لنا قائلٌ : وما ذلك العذابُ الذى كانوا يُسومُونهم[(٧)] ؟

قيل : هو ما وصَفه اللَّهُ تعالى ذكْرُه فى كتابِه فقال : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ

---

(١) فى ص : « نجيتكم » .

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « وجها » .

(٣) سقط من : ر ، ت ١ ، ت ٢، ت ٣.

(٤) هو عمرو بن سالم الخزاعى ، من أبيات قالها يستنصر فيها النبى ﷺ على قريش وبنى بكر . والأبيات فى سيرة ابن هشام ٢/ ٣٩٤، ٣٩٥.

(٥) الخسف : الإذلال ، وأن يحملك الإنسان ما تكره . التاج (خ س ف) .

(٦) تربد وجهه : تغير من الغضب . التاج (ر ب د) .

(٧) بعده فى ر ، م ، ت ٢، ت ٣: « الذى كان يسوءهم » ، وفى ت١ : « الذى يسوءهم » .

﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ .

وقد قال محمدُ بنُ إسحاقَ فى ذلك ما حدَّثنا به ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : كان فرعونُ يُعَذِّبُ بنى إسرائيلَ ، فيَجْعَلُهم خَدَمًا وخَوَلًا[(١)] ، وصنَّفهم فى أعمالِه[(٢)] ؛ فصِنفٌ يَبْنون ، وصِنْفٌ يَزْرَعون له ، فهم فى أعمالِه ، ومَن لم يَكُنْ منهم فى صَنْعةٍ له مِن عملِه ، فعليه الجزيةُ ، فسامَهم كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾[(٣)] .

وقال السُّدِّيُّ : جعَلهم فى الأعمالِ القَذِرةِ ، وجعَل يُقَتِّلُ أبناءَهم ، ويستحيى نساءَهم . حدَّثنى بذلك موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ[(٤)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ .

فأضاف اللّهُ جل ثناؤُه ما كان مِن فعلِ آلِ فرعونَ ببنى إسرائيلَ مِن سَوْمِهم إياهم سُوءَ العذابِ ، وذَبْحِهم أبناءَهم ، واسْتِحْيائِهم نساءَهم ، إليهم دونَ فرعونَ - وإن كان فعلُهم ما فعَلوا مِن ذلك كان بقوةِ فرعونَ وعن أمرِه - لمباشرتِهم ذلك بأنفسِهم ، فبيِّنٌ بذلك أن كلَّ مباشرٍ قتْلَ نفسٍ أو تعذيبَ حيٍّ بنفسِه ، وإن كان عن أمْرِ غيرِه ، ففاعلُه المُتولِّى ذلك هو المستحقُّ إضافةَ ذلك إليه ، وإن كان الآمرُ قاهرًا الفاعلَ المأمورَ بذلك- سلطانًا كان الآمرُ ، أو لِصًّا حاربًا[(٥)] ، أو مُتغَلِّبًا فاجرًا - كما أضاف جل ثناؤُه تذبيحَ أبناءِ بنى إسرائيلَ واستحياءَ نسائِهم إلى آلِ فرعونَ دون فرعونَ ، وإن كانوا بقوةِ فرعونَ وأمرِه إياهم بذلك [٢/ ٨٥ظ] فعَلوا ما فعَلوا ، مع غلبتِه إياهم

(١) الخَوَل : حشم الرجل وأتباعه ، ويقع على العبد والأمة . ينظر النهاية ٢/ ٨٨ .

(٢) فى الأصل : « أعمالهم » .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٣٨٧ . وتقدم أوله فى ص ٦٤٢ .

(٤) سيأتى مطولا فى ص ٦٤٩.

(٥) فى م : « خاربا » . والحارب : المُشلِّح ، وهو قاطع الطريق . ينظر اللسان (ح ر ب ، ش ل ح) .

وقهرِه لهم ، فكذلك كلُّ قاتلٍ نفسًا بأمرِ غيرِه ظلمًا ، فهو المقتولُ به عندَنا قِصاصًا ، وإن كان قتلُه إياه بإكراهِ غيرِه له على قتلِه .

وأما تأويلُ ذَبْحِهم أبناءَ بنى إسرائيلَ ، واستحيائِهم نساءَهم ، فإنه كان فيما ذُكِر لنا عن ابنِ عباسٍ وغيرِه كالذى **حدَّثنا** به العباسُ بنُ الوليدِ الآمُلىُّ وتميمُ بنُ المُنْتَصرِ الواسطىُّ ، قالا : حدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، قال : / أَخْبَرَنا الأصبغُ بنُ زيدٍ ، قال : حدَّثنا القاسمُ بنُ أبى[(1)] أيوبَ ، قال : حدَّثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : تذاكَر فرعونُ وجُلساؤُه ما كان اللهُ تعالى ذكرُه وعَد إبراهيمَ خليلَه عليه السلامُ أن يجْعَلَ فى ذريتِه أنبياءَ ومُلوكًا ، فأْتمروا وأجْمَعوا أمرَهم على أن يَبْعَثَ رجالًا معهم الشِّفَارُ[(2)] ، يَطُوفون فى بنى إسرائيلَ ، فلا يَجِدون مولودًا ذكرًا[(3)] إلا ذَبَحوه ، ففعَلوا ، فلمَّا رأَوْا أن الكبارَ مِن بنى إسرائيلَ يَموتون بآجالِهم ، وأن الصغارَ يُذَبَّحون ، قال : تُوشِكون أن تُفْنُوا بنى إسرائيلَ ، فتَصيروا إلى أن تُباشِروا مِن الأعمالِ والخِدْمةِ ما كانوا يَكْفُونكم ، فاقْتُلوا عامًا كلَّ مولودٍ ذكرٍ ، فَيَقِلَّ[(4)] أبناؤُهم ، ودَعُوا عامًا . فحمَلَتْ أمُّ موسى بهارونَ فى العامِ الذى لا يُذْبَحُ فيه الغِلْمانُ ، فولَدَته عَلانيةً آمنةً[(5)] ، حتى إذا كان القابلُ حمَلَت بموسى[(6)] .

وقد **حدَّثنا** عبدُ الكريمِ بنُ الهَيْثَمِ ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ بَشارٍ الرَّمادىُّ ،

(١) سقط من النسخ ، وينظر تهذيب الكمال ٢٣/٣٣٦ .

(٢) الشفار جمع شفرة ، وهو السكين العظيم وما عُرِّض من الحديد وحُدِّد . القاموس المحيط (ش ف ر) .

(٣) سقط من : ص ، ر .

(٤) فى ص ، ت ٣: « فتقتل » ، وفى ت ١: « فيقتل » .

(٥) فى ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « أمه » . وغير واضحة فى الأصل ، والمثبت موافق لما فى تفسير ابن كثير ٥/ ٢٧٩، والدر المنثور ٤/ ٢٩٦، وغيرهما كما سيأتى .

(٦) سيأتى تخريجه فى تفسير الآية ٤٠ من سورة طه ، فى حديث الفتون الطويل .

١/٢٧٢

قال : حدَّثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، قال : حدَّثنا أبو سعدٍ[(١)] ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قالت الكَهَنةُ لفرعونَ : إنه يُولَدُ فى هذا العامِ مولودٌ يَذْهَبُ بمُلْكِك . قال : فجعَل فرعونُ على كلِّ ألفِ امرأةٍ مائةَ رجلٍ ، وعلى كلِّ مائةٍ[(٢)] عشرةً ، وعلى كلِّ عشرةٍ رجلًا ، فقال : انْظُروا كلَّ امرأةٍ حاملٍ فى المدينةِ ، فإذا وضَعَت حَمْلَها فانْظُروا إليه ، فإن كان ذكرًا فاذْبَحوه ، وإن كان أنثى فخَلُّوا عنها[(٣)] . وذلك قولُه : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[(٤)] .

حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ . قال : إن فرعونَ ملكهم أربعَمائةِ سنةٍ ، فقالت الكَهَنةُ : إنه سيُولَدُ العامَ بمصرَ غلامٌ يَكونُ هلاكُك[(٥)] على يديه . فبعَث فى أهلِ مصرَ نساءً قَوابِلَ ، فإذا ولَدَت امرأةٌ غلامًا أُتِى به فرعونُ [٢/ ٨٦و] فقتَله ، ويَسْتَحْيى الجَوارِىَ[(٦)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ الحجَّاجِ ، قال حدَّثنا عبدُ اللّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ الآية . قال : إن فرعونَ ملكهم أربعَمائةِ سنةٍ ، وإنه أتاه آتٍ ، فقال : إنه سيَنْشَأُ فى

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « سعيد » . وهو أبو سعد سعيد بن المرزبان البقال الأعور . وليس هو أبا سعيد عبد الكريم بن مالك الجزرى ، فقد جاء مصرحا بأنه أبو سعد الأعور فى تفسير ابن أبى حاتم ٢٧٧٣/٨ (١٥٦٧٥) .

(٢) بعده فى الأصل : « امرأة » .

(٣) فى الأصل : « عنه » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٩/١ إلى المصنف . وأبو سعد البقال ضعيف .

(٥) فى ص ، ر : « هلاكه » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٥/١ (٥٠٥) من طريق آدم به .

مصرَ غلامٌ مِن بنى إسرائيلَ ، فيَظْهَرُ عليك ، ويَكونُ هَلاكُك على يديه . فبعَث فى أهلِ مصرَ نساءً . فذكَر نحوَ حديثِ آدمَ .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ بنُ نصرٍ ، عن السُّدِّيِّ ، قال : كان مِن شأنِ فرعونَ أنه رأَى رؤيا[1] فى مَنامِه ، أن نارًا أقْبَلَت مِن بيتِ المقدسِ حتى اشْتَمَلَت على بيوتِ مصرَ ، فأحْرَقَت القِبْطَ وترَكَت بنى إسرائيلَ ، وأخْرَبَت بيوتَ مصرَ ، فدعا السَّحَرةَ والكَهَنةَ[2] والقافَةَ والحازَةَ ، فسأَلهم عن رُؤْياه ، فقالوا له : يَخْرُجُ مِن هذا البلدِ الذى جاء بنو إسرائيلَ منه - يَعْنون بيتَ المقدسِ - رجلٌ يَكونُ على وجهِه هَلاكُ مصرَ . فأمَر ببنى إسرائيلَ ألا يُولَدَ لهم غلامٌ إلا ذبَحوه ، ولا تُولَدَ لهم جاريةٌ إلا تُرِكَت . وقال للقِبْطِ : انْظُروا مَمْلوكيكم الذين يَعْمَلون خارجًا فأدْخِلوهم ، واجْعَلوا بنى إسرائيلَ يَلُون تلك الأعمالَ القَذِرةَ . فجعَل بنى إسرائيلَ فى أعمالِ غلمانِهم ، وأدْخَلوا غلمانَهم ، فذلك حينَ يقولُ اللَّهُ تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ . يقولُ : تجبَّر فى الأرضِ ، ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا / شِيَعًا ﴾ يعنى بنى إسرائيلَ[3] حينَ جعَلهم فى الأعمالِ القَذِرةِ ، ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [القصص : ٤] . فجعَل لا يُولَدُ لبنى إسرائيلَ[3] مَوْلودٌ إلا ذُبِح ، فلا يَكْبَرُ الصغيرُ ، وقذَف اللَّهُ فى مَشْيَخةِ بنى إسرائيلَ الموتَ ، فأسْرَع فيهم ، فدخَل رءوسُ القِبْطِ على فرعونَ ، فكلَّموه ، فقالوا : إن هؤلاء القومَ[4] قد وقَع فيهم الموتُ ، فيُوشِكُ أن يَقَعَ العملُ على غِلمانِنا بذبحِ أبنائِهم ، فلا تَبْلُغُ الصِّغارُ وتَفْنى

٢٧٣/١

---

(١) سقط من : ر ، م .

(٢) بعده فى م : « والعافة » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

الكِبارُ ، فلو أنك كنتَ تُبْقِى مِن أولادِهم . فأمَر أن يُذَبَّحوا سنةً ويُتْرَكوا سنةً ، فلما كان فى السنةِ التى لا يُذَبَّحون فيها ، وُلِد هارونُ فتُرِك ، فلما كان فى السنةِ التى يُذَبَّحون فيها حمَلت بموسى[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : ذُكِر لى أنه لما تَقارَب زمانُ موسى أتى مُنَجِّمو فرعونَ وحُزَاتُه[(٢)] [٢/ ٨٦ظ]إليه ، فقالوا[(٣)] : تَعَلَّمْ[(٤)] أنَّا نَجِدُ فى علمِنا أن مولودًا مِن بنى إسرائيلَ قد أظلَّك زمانُه الذى يُولَدُ فيه ، يَسْلُبُك مُلْكَك ، ويَغْلِبُك على سلطانِك ، ويُخْرِجُك مِن أرضِك ، ويُبَدِّلُ دينَك . فلما قالوا له ذلك أمَر بقتلِ كلِّ مولودٍ يُولَدُ مِن بنى إسرائيلَ [(٥)]مِن الغِلْمانِ ، وأمَر بالنساءِ يُسْتَحْيَيْنَ ، فجمَع القَوابلَ مِن نساءِ أهلِ[(٦)] مَمْلكتِه ، فقال لهن : لا يَسْقُطُ على أيْدِيكُنَّ غلامٌ مِن بنى إسرائيلَ[(٥)] إلا قَتَلْتُموه[(٧)] . فكنَّ يَفْعَلْنَ ذلك ، وكان يَذْبَحُ مَن فوقَ ذلك مِن الغلمانِ ، ويَأْمُرُ بالحَبَالَى فيُعَذَّبْنَ حتى يَطْرَحْنَ ما فى بُطونِهنَّ[(٨)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) فى الأصل : « موسى » .
والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٠٦ (٥٠٦) من طريق عمرو به .
وأخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٣٨٨ عن موسى بن هارون به عن السدى بإسناده المعروف . وسيفرق المصنف بقيته فيما يأتى .

(٢) فى م : « أحزابه » .

(٣) بعده فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « له » .

(٤) فى م : « نعم » .

(٥ - ٥) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٧) فى ص ، م : « قتلتنه » .

(٨) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٣٨٧ . وتقدم أوله فى ص ٦٤٥ .

أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : لقد ذُكِر أنه كان لَيَأْمُرُ بالقَصَبِ فيُشَقُّ حتى يُجعَلَ أمثالَ الشِّفَارِ ، ثم يُصَفُّ بعضُه إلى بعضٍ ، ثم يُؤْتَى بالحَبَالَى مِن بنى إسرائيلَ ، فيُوقَفْنَ عليه فيَحُزُّ أقْدامَهن ، حتى إن المرأةَ منهن لَتَمْصَعُ[1] بولدِها فيَقَعُ[2] بينَ رِجْلَيْها ، فتَظَلُّ تَطَؤُه تَتَّقِى[3] به حَدَّ القَصَبِ عن[4] رِجْلَيْها[5] ، لِمَا بلَغ مِن جَهدِها ، حتى أسْرَف فى ذلك ، وكاد يُفْنِيهم ، فقيل له : أفْنَيْتَ الناسَ ، وقطَعْتَ النَّسْلَ ، وإنهم خَوَلُك وعُمَّالُك[6] . فأمَرَ[7] أن يُقْتَلَ الغِلْمانُ عامًا ويُسْتَحْيَوْا عامًا ، فوُلِد هارونُ فى السنةِ التى يُسْتَحْيَا فيها الغِلْمانُ ، ووُلِد موسى فى السنةِ التى فيها يُقْتَلون[8] .

فالذى قاله مَن ذكَرْنا قولَه مِن أهلِ العلمِ كان ذَبحَ آلِ فرعونَ أبناءَ بنى إسرائيلَ واستحياءَهم نساءَهم . فتأويلُ قولِه إذن - على ما تأوَّله الذين ذكَرْنا قولَهم - ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ[9] ﴾ : يَسْتَبْقُونَهن فلا يَقْتُلونهن .

وقد يَجِبُ على تأويلِ مَن قال بالقولِ الذى ذكَرْنا عن ابنِ عباسٍ وأبى العاليةِ والربيعِ بنِ أنسٍ والسُّدِّىِّ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ . أنه تَرْكُهم الإناثَ مِن القتلِ عندَ وِلادتِهن إياهن - أن يكونَ جائزًا أن تُسَمَّى الطفلُ[10] مِن

---

(١) مصعت المرأة بولدها : ألقت به . التاج (م ص ع) .
(٢) بعده فى : ص ، ر ، م ، ت ٢: « من » .
(٣) فى الأصل : « وتتقى » .
(٤) فى الأصل : « من » .
(٥) فى ص ، ر ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « رجلها » .
(٦) فى ص : « غلمانك » .
(٧) فى الأصل ، ص ، ر ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فتأمر » . والمثبت موافق لما فى تاريخ المصنف .
(٨) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٣٨٧ ، ٣٨٨ .
(٩) فى الأصل ، ت ٢: « نساءهم » .
(١٠) فى م ، ت ٢: « الطفلة » .

الإناثِ فى حال صِباها وبعدَ وِلادتِها[(١)] امرأةً ، والصَّبايا الصغارُ وهن أطفالٌ نساءً ؛ لأنهم تأوَّلوا قولَ اللّهِ جل وعزّ : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ : يَسْتَبْقون الإناثَ مِن الوِلْدانِ عندَ الوِلادةِ فلا يَقْتُلونهن .

وقد أنْكَر ذلك مِن قولِهم ابنُ جُرَيْجٍ ، فقال بما **حدَّثنا** به القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ داودَ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ قولَه : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ . قال : يَسْتَرِقُّون نساءَكم .

فحاد ابنُ جُرَيْجٍ بقولِه هذا عما قاله [(٢)] مَن ذكَرْنا قولَه [(٢)] فى قولِه : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ . إنه اسْتِحْياءُ / الصَّبايا الأطفالِ[(٣)] ، إذ لم يَجِدْهن يَلْزَمُهن اسمُ نساءٍ ، ثم دخَل فيما هو أعظمُ مما أنْكَر بتأويلِه ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ ﴾ : ويَسْتَرِقُّون . وذلك تأويلٌ غيرُ [٢/ ٨٧و] موجودٍ فى لغةٍ عربيةٍ ولا أعْجَميةٍ ، وذلك أن الاسْتِحياءَ إنما هو اسْتِفْعالٌ مِن الحياةِ ، نظيرُ الاسْتِبْقاءِ مِن البَقاءِ ، والاسْتِسْقاءِ مِن السَّقْيِ ، وهو مِن معنى الاسْتِرقاقِ بمعزِلٍ .

٢٧٤/١

وقد تأوَّل[(٤)] آخَرون قولَه : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ . بمعنى : يُذَبِّحون رجالَكم [(٥)] أبناءَ آبائِكم [(٥)] . وأنْكَروا أن يَكونَ المذْبوحون الأطفالَ ، وقد قرَن بهم النساءَ ، فقالوا : فى إخبارِ اللّهِ جل ثناؤُه أن المستحيَيْن هم النساءُ ، الدَّلالةُ الواضحةُ على أن الذين كانوا يُذَبِّحون هم الرجالُ دون الصِّبْيانِ ؛ لأن المُذَبَّحِين لو كانوا هم

---

(١) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « ولادها » .

(٢ - ٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) بعده فى ص ، ر ، م : « قال » .

(٤) فى ر ، م : « قال » .

(٥ - ٥) فى م : « آباء أبنائكم » .

الأطفالَ لَوَجَب أن يكونَ الْمُسْتَحْيَوْن هم الصَّبايا . قالوا : وفى إخبارِ اللهِ عز وجل أنهم النساءُ ما يُبينُ عن[(١)] أن الـمُذَبَّحِين هم الرجالُ .

وقد أغْفَل قائلو هذه المَقالةِ - مع خروجِهم مِن تأويلِ أهلِ التأويلِ مِن الصحابةِ والتابعين - موضعَ الصوابِ ، وذلك أن اللّه جل ثناؤُه قد أخْبَر عن وَحيه إلى أمِّ موسى أنه أمَرها أن تُرْضِعَ موسى ، فإذا خافَت عليه أن تُلْقِيَه فى التابوتِ ، ثم تُلْقِيَه فى اليَمِّ ، فمعلومٌ بذلك أن القومَ لو كانوا إنما كانوا[(٢)] يَقْتُلون الرجالَ ويَتْرُكون النساءَ ، لم يَكُنْ بأمِّ موسى حاجةٌ إلى إلقاءِ موسى فى اليَمِّ ، أو لو أن موسى كان رجلًا لم تَجْعَلْه أمُّه فى التابوتِ .

ولكن ذلك عندَنا على ما تأوَّله ابنُ عباسٍ ومَن حكَيْنا قولَه قبلُ ، مِن ذبْحِ آلِ فرعونَ الصِّبيانَ وترْكِهم مِن القتلِ الصَّبايا . وإنما قيل : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ إذ[(٣)] كان الصَّبايا داخلاتٍ مع أُمهاتِهن - وأمهاتُهن لا شكَّ نساءٌ - فى الاسْتِحياءِ ؛ لأنهم لم يكونوا يَقْتلون صغارَ النساءِ ولا كِبارَهن ، فقيل : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ يعنى بذلك الوالداتِ والمولوداتِ ، كما يُقالُ : قد أقبلَ الرجالُ . وإن كان فيهم صِبيْانٌ . فكذلك قولُه : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ . وأما مِن الذكورِ فإنه لمَّا لم يَكُنْ يُذْبَحُ إلا المولودون قيل : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ ولم يَقُلْ : يُذَبِّحون رجالكم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى ذكرُه : ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : أما قولُه : ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ . فإنه يعنى : وفى الذى فعَلْنا بكم مِن إنجائِنا كم[(٤)] مما كنتم فيه مِن عذابِ آلِ فرعونَ إياكم - على

---

(١) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .
(٢) سقط من : م .
(٣) فى الأصل : « إذا » .
(٤) فى ر ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « إنجائنا إياكم » .

ما وصَفْتُ - بلاءٌ لكم مِن ربِّكم [٢/ ٨٧ظ] عظيمٌ .

ويعنى بقولِه ﴿ بَلَآءٌ ﴾ : نعمةٌ ، كما **حدَّثنى** المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى مُعاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طَلْحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ . قال : نعمةٌ[(١)] .

وحدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدىِّ فى قولِه : ﴿ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ : أما البلاءُ فالنعمةُ[(٢)] .

وحدَّثنا سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن مُجاهدٍ : ﴿ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ . قال : نعمةٌ مِن ربِّكم عظيمةٌ[(٣)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَ حديثِ سُفيانَ .

/ **حدَّثنا** القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ١/٢٧٥ ﴿ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ . قال : نعمةٌ عظيمةٌ .

وأصلُ البلاءِ فى كلامِ العربِ الاختبارُ والامتِحانُ ، ثم يُسْتَعْمَلُ فى الخيرِ والشرِّ ؛ لأن الامتحانَ والاختبارَ قد يَكونُ بالخيرِ كما يكونُ بالشرِّ ، كما قال اللّهُ جل

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٠٦ (٥٠٧) من طريق أبى صالح به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٠٦ عقب الأثر (٥٠٧) من طريق عمرو به . وينظر ما تقدم فى ص ٦٤٨.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٦٩ إلى وكيع . وذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٠٦ عقب الأثر (٥٠٧) معلقا .

ثناؤه : ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٨] . يقول : اختَبَرْناهم . وكما قال جل ثناؤه : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء: ٣٥] . ثم تُسَمِّى العربُ الخيرَ بلاءً ، والشرَّ بلاءً ، غيرَ أن الأكثرَ فى الشرِّ أن يُقالَ : بلَوتُه أبْلُوه بلاءً ، وفى الخيرِ : أبْلَيْتُه أبْلِيه إبلاءً وبلاءً . ومِن ذلك قولُ زُهَيْرِ بنِ أبى سُلْمَى [(١)] :

جزَى اللهُ بالإحسانِ ما فعَلا بكم فأبْلَاهما خيرَ البلاءِ الذى يَبْلُو

فجمَع بينَ اللغتَيْنِ ؛ لأنه أراد : فأنْعَمِ اللّهُ عليهما خيرَ النِّعَمِ التى يَخْتَبِرُ بها عبادَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ .

أما تأويلُ قولِه : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا ﴾ . فإنه عطفٌ على : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم ﴾ ، بمعنى : واذْكُروا نِعْمتىَ التى أنعمتُ عليكم ، واذْكُروا إذ نـجَّيناكم مِن آلِ فرعونَ ، وإذ فرَقْنا بكم البحرَ .

ومعنى قولِه : ﴿ فَرَقْنَا بِكُمُ ﴾ : فصَلْنا بكم البحرَ ؛ لأنهم كانوا اثنَىْ عشَرَ سِبْطًا ، ففرَق البحرَ اثنَىْ عشَرَ طريقًا ، فسلَك كلُّ سِبْطٍ منهم طريقًا منها ، فذلك فَرْقُ اللّهِ جلَّ ثناؤُه بهم البحرَ ، وفصلُه بهم بتفريقِهم [(٢)] فى طرُقِه الاثنَىْ عشَرَ [(٣)] .

كما حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدىِّ : [٨٨/٢و] لما أتَى موسى البحرَ كَنَاه أبا خالدٍ ، وضرَبه فانْفَلَق ، فكان كلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ

---

(١) شرح ديوان زهير ص ١٠٩.

(٢) فى الأصل ، ص : « بتفرقهم » .

(٣) فى الأصل : « العشر » .

العظيم ، فدخَلَت بنو إسرائيلَ ، وكان فى البحرِ اثنا عشَرَ طريقًا ، فى كلِّ طريقٍ سِبْطٌ[(١)] .

وقد قال بعضُ نحويِّى البصرةِ : معنى قولِه : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ : فرَقْنا بينَ الماءِ وبينَكم ، يريدُ بذلك : فصَلْنا بينَكم وبينَه وحجَزْنا حيث مرَرْتُم فيه .

وذلك خلافُ ما فى ظاهرِ التلاوةِ ؛ لأن اللّهَ جلَّ ثناؤُه إنما أخْبَر أنه فرَق البحرَ بالقومِ ، ولم يُخْبِرْ أنه فرَق بينَ القَوْمِ وبينَ البحرِ فيَكونَ التأويلُ ما قاله قائلُ[(٢)] هذه المَقالةِ . وفرقُه البحرَ بالقومِ إنما هو تفريقُه البحرَ بهم على ما وصَفْنا مِن افتراقِ سُبُلِه[(٣)] بهم على ما جاءت به الآثارُ .

القــولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

إن قال لنا قائلٌ : كيف غرَّق اللّهُ آلَ فرعونَ ونجَّى بنى إسرائيلَ ؟

قيل : كما **حدَّثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ ، عن عبدِ اللّهِ بنِ شدَّادِ بنِ الهادِ ، قال : لقد ذُكِر لى أنه خرَج فرعونُ فى طلبِ موسى على سبعين ألفًا مِن دُهْمِ الخيلِ سوى ما فى جندِه مِن شِيَةِ[(٤)] الخيلِ ، وخرَج موسى حتى إذا قابَله البحرُ فلم يكنْ له عنه مُنْصَرَفٌ ، طلَع فرعونُ فى جندِه مِن خلفِهم ، ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ ﴾ موسى ﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء : ٦١، ٦٢] . أى :

---

(١) سيأتى بتمامه فى ص ٦٨١ .

(٢) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « قائلو » .

(٣) فى ص ، م : « سبيله » .

(٤) الشِّيَة : سواد فى بياض أو بياض فى سواد . اللسان (و ش ى) .

للنجاةِ - وقد وعَدَنى ذلك ، ولا خُلْفَ لوعدِه[(١)] .

٢٧٦/١ / حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : أوْحَى اللَّهُ جلَّ وعزَّ - فيما ذُكر لى - إلى البحرِ : إذا ضرَبك موسى بعَصاه فانفلِقْ له . قال : فبات[(٢)] البحرُ يَضْرِبُ بعضُه بعضًا فَرَقًا[(٣)] مِن اللَّهِ وانتظارَه[(٤)] أمرَه ، فأوْحَى اللَّهُ إلى موسى : ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ﴾ ، فضرَبه بها ، وفيها سُلطانُ اللَّهِ الذى أعْطاه ، ﴿ فَٱنفَلَقَ[(٥)] فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء : ٦٣] . أى : كالجبل على نَشَزٍ[(٦)] مِن الأرضِ . يقولُ اللَّهُ لموسى : ﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٧٧]. فلما اسْتَقَرَّ له[(٧)] البحرُ على طريقٍ قائمةٍ يَبَسٍ سلَك فيه موسى ببنى إسرائيلَ ، وأتْبَعه [٢/ ٨٨ظ] فرعونُ بجنودِه[(٨)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَدَّادِ بنِ الهادِ الليثىِّ ، قال : حُدِّثْتُ أنه لما دخَلت بنو إسرائيلَ[(٩)] ، فلم يَبْقَ منهم أحدٌ ، أقبلَ فرعونُ وهو على حِصانٍ له مِن الخيلِ

---

(١) فى ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لموعوده » .

والأثر أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٢٠ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧٦٩/٨ (١٥٦٥٥) من طريق سلمة به .

(٢) فى م : « فثاب » .

(٣) الفرق : الخوف . اللسان (ف ر ق) .

(٤) فى م : « انتظار » .

(٥) فى الأصل ، ص : « فانفرق » .

(٦) فى م : « يبس » . والنشز : المتن المرتفع من الأرض . اللسان (ن ش ز) .

(٧) فى ر ، م : « لهم » .

(٨) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٢٠ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧٧٢/٨ ، ٢٧٧٣ (١٥٦٧٠، ١٥٦٧٧) من طريق سلمة به .

(٩) بعده فى ص ، م : « البحر » .

حتى وقَف على شَفِيرِ البحرِ ، وهو قائمٌ على حالِه ، فهاب الحصانُ أن يَنْفُذَ ، فعرَض له جبريلُ عليه السلامُ على فرسٍ أنثى وَدِيقٍ[1] ، فقرَّبَها منه فشمَّها الفحلُ ، فلمَّا شمَّها قدَّمها[2] ، فتقَدَّم معه[3] الحصانُ عليه فرعونُ ، فلما رأَى جندُ[4] فرعونَ فرعونَ قد دخَل ، دخَلوا معه ، وجبريلُ أمامَه ، وهم يَتْبَعون فرعونَ ، وميكائيلُ على فرسٍ مِن خلفِ القومِ يَشْحَذُهم[5] ، يقولُ : الْحَقُوا بصاحبِكم . حتى إذا فصَل جبريلُ مِن البحرِ ليس أمامَه أحدٌ ، ووقَف ميكائيلُ على ناحيتِه الأخرى ليس خلفَه أحدٌ ، طبَّق عليهم البحرُ ، ونادَى فرعونُ حينَ رأَى مِن سلطانِ اللهِ وقُدرتِه ما رأَى ، وعرَف ذلَّه[6] ، وخَذَلَتْه نفسُه -: ﴿ [7]لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ[7] ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[8] [يونس : ٩٠] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن أبي إسحاقَ الهَمْدانيِّ ، عن عمرِو بنِ مَيْمونٍ الأَوْديِّ في قولِه : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ . قال : لمَّا خرَج موسى ببني إسرائيلَ بلَغ ذلك فرعونَ ، فقال : لا تَتْبَعوهم حتى يَصِيحَ الديكُ . قال : فواللهِ ما صاح ليلتَئذٍ ديكٌ حتى أصْبَحوا ، فدعا بشاةٍ فذُبِحَت ، ثم قال : لا أَفْرُغُ مِن كبدِها حتى يَجْتَمِعَ إليَّ ستُّمائةِ ألفٍ مِن القِبْطِ . فلم يَفْرُغْ مِن كبدِها حتى اجتمَع إليه ستُّمائةِ ألفٍ من

---

(١) الفرس الوديق : هي التي تشتهي الفحل . النهاية ٥/١٦٨ .

(٢) في م : « تبعها » ، وقدَّمها : أي زجرها وأمرها بالتقدم . ينظر اللسان (ق د م) .

(٣) في م : « معها » .

(٤) في الأصل : « جنود » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « خيل » .

(٥) في م : « يسوقهم » . ويشحذهم يسوقهم بمعنى .

(٦) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « زلته » .

(٧ - ٧) في ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « آمنت بالذي » ، وفي م : « آمنت أنه لا إله إلا الذي » .

(٨) أخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٤٢٠ ، ٤٢١ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨/ ٢٧٧٥ ، ٢٧٧٦ (١٥٦٨٧) من طريق سلمة به .

القبطِ ، ثم سار ، فلما أتى موسى البحرَ قال له رجل من أصحابِه يُقالُ له : يُوشَعُ بنُ نُونٍ : أين أمَرَك ربُّك يا موسى ؟ قال : أمامَك . يُشِيرُ إلى البحرِ ، فأقْحَم يُوشَعُ فرسَه فى البحرِ حتى بلَغ الغَمْرَ[(١)] ، فذهَب به ، ثم رجَع ، فقال : أين أمَرَك ربُّك يا موسى ؟ فواللهِ ما كذَبْتَ ولا كُذِبْتَ ، ففعَل ذلك ثلاثَ مراتٍ ، ثم أوْحَى اللّهُ إلى موسى : ﴿ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ . يقولُ : مثل جبلٍ . ثم سار موسى ومَن معه ، وأتْبَعَهم فرعونُ فى طريقِهم ، حتى إذا تَتامُّوا فيه أطْبَقه اللّهُ عليهم ، فلذلك قال : ﴿ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ . قال مَعْمَرٌ : قال قتادةُ : كان مع موسى ستُّمائةِ ألفٍ ، وأتْبَعَه فرعونُ على ألفِ ألفٍ ومائتى[(٢)] ألفِ حِصانٍ[(٣)] .

حدَّثنا عبدُ الكريمِ بنُ الهيثمِ ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ بَشَّارٍ الرَّمَاديُّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، قال : قال [(٤)]أبو سعدٍ[(٤)] ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : أوْحَى اللّهُ إلى موسى أن أسْرِ بعبادى [٨٩/٢و] / ليلًا إنكم متبَعون . قال : فسرَى موسى ببنى إسرائيلَ ليلًا ، فأتْبَعهم فرعونُ فى ألفِ ألفِ حِصانٍ سِوَى الإناثِ ، وكان موسى فى ستِّمائةِ ألفٍ ، فلمَّا عايَنَهم فرعونُ ، قال : ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا ٢٧٧/١

---

(١) الغمر : معظم البحر . تاج العروس (غ م ر) .

(٢) فى م : « مائة » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٥، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٠٦، ١٠٧ (٥٠٨) عن الحسن بن يحيى به . وأخرجه أيضا ٨/ ٢٧٧١ (١٥٦٦٧) من طريق إسرائيل ، عن أبى إسحاق به ، ببعضه . وينظر تاريخ المصنف ١/ ٤١٤.

وأخرج ابن أبى حاتم أيضا ٨/ ٢٧٧٤، ٢٧٧٥ (١٥٦٨٢، ١٥٦٨٦) من طريق يونس وإسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود نحوه .

(٤ - ٤) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « أبو سعيد » . وينظر ما تقدم فى ص ٦٤٧ .

لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾ [الشعراء: ٥٤- ٥٦] . فسرَى موسى ببنى إسرائيلَ حتى هجَموا على البحرِ ، فالْتَفَتوا ، فإذا هم برَهَجِ[١] دوابِّ فرعونَ فقالُوا : يا موسى : ﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ [الأعراف: ١٢٩] . هذا البحرُ أمامَنا ، وهذا فرعونُ قد رَهِقَنا[٢] بمَن معه : ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٩] . قال : فأَوْحَى اللّهُ جل ثناؤُه إلى موسى ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ﴾ . وأوْحَى إلى البحرِ أنِ اسْمَعْ لموسى ، وأَطِعْ إذا ضرَبك . قال : فبات[٣] البحرُ له أَفْكَلٌ - يعنى : له رِعْدةٌ - لا يَدْرِى مِن أىِّ جَوانبِه يَضْرِبُه . قال : فقال يُوشَعُ لموسى : بماذا أُمِرْتَ ؟ قال : أُمِرْتُ أن أَضْرِبَ البحرَ . قال : فاضْرِبْه . قال : فضرَب موسى البحرَ بعصاه ، فانْفَلَق ، فكان فيه اثنا عشَرَ طريقًا ، كلُّ طريقٍ كالطَّوْدِ العظيمِ ، فكان لكلِّ سِبْطٍ منهم طريقٌ يَأْخُذون فيه ، فلمَّا أخَذوا فى الطريقِ ، قال بعضُهم لبعضٍ : ما لنا لا نَرَى أصحابَنا ؟ قالوا لموسى : أين أصحابُنا لا نَرَاهم ؟ قال : سِيروا فإنهم على طريقٍ مثلِ طريقِكم . قالوا : لا نَرْضَى حتى نَرَاهم .

قال سفيانُ : قال عمارٌ الدُّهْنِىُّ : قال موسى : اللهمَّ أعِنِّى على أخلاقِهم السيئةِ . قال : فأَوْحَى اللهُ إليه أن قُلْ بعصاك هكذا . وأَوْمَأَ إبراهيمُ بيدِه يُدِيرُها على البحرِ ، قال موسى بعَصاه على الحِيطانِ هكذا ، فصار فيها كِواءٌ[٤] يَنْظُرُ بعضُهم إلى بعضٍ .

---

(١) الرهج : الغبار . اللسان (ر هـ ج) .

(٢) رهق فلان فلانا : تبعه فقارب أن يلحقه . اللسان (ر هـ ق) .

(٣) فى م : « فثاب » .

(٤) فى م : كوى . وكِواء وكُوًى : جمع كُوَّة ، وهى الخرق فى الحائط . اللسان (ك و ى) .

قال سفيانُ : قال أبو سعدٍ[(١)] ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : فساروا حتى خرَجوا مِن البحرِ ، فلما جاز آخِرُ قومِ موسى هجَم فرعونُ على البحرِ هو وأصحابُه ، وكان على فرسٍ أدهمَ ذَنُوبٍ[(٢)] حِصانٍ ، فلما هجَم على البحرِ هاب الحِصانُ أن يَتَقَحَّمَ[(٣)] فى البحرِ ، فمثَل له جبريلُ عليه السلامُ على فرسٍ أنثى وَدِيقٍ ، فلما رآها الحِصانُ تَقَحَّم خلفَها ، وقيل لموسى : اتْرُكِ البحرَ رَهْوًا - قال : طُرُقًا على حالِه - قال : ودخَل فرعونُ وقومُه البحرَ ، فلمَّا دخَل آخِرُ قومِ فرعونَ ، وجاز آخرُ قومِ موسى ، أَطْبَق البحرُ على فرعونَ وقومِه فأُغْرِقوا[(٤)] .

وحدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدىِّ ، أن اللَّهَ أمَر موسى أن يَخْرُجَ ببنى إسرائيلَ ، فقال : ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ . فخرَج موسى [٨٩/٢ظ] وهارونُ فى قومِهما ، وأُلْقِى على القِبْطِ الموتُ ، فمات كلُّ بِكْرِ رَجُلٍ ، فأصْبَحوا يَدْفِنونهم ، فشُغِلوا عن طلبِهم حتى طلَعَت الشمسُ ، فذلك حينَ يقولُ اللَّهُ جل وعزَّ : ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾ . وكان موسى على سَاقةِ بنى إسرائيلَ ، وكان هارونُ أمامَهم يَقْدُمُهم ، فقال المؤمنُ لموسى : يا نبىَّ اللَّهِ ، أين أُمِرْتَ ؟ قال : البحرَ . فأراد أن يَقْتَحِمَ ، فمنَعه موسى ، وخرَج موسى فى ستِّمائةِ ألفٍ وعشرين ألفَ مُقاتِلٍ - لا يَعُدُّون ابنَ العشرين لصِغَرِه ، ولا ابنَ الستين لكِبَرِه ، وإنما عَدُّوا ما بينَ ذلك سوى الذريةِ ، وتبِعهم فرعونُ على مُقَدِّمتِه هامانُ فى ألفِ ألفٍ وسبعِمائةِ ألفِ حِصانٍ ، ليس فيها مادِيانةٌ[(٥)] - يعنى الأنثى - وذلك حينَ

---

(١) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « سعيد » . وينظر ما تقدم فى ص ٦٤٧ .

(٢) الذنوب : وافر شعر الذنب . النهاية ٢/ ١٧٠.

(٣) فى م : « يقتحم » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨/ ٢٧٧١، ٢٧٧٣ (١٥٦٦٥، ١٥٦٧٥) من طريق ابن عيينة به ، مختصرا . وينظر ما سيأتى فى ص ٦٦٩ - ٦٧١.

(٥) فى الأصل : « ماذيانه » ، وفى م : « ماذبانه » ، وفى ت ١، ت ٣: « مادبانه » ، وفى ت ٢: « ماربانه » .=

يقولُ اللّهُ : ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ [الشعراء : ٥٣، ٥٤] . يعنى بنى إسرائيلَ ، فتقدَّم هارونُ فضرَب البحرَ ، فأَبَى البحرُ أن يَنْفَتِحَ ، وقال : مَن هذا الجبارُ الذى يَضْرِبُنى ؟ حتى أتاه / موسى ، فكنَاه أبا خالدٍ وضرَبه ، ﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء : ٦٣] . يقولُ : كالجبلِ العظيمِ . فدخَلَت بنو إسرائيلَ ، وكان فى البحرِ اثنا عشَرَ طريقًا ، فى كلِّ طريقٍ سِبْطٌ - وكانت الطرقُ انْفَلَقَت بجُدْرانٍ - فقال كلُّ سِبْطٍ : قد قُتِل أصحابُنا . فلمّا رأى ذلك موسى ، دعا اللَّهَ ، فجعَلها[1] لهم قَناطرَ كهيئةِ الطِّيقانِ ، فنظَر آخرُهم إلى أولِهم ، حتى خرَجوا جميعًا ، ثم دنا فرعونُ وأصحابُه ، فلما نظَر فرعونُ إلى البحرِ مُنْفَلِقًا ، قال : ألا تَرَوْنَ البحرَ فَرِق منى ؟ قد انْفَتَح لى حتى أُدْرِكَ أعْدائى فأَقْتُلَهم . فذلك قولُ اللّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ ﴾ [الشعراء : ٦٤] . يقولُ : قرَّبنا ثَمَّ الآخَرين . يعنى آلَ فرعونَ . فلما قام فرعونُ على أفْواهِ الطُّرُقِ أبَتْ خيلُه أن تَقْتَحِمَ[2] ، فنزَل جبريلُ عليه السلامُ على ماديانةٍ[3] ، فشامَّت[4] الحُصُنُ[5] رِيحَ الماديانةِ[6] ، فاقْتَحَمت[7] فى أَثَرِها ، حتى إذا همَّ أوَّلُهم أن يَخْرُجَ ودخَل آخرُهم ، أُمِر البحرُ أن يَأْخُذَهم ، فالْتَطَم عليهم[8] .

٢٧٨/١

= وماديانة : فارسية معربة . ينظر المعجم الذهبى ص ٥٣٢.

(١) فى الأصل : « فجعله » .

(٢) فى الأصل : « تتقحم » .

(٣) فى الأصل ، ص ، ر : « ماذيانه » ، فى م : « ماذبانة » ، وفى ت ٢: « ماربانه » .

(٤) فى الأصل : « فشمت » .

(٥) فى م : « الحصان » .

(٦) فى الأصل : « المازيانه » ، وفى ت ٢: « الماربانه » .

(٧) فى م : « فاقتحم » .

(٨) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧٧٠/٨ ، ٢٧٧٢ ، ٢٧٧٣ - ٢٧٧٥ (١٥٦٦١، ١٥٦٦٩، ١٥٦٧٦، ١٥٦٧٩، ١٥٦٨٤) مفرقا عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به . =

وحدَّثني يُونُسُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : لما أخَذ عليهم فرعونُ الأرضَ إلى البحرِ قال لهم فرعونُ : قُولوا لهم يَدْخُلوا البحرَ إن كانوا صادِقِين . فلما رآهم أصحابُ موسى قالوا : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء : ٦١، ٦٢] . فقال موسى للبحرِ : ألَسْتَ تَعْلَمُ أنِّى رسولُ اللّهِ ؟ قال : بَلَى . قال : وتَعْلَمُ أن هؤلاء عبادٌ مِن عبادِ اللّهِ ، أمَرَنى أن آتىَ بهم ؟ قال : بلى . قال : وتَعْلَمُ أن هذا عدوُّ اللهِ ؟ قال : بلى . قال : فافرُقْ[1] لى طريقًا ولِمَن معى . قال : يا موسى ، إنما أنا عبدٌ مملوكٌ ، [٢/ ٩٠و] ليس لى أمْرٌ إلا أن يأْمُرَنى اللّهُ . فأوْحَى اللهُ إلى البحرِ إذا ضرَبك موسى بعصاه فانْفَرِقْ ، وأوْحَى إلى موسى أن اضْرِبِ البحرَ . وقرأ قولَ اللّهِ جلَّ وعزَّ : ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٧٧] . وقرأ قولَه : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ ﴾ [الدخان : ٢٤] : سهلًا ليس فيه تَعَدٍّ ، فانْفَرَق اثنتى عشْرةَ فِرْقةً ، فسلَك كلُّ سِبْطٍ فى طريقٍ . قال : فقالوا لفرعونَ : إنهم قد دخَلوا البحرَ . قال : ادْخُلوا عليهم . قال : وجبريلُ فى آخرِ بنى إسرائيلَ يقولُ لهم : لِيَلْحَقْ آخرُكم أولكم . وفى أولِ آلِ فرعونَ يقولُ لهم : رُوَيْدًا يَلْحَقْ آخرُكم أولكم . فجعَل كلُّ سِبْطٍ فى البحرِ يقولون للسِّبْطِ الذين دخَلوا قبلَهم : قد هلكوا . فلما دخَل ذلك قُلُوبَهم أوحى اللّهُ إلى البحرِ فجعَل لهم قَناطرَ يَنْظُرُ هؤلاء إلى هؤلاء ، حتى إذا خرَج آخِرُ هؤلاء ، ودخَل آخرُ هؤلاء ، أمَر اللّهُ البحرَ فأطْبَقَ على هؤلاء .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ . أى : تَنْظُرون إلى فَرْقِ اللّهِ بكم البحرَ ، وإهلاكِه آلَ فرعونَ فى الموضعِ الذى نجّاكم فيه ، وإلى عظيمِ سُلطانِه فى الذى أراكم مِن طاعةِ البحرِ إياه ، مِن مَصيرِه رُكامًا فِرَقًا كهيئةِ الأطْوادِ الشامخةِ ، غيرَ زائلٍ عن حَدِّه ؛ انقيادًا لأمرِه ، وإذْعانًا لطاعتِه ، وهو سائلٌ ذائبٌ قبلَ ذلك .

=وأخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤١٣ - ٤١٥ عن موسى بن هارون به عن السدى بإسناده المعروف . وتقدم أوله فى ص ٦٤٩.

(١) فى م : « انفرق » .

يُوقِفُهم بذلك جلَّ ذكرُه على موضعِ حُجَجِه عليهم، ويُذَكِّرُهم آلاءَه عندَ أوائلِهم، ويُحَذِّرُهم - (١) بتكذيبِهم (١) نبيَّنا محمدًا ﷺ - أن يَحِلَّ بهم ما حلَّ بفرعونَ وآلِه فى تكذيبِهم موسى صلواتُ اللَّهِ عليه.

وقد زعَم بعضُ أهلِ العربيةِ أن معنى قولِه: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾. كمعنى قولِ القائلِ: ضُرِبْتَ وأهلُك يَنْظُرون، فما أتَوْك ولا أغاثوك (٢). يعنى: وهم قريبٌ بمَرْأًى ومَسْمَعٍ. وكقولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]. وليس هناك رؤيةٌ، إنما هو علمٌ.

والذى دعاه إلى هذا التأويلِ أنه وجَّه قولَه: ﴿وَأَنتُمْ / تَنظُرُونَ﴾. إلى غَرَقِ آلِ فرعونَ، فقال: قد كانوا فى شُغُلٍ مِن أن يَنْظُروا مما اكْتَنَفَهم مِن البحرِ من أن يَرَوْا فرعونَ وغَرَقَه. ٢٧٩/١

وليس الذى تأوَّله تأويلَ الكلامِ، إنما التأويلُ: وأنتم تنظرون إلى فَرْقِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ البحرَ لكم - مما قد وصَفتُ آنِفًا - والْتِطامِ أمْواجِ البحرِ بآلِ فرعونَ فى الموضعِ الذى صيَّر لكم من البحرِ طريقًا يَبَسًا. وذلك لا شكَّ كان نظرَ عِيانٍ لانظرَ علمٍ، على ما ظنَّه قائلُ هذا القولِ الذى حكَيْنا.

[٢/٩٠ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا﴾.**

اخْتَلَفَتِ القَرَأَةُ فى قراءةِ ذلك؛ فقرَأه بعضُهم: ﴿وَٰعَدْنَا﴾ (٣). بمعْنى أن اللَّهَ تعالى واعَد موسى مُوافَاةَ (٤) الطُّورِ لمُناجاتِه، فكانت المُواعَدةُ مِن اللَّهِ لموسى، ومِن موسى لربِّه. وكان مِن حجتِهم على اختيارِهم قراءةَ: ﴿وَٰعَدْنَا﴾ على: (وعَدْنا)

(١ - ١) فى م، ت ١: «فى تكذيبهم».

(٢) فى ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «أعانوك».

(٣) وهى قراءة نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر والكسائى وحمزة. السبعة لابن مجاهد ص ١٥٤.

(٤) فى ر: «مراقاة»، وفى م: «ملاقاة».

أن قالوا : كلُّ اتِّعادٍ[(١)] كان بينَ اثنين للالتقاءِ أو[(٢)] للاجتماعِ ، فكلٌّ واحدٍ منهما مُواعِدٌ صاحبَه ذلك ، فلذلك - زعَموا[(٣)] - وجَب أن يُقْضَى لقراءةِ مَن قرَأ : ﴿ وَٰعَدْنَا ﴾ بالاختيارِ على قراءةِ مَن قرَأ : (وَعَدْنا) .

وقرَأه بعضُهم : (وَعَدْنا)[(٤)] . بمعْنى أن اللهَ تعالى ذكرُه الواعدُ موسى ، والمنفردُ بالوعدِ دونَه . وكان مِن حجتِهم فى اختيارِهم ذلك أن قالوا : إنما تكونُ المُواعَدةُ بينَ البشرِ ، فأما اللهُ جل ثناؤُه ، فإنه المنفردُ بالوعدِ والوَعيدِ فى كلِّ خيرٍ وشرٍّ . قالوا : وبذلك جاء التنزيلُ فى القرآنِ كلِّه ، فقال اللهُ جل ثناؤُه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ [إبراهيم: ٢٢]. وقال : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ﴾ [الأنفال : ٧] . قالوا : فكذلك الواجبُ أن يكونَ هو المنفردَ بالوعدِ فى قولِه : (وإذْ وَعَدْنا مُوسَى) .

قال أبو جعفرٍ : والصوابُ عندَنا فى ذلك (٥ مِن القولِ ٥) أنهما قِراءتان قد جاءَت بهما الأُمَّةُ ، وقرَأَت بهما القرأةُ ، وليس فى القراءةِ بإحداهما إبطالُ معنى الأُخرى ، وإن كان فى إحداهما زيادةُ معنًى على الأُخْرى مِن جهةِ الظاهرِ والتِّلاوةِ ؛ فأما مِن جهةِ المفهومِ بهما ، فإنهما متَّفِقتان ، وذلك أن مَن أخْبَرَ عن شخصٍ أنه وعَد غيرَه اللقاءَ بموضعٍ مِن المَواضعِ ، فمَعْلُومٌ أن الموعودَ ذلك واعدٌ صاحبَه مِن لقائِه بذلك المكانِ مثلَ الذى وعَده مِن ذلك صاحبُه ، (٦ إذا كان راضيًا مُجيبًا صاحبَه إلى ما وعده مثلَ الذى وعده من ذلك صاحبُه ٦) ، إذا كان وعدُه إياه ذلك عن اتفاقٍ منهما عليه . ومعلومٌ أن موسى صلواتُ اللهِ عليه لم يَعِدْه ربُّه الطورَ إلا عن رِضا موسى بذلك ؛ إذ

---

(١) فى م : « إيعاد » .

(٢) فى ص : « و » .

(٣) بعده فى م : « أنه » .

(٤) وهى قراءة أبى عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ١٥٤ .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ .

كان موسى غيرَ مَشْكوكٍ فيه ، أنه كان بكلِّ ما أمَره اللّهُ به راضيًا ، وإلى محبتِه فيه مُسارِعًا ، ومعقولٌ أن اللّهَ تعالى لم يَعِدْ موسى ذلك إلا وموسى عليه السلامُ له[1] مُسْتَجِيبٌ ، وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلومٌ أن اللهَ تعالى ذكرُه كان قد وعَد موسى الطورَ ، ووعَده موسى اللقاءَ ، فكان اللهُ عز ذكرُه لموسى واعدًا مُواعِدًا له المُناجاةَ على الطُّورِ ، وكان موسى واعدًا لربِّه مُواعِدًا له اللقاءَ ، فبأىِّ القراءتَيْن مِن : « وعَد وواعَد » قرَأ القارئُ ، فهو للحقِّ[2] فى ذلك - مِن جهةِ التأويلِ واللغةِ - مُصِيبٌ ؛ لما وصَفْنا مِن العِلَلِ قبلُ .

ولا معنى لقولِ [٩١/٢ و] القائلِ : إنما تكونُ المُواعَدةُ بينَ البشرِ ، وإن اللّهَ تبارك وتعالى بالوعدِ والوَعيدِ مُنْفَرِدٌ فى كلِّ خيرٍ وشرٍّ . وذلك أن انفرادَ اللّهِ بالوعدِ والوَعيدِ فى الثوابِ والعِقابِ ، والخيرِ والشرِّ ، والنفعِ والضَّرِّ ، الذى هو بيدِه ، وإليه دونَ سائرِ خلقِه - لا يُحِيلُ الكلامَ الجارىَ بينَ الناسِ فى استعمالِهم إياه عن وُجوهِه ، ولا يُغَيِّرُه عن مَعانيه . والجارى بينَ الناسِ مِن الكلامِ المفهومِ ما وصَفْنا ، مِن أنّ كلَّ اتِّعادٍ[3] كان بينَ اثنين ، فهو / وعدٌ مِن كُلِّ واحدٍ منهما ، ومُواعَدةٌ بينَهما ، وأن كلَّ واحدٍ منهما واعِدٌ صاحبَه مُواعِدُه[4] ، وأن الوعدَ الذى يكونُ به الانفرادُ مِن الواعِدِ دونَ الموعودِ ، إنما هو ما كان بمعنى الوعدِ الذى هو خلافُ الوَعيدِ .

١/٢٨٠

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ : ﴿ مُوسَىٰٓ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وموسى - فيما بلَغَنا - كلِمتان بالقِبْطيةِ ، يُعْنَى بهما : ماءٌ وشجرٌ . فـ « مو » : هو الماءُ ، و « سا » : هو الشجرُ . وإنما سُمِّى بذلك - فيما

(١) فى ر : « له إليه » ، وفى م : « إليه » .

(٢) فى م : « الحق » .

(٣) فى م : « إيعاد » .

(٤) فى ص ، ر ، م : « مواعد » .

بلَغَنا - لأن أمَّه لما جعَلَتْه فى التابوتِ - حينَ خافَت عليه مِن فرعونَ - وألْقَتْه فى اليمِّ ، كما أوْحَى اللَّهُ إليها ، وقيل : إن اليَمَّ الذى ألْقَتْه فيه هو النّيلُ ؛ دفَعَتْه أمواجُ اليمِّ حتى أدْخَلَته بينَ أشجارٍ عندَ بيتِ فرعونَ ، فخرَج جَوارِى آسِيةَ امرأةِ فرعونَ يَغْتَسِلْنَ ، فوجَدْن التابوتَ ، فأخَذْنَه ، فسُمِّى [(١] باسمِ المكانِ [١)] الذى أُصِيب فيه ، وكان ذلك بمكانٍ[٢] فيه ماءٌ وشجرٌ ، فقيل : « موسى » ، ماءٌ وشجرٌ .

كذلك **حدَّثنى** موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ[٣] .

قال أبو جعفرٍ : وهو موسى بنُ عمرانَ بنِ يصهرَ[٤] بنِ قاهثَ[٥] بنِ لَاوِى بنِ يعقوبَ إسرائيلِ اللّهِ بنِ إسحاقَ ذبيحِ اللّهِ[٦] بنِ إبراهيمَ خليلِ اللّهِ ، فيما زعَم ابنُ إسحاقَ ، **حدَّثنى** بذلك ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ الفضلِ عنه[٧] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل وعز : ﴿ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : ومعنى ذلك : وإذْ واعَدْنا مُوسى أرْبَعينَ لَيْلَةً بتمامِها . فالأربعون الليلةِ[٨] كلُّها داخلةٌ فى الميعادِ .

[٩١/٢ظ] وقد زعَم بعضُ نحويِّى البصرةِ أن معناه : وإذ[٩] واعَدْنا موسى

(١ - ١) فى ر : « بالمكان » .

(٢) فى م : « المكان » .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ٣٩٠/١ عن موسى بن هارون به عن السدى بإسناده . وفيه أن الشجر : شا - بالشين المعجمة . وتقدم أوله فى ص ٦٤٩.

(٤) فى الأصل : « يسهر » .

(٥) فى ر : « فاهث » .

(٦) سيأتى تعليقنا فى تفسير سورة الصافات أن الصحيح فى الذبيح أنه إسماعيل عليه السلام .

(٧) أخرجه المصنف فى تاريخه ٣٨٥/١ .

(٨) فى م : « ليلة » .

(٩) فى م : « إذا » .

انْقِضاءَ أربعين ليلةً ، أى رأسَ الأربعين . ومثَّل ذلك بقولِه : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] . وبقولِهم : اليومَ أربعون منذُ خرَج فلانٌ ، واليومَ يومان . أى اليومُ تمامُ يومين وتمامُ أربعين .

قال أبو جعفرٍ : وذلك خلافُ ما جاءَت به الروايةُ عن أهلِ التأويلِ ، وخلافُ ظاهرِ التِّلاوةِ . فأما ظاهرُ التلاوةِ ، فإن اللهَ جل وعز قد أَخْبرَ أنه واعَد موسى أربعين ليلةً ، فليس لأحدٍ إحالةُ ظاهرِ خبرِه إلى باطنٍ بغيرِ بُرْهانٍ دالٍّ على صحتِه .

وأما أهلُ التأويلِ ، فإنهم قالوا فى ذلك ما أنا ذاكرُه ، وهو ما **حدَّثنى** به المثنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، عن أبى العاليةِ قولَه : ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ . قال : يعنى ذا القَعْدةِ وعشرًا مِن ذى الحِجَّةِ ، وذلك حينَ خلَّف موسى أصحابَه ، واسْتَخْلَف عليهم هارونَ ، فمكَث على الطُّورِ أربعين ليلةً ، وأُنْزِل عليه التوراةُ فى الألواحِ - وكانت الألواحُ مِن بَرَدٍ[1] - فقرَّبه الربُّ[2] نَجِيًّا وكلَّمه ، وسمِع صَرِيفَ[3] القلمِ ، وبلَغَنا أنه لم يُحْدِثْ حَدَثًا فى الأربعين ليلةً حتى هبَط مِن الطُّورِ[4] .

حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنحوِه .

---

(١) فى م : « زبرجد » .

(٢) بعده فى م : « إليه » .

(٣) فى ر : « صرير » . وهما بمعنى .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٠٧ (٥١١) من طريق آدم به ، دون قوله : وكانت الألواح من برد . وأخرجه ابن أبى حاتم أيضا ٥/١٥٦٣ (٨٩٥٩) . وفيه : من بردى .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : وعَد اللهُ موسى - حينَ أهْلَك فرعونَ وقومَه ، ونجَّاه وقومَه - ثلاثين ليلةً ، ثم أتمَّها بعشرٍ ، فتمَّ ميقاتُ ربِّه أربعين ليلةً ، يَلْقاه[1] فيها بما[2] شاء ، واسْتَخْلَف موسى هارونَ على بنى إسرائيلَ ، وقال : إنى مُتَعَجِّلٌ إلى ربى ، فاخْلُفْنى فى قومى ، ولا تَتَّبِعْ / سبيلَ المفسدين . فخرَج موسى إلى ربِّه مُتَعَجِّلًا للقائِه شوقًا إليه ، وأقام هارونُ فى بنى إسرائيلَ ومعه السامرىُّ ، يَسِيرُ بهم على أَثَرِ موسى ليُلْحِقَهم به[3] .

٢٨١/١

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : انْطَلَق موسى واسْتَخْلَف هارونَ على بنى إسرائيلَ ، وواعَدَهم ثلاثين ليلةً ، وأَتَمَّها اللَّهُ بعشرٍ[4] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ قولِه : ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ : ثم اتَّخَذْتم فى أيامِ مُواعَدَتى موسى العجلَ إلهًا مِن بعدِ أن فارَقَكم موسى مُتَوَجِّهًا إلىَّ للمَوْعِدِ . والهاءُ فى قولِه : ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ عائدةٌ على ذكرِ موسى .

[٩٢/٢و] فأخبَر جلَّ ثناؤُه الـمُخالِفِين نبيَّنا محمدًا ﷺ مِن يهودِ بنى إسرائيلَ المُكَذِّبين به ، المخاطَبين بهذه الآيةِ عن فِعلِ آبائِهم وأسلافِهم ، وتَكْذيبِهم رُسُلَهم ، وخلافِهم أنبياءَهم ، مع تَتابُعِ نِعَمِه عليهم ، وسُبوغِ[5] آلائِه لديهم ، مُعَرِّفَهم بذلك

---

(١) فى م : « تلقاه ربه » .

(٢) فى ص : « ما » .

(٣) ينظر تاريخ الطبرى ٤٢١/١ ، ٤٢٥ . وما سيأتى فى ص ٦٧١.

(٤) سيأتى بتمامه فى ص ٦٧٠ ، ٦٧١ .

(٥) فى ص ، ت ٣: « شيوع » ، وفى ت ١، ت ٢: « وبسيوغ » .

أنهم - من [(١)] خلافِهم محمدًا [(١)] ﷺ ، وتَكذيبِهم به [(٢)] ، وجُحودِهم رسالتَه ، مع علمِهم بصدقِه - على مثلِ مِنْهاجِ آبائِهم وأسْلافِهم ، ومُحَذِّرَهم مِن نزولِ سَطْوتِه بهم - بمُقامِهم على ذلك مِن تكذيبِهم - ما نزَل بأوائِلهم المُكَذِّبينَ بالرسلِ مِن المَسْخِ واللَّعْنِ وأنواعِ النَّقِماتِ .

وكان سببَ اتخاذِهم العجلَ ما **حدَّثني** به عبدُ الكريمِ بنُ الهيثمِ ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُيينةَ ، قال : حدَّثنا أبو سعدٍ [(٣)] ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما هجَم فرعونُ على البحرِ هو وأصحابُه ، وكان فرعونُ على فَرَسٍ أدْهَمَ ذَنُوبٍ حِصانٍ ، فلما هجَم على البحرِ هاب الحِصانُ أن يَتقحَّمَ [(٤)] في البحرِ ، فتَمَثَّل له جبريلُ على فرسٍ أنثى وَدِيقٍ ، فلما رآها [(٥)] حصانُ فرعونَ [(٥)] تقحَّم خلفَها . قال : وعرَف السامريُّ جبريلَ ؛ لأن أمَّه حينَ خافَت أن يُذْبَحَ خلَّفَتْه في غارٍ وأطْبقَت عليه ، فكان جبريلُ يَأْتِيه فيَغْذُوه بأصابعِه ، فيَجِدُ في إحْدى [(٦)] أصابعِه لبنًا ، وفي الأُخْرى عسلًا ، وفي الأخرى سمنًا ، فلم يَزَلْ يَغْذُوه حتى نَشَأ ، فلما عايَنه في البحرِ عرَفه ، فقبَض قَبْضةً مِن أثرِ فرَسِه . قال : أخَذ مِن تحتِ الحافرِ قَبضةً - قال سفيانُ : وكان ابنُ مسعودٍ يَقْرَؤُها : (فقَبضْتُ قَبْضَةً مِن أَثَرِ فرسِ الرسولِ) - قال أبو سعدٍ : قال عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ : وأُلْقِي في رُوعِ [(٧)] السامريِّ أنك لا تُلْقِيها على

(١ - ١) في ص : « خلاف محمد » .

(٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « سعيد » . وينظر ما تقدم في ص ٦٤٧.

(٤) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يقتحم » .

(٥ - ٥) في ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الحصان » .

(٦) سقط من : ص ، وفي ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بعض » .

(٧) الروع ، بالضم : القلب والعقل ، ووقع ذلك في روعي . أي : في نفسي وخلَدي وبالي . اللسان (ر و ع) .

شيءٍ فتقولُ : كُنْ كذا وكذا . إلا كان[(١)] ، فلم تَزَلِ القَبْضةُ معه في يدِه حتى جاوَز البحرَ ، فلما جاوَز موسى وبنو إسرائيلَ البحرَ ، وأغْرَق اللَّهُ آلَ فرعونَ قال موسى لأخيه هارونَ : ﴿ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٢] . ومضَى موسى لموعدِ ربِّه ، قال : وكان مع بني إسرائيلَ حَلْيٌ مِن حَلْيِ آلِ فرعونَ قد تَعَوَّرُوه[(٢)] ، فكأنهم تَأَثَّمُوا منه ، فأخْرَجوه لتنْزِلَ النارُ فتأْكُلَه ، فلما جمَعوه ، قال السامريُّ بالقبضةِ التي كانت في يدِه هكذا ، فقذَفها فيه - وأَوْمَأ أبو[(٣)] إسْحاقَ بيدِه هكذا - وقال : كُنْ عِجْلًا جسدًا له خُوارٌ . فصار عجلًا جسدًا له خُوارٌ ، فكان تَدْخُلُ الريحُ في دُبُرِه وتَخْرُجُ مِن فيه ، ويُسْمَعُ له صوتٌ ، فقال : ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ﴾ [طه : ٨٨] . فعكَفوا على العجلِ يَعْبُدُونه ، فقال هارونُ : ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ [٢/٩٢ظ] فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۝٩٠ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴾[(٤)] [طه : ٩٠، ٩١] .

١/٢٨٢ / **حدَّثني** موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : لما أمَر اللَّهُ موسى أن يَخْرُجَ ببني إسرائيلَ - يعني مِن أرضِ مصرَ - أمَر موسى بني إسرائيلَ أن يَخْرُجوا ، وأمَرهم أن يَسْتَعِيروا الحَلْيَ مِن القِبْطِ ، فلما نجَّى اللَّهُ موسى ومَن معه مِن بني إسرائيلَ مِن البحرِ ، وغرَّق آلَ فرعونَ ، أتَى جبريلُ إلى موسى يَذْهَبُ به إلى اللَّهِ ، فأقْبَل على فرسٍ ، فرآه السامريُّ فأنْكَره ، ويقالُ[(٥)] : إنه فرَسُ الحياةِ . فقال حينَ رآه : إن لهذا لشأنًا . فأخَذ مِن تربةِ الحافرِ حافرِ الفرسِ ، فانطَلَق موسى واسْتَخْلَف هارونَ

---

(١) في ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يكون » .

(٢) تعوّر الشيءَ : استعاره . اللسان (ع و ر) .

(٣) في ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ابن » . وأبو إسحاق هو إبراهيم بن بشار .

(٤) ينظر ما تقدم في ص ٦٥٨ - ٦٦٠ .

(٥) في ص ، م : « قال » .

على بنى إسرائيلَ ، وواعَدهم ثلاثين ليلةً ، وأتمَّها اللَّهُ بعشرٍ ، فقال لهم هارونُ : يا بنى إسرائيلَ : إن الغَنيمةَ لا تَحِلُّ لكم ، وإن حَلْىَ القِبْطِ إنما هو غَنيمةٌ ، فاجْمَعوها (١ جميعًا ، واحْفِروا ١) لها حُفْرةً (٢) فادْفِنوها ، فإن جاء موسى فأحَلَّها أخَذْتُموها ، وإلا كان شيئًا لم تأْكُلوه . فجمَعوا ذلك الحلْىَ فى تلك الحُفْرةِ ، وجاء السامرىُّ بتلك القَبْضةِ فقذَفها ، فأخْرَج اللَّهُ مِن الحَلْىِ عِجْلًا جسدًا له خُوارٌ ، وعدَّت بنو إسرائيلَ موعِدَ موسى ، فعدُّوا الليلةَ يومًا واليومَ يومًا ، فلما كان تمامُ العشرين ، خرَج لهم العِجْلُ ، فلما رأَوه قال لهم السامرىُّ : ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ . يقولُ : ترَك موسى إلهَه هاهنا وذهَب يَطْلُبُه . فعكَفوا عليه يَعْبُدونه ، وكان يَخُورُ ويَمْشِى ، فقال لهم هارونُ : يا بنى إسرائيلَ ﴿ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ﴾ . يقولُ : إنما ابْتُلِيتُم به . يقولُ (٣) : بالعِجْلِ ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ . فأقام هارونُ ومَن معه مِن بنى إسرائيلَ لا يُقاتِلونهم ، وانْطَلَق موسى إلى إلهِه يُكَلِّمُه ، فلما كلَّمه قال له : ﴿ مَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴾ [طه : ٨٣ - ٨٥] . فأخْبَرَه خبرَهم ، قال موسى : يا ربِّ ، هذا السامرىُّ أمَرَهم أن يَتَّخِذوا العِجْلَ ، أرأيْتَ الرُّوحَ مَن نفَخها فيه ؟ قال الربُّ : أنا . قال : ربِّ ، أنت إذن أضْلَلْتَهم (٤) .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : كان فيما ذُكِر لى

(١ - ١) فى ص : « جميعها فاحفروا » .

(٢) فى الأصل : « حفيرة » .

(٣) فى ر : « أى » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧٦٨/٨ (١٥٦٥٠) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به ، بأوله .
وأخرجه المصنف فى تاريخه ٤٢١/١ ، ٤٢٢ عن موسى بن هارون به ، عن السدى بإسناده . وتقدم أوله فى ص ٦٤٩.

أن موسى قال لبنى إسرائيلَ فيما أمَره اللَّهُ عز وجل به : اسْتَعِيروا منهم - يعنى مِن آلِ فرعونَ - الأمتعةَ والحَلْىَ والثِّيابَ ، فإنى مُنَفِّلُكم أموالَهم مع هَلاكِهم . فلما أذَّن فرعونُ فى الناسِ ، كان مما يُحَرِّضُ به على بنى إسرائيلَ أن قال حينَ [(١] ساروا : لم يَرْضَوْا أن خرَجوا [١)] بأنفسِهم حتى ذهَبوا بأموالِكم معهم[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن حكيمِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن سعيدِ [٢/٩٣و] بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان السامرىُّ رجلًا مِن أهلِ باجَرْمَا[(٣)] ، وكان مِن قومٍ يَعْبُدون البقرَ ، وكان حُبُّ عبادةِ البقرِ فى نفسِه ، وكان قد أظْهَر الإسلامَ فى بنى إسرائيلَ ، فلما فصَل[(٤)] هارونُ فى بنى إسرائيلَ وفصَل موسى إلى ربِّه ، قال لهم هارونُ : أنتم قد حُمِّلْتُم أوْزارًا مِن زينةِ القومِ - آلِ فرعونَ - وأمتعةً وحَلْيًا ، فتَطهَّروا منها ، فإنها نَجَسٌ . وأوْقَد لهم نارًا فقال : اقْذِفوا ما كان معكم مِن ذلك فيها . قالوا : نعم . فجعَلوا يَأْتُون بما كان فيهم[(٥)] مِن تلك الأمتعةِ وذلك الحَلْيِ فيَقْذِفون به فيها ، حتى إذا تكَسَّر الحَلْئُ فيها ، ورأى السامرىُّ أثرَ فرسِ جبريلَ ، فأخَذ ترابًا مِن أثرِ حافرِه ، ثم أقْبَل إلى النارِ[(٦)] ، فقال لهارونَ : يا نبىَّ اللَّهِ ، أُلْقِى ما فى يدى ؟ قال : نعم . ولا يَظُنُّ هارونُ إلا أنه كبعضِ ما جاء به غيرُه مِن ذلك الحلْيِ والأمتعةِ ، فقذَفه / فيها وقال : كنْ عِجْلًا جسدًا له خُوَارٌ . فكان للبلاءِ ١/٢٨٣

(١ - ١) فى م : « سار ولم يرضوا أن يخرجوا » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤١٩.

(٣) باجرما ؛ بفتح الجيم وسكون الراء وميم وألف مقصورة : قرية من أعمال البليخ قرب الرقة من أرض الجزيرة . معجم البلدان ١/ ٤٥٤.

(٤) فى م : « فضل » . وفصل فلان من عندى فصولا : إذا خرج . اللسان (ف ص ل) .

(٥) فى ر ، م : « معهم » .

(٦) فى تاريخ المصنف : « الحفرة » .

والفتنةِ ، فقال : ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ﴾ . فعكَفوا عليه ، وأحبُّوه حبًّا لم يُحِبُّوا مثلَه شيئًا قطُّ ، يقولُ اللَّهُ جلَّ ذكرُه : ﴿فَنَسِىَ﴾ . أى ترَك ما كان عليه مِن الإسـلامِ - يعنى السامرىَّ - ﴿ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴾ [طه : ٨٩] . قال[1] : وكان اسمُ السامرىِّ موسى بنَ ظَفَرَ ، وقَع فى أرضِ مصرَ فدخَل فى بنى إسرائيلَ ، فلما رأى هارونُ ما وقَعوا فيه قال : ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۝٩٠ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴾ . فأقام هارونُ فى مَن معه مِن المسلمين ممَّن لم يُفْتَتَنْ ، وأقام مَن يَعْبُدُ العِجْلَ على عبادةِ العِجْلِ ، وتخوَّف هارونُ إن سار بمَن معه مِن المسلمين أن يقولَ له موسى : ﴿ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴾ [طه : ٩٤] . وكان له هائبًا مُطِيعًا[2] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : لما أنْجَى اللَّهُ عز وجل بنى إسرائيلَ مِن فرعونَ ، وأغْرَق فرعونَ ومَن معه ، قال موسى لأخيه هارونَ : ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ . قال : لما خرَج موسى وأمَر هارونَ [3]ما أمَرَه[3] ، وخرَج موسى مُتَعَجِّلًا مَسْرورًا إلى اللَّهِ ، قد عرَف موسى أن المرءَ إذا أنْجَح[4] فى حاجةِ سيدِه كان يَسُرُّه أن يَتَعَجَّلَ إليه . قال : وكان حينَ خرَجوا اسْتَعاروا حَلْيًا وثيابًا مِن آلِ فرعونَ ، فقال لهم هارونُ : إن هذه الثيابَ والحَلْىَ لا تَحِلُّ لكم ، فاجْمَعوا نارًا فألْقُوه فيها فأحْرِقوه . قال : فجمَعوا نارًا .

(١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٢٤، ٤٢٥.

(٣ - ٣) فى ص : « بما أمره » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « بما أمره به » .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « نجح » . يقال : نجح فلان ، وأنجح : إذا أصاب طلبته . النهاية ٥/ ١٨.

قال : فكان السامريُّ قد نظَر إلى أثرِ دابَّةِ جبريلَ ، وكان جبريلُ على فرسٍ أنثى ، وكان السامريُّ فى قومِ موسى . قال : فنظَر إلى أثرِه فقبَض منه قبضةً ، فيبِسَت عليها يدُه ، فلما ألْقَى قومُ موسى الحَلْىَ فى النارِ ، وألْقَى السامرىُّ معهم القَبْضةَ ، صوَّر اللَّهُ جلَّ وعزَّ [٩٣/٢ ظ] ذلك لهم عِجْلًا ذهبًا ، فدخَلَتْه الريحُ ، فكان له خُوارٌ ، فقالوا : ما هذا ؟ فقال السامريُّ الخبيثُ : ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ . الآية إلى قولِه : ﴿ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه : ٨٨- ٩١] . قال : حتى إذا أتَى موسى الموعدَ قال اللَّهُ : ﴿ مَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى ﴾ . فقـرأ حتى بلَغ : ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ ﴾ [طه : ٨٤- ٨٦] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ فى قولِه : ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ . قال : العِجْلُ حَسِيلُ[(١)] البقرةِ . قال : حَلْىٌ اسْتَعارُوه مِن آلِ فرعونَ ، فقال لهم هارونُ : أَخْرِجوه فتَطَهَّروا منه وأَحْرِقوه . وكان السامريُّ[(٢)] أخَذ قَبْضةً مِن أثرِ فرسِ جبريلَ ، فطرَحه فيه فانْسَبَك ، وكان له كالجوفِ تَهْوِى فيه الرياحُ .

حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، قال : إنما سُمِّى العِجْلَ ؛ لأنهم عَجِلوا فاتَّخذوه قبلَ أن يأْتِيَهم موسى[(٣)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنى

---

(١) الحسيل : ولد البقرة الأهلية ، وعم به بعضهم فقال : هو ولد البقرة . اللسان (ح س ل) .

(٢) بعده فى م : « قد » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٨/١ (٥١٢) من طريق آدم به .

عيسى ، /(١) وحدَّثنى المُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبْلٌ ، ٢٨٤/١
جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ : حسيلُ البقرةِ . قال : حَلْىٌ استعارُوه من آلِ فرعونَ ، فقال لهم هارونُ : أخرِجوه فتطهَّروا منه وأحْرِقُوه . وكان السامِرىُّ أخَذ قبْضةً من أثرِ فرسِ جبريلَ فطرَحه فيه فانْسَبَك ، وكان له كالجوفِ تَهْوِى فيه الرياحُ(١) .

وتأويلُ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ . يعنى : وأنتم واضعو العبادةِ فى غيرِ موضعِها ؛ لأن العبادةَ لا تَنْبَغِى إلا للَّهِ تعالى ذكرُه ، وعبَدْتُم أنتم العجلَ ظلمًا منكم ، ووضعًا للعبادةِ فى غيرِ موضعِها .

وقد دلَّلْنا فى غيرِ هذا الموضعِ مما مضَى مِن كتابِنا ، أن أصْلَ كلِّ ظُلمٍ وضْعُ الشيءِ فى غيرِ مَوْضعِه ، فأغْنَى ذلك عن إعادتِه فى هذا الموضعِ(٢) .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وتأويلُ قولِه : ﴿ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾ . يقولُ : ثم(٣) تركْنا مُعاجَلتَكم بالعقوبةِ مِن بعدِ ذلك . أى : مِن بعدِ اتخاذِكم العجلَ إلهًا .

كما حدَّثنى به المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا [٩٤/٢و] آدمُ العَسْقلانىُّ ، قال :

(١ - ١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحو حديث القاسم ، عن الحسن ، حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه » . وقوله : « الحسن » . صوابه : الحسين ، كما تقدم .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٨/١، ١٠٩، ١١٠٤/٤ (٥١٣، ٥٢٤، ٦١٩٦) مفرقا من طريق ورقاء ، عن ابن أبى نجيح إلى قوله : فتطهروا منه .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٥٥٩.

(٣) سقط من : ص ، م .

حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ . يعنى : مِن بعدِ ما اتَّخَذْتُم العجلَ[(١)] .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ . فإنه يعنى به : لتَشْكُروا . ومعنى : « لعل » فى هذا الموضعِ معنى « كى »[(٢)] . وقد بيَّنْتُ فيما مضَى قبلُ أن أحدَ معانى « لعل » معنى « كى » بما فيه الكفايةُ عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(٣)] .

فمعنى الكلامِ إذن : ثم عَفَونا عنكم مِن بعدِ اتخاذِكم العجلَ إلهًا [(٤)]لتَشْكُروا لى[(٤)] على عَفْوى عنكم ، إذ كان العفوُ يُوجِبُ الشكرَ على أهلِ اللُّبِّ والعقلِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ .

قال أبو جعفرٍ : يعنى بقولِه : ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ : واذْكُروا أيضًا إذ آتَيْنا موسى الكتابَ والفُرقانَ . ويعنى بالكتابِ التوراةَ ، وبالفُرقانِ الفصلَ بينَ الحقِّ والباطلِ .

كما **حدَّثنى** المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ . قال : فرَق فيه[(٥)] بينَ الحقِّ والباطلِ[(٦)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٨/١ (٥١٥) من طريق آدم به .

(٢) سقط من : ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٣٨٧.

(٤ - ٤) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « لتشكرونى » .

(٥) فى ص : « اللَّه فيه » ، وفى م : « به » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٠٩/١ (٥٢١) من طريق آدم به .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ . قال : الكتابُ هو الفُرقانُ ، فُرقانٌ بينَ الحقِّ والباطلِ[1] .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثني القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ . قال : الكتابُ هو الفُرقانُ ، فرَق بينَ الحقِّ والباطلِ .

/ **حدَّثنا** القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : الفُرْقانُ جِماعُ اسمِ التوراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ والفُرقانِ[2] . ١/٢٨٥

وقال ابنُ زيدٍ فى ذلك بما **حدَّثني** به يونسُ ، قال : أَخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : سألْتُه - يعنى ابنَ زيدٍ - عن قولِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ : ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ . فقال : أما « الفُرْقانُ » الذى قال اللَّهُ جلَّ وعزَّ : ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال : ٤١] . فذلك يومُ بدرٍ ، يومَ فرَق اللَّهُ بينَ الحقِّ [٩٤/٢ظ] والباطلِ ، والقضاءُ الذى فرَق به بينَ الحقِّ والباطلِ . قال : فكذلك أعْطَى اللَّهُ موسى الفُرقانَ ، فرَق اللَّهُ بينَهم ، وسلَّمه اللَّهُ وأنجاه ، فرَق بينَهم بالنصرِ ، فكما جعَل اللَّهُ ذلك بينَ محمدٍ و[3] المشركين ، فكذلك جعَله بينَ موسى وفرعونَ .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٢، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٩/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٩/١ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) فى ص : « وبين » .

قال أبو جعفرٍ : وأولى [(١)]هذين التأويلَين[(١)] بتأويلِ الآيةِ ما رُوِى عن ابنِ عباسٍ وأبى العاليةِ ومُجاهدٍ ، مِن أن الفرقانَ الذى ذكَر اللَّهُ أنه آتاه موسى فى هذا الموضعِ هو الكتابُ الذى فرَق به[(٢)] بينَ الحقِّ والباطلِ ، وهو نعتٌ للتوراةِ وصفةٌ لها . فيكونُ تأويلُ الآيةِ حينَئذٍ : وإذ آتينا موسى التوراةَ التى كتَبْناها[(٣)] له فى الألواحِ ، وفرَقْنا بها بينَ الحقِّ والباطلِ . فيكونُ الكتابُ نعتًا للتوراةِ أُقِيم مُقامَها استِغْناءً به عن ذكرِ التوراةِ ، ثم عطَف عليه الفُرقانَ ، إذ[(٤)] كان مِن نعتِها . وقد بيَّنَّا معنى الكتابِ فيما مضَى مِن كتابِنا هذا ، وأنه بمعنى المكتوبِ[(٥)] .

وإنما قلْنا : هذا التأويلُ أولى بالآيةِ – وإن كان مُحْتَمِلًا غيرُه مِن التأويلِ – لأن الذى قبلَه من[(٦)] ذِكْرِ الكتابِ ، وأن معنى الفرقانِ الفَصْلُ – وقد دلَّلْنا على ذلك فيما مضَى مِن كتابِنا هذا – فإلحاقُه ، إذ كان كذلك ، بصفةِ ما ولِيه أولَى مِن إلحاقِه بصفةِ ما بَعُد منه .

وأما تأويلُ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ . فنظيرُ قولِه تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ . ومعناه : لِتَهْتَدوا . فكأنه قال تعالى : واذْكُروا أيضًا إذ آتَيْنا موسى التوراةَ التى تَفْرُقُ بينَ الحقِّ والباطلِ ، لتَهْتَدوا بها وتَتَّبِعوا الحقَّ الذى فيها ؛ لأنى جعَلْتُها كذلك هُدًى لمن اهْتَدَى بها واتَّبع ما فيها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ

(١ – ١) فى ص : « هذه التأويلات » .
(٢) فى ص : « فيه » .
(٣) فى ر : « اكتتبناها » .
(٤) بعده فى ر : « الفرقان » .
(٥) ينظر ما تقدم فى ص ٩٥.
(٦) سقط من : م .

أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾.

وتأويلُ ذلك : واذْكُروا أيضًا إذ قال موسى لقومِه مِن بنى إسرائيلَ : يا قومِ إنكم ظَلَمْتُم أنفسَكم . وظلمُهم إياها كان فعلَهم بها ما لم يكنْ لهم أن يَفْعَلوه بها ، مما أوْجَب لهم العقوبةَ مِن اللَّهِ تعالى ، وكذلك كلُّ فاعلٍ فعلًا يَسْتَوْجِبُ به العقوبةَ مِن اللَّهِ تعالى ، فهو ظالمٌ لنفسِه بإيجابِه العقوبةَ لها مِن اللَّهِ تعالى ، وكان الفعلُ الذى فعَلوه فظلَموا به أنفسَهم ، هو ما أخْبَر [٥٩/٢و] اللَّهُ عنهم مِن ارْتِدادِهم باتخاذِهم العجلَ ربًّا بعدَ فِراقِ موسى إياهم . ثم أمَرهم موسى بالمراجعةِ مِن ذنبِهم ، والإنابةِ إلى اللَّهِ جلَّ وعزَّ مِن رِدَّتِهم بالتوبةِ إليه ، والتسليمِ لطاعتِه فيما / أمَرهم به ، وأخْبَرَهم أن توبتَهم مِن الذنبِ الذى رَكِبوه قَتْلُهم أنفسَهم – وقد دلَّلْنا فيما مضَى على أن معنى التوبةِ الأَوْبَةُ مما يَكْرَهُه اللَّهُ إلى ما يَرْضاه مِن طاعتِه[1] – فاسْتَجاب القومُ لما أمَرهم به موسى مِن التوبةِ مما ركِبوا مِن ذنوبِهم إلى ربِّهم ، على ما أمَرهم به . ٢٨٦/١

كما **حدَّثنا** محمدُ بنُ المثنى ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : حدَّثنا شعبةُ ابنُ الحجاجِ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ أنه قال فى هذه الآيةِ : ﴿ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ . قال : عمَدوا إلى الخَناجرِ ، فجعَل يَطْعُنُ بعضُهم بعضًا .

حدَّثنى عباسُ بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثنا حجاجُ بنُ محمدٍ ، قال ابنُ جُرَيْجٍ : أَخْبَرَنى القاسمُ بن أبى بَزَّةَ ، أنه سمِع سعيدَ بنَ جُبيرٍ ومُجاهِدًا قالا : قام بعضُهم إلى

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٥٨٧.

بعضٍ بالخَناجرِ يَقْتُلُ بعضُهم بعضًا ، لا يَحِنُّ[(١)] رجلٌ على رجلٍ قريبٍ ولا بَعيدٍ ، حتى أَلْوَى[(٢)] موسى بثوبِه ، فطرَحوا ما بأيديهم ، فتكَشَّف عن سبعين ألفَ قَتيلٍ ، وإن اللَّهَ أوْحَى إلى موسى أنْ حَسْبِى فقد اكْتَفَيْتُ . فذلك حينَ أَلْوَى بثوبِه[(٣)] .

حدَّثني عبدُ الكريمِ بنُ الهيثمِ ، قال : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُيَيْنةَ ، قال : قال أبو سعدٍ[(٤)] ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال موسى لقومِه : ﴿ تُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ . قال : أمَر موسى قومَه - عن أمرِ ربِّه - أن يَقْتُلوا أنفسَهم . قال : فاحْتَبى[(٥)] الذين عكَفوا على العجلِ فجلَسوا ، وقام الذين لم يَعْكُفوا على العجلِ وأخَذوا الخَناجرَ بأيديهم ، وأصابَتهم ظلمةٌ شديدةٌ ، فجعَل يَقْتُلُ بعضُهم بعضًا ، فانْجلَت الظلمةُ عنهم وقد أجْلَوْا عن سبعينَ ألفَ قتيلٍ ، كلُّ مَن قُتِل منهم كانت له توبةٌ ، وكلُّ مَن بَقِى[(٦)] كانت له توبةٌ[(٧)] .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السديِّ ، قال : لما رجَع موسى إلى قومِه قال : ﴿ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ﴾ . إلى قولِه : ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ [طه : ٨٦، ٨٧] . فألْقَى مُوسى

---

(١) فى ر : « يحزن » ، وفى تفسير ابن أبى حاتم : « يحنو » . وحن عليه : عطف . اللسان (ح ن ن) .

(٢) ألوى بثوبه : إذا لمع وأشار . اللسان (ل و ى) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١١٠ (٥٢٨) من طريق حجاج به .

(٤) فى م : « سعيد » . وينظر ما تقدم فى ص ٦٤٧ .

(٥) فى م : « فاختبأ » . والاحتباء : أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ، ويشده عليها ، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب . النهاية ١/ ٣٣٥.

(٦) بعده فى ص : « منهم » .

(٧) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٣١ عن المصنف . وينظر ما تقدم فى ص ٦٤٧.

الألواحَ وأخَذَ برأسِ أخيه يَجُرُّه إليه ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه : ٩٤] . فترَك هارونَ ومال إلى السامريِّ ، فقال : ﴿ ما خَطْبُكَ يَسَٰمِرِيُّ ﴾ . إلى قوله : ﴿ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه : ٩٥- ٩٧] . ثم أخَذه فذبَحه ، ثم حرَقه[١] بالمِبْرَدِ ، ثم ذرَّاه في اليَمِّ ، فلم يَبْقَ بحرٌ يَجْرى يومَئذٍ إلا وقَع فيه شيءٌ منه ، ثم قال لهم موسى : اشْرَبوا منه . فشرِبوا ، فمَن كان يُحِبُّه [٩٥/٢ظ] خرَج على شاربِه[٢] الذهبُ ، فذلك حينَ يقولُ : ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة : ٩٣] . فلما سُقِط في أيدى بنى إسرائيلَ حينَ جاء موسى ، ورَأَوْا أنهم قدْ ضَلُّوا قالوا : ﴿ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٩] . فأبَى اللَّهُ أن يَقْبَلَ توبةَ بنى إسرائيلَ إلا بالحالِ التى كرِهوا أن يُقاتِلوهم حينَ عبَدوا العجلَ ، فقال لهم موسى : ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ . قال : فصَفُّوا صفَّيْن ، ثم اجْتَلَدوا بالسيوفِ ، فاجْتَلَد الذين عبَدوه والذين لم يَعْبُدوه بالسيوفِ ، فكان مَن قُتِل مِن الفريقَيْن شهيدًا ، حتى كثُر القتلُ ، حتى كادوا أن يَهْلِكوا ، حتى قُتِل بينَهم سبعون ألفًا ، / وحتى دعا موسى وهارونُ : ربَّنا هلَكَتْ بنو إسرائيلَ ، ربَّنا البقيةَ البقيةَ . فأمَرهم أن يَضَعوا السلاحَ ، وتاب عليهم ، فكان مَن قُتِل شهيدًا ، ومَن بَقِى كان مُكَفَّرًا عنه ، فذلك قولُه : ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٣] .

٢٨٧/١

---

(١) حرق الحديد بالمبرد : برده وحك بعضه ببعض . اللسان (ح ر ق) .

(٢) في الأصل ، م : « شاربيه » .

(٣) أخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٤٢٣، ٤٢٤ عن موسى ، عن عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس .

وأخرج آخره ابن أبي حاتم في تفسيره ١١١/١ (٥٣٣) من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو الباهليُّ ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ . قال : كان موسى أمَر قومَه - عن أمرِ ربِّه - أن يَقْتُلَ بعضُهم بعضًا بالخَناجرِ ، فجعَل الرجلُ يَقْتُلُ أباه ويَقْتُلُ ولدَه ، فتاب اللَّهُ عليهم[١] .

[٢]**وحدَّثنى** المُثَنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ . قال : كان أمْرُ موسى قومَه - عن أمرِ ربِّه - أن يَقْتُلَ بعضُهم بعضًا ، ولا يَقْتُلَ الرجلُ أباه ولا أخاه ، فبلَغَ ذلك فى ساعةٍ من نهارٍ سبعين ألفًا[٢] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم ﴾ الآية . قال : فصاروا صفَّيْن ، فجعَل يَقْتُلُ بعضُهم بعضًا ، فبلَغ القَتْلَى ما شاء اللَّهُ ، ثم قيل لهم : قد تِيبَ على القاتلِ والمقتولِ .

حدَّثنا المثنى ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى الليثُ ، قال : حدَّثنى عُقَيْلٌ ، عن ابنِ شِهابٍ ، قال : لما أُمِرَت بنو إسرائيلَ بقتلِ أنفسِها برَزُوا ومعهم موسى ، فاضْطَرَبُوا[٣] بالسيوفِ ، وتَطاعَنوا بالخَناجرِ ، وموسى رافعٌ يديه ، حتى إذا فتَر ، أتاه بعضُهم فقالوا : يا نبىَّ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ لنا . وأخَذوا بعَضُدَيْه يَسنُدُون[٤] يديه ، فلم يَزَلْ أمرُهم على ذلك حتى إذا قبِل اللَّهُ توبتَهم ، قبَض أيدىَ بعضِهم عن بعضٍ ،

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٢ ، وفيه : ففعلوا . بدل قوله : فجعل الرجل يقتل أباه ويقتل ولده .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « فتضاربوا » .

(٤) فى م : « يشدون » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يسدون » .

فألْقَوُا السلاحَ ، وحزِن موسى [٩٦/٢و] وبنو إسرائيلَ للذى كان مِن القتلِ فيهم ، فأوْحَى اللَّهُ إلى موسى : ما[(١)] يَحْزُنُك ؟ أمّا مَن قُتِل منكم[(٢)] فحيٌّ عندى يُرْزَقُ[(٣)] ، وأمَّا مَن بقِى فقد قَبِلْتُ توبتَه . [(٤)]فبشَّر بذلك موسى بنى[(٤)] إسرائيلَ[(٥)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن الزهرىِّ وقتادةَ فى قولِه : ﴿ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ . قالا[(٦)] : قاموا صفَّيْنِ يقتُلُ بعضُهم بعضًا ، حتى قيل لهم : كُفُّوا . قال قتادةُ : كانت شهادةً للمقتولِ ، وتوبةً للحىِّ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : قال لى عطاءٌ : سمِعْتُ عُبَيدَ بنَ عُميرٍ يقولُ : قام بعضُهم إلى بعضٍ يَقْتُلُ بعضُهم بعضًا ، ما يتوقَّى[(٧)] الرجلُ أباه ولا أخاه ولا ابنَه [(٨)] ولا[(٨)] أحدًا ، حتى نزَلَتِ التوبةُ . قال ابنُ جُريجٍ : وقال ابنُ عباسٍ : بلَغ قَتلاهم سبعين ألفًا ، ثم رفَع اللَّهُ عنهم القتلَ ، وتاب عليهم .

---

(١) فى م : « لا » .

(٢) فى الأصل : « منهم » . والمثبت موافق لما فى تفسير ابن كثير .

(٣) فى الأصل : « يرزقون » .

(٤ - ٤) فى م ، وتفسير ابن كثير : « فسر بذلك موسى وبنو » .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٣١/١ عن المصنف ، وقال : إسناد جيد . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٠ إلى المصنف وأحمد فى الزهد .

(٦) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « قال » .

(٧) فى الأصل : « يبدنا » ، وفى ص : « تبرانا » .

ولعل ما فى الأصل وص تصحف من : « يترابأ » . كما أثبتها الشيخ شاكر ، ورابأت الشىء ورابأت فلانا : حذرته واتقيته . ورابأ الرجلَ : اتقاه . اللسان (ر ب أ) .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل .

قال ابنُ جُرَيْجٍ : قاموا صفَّيْن فاقْتَتلوا بينَهم ، فجعَل اللَّهُ القتلَ لـمَن قُتِل منهم شَهادةً ، وكانت توبةً لمن بقِى ، وكان قتلُ بعضِهم بعضًا أن اللَّهَ علِم أن ناسًا منهم علِموا أن العِجْلَ باطلٌ ، فلم يَمْنَعْهم أن يُنْكِروا عليهم إلا مخافةَ القتالِ ، فلذلك أُمِرُوا[1] أن يَقْتُلَ بعضُهم بعضًا .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : لما رجَع موسى إلى قومِه ، وأحْرَق العِجلَ وذَرَّاه فى اليَمِّ ، خرَج إلى ربِّه بمَن اخْتار مِن قومِه ، فأخَذَتْهم الصاعقةُ ثم بُعِثوا ، سأل موسى ربَّه التوبةَ لبنى إسرائيلَ مِن عبادةِ[2] العجلِ ، فقال : لا ، إلا أن يَقْتُلوا أنفسَهم . قال : فبلَغَنى أنهم قالوا لموسى : نَصْبِرُ لأمرِ اللَّهِ . فأمَر موسى مَن لم يكنْ عبَد العجلَ أن يَقْتُلَ مَن عَبدَه ، فجلَسوا بالأفْنِيةِ ، وأصلَت[3] عليهم القومُ / السيوفَ ، فجعَلوا يَقْتُلونهم ، وبكَى موسى وبَهَش[4] إليه الصِّبْيانُ والنساءُ يَطْلُبون العفوَ عنهم ، فتاب عليهم وعفا عنهم ، وأمَر موسى أن (٥يُرْفَعَ عنهم السيفُ٥) .

٢٨٨/١

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : لما رجَع موسى إلى قومِه ، وكان[6] سبعون رجلًا قد اعْتَزَلوا مع هارونَ العجلَ لم يَعْبُدوه ، فقال لهم

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أمر » .

(٢) بداية خرم فى النسخة (ص) وينتهى فى ص ٦٩١ .

(٣) فى م : « سلت » . وأصلت السيف : جرده من غمده . اللسان (ص ل ت) .

(٤) بهَشْتُ إلى الرجل وبهش إلىّ : تهيأْتُ للبكاء وتهيأ له . اللسان (ب هـ ش) .

(٥ - ٥) فى م ، وتفسير ابن كثير : « ترفع عنهم السيوف » .

والأثر ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٣١، ١٣٢ عن ابن إسحاق .

وأخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٢٧، ٤٢٨، عن ابن حميد ، عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن صدقة بن يسار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

(٦) فى م ، ت ٣ : « كانوا » .

موسى : انْطَلِقوا إلى موعدِ ربِّكم . فقالوا : يا موسى ، أمَا مِن توبةٍ ؟ قال : بلى [(١)] ، اقْتُلُوا أنفُسَكم ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية . فاخْتَرَطوا السيوفَ والجِرَزَةَ [(٢)] والخَناجرَ والسَّكاكِينَ ، قال : وبُعِثت عليهم ضَبابةٌ . قال : فجعَلوا يَتَلامَسون [٩٧/٢ظ] بالأيدى ويَقْتُلُ بعضُهم بعضًا . قال : ويَلْقَى الرجلُ أباه وأخاه فيَقْتُلُه ولا يَدْرِى ، قال : ويَتَنادَوْن فيها : رحِم اللَّهُ عبدًا صبَر حتى يَبْلُغَ اللَّهُ رضاه . وقرَأ قولَ اللَّهِ جل ثناؤُه : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ﴾ [الدخان : ٣٣] قال : فقَتْلاهم شُهداءُ ، وتِيب على أحيائِهم . وقرَأ : ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

فالذى ذكَرْنا - عمَّن روَيْنا عنه الأخبارَ التى روَيْناها - كان توبةَ القومِ مِن الذنبِ الذى أتَوْه فيما بينَهم وبينَ ربِّهم ، بعبادتِهم العجلَ ، مع ندمِهم على ما سلَف منهم مِن ذلك .

وأما معنى قولِه : ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ . فإنه يعنى : ارْجِعوا إلى طاعةِ خالقِكم وإلى ما يُرْضِيه عنكم .

كما حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ . أى : إلى خالقِكم [(٣)] .

وهو مِن : بَرَأ اللَّهُ الخلقَ [(٤)] يَبْرَؤُهم بَرْءًا [(٤)] ، فهو بارِئُهم [(٥)] . والبَرِيَّةُ

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بل » .

(٢) الجرزة ، جمع الجُرْز : العمود من الحديد . اللسان (ج ر ز) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١١٠ (٥٢٦) من طريق آدم به .

(٤ - ٤) فى م : « يبرؤه » .

(٥) فى م : « بارئ » .

الخلقُ ، وهى فَعِيلةٌ بمعنى مفعولةٍ ، غيرَ أنها لا تُهْمَزُ ، كما لا يُهْمَزُ « مَلَكٌ » ، وهو مِن « [١]لأكتُ » ؛ لأنه[١] جرَى بتركِ الهمزِ كذلك . كما قال نابغةُ بنى ذُبْيانَ[٢] :

إلا سُليمانَ إذ قال الإلهُ[٣] له قُمْ فى البَرِيَّةِ فاحْدُدْها[٤] عن الفَنَدِ[٥]

وقد قيل : إن البَرِيَّةَ إنما لم تُهْمَزْ لأنها فعيلةٌ مِن البَرَى ، والبَرَى الترابُ . فكأنَّ تأويلَه على قولِ مَن تأوَّله كذلك أنه مخلوقٌ مِن الترابِ .

وقال بعضُهم : إنما أُخِذَت البَرِيَّةُ مِن قولِك : بَرَيْتُ العودَ . فلذلك لم يُهْمَزْ .

قال أبو جعفرٍ : وتركُ الهمزِ مِن « بارِئكم » جائزٌ ، والإبْدالُ منها جائزٌ . فإذ كان ذلك جائزًا فى « بارِئكم » ، فغيرُ مُسْتَنْكَرٍ أن تكونَ البَرِيَّةُ مِن : بَرَى اللَّهُ الخلقَ . بتركِ الهمزةِ .

وأما قولُه : ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾ . فإنه يعنى بذلك : توبتُكم بقتلِكم أنفسَكم ، وطاعتُكم ربَّكم ، خيرٌ لكم عندَ بارِئكم ؛ لأنكم تَنْجُون بذلك مِن عقابِه فى الآخرةِ على ذنبِكم ، وتَسْتَوْجِبون به الثوابَ منه .

وقولُه : ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ . [٦]يقولُ : فتاب اللَّهُ عليكم[٦] بما فعَلْتُم مما أمَرَكم به

(١ - ١) فى م : « لأك ، لكنه » .

(٢) ديوانه ص ١٣ .

(٣) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « المليك » .

(٤) حد الرجل عن الأمر يحده حدا : منعه وحبسه ، تقول : حددت فلانا عن الشر . أى منعته . اللسان (ح د د) . والبيت فيه .

(٥) الفَنَد : الخطأ فى القول والرأى . تاج العروس (ف ن د) .

(٦ - ٦) فى م : « أى » .

مِن قتْلِ بعضِكم بعضًا . وهذا مِن المحذوفِ الذى اسْتُغْنى بالظاهرِ منه عن المتروكِ ؛ لأن معنى الكلامِ : فتُوبوا إلى بارئِكم فاقْتُلوا أنفسَكم ، ذلكم خيرٌ لكم عندَ بارئِكم ، فتُبتم فتاب اللَّهُ عليكم . فترَك ذِكْرَ قولِه : فتبتُم . إذ كان فى قولِه : ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ . دَلالَةٌ بينةٌ على اقْتِضاءِ الكلامِ : فتبتُم .

ويعنى بقولِه : ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ : رجَع لكم ربُّكم إلى ما أحْبَبْتُم مِن العفوِ عن ذنوبِكم وعظيمِ ما ركِبتُم ، والصفحِ عن جُرْمِكم ، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ . يعنى : الراجعُ لمن أناب إليه بطاعتِه إلى ما يُحِبُّ مِن العفوِ عنه . ويعنى بـ ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ : العائدُ عليه[1] برحمتِه الـمُنْجيةِ مِن عقوبتِه .

[٢/٩٨و]/ **القولُ فى تأويلِ قولِه :** ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً ﴾ . ٢٨٩/١

وتأويلُ ذلك : واذْكُروا أيضًا إذ قلْتُم : يا موسى لن نُصَدِّقَك ولن نُقِرَّ بما جئْتَنا به حتى نَرَى اللَّهَ[2] عِيانًا ، برفعِ الساترِ بينَنا وبينَه ، وكشفِ الغِطاءِ دونَنا ودونَه ، حتى نَنْظُرَ إليه بأبصارِنا . كما تُجْهَرُ الرَّكِيَّةُ[3] ، وذلك إذا كان ماؤُها قد غطَّاه الطِّينُ ، فنُقِّى[4] ما قد غطَّاه حتى ظهَر الماءُ وصفا . يقالُ منه[5] : جَهَرْتُ الرَّكِيَّةَ أَجْهَرُها جَهْرًا وجَهْرةً . ولذلك قيل : قد جاهَر[6] فلانٌ بهذا الأمرِ

---

(١) فى م : « إليه » .

(٢) بعده فى ر : « جهرة أى » ، وبعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « جهرة » .

(٣) الرَّكيَّة : البئر . اللسان (ر ك ى) .

(٤) غير منقوطة فى الأصل ، وفى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فنفى » ، والمثبت كما فى اللسان نقلا عن الأخفش ، ويحتمله ما فى الأصل . وينظر اللسان (ج هـ ر) .

(٥) بعده فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قد » .

(٦) فى م ، ت ١ : « جهر » .

مُجاهَرةً وجِهارًا. إذا أظْهَره لرأْيِ العينِ وأعلَنه، كما قال الفَرَزْدَقُ بنُ غالبٍ[١] :

مِن اللائى يَظَلُّ[٢] الألْفُ منه مُنِيخًا[٣] مِن مَخافتِه جِهارًا[٤]

وكما حدَّثنا القاسمُ، قال : ثنا الحسينُ، قال : حدَّثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُريجٍ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً ﴾ . قال : علانيةً[٥] .

وحُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ : ﴿ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً ﴾ . قال[٦] : عِيانًا[٧] .

وحدَّثنى يونُسُ، قال : أخْبرَنا ابنُ وهبٍ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً ﴾ : حتى يَطْلُعَ إلينا[٨] .

حدَّثنا بشرٌ، قال : ثنا يزيدُ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ : ﴿ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً ﴾ . أى : عِيانًا[٩] .

---

(١) شرح ديوان الفرزدق ص ٤٤٣.

(٢) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يضل ».

(٣) فى م، ت ٢: « مسحا »، وفى ت ٣: « متيحا ».

(٤) فى شرح الديوان : « نهارا » . فلا شاهد فيه للمصنف .

والشاهد فى بيت آخر للفرزدق من نفس القصيدة هو قوله :

ولكن اللئام إذا هجونى غضبت فكان نصرتى الجهارا

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٣٢/١ عن ابن جريج به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١١/١(٥٣٤) من طريق أبى الحويرث، عن ابن عباس، وأبو الحويرث صدوق سيئ الحفظ .

(٦) فى ر : « قال علانية »، وفى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يقول » .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١١/١ عقب الأثر (٥٣٥) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٨) سيأتى بتمامه فى ص ٦٩٦، ٤٧/٢.

(٩) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١١/١ (٥٣٥) من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة .

فذكَّرهم بذلك جلّ ذكرُه كثرةَ[(١)] اختلافِ آبائِهم ، وسُوءَ استقامةِ أسلافِهم لأنبيائِهم ، مع كثرةِ مُعاينتِهم مِن آياتِ اللَّهِ وعِبَرِه[(٢)] ما تَثْلُجُ[(٣)] بأقلِّها الصدورُ ، وتَطْمَئِنُّ بالتصديقِ معها النفوسُ ، وذلك مع تَتابُعِ الحُجَجِ عليهم ، وسُبوغِ النِّعَمِ مِن اللَّهِ لديهم ، وهم مع ذلك مرةً يَسْألون نبيَّهم أن يَجْعَلَ لهم إلهًا غيرَ اللَّهِ ، ومرَّةً يَعْبُدون العِجْلَ مِن دونِ اللَّهِ ، ومرةً يقولون : لن[(٤)] نُصَدِّقَك حتى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً . وأخرى يقولون له إذا دُعُوا إلى القتالِ : اذْهَبْ أنت وربُّك فقاتِلا إنا هلهنا قاعِدُون . ومرةً يُقالُ لهم : ﴿ قُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾ [البقرة : ٥٨] . فيقولون : حِنْطَةٌ في شَعيرةٍ . ويَدْخُلون البابَ مِن قِبَلِ أَسْتاهِهِم ، مع غيرِ ذلك مِن أفعالِهم التي آذَوْا بها نبيَّهم عليه السلامُ التي يَكْثُرُ إحْصاؤُها .

فأعْلَمَ ربُّنا تبارك اسمُه وتعالى ذكرُه الذين خاطَبَهم بهذه الآياتِ مِن يهودِ بني إسرائيلَ الذين كانوا بينَ ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنهم لن يَعْدُوا أن يَكُونوا - في تكذيبِهم محمدًا ﷺ ، وجُحودِهم نبوَّتَه ، / وتركِهم الإقرارَ [٢/٩٨ظ] به ، وبما جاء به ، مع علمِهم به ، ومعرفتِهم بحقيقةِ أمرِه - كأسْلافِهم وآبائِهم الذين [(٥)] قصَّ اللَّهُ [(٥)] عليهم قَصَصَهم في ارْتِدادِهم عن دينِهم مرةً بعدَ أخرى ، وتَوَثُّبِهم على نبيِّهم موسى صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه تارةً بعدَ أخرى ، مع عظيمِ بَلاءِ اللَّهِ عندَهم ، وسُبوغِ آلائِه عليهم .

١/٢٩٠

---

(١) سقط من : ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٢) في الأصل ، ت ٣ : « غيره » .
(٣) ثلِجت نفسي بالشيء ثَلَجا ، وثلَجت ، تثلُج وتثلَج ثلوجا : اشتَفَتْ به واطمأنت إليه . اللسان (ث ل ج) .
(٤) في ر ، م : « لا » .
(٥ - ٥) في ر ، م ، ت ١ ، ت ٣ : « فصل » ، وفي ت ٢ : « فصل اللَّه » .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ: ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى صفةِ الصاعقةِ التى أخَذَتْهم ؛ **فقال بعضُهم** بما **حدَّثنا** به الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ . قال : ماتوا[(١)] .

وحُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ[(٢)] ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ . قال : سمِعوا صوتًا فصَعِقوا . يقولُ : ماتوا[(٣)] .

وقال آخَرون بما **حدَّثنى** موسى بنُ هارونَ الهَمْدانىُّ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ : والصاعقةُ نارٌ[(٤)] .

وقال آخَرون بما **حدَّثنا** به ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : أخذَتْهم الرَّجْفةُ ، وهى الصاعقةُ ، فماتوا جميعًا[(٥)] .

وأصلُ الصاعقةِ كلُّ أمرٍ هائلٍ مَن[(٦)] رآه أو عايَنه أو أصابه ، حتى يَصِيرَ مِن هَوْلِه

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٦ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١٢ (٥٣٨) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) فى الأصل ، ر ، ت ٣: « فأخذتهم » .

(٣) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « فماتوا » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١٢ (٥٣٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١٢ (٥٤٠) من طريق عمرو به . وستأتى بقيته فى ص ٦٩٥.

(٥) جزء من الأثر المتقدم فى ص ٦٨٤ .

(٦) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

وعَظيمِ شأنِه إلى هلاكٍ وعطبٍ أو[1] إلى ذَهابِ عقلٍ وغُمورِ فَهمٍ أو فقدِ بعضِ آلاتِ الجسمِ ؛ صوتًا كان ذلك أو نارًا أو زَلْزَلَةً أو رَجْفًا . ومما يَدُلُّ على أنه قد يَكونُ مَصْعوقًا وهو حَيٌّ غيرُ ميتٍ ، قولُ اللَّهِ عزَّ وجل : ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] . يعنى مَغْشِيًّا عليه . ومنه قولُ جَريرِ بنِ عَطِيَّةَ[2] :

وهل كان الفَرَزْدَقُ غيرَ قِرْدٍ أصابَتْه الصَّواعِقُ فاسْتَدَارَا

فقد عُلِم أن موسى لم يكنْ حين غُشِى عليه وصَعِق ، ميِّتًا ؛ لأن اللَّهَ جلّ ثناؤه قد أخْبَر عنه أنه لمَّا أفاق قال : ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ . ولا شَبَّه جَريرٌ الفَرَزْدقَ وهو حيٌّ بالقِرْدِ ميتًا ، ولكن معنى ذلك ما وصَفْنا .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ : وأنتم تَنْظُرون إلى الصاعقةِ [3]التى أصابَتْكم . يقولُ : أخَذَتْكم الصاعقةُ عِيانًا[3] جهارًا وأنتم تَنْظُرون إليها[4] .

[٩٩/٢و] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦) ﴾ .**

يعنى بقولِه : ﴿ بَعَثْنَاكُم ﴾ : أحْيَيْناكم .

وأصلُ البعثِ إثارةُ الشىءِ مِن مَحَلِّه . ومنه قيل : بعَث فلانٌ راحلتَه . إذا أثارها مِن مَبْرَكِها لِتسيرَ[5] ، كما قال الشاعرُ[6] :

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « و » .

(٢) ديوانه ٨٨٧/٢ .

(٣ - ٣) سقط من : ر .

(٤) إلى هنا ينتهى الخرم بالنسخة ص والمشار إلى بدايته فى ص ٦٨٤ .

(٥) فى ر ، م : « للسير » .

(٦) هو النابغة الذبيانى ، والبيت فى ديوانه ص ٢٥١ .

فأبْعَثُها وَهِيَ صَنِيعُ[(١)] حَوْلٍ كرُكْنِ الرَّعْنِ ذِعْلِبَةً وَقاحَا

والرَّعْنُ : مُنْقَطِعُ أنفِ الجبلِ ، والذِّعْلِبَةُ : الخفيفةُ ، والوَقاحُ : الشديدةُ الحافرِ أو الخُفِّ . ومِن ذلك قيل : بعَثْتُ فلانًا لحاجتى . إذا أقَمْتَه مِن مكانِه الذى هو فيه للتَّوَجُّهِ فيها . ومنه قيل ليومِ القيامةِ : يومُ البعثِ ؛ لأنه يومٌ يُثارُ الناسُ فيه مِن قبورِهم لموقفِ الحسابِ .

٢٩١/١ / ويعنى بقولِه : ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ : مِن بعدِ[(٢)] موتِكم بالصاعقةِ التى أهْلكَتْكم .

وقولُه : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . يقولُ : فعَلْنا ذلك بكم لِتَشْكروني على ما أَوْلَيْتُكم مِن نعمتى عليكم[(٣)] ، بإحْيائى إياكم ، [(٤)]اسْتِيناءً منى لكم[(٤)] ؛ لِتُراجِعوا التوبةَ مِن عظيمِ ذنبِكم ، بعدَ إحلالى العقوبةَ بكم بالصاعقةِ التى أحْلَلْتُها بكم ، فأماتَتْكم بعظيمِ [(٥)]خطاياكم التى كانت[(٥)] منكم فيما بينَكم وبينَ ربِّكم .

وهذا القولُ على تأويلِ مَن تأوَّل قولَه : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم ﴾ : ثم أحْيَيْناكم .

وقال آخرون : معنى قولِه : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم ﴾ . أى : بعَثْناكم أنبياءَ .

حدَّثنى بذلك موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسْباطُ ،

---

(١) صنيع حول : رعت وعلفت حولا حتى سمنت ؛ وصنعة الفرس : حسن القيام عليه ، اللسان (ص ن ع) .

(٢) سقط من : ص .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤ - ٤) سقط من : ر ، وفى م : « استبقاء منى لكم » ، وفى ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « استثناء منى لكم » . واستأنيتُ بفلان : لم أعجله ، ويقال : استأن فى أمرك . أى لا تعجل . اللسان (أ ن ى) .

(٥ - ٥) فى ص ، م ، ت١ ، ت ٢: « خطئكم الذى كان » ، وفى ر : « خطاياكم الذى كان » .

عن السديِّ[١] .

وتأويلُ الكلامِ على ما تأوَّله السديُّ : فأخَذَتْكم الصاعقةُ ، ثم أحْيَيْناكم مِن بعدِ موتِكم ، وأنتم[٢] تَنْظُرون إلى إحيائِناكم[٣] مِن بعدِ موتِكم ، ثم بعَثْناكم أنبياءَ لعلكم تَشْكُرون .

وزعَم السُّديُّ أن ذلك مِن المُقَدَّمِ الذي معناه التأخيرُ ، والمؤَخَّرِ الذي معناه التقديمُ .

حدَّثنا بذلك موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ .

وهذا تأويلٌ يَدُلُّ ظاهرُ التلاوةِ على خلافِه ، مع إجماعِ أهلِ التأويلِ على تخطئتِه ، فالواجبُ على تأويلِ السديِّ الذي حكَيْناه عنه أن يكونَ معنى قولِه : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ : تَشكروني[٤] على تَصْيِيرى إياكم أنبياءَ .

وكان سببَ قيلِهم لموسى ما أخْبَرَ اللَّهُ عنهم أنهم قالوه له مِن قولِهم : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ . ما **حدَّثنا** به ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ[٥] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : لما رجَع [٢/ ٩٩ظ] موسى إلى قومِه ، ورأَى ما هم فيه مِن عبادةِ العِجْلِ ، وقال لأخيه وللسامريِّ ما قال ، وحرَّق العجلَ وذرَّاه في البحرِ[٦] اخْتار موسى منهم سبعين رجلًا ؛ الخَيِّرَ فالخَيِّرَ ، وقال : انْطَلِقوا إلى اللَّهِ

---

(١) سيأتي بتمامه في ص ٦٩٥ .

(٢) في الأصل : « لعلكم » .

(٣) في م : « إحيائنا إياكم » .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) في ر : « مسلمة » .

(٦) في م ، ت١، ت٢ ، ت٣ : « اليم » .

فتُوبوا إليه مما صنَعْتُم ، وسَلُوه التوبةَ على مَن ترَكْتُم وراءَكم مِن قومِكم ، صوموا وتطهَّروا وطهِّروا ثيابَكم . فخرَج بهم إلى طُورِ سَيْناءَ لميقاتٍ وقَّته له ربُّه ، وكان لا يَأْتِيه إلا بإذنٍ منه وعلمٍ ، فقال له السبعون - فيما ذُكِر لى - حينَ صنَعوا ما أمَرهم به ، وخرَجوا للقاءِ ربِّه ، قالوا : يا موسى ، اطْلُبْ لنا إلى ربِّك نَسْمَعْ كلامَ ربِّنا . فقال : أفْعَلُ . فلما دنا موسى مِن الجبلِ وقَع عليه (١عمودُ الغَمامِ١) حتى تغَشَّى الجبلَ كلَّه ، ودنا موسى فدخَل فيه ، وقال للقومِ : ادْنُوا . وكان موسى إذا كلَّمه(٢) وقَع على جَبهتِه نورٌ ساطعٌ لا يَسْتطيعُ أحدٌ مِن بنى آدمَ أن يَنْظُرَ إليه ، فضُرِب دونَه بالحجابِ(٣) ، ودنا القومُ حتى إذا دخَلوا فى الغَمامِ وقَعوا سُجودًا ، فسمِعوه وهو يُكلِّمُ موسى يَأْمُرُه ويَنْهاه : افْعَل ولا تَفْعَلْ . فلما فرَغ إليه(٤) مِن أمرِه انْكَشَف(٥) عن موسى الغَمامُ ، فأقبل إليهم فقالوا لموسى : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ . فأَخذَتْهم الرجفةُ ، وهى الصاعقةُ ، فماتوا جميعًا ، وقام موسى يُناشِدُ ربَّه ويَدْعُوه ويَرْغَبُ إليه ويقولُ : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ ﴾ [الأعراف : ١٥٥] . قد سَفِهوا ، أفتُهْلِكُ مَن ورائى مِن بنى إسرائيلَ (٦بما فعَل٦) السُّفهاءُ منا ؟ - أى : إن هذا لهم هَلاكٌ - اخترْتُ منهم سبعين رجلًا ، الخيِّرَ فالخيِّرَ ، أَرْجِعُ إليهم وليس معى منهم رجلٌ واحدٌ ، فما الذى يُصَدِّقونى به أو يَأْمَنونى عليه بعدَ هذا ؟ ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] . فلم يَزَلْ موسى يُناشِدُ ربَّه (٧ويسْأَلُه٧)

(١ - ١) فى ص : « عمود غمام » ، وفى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الغمام » .
(٢) بعده فى م : « ربه » .
(٣) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الحجاب » .
(٤) سقط من : ص ، م .
(٥) فى م : « وانكشف » .
(٦ - ٦) فى م : « بما تفعل » . وفى ت ١ : « مما يفعل » ، وفى ت٢ : « بما تفعل » .
(٧ - ٧) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

ويَطْلُبُ إليه ، حتى ردَّ إليهم[(١)] أرْواحَهم ، وطلَب إليه التوبةَ لبنى إسرائيلَ مِن عبادةِ العِجْلِ ، فقال : لا ، إلا أن يَقْتُلوا أنفسَهم[(٢)] .

/ حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسْباطُ بنُ نصرٍ ، عن السديِّ : لما تابَت بنو إسرائيلَ مِن عبادةِ العِجْلِ ، وتاب اللَّهُ عليهم بقتلِ بعضِهم بعضًا كما أمَرَهم به ، أمَر اللَّهُ تعالى موسى أن يَأْتِيَه فى ناسٍ مِن بنى إسرائيلَ يَعْتَذِرون إليه مِن عبادةِ العِجْلِ ، ووعَدَهم موْعِدًا ، فاخْتار موسى مِن قومِه سبعين رجلًا على عَيْنِه ، ثم ذهَب بهم ليَعْتَذِروا ، فلما أتَوْا ذلك المكانَ قالُوا : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ . فإنك قد كلَّمْتَه فأرِناه ، فأخَذَتْهم الصاعقةُ فماتوا ، فقام موسى يَبْكِى ويَدْعُو اللَّهَ ويقولُ : ربِّ ماذا أقولُ لبنى إسرائيلَ إذا أتَيْتُهم وقد أهْلَكْتَ خِيارَهم ؟ ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ . فأوْحَى اللَّهُ إلى موسى : إن هؤلاء السبعين ممَّن اتَّخذ العِجْلَ . فذلك حينَ يقولُ [٢/١٠٠و] موسى : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ﴾ [(٣)] إلى قولِه[(٣)] : ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾[(٤)] [الأعراف : ١٥٥، ١٥٦] . وذلك قولُه : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ . ثم إن اللَّهَ أحْياهم فقاموا وعاشوا رجلًا رجلًا[(٥)] ، يَنْظُرُ بعضُهم إلى بعضٍ كيف يَحْيَوْنَ ، فقالوا : يا موسى أنت تَدْعُو اللَّهَ فلا تَسْألُه[(٦)] شيئًا إلا أعْطاك ، فادْعُه يَجْعَلْنا

٢٩٢/١

---

(١) فى ص : « إليه » .

(٢) تقدم تخريجه فى ص ٦٨٤ .

(٣ - ٣) زيادة من تاريخ الطبرى .

(٤) بعده فى تاريخ الطبرى : « يقول : تبنا إليك » .

(٥) سقط من : ص .

(٦) فى ص : « تطلب » .

أنبياءَ ، فدعا اللَّهَ فجعَلهم أنبياءَ ، فذلك قولُه : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ . ولكنه قدَّم حرفًا وأخَّر حرفًا[(١)] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : قال لهم موسى - لما رجَع مِن عندِ ربِّه بالألواحِ قد كُتِب فيها التوراةُ ، فوجَدَهم يَعْبُدون العِجْلَ ، فأمَرَهم بقتلِ أنفسِهم ففعَلوا ، فتاب اللَّهُ عليهم[(٢)] - : إن هذه الألواحَ فيها كتابُ اللَّهِ ، فيه أمرُه الذى أمَرَكم به[(٣)] ، ونَهْيُه الذى نهاكم عنه . فقالوا : ومَن يَأْخُذُه بقولِك أنت ! لا واللَّهِ حتى نَرَى اللَّهَ جَهْرةً ، حتى يَطْلُعَ اللَّهُ إلينا[(٤)] فيقولَ : هذا كتابى فخُذُوه ، فما له لا يُكلِّمُنا كما كَلَّمك[(٥)] أنت يا موسى ، فيقولُ : هذا كتابى فخُذوه ؟ وقرَأ قولَ اللَّهِ تعالى : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ . قال : فجاءت غَضْبةٌ مِن اللَّهِ ، فجاءَتْهم صاعقةٌ بعدَ التوبةِ ، فصَعَقَتهم فماتوا أجْمَعُون . قال : ثم أحْياهم اللَّهُ مِن بعدِ موتِهم . وقرَأ قولَ اللَّهِ تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . فقال لهم موسى : خُذوا كتابَ اللَّهِ . فقالوا : لا . فقال : أىُّ شىءٍ أصابَكم ؟ قالوا : أصابنا أنَّا مِتنا ثم حَيِينا . قال : خُذوا كتابَ اللَّهِ . فقالوا : لا . قال : فبعَث اللَّهُ ملائكةً فنتَقتِ الجبلَ فوقَهم[(٦)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٤٢٨/١ ، ٤٢٩ عن موسى بن هارون به عن السدى بإسناده .

(٢) بعده فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فقال » .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « علينا » .

(٥) سقط من : ص ، م .

(٦) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٣٣/١ عن ابن زيد .

مَوۡتِكُمۡ ﴾ . قال : أخَذَتْهم الصاعقةُ ، ثم بعَثهم اللَّهُ ليُكْمِلوا بقيةَ آجالِهم[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ابنِ أنسٍ في قولِه : ﴿ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ ﴾ . قال : هم السبعون الذين اخْتارَهم موسى فساروا معه . قال : فسمِعوا كلامًا ، فقالوا : ﴿ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡـرَةً ﴾ . قال : فسمِعوا صوتًا فصَعِقوا . يقولُ : ماتوا[(٢)] . فذلك قولُه : ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَـٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ [٢/١٠٠ظ] مَوۡتِكُمۡ ﴾ . فبُعِثوا مِن بعدِ موتِهم ؛ لأن موتَهم ذاك كان / عقوبةً لهم ، فبُعِثوا لبقيةِ آجالِهم[(٣)] . ٢٩٣/١

فهذا ما رُوِى في السببِ الذي مِن أجلِه قالوا لموسى : ﴿ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡـرَةً ﴾ .

ولا خبرَ عندَنا بصحةِ شيءٍ مما قاله مَن ذكَرْنا قولَه في سببِ قِيلِهم ذلك لموسى تقومُ به حجةٌ (٤) فيُسَلَّمَ له (٤) ، وجائزٌ أن يكونَ ذلك بعضَ ما قالوه ، فإذ كان لا خبرَ بذلك تقومُ به حُجةٌ ، فالصوابُ مِن القولِ فيه أن يقالَ : إن اللَّهَ تعالى ذكرُه قد أخْبَرَ عن قومِ موسى أنهم قالوا له : ﴿ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡـرَةً ﴾ . كما أخْبَرَ عنهم أنهم قالوه ، وإنما أخْبَرَ اللَّهُ بذلك عنهم الذين خُوطِبوا بهذه الآياتِ تَوْبيخًا

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٦ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٢/١(٥٤٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) بعده في الأصل : « قوله : ﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم ﴾ . قال : أخذتهم الصاعقة ثم بعثهم الله ليكملوا بقية آجالهم ... حدثنا إسحاق ، قال : حدثني ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس في قوله : ﴿ فأخذتكم الصاعقة ﴾ . قال : هم السبعون الذين اختارهم موسى فساروا معه فقالوا : ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ . فصعقوا . يقول : ماتوا » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٢/١ (٥٣٩، ٥٤٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤ - ٤) في م : « فتسلم لهم » .

لهم على كفرِهم بمحمدٍ ﷺ ، [١]وقد[١] قامَت حجَّتُه على مَن احتَجَّ به عليه ، ولا حاجةَ لِمَن انْتَهَت إليه إلى معرفةِ السببِ الداعى كان[٢] لهم إلى قيلِ ذلك ، وقد قال الذين أخْبَرنا عنهم الأقوالَ التى ذكَرْناها ، وجائزٌ أن يكونَ بعضُها حقًّا كما قالوا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ . عطفٌ على قولِه : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ . فتأويلُ الآيةِ : ثم بعَثْناكم مِن بعدِ موتِكم ، وظلَّلنا عليكم الغَمامَ - وعدَّد عليهم سائرَ ما أنْعَم به عليهم - لعلكم تَشْكُرون .

والغَمامُ جماعُ غَمامةٍ ، كما السَّحابُ جماعُ سَحابةٍ ، والغَمامُ هو ما غَمَّ السماءَ فألْبَسَها ، مِن سَحابٍ وقَتامٍ ، وغيرِ ذلك مما يَسْتُرُها عن أعينِ الناظرين ، وكلُّ مغطًّى [٣]فإن العربَ[٣] تُسَمِّيه مَغْمومًا .

وقد قيل : إن الغَمامَ التى ظلَّلها اللَّهُ على بنى إسرائيلَ لم تَكنْ[٤] سَحابًا .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ قولَه : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ . قال : ليس بالسَّحابِ[٥] .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ،

(١ - ١) فى الأصل ، ص ، ر : « فقد » .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) فى ص : « فالعرب » .

(٤) فى الأصل ، ر : « يكن » .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٣٤/١ عن الثورى به .

عن مُجاهِدٍ قولَه : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ . قال : ليس بالسَّحابِ [١] ، هو الغَمامُ الذى يَأْتى اللَّهُ فيه يومَ القيامةِ ، لم يكنْ إلا لهم [٢] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ . قال : هو بمنزلةِ السَّحابِ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ . قال : غَمامٌ أبْرَدُ مِن هذا وأطيبُ ، وهو الذى يَأْتى اللَّهُ جلَّ وعزَّ فيه يومَ القيامةِ . فى قولِه : ﴿ فِي ظُلَلٍ [٣] مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] . وهو الذى جاءَت فيه الملائكةُ يومَ بدرٍ . قال ابنُ عباسٍ : وكان معهم فى التِّيهِ [٤] .

وإذ كان معنى الغَمامِ ما وصَفْنا ، مما غَمَّ السماءَ مِن شىءٍ فغطَّى وجهَها عن الناظرِ إليها ، فليس / الذى ظلَّله اللَّهُ على بنى إسرائيلَ فوصَفه بأنه كان غَمامًا ، بأَوْلَى بوصفِه إياه بذلك أن يكونَ سَحابًا ، منه بأن يكونَ غيرَ ذلك مما ألْبَس وجهَ السماءِ مِن شىءٍ . ١/٢٩٤

وقد قيل : إنه ما ابيضَّ مِن السَّحابِ [٥] .

---

(١) بعده فى ص : « وبإسناده عن مجاهد قال ليس بالسحاب » .
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١٣ (٥٤٩) من طريق أبى حذيفة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٧٠ إلى وكيع وعبد بن حميد .
(٣) فى الأصل : « ظل » .
(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٣٤ عن الحسين به . وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١٣ (٥٥٠) بإسناده عن ابن جريج ، قال : قال آخرون : هو غمام أبرد من هذا وأطيب .
(٥) بعده فى الأصل طمس مقداره ست كلمات .

[٢/١٠١ و] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ** : ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى صفةِ المنِّ ؛ **فقال بعضُهم بما حدَّثنى** به محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ ﴾ . قال : المنُّ صَمْغةٌ[(١)] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ ﴾ . يقولُ : كان المنُّ يَنْزِلُ عليهم مثلَ الثلجِ[(٢)] .

وقال آخَرون : هو شَرابٌ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، قال : المنُّ شرابٌ كان يَنْزِلُ عليهم مثل العسلِ ، فيَمْزُجونه بالماءِ ثم يَشْرَبونه[(٣)] .

وقال آخَرون : المنُّ عسلٌ .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٣، ومن طريقه عبد بن حميد والفريابى ، كما فى تغليق التعليق ٤/ ١٧٣.

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١١٤ (٥٥٣) من طريق سفيان ، عن ابن أبى نجيح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٠ إلى وكيع .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٦ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١١٤ (٥٥٦) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، مطولا .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١١٥ (٥٥٨) من طريق ابن أبى جعفر به .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : المنُّ عسلٌ كان يَنزِلُ لهم مِن السماءِ[1] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا إسرائيلُ ، عن جابرٍ ، عن عامرٍ ، قال : عَسلُكم هذا جزءٌ مِن سبعين جزءًا مِن المنِّ[2] .

وقال آخَرون : المنُّ الخبزُ[3] الرُّقاقُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الكريمِ ، قال : حدَّثني عبدُ الصمدِ ، قال : سمِعْتُ وهبًا ، وسُئِلَ ما المَنُّ ؟ قال : خبزُ الرُّقاقِ ، مثلُ الذُّرَةِ ، أو[4] مثلُ النَّقِيِّ[5] .

وقال آخَرون : المنُّ الزَّنْجبيلُ[6] .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّديِّ : المنُّ

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٣٥. عن ابن زيد .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٣٥ عن المصنف .

(٣) فى م : « خبز » .

(٤) فى م ، ت٢ : « و » .

(٥) النقى : هو الدقيق الحُوَّارى ، وهو الذى يُنقَّى من لُباب البُرّ . ينظر تاج العروس (ح و ر) .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١٥ (٥٥٧) من طريق إسماعيل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧٠ إلى عبد بن حميد . وسيأتى بتمامه فى ص ٧٠٩.

(٦) فى م : « الترنجبين » . وسيأتى التعليق عليها .

كان يَسقُطُ على (١)الشجرِ الزنْجبيلِ(١) .

وقال آخرون : المنُّ هو الذى يَسقُطُ على الشجرِ الذى يأْكُلُه الناسُ .

٢٩٥/١

/ ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا الحِمَّانىُّ ، قال : حدَّثنا شَرِيكٌ ، عن مُجالِدٍ ، عن عامرٍ فى قولِه : ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ ﴾ . قال : المنُّ الذى يَقَعُ على الشجرِ .

حدَّثنا أحمدُ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرىُّ ، قال : حدَّثنا شَريكٌ ، عن مُجالِدٍ ، عن عامرٍ ، قال : المنُّ هذا الذى يَقَعُ على الشجرِ .

وحُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ ٱلْمَنَّ ﴾ . قال : المنُّ الذى يَسقُطُ مِن السماءِ على الشجرِ فيأْكُلُه الناسُ .

حدَّثنى القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : كان المنُّ يَنزِلُ على شجرِهم ، فيَغْدُون إليه(٢) فيأْكُلون منه ما شاءوا(٣) .

(١ - ١) فى م : « شجر الترنجبين » ، وفى تاريخ المصنف : « الشجر الترنجبين » ، والمثبت موافق لما فى تفسير ابن أبى حاتم ، وتفسير ابن كثير ١/ ١٣٤.

والأثر أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٣٠ عن موسى بن هارون به عن السدى بإسناده ، مطولا .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١١٤ (٥٥٥) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به . وسيأتى مطولا فى ص ٧٠٧، ٧٠٨.

(٢) فى ص ، م : « عليه » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١١٤ (٥٥٢) من طريق على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، =

(١)وقد قيل : إن المَنَّ التَّرنْجَبِينُ(١) .

وقال بعضُهم : المنُّ : الذى يَسْقُطُ على الثُّمامِ(٢) والعُشَرِ(٣) ، وهو حُلْوٌ كالعسلِ ، وإياه عَنَى الأعْشَى ميمونُ بنُ قيسٍ بقولِه(٤) :

[١٠١/٢ظ] لو أُطعِموا المنَّ والسَّلْوَى مكانَهمُ ما أبْصَرَ الناسُ طُعْمًا فيهمُ نَجَعَا

وتَظاهَرَت الأخبارُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « الكَمْأةُ مِنَ المَنِّ ، وماؤُها شِفاءٌ للعينِ »(٥) .

وقال بعضُهم : المنُّ شرابٌ حُلْوٌ كانوا يَطْبُخونه فيَشْرَبونه .

وأما أُميةُ بنُ أبى الصَّلْتِ الثقفىُّ فإنه جعَله فى شِعْرِه عسلًا ، فقال يَصِفُ أمرَهم فى التِّيهِ وما رُزِقوا فيه(٦) :

فرَأَى اللَّهُ أنهم بمَضِيعٍ لابذى مَزْرَعٍ ولا مَثْمُورا(٧)

= وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٠/١ إلى ابن المنذر .

(١ - ١) فى ر : « وقيل : المن عسل » .

والترنجبين : طل يقع من السماء ، ندى شبيه بالعسل ، جامد متحبب ، وتأويله عسل الندى . الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١/ ١٣٧.

(٢) الثمام : نبت معروف فى البادية ، ولا تجهده النعم إلا فى الجدوبة . اللسان (ث م م) .

(٣) العشر : شجر له صمغ وفيه حراق مثل القطن يقتدح به . اللسان (ع ش ر) .

(٤) زيادة من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ . والبيت فى ديوان الأعشى ص ١٠٩ .

(٥) أخرجه البخارى (٥٧٠٨) ، ومسلم (٢٠٤٩) ، وغيرهما من حديث سعيد بن زيد . وينظر مسند الطيالسى (٢٥١٩) ، وتفسير ابن كثير ، تحقيق أبى إسحاق الحوينى ٤٠٥/٢ - ٤١٦ .

(٦) ديوان أمية ص ٤٤ .

(٧) المضيع والمِضيعَة : الاطراح والهوان . اللسان (ض ى ع) .

فسَنَاها[١] عليهم غادياتٍ ومرَى مُزْنَهم خَلايا وخُورَا[٢]

عسلًا ناطفًا وماءً فُراتًا وحَليبًا ذا بَهْجةٍ مُرْمُورَا[٣]

فجعَل المنَّ الذى كان يَنْزِلُ عليهم عسلًا ناطِفًا ، والناطفُ هو القاطرُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ .

و« السَّلْوى » اسمُ طائرٍ يُشْبِهُ السُّمَانَى ، واحدُه[٤] وجِماعُه بلفظٍ واحدٍ ، وكذلك السُّمَانَى لفظُ جِماعِها وواحدِها سَواءٌ . وقد قيل : إن واحدَ السَّلْوَى سَلْواةٌ .

ذكرُ مَن قال ما قلنا فى ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : أخبرنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، [٥] فى خبرٍ ذكَره عن أبى مالكٍ ، **وعن** أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، **وعن** مرةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، **وعن** ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ [٥] : السَّلْوَى طيرٌ يُشْبِهُ

---

(١) فى م : « فعناها » ، وهى رواية ، وفى الديوان : « فعفاها » . وسناها : سقاها . اللسان (س ن و) .

(٢) غاديات جمع غادية : وهى السحابة التى تنشأ غدوة ، ومرى الناقة مريا : مسح ضرعها للدرة . والخلايا : جمع خلية ، وهى الناقة التى خليت للحلب . والخور : الإبل الحمر إلى الغبرة ، رقيقات الجلود طوال الأدبار ، ولها شعر ينفذ ، ووبرها أطول من سائر الوبر . ينظر اللسان (غ د و ، م ر ى ، خ ل ى ، خ و ر) .

(٣) فى ص : « مزمورا » ، وفى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، والديوان : « ممرورا » . وبعده فى م : « الممرور الصافى من اللبن » . وبعده فى ت ١، ت ٢، ت ٣: « المرمور الصافى من اللبن » ، وفى حاشية ص : « المرمور الصافى من اللبن » . وفى القاموس مادة (مرمر) : المُرمورة بالضم الجارية الناعمة الرَّجراجة .

(٤) فى الأصل ، م : « واحدة » .

(٥ - ٥) سقط من الأصل ، ص .

السُّمَانَى[1] .

وحدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسْباطُ ، عن السُّدىِّ ، قال : كان طيرًا أكبرَ مِن السُّمانَى .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ ، قال : السَّلْوَى طيرٌ[2] كانت تَحْشُرُها عليهم الريحُ الجَنوبُ[3] .

٢٩٦/١ / **حدَّثنى** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : السَّلْوَى طائرٌ[4] .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : السَّلْوَى طائرٌ[5] .

وحُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : السَّلْوَى هو السُّمَانَى[6] .

حدَّثنى أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : أخْبَرَنا أبو أحمدَ ، قال : أخبرنا شَريكٌ ، عن

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٣٨/١ عن المصنف به . وسيأتى مطولا فى ص ٧٠٧، ٧٠٨.

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٣: « طائر » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٦. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٥/١ (٥٦٢) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، مطولا .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢٠٣.

(٥) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « طير » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٥/١ (٥٦٠) من طريق على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس .
وأخرجه ابن أبى حاتم أيضا (٥٥٩) من طريق جهضم ، عن ابن عباس . وينظر تفسير ابن كثير ، تحقيق أبى إسحاق الحوينى ٢/ ٤١٦، ٤١٧.

مُجالِدٍ ، عن عامرٍ ، قال : السَّلْوَى السُّمانَى .

(١) **حدَّثنى** المثنى ، قال : ثنا الحِمَّانىُّ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن مُجالِدٍ ، عن عامرٍ ، قال : السلوى السُّمانَى (١) .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ابنِ أنسٍ : السلوى كان طيرًا يَأْتِيهم مثلَ [١٠٢/٢و] السُّمانَى (٢) .

وحدَّثنى يونُسُ ، قال : أَخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : السَّلْوَى طيرٌ .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال ثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الكريمِ ، قال : حدَّثنى عبدُ الصمدِ ، قال : سمِعْتُ وهبًا وسُئِل : ما السَّلْوَى ؟ فقال : طيرٌ سَمِينٌ مثلُ الحَمامِ (٣) .

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا أبو عامرٍ ، قال : ثنا قُرَّةُ ، عن الضحاكِ ، قال : السُّمانَى هو السلوى (٤) .

قال أبو جعفرٍ : فإن قال قائلٌ : وما كان سببُ تَظْليلِ اللَّهِ الغَمامَ وإنزالِه المَنَّ والسلوى على هؤلاء القومِ ؟

قيل : قد اخْتَلَف أهلُ العلمِ فى ذلك ، ونحن ذاكِرون ماحضَرَنا منه .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

والأثر ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٥/١ عقب الأثر (٥٦١) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٥/١ عقب الأثر (٥٦١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٦/١ (٥٦٣) من طريق إسماعيل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧١/١ إلى عبد بن حميد .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧١/١ إلى عبد بن حميد وأبى الشيخ .

فحدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ : لمَّا تاب اللَّهُ على قوم[(١)] موسى وأحْيَا السبعين الذين اخْتارَهم موسى بعدَ ما أماتهم ، أمَرهم اللَّهُ بالسيرِ[(٢)] إلى أَرِيحا ، وهى أرضُ بيتِ المقدسِ ، فساروا حتى إذا كانوا قريبًا منها[(٣)] بعَث موسى اثنَىْ عشَرَ نَقيبًا ، فكان مِن أمرِهم وأمرِ الجبَّارين وأمْرِ قومِ موسى ما قد قصَّ اللَّهُ فى كتابِه ، فقال قومُ موسى لموسى : ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ . فغضِب موسى فدعا عليهم ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ ، فكانت عَجْلةً من موسى عجِلَها ، فقال اللَّهُ : ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [المائدة : ٢٥، ٢٦] . فلما ضُرِب عليهم التِّيهُ ندِم موسى ، وأتاه قومُه الذين كانوا معه يُطِيعونه فقالوا له : ما صنَعْتَ بنا يا موسى ؟ فلما ندِم أوْحَى اللَّهُ إليه : [(٤)]لا تأْسَ[(٤)] على القومِ الفاسِقين - أى : لا تحْزَنْ على القومِ الذين سمَّيْتُهم فاسِقِين - فلم يَحْزَنْ . فقالوا : يا موسى ، فكيف لنا بماءٍ هلهنا ؟ أين الطعامُ ؟ فأنْزَل اللَّهُ عليهم المنَّ ، فكان يَسْقُطُ على [(٥)]الشجرِ الزَّنْجبيلِ[(٥)] ، والسَّلْوى وهو طيرٌ يُشْبِهُ السُّمانَى ، فكان يَأْتى أحدُهم فيَنْظُرُ إلى الطيرِ فإن كان سَمينًا ذبَحه وإلا أرْسَله ، فإذا سمِن أتاه . فقالوا : هذا الطعامُ ، فأين الشرابُ ؟ فأُمِر موسى ، فضرَب بعصاه الحجرَ فانْفَجرت منه اثنتا عشْرةَ عينًا ، فشرِب / كلُّ سِبْطٍ مِن عينٍ . فقالوا : هذا الطعامُ والشرابُ ، فأين الظلُّ ؟ فظلَّل عليهم الغَمامَ . فقالوا : هذا الظلُّ ، فأين اللِّباسُ ؟ فكانت ثيابُهم تَطولُ ٢٩٧/١

(١) سقط من : ص .
(٢) فى م : « بالمسير » .
(٣) فى ص ، ونسخة من تاريخ المصنف : « منهم » .
(٤ - ٤) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « أن لا تأس » .
(٥ - ٥) فى م ، وتاريخ المصنف : « شجر الترنجبين » . وينظر ما تقدم فى ص ٧٠٢.

معهم كما تَطولُ الصِّبيانُ ، ولا يَتَخرَّقُ لهم ثوبٌ ، فذلك قولُه : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ . وقولُه : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾[1] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، [٢/١٠٢ظ] قال : ثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : لما تاب اللَّهُ على بنى إسرائيلَ وأمَر موسى أن يَرْفعَ عنهم السيفَ مِن عبادةِ العجلِ ، أمَر موسى أن يَسِيرَ[2] بهم إلى الأرضِ المقدسةِ ، وقال : إنى قد كتَبْتُها لكم دارًا وقرارًا ومَنْزِلًا ، فاخْرُجْ إليها وجاهِدْ مَن فيها مِن العدوِّ ، فإنى ناصرُكم عليهم . فسار بهم موسى إلى الأرضِ المقدَّسةِ بأمرِ اللَّهِ ، حتى إذا نزَل التِّيهَ بينَ مصرَ والشامِ ، وهى بلادٌ ليس فيها خَمَرٌ[3] ولا ظلٌّ ، دعا موسى ربَّه حين آذاهم الحرُّ ، فظلَّل عليهم بالغَمامِ ، ودعا لهم بالرزقِ ، فأنْزَل عليهم المنَّ والسَّلْوَى .

حدَّثنا المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ [4] بنِ أنسٍ ، وحُدِّثت عن عمارِ بنِ الحسنِ ، ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ [4] قولَه : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ . قال : ظلَّل عليهم الغَمامَ فى التِّيهِ ، [5] ما هو فى قدرِ [5] خمسةِ فَراسِخَ أو ستةٍ ، كلما أصْبَحوا ساروا غادِين ، فأمْسَوا فإذا هم فى مكانِهم الذى ارْتَحَلوا منه ، فكانوا كذلك حتى مرَّت أربعون سنةً . قال : وهم فى ذلك يَنْزِلُ عليهم المنُّ والسلوى ، ولا تَبْلَى ثيابُهم ، ومعهم حجرٌ مِن حجارةِ الطُّورِ يَحْمِلونه معهم ، فإذا

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٤٢٩، ٤٣٠ عن موسى بن هارون به عن السدى بإسناده .

(٢) فى ص : « يسبق » .

(٣) الخمر بالتحريك : ما واراك من شجر وغيره ، كالجبل وغيره . التاج (خ م ر) .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥ - ٥) فى ص : « فإذا هو فى قدر » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تاهوا فى » .

نزَلوا ضرَبه موسى بعصاه ، فانْفَجَرَتْ منه اثنتا عشْرةَ عينًا .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الكريمِ ، قال : حدَّثنى عبدُ الصمدِ ، قال : سمِعْتُ وهبًا يقولُ : إن بنى إسرائيلَ لما حرَّم اللَّهُ عليهم أن يَدْخُلوا الأرضَ المُقَدَّسةَ أربعين سنةً يَتِيهون فى الأرضِ ، شكَوْا إلى موسى فقالوا : ما نَأْكُلُ ؟ فقال : إن اللَّهَ سيَأْتِيكم بما تَأْكُلون . قالوا : مِن أين لنا إلا أن يُمْطِرَ علينا خُبزًا ! قال : إن اللَّهَ عزَّ وجلَّ سيُنْزِلُ عليكم خُبزًا مَخْبوزًا . فكان يُنْزِلُ عليهم المَنَّ - سُئِل وهبٌ : ما المنُّ ؟ قال : خُبزُ الرُّقاقِ مثلُ الذُّرةِ أو مثلُ النَّقِيِّ - قالوا : وما نَأْتَدِمُ ؟ وهل بُدٌّ لنا مِن لحمٍ ؟ قال : فإن اللَّهَ يَأْتِيكم به . فقالوا : مِن أين لنا إلا أن تَأْتِيَنا به الريحُ ! قال : فإن [(١] اللَّهَ يأتيكم [١)] به . فكانت الريحُ تَأْتِيهم بالسَّلْوَى - فسُئِل وهبٌ : ما السلوى ؟ قال : طيرٌ سَمِينٌ مثلُ الحَمامِ ، كان يَأْتِيهم فيَأْخُذون منه مِن سبتٍ إلى سبتٍ - قالوا : فما نَلْبَسُ ؟ قال : لا يَخْلَقُ لأحدِكم ثوبٌ أربعين سنةً . قالوا : فما نَحْتَذِى ؟ قال : لا يَنْقَطِعُ لأحدِكم شِسْعٌ[(٢)] أربعين سنةً . قالوا : فإنه يُولدُ فينا أولادٌ ، فما نَكْسُوهم ؟ قال : ثوبُ[(٣)] الصغيرِ يَشِبُّ معه . قالوا : فمِن أين لنا الماءُ ؟ قال : يَأْتِيكم به اللَّهُ . قالوا : فمِن أين إلا أن يَخْرُجَ لنا مِن الحجرِ ! فأمَر اللَّهُ موسى أن يَضْرِبَ بعصاه الحجرَ . قالوا : فبِمَ نُبْصِرُ إذ تَغْشانا الظُّلْمةُ ؟/ فضرَب لهم عمودًا[(٤)] مِن نورٍ فى وسَطِ عسكرِهم أضاء عسكرَهم كلَّه. قالوا: فبِمَ نَسْتَظِلُّ ، فإن الشمسَ[(٥)] علينا ٢٩٨/١

(١ - ١) غير واضحة فى الأصل ، وفى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: « الريح تأتيكم » .

(٢) الشسع : سير يمسك النعل بأصابع القدم . الوسيط (ش س ع) .

(٣) فى ص ، ر ، ت ١، ت ٢: « الثوب » .

(٤) فى م : « عمود » .

(٥) بعده فى ص : « قال » .

شديدةٌ ؟ قال : يُظِلُّكم اللَّهُ بالغَمامِ[(١)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا [٢/١٠٣و] ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ . فذكَر نحوَ حديثِ موسى ، عن عمرِو بنِ حمادٍ[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال ابنُ عباسٍ : خُلِق لهم فى التِّيهِ ثيابٌ لا تَخْلَقُ ولا تَدْرَنُ .

قال : وقال ابنُ جُرَيْجٍ : إن أخَذ الرجلُ مِن المَنِّ والسَّلْوَى فوقَ طعامِ يومٍ فسَد ، إلا أنهم كانوا يَأْخُذون فى يومِ الجمعةِ طعامَ يومِ السبتِ فلا يُصْبِحُ فاسدًا[(٣)] .

[٣/١ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِ اللَّهِ جلّ ثناؤُه** : ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : وهذا مما اسْتُغْنِى بدَلالةِ ظاهرِه (٤)عن ذكرِ(٤) ما تُرِك منه ، وذلك أن تأويلَ الآيةِ : وظلَّلْنا عليكم الغَمامَ وأنزَلْنا عليكم المنَّ والسَّلْوى ، وقلْنا لكم : كلوا مِن طيباتِ ما رزَقْناكم . فتُرِك ذكرُ قولِه : وقلنا لكم . لِما بيَّنّا مِن دَلالةِ الظاهرِ فى الخطابِ عليه .

وعنَى جلَّ ذكرُه بقولِه : ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ ﴾ : كلوا مِن شَهِيّاتِ[(٥)] رِزقِنا

---

(١) تقدم طرف منه فى ص ٧٠١ ، ٧٠٦ .

(٢) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « عن أسباط عن السدى » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٣٩/١ عن الحسين به .

وبعده فى الأصل : « تم الجزء الثانى والحمد للَّه حمدًا كثيرًا [...] وصلى اللَّه على [....] وأهله الطيبين وسلم تسليما . يتلوه الجزء الثالث القول فى تأويل قول اللَّه جلَّ ثناؤه كلوا من طيبات ما رزقناكم . قال أبو جعفر » .

(٤ - ٤) فى م : « على » .

(٥) فى م : « مشتهيات » .

الذى رزَقْناكموه .

وقد قيل : عنَى بقولِه : ﴿ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ : مِن حلالِه الذى أبَحْناه لكم فجعَلْناه لكم رزقًا .

والأولُ مِن القولَيْن أولَى بالتأويلِ ؛ لأنه وصْفُ ما كان القومُ فيه مِن هَنِيءِ العيشِ الذى أعْطاهم ، فوصْفُ ذلك بالطَّيِّب الذى هو بمعنى اللَّذَّةِ أحْرَى مِن وصفِه بأنه حلالٌ مُباحٌ .

و ﴿ وَمَا ﴾ التى[1] مع : ﴿ رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ بمعنى الذى ، كأنه قال[2] : كلوا مِن طيباتِ الرزقِ الذى رزَقْناكموه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧) ﴾ .

وهذا أيضًا مِن الذى اسْتُغْنِى بدَلالةِ ظاهرِه على ما تُرِك منه ، وذلك أن معنى الكلامِ : كلوا مِن طيباتِ ما رزَقْناكم ، فخالَفوا ما أمَرْناهم به ، وعصَوا ربَّهم ، ثم رسولَنا إليهم ، وما ظلَمونا . فاكْتُفِى بما أُظهِر عما تُرِك .

وقولُه : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ . يقولُ : وما ظلَمونا بفعلِهم ذلك ومعصيتِهم ، ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ . وما وضَعوا فعلَهم ذلك وعِصْيانَهم إيانا موضعَ مَضَرَّةٍ [٢/٣و] علينا ، ومَنْقَصةٍ لنا ، [3]ولكنهم وضَعوه مِن أنفسِهم موضعَ مَضَرَّةٍ عليها ومَنْقَصةٍ لها[3] .

---

(١) فى الأصل : « الذى » .

(٢) فى ص ، م : « قيل » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

كما حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : ثنا بشرٌ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ . قال : يَضُرُّون[(١)] .

وقد دلَّلْنا فيما مضَى على أن أصلَ الظلمِ وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِه ، بما فيه الكِفايةُ ، فأغْنَى ذلك عن إعادتِه[(٢)] .

وكذلك ربُّنا جلَّ ثناؤُه لا تَضُرُّه معصيةُ عاصٍ ، ولا يَتَحَيَّفُ خَزائنَه ظلمُ ظالمٍ ، ولا تَنْفَعُه طاعةُ مُطيعٍ ، ولا يَزِيدُ في مُلْكِه عدلُ عادلٍ ، بل نفسَه يَظْلِمُ الظالمُ ، وحظَّها يَبْخَسُ العاصى ، وإياها يَنْفَعُ الطائعُ[(٣)] ، وحظَّها يُصِيبُ العادلُ .

٢٩٩/١ / **القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ .**

والقريةُ التي أمَرَهم اللَّهُ أن يَدْخُلوها فيأْكُلوا منها رَغَدًا حيث شاءوا - فيما ذُكِر لنا - بيتُ المَقْدِسِ .

ذكرُ الروايةِ بذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ في قولِه : ﴿ ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ . قال : بيتُ المقدسِ[(٤)] .

وحدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ وَإِذْ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٦/١ (٥٦٧) عن أبي زرعة ، عن المنجاب به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧١/١ إلى أبي الشيخ .

(٢) ينظر ما تقدم في ص ٥٥٩، ٥٦٠ .

(٣) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « المطيع » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٤٦/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١١٦/١ (٥٦٩) عن الحسن بن يحيى به .

﴿ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ : أما القريةُ فبيتُ[١] المقدسِ[٢] .

حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ : يعنى بيتَ المَقدِسِ[٣] .

وحدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : سألْتُه - يعنى ابنَ زيدٍ - عن قولِه : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا ﴾ . قال : هى أَرِيحا ، وهى قريبةٌ مِن بيتِ المَقْدِسِ[٤] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ .

يعنى بذلك : فكُلوا مِن هذه القريةِ حيث شِئْتُم عيشًا هَنِيئًا واسعًا بغيرِ حِسابٍ .

وقد بيَّنَّا معنى الرَّغَدِ فيما مضَى مِن الكتابِ[٥] ، وذكَرْنا أقوالَ أهلِ التأويلِ فيه .

[٢/٣ظ] القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ .

أما البابُ الذى أُمِروا أن يَدْخُلوه ، فإنه قيل : هو بابُ الحِطَّةِ مِن بيتِ المقدسِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « فقرية بيت » .
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٦/١ عقب الأثر (٥٦٩) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .
(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٦/١ عقب الأثر (٥٦٩) من طريق ابن أبى جعفر به .
(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٣٩/١ .
(٥) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « كتابنا » . وينظر ما تقدم فى ص ٥٤٩، ٥٥٠ .

نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾ . قال : بابُ الحِطَّةِ مِن بابِ إيلياءَ[1] بيتِ المقدسِ[2] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ ﴾ : أما البابُ فبابٌ مِن أبوابِ بيتِ المقدسِ[3] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾ : فإنه أحدُ أبوابِ بيتِ المقدسِ ، وهو يُدْعَى بابَ حِطَّةٍ .

وأما قولُه : ﴿ سُجَّدٗا ﴾ . فإن ابنَ عباسٍ كان يَتأوَّلُه بمعنى الرُّكَّعِ .

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِىُّ ، قال : ثنا سُفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن المِنْهالِ / بنِ عمرٍو ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾ . قال : رُكَّعًا مِن بابٍ صغيرٍ[4] .

١/٣٠٠

حدَّثنى الحسنُ بنُ الزِّبْرِقانِ النَّخَعِىُّ ، قال : ثنا أبو أسامةَ ، عن سفيانَ ، عن الأعمشِ ، عن المِنْهالِ ، عن سعيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ

---

(١) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وتفسير ابن أبى حاتم « من » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠٣ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١٧ (٥٧٤) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٧١ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١١٧ عقب الأثر (٥٧٤) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٤) سيأتى مطولًا فى ص ٧٢٥ ، ٧٢٦ .

سُجَّدًا ﴾ . قال : أُمِروا أن يَدْخُلوا رُكَّعًا[1] .

قال أبو جعفرٍ : وأصلُ السجودِ الانْحِناءُ لمن سُجِد له مُعَظَّمًا بذلك ، فكلُّ مُنْحَنٍ لشىءٍ تَعْظيمًا له [2]وخُشُوعًا[2] فهو له ساجدٌ ، ومنه قولُ الشاعرِ[3] :

بجَمْعٍ[4] تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَراتِه تَرَى الأُكْمَ فيه[5] سُجَّدًا للحوافِرِ[6]

يعنى بقولِه : سُجَّدًا : خاشعةً خاضعةً .

ومِن ذلك قولُ أعْشَى بنى[7] قيسِ بنِ ثَعْلَبَةَ[8] :

يُراوِحُ مِن صلواتِ المَلِيـ ـكِ طَوْرًا سُجودًا وطَوْرًا جُؤَارَا

[٣/٣و] فلذلك تأوَّل ابنُ عباسٍ قولَه : ﴿ سُجَّدًا ﴾ : رُكَّعًا ؛ لأن الراكعَ مُنْحَنٍ ، وإن كان الساجدُ أشدَّ انْحِناءً منه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾ .

وتأويلُ قولِه : ﴿ حِطَّةٌ ﴾ : فِعْلةٌ . مِن قولِ القائلِ : حطَّ اللَّهُ عنك خَطاياك ، فهو

---

(١) سيأتى مطولًا فى ص ٧٢٥، ٧٢٦ .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) هو زيد الخيل ، والبيت له فى المعانى الكبير ٢/ ٨٩٠ ، والكامل ٢/ ٢٠١ ، وغير منسوب فى الصناعتين ص ٢٨٦ .

(٤) فى الصناعتين ، والكامل : « بجيش » .

(٥) فى المعانى الكبير ، والكامل : « منه » .

(٦) البلق : جمع أبلق وبلقاء ، وهى الفرس التى يرتفع تحجيلها إلى الفخذين . والحجرات : جمع حَجْرة ، وهى الناحية ، والأكم جمع أكمة وهى التل . اللسان (ح ج ر ، ب ل ق ، أ ك م) .

(٧) فى م : « بن » .

(٨) ديوانه ص ٥٣ .

يَحُطُّها حِطَّةً . بمنزلةِ الرِّدَّةِ والجِدَّةِ[(١)] والمِدَّةِ ، مِن : جدَدْتُ[(٢)] ومدَدْتُ .

واخْتَلَفَ أهلُ التأويلِ فى تأويلِ : ﴿ حِطَّةٌ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** بنحوِ الذى قلْنا فى ذلك .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ : ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ . قال : قال الحسنُ وقَتادةُ : أى : احْطُطْ عنا خَطايانا[(٣)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ : يحطُّ اللَّهُ بها عنكم ذنبَكم وخطيئتَكم[(٤)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ . قال : يَحُطُّ اللَّهُ[(٥)] عنكم خَطاياكم .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا وَكِيعٌ ، عن سفيانَ ، عن الأعمشِ ، عن المِنْهالِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ : مَغْفِرةٌ[(٦)] .

وحُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ . قال : تُحَطُّ عنكم خَطاياكم[(٧)] .

---

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الحدة » .
(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حددت » .
(٣) تفسير عبد الرزاق ٤٧/١ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٩/١ (٥٨٤) عن الحسن بن يحيى به .
(٤) فى م : « خطاياكم » .
(٥) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .
(٦) سيأتى مطولًا فى ص ٧٢٥، ٧٢٦ .
(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٨/١ عقب الأثر (٥٨٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

حدَّثَنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال لى عَطاءٌ فى قولِه : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ . قال : سمِعْنا أنه يَحُطُّ عنهم خَطاياهم[(١)] .

وقال آخَرون : معنى ذلك : قولوا : لا إلهَ إلا اللَّهُ . كأنهم وجَّهوا تأويلَه : قولوا الذى يَحُطُّ عنكم خَطاياكم ، وهو قولُ : لا إلهَ إلا اللَّهُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى وسعدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحَكَمِ ، قالا : حدَّثنا حفصُ بنُ عمرَ ، قال : حدَّثنا الحكمُ بنُ أبانٍ ، عن عكرمةَ [٣/٣ظ] : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ . قال : قولوا : لا إلهَ إلا اللَّهُ[(٢)] .

/ **وقال آخَرون** بمثلِ معنى قولِ عِكْرمةَ ، إلا أنهم جعَلوا القولَ الذى أُمِروا بقيلِه الاسْتغفارَ . ٣٠١/١

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ الزِّبْرِقانِ ، قال : حدَّثنا أبو أُسامةَ ، عن سُفيانَ ، عن الأعمشِ ،

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١١٨ عقب الأثر (٥٨٠) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١١٨ (٥٨٢) من طريق حفص به . وأخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (٢٠٥) من طريق حفص ، عن الحكم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مطولا .

وأخرجه سلمة بن شبيب فى زوائده على تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٧، والطبرانى فى الدعاء (١٥٦٤) من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان ، عن أبيه ، عن عكرمة قوله . وإبراهيم بن الحكم ضعيف .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٧١ إلى عبد بن حميد . وسيأتى فى سورة الأحزاب : ٧٠، وسورة فصلت : ٦، ٧، ٣٠، وسورة الفتح : ٢٦، وسورة النبأ : ٣٨، وسورة النازعات : ١٨، وسورة الأعلى : ١٤.

عن المِنْهالِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ . قال : أُمِرُوا أن يَسْتَغْفِروا[1] .

وقال آخَرون نحوَ[2] قولِ عِكْرمةَ ، إلا أنهم قالوا : القولُ الذى أُمِروا أن يَقُولوه هو أن يَقُولوا : هذا الأمرُ حقٌّ كما قيل لكم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : ثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ . قال : قولوا : هذا الأمرُ حقٌّ كما قيل لكم[3] .

واخْتَلَف أهلُ العربيةِ فى المعنى الذى مِن أجلِه رُفِعَت « الحِطَّةُ » ؛ فقال بعضُ نحويِّى أهلِ البصرةِ : رُفِعَت « الحِطَّةُ » بمعنى قولوا : ليكنْ منك[4] حِطَّةٌ لذُنوبِنا . كما تقولُ للرجلِ : سَمْعُك .

وقال آخَرون منهم : هى كلمةٌ أمَرَهم اللَّهُ أن يقولوها مرفوعةً ، وفرَض عليهم قِيلَها كذلك .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ[5] : رُفِعَت « الحِطَّةُ » بضَميرِ « هذه » ، كأنه قال : وقولوا : هذه حطةٌ .

وقال آخَرُ منهم : هى مرفوعةٌ بضَميرٍ معناه الخبرُ ، كأنه قال : قولوا : ما هو

---

(١) سيأتى مطولًا فى ص ٧٢٥، ٧٢٦ .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « نظير » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٨/١ (٥٨١) عن أبى زرعة ، عن منجاب .

(٤) فى ص ، ر ، م ، ت ٣: « منكم » .

(٥) فى ص ، ر ، م : « الكوفيين » .

حطةٌ . فتكونُ « حطةٌ » حينئذٍ خبرًا لـ « ما » .

قال أبو جعفرٍ : والذى هو أقربُ عندى فى ذلك إلى الصوابِ وأشْبَهُ بظاهرِ الكتابِ ، أن يكونَ رفَع ﴿حِطَّةٌ﴾ بنيةِ خبرٍ محذوفٍ قد دلَّ عليه ظاهرُ التِّلاوةِ ، وهو : دخولُنا البابَ سجدًا حطةٌ . فكفَى مِن تَكريرِه بهذا اللفظِ مادل عليه الظاهرُ مِن التنزيلِ ، وهو قولُه[1] : ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ . كما قال جلَّ ثناؤُه : (وإِذْ قالت أُمةٌ منهم لمَ تعِظُون قومًا اللَّهُ مُهْلِكُهم أو مُعَذِّبُهم عذابًا شديدًا قالوا مَعْذِرَةٌ[2] إلى ربِّكم) [الأعراف : ١٦٤] . بمعنَى : مَوْعِظَتُنا إياهم مَعْذِرةٌ إلى ربِّكم . فكذلك عندى تأويلُ قولِه : ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ . يعنى بذلك : وإذ قلْنا : ادْخُلُوا هذه القريَةَ وادْخُلُوا البابَ سُجَّدًا ، وقولوا : دخولُنا ذلك سُجَّدًا حِطّةٌ لذنوبِنا . وهذا القولُ على نحوِ تأويلِ الربيعِ بنِ أنسٍ وابنِ [3]جُرَيْجٍ وابنِ[3] زيدٍ [٤/٣و] الذى ذكَرْناه آنِفًا .

وأما على تأويلِ قولِ عكرمةَ ، فإن الواجبَ أن تكونَ القراءةُ بالنصبِ فى : ﴿حِطَّةٌ﴾ ؛ لأن القومَ إن كانوا أُمِروا أن يقولوا : لا إلهَ إلا اللَّهُ . أو أن يقولوا : نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ . فقد قيل لهم : قولوا هذا القولَ . فـ « قولوا » حينئذٍ واقعٌ على الحِطَّةِ ؛ لأن الحِطَّةَ على قولِ عكرمةَ هى قولُ : لا إلهَ إلا اللَّهُ . وإذا[4] كانت هى قولَ : لا إلهَ إلا اللَّهُ . فالقولُ عليها واقعٌ ، كما لو أمَر رجلٌ رجلًا بقولِ الخيرِ ، لقال[5] له : قل خيرًا . نصبًا ، ولم يكنْ صوابًا أن يقولَ له : قل خيرٌ . إلا على استِكْراهٍ شَديدٍ .

---

(١) فى الأصل : « قولوا » .

(٢) سيأتى تعليق المصنف على قراءة الرفع فى سورة الأعراف .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إذ » .

(٥) فى م ، ت ٢ : « فقال » .

وفى إجماعِ القرأةِ على رفعِ « الحطة » بيانٌ واضحٌ على خلافِ الذى قاله عكرمةُ مِن التأويلِ فى قولِه : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ .

وكذلك الواجبُ على التأويلِ الذى روَيْناه عن الحسنِ وقَتادةَ فى قولِه : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ . أن تكونَ / القراءةُ فى ﴿ حِطَّةٌ ﴾ نَصْبًا ؛ لأن مِن شأنِ العربِ إذا وضَعوا المصادرَ مَواضِعَ الأفعالِ ، وحذَفوا الأفعالَ ، أن يَنْصِبوا المصادرَ ، كما قال الشاعرُ[(١)] : ٣٠٢/١

أَبِيدُوا[(٢)] بأَيْدِى عُصْبَةٍ[(٣)] وسُيوفُهم على أُمَّهاتِ الهامِ ضربًا شآمِيَا

وكقولِ القائلِ للرجلِ : سمعًا وطاعةً . بمعنى : أسمَعُ[(٤)] سمعًا وأُطيعُ[(٥)] طاعةً . وكما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف : ٢٣، ٧٩] . بمعنى : نَعوذُ باللَّهِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ : ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ ﴾ .

يعنى بقولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ ﴾ : نَتَغَمَّدْ لكم بالرحمةِ خَطاياكم ، ونَسْتُرْها عليكم ، فلا نَفْضَحْكم بالعقوبةِ عليها .

وأصلُ الغَفْرِ التغطيةُ والسترُ ، فكلُّ ساترٍ شيئًا فهو غافرُه . ولذلك[(٦)] قيل للبَيْضةِ مِن الحديدِ التى تُتَّخَذُ جُنَّةً للرأسِ : مِغْفَرٌ ؛ لأنها تُغَطِّى الرأسَ وتجُنُّه . ومنه غِمْدُ

---

(١) هو الفرزدق ، والبيت فى ديوانه ص ٨٩٠.

(٢) فى الديوان : « أناخوا » .

(٣) فى الديوان : « طاعة » .

(٤) فى الأصل ، ر ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « اسمع » .

(٥) فى الأصل ، ر ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « أطع » .

(٦) فى ص ، ر ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « ومن ذلك » .

السيفِ ، وهو ما (١)تَغَمَّدَه فواراه(١) ، (٢)ومن ذلك(٢) قيل لزِئْبِرِ(٣) الثوبِ : غَفْرةٌ(٤) . لتغطيتِه الثوبَ(٥) ، وحئوله(٦) بينَ الناظرِ والنظرِ إليه(٧) . ومنه قولُ أوسِ بنِ حُجْرٍ(٨) :

ألا(٩) أُعْتِبُ(١٠) ابنَ العَمِّ إن كان جاهلًا وأَغْفِرُ عنه الجهلَ إن كان أجْهَلَا

يعنى بقولِه : وأغفرُ عنه الجهلَ : أَسْتُرُ عليه جهلَه بحِلْمى عنه .

[٤٣/١ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ وعزّ : ﴿ خَطَٰيَٰكُمْۚ ﴾ .**

والخَطايا جمعُ خَطِيَّةٍ بغيرِ هَمْزٍ ، كما المَطايا جمعُ مَطِيَّةٍ ، والحَشايَا جمعُ حَشِيَّةٍ ، وإنما تُرِك جمعُ الخَطايا بالهمزِ ؛ لأن تركَ الهَمْزِ فى خَطِيةٍ أكثرُ مِن الهمزِ ، فجُمِع على(١١) خطايَا ، على أن(١١) واحدتَها غيرُ مَهْموزةٍ . ولو كانت الخطايا مَجْموعةً على خَطيئةٍ بالهمزِ لقيل : خَطائى . على مثالِ قبيلةٍ وقَبائِلَ ، وصَحيفةٍ وصَحائفَ . وقد تُجْمَعُ خَطيئةٌ بالتاءِ فتُهْمَزُ ، فيُقالُ : خَطِيئاتٌ .

(١ - ١) فى م : « يغمده فيواريه » .

(٢ - ٢) فى ص ، ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ولذلك » .

(٣) الزئبر : ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخز . اللسان (زأبر) .

(٤) فى م : « غفر » .

(٥) فى م : « العورة » ، وفى ت ١ : « العيون » ، وفى ت ٣ : « للعيون » .

وبعده خرم فى النسخة « ص » إلى ص ٦٧٢ من الجزء الثانى ، أثناء تفسير الآية ١٤٦ من سورة البقرة .

(٦) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حوله » .

(٧) فى م : « إليها » .

(٨) ديوانه ص ٨٢.

(٩) فى م : « فلا » .

(١٠) أعتبه : أعطاه العتبى ورجع إلى مسرته ، وتقول : قد أعتبنى فلان . أى ترك ما كنت أجد عليه من أجله ، ورجع إلى ما أرضانى عنه ، بعد إسخاطه إياى عليه . اللسان (ع ت ب) .

(١١) سقط من : الأصل .

والخَطيئةُ فَعِيلةٌ ، مِن : خَطِئَ الرجلُ يَخْطَأُ خِطأً . وذلك إذا عدَل عن سبيلِ الحقِّ . ومنه قولُ الشاعرِ[(١)] :

[(٢)]وإنَّ مُهاجِرَيْن[٢)] تكَنَّفاه [(٣)]عبادُ[(٤)] اللَّهِ قد[٣)] خطِئا وحابا[(٥)]

يعنى : أضَلَّا الحقَّ وأثِما .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) ﴾ .

وتأويلُ ذلك ما رُوِى لنا عن ابنِ عباسٍ ، وهو ما **حدَّثنا** به القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حَجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ : مَن كان منكم مُحْسِنًا زِيد فى إحْسانِه ، ومَن كان مُخْطِئًا نَغْفِرْ له خَطيئتَه .

فتأويلُ الآيةِ : وإذ قلنا : ادْخُلوا هذه القريةَ ، مُباحًا لكم أكلُ[(٦)] ما فيها مِن الطَّيِّباتِ ، ومُوَسَّعًا عليكم بغيرِ حسابٍ ، وادْخُلُوا البابَ سُجَّدًا ، وقولوا : سُجودُنا هذا للَّهِ حِطَّةٌ مِن ربِّنا لذنوبِنا ، يَحُطُّ به آثامَنا . نَتَغَمَّد لكم ذُنوبَ المُذْنِبِ منكم ، فنَسْتُرُها عليه ، ونَحُطّ أوْزارَها عنه ، ونَزِيدُ[(٧)] المحسِنَ[(٨)] منكم -

---

(١) هو أمية بن الأسكر ، والبيت فى ذيل الأمالى ص ١٠٩ ، والأغانى ٢١/ ١٠ ، والخزانة ٦/ ١٩.

(٢ - ٢) فى الأغانى ، والخزانة : « أتاه مهاجران » .

(٣ - ٣) فى ذيل الأمالى : « ليترك شيخه » ، وفى الأغانى ، والخزانة : « ففارق شيخه » .

(٤) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لعمر » .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، ومصادر التخريج : « خابا » .

(٦) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كل » .

(٧) فى م : « سنزيد » .

(٨) فى الأصل ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « المحسنين » .

إلى إحسانِنا[١] السالفِ عندَه - إحْسانًا .

ثم أخبَر اللَّهُ تعالى ذكرُه عن عظيمِ جَهالتِهم ، وسُوءِ طاعتِهم ربَّهم ، وعِصْيانِهم لأنبيائِهم ، واسْتِهْزائِهم برسلِهم[٢] ، مع عظيمِ آلاءِ اللَّهِ عندَهم ، وعَجائبِ ما أراهم مِن آياتِه وعِبَرِه ، مُوَبِّخًا بذلك أبناءَهم الذين خُوطِبوا بهذه الآياتِ ، ومُعْلِمَهم أنهم [٣]لن يَعْدوا[٣] - فى تكذيبِهم محمدًا ﷺ ، / وجحودِهم نبوَّتَه ، مع عظيمِ إحسانِ اللَّهِ بمَبْعَثِه فيهم إليهم ، وعَجائبِ ما أظْهَر على يديه مِن الحُجَجِ بينَ أظْهُرِهم - أن يكونوا كأسْلافِهم [٥٠/٣و] الذين وصَف صفتَهم ، وقصَّ عليهم[٤] أنباءَهم فى هذه الآياتِ ، فقال جل ثناؤُه : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ .

٣٠٣/١

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ .

وتأويلُ قولِه : ﴿ فَبَدَّلَ ﴾ : فغيَّر . ويعنى بقولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ : الذين فعَلوا ما لم يكنْ لهم فعلُه . ويعنى بقولِه : ﴿ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ : بدَّلوا قولًا غيرَ الذى أُمِروا أن يَقُولوه ، فقالوا خِلافَه . وذلك هو التبديلُ والتَّغْييرُ الذى كان منهم .

وكان تبديلُهم بالقولِ الذى أُمِروا أن يَقُولوه قولًا غيرَه ، ما **حدَّثنى** به محمدُ بنُ

---

(١) فى الأصل : « إحسانه » .
(٢) فى م : « برسله » .
(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إن تعدوا » .
(٤) فى م : « علينا » .

عُبيدٍ[(١)] المحاربيُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُباركِ ، عن مَعْمرٍ ، عن همامٍ ، عن أبي هريـرةَ ، عن النبيِّ ﷺ في قـولِه : ﴿ حِطَّةٌ ﴾ . قال : « بدَّلـوا فقالوا : حبَّةٌ »[(٢)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن همامِ بنِ مُنَبِّهٍ ، أنه سمِع أبا هريرةَ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قال اللَّهُ تبارك وتعالى لبني إسرائيلَ : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ[(٣)] لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ﴾ . فبدَّلوا ، فدخَلوا البابَ يَزْحَفون[(٤)] على أسْتاهِهم ، وقالوا : حبَّةٌ في شَعَرةٍ[(٥)] »[(٦)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ وعليُّ بنُ مجاهدٍ ، قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن صالحِ بنِ كيسانَ ، عن صالحٍ مولى التوأمةِ ، عن أبي هريرَةَ ، عن النبيِّ ﷺ . قال[(٧)] : وحدَّثني[(٨)] محمدُ بنُ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن سعيدِ

---

(١) في م ، ت٢ : « عبد الله » ، وفي ت١ ، ت٣ : « عبد » . وينظر تهذيب الكمال ٧٠/٢٦ .

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٩٩٠) ، وابن المقرئ في معجمه (١٥٨) من طريق محمد بن عبيد به .
وأخرجه أحمد ٤٧١/١٣ (٨١١٠) ، والبخاري (٤٤٧٩) ، والنسائي (١٠٩٨٩) من طرق عن ابن المبارك به ، إلا أنه في رواية النسائي موقوفا .

(٣) في صحيح مسلم : « يُغْفَر » . وهي قراءة نافع . ينظر حجة القراءات ص ٩٧ .

(٤) في ر ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يرجعون » .

(٥) في ر ، م : « شعيرة » . وهي رواية الكشميهني . فتح الباري ٨/ ٣٠٤ .

(٦) أخرجه أحمد ٥٣٥/١٣ (٨٢٣٠) ، والبخاري (٣٤٠٣، ٤٦٤١) ، ومسلم (٣٠١٥) ، والترمذي (٢٩٥٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١١٧، ١١٩ (٥٧٥، ٥٨٧) ، وابن حبان (٦٢٥١) من طريق عبد الرزاق به .

(٧) يعني محمد بن إسحاق .

(٨) في م : « حدثت عن » .

ابنِ جبيرٍ ، أو عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « دخَلوا البابَ الذى أُمِروا أن يدخُلوا منه سجّدًا ، يزحَفون على أستاهِهم يقولون : حنطةٌ فى شعيرةٍ »[(١)] .

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ مَهْدِىٍّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن السُّدِّىِّ ، عن أبى سعدٍ[(٢)] ، عن أبى الكَنـودِ ، عن عبدِ اللَّهِ : ﴿ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ . قالوا : حِنْطةٌ حمراءُ فيها شَعيرةٌ . فأنْزَل اللَّهُ : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ [٣/٥ظ] ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾[(٣)] .

حدَّثنى موسى ، قال : حدَّثنا عمرٌو ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدِّىِّ : ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ . فرفَعوا رُءوسَهم وبدَّلوا . فزعَم السُّدِّىُّ ، عن مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ أنه قال : إنهم قالوا : هِطى سُمْقاثا أزبه هَزْبا . وهو بالعربيةِ : حبةُ حنطةٍ حمراءُ مثقوبةٌ ، فيها شعرةٌ سوداءُ . فذلك قولُه : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾[(٤)] .

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِىُّ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه :

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٣٥/١، وفيه : عن ابن إسحاق قال : حدثنى صالح بن كيسان ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبى هريرة ، وعمن لا أتهم ، عن ابن عباس . وصالح مولى التوأمة اختلط . وينظر تفسير ابن كثير ١٤١/١ .

(٢) فى م : « سعيد » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٩/١ (٥٨٨) من طريق ابن مهدى به ، دون ذكر ابن مسعود .
وأخرجه الطبرانى فى الكبير (٩٠٢٧) من طريق الفريابى ، عن سفيان به عن ابن مسعود . وينظر علل أحمد ١٤٤/٢، ١٤٥ (٩٢٢) ، وتفسير ابن كثير ١/ ١٤٢.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٩/١ (٥٨٩) عن أبى زرعة ، عن عمرو به ، دون قول السدى .

﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ . قال : رُكَّعًا[(١)] مِن بابٍ صغيرٍ ، فجعَلوا يَدْخُلون مِن قِبَلِ أَسْتاهِهِم ، ويقولون : حِنطةٌ . فذلك قولُه : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾[(٢)] .

حدَّثني الحسنُ[(٣)] بنُ الزِّبْرِقانِ النَّخَعيُّ ، قال : حدَّثنا أبو أُسامةَ ، عن سُفيانَ ، عن الأعمشِ ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو ، / عن سعيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : أُمِروا أن يَدْخُلوا رُكَّعًا ويقولوا : ﴿ حِطَّةٌ ﴾ . قال : أُمِروا أن يَسْتَغْفِروا . قال : فجعَلوا يَدْخُلون مِن قِبَلِ أَسْتاهِهِم مِن بابٍ صغيرٍ ، ويقولون : حِنطةٌ . يَسْتَهْزِئون ، فذلك قولُه : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ .

١/٣٠٤

حدَّثني الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ والحسنِ : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ . قالا : دخَلوها على غيرِ الجهةِ التى أُمِروا بها[(٤)] ، دخَلوها مُتَزَحِّفِين على أَوْراكِهم ، وبدَّلوا قولًا غيرَ الذى قِيل لهم ، فقالوا : حبَّةٌ في شَعيرةٍ[(٥)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : (٦ أَمَر موسى قومَه ٦) أن يَدْخُلوا البابَ سُجَّدًا ويقولوا :

---

(١) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « ركوعا » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١١٧، ١١٩ (٥٧٢، ٥٧٦، ٥٩٠) ، والحاكم ٢/٢٦٢ من طريق سفيان به . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين . وتقدم طرف منه في ص ٧١٦، ٧١٨ .

(٣) في الأصل : « الحسين » .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) في الأصل : « شعرة » . والأثر تقدم تخريجه في ص ٧١٦.

(٦ - ٦) كذا . ومن المعلوم أن نبي الله موسى ﷺ قد مات في التيه الذي عاقبهم الله به بعد خذلانهم إياه وعصيانهم أمره في دخول بيت المقدس وقتال العمالقة . ولما انقضت المدة التي كتبها الله عليهم . دخلوا بيت المقدس وقاتلوا العمالقة وفتحها الله لهم على يد نبي الله يوشع بن نون . ولما فتحوها أمروا أن يدخلوا الباب =

حِطَّةٌ . وطُؤْطِئَ لهم البابُ ليَسْجُدوا ، فلم يَسْجُدوا ، ودخَلوا على أدبارِهم ، وقالوا : حِنْطةٌ[1] .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : أمَر موسى قومَه أن يَدْخُلوا المسجدَ ويقولوا : حِطَّةٌ . وطُؤْطِئَ لهم البابُ ليَخْفِضوا[2] رءوسَهم ، فلم يَسْجُدوا ، فدخَلوا على أجْنُبِهم[3] إلى الجبلِ - وهو الجبلُ الذى تجَلَّى له ربُّه جل ثناؤُه - وقالوا : حِنْطةٌ . فذلك التبديلُ الذى قال اللَّهُ تعالى ذكرُه : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، [٦/٣و] قال : حدَّثنا وَكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن الأعمشِ ، عن المِنْهالِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ . قال : فدخَلوا على أسْتاهِهم مُقْنِعى[4] رءوسِهم .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبى ، عن[5] النضرِ بنِ عَربيٍّ[6] ، عن عكرمةَ : ﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ . قال[7] : فدخَلوا مُقْنِعى رءوسِهم . ﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾ . فقالوا : حِنْطةٌ ، حبَّةٌ حمراءُ فيها شَعَرةٌ[8] . قال[5] : فذلك قولُه : ﴿ فَبَدَّلَ

= سجدًا ويقولوا حطة . وينظر تاريخ المصنف ١/٤٣٢ - ٤٤٢، وتفسير ابن كثير ١/ ١٣٩، والبداية والنهاية ٢/٢٢١ - ٢٤٢.

(١) تقدم تخريجه فى ص ٧١٣ .

(٢) فى م : « ليقولوا » .

(٣) فى م : « أستاههم » ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « استهم » .

(٤) المُقْنِع : الرافع رأسَه فى السماء . التاج (ق ن ع) .

(٥) سقط من : م .

(٦) فى م : « عدى » .

(٧) سقط من : م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٨) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « شعيرة » .

ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾[(١)] .

٣٠٥/١ / حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، عن ابن جُرَيْجٍ ، [(٢)]قال : قال لى عطاءٌ فى قولِه : ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ . قال : أما تبديلُهم فسَمِعْنا أنهم قالوا : حنطةٌ . قال ابنُ جُرَيجٍ[(٢)] : وقال ابنُ عباسٍ : لما دخَلوا قالوا : حبةٌ فى شعَرةٍ[(٣)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما دخَلوا البابَ قالوا : حبةٌ فى شعيرةٍ . فبدَّلوا قولًا غيرَ الذى قيل لهم .

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ : ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾[(٤)] : فكان سجودُ أحدِهم على خدِّه . ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ يحطُّ عنكم خطيئاتِكم[(٥)] . فقالوا : حِنْطةٌ . وقال بعضُهم : حبةٌ فى شَعيرةٍ . ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾[(٦)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ : يَحُطُّ اللَّهُ بها عنكم ذنبَكم وخَطيئاتِكم . قال : فاسْتَهْزَءوا

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٠/١ عقب الأثر (٥٩٠) معلقا .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣: « شعيرة » .

(٤) بعده فى م ، ت ١ : « قال » .

(٥) فى م : « خطاياكم » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١١٨/١ (٥٧٨) من طريق ابن أبى جعفر به إلى قوله : على خده .

به - يعنى بموسى - وقالوا : ما يَشاءُ موسى أن يَلْعَبَ بنا إلا لعِب بنا ، حِطَّةٌ حِطَّةٌ ! أىُّ شىءٍ حطةٌ ؟ وقال بعضُهم لبعضٍ : حِنْطةٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ : على الذين فعَلوا ما لم يكنْ لهم فعلُه مِن تَبْديلِهم القولَ الذى أمَرهم اللَّهُ أن يَقُولوه قولًا غيرَه ، ومَعْصيتِهم إياه فيما أمَرهم به ، ورُكوبِهم ماقد نهاهم [(١)] عنه و [(١)] عن رُكوبِه ﴿ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

والرِّجْزُ فى لغةِ [(٢)] أهلِ الحجازِ [(٢)] [٦٦/٣ظ] العذابُ ، وهو غيرُ الرِّجْسِ [(٣)] ، وذلك أن [(٤)] الرِّجْسَ هو النَّتْنُ [(٤)] . ومنه الخبرُ الذى رُوِى عن النبىِّ ﷺ فى الطاعونِ أنه قال : « إنه رِجْزٌ عُذِّب به بعضُ الأممِ الذين قبلَكم » .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخْبَرَنى يونُسُ ، عن ابنِ شِهابٍ ، قال : أخْبَرَنى عامرُ بنُ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، عن أُسامةَ بنِ زيدٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « إن هذا الوَجَعَ - أو السُّقْمَ - رِجْزٌ عُذِّب به بعضُ الأممِ قبلَكم » [(٥)] .

(١ - ١) زيادة من : ر .

(٢ - ٢) فى م : « العرب » .

(٣) فى م : « الرجز » .

(٤ - ٤) فى م : « الرجز : البثر » .

(٥) أخرجه مسلم (٩٦/٢٢١٨) من طريق ابن وهب به .

وأخرجه أحمد ٥/ ٢٠٧، ٢٠٨ (الميمنية) ، والبخارى (٦٩٧٤) ، ومسلم (٩٦/٢٢١٨) ، وغيرهم من طريق الزهرى به نحوه . وينظر تفسير ابن كثير ١/ ١٤٢، ١٤٣.

حدَّثنى أبو شَيْبةَ بنُ أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبةَ ، قال : حدَّثنا عمرُ بنُ حفصٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، عن الشَّيْبانىِّ ، عن رياحِ[1] بنِ عَبِيدةَ ، عن عامرِ بنِ سعدٍ ، قال : شهِدْتُ أسامةَ بنَ زيدٍ عندَ سعدِ بنِ مالكٍ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن الطاعونَ رِجْزٌ أُنْزِل على مَن كان قبلَكم - أو على بنى إسرائيلَ - » .

وبمثلِ الذى قلْنا فى[2] ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ رِجۡزٗا﴾ . قال : عذابًا[3] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا﴾ . قال : الرِّجْزُ الغضبُ[4] .

حُدِّثتُ عن المِنْجابِ ، قال : حدَّثنا بشرٌ ، عن أبى روقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ رِجۡزٗا﴾ . قال : كلُّ شىءٍ فى كتابِ اللَّهِ جل ثناؤُه من الرِّجزِ يعنى به العذابَ[5] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : لما قيل لبنى إسرائيلَ : ادخُلوا البابَ سجَّدًا وقولوا : حطةٌ . فَبَدَّل الذين ظَلَموا منهم قولًا غيرَ

---

(١) فى م : « رباح » .

(٢) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تأويل » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٥ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٢٠ (٥٩٣) من طريق آدم به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٢٠ (٥٩٢) عن أبى زرعة ، عن المنجاب به .

الذى قيل لهم ، بعَث اللَّهُ عليهم الطاعونَ ، فلم يُبْقِ منهم أحدًا . وقرَأ : ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ . قال : وبقِى الأبناءُ ، ففيهم الفضلُ والعبادةُ التى تُوصَفُ فى بنى إسرائيلَ والخيرُ ، وهلَك الآباءُ كلُّهم ؛ أهلَكهم الطاعونُ .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : الرِّجْزُ العذابُ ، وكلُّ شىءٍ فى القرآنِ رِجْزٌ فهو عذابٌ .

/ **قال أبو جعفرٍ** : وقد دلَّلْنا على أن تأويلَ الرِّجْزِ العذابُ . وعذابُ اللَّهِ عزّ وجلّ أصنافٌ مختلفةٌ ، وقد أخْبَر جل ثناؤُه أنه أنْزَل على الذين وصَفْنا أمْرَهم الرِّجْزَ مِن السماءِ ، وجائزٌ أن يكونَ ذلك كان طاعونًا ، وجائزٌ أن يكونَ ذلك كان غيرَه ، ولا دَلالةَ فى [٣/٧و] ظاهرِ القرآنِ ولا فى أثرٍ عن الرسولِ صلى اللَّه عليه ثابتٍ أىُّ أصنافِ العذابِ كان ذلك . ٣٠٦/١

فالصوابُ مِن القولِ فيه أن يُقالَ كما قال جل ثناؤُه : (١) أنزل اللَّهُ (١) عليهم رِجْزًا من السماءِ بفسقِهم . غيرَ أنه يَغْلِبُ على نَفْسى (٢) صحةُ ما قاله ابنُ زيدٍ ، للخبرِ الذى ذكَرْتُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى إخبارِه عن الطاعونِ أنه رِجْزٌ ، وأنه عُذِّب به قومٌ قبلَنا ، وإن كنتُ لا أقولُ : إن ذلك كذلك يَقينًا ؛ لأن الخبرَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ لا بَيانَ فيه أىُّ أمّةٍ عُذِّبَت بذلك ، وقد يجوزُ أن يكونَ الذين عُذِّبوا به كانوا غيرَ الذين وصَف اللَّهُ صفتَهم فى قولِه : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ .

(١ - ١) فى م : « فأنزلنا » .

(٢) فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « النفس » .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

(١) ومعْنى ذلك : بفِسْقِهم (١) .

وقد دلَّلْنا فيما مضَى مِن كتابِنا[٢] على أن معنى الفِسْقِ الخروجُ مِن الشىءِ[٣] .

فتأويلُ قولِه : ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ . إذن : بما كانوا يَتْرُكون طاعةَ اللَّهِ فيَخْرُجون عنها إلى معصيتِه وخلافِ أمرِه .

(١ - ١) سقط من : ص ، ر ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣.

(٢) بعده فى ر ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « هذا » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٤٣٤.

فهرس الجزء الأول

الموضوع الصفحة

تم الجزء الأول بحمد الله ومنِّه

ويليه الجزء الثانى ، وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ...﴾ .